المملكة العربية السعودية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كليـة اصول الدين بالرياض
قسم التفسير



منهج المدرسة العقلية الحديثة

في التفسير

الجزء الاول

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

اعداد

فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

اشراف

الدكتور : مصطفى مسلم

الاستاذ في كلية اصول الدين بالرياض



العام الجامعي

١٣٩٩ - ١٤٠٠هـ

١٩٧٩ - ١٩٨٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة :

الحمد لله انزل الفرقان رحمه للعالمين ، وجعله منارا للمهتدين ونـــورا للمستضيئين وجعله زماما للفكر في شططه ، وقيادا للعقل في تمرده ، ومرشـــدا للعلم في جولته ، ومحارا للمفكر في حيرته ، وملجأ للفيلسوف من ورطتـــــه ، ودستورا للحاكم في دولته ، ونظاما للمحكوم في أمته ، وشفاء للصدور في حكمته ، وربيعا للقلوب في روضته ، وعزاء للفقير في ضيعته وواعظا للغني في بهجتــــه وانيسا للمستوحش في وحشته ونجيا للمؤمن في خلوته ، وهدى للعالم برمتـــــه .

احمده حمد مقر بفضله معترف بالآئه فله الحمد أولا وآخرا وأصلي وأســـلم على خير خلقه وخاتم انبيائه ومبلغ قرآنه والداعي الى الله على صراط مستقيم.

وبعـــــد ..

نظرت نظرة في الأفق وأجلت ناظري في السماء وكأني - من حيث لا ادري - أفر من يومي الى أمسي علّني أجد فيه نشوة من حياة ..أو بارقة من أمل .

نظرت في حال أمتي فآلمني منها ما يحز في نفس كل مسلم : قد انهكهـــا اللحاق الاعمى لمخلفات الحضارة الغربية فتضعضعت الاركان وتبلبلت الاذهـــان وأصبحت في حال من التدهور والانحلال لا يعلم الا الله ما ستصير اليه .

نظرت في الافق وأجلت ناظري في السماء استلهم منها العبر ،واستقرئها أحداث التاريخ ، واسائلها عن الدواء الشافي فاذا صوت التاريخ يجلجـــــل في الفضاء فيغمر كياني ويملأ سمعي حتى كدت أن أرى صوته ببصري !

احسست بالرهبة تغمرني والسكون يملأ وجداني أدركت أن لديه الدواء الشافي ، والعلاج الناجع .

سمعت فيما سمعت من حديثه قوله ما رأيت أمة كأمتكم تبحث عن علاج هو بين يديها فترفع الطرف عنه باحثة عن سواه ، ما رأيت مريضا يجد العلاج الحاسم لمرضه ، والدواء الشافي لعلته يعيد الى بدنه الصفاء كل الصفاء والنقاء كل النقاء ثم يعرض عنه باحثا عن دواء آخر ..

هممت بأن أسأل التاريخ عن الدواء فعادت الى الرهبة من مقاطعة حديثه وآثرت الصمت الى سانحه أخرى .

قال التاريخ : لم يكن داؤكم هذا بأول داء يصيب ولا أول مرض أممي يقع ، وما علتكم بأول العلل . وحتى اضع يديك على الدواء أعود بك القهقرى الى ما قبل اربعة عشر قرنا من الزمن .

لم يكن ثم هناك الا جاهلية .. كان آباؤكم حينذاك يرسخون تحت اعبائها ويئنون تحت نيرها من حيث لا يشعرون .

كانوا يتخذون آلهتهم من الحجارة ينحتونها ويبيعونها ! هل رأيت أحدا يبيع ربه ؟ !! انها الجاهلية ، كانوا يعبدون التمره ثم يأكلونها ! هل رأيت أحدا يأكل ربه ؟ انها الجاهلية كانوا يئدون أولادهم وهل رأيت أحدا يئد ولده ؟ انها الجاهلية .

جاء الاسلام والجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء هي السائدة وهي الحاكمة ، وبدأ نور الاسلام : القرآن الكريم يعمل عمله فيها كما يطلع ضياء الشمس بعد ليل بهيم .

لم يكن القرآن في يوم من الايام تلك يسعى الى أحد على قدميه ، ولم يكن في يوم منها يتنقل من مسجد الى منزل الى مجتمع الى حلقه بل كان يفعل هذا به رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، رجال لم تشغلهم تجارة أو لهو عن ذكر الله .

حملوه على اكتافهم ونادوا به في مجتمعاتهم ونقلوه من افواههم الى آذان الكفار والمشركين وهذه بدايه عمله . فسرى في أجسادهم كما يسرى الماء في عروق الاشجار بعد جفاف فاذا به يقلبها من شهباء مغبره يابسه الى خضراء يانعة مثمرة فقلب العقول ، وقلب الموازين كلها ، وانقلب المجتمع من الجاهلية الضاله الى الاسلام الحنيف .

ودبت الحياة فى الأمه فاذا بها أمة الامم وصاحبة السيف والقلم ، وفعلت فى ربع قرن ما تعجز عنه أعتى الامم فى عصرنا هذا بسلاحها وعتادها ومدرعاتها فى قرون كامله .

وأنتم فى عصر ان لم يكن كعصر الجاهليه ذاك فهو قريب منه ولن يصلح عصركم هذا الا بما صلح به ذاك ، ذلكم القرآن هو بين ايديكم ولا يزال ، لم يتغير ولم يتبدل ، وانما تغيرت القلوب وتغير الرجال .

أرأيت لو قام نفر منكم بنشره بين الناس حفظا وتلاوة ، وقاموا بتفسير معانيه للعامه والخاصه ووضحوا لهم مقاصده واهدافه ودعوهم الى مثله وقيمه الخالده وبذلوا ما وسعهم البذل وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لتحقيق ذاك كيف سيكون حالكم حينذاك ؟!

لاشك انه سيقلب الموازين مرة أخرى وتصبح للمسلمين الدوله ، وتسلس لهم قيادة هذا العالم الى ما فيه خيرهم ، ويفتح الله على ايديهم بلادا كثيرة ويدكوا حصون الكفار المشركين وينشروا أريج السلام وعنوان وعقيدة الاسلام على أرض البسيطه وتصبح الحاكميه لله وحده ، وتسود الدنيا السعادة فى الدارين ..

سمعت التاريخ يقول هذا وعهدى به يواصل حديثه لم يتوقف ، شغلتنى عنه نشوة سعادة من تلك السعادة التى أوصلنى أياها فى حديثه ، مكثت ساعة

من الدهر يطوح بي الخيال فى أرجاء المعموره حيث اصبحت " الحاكميه لله وحده وتسود الدنيا السعادة ، السعادة فى الدارين " كما قال التاريخ ..

ادرك التاريخ انقطاع متابعتى لحديثه وادرك سبب ذلك وان بلوغ المسلمين الى تلك الدرجة هي الهدف وهي المراد الذى تصبوا اليه انظارنا وتهفوا اليه قلوبنا فآثر - عفا الله عنه - الصمت فى الحديث وصمت صمتا أعادنى الى واقعي كما يوقظ توقف القطار النائم بداخله ينام على ضجيجه ويستيقظ على توقفه .

أعادني صمت التاريخ الى واقعي فنظرت فاذا بنا لم نزل في البداية - ان كنا قد بدأنا حقا - فاسترجعت من حديث التاريخ علاجه :

١ - نشر القرآن الكريم بين الناس : حفظا وتلاوه .

٢ - تفسير معانيه للعامه والخاصه وربط قلوبهم به وايضاح مقاصده واهدافه.

٣ - الدعوه الى التقيد والالتزام بمثله وقيمه الخالده وتطبيقه في المجتمع.

٤ - البذل ما وسعنا البذل والجهاد بالاموال والانفس لتحقيق ذلك.

أما نشر القرآن الكريم وحفظه وتلاوته فمما يثلج الصدر ان هذا اتجاه قد بدأ يأخذ مساره وبدأنا نلمح آثاره فى بعض مواطن المسلمين من افتتاح مدارس لتحفيظ القرآن ، وبعض المشاريع التى انشأت لاجل ذلك بارك الله فيها ووفق العاملين والقائمين بها لما يحبه ويرضاه .

أما تفسير القرآن وينبنى عليه ما بعده فأمر هام في منتهى الأهمية وغايتها فنحن في عصرنا هذا أمام تيارات مختلفه لتفسير القرآن : كلها يدعي صلاح منهجه في التفسير ويدعو الى سلوكه .

هناك المنهج العقلي فى تفسير القرآن الكريم وهناك المنهج العلمي فى التفسير وكذا اللون الادبي ، واللون الاجتماعي ، وغيرها من المناهج .

وحتى يعطى التفسير للقرآن ثمرته يجب ان نقيمه على اسس ثابته وننفي عنه زغل المناهج الضاله أو المنحرفه وحين تبقى الساحه طاهره نظيفه نبدأ بوضع القواعد والأسس الراسخه للمنهج السليم .

لا نزعم ان كل ما في تلك المناهج وما قبلها خطأ جانب الصواب أو ضال انحرف عن جادة الطريق ، وانما نقول ان فيها صواب وفيها خطأ وفيها حق وفيها ضلال .

والخطوه الاولى فيما أرى من اجل المنهج الحق فى التفسير والوصول الى الهدف منه تبدأ بتنقية المناهج الاخرى وبيان ذلك الحق فيها والتحذير من سواه وكشفه .

ومن هنا رأيت ان اتناول فى رسالتى هذه احدى تلك المدارس فى تفسير القرآن الكريم فاخترت

" منهج المدرسه العقلية الحديثة في التفسير " لكونه أهم واخطر المناهج المذكوره لكونها :-

١ - تعطى العقل مرتبه تضاهي مرتبة الوحي ان لم تتجاوزه وفى هذا خطر عظيم آثرت ان ابدأ بكشفه .

٢ - ولكون رجال هذه المدرسة ممن لا تحوم حولهم الشبهات عند بعض الناس وعند بعض العلماء ايضا ولا يقبلون فيهم نقدا أو عتابا فأحببت ان اكشف حقيقتهم ما استطعت .

٣ - ان فى منهجهم فى التفسير جديد لم يشاركهم أحد في جميع قواعده واسسه .

٤ - ان الموضوع بكر لم أر من كتب فيه بتفصيل .

لا أريد ان ادرس هنا " المنهج العقلي الحديث فى تفسير القرآن الكريم "
وانما أردت ان ادرس " منهج المدرسة العقلية الحديثة فى تفسير القرآن الكريم "

وفرق ما بين الدراستين ان الاولى تحتاج الى الاطلاع على جميع المدارس العقليه لتفسير القرآن الكريم فى أرجاء العالم الاسلامي ومختلف اللغات ، بمختلف مناهجها ومختلف اصولها ومختلف اهدافها وغاياتها ومختلف ظروفها التى الجأتها الى سلوك هذا المنهج .

أما الدراسه الثانيه فأخص من الاولى ذلك انما يقصد بها : تلكم الطائفة التى عاشت فى مصر تربط بينها وحده المنهج في التفسير بجميع قواعده وأسسه ووحدة الهدف والغايه ووحده اللغة ، ووحده البيئه ، ووحدة الظروف التى مرت بها والجأتها الى سلوك المنهج العقلي ومن ثم سلوك سبيل واحد فى القضايا القرآنية يتوآم مع هدفها الذى تسعى اليه تحت تلك الظروف .

تبدأ تلك المدرسه بالسيد جمال الدين الأفغاني الذى بث أفكاره الى تلميذه محمد عبده الذى استلم زمامها من بعده ووسع بحوثها ومن ثم استلمها تلاميذه فنشروها بين الناس حتى سادت فى الاذهان ورسخت بين العلماء .

مهدت لتلك الدراسه عنهم بالحديث عن نشأة التفسير وتطوره ومن ثم نشأة المنهج العقلي القديم في تفسير القرآن الكريم - وحتى لا يتوهم متوهم ان الاسلام ينقص العقل حقه كتبت ما يجلو ذلك وينفيه وبينت مكانه العقل فى الاسلام ودرجته الرفيعه التى انزله اياها ، ثم عدت الى بيان المنهج العقلى القديم ببيان منهج المدرسه العقلية القديمه (المعتزله) بشئ من التفصيل حتى ندرك بعد هذا الصله بين المدرستين العقليتين القديمه والحديثه ، ووجوه الشبه بينهما ووجوه الاختلاف ان كان ثم اختلاف .

وفى الباب الأول كان لابد من الحديث عن رجال المدرسه العقلية وجلاء حقيقتهم ، أولئك النفر الذين اسسوها وقاموا على رعايتها ورعاية اتباعها ،

اذ مما لا شك فيه ان معرفة حقيقة المؤسسين ذو أثر كبير فى معرفه حقيقه المدرسه نفسها فبينهما ارتباط قوى لا ينفصم ففي اثبات انحرافهم اداته قويه لانحراف منهجهم ، وليس العكس بالعكس هنا فاثبات صلاحهم وتقواهم لا يلزم منه صلاح منهجهم ، فقد يصيب المصلح وقد يخطئ ، ولكنه يلزم سلامتهم وتبرئه ساحتهم من وصف الانحراف . وقد سعيت ما استطعت الى تدوين ما عرفته من حياتهم حتى يتسنى للقارئ الحكم على منهجهم بعد هذا .

وفى الباب الثاني تحدثت عن منهج المدرسة العقلية الحديثه الذى سلكته فى تفسير القرآن وبنيت ذلك على أحد عشر أساسا بينتها بالتفصيل واحدا بعد الآخر ولا أرى ما يوجب سردها هنا .

وفى الباب الثالث تحدثت عن بعض آراء المدرسه العقليه الحديثه فى بعض علوم القرآن لما لهذه العلوم القرآنية من صله بالتفسير قويه يلزم بيانها وقسمت الحديث هنا الى فصول ثلاثه تحدثت فى الفصل الأول عن ترجمة القرآن الكريم ، وفى الفصل الثاني عن القصة في القرآن الكريم وفى الفصل الثالث عن اعجاز القرآن الكريم .

أما الباب الرابع فجعلته خاصا بالحديث عن آراء المدرسة العقلية الحديثه فى بعض قضايا القرآن نفسه وقسمت الحديث هنا الى سبعه فصول .
الفصل الأول : تحدثت فيه عن قضيه الوحي وفى الفصل الثاني عن البعث وامارات الساعه وفى الفصل الثالث : عن القضاء والقدر وفى الرابع عن المعجزات وفى الخامس عن أصل الانسان وفى السادس عن الملائكة وفى السابع عن الجن .

والباب الخامس جعلته للحديث عن نماذج من تأويلهم لآيات من القرآن الكريم على ضوء الأسس السابقه فى منهجهم فخالفوا فيها السلف وجاءوا فيها بآراء ان لم تكن شاذه فهى باطله خاطئه .

وفي الباب السادس تحدثت عن أثر هذه المدرسة في الفكر الاسلامي الحديث وموقف علماء المسلمين منها المعاصرين لها ومن بعدهم وكذا موقف الاحتلال الذي كان يسيطر على البلاد المصرية في عصرها وموقف المستشرقين جنود الاحتلال . ولنصل بعد هذا كله الى النتيجة التى توصلت اليها بعد هذا البحث ، ومن ثم اعلان الموقف الذي يجب ان نسلكه على ضوء هذه النتيجة .

وفى الخاتمة وجهت الدعوة الى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية لتتبنى الدعوة الى مؤتمر لتفسير القرآن الكريم يكون عماده واساسه منهج السلف وهدفه وغايته صلاح الاسلام واصلاح اوضاع المسلمين .

ولا يسعنى هنا الا ان اشكر كل من ساعد على ظهور هذا البحث وأخص بالشكر هنا سمو الامير خالد بن فهد بن خالد وكيل وزارة المعارف للشئون التعليمية والادارية حيث قدم لي جزاه الله خيرا كل عون فى سبيل ذلك فهيأ لي من الوقت ما يكفى للكتابة وراسل باسمه بعض الدول الاسلامية لارسال ما احتاج اليه من مراجع ومن ثم سلمها الي ثم ساعدني ايضا بالسفر الى الخارج لاحضار ما لم يحضر منها هذا فضلا عن مساعدته لي بالحصول على ما احتاجه من مراجع فى الداخل فجزاه الله عني خيراً وسأظل أدعو له حتى أحسب أني قد كافأته ، امتثالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ولا انسى ان اشكر ايضا شيخنا واستاذنا الشيخ عبد الفتاح ابو غدة الذي مازال منذ عرفته مهوى قلوب المستفيدين ومرجع طلاب العلم لا يكل ولا يمل بل يفرح ويستبشر اذا ما جاءه من يستزيده معرفة أو يطلب منه رأيا .

لم يزل جزاه الله خيرا يقدم الي كل رأى ومشوره منذ بدأت بكتابة هذا البحث ولم يكتف بالقول بل قرنه بالعمل فاحضر لي - وفقه الله - كتابا طالما

بحثت عنه حتى كللت فكان هذا الكتاب كالغيث ينزل أشد ما يكون الناس في حاجة اليه كان ذلكم الكتاب باللغة الفارسية وهو " مجموعه اسناد ومدارك جاب نشده د ربارة سيد جمال الدين " وهو عبارة عن مجموعه وثائق تتعلق بجمال الدين وقد نشرت هنا بعضها مما له علاقه ببحثنا ولم يكتف - غفر الله له - بهذا وحده بل قدم الي الكثير والكثير من المراجع والمصادر فضلا عن غزير علمه وبحر اطلاعه وليس له عندي الا الدعاء حتى احسب اني كافأته .

ولا انسى ايضا ان اشكر رجلا ثالثا قدم لي العون والمساعدة وهو الاستاذ المشرف على الرساله الدكتور - مصطفى مسلم الذى كان لرأيه ومشورته فضل كبير في عزمي على اختيار هذا البحث وقطع التردد في نفسي من خوض عبابه وحتى قبل ان يكلف بالاشراف على هذا البحث كنت اجلس واياه الوقت الثمين لتحديد الاطار العام للرساله حتى تم وكنت أخشى ان تمنعه مشاغله واشرافه على عدد كبير من الرسائل ان يشرف على رسالتي - مع واسع اطلاعه وعميق معرفته وادراكه وسلامة ذوقه ودقه ملاحظته ولكن ما ان عرضت عليه الاشراف على رسالتي حتى قبل مع ادراكه للمشقه التي سيلاقيها اما عونه ومساعدته وحسن اشرافه وتدبيره بعد هذا فمما يطول الحديث عنه فجزاه الله عني خيرا وسأدعو له حتى احسب اني قد كافأته .

وختام شكري وخالصه لله رب العالمين والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على نبينا محمد .

كتبه

فهد بن عبد الرحمن الرومي

التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

....

الحمد لله الذى انزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا والصلاة والسلام على رسوله محمد بن عبد الله الذى ارسله ربه شاهدا ومبشرا ونذيرا .

وبعـــــد ..

عاشت الجزيره العربية فترة ساد فيها الجهل والظلام كانت القبائل فيها مشتته والقلوب متنافره لا صلة دينيه توحد صفوفهم ولا مصلحة اقتصادية تضمهم ولا رابطه سياسيه تربط بينهم ولا سلام يسود بينهم بل الشريعه شريعه الغاب والعقيده عقيدة الضلال . ديدنهم توارث العداوات والاحقاد وشغلهم الحروب والغارات ودأبهم السلب والنهب ومعبودهم الاصنام والاوثان .

مكث الناس على ذلك حينا من الدهر بلغ الجهل فيه مبلغه واستحكمت ظلمته فكانوا فى أشد الحاجه وأمسها الى نور يجلوا لهم تلك الظلمـــات ويبين لهم الطريق السوى بينما كان الناس كذلك فاذا بالنور يسرى فى الكــون سريان الحياة فى الارض الخاشعة اذ نزل عليها الماء فاهتزت وربت وانبتـت من كل زوج بهيج .

كان أول شعاعه منه فى غار حراء " اقرأ " مشيره الى الترابط والتلاحـم بين هذا النور وبين العلم وهما نقيضا الظلام والجهل السائدين . ثم تتالت الاشعة فاشرقت الارض وانتشر النور كان ذلك النور نور القرآن الذى قال عنـه عليه الصلاة والسلام : " فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهــو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غـيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنه ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثـرة الرّد ولا تنقضي عجائبه هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا :" انا سمعنا

قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به "(١) من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم (٢) وهو الشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوّم ولا يرفع فيستعتب (٣) .

ادرك ذلك هؤلاء القوم فاتبعوه وأتخذوه سراجا فى دروب الحياة وكان نفر منهم جهر اعينهم ذلك النور الساطع وابوا الا تلك الظلمات التى الفتها اعينهم والجهالات التى اعتادتها افئدتهم وكان نفر آخرين عرفوا الحق "كما يعرفون ابناءهم "(٤) وانكروه ولمسوا الفضل كما يلمسون اجسادهم وجحدوه وكان نفر ثار الحسد فى نفوسهم وأشتعلت ناره اراد هؤلاء النفر حجب هذا النور فما ادركته ايديهم وارادوا ان يطفئوه فما بلغته أنفاسهم " يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون "(٥) .

وسارت الفئة الأولى على ذلك النور فاهتدت به وآمنت فوحد كلمتها وجمع شملها وسارت تحت راية واحده راية الايمان لتخرج الناس من الظلمات الى النور فحطمت في فترة وجيزه دول الجاهلية واقامت فى ربوعها دوله الايمان فاذا بها أمة الامم وصاحبه السيف والقلم .

وبدهي أن ذلك لم يتحقق بمجرد قراءتهم للقرآن الكريم وترديد ألفاظه ولم يكن أحدهم ليقرأ القرآن لمجرد زيادة ثقافته ومعرفته بالقضايا العلمية والفقهية ولا لمجرد النظره التاريخيه أو الادبية وانما كانوا يتلقون لينفذوا بعد أن تدبروا ففهموا فآمنوا وصدقوا .

---

(١) من الآيتين ١ و ٢ من سورة الجن .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث غريب (فضائل القرآن الباب ١٤) وتعقبه ابن كثير في (فضائل القرآن ص ١١) فقال : لم ينفرد بروايته حمزه بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظى عن الحارث الاعور " ثم قال " وهو كلام حسن صحيح على انه قد روى له شاهد عن عبد الله بن مسعود " ثم ساق الحديث الآتى

(٣) رواه الدارمي وقال ابوعبيد القاسم بن سلام فى كتابه فضائل القرآن (وهذا غريب من هذا الوجه) وتعقبه بن كثير ولكن له شاهد من وجه آخر . فضائل القرآن ص ١٢ .

(٤) من الآية ١٤٦ من سورة البقرة .

(٥) سورة الصف الآية ٨ .

فكان منهجهم منهج التلقي للتنفيذ ومن ثم لم يكن احدهم ليستكثر منه في الجلسه الواحده لانه كان يحس انه انما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه فكان يكتفي بعشر آيات يحفظها ويعمل بها كان هذا المنهج يفتح لهم من الآفاق القرآنية ما لا يفتحه لهم منهج التلقي للدراسة والبحث والثقافة.(١)

ولكي ندرك الفرق بين المنهجين ننظر الى جيل كل منهج فمنهج التلقي للتنفيذ هو الذي صنع الجيل الأول ثم تخلى الناس عن هذا المنهج شيئا فشيئا الى منهج التلقي للدراسه والبحث والثقافة فنقصت الافضلية شيئا فشيئا ، مصداق ذلك الميزان النبوي الدقيق في قوله عليه الصلاة والسلام : " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم "(٢) .

وبدهي ان منهج التلقي للتنفيذ لا يصح الا اذا كان بعد فهم وتدبر وهكذا كان القوم فقد كان تنفيذهم رضى الله عنهم مبنيا على فهم القرآن وتدبره والكشف عن مراميه وبيان معانيه وهو ما يطلق عليه بـ " التفسير " وقد كان القوم عربا خلصا يفهمون القرآن ويدركون معانيه ومراميه بمقتضى سليقتهم العربيه فهما لا تعكره عجمه ولا يشوبه تكدير ولا يشوهه شيء من قبح الابتداع وتحكم العقيده الزائفة(٣) فالقرآن انما نزل بلسان عربي في زمن افصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره واحكامه أما دقائق باطنه فلا تظهر لهم الا بعد البحث والنظر وسؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر(٤) فقد كان عليه الصلاة والسلام يشرح لهم ما استعصى عليهم فهمه ويجلي لهم ما عجزوا عن ادراكه امتثالا لقوله تعالى " وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون "(٥) .

---

(١) معالم في الطريق : للشهيد سيد قطب ص ٢٠ .
(٢) متفق عليه .
(٣) التفسير والمفسرون . محمد حسين الذهبي جـ ١ ص ٦ .
(٤) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ٢ ص ١٧٤ .
(٥) من الآية : ٤٤ سورة النحل .

وبهذا نشأ علم التفسير للقرآن الكريم القرآن الذى تضمن جميع ما تحتاج اليه البشريه فى امور دينها ودنياها ماضيها وحاضرها ومستقبلها في عقائدها واخلاقها وفى عاداتها ومعاملاتها فى اقتصادياتها وسياستها في سلمها وحربها .

والتفسير الجسر الموصل الى هذه المبادئ والمفتاح لهذه الكنوز والذخائر وراحلتنا للتجول فى روضاته والمبين لمحكمه والمحذر من متشابهاته .

فان قلت فما احسن طرق التفسير واسلمها واحكمها ؟ أجبتك بما اجاب به بن تيميه رحمه الله تعالى بأن اصح الطرق فى ذلك ان يفسر القرآن .

بالقرآن فما أجمل فى مكان فانه قد بين في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد فصل في آخر فان اعياك ذلك فعليك .

بالسنه فانها شارحة للقرآن وموضحه له قال تعالى :(وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) وقال عليه الصلاة والسلام : " ألا انى اوتيت القرآن ومثله معه "(١) يعنى السنة وقال لمعاذ بم تحكم؟ قال : بكتاب الله قال : فان لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله قال : فان لم تجد ؟ قال : اجتهد رأيي قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله "(٢) (٣)

وحينئذ اذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا في السنه رجعنا فى ذلك الى

أقوال الصحابة : فانهم ادرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والاحوال التى اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالائمة الأربعة الخلفاء الراشدين والائمة المهديين كابن مسعود وابن عباس . فان لم تجد التفسير فى القرآن ولا في السنه

---

(١) رواه احمد من حديث المقدام بن معد يكرب والترمذى وقال حسن غريب .
(٢) رواه احمد وابو داود والترمذى والدارمي .
(٣) ملخص ص ٣٦٣ - ٣٧٠ ج ١٣ من مجموع فتاوى بن تيميه (.

ولا عن الصحابة فقد رجع كثير من الائمه فى ذلك الى

اقوال التابعين : كمجاهد وسعيد بن جبير . والصحيح ان اقــوال التابعين رضى الله عنهم ليست حجة فى الفروع فلا تكون حجة فى التفسير كما قال شعبه بن الحجاج وغيره هذا اذا لم يكن ثمة اجماع منهم والا فلا يرتاب فى كونه حجه فان اختلفوا أو لم تجد تفسير ذلك فى اقوالهم ايضا فارجع الى

عموم لغة العرب أما التفسير بمجرد الرأى فحرام قال رسول الله صلــى الله عليه وسلم " من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار "(1). أمـا اذا كان اجتهادك مبنيا على الكتاب والسنه فلا بأس فى ذلك ولا يسمى اجتهادك اجتهادا الا اذا بذلت فيه جهدك لتحرى اصح الآراء وأسلمها .

هذا هو المنهج السليم والطريق القويم لتفسير القرآن الكريم . فـــان سألت أكان هذا هو منهج الصحابه رضى الله عنهم فى التفسير ؟ قلت : كـــلا ولكن لم يكن بين المنهجين اختلاف فمنهج الصحابه جزء من هذا المنهج فارائهم مصدر من مصادر التفسير لمن بعدهم ويلزمنا لمعرفة منهج الصحابه فى التفسير وتطوره بعد ذلك ذكر المراحل التى مر بها التفسير ومزايا كل مرحلة الـــى ان وصل الى مرحلته الحاضره فنقول :

المرحلة الأولى " عصر الصحابة "

وقد ذكرت آنفا أنهم رضى الله عنهم كانوا عربا خلصا يفهمون القرآن ويدركون معانيه ومراميه بمقتضى سليقتهم العربيه فهما لا تعكره عجمه ولا يشوبه شـــئ من قبح الابتداع وتحكم العقيده الزائفة(2) واذا ما خفى عليهم معنى أو دق عليهم مرمى رجعوا اليه عليه الصلاة والسلام فيبين لهم ذلك ويوضحه لهم وان لم يتيسـر لهم ذلك رجعوا الى اجتهادهم وقد كان التفاوت بينهم واضحا فى هذه الرتبـــه فكان بعضهم يرجع الى بعض اذ التفاوت فيها راجع الى التفاوت فى قوة الفهـــم

---

(١) رواه احمد والنسائي والترمذى وقال حسن صحيح .
(٢) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبى ج ١ ص ٦ .

والادراك والتفاوت في ما احاط بالآيه من ظروف وملابسات[1] .

وقد كان كثير منهم رضى الله عنهم يتوقف هنا ويتحرج من القول في التفسير . فهذا ابوبكر رضى الله عنه يقول : " اى سماء تظلني وأى أرض تقلني اذا قلت فى القرآن برأيي أو بما لا أعلم " . وروى ايضا عن غيره كثير مما يدل على تحرجهم من ذلك . ولم يكن هذا التخوف ليمنعهم عن القول فيما لهم به علم . ويحسن بنا هنا ذكر بعض مزايا تفسيرهم فمنها :

١ - قلة الأخذ بالاسرائيليات وتناولها فى التفسير لحرصه صلى الله عليه وسلم على اقتصار المسلمين على الاستسقاء من نبع الاسلام الصافي الذى لم تكدره الاهواء ولم تشبه الاختلافات والافتراءات يدل على هذا القصد غضبه صلى الله عليه وسلم وقد رأى في يد عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيفه من التوراه .

٢ - لم يكن تفسيرهم يشمل القرآن كله فبعض الآيات من الوضوح لديهم بحيث لا يحتاج الى خوض في تفسيره لتضلعهم فى اللغه ومعرفتهم باحوال المجتمع آنذاك وأسباب النزول وغير ذلك .

٣ - وقد كانوا لا يتكلفون في التفسير ولا يتعمقون تعمقا مذموما فقد كانوا يكتفون في الآيات بالمعنى العام ولا يلتزمون بالتفصيل فيما لا فائدة كبيره فى تفصيله فيكتفون مثلا بمعرفة ان المراد بقوله تعالى : " وفاكهة وأبا " انه تعداد لنعم الله تعالى على عباده[2] .

٤ - قلة تدوينهم للتفسير ويرجع ذلك الى نهيه صلى الله عليه وسلم أول الأمر عن كتابة شيء غير القرآن الكريم خشية ان يلتبس عليهم كلامه بالآيات القرآنية ثم اذن لهم بالكتابه بعد ان امن عليهم من اللبس .

وأعتقد بعض المؤرخين ان التدوين للسنه لم يبتدىء الا في نهاية القرن الأول في عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

---

(١) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبى ج ١ ص ٣٤ .
(٢) مقدمه التفسير لابن تيميه ص ٣٧٢ ضمن مجموع الفتاوى لابن تيميه مجلد ١٣ .

والحق ان التدوين كان موجودا فى وقت الصحابه ونضرب لذلك مثلا بالصحيفه الصادقه كما يسميها صاحبها وهو ونعنيها عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه الذى يقول عنها "هذه الصادقه فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه فيها أحد "[1] وهي موجوده فى مسند الامام احمد [2] . وغير ذلك كثير ليس هذا مجال ذكره مما يدل على ان التدوين كان قد ابتدأ في وقت مبكر ولكنه كان على نطاق ضيق .

كان ذلك منهج الصحابه الصافي النقي ولست بهذا اقصد الاقتصار على تفسيرهم ونبذ ما سواه ولكني افضل قواعدهم ومناهجهم التى ساروا عليها فالصفاء هنا صفاء منهج والنقاء نقاء عقيده ثم انتقل التفسير بعد هذا الى مرحلة أخرى .

المرحله الثانية "عهد التابعين"

ولم يكن ثمة كبير فارق بين منهج الصحابه ومنهج التابعين . فقد تلقى التابعون تفسيرهم من الصحابه فقد اقام ابن عباس رضى الله عنه مدرستين للتفسير في مكة واقامها بن مسعود رضى الله عنه فى العراق واقامها ابي بن كعب رضى الله عنه فى المدينه . وكان هذا السلف الصالح يتحرج ايضا من القول فى التفسير كتحرج سلفه رضى الله عنهم . فهذا سعيد بن المسيب كان اذا سئل عن تفسير آيه من القرآن سكت كأن لم يسمع . وهذا الشعبى يقول والله ما من آيه الا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله . وهذا كله محمول على تحرجهم عن الكلام فى التفسير بما لا علم لهم به فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه [3] .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٨٩ قسم ٢ ج ٧ وتقييد العلم للخطيب البغدادى ت يوسف العش ص ٨٤ .

(٢) مسند احمد ت احمد شاكر واستغرقت من ص ٢٣٥ حديث ٦٤٧٧ الجزء التاسع والجزئين العاشر والحادى عشر بكاملهما والثانى عشر الى ص ٥١ حديث ٧١٠٣ .

(٣) مقدمه التفسير ضمن مجموع الفتاوى لابن تيميه ج ١٣ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

وان كان ثمة فارق فهو أمر استوجبه اتساع انتشار العلم مع انتشــــار الاسلام ونقصد بذلك

١ - اتساع رواية الاسرائيليات بسبب دخول كثير من اهل الكتاب فى الاسلام وقد علق فى اذهانهم ما في كتبهم وكانت النفوس متفتحه لسماع تفاصيــل ما اشار اليه القرآن الكريم فتساهل بعضهم فزج في التفسير بكثير مــن الاسرائيليات بدون تحر ونقد وقد اشتهر رواة هذه الاسرائيليات فمنهم كعب ووهب وابن سلام (١) .

٢ - كثرة الخلافات التفسيريه وزيادتها عما كانت عليه فهم قد تناولوا ما اشتمل عليه التفسير فى عصر الصحابه واضافوا اليه اراءهم حسب اجتهادهـــم ومن ثم زادت الاقوال والتفسيرات فى الآيه الواحده . وشمل التفســـير آيات لم يشملها فى الفتره السابقه . لان العربيه لم تعد سليقه لكثـــير من الناس وخاصة اهل الحضر فاحتاج المفسرون الى ان يكملوا هـــذا النقـــص (٢) .

٣ - وازداد التدوين للتفسير فى هذه الفتره ايضا أكثر من عصر الصحابـــه لازدياد الحركه العلميه ولا يفوتنى هنا ان اذكر ان التدوين فى هاتـين المرحلتين لم يكن مبوبا بل كانت الاحاديث غير مرتبه فحديث فى الصلاه يليه حديث فى التفسير يليه حديث فى البيع . . وهكذا . وقد دوّن فــى هذه الفتره كثير من الحديث نذكر لذلك مثلا الصحيفه الصحيحه وهــي التى املاها ابو هريره رضى الله عنه على همام بن منبه وهي موجــوده بكاملها في مسند الامام احمد ونقل الامام البخارى منها عددا كثيرا (٣) .

هذه الامور كانت تشكل فارقا طفيفا بين المصرين فى تفسير القرآن الكريم .

---

(١) مقدمه بن خلدون ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .
(٢) ضحى الاسلام احمد امين جـ ٢ ص ١٤٤ .
(٣) السنه قبل التدوين د . محمد عجاج الخطيب ص ٣٥٦ .

المرحله الثالثة " التدوين "

ونعنى بالتدوين تدوين الحديث النبوى مبوبا وكون التفسير بابا من ابوابه ونستطيع تحديد تلك الفتره بنهايه القرن الاول فى عهد الخليفه الراشد عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه حيث نشط التدوين للسنه ومن ضمنها التفسير نشاطا كبيرا حتى اعتقد كثير من المؤرخين للسنه ابتداء التدوين فى تلك الفترة وقد ضربت مثلا لاثبات التدوين قبل تلك الفتره بالصحيفه الصادقه والصحيفه الصحيحه وغير ذلك كثير مما لا مجال هنا لتفصيله وما يجعلنا على يقين بأن بدء التدوين لم يكن فى عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ولن نحمل رأى من قال بهذا على انه من باب الحدس والتخمين ولا من باب التسرع فى القول بل بل ينبغى ان نحسن الظن بهذا السلف الصالح من المؤرخين للسنه ونحمل كلامهم على انهم ارادوا بالتدوين التدوين الرسمي الذى تبنته الدوله . أما التدوين الشخصى فكان منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

ومن مزايا التفسير فى تلك المرحله :

أ) انه كان لهم عنايه خاصه بالاسناد .

ب) ولم تكن التفسيرات المدونه كلها مرفوعه الى النبى صلى الله عليه وسلم بل ضم اليها تفاسير الصحابه والتابعين .

وقد دخل فى التفسير اثناء تلك المرحله من الاسرائيليات التى لم تزل تنمو وتتسع الشيء الكثير للاسباب التى ذكرنا فى المرحله السابقه التى تنطبق على تلك المرحله ايضا . وتزيد .

واتسع ايضا تفسير القرآن الكريم بالرأى فهذا مجاهد بن جبر رضى الله عنه يقول فى تفسير قوله تعالى :-

" ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين " (٢) مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قرده وانما هو مثل ضربه الله لهم كمثل

---

(١) السنه قبل التدوين د محمد عجاج الخطيب ص ٣٦٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٦٥ .

الحمار يحمل اسفارا " ولا يرتضى ابن جرير الطبرى هذا التفسير من مجاهد فيعقب عليه بما يفنده [١] وهذا الحسن البصرى رضى الله عنه يفسر القرآن على اثبات القدر ردا على من ينكره ويقول : من كذب بالقدر فقد كفر [٢]. وهذا قتاده السدوسي كان يقول بشيء من القدر [٣].

وقد كان هذا نواة لظهور المذاهب الفكريه في التفسير بعد ذلك .

المرحله الرابعه " التصنيف "

ولم يكن بين مرحلتي التدوين والتصنيف طويل زمن ونعني بالتصنيف كتابه التفسير بالمأثور مستقلا عن الحديث شاملا لآيات القرآن مرتبا حسب ترتيب المصحف . وقد نص ابن تيميه [٤] وابن خلكان [٥] رحمهما الله على ان أول من صنف في التفسير عبد الملك بن جريج (٨٠- ١٥٠ هـ) ولا نستطيع الجزم بما ذهبا اليه فقد سبق ابن جريج عدد كبير فقد املى ابن عباس رضى الله عنه (ت ٦٨ هـ) التفسير على مجاهد بن جبر [٦] وجمع سعيد بن جبير رضى الله عنه لعبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ) صحيفة في التفسير [٧] وجمع ابو العاليه (ت ٩٠ هـ) نسخه كبيره في التفسير عن ابي بن كعب [٨] وكتب عمرو بن عبيد شيخ المعتزله تفسيرا للقرآن عن الحسن البصرى رضى الله عنه (ت ١١٦) [٩] وكان عند زيد بن اسلم (ت ١٣٦) كتاب في التفسير [١٠] والف اسماعيل

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبرى) ت محمود شاكر وأحمد شاكر ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٧ ص ٢٢٩ .

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيميه المجلد ٢٠ ص ٣٢٢ .

(٥) وفيات الاعيان لابن خلكان ت محمد محي الدين عبد الحميد ج ٢ ص ٣٣٨ .

(٦) انظر مجموع الفتاوى لابن تيميه ج ١٣ ص ٣٦٩ وتفسير الطبرى ج ١ ص ٩٠ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣ .

(٧) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ١٩٨ - ١٩٩ .

(٨) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ١ ص ١١٥ .

(٩) وفيات الاعيان لابن خلكان ج ٣ ص ١٣٢ وتاريخ الادب العربي كارل بروكلمان ج ١ ص ٢٥٧ ترجمه عبد الحليم النجار .

(١٠) تذكرة الحفاظ : شمس الدين الذهبى ج ١ ص ١٣٣ .

ابن عبد الرحمن السدى (ت ١٢٧) تفسيرا للقرآن[1] وغير ذلك كثير .

فهل نستطيع بعد هذا الجزم بأن ابن جريج أول من صنف فى التفسير مع وجود هذه المؤلفات قبله ؟ نعم يستطيع ذلك من اطلع على مصنفاتهم ووجد انها تدوين لا تصنيف مستقل .. شامل .. مرتب .. فهل اطلع ابن تيميه وابن خلكان رحمهما الله تعالى على تلك ؟ من الجائز هذا . ولم اجد من حقق ذلك .

وبالاضافة الى تميز تلك المرحله بالتصنيف فانها تميزت ايضا :

أ - بأن ما دون فيها كان بالتفسير المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه وتابعيهم . وكان مشوبا بالرأى وتأييد بعض المذاهب حتى ولو كان ما يجمعه المدون هو التفسير بالمأثور ومن الخطأ الاعتقاد بأن التصنيف فى التفسير بالمأثور عمل آلي ليس لصاحبه عمل فيه الا النقل بل ان هذا النوع من التفسير يحتاج الى جهد من المفسر وجهد من الناقد لتحرى مذهب المفسر . جهد من المفسر ليجمع حول الآيه " ما يرى " انها متجهه اليه فيقصد الى " ما يتبادر الى ذهنه " من معناها وتحت هذا التأثير قد يقبل مرويا يعنى به ولو لم يكن صحيحا ويرفض مرويا حين لا يرتاح اليه[2] وجهد من الناقد لاستشفاف مذهب المفسر وارائه وتحرى الآثار التى رفضها المفسر لعدم موافقتها لها ومن ثم كان التفسير بالمأثور لصاحب الرأى من اخطر التفاسير حيث ان المفسر بالرأى ينص على رأيه صريحا بينما ذو الرأى المفسر بالمأثور يلبس آراءه ثوب المأثور .

ب - وتميز التصنيف فى تلك الفترة ايضا بعنايتهم بالاسناد المتصل الى صاحب التفسير المروى .

---

(١) انظر الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ج ٢ ص ١٨٨ وتفسير الطبرى تحقيق احمد ومحمد شاكر ج ١ ص ١٥٦ - ١٦٠ وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ج ١ ص ٣١٥ .

(٢) التفسير والمفسرون للذهبى ج ١ ص ١٥٥ .

جـ - ولم تكن لهم عنايه بالنقد وتحرى الصحه فى رواية الاحاديث فى التفسير بل ان بعضهم ذكر ما روى فى كل آيه من صحيح وسقيم ولم يتحر الصحه بل لم يقصدها كابن جريج مثلا [١] .

د - وقد اتسعت رواية الاسرائيليات فى تلك الفترة فدون منها ايضا الكثير ضمن التفسير .

المرحلة الخامسة

كانت تلك المرحله منعطفا خطيرا فى تاريخ التفسير . كان كل ما شاب التفسير فى المراحل السابقه من كدر انما هو تمهيد لهذه المرحله فاعداء الاسلام الذين ازعجهم انتشاره وما لاقاه من قبول فى جميع الاقطار ينتظرون تلك المرحله لينفذوا منها الى قلبه ومصدر قوته ليبثوا فيه سمومهم وأفكارهم ومبادئهم . وسهل لهم الطريق نفر من علماء المسلمين الصالحين عن حسن نيه منهم ومن حيث لا يشعرون ولكن انى لهم ذلك وقد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " [٢] فقيض الله لهم رجالا وقفوا لهم بالمرصاد يسلطون عليهم الاضواء ويكشفون كيدهم ويهتكون استارهم ويحذرون الناس منهم فكيف سهل لهم هؤلاء العلماء الطريق ؟ وكيف نفذوا منه ؟ وكيف قاومهم جنود الله ؟

أما كيف سهل لهم هؤلاء العلماء الصالحون الطريق فبسبب تصنيفهم لتفاسير :-

أ) اختصروا فيها الاسانيد ونقلوا الآثار المرويه عن السلف دون ان ينسبوها لقائليها [٣] وكانت تلك الهفوه من اخطر الهفوات وأوسع الفجوات لنفوذ الاعداء الى الدين ليضعوا فيه ما لا يرتضيه وينحلوه ما ليس من مبادئه .

ب) وكان من نتيجة هذه الامور ان ازداد القول في التفسير بالرأى المحمود منه والمذموم وتجرؤا على القول فيه وحرص بعضهم على الاكثار من رواية

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطى الجزء الثاني ص ١٨٨ .
(٢) سورة الحجر الآيه : ٩ .
(٣) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٢ ص ١٩٠ .

الاقوال في تفسير الآيه الواحده فصار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده فيأتي من بعده معتقدا ان لما اورد اصلا غير ملتفت الى تحر لصحه ولا باحثا فى سند حتى بلغ من نهم بعضهم بكثره ايراد الاقوال ان ذكر فى تفسير قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين "[1] نحو عشرة اقوال مع ان الذى ثبت بلا خلاف ان المراد بهم اليهود والنصارى لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك[2] .

جـ) وقد بالغ كثير منهم فى رواية الاسرائيليات وشجعهم على هذه المبالغه ما تلقاه هذه الروايات من قبول بين العامه . وذلك ان العرب - كما يقول ابن خلدون - لم يكونوا اهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والأميه واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشريه في اسباب المكونات وبدء الخليقه واسرار الوجود فانما يسألون عنه اهل الكتاب قبلهم "[3] لهذا بالغ كثير منهم فى روايه الاسرائيليات واشغلوا انفسهم فى خلافات لا فائدة فيها كالخلاف فى اسماء اصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من اى الشجر كانت واسماء الطيور التى احياها الله لابراهيم عليه السلام[4] . فاشتغلوا بهذا عن البحث الجاد الاسمى فى امور الدين . وبهذه الامور ايضا سهل هؤلاء العلماء الطريق للاعداء لينفذوا الى قلب الدين لبث سمومهم وافكارهم وذلك بطرق عده اهمها الوضع .

فحينما اختصروا الاسانيد ونقلوا الأقوال المأثورة في التفسير عن السلف دون نسبتها لقائليها استغل الاعداء هذه الفرصه فوضعوا كثيرا من الاحاديث في التفسير وغيره ونسبوها الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اصحابه ممن كان لهم مكانه فى التفسير كابن عباس . والى التابعين ايضا . فالتبس الصحيح بالعليل . بل وطمع من في قلبه مرض من ابناء الاسلام والمنتمين اليه ممن ليست

---

(١) سورة الفاتحه من الآيه : ٧ .
(٢) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٢ ص ١٩٠ .
(٣) مقدمه ابن خلدون ص ٤٣٩ .
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيميه الجزء الثالث عشر مقدمه التفسير ص ٣٦٧ .

الحقيقة هدفهم ولا الوصول اليه مرادهم في تزييف الحقائق وتبرير آرائـــه بما يلقى القبول بين الناس فوضع بعض اتباع كل فرقه من الفرق المنتميه للاسلام الاحاديث التي تؤيد ما ذهبوا اليه وكانت ضربة موجعه لولا ان الله قيــض لهذا الداء رجالا لا كالرجال .

بنوا الحصون المنيعه وبروا سهامهم التي لا تخطئ واضاءوا مصابيحهم التي لا تنطفئ لانها من ذلك النور .

كان " الاسناد " هو الحصن وهو السهم وهو المصباح فلم يقبلوا مــن الحديث الا ما كان مسندا الى قائله الاول فيعرفون الثقات من رجاله ويعرفون الضعفاء والوضاعين فينزلون الحديث قدر منزلة رجاله .

وكان لهم الباع الطويل في ذلك حتى ان هارون الرشيد لما اراد ان يقتل زنديقا قال له الزنديق اين انت من اربعة الاف حديث وضعتها فيكم احــرم فيها الحلال وأحلل فيها الحرام ما قال النبي صلى الله عليه وسلم منها حرفا فقال هارون اين انت ياعدو الله من ابي اسحاق الفزارى وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلا فيخرجانها حرفا حرفا (١) .

وبهذه المرحله نستطيع القول انه انفتح احد مصراعي باب التفسير .

المرحلة السادسة :

أما تلك المرحله فقد انفتح فيها باب التفسير على مصراعيه فدخل منـــه الغث والسمين والصحيح والعليل ولم يزل مفتوحا الى يومنا هذا فبعــد ان كان التدوين للتفسير بالمأثور رأينا غالب التفسير في تلك المرحله يعود الى الفهم العقلي والتفسير بالرأى وليست تلك المرحله هي البدايه للتفســير بالرأى فقد عرفنا فيما مضى ان التفسير بالرأى بدأ مبكرا ولكنه كان التفســير بالرأى المحمود وهو ما وافق الاجتهاد فيه الكتاب والسنه واللغه وتجرد عــن الهوى ، وقل ان يفسر احدهم بالرأى المذموم وهو ما لم يوافق الاجتهاد فيــه

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٩٤ والاسرار المرفوعه لملا على القارى ت محمد الصباغ ص ٦٢ .

الامور الاربعه السابقه . الا ان هذا الاخير بدأ يزيد وينمو حتى بلغ في تلك المرحله مبلغا خطيرا وترجع الاسباب في زيادته الى نشأة كثير من الفرق الاسلاميه فى العقيده والمذاهب الفقهيه والى تنوع العلوم والمعارف والى تشعب الآراء والمذاهب الفلسفيه ومسائل الكلام مع ظهور التعصب المذهبي .

كان لهذه الامور مجتمعه أثر كبير فى تحويل مسار التفسير من التفسير بالمأثور الى التفسير بالرأى فقد حمل التعصب المذهبى بعض أرباب هذه الفرق والمذاهب الى تأييدها بتفسير الآيات حسب ما يوافقها واعتنى ارباب العلوم بما يوافق علومهم فكان كل من برع في علم من العلوم غلب ذلك على تفسيره فالفقيه يكاد يسرد فيه الفقه وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع والرد على المخالفين . . كالقرطبى ، والاخبارى ليس له هم الا سرد القصص واستيفاؤها . . كالثعلبى والنحوى ليس له هم الا الاعراب وتكثير الاوجه المحتمله فيه . . كالزجاج والواحدى وابي حيان . وصاحب العلوم العقليه ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفه وشبههم والرد عليها كالفخر الرازى حتى قال فيه بعضهم " فيه كل شئ الا التفسير "[1] .

وكان بين تلك الفرق فرقه المعتزله كان التفسير بالرأى منهجها والعقل سلطانها واعطت العقل اكثر من طاقته وحكمته تحكيما مطلقا فآمنت به ورفعت شأنه ونوهت به ايما تنويه وصدعت بمبادئه وقالت خلق العقل ليعرف وهو قادر على أن يجلو كل ظلمه فحكموه فى ايمانهم وفى جميع شئونهم الخاصه والعامه[2] بل كانت مرتبه العقل عندهم سابقة للكتاب والسنه والاجماع والقياس يقول مفسرهم الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى :- " وتفصيل كل شئ "[3] " يحتاج اليه فى الدين لأنه القانون الذى تستند اليه السنه والاجماع والقياس بعد ادلة العقل "[4] ويقول عن العقل والسنه "[5] امش فى دينك تحت راية السلطان ولا تقنع بالروايه عن فلان وفلان"

(١) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٢ ص ١٩٠ .
(٢) الفكر الاسلامي بين الأمس واليوم محجوب بن ميلاد ص ١١٤ .
(٣) سورة يوسف من الآيه : ١١١ .
(٤) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٣٤٨ .
(٥) اطواق الذهب فى المواعظ والخطب للزمخشرى المقاله : ٣٧ ص ٢٨ .

ولم تزل تلك الفرقه تحلى العقل تلك المنزله التى لم يعطها له الشرع حتى صار لها منهج عقلى مستقل فى التفسير والعقيده كانت به " المدرسة العقلية الاولى " فى تاريخ الاسلام . وقبل ان نلم بمبادئ هذه المدرسة اصولها ومناهجها فى التفسير لما لها من علاقه فى بحثنا يجب ان نلم ايضا الماما واسعا بموقف الاسلام من العقل ووظيفته .

وانما ابحث لنفسي التوسع فى هذا لأن وظيفه العقل فى الاسلام هي القاعده التى ننطلق منها لمناقشه هذه المدارس ويجب ان تكون قاعدتنا راسخه ثم ننطلق من هذه القاعده لمناقشه اول مدرسه شذت عنها وهم " المعتزله " أو المدرسة العقليه الاولى لننتقل بعد هذا الى المدرسه العقليه الحديثة موضوع بحثنا .

وظيفة العقل فى الاسلام :-

ليس ثمة عقيده تقوم على احترام العقل الانساني وتعتز به وتعتمد عليه فى ترسيخها كالعقيدة الاسلامية .

وليس ثمة كتاب اطلق سراح العقل وغالى بقيمته وكرامته كالقرآن الكريم كتاب الاسلام بل ان القرآن ليكثر من استثاره العقل ليؤدى دوره الذى خلقه الله له .

ولذلك نجد عبارات " لعلكم تعقلون "[1] و " لقوم يتفكرون "[2] و " لقوم يفقهون "[3] ونحوها تتكرر عشرات المرات فى السياق القرآنى لتؤكد النهج القرآنى الفريد فى الدعوه الى الايمان وقيامه على احترام العقل .

ولقد ابرز الاسلام هذا مدى تكريمه للعقل واهتمامه به فى مواضع عده نذكر منها :-

---

(١) سورة البقره من الآيه : ٧٣ وايضا من آيه : ٢٤٢ وسورة الانعام آيه ١٥١ وسورة يوسف آية ٢ وسورة النور آيه ٦١ وغير ذلك .
(٢) سورة يونس آيه ٢٤ والرعد آيه ٣ والنحل ايه ١١ و ٦٩ والروم ايه ٢١ والزمر آيه ٤٢ والجاثيه آيه ١٣ وغير ذلك .
(٣) سوره الانعام من الآيه : ٩٨ .

أولا - قيام الدعوه الى الايمان على الاقتناع العقلي .

فلم يطلب الاسلام من الانسان ان يطفىء مصباح عقله ويعتقد بل دعاه الى اعمال ذهنه وتشغيل طاقته العقليه في سبيل وصولها الى امور مقنعة فى شئون حياتها وقد وجه الاسلام هذه الطاقة بتوجيهات عده لتصل الى ذلك :

١ - فوجهها الى التفكر والتدبر

أ) في كتابه

" كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب "(١).

" أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "(٢)

" افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها "(٣) " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمه وبشرى للمسلمين "(٤).

ثم يستثير العقل الانساني ويتحداه ان يأتي بمثل هذا القرآن حتى اذا ما ادرك عجزه عرف انه من عند الله " قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات "(٥) " فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين "(٦).

ب) وفي مخلوقاته

" الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار "(٧) " اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون "(٨) " افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت "(٩).

---

(١) سورة " ص " آيه ٢٩ .
(٢) سورة النساء آيه ٨٢ .
(٣) سورة محمد آيه ٢٤ .
(٤) سورة النحل آيه ٨٩ .
(٥) سورة هود آيه ١٣ .
(٦) سورة الطور آيه ٣٤ .
(٧) سورة آل عمران آيه ١٩١
(٨) سورة الروم آيه ٨ .
(٩) سورة الغاشيه الآيات ١٧ - ٢٠ .

ثم يتحدى العقل بحواسه أن يجد خللا في شئ منها ليزداد بعد عجزه ايمانا وتسليما " الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير "(١) .

جـ) وفي تشريعاته

" ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون "(٢) " وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون "(٣) " يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعه فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون "(٤) .

فأمر بالتفكر في تلك التشريعات لتحرى الحكمة فيها لأن الحياة لا تسير آليه بحيث تنطبق عليها القاعده التشريعيه انطباقا آليا وانما هناك مئات من الحالات للقاعده الواحده وما لم يكن الانسان مدركا للحكمه الكامنه وراء التشريع وفاهما لترابط التشريعات في مجموعها فلن يتمكن من تطبيقها في تلك الحالات المختلفه التى تعرض للبشر في حياتهم الواقعيه وقد عنى الاسلام بايقاظ العقل لتدبر هذه التشريعات ليستطيع تطبيقها على خير وجه(٥) .

د) وفي احوال الامم الماضيه وما ادت بهم المعاصي اليه

" قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين "(٦) " أولم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين "(٧) .

هـ) وفي الدنيا ونعيمها الزائل

" واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا "(٨) .

---

(١) سورة الملك آيه ٣ - ٤ .
(٢) سورة البقره آيه ١٧٩ .
(٣) سورة البقره من الآيه : ١٨٤ .
(٤) سورة الجمعه الآيه : ٩ .
(٥) منهج التربيه الاسلاميه محمد قطب ص ١٠٤ .
(٦) سورة الانعام آيه ١١ .
(٧) سورة الانعام آيه ٦ .
(٨) سورة الكهف آيه ٤٥ .

وهذا التأمل والتدبر ليس هو المقصود لذاته وانما ليؤدي ثمره نافعه لا اعني بها فلسفه يتشدق بها الفلاسفه ويتبارون في اغماض الكلام فيها وابهامه ثم لا ينتهون الى شيء وانما اعني بها الاصلاح .. اصلاح القلب .. اصلاح العقيده .. اصلاح الحياة في الارض على منهج الدين الصحيح .

٢ - ووجه الاسلام الطاقه العقليه لمراقبة نظام الحياة الاجتماعية مراقبة توجيه واصلاح لتسير الامور فيه على منهج صحيح " ولتكن منكم أمه يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون "(١) .

وحمل المسئوليه كل فرد من افراد المجتمع وعدده بالعقاب اذا علم ولم يصلح ولو كان صالحا في نفسه " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصه "(٢) " لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون "(٣) وقال صلى الله عليه وسلم " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته "(٤) .

ثانيا - ولم يقسر الاسلام بعد هذا العقل على الايمان وانما ترك له الخيار بين الايمان والكفر " لا اكراه في الدين "(٥) " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر "(٦) " أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين "(٧) " فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر "(٨) فلم يكره الاسلام العقل على الايمان(٩) .

---

(١) سوره آل عمران آيه ١٠٤ . سور

(٢) [illegible]

(٣) سورة المائده الآيتين ٧٨ - ٧٩ .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) سورة البقره من الآيه ٢٥٦ .

(٦) سورة الكهف من الآيه ٢٩ .

(٧) سورة يونس من الآيه ٩٩ .

(٨) سورة الغاشيه الآيتين ٢١-٢٢

(٩) ولا يقصد بلا اكراه فى الدين - التقليل من شأن الجهاد كما حصره بعضهم بأن المراد به الدفاع وعللوا كل حركه من حركاته بأنها للدفاع بمعناها الاصطلاحي الحاضر الضيق فاسقطوا - وهم مشتطون فى حماسة الدفاع عن الاسلام ضد من اتهموه بأنه دين السيف - ان للاسلام بوصفه المنهج الاخير للبشريه حقه الاصيل في ان يقيم " نظامه " الخاص فى الارض ف " لا اكراه فى الدين " من ناحيه العقيده أما من ناحية اقامة " النظام الاسلامي " ليظلل البشريه كلها مسلمين وغير مسلمين فتوجب الجهاد لانشائه وتترك الناس احرارا فى عقائدهم الخاصه ولا يتم هذا الا باقامه سلطان خير وقانون خير ونظام خير يحسب حسابه كل من يفكر فى الاعتداء على حرية الدعوه وحرية الاعتقاد فى الارض " أ . هـ .

==

ثالثا - وحرص على قيام العلاقة بين العبد وربه على الوضوح العقلي في العقيدة والشريعه وعدم تقييده له بعد اقتناعه وايمانه بالرهبانيه فلا رهبانيه فى الاسلام[1] لما فيها من تقييد للعقل[2] فضلا عن الغرائز والحواس ولما فيها من تعطيل للطاقه والقوى البشريه والمخالفه لنظام الحياة مخالفة تقضى بالفناء على البشرية فيما لو اعتنق الناس الترهب والانعزال دينا .

رابعا - ومن مظاهر تكريم الاسلام للعقل نعيه على المقلدين الذين لا يعملون اذهانهم وحذر من التقليد الاعمى والتعصب الاصم لنظريات واهيه وآراء زائفه ناشئة عن الخرافات والاهواء " واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون "[3] " اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا "[4] " فلاتك في مريه مما يعبد هوءلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص "[5] .

وامر بالتثبت فى كل أمر قبل الاعتقاد به واقتفائه " ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا "[6] . " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا "[7] .

(=) " بتلخيص من خصائص التصور الاسلامي ومقوماته للشهيد سيد قطب ص ١٨ ط ٢ ١٩٦٥م دار احياء الكتب العربيـة " .

(١) لما روى احمد في مسنده ٦/٢٢٦ " ... فقال ياعثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا أفمالك في اسوه ... الحديث " ولما روى الدارمي فى سننه ك النكاح ب ٣ من حديث سعد بن ابي وقاص قال " .. ياعثمان اني لم أؤمر بالرهبانيه أرغبت عن سنتى " وعثمان هذا ابن مظعون رضى الله عنه .

(٢) ولا يصح القول بأن الرهبانيه تفتح آفاق العقل وتضمن له الصفاء للتفكير بل النزول الى معترك الحياة هو الذى يزيد العقل اشتعالا ويورى زناده ويفتح له ابواب التفكير عكس الرهبانيه التى تخبو فيها نار العقل لانطواء صاحبها على نفسه واعتزاله المجتمع فتؤدى الى خمود الذهن وعدم الاطلاع على المعارك الضاريه بين الخير والشر وبين الايمان والكفر وعلى كيد الملحدين ومكر الماكرين والرد على ذلك والنزول الى معتركهم وحلبتهم.

(٣) سورة البقره آيه ١٧٠   (٤) سورة هود من الآيه : ٨٧

(٥) سورة هود آيه ١٠٩ هـ   (٦) سورة الاسراء آيه ٣٦

(٧) سورة الحجرات من الآيه : ٦

خامسا : ومن مظاهر تكريم الاسلام للعقل أمره بالتعلم والحث على ذلك فكما أن نمو الجسم بالطعام فان نمو العقل بالعلم لذ بهذا يكون الايمان عن ادارك أوسع وفهم اعمق واقتناع اتم بل قرن سبحانه ذكر اولي العلم بذكره عز وجل وذكر ملائكته " شهد الله انه لا اله الا هو والملائكه وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم "[1] " انما يخشى الله من عباده العلماء "[2] " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات "[3] .

وجعل العلم مشاعا لانه غذاء العقل الذى به ينمو " ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم "[4] .

لذا لم يعرف الاسلام " رجل الدين " الذى يحتكر علومه ويعطى صكوك الغفران ويملك التحليل والتحريم ولكنه يعرف فكرة " عالم الدين " الذى يرجع اليه لمعرفة حكم الله فيما اشتبه على الناس من امور دينهم مستندا الى دليل معتبر شرعا من غير الزام الا بحجه قطعيه من كتاب أو سنه أو اجماع مسلم به .

سادسا : ومن ذلك اسناده استنباط الاحكام فيما لا يوجد فيه نص من كتاب أو سنه او اجماع الى العقل وما حديث معاذ عنا ببعيد حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليمن قاضيا قال كيف تقضي يامعاذ ؟ قال بكتاب الله . قال : فان لم تجد قال : بسنه رسول الله قال : فان لم تجد قال : اجتهد رأيي ولا آلو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله "[5] فجعل من اجتهاد العقل اساسا للحكم وقاعده للقضاء عند فقدان النص .

---

(١) سورة آل عمران آيه ١٨ .
(٢) سورة فاطر من الآيه : ٢٨ .
(٣) سورة المجادله من الآيه : ١١ .
(٤) سورة البقرة الآيتين : ١٥٩ - ١٦٠
(٥) رواه احمد وابوداود والترمذى والدارمي .

سابعا : ومنها الأمر بتكريمه والمحافظه عليه والنهي عن كل ما يؤثر في سيره أو يغطيه فضلا عما يزيله .

فحرم لذلك شرب الخمر " انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه "[١] وحرم كل مسكر " كل مسكر خمر وكل مسكر حرام "[٢] وامتد التحريم الى الكميه التى لا تسكر منها " ما اسكر كثيره فقليله حرام "[٣] كل هذا حفاظا على العقل وعلى بقائه .

وجعل الديه كامله على من تسبب في ازالته عن آخر قال ابن قدامه " لا نعلم في هذا خلافا وقد روى عن عمر وزيد رضى الله عنهما واليه ذهب من بلغنا قوله من الفقهاء وفى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم " وفى العقل الديه " ولأنه اكبر المعاني قدرا وأعظم الحواس نفعا فان به يتميز من البهيمه ويعرف حقائق المعلومات ويهتدى الى مصالحه ويتقي ما يضره ويدخل به فى التكليف وهو شرط فى ثبوت الولايات وصحة التصرفات واداء العبادات فكان بايجاب الدية احق من بقية الحواس "[٤] .

مجال العقل في الاسلام :-

ولكن الاسلام بعد هذا التكريم كله وذلك الاهتمام قد حدد للعقل مجالاته التى يخوض فيها حتى لا يضل . وفى هذا تكريم له ايضا لأنه محدود الطاقات والملكات فلا يستطيع ان يدرك كل الحقائق مهما اوتي من قدرة وطاقة على الاستيعاب والادراك لذا فانه سيظل بعيدا عن متناول كثير من الحقائق واذا ما حاول الخوض فيها التبست عليه الأمور وتخبط في الظلمات وفى هذا مدعاة لوقوعه في كثير من الاخطاء وركوبه متن العديد من الاخطار .

فأمر الاسلام العقل بالاستسلام والامتثال للأمر الشرعي الصريح حتى ولو لم يدرك الحكمة والسبب فى ذلك وقد كانت اول معصيه لله ارتكبت بسبب عدم هذا

---

(١) سورة المائدة من الآية : ٩٠ .
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه ابوداود والنسائي وابن ماجه وقال الترمذى حسن غريب وابن حبان وصححه وقال الحافظ بن حجر رجاله ثقات .
(٤) المغنى لابن قدامه ٨ : ٣٧ .

الامتثال فحينما أمر الله سبحانه وتعالى ابليس بالسجود لآدم عليه السلام استكبر وعصى واستبد برأيه فقارن بين خلقه وخلق آدم عليه السلام " قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين "[(١)] فلم يمتثل للأمر طلبا للسبب الذي يسجد لاجله الفاضل للمفضول حسب رأيه فلما لم يدرك عقله السبب رفض الامتثال فكانت المعصيه وكانت العقوبة .

لذا منع الاسلام العقل من الخوض فيما لا يدركه ولا يكون في متناول ادراكه كالذات الالهيه والارواح في ماهيتها ونحو ذلك فقال عليه الصلاة والسلام " تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله "[(٢)] وقال صلى الله عليه وسلم " لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله ورسله "[(٣)] وعن الروح قال تعالى " يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي "[(٤)] فصرف الجواب عن ماهيتها لانه ليس من شئون العقل السؤال عنها ولا من مداركه . وكذلك الجنه ونعيمها والنار وجحيمها وكيفيه ذلك وغيرها من الغيبيات التى ليست في متناول العقل ومداركه .

وعلى هذا مضى المسلمون فى العصر الاول من الاسلام عرفوا ما للعقل فدرسوه وحفظوه وما ليس له فاجتنبوه بل اجتنبوا من عرف بالاهواء والسؤال عن المتشابه فهذا " صبيغ بن عسل جعل يسأل عن متشابه القرآن في اجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه قال : اين الرجل ؟ ابصر لا يكون ذهب فتصيبك مني العقوبه الوجيعه . فأتى به . فقال عمر : سبيل محدثه فضربه واعاده الى ارضه وكتب الى ابي موسى الاشعرى ان لا يجالسه احد من المسلمين قال ابو عثمان النهدى فلو جاءنا ونحن مئه لتفرقنا عنه "[(٥)] .

---

(١) سورة الاعراف من الآية : ١٢ .

(٢) رواه ابو نعيم فى الحليه وابن ابي شيبه والطبراني فى الاوسط والبيهقي في الشعب قال السخاوى في المقاصد الحسنه ص ١٥٩ واسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوه والمعنى صحيح " .

(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) سورة الاسراء من الآيه : ٨٥ .

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر : هذبه عبد القادر بن احمد الدومي المعروف بابن بدران ج ٦ ص ٣٨٥ .

ولا يعني هذا ان العصر الاسلامي كان خاليا كل الخلو من الآراء الشاذه بل وجد في وقته عليه الصلاة والسلام ولكن كان لوجوده صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي حينئذ القضاء على تلك الآراء فى مهدها فالمنافقون قالوا يوم أحد عن اخوانهم " لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا "[1] فهل هذا الا تصريح بانكار القدر[2] .

وقالت طائفة من المشركين " لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء "[3] فهل هذا الا تصريح بالجبر[2] .

بل ان منهم من جادل في ذات الله[2] " وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال "[4] .

ولكن هذه الآراء لم يتبنها اصحابها ويدعوا لها ويؤلفوا عنها وينشروها بين الناس بل كانت تنطفئ فى مهدها لما ذكرنا .

نشأة الفرق العقليه :-

وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام وانقطاع الوحي بدأ بعض الأفراد بنشر بعض هذه المذاهب الباطله فهذا معبد بن خالد الجهنى اول من تكلم في القدر[5] وقد اخذ ذلك من رجل نصراني من اهل العراق اسلم ثم تنصر اسمه " ابو يونس سنسويه " من الاساوره[5] .

وقد اخذ عن معبد هذا غيلان الدمشقي فجادل فيه ودافع عنه ونشره بين المسلمين وقتل من اجله[6] .

وقد انكر عليهم مذهبهم هذا من كان حيا من الصحابه كانس بن مالك وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وابو هريره رضى الله عنهم اجمعين[7] .

---

(١) سورة آل عمران من الآيه : ١٥٦ .
(٢) الملل والنحل للشهرستاني ت محمد سيد كيلاني الجزء الأول ص ٢٢ .
(٣) سورة النحل من الآية : ٣٥ .
(٤) سورة الرعد من الآية : ١٣ .
(٥) الخطط المقريزيه : تقي الدين احمد بن على المقريزى ج ٤ ص ١٨١ .
(٦) تاريخ الفرق الاسلامية : على مصطفى الغرابي : ص ٣٦ .
(٧) التفسير والمفسرون للذهبي الجزء الاول ص ٣٦٥ .

واساس فكرة القدريه انكار القدر وان للانسان مطلق الحرية فى افعاله لا سلطان لاحد على ارادته وعلى النقيض من ذلك نشأت فرقة اخرى تقول بأن الانسان مجبور في افعاله لا اختيار له ولا قدره كالريشه المعلقة في الهواء .. وتسمى تلك الفرقه بالجبريه . ونشأت فرق اخرى كثيره بعد هذا كان من أهمها فرقة المعتزله التى اخذت برأى القدريه في انكار القدر واضافت اليه آراء اخرى سنذكرها فيما بعد .

ولم تزل العلوم العقليه تنمو وتتسع مع توسع الفتوح الاسلاميه وكثرة ترجمة كتب البلاد المفتوحه فتعددت المشارب وتنافست تلك الفرق على المناهل واقبلوا بصفة خاصه على الفلسفه اليونانيه لحاجتهم اليها فى المناظرات فيما بينهم والجدل . فاذا علماؤهم لا يتحدثون الا عن المنطق وحدوده وقضاياه واقيسته فألفت الكتب وعقدت المناظرات وكثرت المناقشات والمجادلات فاذا بمؤلفاتهم تغص بالمصطلحات الفنيه كالجوهر والعرض والهيولي والصوره والقياس والقضايا السالبه والموجبه وقاوم هذا بعض ائمة المسلمين ممن لم يكن له اطمئنان الى هذه الفلسفه والى الفاظها ومصطلحاتها [1] ولكي ندرك مقام العقل فى خضم هذه المعارك العلميه ينبغى لنا ان نقول ان العقل لم يسلم من مذهب التضاد الذى ساد بين تلك الفرق فذهبت فرقه الى امتهان العقل واحتقاره واعتقدوا في بعض البله - مع تركه لمتابعة الرسول فى اقواله وافعاله واحواله - انه من الاولياء وفضلوهم على متبعى طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم [2] .

واستدلوا لمذهبهم هذا بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال " اطلعت على الجنه فرأيت اكثر اهلها البله " وحديث " اكثر اهل الجنه البله " وفى هذا قال شاعرهم :

هم معشر حلوا النظام وخرقوا السياج فلا فرض لديهم ولا نفل

مجانين الا ان سر جنونهم عزيز على ابوابه يسجد العقل

ويجيبنا الغزالى عن سبب ذمهم للعقل " فان قلت فما بال اقوام من المتصوفه يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا اسم العقل والمعقول

---

(١) الفكر الاسلامي بين الامس واليوم ت محجوب بن ميلاد ص ٨٦ .
(٢) شرح العقيدة الطحاويه ص ٥٧٣ .

الى المجادله والمناظره بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا عندهم انكم اخطأتم في التسميه اذ كان ذلك لا ينمحى عن قلوبهم بعد تداول الالسنه به ورسوخه فى القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم "[1].

ولعل بطلان مذهب هذه الفرقة ظاهر اذ انها لا تستند الى شرع ولا الى عقل والى هذا يرجع فيما ارى سبب عدم اشتهارها فلذا لم يهتم بها احد من العلماء.

أما انها لا تستند الى شرع فان جل ما استندوا اليه الحديثان السابقان وهما ضعيفان أما الأول فلأن في سنده مصعب بن ماهان قال في التقريب[2] صدوق عابد كثير الخطأ ، وفيه أيضا احمد بن عيسى الخشاب قال ابن عدى له مناكير ثم ساق له هذا الحديث.

أما الحديث الثاني فقال ابن عدى منكر[3] وقال المناوى " ووجه ضعفه ما قاله الهيتمى ان فيه سلامه بن روح وثقه ابن حبان وغيره وضعفه احمد بن صالح وغيره وقال ابن الجوزى " لا يصح " وقال الدارقطنى تفرد به سلامه عن عقيل وهو ضعيف "[3].

ثم انه لا يراد بالابله - الذى لا عقل له - بل المراد به الغافل عن الشر المطبوع على الخير[4].

وأما انها لا تستند الى عقل فلمنافاتها له واسقاطها لقيمته. وكما قلنا ان بطلان مذهب هذه الفرقه ظاهر لا يحتاج الى طويل جدال وانما ذكرته لاعطاء صورة عن تفاوت المذاهب فى تلك الفترة فى كل أمر مهما كان وضوح الحق فيه.

هذا ما ذهبت اليه تلك الفرقه. وذهبت فرق اخرى الى المبالغة في تقديس العقل واعطائه اكثر من حقه في مقابلة الأمور والاعتقادات الشرعية. واكثر من اشتهر عنها هذه الطريقه فرقه " المعتزله " حتى اطلق عليهم المستشرقون

---

(١) احياء علوم الدين للغزالى ج ١ ص ٩٤.
(٢) تقريب التهذيب بن حجر العسقلاني ت عبد الوهاب عبد اللطيف ج ٢ ص ٢٥٢.
(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ج ٢ ص ٧٩.
(٤) المصنوع فى معرفة الحديث الموضوع على القارى الهروى ص ٣١.

اسم " العقليين "[1] لذا فاني اعتبر هذه المدرسه المدرسه العقلية الأولى - كما ذكرنا سابقا - وهي المدرسه العقليه القديمه بالنسبه للمدرسة العقليه الحديثه موضوع بحثنا . ونظرا للصله بين المدرستين ينبغى لنا ان نلم بالقديمه دراسة تاريخها واصولها ومناهجها حتى يتسنى لنا ان نعرف مدى ارتباط المدرستين ببعض وجوه الشبه ووجوه الاختلاف بينهما .

المدرسة العقلية القديمة :

نشأتها : قيل فى سبب نشأتها ان الحسن البصرى كان يلقى درسه المعتاد على تلاميذه اذ دخل عليه رجل فقال : ياامام الدين ظهر في زماننا جماعه يكفرون صاحب الكبيره - يقصد الخوارج - وجماعة اخرى يرجئون الكبائر ويقولون لا تضر مع الايمان معصيه كما لا تنفع مع الكفر طاعه - يقصد المرجئه - فكيف تحكم لنا ان نعتقد فى ذلك ؟ فتفكر الحسن وقبل ان يجيب قال واصل انا لا اقول أن صاحب الكبيره مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا ثم قام الى اسطوانه من اسطوانات المسجد واخذ يقرر على جماعه من اصحاب الحسن ومنهم عمرو بن عبيد - ما اجاب به فقال الحسن اعتزل عنا واصل[2] ولا ندرى سبب تسميتهم بالمعتزله ألهذه القصه وقول الحسن فيها " اعتزل عنا واصل " أم لقولهم بأن صاحب الكبيره اعتزل عن الكافرين وعن المؤمنين أم ان الذى اطلق عليهم هذا الاسم بعض اليهود الذين دخلوا فى الاسلام لما رأوه من الشبه بينهم وبين فرقه يهود يسمى " افروشيم " ومعناها المعتزله - تنكر القدر . هي اقوال قيلت فى ذلك[3] ويطلق عليهم ايضا اسم القدريه لموافقتهم لهم فى انكار القدر والجهميه لموافقتهم فى القول بخلق القرآن وغير ذلك ويطلق عليهم ايضا اسم المعطله لتعطيلهم فى الصفات ولم يرض المعتزله عن شيء من هذه الاسماء وانما يسمون انفسهم بالعدليه لقولهم بالعدل والموحده لقولهم بالتوحيد .

---

(١) ضحى الاسلام احمد أمين ج ٣ ص ٨٩ .
(٢) الملل والنحل : الشهرستاني ج ١ ص ٤٨ .
(٣) فجر الاسلام ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ احمد أمين .

اصولهـــــا :

أما اصولهم التي اجمعوا عليها فخمســــه :

١) التوحيـد ٢) العدل ٣) الوعد والوعيد ٤) المنزله بين المنزلتين

٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـــر .

قال الخياط وهو احد زعماء المعتزله " وليس يستحق احد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالاصول الخمسه التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيـــــد ، والمنزله بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فاذا كملت فيـــه هذه الخصال فهو معتزلي "[1] فلنزد ذلك ايضاحا

١ - الاصل الاول التوحيـــد :

ويعد هذا الاصل من اهم اصول المعتزله ولقد ذهبوا في تفســـيره وتحليله وفلسفته شأوا بعيدا فمن ثمّ نسب اليهم وسموا انفسهم به " اهل التوحيد " أو الموحده وان كان المسلمون جميعا يقولون بالتوحيد ويبنى المعتزله على هـذا الاصل امورا كثيره اذكر منها :

(أ) ان ذات الله وصفاته شيء واحد فالله حي عالم قادر بذاته لا بحياة وعلم وقدره زائده على ذاته اذ لو كانت الصفات شيئا زائدا عن الذات للزم ان يكون هناك صفة وموصوف وحامل ومحمول وهذه هي حالة الاجسام والله منزه عن الجسميه ولو قلنا ان كل صفه قائمه بنفسها لتحددت القدماء وبعباره اخرى لتعددت الآلهه.[2]

وقد كانت طريقتهم في الصفات النفي بالتفصيل فيقولون " ان الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ولا شبح ولا جثه ولا صوره ولا لحـــم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذى لون ولا طعم ولا رائحه ولا مجســـه ولا بذى حراره ولا بروده ولا رطوبه ولا يبوسه .. الخ "[3].

أما علماء السلف رحمهم الله تعالى فقد كانوا يصفونه سبحانه بما وصف بـــه نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييـــف

---

(١) ضحى الاسلام : احمد امين جـ ٣ ص ٢٢ عن الانتصار للخياط ص ١٢٦ .
(٢) ضحى الاسلام : جـ ٣ ص ٢٩ احمد امين .
(٣) مقالات الاسلاميين للاشعري : جـ ١ ص ٢٣٥ .

ولا تعطيل متمسكين بقوله تعالى " ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون "(١) .

وقد ادى هذا القول بالمعتزله الى تعطيل الصفات .

(ب) وبنوا على هذا الاصل ايضا القول بخلق القرآن

قالوا ثبت بالبرهان ان الذات والصفات وحدة لا تقبل التجزئه بحال من الاحوال فمحال ان يكون القرآن كلام الله على معنى انه صفه من صفاته لانه لو كان كذلك لكان هو وذاته وبقية صفاته شيئا واحدا وفي القرآن أمر ونهي ووعد ووعيد فهذه حقائق مختلفه وخصائص متباينه ومن المحال ان يكون الواحد متنوعا الى خواص مختلفه قد تتضاد كالامر والنهي وقالوا ان القرآن محدث مخلوق اذ لو لم يكن محدثا للزم ان يكون قديما وهذا لا يصح اذ ان القدم اخص وصف لذات الله فلو شاركه القرآن في ذلك لشاركه في الالوهيه .

(جـ) وبنوا على هذا الاصل ايضا القول بانكار رؤيه الله

وقالوا اذا انتفت الجسميه انتفت الجهه واذا انتفت الجهه انتفت رؤية الناس له تعالى اذ كل مرئي في جهه من الرائي ولابد للرؤيه من شروط كالضوء وكون المبصر ذا لون .. الخ وذلك كله محال في جانب الله(٢) .

وتلخص من هذا ان المعتزله بنوا على هذا الاصل " التوحيد " امور عده منها :

أ - انكار الصفات ب - القول بخلق القرآن جـ - انكار الرؤيه .

٢ - الاصل الثاني : العدل

وهو مع اصلهم الاول " التوحيد " اهم اصولهم لذا فهم يسمون انفسهم اهل العدل واهل التوحيد .

وان كان المسلمون ايضا يقولون بالعدل الا ان المعتزله تعمقوا في معناه وحدوده كما تعمقوا في التوحيد وحدوده وفلسفته فصارا بهم الصق واشهر بغض النظر عن المصيب والمخطيء .

---

(١) سورة الأعراف الآيه : ١٨٠ .
(٢) ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٢٦ .

وهم يريدون بهذا الاصل وصف الله بالعدل ونفي الظلم والجور واثاروا حول هذا مسائل اهمها :-

المسألة الأولى : ان الله يسير بالخلق الى غايه وانه يريد خير ما يكون لخلقه فعاقبة الدنيا هي الخير وهذا ما اراده الله وأما الشر فى الآخره فمن نتائج تحريف الفجار [1] وقد تفرعت من هذه المسأله نظريتان مشهورتان هما :

أ - الصلاح والاصلح

ومجمل هذه النظريه ان الله يسير بالخلق الى غايه وهي نفع العباد فالله يقصد فى افعاله الى صلاح العباد وبالغت طائفة منهم وقالت بأنه يجب على الله رعاية الاصلح " لأنه لا يجوز ان يترك الله شيئا يقدر عليه من الصلاح من اجل فعله لصلاح ما وحجتهم فى هذا الكفر الذى اتوا به انه لو كان عنده اصلح او افضل مما فعل بالناس ومنعهم اياه لكان بخيلا ظالما لهم ولو اعطى بعض الناس لكان محابيا ظالما والمحاباة جور " [2]. عصمنا الله واياكم من اساءة الادب مع الله .

ب - الحسن والقبح العقليان

وخلاصه قولهم فى هذا ان الحسن والقبح فى الاشياء ذاتيان والشرع فى تحسينه وتقبيحه للاشياء مخبر عنها لا مثبت لها والعقل مدرك لها لا منشئ وترتبوا على هذا ان الانسان مكلف قبل ورود الشرائع واذا لم تبلغه الدعوه بما يدل عليه العقل فهو مكلف ولو لم يصل اليه شرع [3] .

المسألة الثانية : ان الله لا يريد الشر ولا يأمر به وهي "مسأله الاراده" وقال ان مريد الخير خير ومريد الشر شرير فلو اراد الله الخير والشر لكان موصوفا بالخيريه والشريه وذلك محال لقوله تعالى " وما الله يريد ظلما للعباد " [4]. فهو مريد لكون ما كان من الاعمال خيرا وغير مريد لكون ما كان من الاعمال شرا والخلاف

---

(١) انظر تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٣ ص ١٧٨ .
(٢) الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم جـ ٣ ص ١٦٤ .
(٣) انظر تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٢ ص ٤٤١ .
(٤) سورة غافر من الآيه : ٣١ .

بينهم وبين اهل السنه فى الاراده الثانيه فأهل السنه يقولون ان اللـــه اراد ايمان المؤمن واراد كفر الكافر اراده كونيه أما المعتزله فيقولون ان اللـــه اراد ايمان المؤمن ولم يرد كفر الكافر .

المسألة الثالثه : ان الله لم يخلق افعال العباد وان الانسان هو الذى يخلق افعاله واستدلوا لاثبات ذلك بأمور ثلاثه (١) :-

أ - ما يشعر به الانسان من التفرقه بين الحركه الاختياريه والاضطراريه .

ب - لو لم يكن الانسان خالقا لافعاله لبطل التكليف اذ لو لم يكـــن قادرا على الفعل وعدمه ما صح عقلا ان يقال له أفعل او لا تفعـــل ولما كان هناك مدح للمحسن وذم للمســـئ .

جـ - ولو كان الله هو الخالق لاعمال الناس فهو اذا لا يرضى عما فعـــل ويغضب مما خلق ويكره ما دبر .

فتعين ان الانسان هو الخالق لافعاله كلها خيرها وشرها وقد افضـــى بهم هذا الى انكار القدر وقالوا ان الانسان هو القادر على ان يفعل الخـــير أو يتركه وعلى فعل الشر او تركه وان لا دخل لقدر الله فى ذلك اذ لو كانت القدره الالهيه هي التى تحكم فى هذا لانتفى مدح المحسن وذم المسئ بل ما كان لنبوة النبى واصلاح المصلح فائده .

وقد اطلت فى بيان هذا الاصل لاهميته عندهم وتشعبه .

٣ - الاصل الثالث : الوعد والوعيـــد

قالوا ان الله وعد المحسن بالثواب واوعد المسئ بالعقاب فيجب على اللـــه ان يثيب المحسن وان يعاقب المسيء فلو لم يعاقب لزم الخلف في وعيده وهم بهذا جعلوا الثواب على الطاعات والعقاب على المعاصي أمرا حتميا التزم الله تعالى به .

٤ - الاصل الرابع : المنزله بين المنزلتين

وقالوا ان هذه المنزله لاهل الكبائر فأهل الكبائر ليسوا بمؤمنين ولا بكافرين وانما في منزلة بين المنزلتين "الايمان" و "الكفر" هي منزلة "الفسق" فصاحـــب

---

(١) انظر ضحى الاسلام : احمد امين جـ ٣ ص ٥٣ - ٥٤ .

الكبيره فاسق . وهو خالد في النار ولو صدق بوحدانيه الله وآمن برسله

واستدلوا بقوله تعالى : - (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا

فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) [١]

ولكنهم قالوا ان عذابه يكون أخف من عذاب الكفار [٢] .

٥ - الاصل الخامس : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

والمسلمون جميعا متفقون على هذا الاصل ولكنهم مختلفون في مداه ونستطيع

ان نجمل اهم قواعده عند المعتزله بما يلى [٣] :

أ) انه من فروض الكفايات ولا يصلح الا لمن علم المعروف والمنكر وكيف يرتب الأمر في اقامته وكيف يباشره .

ب) والأمر بالمعروف قد يكون واجبا وقد يكون ندبا حسب المأمور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب أما النهى عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح .

جـ) واختلفوا فى طريق وجوبه فعند بعضهم السمع والعقل وعند بعضهم السمع وحده .

د) ويجب النهى عن المنكر اذا غلب على ظنه وقوع المعصيه نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر .

هـ) أما كيف يباشر النهى فان كان الانكار باللسان فان الواجب ان يبتدئ بالسهل ثم ان لم ينفع ترقى الى الصعب . أما اذا كان الانكار بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسه ومعهم عدتها .

و) أما من يباشر فكل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه .

ز) أما شرائطه ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح وان لا يغلب على ظنه ان المنهى يزيد فى منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث .

---

(١) سورة النساء آية : ٩٣ .
(٢) الملل والنحل للشهرستاني الجزء الاول ص ٤٥ .
(٣) بتلخيص من تفسير الكشاف : للزمخشرى جـ ١ ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

ح) ويؤمر وينهى كل مكلف ، وغير المكلف اذا هم بضرر غيره .

ط) ويجب على مرتكب المنكر النهى عنه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان لا يسقط احدهما بترك الآخر وضمنوا هذا كله جواز الخروج على الائمة بالقتال[1] اذا جاروا ولم يفرقوا فيه بين شئ اجمع على انكاره كالسرقة والقتل والزنا وبين شئ مختلف فيه كالقول بخلق القرآن . لذلك رأينا كيف فعلوا بعلماء المسلمين الذين لم يوافقوهم على القول بخلق القرآن من تعذيب وقتل وجلد .

ينبوع المعرفه عند المعتزله :

على الناظر فى نشاط المعتزله وآثارهم ان لا يكتفى باستعراض اصولهم اصلا اصلا ومسائلهم مسألة مسأله بل عليه ان ينظر في الينبوع الذى نهلوا منه اصولهم ومسائلهم كلها ولقد اختلفت مذاهب الامم وتنوعت فى سبيل وصولهم الى المعرفه . وسلك الناس مناهج عده ليتوصلوا بها الى معين المعرفه فأى المناهج كان منهج المعتزله ؟

لنجيب على هذا نقول ان المعتزله قد سلكوا فى هذا المنهج العقلي وقد اشتمل هذا المنهج على خطوتين :

أما الاولى فقصدوا بها تطهير الفكر وضروره تجرده عن الالف والعاده وعن مختلف الاهواء بالنسبه لكل من اراد ان يصدر احكاما يتوخى فيها الصواب والاخلاص للحق وفى هذا هدم لنظرية التقليد .

أما الثانية فتحكيم العقل تحكيما مطلقا فقد آمن المعتزله بالعقل ورفعوا شأنه ونوهوا به أيما تنويه وصدعوا بمبادئه وقالوا خلق العقل ليعرف وهو قادر على ان يعرف كل شئ المنظور وغير المنظور وجعلوه الحكم الذى يحكم في كل شئ والنور الذى يجلو كل ظلمه حكموه في ايمانهم وفي جميع شئونهم الخاصه والعامه .[2]

---

(١) شرح العقيده الطحاويه تحقيق جماعه من العلماء ص ٥٨٩ ومجموع الفتاوى لابن تيميه ج ١٣ ص ٣٨٧ .

(٢) الفكر الاسلامي بين الامس واليوم : محجوب بن ميلاد ص ١١٤ .

والعقل عندهم هو تلك الحاسه اللطيفه الجوهر التى تميز الانسان من الحيوان وكما ان فصل العين هو الابصار فكذلك فصل العقل هو التفكر والرويه والنطق .

لذلك اقبل المعتزله على فلسفه اليونان يستلهمونها واعلام يونان يترسمون خطاهم وينسجون على منوالهم وعلى كتب يونان يتفهمونها ويهضمونها[1] فحكموا العقل اكثر من تحكيمهم للشرع بل جعلوا الادله العقليه مقدمه على الادله الشرعيه فكذبوا ما لا يوافق العقل من الحديث وان صح[2] واولوا ما لا يوافقه من الآيات وان وضحت ، بل حاولوا اخضاع عبارات القرآن لآرآئهم وتفسيرهم لها تفسيرا يتفق مع مبادئهم[3] وقالوا بسلطه العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ولو لم يرد بهما شرع والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح[4] ورتبوا على هذا ان الانسان مكلف قبل ورود الشرائع أو اذا لم تبلغه دعوة الرسل بما يدل عليه العقل فهو مكلف ولو لم يصل اليه شرع[5] .

وقال الزمخشرى وهو من رجال المدرسه العقليه مسميا العقل ب " السلطان"

قال :-

" امش في دينك تحت راية السلطان ولا تقنع بالروايةعن فلان وفلان فما الأسد المحتجب في عرينه اعز من الرجل المحتج على قرينه . وما العنز الجرباء تحت الشمأل البليل أذل من المقلد عند صاحب الدليل "[6] .

ولقد ادى بهم تحكيم العقل الى ان شطحوا بعقولهم فوضعوا الرسل تحت مجهر العقل ناقدين لانهم بشر وندت منهم عبارات لا تليق في حق رسل الله فالزمخشرى مثلا يقول عن محمد صلى الله عليه وسلم عند تفسيره لقوله تعالى : " عفا الله عنك "[7] :- " كناية عن الجناية لان العفو مرادف لها

(١) الفكر الاسلامي بين الامس واليوم ص ١٢١ ، ١٢٢ .
(٢ ، ٣) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .
(٤) الملل والنحل : الشهرستاني ج ١ ص ٤٢ .
(٥) انظر تفسير الزمخشرى ج ٢ ص ٤٤١ .
(٦) اطواق الذهب في المواعظ والخطب : للزمخشرى مقاله ٣٧ ص ٢٨ .
(٧) سورة التوبة : من الآية : ٤٣ .

ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت "[1] وهذا لا يليق بمقامه صلى الله عليه وسلم ومناف للادب معه وتطاولوا على اصحابه رضى الله عنهم بما تقشعر منه جلود المسلمين حقا فهذا عمرو بن عبيد يقول " والله لو أن عليا وعثمان وطلحه والزبير شهدوا عندى على شراك نعل ما أجزته "[2] وقال عن سمره بن جندب رضى الله عنه " ما نصنع بسمره قبح الله سمره "[3] .

وهذا المنهج الذى سلكه المعتزله منهج عقلي بحت لم يستند الى توجيه كريم من قرآن أو سنه يهديه الى الحق والصواب . ولنر اثر منهجهم هذا في تفسيرهم للقرآن الكريم .

منهجهم في تفسير القرآن الكريم :

بنى المعتزلة - كما ذكرنا - عقيدتهم على اصول خمسه . وفى سبيل دعم هذه الاصول وتقويتها حتى تلاقي قبولا بين المسلمين كان لابد من استنادها الى ادلة من القرآن الكريم وقد كان اصل تأسيسهم لها العقل المجرد عن النصوص وما وافق منهجهم من النصوص فانما وافقه عرضا لا قصدا فهم انما بنوا اصولهم على العقل ثم بعد هذا رجعوا الى النصوص[4] واختاروا ما يوافقه منها وبقي ما لم يوافقه وهو كثير عقبة كأداء فى طريقهم اعدوا له عدتهم واستنفروا له كل العلوم والمعارف فمما لا شك فيه ان الأمر يحتاج الى جهد كبير حتى يستطيع المعتزلي ان يخضع معاني النصوص القرآنيه لارائه وصرفها عن معارضتها لها وابطال جميع التفاسير الاخرى لها اذا لم توافق آراءهم حتى ولو كانت احاديث صحيحه عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومما لا شك فيه ايضا انهم لم يرجعوا فى تأويلهم هذا الى آيه اخرى أو سنه نبويه اذ ان هذا يبقيهم فى نطاق دائره النص الاول ولا يلوى العباره كما يريدون ليّها فلم يبتى لهم الا ان يقفوا موقف المضطرب فيكذبون النصوص النبويه الصريحه

(١) تفسير الزمخشرى جـ ٢ ص ١٩٢ .
(٢) تاريخ بغداد لابي بكر احمد بن على الخطيب البغدادى جـ ١٢ ص ١٧٨ .
(٣) المرجع السابق جـ ١٢ ص ١٧٦ .
(٤) انظر تفسير الزمخشرى لقوله تعالى " وتفصيل كل شئ " الذى نقلناه فى المرحله السادسه من مراحل التفسير .

ويجرحون رواتها بل ويتجاوزون هذا الى الصحابه الذين سمعوها من الرسول صلى الله عليه وسلم ورووها كما سمعوها وسخروا كل العلوم والمعارف كاللغه والقراءات والبلاغه والنحو وغير ذلك لتأويل الآيات المعارضه لاصولهم وحتى نكون على بينه مما نقول نذكر بعض تأويلاتهم هذه لبعض آيات القرآن الكريم حسب اصولهم فى العقيدة .

ففي التوحيد :

اولوا الآيات الدالة على اثبات الرؤيه كقوله تعالى " وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره "(١) بأن النظر الى الله تعالى لا يصح لان النظر هو تقليب العين الصحيحه نحو الشيء طلبا لرؤيته وذلك لا يصح الا في الاجسام فيجب ان يتأول على مايصح النظر اليه وهو الثواب كقوله تعالى " واسأل القريه "(٢) فانا تأولناه على اهل القريه لصحة المسأله منهم(٣) .

وحكى الشريف المرتضى تفسيرا لهم " لا يفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر أو الى تقدير محذوف ولا يحتاج الى منازعتهم فى ان النظر يحتمل الرؤيه أو لا يحتملها وهو ان يحمل قوله تعالى (الى ربها) على انه اراد نعمة ربها لأن الآلاء النعم " ويؤيد هذا بقول اعشى بكر بن وائل :

ابيض لا يرهب الهزال ولا ... يقطع رحما ولا يخافون الى

اراد انه لا يخون نعمه(٤)

واولوا الآيات الداله على اثبات صفة الكلام كقوله تعالى : " وكلم الله موسى تكليما "(٥) بأن لفظ الجلالة منصوب على انه مفعول ورفع موسى على انه فاعل وبهذا ابطلوا صفة الكلام لله سبحانه وتعالى وحاول بعضهم ان يبقى القراءة المشهورة كما هي برفع لفظ الجلاله على انه فاعل مع تأويل المعنى بحيث لا يثبت صفة الكلام فقال : ان كلّم من الكَلْم بمعنى الجرح فالمعنى وجرح الله موسى

(١) سورة القيامه الآيتين ٢٢ - ٢٣ (٢) سورة يوسف من الآيه : ٨٢

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن : القاضى عبد الجبار بن احمد ص ٤٤٢ .

(٤) أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى تـ محمد ابو الفضل ابراهيم ص ٣٦- ٣٧ القسم الاول المجلس الثالث .

(٥) سورة النساء من الآيه : ١٦٤ .

باظفار المحن ومخالب الفتن وقد عاب هذا التأويل الزمخشري وقال عنه انه من بدع التفاسير وأولها بالقول الاول (١)

فان سلمت جدلا بنصب لفظ الجلاله فى هذه الآيه وسألت عن المراد في قوله تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه " (٢) قالوا :- " وكلمه ربه من غير واسطه كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به فى بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا فى اللوح وروى ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهه (٣) .

واولوا كثيرا من الصفات تأويلا باطلا لمخالفته اصولهم فمن ذلك ايضا تأويلهم استوى فى قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " (٤) بأن استواء الله على العرش كناية عن الملك واستدل بقولهم استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البته (٥) واولوا قوله تعالى (يد الله فوق ايديهم) (٦) بأنه تخييل لمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام (٧) ومعنى قوله تعالى " وكل شيء هالك الا وجهه " (٨) أى كل شيء هالك الا هو (٩) .

وفى العدل :

ويؤولون قوله تعالى " وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين " (١٠) فسره الجبائي المعتزلي بأن الله سبحانه بين لكل نبى عدوه حتى يأخذ حذره منه (١١) .

(١) تفسير الكشاف للزمخشري جـ ١ ص ٥٨٢ .
(٢) سورة الاعراف من الآيه : ١٤٣ .
(٣) تفسير الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ١١١- ١١٢ .
(٤) سورة طه الآيه : ٥ .
(٥) تفسير الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٥٣٠ .
(٦) سورة الفتح من الآية : ١٠ .
(٧) تفسير الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٥٤٣ .
(٨) سورة القصص من الآية : ٨٨
(٩) امالى الشريف المرتضى القسم الاول ص ٥٩٢ المجلس ٤٥ .
(١٠) سورة الفرقان من الآيه : ٣١ .
(١١) تفسير الرازى جـ ٢٤ ص ٧٧ .

وانما اضطرهم الى هذا التأويل حتى يتفق مع قولهم بوجوب الصلاح والاصلح .

ولكنهم يتوقفون فى بعض افعال الله فلا يدركون المصلحة فى فعلها فاذا قلت فى قوله تعالى " هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير "[1] . اذا قلت ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق فى علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما المصلحة فى خلقهم ؟ مع علمه بما يكون منهم ؟ اجاب الزمخشرى بأن له وجه حسن " وخفاء وجه الحسن علينا لا يقدح فى حسنه كما لا يقدح فى حسن اكثر مخلوقاته جهلنا بداعى الحكمه الى خلقها "[2] .

وان احتججت عليهم فى ابطال قولهم بأن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح بقوله تعالى " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل "[3] فكيف يكون لهم حجه قبل الرسل والله قد اعطاهم عقلا يدركون به الحسن والقبيح قبل الرسل كما تقولون ؟ قالوا : ان الرسل منبهون عن الغفله وباعثون على النظر فكان ارسالهم ازاحه للعلة وتتميما لازالة الحجه لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفله وينبهنا لما وجب الانتباه له "[4] .

ويؤولون قوله تعالى " وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى "[5] بأنه صلى الله عليه وسلم كان يرمى يوم بدر والله تعالى بلغ برميته المقاتل فلذلك اضافه تعالى الى نفسه كما اضاف الرميه أولا اليه بقوله اذ رميت "[6] .

ويؤولون قوله تعالى " قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون "[7] بان المراد والله خلقكم وما تعملون من الاصنام "[8] .

---

(١) سورة التغابن الآيه الثانية .
(٢) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ١١٣ .
(٣) سورة النساء من الآيه : ١٦٥ .
(٤) تفسير الكشاف : للزمخشرى جـ ١ ص ٥٨٣ .
(٥) سورة الانفال من الآيه : ١٧ .
(٦) تنزيه القرآن عن المطاعن : القاضى عبد الجبار ص ١٥٩ .
(٧) سورة الصافات الآيتين : ٩٥ - ٩٦ .
(٨) تنزيه القرآن عن المطاعن القاضى عبد الجبار ص ٣٥٤ .

وفي الوعـــد والوعيـــد :

قالوا انه لا يجب حمد الله على ادخاله المحسنين للجنه لأنه انما اعطاهم حقا من حقوقهم ووعدهم وعدا وجب عليه ان ينفذه واولوا قوله تعالى " وله الحمد في الآخره وهو الحكيم الخبير "[1] بأن الحمد في الآخره ليس بواجب لأنه علـى نعمه واجبه الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهـم يلتذون به كما يلتذ العطاش بالماء البارد [2] .

وفي المنزله بين المنزلتين :

قالوا بمنزلة الفسق وهي منزلة بين منزلة الايمان ومنزلة الكفر ويؤولون مـن الآيات ما يقسم الناس الى مؤمن وكافر ولا يذكر النوع الثالث الذى ذكروا فمـن ذلك قوله تعالى " انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا "[3] فيقولون ان الشاكر قد يكون شاكرا وان لم يكن مؤمنا برا تقيا "[4] واضعف من هذا تأويل الزمخشرى لقوله تعالى " ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذيـن يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخره اعتدنـا لهم عذابا اليما "[5] بقوله " فان قلت : كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفـار ولم يذكر الفسـقه ؟ قلت : كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب النزله بين المنزلتين بعد ذلك [6] .

وفي الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر

والمسلمون جميعا متفقون على هذا الأصل ولكنهم مختلفون في مـداه ولم يكن للمعتزله - فيما اطلعت عليه من تفاسيرهم في هذا الباب - ما اولـوه تأويلا خارجا عن اقوال السلف أما مبالغتهم في مداه فلم تكن معتمده على التأويل بل على منهجهم العقلي .

---

(١) سورة سبأ من الآيه الأولى .
(٢) تفسير الكشاف : للزمخشري جـ ٣ ص ٢٧٨ .
(٣) سورة الانسان الآيه الثالثه .
(٤) تنزيه القرآن عن المطاعن القاضي عبد الجبار ص ٤٤٣ .
(٥) سورة الاسراء الآيتين : ٩ و ١٠ .
(٦) تفسير الكشاف للزمخشـري جـ ٢ ص ٤٣٩ - ٤٤٠ .

كانت هذه نماذج لبعض تأويلاتهم لآيات القرآن حسب اصولهم ويحسن بنا هنا أن نذكر اهم مميزات منهجهم الذى سلكوه فى هذه التأويلات وغيرها :-

أ - كان من اصول منهجهم فى التفسير تحكيم العقل فى الامور الغيبية تحكيما مطلقا فانكروا حقائق كثيرة اثبتها اهل السنة استنادا الى النصوص فأنكرها المعتزله استنادا الى العقل المجرد منها فمن ذلك تمرد بعض اعلام المعتزله كالنظام على الاعتقاد بوجود الجن [1] وثار الزمخشرى ضد من يقول بأن للجن قوة تأثير فى الانسان مع اعترافه بوجودها وانكروا ايضا ان للسحر حقيقة وانه لا تأثير له اللهم الا اذا كان ثم اطعام شىء ضار أو سقيه أو اشمامه أو مباشره المسحور به على بعض الوجوه ولكن قد يفعل الله عند ذلك على سبيل الامتحان فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبئون به [2].

ب - موقفهم من الاسرائيليات

أما موقفهم من الاسرائيليات فغير منضبط فبينما كان النظام احد زعماء المعتزلة يقول :- "لا تسترسلوا الى كثير من المفسرين وان نصبوا انفسهم للعامه واجابوا فى كل مسألة فان كثيرا منهم يقول بغير روايه على غير اساس وكلما كان المفسر اغرب عندهم كان أحب اليهم وليكن عندكم عكرمه والكلبى والسدى والضحاك ومقاتل بن سليمان وابو بكر الاصم فى سبيل واحده فكيف اثق بتفسيرهم واسكن الى صوابهم" [3] بينما كان النظام وغيره يقولون هذا القول ونحوه نرى الزمخشرى المعتزلي لا يرى بأسا بايراد اسطوره أو خرافه اسرائيليه أو قصه غير مستيقنه مادامت لا تطعن نبيا ولا تخالف رأيا اعتزاليا وبذلك خالف منهجه العقلى [4] بل ويروى من القصص

---

(١) الملل والنحل : الشهرستاني جـ ١ ص ٥٨ .

(٢) تفسير الكشاف : للزمخشرى جـ ٤ ص ٣٠١ .

(٣) الحيوان : الجاحظ جـ ١ ص ٣٤٣ ت عبد السلام هارون .

(٤) الاسرائيليات واثرها فى كتب التفسير : رمزى نعناعه ص ٢٨٨ .

ما يظهر بطلانه فهو يروى مثلا قصة أحد الاسباط الذين سألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنه ونصف حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وان نبينا صلى الله عليه وسلم قد زارهم ليلة اسرى به وعرفهم جبريل به فآمنوا وعلمهم بعض آيات القرآن وبعض امور الاسلام الاخرى (١) ولا يعقب على هذه القصة بما يضعفها مع وضوح بطلانها حتى قال الآلوسى " ولا اظنك تجد لها سندا يعول عليه ولو ابتغيت نفقا فى الارض أو سلما فى السماء (٢) .

جـ - التفسير بالمأثور

وكان موقفهم من التفسير بالمأثور موقفا عجيبا !! فهم يشككون فى الاحاديث التى تصطدم بمبادئهم ويكذبونها . وان علت درجتها في الصحة أو يؤلونها تأويلا باطلا . بل ويتجاوزون هذا الى تجريح راويها لا اعنى التابعى أو تابعى التابعى بل الصحابي الذى رواه عن الرسول صلى الله عليه وسلم يفعلون هذا اذا ما كان مصادما لمبدأ من مبادئهم بينما يستشهدون بالاحاديث الضعيفه بل الموضوعه ويعضون عليها بالنواجذ لنصرة مذهبهم الاعتزالي .

ولا ادرى اين هذا العقل الذى اتخذوه قائدا - كما يقولون - الا يستطيعون به ان يدركوا ضعف هذا الحديث حينما يجدون فيه من ركاكة الاسلوب وضعف المعنى ما يبعده عن البلاغة النبوية وان يدركوا به صحة هذا الحديث لما يوجد به من قبس من نور النبوه وعكما من ينابيع الوحي مما يجعل القلب السليم يطمئن اليه . بله الاستناد الى اقوال ائمة المحدثين فى سنده ومتنه تصحيحا وتضعيفا .

بل ان طريقتهم هذه تدل واكاد ان اقول - يقينا - على ان مقياس اخذهم الحديث ورده لم يكن سائرا على منهجهم - الذى يزعمون - بل كان منهجه منهج الهوى .

---

(١) تفسير الكشاف : الزمخشرى جـ ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤ .
(٢) روح المعاني : للالوسى جـ ٩ ص ٨٥ .

ولست اقول هذا اعتباطا وعصبيه وانما اقوله استنادا الى كثره ما رأيتـــه من ردهم لاحاديث صحيحه متفق على صحتها وتمسكهم باحاديث لا أقول ضعيفـه بل جزم ائمة الحديث بوضع كثيرها .

افلم يكن في منهجهم بصيص من نور يجلو لهم تلك الحقائق في الظلمـــات التي انقادوا اليها ..

وحتى لا يقال تلك تهمة لم تذكر دليلها اشير هنا الى بعض احاديـــث صحت وانكروها أو شككوا في صحتها واولوها تأويلا باطلا واحاديث ضعفت درجتها أو وضعت واستنصروا بها اذكر هذا بايجاز اذ المقام هنا مقام اشارة وتنبيـــه ليس الا .

فمن الاحاديث التي انكروها أو تأولوها احاديث الرؤيه لا لضعف فـــى سندها بل لمخالفتها لمذهبهم في انكار الرؤيه مع انها متواتره ورواها اصحـاب الصحاح والمسانيد والسنن [1] ومنها حديث جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال :ـ "كنا جلوسا مع النبى صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلـــة اربع عشرة فقال :ـ انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامّون في رؤيته" [2] وقد روى احاديث الرؤيه نحو ثلاثين صحابيا [3] ومع هذا كله لم تلق القبول لـدى المعتزله مع علمهم بها واطلاعهم عليها فالقاضى عبد الجبار المعتزلي يقول عنـــد تفسيره لقوله تعالى " للذين احسنوا الحسنى وزياده " [4] . " اليس المراد بهـا الرؤيه على ما روى في الخبر ؟ وجوابنا ان المراد بالزيادة التفضيل في الثـواب فتكون الزياده من جنس المزيد عليه وهذا مروى وهو الظاهر فلا معنى لتعلقهـــم بذلك . وكيف يصح ذلك لهم وعندهم ان الرؤيه اعظم من كل الثواب فكيـــــف تجعل زياده على الحسنى ؟ " [5]

---

(١) شرح العقيده الطحاويه ص ٢٠٩ .
(٢) متفق عليـــه .
(٣) شرح العقيدة الطحاويه ص ٢١٠ .
(٤) سورة يونس من الآيه : ٢٦ .
(٥) تنزيه القرآن عن المطاعن القاضى عبد الجبار ص ١٧٧ .

ولعل فى ذكر قوله بعد ذكر قوة هذه الاحاديث غنى عن التعليق •

ومنها حديث " ما من بنى آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولـــد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها " وقد رواه البخارى ومسلم واحمد رضى الله عنهم [1] ومع هذا يقول الزمخشرى عنه " وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان فى اغوائـــه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك من كان فى صفتهما •• واستهـلالـه صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه •• واما حقيقة المس والنخس كما يتوهــم اهل الحشو فكلا " [2] فشكك فى صحة الحديث اولا ثم اوله تأويلا باطلا وحمله علــى انه تخييل وتصوير • وعمم الاستثناء على المعصومين مع قصره فى الحديث على مريم وابنها عليهما السلام •

وتجاوزوا هذا الى تكذيب الصحابه وتجريحهم بل تجاوزوه الى سبهم - رضى الله عنهم - اذا كان ما رووه يخالف اصولهم فقال النظام المعتزلي عن عبد اللــه ابن مسعود رضى الله عنه " وزعم ان القمر انشق وانه رآه وهذا من الكذب الــذى لا خفاء به " [3] وقال عن سمره بن جندب رضى الله عنه " ما تصنع بسمره قبح اللـــه سمره " [4] وكذب الزمخشرى بن مسعود رضى الله عنه لقوله ان رسول الله صلـــى الله عليه وسلم ليله الجن خط حوله فكان يجئ احدهم مثل سواد النخل وقـــال لى لا تبرح مكانك فاقرأهم كتاب الله عز وجل فلما رأى الزط قال كأنهم هؤلاء [5] فقال الزمخشرى " وانّ زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقه " [6]

---

(١) والحديث فى الصحيحين من حديث ابى هريره فى آخره قال ابو هريـــره اقرأوا ان شئتم (وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) ٣٦ آل عمران •

(٢) تفسير الكشاف : للزمخشرى جـ ١ ص ٤٢٦ •

(٣) تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبه تحقيق محمد زهرى النجار ص ٢١ •

(٤) تاريخ بغداد : الخطيب البغدادى جـ ١٢ ص ١٧٦ •

(٥) رواه الامام احمد فى مسنده وقال الاستاذ احمد شاكر فى تخريجه (اسناد صحيح) والزط جنس من السودان والهنـــود •

(٦) تفسير الكشاف : الزمخشـرى جـ ٢ ص ٧٥ •

واستهزأ بعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وسخر منه لروايته لحديث " ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا "[١] فقال " ما كان لابن عمرو فى سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضى الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث "[٢] .

ويتمسك المعتزله باحاديث ضعيفه أو موضوعه لبيان اصل من اصولهم فيستشهدون مثلا بما روى عن علي رضى الله عنه " افضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شنىء الفاسقين وغضب لله غضب الله له "[٣] قال ابن حجر العسقلاني " وهو من طريق اسحاق بن بشر عن مقاتل وهما ساقطان "[٤] وقال الذهبى فى المغنى فى الضعفاء " اسحاق بن بشر مجمع على تركه "[٥] وقال فى الميزان " تركوه وكذبه علي بن المديني وقال الدارقطني كذاب متروك "[٦] أما مقاتل فقال وكيع كان كذابا وقال النسائى كان مقاتل يكذب وقال الجوزجاني كان دجالا جسورا[٧] وقال فى الميزان (ومقاتل ايضا تالف)[٨] .

وبعد

لعل فى هذه الاشارة بيان لما كان عليه منهج المعتزله العقلي وما اداهم اليه هذا المنهج من امور مخالفه لاراء اهل السنه .

ولا اريد ان ادع هذا الموضوع قبل ان اذكر حكم اهل السنه والجماعه على مذهبهم هذا ولا اريد - أيضا - ان اطيل بذكر اراء اهل السنه فيه بل اقتصر على رأى واحد من علماء السنه المجاهدين اعنى ابن تيميه رحمه الله تعالى حيث قال : " ان مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا الفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابه والتابعين لهم باحسان ولا من ائمة المفسرين لا في رأيهم

---

(١) قال فى الكافي الشاف ج ٢ ص ٤٣١ ضمن تفسير الكشاف عند تخريجه لهذا الحديث (اخرجه البزار .. ورجاله ثقات ..) .
(٢) تفسير الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ٢٩٤ . (٣) المرجع السابق ج ١ ص ٤٥٢ .
(٤) الكافي الشاف فى تخريج احاديث الكشاف للحافظ ابن حجر العسقلاني ضمن تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٩٧ .
(٥) المغنى فى الضعفاء للامام الذهبى ت نور الدين عتر ج ١ ص ٦٩ .
(٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للامام الذهبى ت علي محمد البجاوى ج ١ ص ١٨٤ .
(٧) المرجع السابق ج ٤ ص ١٧٣-١٧٤ . (٨) المرجع السابق ج ١ ص ١٨٦ .

ولا في تفسيرهم[1] .

أفول المدرسه العقليه القديمة :

ولم تكن كراهية هؤلاء المعتزلة ورفضهم مقصوره على العلماء بل كانوا مكروهين من العامه لان المعتزله ايام دولتهم فى عهد المأمون والمعتصم والواثق عسفوا بالناس من كل فئه واستباحوا دماءهم وملاؤوا منهم السجون فكانوا عبئا ثقيلا على الناس علماء وعامه .

فلما جاء عهد المتوكل وفقه الله الى ابطال القول بخلق القرآن وذلك سنه ٢٣٤ هـ بعد أن عانى منها المسلمون مده ١٥ عاما وكان ذلك بتوفيق من الله له بعدم اقتناعه بهذا القول ثم لما رأى من قوة الرأى العام ضد المعتزله وكراهيه الناس لهم فاعاد الحق الى نصابه قال السيوطي رحمه الله " فاستقدم المحدثين الى سامرا واجزل عطاياهم واكرمهم وامرهم بأن يحدثوا باحاديث الصفات والرؤيه ... وتوفر دعاء الخلق للمتوكل وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له "[2] وبهذا ازاح المتوكل رحمه الله هذا العبء الثقيل عن كاهل المسلمين .

وبهذا دالت الدوله الى المحدثين وانتصروا انتصارا كبيرا وافل نجم المعتزله ولم يجرؤ احد على الجهر باعتزاله ولم يسترد المعتزله سلطتهم يوما بعد ذلك .

ولم تزل علومهم العقليه المجرده عن النصوص فى خمود ونحن لا ننكر قيام جماعة من الفلاسفه كالفارابي وابن سيناء وابن رشد والكندى وامثالهم على انقاض المعتزله ولكن الفرق بينهم وبين المعتزله كبير اذ ان المعتزلة اكثر عملا بين صفوف المسلمين من الفلاسفة فقد كان همّ المعتزله اقامه دولة اعتزالية وبثّ الافكار بين مختلف الطبقات وسلكوا لهذا طرقا عده وكانوا يدسون اعتزالهم في ثنايا قولهم العذب ومنطقهم الفصيح وعبارتهم السائغه لكل الاذواق وقرأ الناس ما كتبوا ان لم يكن لاعتزالهم فلأدبهم وبلاغتهم[3] وحصل لهم ما ارادوا فقامت لهم دولــه

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيميه المجلد ١٣ مقدمه التفسير ص ٣٥٨ .
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي : ص ٢٣٠ .
(٣) ضحى الاسلام : احمد امين ج ٣ ص ٢٠٥ .

لكنهم لم يحسنوا قيادتها فلم تلبث ان انهارت فوق رؤوسهم . أما الفلاسفة هؤلاء فلم يهتموا بما اهتم به المعتزله فكانت عبارات علمهم وكتبهم عبارات ثقيلة لا يكاد يفهمها الا من سلك سبيلهم فكأنما وضعوها ليقنع بعضهم بها بعضا وما التفتوا الى غيرهم .

لذا فانه يحق لنا ان نقول انه لم يقم لمنهج المعتزله قائمه بعد انهيار دولتهم واغلاق مدرستهم وبهذا انتهت دولة الاعتزال .

نشأة المدرسة العقلية الحديثة :

ولم يكن فى نهايه دولة الاعتزال نهاية للتقدم العلمي فى العالم الاسلامي بل ان العلم لم يزل فى توسعه ونموه فشمل الطب والحكمه والكيمياء والرياضيات والعماره وغير ذلك فازدهرت العلوم واينعت .

وبينما كان العالم الاسلامى فى اوج حضارته العلميه كان العالم النصراني في اوربا يتخبط فى ظلمات الجهل فقد سيطرت الكنيسة فيه على العقول وحظرت على اتباعها ممارسه كثير من العلوم فسيطرت على العلماء واحتكرت العلم واحتفظت لنفسها بحق تفسير ظواهر الحياه ولم تكن تتردد فى الاعدام والحرق والتعذيب تحت آلات اعدت له فى محاكم التفتيش لكل من يجرؤ على مخالفتها من علماء الطبيعة والكيمياء والفلك وغير ذلك حتى لا يضيع سلطانها وهيبتها من النفوس .

كان هذا حال الشرق وحال الغرب لكن الامر لم يدم على هذا فقد اشار البابا جريجورى السابع الحرب الصليبيه الاولى وعندما تحرك الصليبيون لم تكن هناك جبهه اسلاميه موحده في الشرق الذى كان يعاني عهدئذ التفكك والانقسام فواصلوا زحفهم حتى القدس واستولوا عليها سنه ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩م (١) ثم لم تزل الحروب الصليبيه على العالم الاسلامى تتتالى وكان من نتيجة هذه الحملات الصليبيه ان نقلت الحضارة الاسلامية الى بلادهم فاستولى الاوربيون على الكتب العلميه في شتى العلوم والمعارف واقبلوا عليها دراسة وتجربه وتنميه ووقفت الكنيسه موقفها فاحرقت كثيرا من العلماء واعدمت الكثير لكن هذا لم يمنع العلماء من الظهور

(١) التاريخ الاسلامي ابراهيم الشريقي ص ٢٢٣ .

بمظهر الاستشهاد فى الدفاع عن مبادئهم وآرائهم حتى الموت مما اتاح الفرصة لدعاة التحرر الفكرى من سلطان الكنيسه فهدموا الكنيسه وهدموا الدين معها وانتهى ذلك الصراع الطويل بانتصار دعاة التحرر والحد من سلطان الكنيسه وحصره فانكمش نفوذ البابا ولم يعد يجاوز طقوس التعميد والصلاة والزواج والجنائز وبذلك تحقق فصل الدين عن الدوله[1] .

في تلك الفترة كان العلم في حالة انكماش فى الشرق وتمدد ونمو فى الغرب واستمر الأمر على هذا الحال . أضف الى ذلك ماعاناه العالم الاسلامى من حروب انهكته وحطمته بعد الحروب الصليبيه نذكر منها هجمات المغول وسقوط الدوله العباسيه على ايديهم وقتلهم الكثير من العلماء ورميهم للكتب العلميه فى نهر دجله حتى صار ماؤه ازرقا ثلاثة ايام[2] كما يذكر المؤرخون ادت هذه الامور وغيرها الى ضعف العالم الاسلامى وانتقال الحضارة العلميه الى اوروبا التى وجهت طاقتها وعنايتها الى الاهتمام بالعلوم ونشرها .

ثم مر العالم الاسلامى بعد هذه الحروب التى انهكته - بفترة اخلد فيها الى الدعه وآثر السكون والخمول فلم تفت الفرصه على الاعداء فتداعوا عليه كما تتداعى الأكله على قصعتها فأكلوا منه وشربوا حتى اصبح جسدا بلا روح أو كاد بل اصبح غثاءاً كغثاء السيل .

واضحت البلاد الاسلامية تحت سيطره الدول الاوروبية التى استغلت خيراتها ونعمت بثرواتها واستيقظ العالم الاسلامي على ازيز الطائرات ودوى المدافع وضجيج المصانع فانبهر بتلك الحضارة وبادر الى السؤال عن اسبابها ولم يفت على الاستعمار اعداد الجواب لمثل هذا السؤال فقد أقصى اصحاب الثقافه الدينية عن ميادين الاصلاح وحصر وظائفه في المساجد التى قل روادها عموما واصبحت الوظائف الحكوميه وادوات التوجيه الاجتماعي في ايدى اصحاب الثقافه الأوروبيه[3]

---

(١) الاتجاهات الوطنيه فى الادب المعاصر محمد محمد حسين ج١ ٢٥٤-٢٥٥ .

(٢) مجله التمدن الاسلامي السنه ١٥ الجزءان ١٥و١٦ رجب ١٣٦٨ هـ ثروتنا العلميه وفهارسها : احمد مظهر العظمه ص ٣٤٧ .

(٣) الاتجاهات الوطنيه فى الادب المعاصر : ج ١ ص ٢٥٥ .

الذين نشأوا فى احضان الاستعمار وتشبعوا بثقافته فسيطروا على اجهزة التعليم فى كثير من البلاد الاسلاميه فضلا عن جهود الاستعمار الدائبه لنشر التغريب واللادينيه بكل الوسائل الممكنه واوهموا الناس ان حالة العالم الاسلامي تشبه حاله اوروبا فى العصور الوسطى ولن ينهض الا بما نهضت به اوروبا من فصل السلطه الدينيه عن السلطه المدنيه وبذلك يتحقق له ما تحقق للاوربيين .

وهال الأمر علماء المسلمين وذهبوا للرد على تلك الافكار مذاهب شتى .

وحاولت فئه منهم التوفيق بين الدين والعلم وبينت للناس ان الدين الاسلامي الحق لا يحارب العلم ولا ينافي العقل وانه دين العقل والحريه والفكر .

وذهبت تبين للناس ذلك المنهج وتقيم الدين الاسلامي على العقل - الذى لا يقر ارباب الثقافه الغربيه غيره حكما - وبينت ان ليس فى الاسلام ما لا يقره العقل وحاولت ان تفسر القرآن الكريم على هذا المنهج وهذا الاساس وكان لهذه المدرسه العقليه رجال كان لهم نشاط واسع فى نشر هذه الثقافه ومكافحة الاستعمار ومقاومه الهجوم على الدين والغاء التبعه عليه فى التخلف الحضارى .

وكان من رجال هذه المدرسه المؤسسين لها جمال الدين الافغاني وتلميذه محمد عبده وتلاميذه محمد مصطفى المراغي ومحمد رشيد رضا وغير هؤلاء كثير .

وسميت نهضتهم هذه بالنهضه الاصلاحيه وكان لهذه المدرسه اراء كثيره تخالف رأى السلف وشطحات ما كانوا ليقعوا فيها لولا مبالغتهم الشديده فى تحكيم العقل فى كل امور الدين حتى جاوزوا الحق والصواب وشكك بعض رجال الفكر الاسلامي الحديث فى نزاهه المؤسسين لهذه المدرسه اعنى جمال الدين الافغانى وتلميذه محمد عبده مستدلين على ذلك ببعض علاقاتهم وما ورد فى كتاباتهم .

ومرادنا هنا بيان هذه المدرسه العقليه الحديثه رجالها ، ومنهجها فى تفسير القرآن الكريم وبيان ما ادت بهم اليه المبالغة فى تحكيم العقل من آراء نراها غير صائبه والله الموفق والهادى الى سواء السبيل ...»

البـــاب الاول

رجـــال المدرســـة :

١) جمال الدين الافغانـــى .

٢) محمد عبـــده .

٣) محمد رشيد رضـــا .

٤) محمد مصطفى المراغـــى .

٥) غيرهـــم .

الى من أقدم تأريخ وتراجم هؤلاء الرجال ؟

كل من يقرأ كلامي هذا فلا يعدوا ان يكون أحد رجلين :-

اما رجل جعل الحقيقة نصب عينيه ، وتحصيلها مقصوده ، وجعلها فوق الرجال بها يوزنون ولا توزن بهم .

وحسبي من هذا الرجل أني بذلت جهدي ما استطعت للوصول اليها وتقديمها له مستندا الى الادله ، والبراهين ، وموثقا لها بالرجوع الى أصولها ومصادرها الاولى ، فان كان فيما ذكرته ما اردت من اظهار للحقيقه : فبها ولله الحمد ، وان كانت الاخرى فحسبي أجر من اجتهد واخطأ .

واما رجل نزع الحقيقه من نصب عينيه ، واستبدل بها أصناما بشريه وأوثانا أنسيه صار همه كل همه تقديسهم ، ومراده كل مراده ذب الشبهات عنهم ونفي الخطأ منهم ، وجعلهم فى منزله تأبى الشبهات ان تصل الى أقدامهم فيها فهم الحقيقه والحقيقه ما قالوا وفعلوا ولا تتم الحقيقه الا بهم .

مثل هذا الرجل لا اتعب نفسي بتوجيه حديثي اليه ، لانى أعرف سلفا رفضه له ومن العبث أن أوجه كلامي الى من اعرف سلفا رفضه له ومحاربته اياه .

لا أرفض توجيه حديثي اليه ابدا ولكن الى أمد الى أن يفتح الله على بصيرته ويزيل عن عينيه الغشاوه ويرجع الى المنهج السليم فى تقدير الرجال .

ذلكم ان حياة الرجل تصبح ملكا له مادامت خاصه به فاذا تجاوزت هذه المرحلة واصبحت حياته جزءاً من التاريخ فان الحديث عنها أمانة فى اعناق المؤرخين لا يفك رقابهم منها الا قول الحقيقه من غير تجن أو تعمد ، أو تزلف أو نفاق فكلاهما منهج ضال والمنهج الحق وسط بينهما : قول الحق والحقيقه مهما أدّيا اليه ومهما صاح بك من يجهر أعينهم نور الحقيقه .

أولا : جمال الدين الافغاني

اسمه :

جمال الدين بن صفدر الحسيني الافغاني ،

وصفدر لفظ فارسي من القاب الامام علي رضى الله عنه عند الشيعه ومعناه مقتحم الصف وقد حرف هذا الاسم من كتبوا ترجمته بالعربيه فقالوا :- " صفتر " (١) .

زعم تلميذه الشيخ محمد عبده ان نسبه ينمي الى السيد على الترمذى المحدث المشهور ويرتقى الى سيدنا الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه (٢) وقال بهذا الزعم ايضا مصطفى عبد الرازق (٣) ومن سمى نفسه بالمؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي (٤) وقال به ايضا تلميذه محمد المخزومي (٥) وغيرهم .

ولم اجد في كتب الحديث وعلومه من يسمى ب " على الترمذى " وينمي نسبه الى الحسين بن علي بن ابي طالب سواء كان هذا المحدث مشهورا أو مغمورا .

ثم أى علاقه بين " الترمذى " وهو من خراسان وبين الحسين على بن أبي طالبّ رضى الله عنهما وهو قرشي من مكه ؟ !

لذلك فلا عجب ان يكتب ابو الهدى الصيادى من الآستانه الى السيد رشيد رضا قائلا :-

" اني أرى جريدتك طافحه بشقاشق المتأفغن جمال الدين الملفقه وقد تدرجت به الى الحسينيه التى كان يزعمها زورا ، وقد ثبت في دوائر الدوله رسميا انه مازندراني من اجلاف الشيعه ... " (٦) .

ثم نقول بعد هذا أى فضل للرجل بهذا النسب عند من دينه " ان اكرمكم عند الله اتقاكم " (٧) وخوطب نبيه بقوله تعالى " وانذر عشيرتك الاقربين " (٨) .

---

(١) مصطفى عبد الرازق : في ترجمته لجمال الدين الافغاني بصدر مجلة العروه الوثقى ص ١٧ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده : للسيد محمد رشيد رضا الجزء الاول ط ٢٧

(٣) مصطفى عبد الرازق : المرجع السابق ص ١٧ .

(٤) جمال الدين الافغاني : للمؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي ص ٥ .

(٥) خاطرات جمال الدين الافغاني : للشيخ محمد المخزومي ص ٧ .

(٦) تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٩٠ .

(٧) سورة الحجرات الآيه : ١٣ .

(٨) سورة الشعراء الآيه : ٢١٤ .

مولده :

ولد سنة ١٢٥٤هـ - ١٨٣٨م وأول ما يصادف المؤرخ لحياة هذا الرجل من غموض الخلاف فى مكان مولده هل ولد في اسعد آباد قريه من قرى كير من اعمال كابل في افغانستان أو في أسد آباد قرب همدان احدى مقاطعات ايران فيكون ايرانيا لا افغانيا وانما آثر ان ينسب نفسه -كما قال بروكلمان - الى افغانستان لاسباب سياسيه [1] أو أن والده ضابط ايرانى أوفدته حكومته الى بلاد افغان فتزوج هناك [2] .

ولا أحسب ان للبحث عن اصل الرجل أى رجل اهميه اذا ما حسنت عقيدته وصفت سريرته واستقامت سيرته ، ولكن قد يلزم البحث عن هذا اذا كان ذلك الرجل هو الذى اراد تعمية اصله ونسبة نفسه الى غيره مع غموض فى اتصالاته وعلاقته وانشطته فيجب على الباحث تحرى هذا لمعرفة السبب الدافع له الى هذه التعميه فقد يكون وراء الاكمه ما وراءها .

اذن فهناك أمور ثلاثه نراها بارزه في نسبة الرجل واصله :-

أولها : ان اسم والده " صفدر " وهو لفظ فارسي من القاب الامام على رضى الله عنه عند الشيعه وهو وقف على الشيعه [3] .

ثانيها : انه لا صحه لانتسابه الى الحسين بن على رضى الله عنهما من طريق " على الترمذى " وانما انتحل هذا لاضفاء قداسه باطله على شخصه .

ثالثها : انه ايراني لا افغاني كما ينسب نفسه وسيتضح لنا هذا فيما بعد - ان شاء الله وانما نسب نفسه الى افغانستان لاسباب غير ظاهره .

جمال الدين في افغانستان :-

ولا نعرف مصدرا لتأريخ نشأة الرجل -هذا - الا ما تحدث به عن نفسه الى تلاميذه فقالوا مثلا انه لما بلغ الثامنة من عمره اجلسه والده لطلب العلم وعنى بتربيته فأيد العناية به اشراق في قريحته وذكاء في مدركته فتلقى علوما جمه برع فى

(١) تاريخ الشعوب الاسلاميه : كارل بروكلمان ج ٤ ص ١٠٣ .
(٢) مصطفى عبد الرازق : مرجع سابق ص ١٩ .
(٣) الاسلام والحضاره الغربيه : للدكتور محمد محمد حسين ص ٦٤ .

جميعها فمنها العلوم العربيه وعلوم الشريعه وعلوم عقليه من منطق وفلسفه وعلوم رياضيه ونظريات الطب والتشريح [١] .

واستكمل الغايه من دروسه فى الثامنه عشرة من عمره ثم سافر الى الهند فأقام بها سنه تعلم فى خلالها شيئا من العلوم الاوربيه واساليبها [٢] .

وعرض له وهو في الهند ان يؤدى فريضه الحج فاتجه الى مكه المكرمه وقضى نحو سنه يتنقل فى البلاد ويتعرف احوالها وعادات اهلها حتى وافى الى مكه المكرمه سنه ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧ م وأدّى الفريضه [٣] ثم عاد الى بلاده ودخل فى سلك رجال الحكومه على عهد الاميردوست محمد خان وبعد وفاته تنازع اولاده فى الاماره فانضم جمال الدين الى محمد اعظم الذى احله محل الوزير الاول ولكن النصر كان في النهايه حليف شيرعلي .لتأييد الانجليز له فهرب محمد اعظم الى ايران وبقي جمال الدين فى افغانستان لم يمسه الامير بسوء الا انه خشي الانتقام منه فاستأذن للحج فأذن له فرحل الى الهند سنة ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٩م [٤]

رحلاتـــه :

فى الهنـــد

كان يريد من رحلته الى الهند الاقامه بها من غير ظهور وبكل بساطه وقد كانت الهند تحت الاستعمار البريطاني فكانت دهشته عظيمه عند ما رأى الحكومه الهنديه تستقبله على الحدود استقبالا رسميا ليس له مبرر [٥] ولكنهم لم يسمحوا له بالاقامه الطويله فى الهند فمكث فيها نحو شهر ثم سيّرته على حسابها فى احد مراكبها الى السويس (١٢٨٦ هـ - ١٨٧٠م) .

فى مصـــر

كانت تلك اول زياره له الى مصر فأقام بها اربعين يوما تردد فيها على الازهر واتصل به بعض طلبه العلم السوريين فقرأ لهم شرح كتاب الاظهار ثم سافر

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد رشيد رضا ج ١ ص ٢٧ - ٢٨ .
(٢) العروه الوثقى : مصطفى عبد الرازق ص ١٩ .
(٣) جمال الدين الأفغاني : عبد الرحمن الرافعي : ص ٦ .
(٤) خاطرات جمال الدين الافغاني . محمد المخزومي دار الفكر الحديث لبنان الطبعه الثانيه ١٩٦٥م - ١٣٨٥ هـ ص ٩ .
(٥) المرجع السابق ص ١٠ .

الى الاستانه سنه (١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م) .

في الآستانه

لما وصل الى الآستانه أقام بها مجهول المكان حتى اهتدى اليه بعض اكابر الوزراء فعينه عضوا فى مجلس المعارف [1] وفي رمضان سنه ١٢٨٧ هـ القى خطابا فى دار الفنون فى الحث على الصناعات شبه فيه المعيشه الانسانيه ببدن حي وان كل صناعه بمنزله عضو منه فشبه الملك بالمخ والحداده بالعضد والزراعه بالكبد والملاحه بالرجلين وغير ذلك ثم قال :- " ولا حياة لجسم الا بروح وروح هذا الجسم اما النبوه واما الحكمه " [2] مما اهاج عليه شيخ الاسلام حسن فهمي افندى وعددا من العلماء والوعاظ فى المساجد محتجين على جمال الدين بأنه جعل النبوه صنعه وانتهى الامر بأن اشير على جمال الدين بالجلاء عن الآستانه ريثما تسكن الخواطر فسافر الى مصر فى أول سنه ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م .

فى مصر :

وصل الى مصر فرحبت بة الحكومه المصريه واجرت له راتبا شهريا بلا عمل . وكانت اقامته فى مصر هذه المره حافله بالانشطه العلميه والسياسيه فالقى كثيرا من الدروس فى الادب والمنطق والتوحيد والفلسفه وعلم التصوف واصول الفقه والفلك [3] حتى ذاع صيته واتصل بكبار القوم وانخرط فى الماسونيه وكان له تأثير فى سياسه البلاد وكتب فى الصحف التى ساهم فى انشائها تاره تحت اسم " مظهر ابن وضاح " وباسمه الصريح تاره أخرى .

كانت سياسة البلاد الماليه آنذاك تحت الاداره البريطانيه فكانت كتابات السيد قد اوغرت عليه صدر مستر فيفيان قنصل انجلترا واوغرت صدر توفيق باشا لاعتقاده ان كتابات السيد تؤدى الى زعزعة حكمه وبالاضافه الى هذا فقد كان السيد منبوذا من علماء الازهر الذين رأوا فى تعليمه الفلسفه وبعض آرائه فسقا فصدر الأمر بنفيه وجاء في القرار : " انه رئيس جمعيه سريه من الشبان ذوى الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا " [4] (انظر الصوره رقم "١") وعند نزوله الى الباخره

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٠
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٠ - ٣١ .
(٣) العروه الوثقى ص ٢١
(٤) جمال الدين الافغانى عبد الرحمن الرافعى ص ٤٦ .

لوحة ١٢

مولاي انت الحق وانت مع الحق وما كان لا تخدعك عن الرشد ولا تتبدل عن

الرشد ولا تتهاون في فريضة العدل ولا تقصر في واجبات كمال النفس

وطهارتها وتصدع بالصدق وتقول الحق لا تأخذك فيه لومة لائم

ولا يلويك عنه هيبة ظالم ولا يسدك خشية غاشم ولا تكتم فيه شهادة

خوفاً من الجائرين واسترضاء للخائنين — وانت كنت اعلم

حقيقة مجلسنا ورئيسه وسبب وقوع الفساد فيه ما كان

يخفى عليك شيء وكنت عارفاً بخفيات الامور بوقائع امري مطلعا

على سريرتي وسري — فكيف صبرت مع كونك مجبولا على الحق

مقصورا على حمايته ان ينسب ~~عثمان باشا~~ الى عثمان باشا الضابط

ما نسب من الاكاذيب والافتعالات وقال افتراء وكذبا

اني كنت رئيسا على مجلس قد وضع اساسه على فساد الدين والدنيا

حتى اذعن المجلس [illegible] الى قوله فامر بنفيي ...

— امثلك يهاب ان يقول الحق ويخشى ان يصدع بالصدق

— امثلك يكتم الشهادة — امثلك ~~...~~ يرى الظلم

ويتهاون في رفعه ويتقاصر في دفعه — حاشاك حاشاك

ما هكذا الظن بك ولكن... — ثم يا مولاي ارسلت (العارف) الى صاحب ...

لقبض اموالي وكتبي التي بقيت ... فارجو رجاء من يعتقد لك

امل لكل ان تتعطف تنظر اليه بنظر عنايتك كما هو من شيمتك

وعادتك — وانا الآن في القنال اذهب الى لندن ومنها

الى باريس مسلماً عليكم سلام المشتاق اليكم.

صوره رقم (١)

اتاه قنصل ايران فعرض عليه بعض المال فرفضه ثم ابحر الى الهند واقام بحيدر آباد سنه (١٢٩٦ هـ - ١٨٧٩م) .

في الهنـــد :

اقام في حيدر آباد عاما الف خلاله رساله في "الرد على الدهريين" بالفارسيه ولما قامت الثوره العرابيه في مصر نقل من حيدر آباد الى كلكتـــا لاعتقاد الحكومه الانجليزيه ان له فيها يدا ثم ابيح له ان يسافر الى حيث شاء فسافر الى لوندرا "لندن" فأقام بها اياما ثم سافر الى باريز سنه ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٣ م .

في بـــاريس :

اقام في باريس ما يزيد عن ثلاث سنوات عهدت جمعية العروه الوثقى لـــه فيها ان ينشئ جريدة "العروه الوثقى" فاستدعى الامام محمد عبده الذى كان منفيا في سوريا فاصدرا الجريده وكان جمال الدين مديرا لسياستها ومحمد عبده رئيسا لتحريرها سنه ١٣٠١ هـ = ١٨٨٤ م ولكن الجريده لم تلبث الا سبعـــة اشهر وايام لمحاربة الاستعمار البريطاني لها ثم توقفت وعاد محمد عبده الى سوريا ثم الى مصر معتزلا السياسه ومكث السيد في باريس مترددا بينها وبين لنـــدن والتقى في باريس بالفيلسوف الاوربي رينان ثم دعاه ناصر الدين شاه ايران الـــى طهران فاتجه اليها سنه ١٣٠٤ هـ = ١٨٨٧ م .

في ايران :

وفوض اليه الشاه نظاره الحربيه ، وتزاحم حوله الامراء والمجتهدون والكبراء وتمكن من نظم كثير منهم في سلك الماسونيه [1] . لكن الشاه ناصر الدين اوجس منه خيفه وداخله ريب من حركاته ونشاطه فادرك السيد ما في نفسه فاستأذن في السفر الى روسيا فأذن له سنه ١٨٨٧ م .

في روســـيا :

كان له في روسيا نشاط صحفي نشر كثيرا من المقالات عبر الصحف الروســيه

---

(١) العروه الوثقى ص ٢٥ .

واجتمع في بطرسبرج "لنجراد" بكبار العلماء والسياسيين وقد مكن له نقده لسياسه الانجليز مكانه في روسيا حتى ان القيصر دعاه الى قصره وتحادث معه طويلا فرابه منه ما راب ناصر الدين شاه فأوعز الى موظفيه بطرده فاتجه الى باريس سنه ١٣٠٦ هـ = ١٨٨٩ م .

في ميونخ :

وفي طريقه الى باريس التقى في ميونخ عاصمه بافاريا "المانيا" بالشاه ناصر الدين الذى طلب منه العوده الى ايران فاعتذر بذهابه الى معرض باريس فالح عليه الشاه فذهب معه (١) سنه ١٣٠٦ هـ = ١٨٨٩ م .

فى ايران :

لما وصل الى ايران عاد الناس الى الاجتماع به وتلقى مبادئه وافكاره وعهد اليه الشاه ان يسن ما يراه موافقا لروح العصر من القوانين فلما اطلع عليها الشاه بعد ذلك رأى ان حكمه سيكون مقيدا (٢) فعاودته الشكوك والظنون في جمال الدين الذى شعر بهذا فاستأذن بالذهاب الى شاه عبد العظيم قرب طهران فأذن له فتبعه جم غفير من العلماء والوجهاء فخاف الشاه عاقبة ذلك فنفاه الى خارج الحدود الى البصره سنه ١٣٠٨هـ = ١٨٩١م .

فى البصـرة :

اقام فيها سبعة اشهر والى الكتابه فيها الى انصاره فى فارس واثار فيهم الحميه لخلع الشاه ناصر الدين غادر بعدها البصره الى لندره (لندن) سنه ١٣٠٩هـ = ١٨٩٢م .

فى لنـدن :

اقام فيها ثمانية اشهر موجها همته الى محاربة الشاه ناصر الدين . وكان من المؤسسين لمجله " ضياء الخافقين " وسلمه سفير تركيا فى لوندرا كتابا من السلطان عبد الحميد يدعوه الى الآستانه فسافر اليها سنه ١٣١٠ هـ = ١٨٩٢م

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٥٥ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني . محمد المخزومي ص ٣١ .

الى الآستانه :

وكانت المحطه الاخيره فى رحلاته هي الآستانه ولقى فيها كل ترحيب وتكريم الا أنه منع من مغادرتها واجرى له فيها السلطان راتبا شهريا الى ان توفى سنه ١٣١٤هـ = ١٨٩٧م .

نشاطه العلمي :

يعد من المميزات للسيد جمال الدين الافغاني انه احدث نهضتين اجتماعيتين :-

نهضه اجتماعيه علميه ونهضه سياسيه [1] . وكان الغالب على نشاطه الثانية منهما ولم يقم احد من تلاميذه من بعده بالامرين . بل انشطروا الى شطرين ذهبت طائفه الى الاخذ بالنهضه العلميه ويقف على قمة هذا الفريق الامام محمد عبده . وذهبت طائفه اخرى الى الاخذ باراءه السياسيه وعلى رأسهم مصطفى كامل وفريد ثم سعد زغلول [2] وغيرهم .

وبدأ السيد نشاطه العلمي -كما ذكرنا- فى افغانستان وواصل دراسته فى الهند . هذا من ناحية التلقى أما من ناحية التعليم فقد بدأ اول ما بدأ فى الهند عند خروجه فى المره الثانيه حيث القى بعض الدروس ولم تكن تلك الفترة من الكفايه بحيث يظهر اثرها واضحا اذ لم يلبث سوى شهرا واحدا غادر بعدها الى مصر حيث وفد عليه بعض طلبة العلم فى الازهر من السوريين فشرح لهم كتاب الاظهار وهو كتاب في النحووكانت تلك الفتره كسابقتها حيث غادر الى الآستانه ثم عاد الى مصر مره ثانيه حيث ازداد نشاطه العلمي وبلغ اوجه فبدأ التدريس فى الازهر وقد كان يلقى فيه من الدروس ما احفظ عليه بعض علماء الازهر فناظره احدهم مناظره افضت الى المنافره فترك الازهر وانقطع للتدريس في منزله [3] فقرأ من الكتب العاليه فى فنون الكلام الاعلى والحكمه النظريه طبيعيه وعقليه وفى علم الهيئه الفلكيه وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الاسلامي [4] وقد وصف الامام محمد

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٧٤ .
(٢) زعماء الاصلاح في العصر الحديث احمد امين ص ١١٥-١١٦ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٠
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٢ .

عبده منزلة جمال الدين من العلم فقال :-

" اما منزلته من العلم وغزاره المعارف فليس يحدها قلمي الا بنوع من الاشارة اليها لهذا الرجل سلطه على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له وله قوة في حل ما يعضل منها كأنه سلطان شديد البطش فنظرة منه تفكك عقدها .. " ثم يقول :-

" وله لسن في الجدل وحذق في صناعة الحجه لا يلحقه فيهما احد "[1] .

ثم سافر بعد مصر الى الهند وكان له فيها حلقه للتدريس لكنها لا تماثل حلقته في مصر واشتغل فيها بالتأليف عن التدريس .

مؤلفاته :

لم يكن للسيد اهتمام كبير في التأليف بل كان همه ان يلقى كلماته وخطبه على تلاميذه القاءا فيبادر بعضهم الى تسجيلها وتدوينها بل ذكر بعض تلاميذه انه :- " قضى ولم يدون الا رساله في ابطال مذهب الدهريين "[2] وقال عنه اديب بك اسحاق " ولكنه لم يتم عملا ولا الف كتابا غير تلك الرساله "[3] والحقيقة انه دون غير رسالته " الرد على الدهريين " التي الفها بالفارسيه في حيدر آباد . فقد دون رسالة صغيره له اسماها " تتمة البيان في تاريخ الافغان " وقد طبعت في مصر وما عدا هاتين الرسالتين فمقالات نشرها في الصحف والمجلات طبع بعضها مستقلا وكان لاشتراك الامام محمد عبده معه في مجلة " العروه الوثقى " وعدم تسمية صاحب كل مقال فيها كان له اثر كبير في الخلط في نسبته الى صاحبه فبحث " التعصب " نشر باسم الامام مع انه من انشاء جمال الدين وهناك كتاب اكثر شهره اعني " الاسلام دين العلم والمدنيه " من بين فصوله " الاسلام والنصرانية " وهو من تأليف الافغاني[4] وقد ضم المخزومي في الخاطرات هذين المقالين الى خاطرات جمال الدين الذي دون فيه المخزومي اراء وافكار الافغاني وقد طبع

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٣٤ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني محمد المخزومي ص ٤٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٤ .
(٤) الاعمال الكامله لجمال الدين الافغاني جمع محمد عماره دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٨ م ص ١١٨ - ١١٩ .

طباعه مستقله بعض مقالاته مثل الوحده الاسلاميه والقضاء والقدر اما اذا رمت الاطلاع على معظم ما كتبه فعليك بـ " خاطرات جمال الدين الافغاني " لتلميذه محمد المخزومي و " الاعمال الكامله لجمال الدين الافغاني " لمحمد عماره و " العروه الوثقى " وانما قلت معظم ما كتبه لان هناك من كتاباته فى بعض المجلات لم يدون اذكر مثالا لذلك ما كتبه في الصحف الروسيه .

تفسيره :

قلنا ان الغالب على نشاط السيد الافغاني هو النشاط السياسي وأنه انما يتناول ما يتناول من العلم فى دروسه ما يدفع به عجلة السياسة خطوه نحو اغراضه واهدافه وقد تعرض له فى اثناء حديثه آيه قرآنيه يستشهد بها لتقوية رأيه ثم يذهب فى تفسيرها تفسيرا يقتصر فيه على الجانب الذى يتكلم فيه من غير استقصاء لمعانيها .

ومن ثم فلم يكن له تفسير مستقل وانما كان تفسيره آية هنا وآية هناك بين ثنايا مقالاته .

ويقلل السيد جمال الدين من شأن ما تراكم على القرآن الكريم وتجمع حوله من آراء المفسرين وما استنبطوه من احكام فيقول " القرآن وحده سبب الهدايه والعمده فى الدعايه أما ما تراكم عليه وتجمع حوله من اراء الرجال واستنباطهم ونظرياتهم فينبغى ان لا نعول عليه كوحي وانما نستأنس به كرأى .. " ويحذر من اضاعة الوقت فى عرض ذلك فيقول " ولا نحمله على اكفنا مع القرآن فى الدعوه اليه وارشاد الامم الى تعاليمه لصعوبة ذلك وتعسره واضاعة الوقت فى عرضه "(١) .

وهو لا يعنى بهذا السنه المتواتره أو ما اجمع عليه العلماء حيث يقول " فالتواتر والاجماع واعمال النبى المتواتره الى اليوم هي السنه الصحيحه التى تدخل في مفهوم القرآن وحده والدعوه الى القرآن وحده "(٢) .

---

(١) جمال الدين الافغاني عبد القادر المغربي ٦٨ من سلسلة اقرأ الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢ .

وهو يدعو الى دراسة القرآن والكشف عن كنوزه المدفونه فيقول :-

" القرآن القرآن وانى لآسف اذ دفن المسلمون بين دفتيه الكنوز وطفقوا في فيافي الجهل يفتشون على الفقر المدقع "[1] ولكنه يتأسف على التعمق في تفسير باء البسمله ومخرج صاد الصراط " وكيف لا اقول و ا ا سفاه ! واذا نهض احد لتفسير القرآن فلا اراه الا يهيم بباء البسمله ويغوص ! ولا يخرج من مخرج حرف صاد الصراط حتى يهوى هو ومن يقرأ ذلك التفسير في هوه عدم الانتفاع بما اشتمل عليه القرآن من المنافع الدنيويه والاخرويه مع استكماله الامرين على اتم وجوههما "[2] ويرى ان القرآن برئ من مخالفة الحقائق العلميه الثابته " فاذا لم نر فى القرآن ما يوافق صريح العلم والكليات اكتفينا بما جاء فيه من الاشاره ورجعنا الى التأويل "[3] .

وهو مع حثه على التفسير ودعوته الى تنقيحه مما علق به مقل فيه فلا يتناول من الآى الا ما قل ولا يفسره الا من جانب ما يؤيد به قوله من غير بيان للجوانب الاخرى .

وقد صدر السيد جمال الدين سبع عشره مقاله من خمس وعشرين مقاله فى العروه الوثقى بآيه أو آيتين من القرآن الكريم اعتقدها بعضهم شرحا وتفسيرا وليس كذلك فقل ان يعرض فى المقاله للآيه المصدره .

أما الآيات التى تناولها بنوع من التفسير فقليل جدا كما ذكرنا توجد بين ثنايا بعض مقالاته فمن ذلك قوله :-

" قرأت فى القرآن أمرا تغلغلت فى فهمه روحي وتنبهت اليه بكليتى وهو (واذ قال ربك للملائكه اني جاعل فى الارض خليفه ..)[4] فاندهشت الملائكة لهذا النبأ ولهذه المشيئه الربانيه اذ علمت ان ذلك الخليفه سيكون الانسان

---

(١) خاطرات جمال الدين الافغاني محمد المخزومي ص ٩٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٩٩ .
(٣) المرجع السابق ص ١٠٠ .
(٤) سوره البقره من الآيتين : ٣٠ ، ٣١ .

وان ذلك الانسان - الخليفه - سيصدر منه موبقات وسيئات اعظمها واهمها انسه " يسفك الدماء " فقالت بملء الحريه المتناسبه مع الملاء الاعلى وعالم الانوار والارواح الذى لا يصح ان يكون هناك شيء من رياء ونفاق " اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء "(١) ووقفت الملائكة عند هذا الحد من الطعن فى الانسان ولم تذكر باقي السيئات من اعماله اذ رأتها لغوا بالنسبة لهذين الوصمين الفساد وسفك الدماء " ثم يمضى في التفسير على هذا المنوال الى ان يقول " وبأبسط المعاني ان الله تعالى افهم الملائكه انكم علمتم ما في خليفتي فى الارض وهو الانسان من الاستعداد لعمل الفساد وسفك الدماء وجهلتم ما اعددته لصونه وصرفه عن الاتيان بالنقيصتين المذكورتين ألا وهو العلم فقال " وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكه فقال انبئوونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين "(١) (٢) .

ويفسر آى اخرى فيقول " غضب سليمان عليه السلام على الهدهد اذ تفقده ولم يجده فلما حضر قال (جئتك من سبأ بنبأ يقين)(٣) - غير ملفق ولا مشوب بكذب كما تفعل اكثر الجواسيس مع الملوك والحكام (اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) دينهم ومعتقدهم (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) " ثم يقول بعد ذلك " فلما جاء الكتاب الى ملكه سبأ جمعت فورا مجلس الأمه و (قالت ياأيها الملأ افتوني في امرى ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون) وبعد ان تداول مجلس الأمه - الوزراء اليوم مثلا - واستخرجوا احصاءا من سجلاتهم بما عندهم من المعدات الحربيه اعلنوا الملكه وانبؤوها انه في امكانهم محاربة سليمان بما توفر لديهم من القوة اذا هي وافقت على اعلان الحرب (قالوا نحن اولى قوه واولى بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين) ، ثم يمضى بعد فيقول " فرد سليمان الهديه وتحفز لاخراج

---

(١) سورة البقره من الآيتين ٣٠ ، ٣١ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني ص ٩٢ - ٩٣ .
(٣) سوره النمل من الآيه ٢٢ .

الملكه وقومها اذ لة بالحرب واراد ان يريها ما لديه من القوى وما تسخر له من رياح يمتطيها وتجرى بأمره - طيارات مثلا - وسرعة نقل الاخبار والاشياء باسرع من البرق - التلغراف اللاسلكى مثلا "[١].

وكان يشطح في تفسيره فيفسر الربا المحرم فى قوله تعالى " ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفه "[٢] بـ " جواز الربا المعقول الذى لا يثقل كاهل المديون ولا يتجاوز في برهه من الزمن رأس المال ويصير اضعافا مضاعفه[٣].

ويفسر " جد " في قوله تعالى (وانه تعالى جد ربنا)[٤] ان جد معرب " كدّ " ومعناه العرش بالفارسيه او الهنديه[٥].

ويفسر (فان خفتم ان لا تعدلوا فواحده)[٦] بأنه " قيد من خاف ان لا يعدل بالمرأه الواحده " وترك لمن يخشى ان لا يعدل حتى مع الواحده - عدم الزواج وهذا ما يستنتجه العقل مادام يحمله العاقل ويقول به الحق والعدل "[٧].

ويفسر الامور الغيبيه من غير نص فيقول " وترى الارض بارزه "[٨] " أى خارجه عن محورها غير راضخه للنظام الشمسى واذا ما حصل ذلك فلاشك يختلف ما عرف من الجهات اليوم فيصير الغرب شرقا والجنوب شمالا وبذلك الخروج عن النظام الشمسي وما يحدثه من الزلزال العظيم - لاشك تتبعثر اجزاء الارض لبعدها عن المركز وتنسف الجبال نسفا وتتحول براكين هائله وبالنتيجه تخرب الكره الارضيه ويعمها الفناء بما فيها من حيوان وتقوم القيامه والله اعلم "[٩].

---

(١) خاطرات جمال الدين الافغاني ص ١٠٠ - ١٠١ .
(٢) سوره آل عمران من الآيه : ١٣٠ .
(٣) جمال الدين الافغاني محمود ابو ريه دار المعارف الطبعه الثانيه ٢٩ من سلسله نوابغ الفكر العربي ص ٩٨ .
(٤) سورة الجن من الآيه الثالثه .
(٥) جمال الدين الافغاني عبد القادر المغربي ص ١١٠ .
(٦) سورة النساء من الآيه الثالثة .
(٧) جمال الدين الافغاني محمود ابو ريه ص ١٠٠ .
(٨) سورة الكهف من الآيه ٤٧ .
(٩) خاطرات جمال الدين الافغاني محمد المخزومي ص ١٠٤ .

وقد وجدت من تفسيره غير ما ذكرت

تفسيره لقوله تعالى (واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه)[1] الآيه

في الخاطرات ص ١٢٢ .

وتفسيره لقوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوه)[2] فى العروه الوثقى

ص ١٢٩ .

وتفسيره لقوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)[3]

فى العروه الوثقى فى مقالته " سنن الله فى الأمم "

وانما اطلت فى بيان تفسيره لأنه مرادنا منه ولأني لم اجد أحدا ممن أرخوا له

أو كتبوا عنه اشار الى تفسيره فضلا عن جمعه وترتيبه له .

نشاطه السياسي :-

قلنا ان هذا النشاط هو الغالب على اعمال السيد الافغاني وقد كان " مقصده السياسي الذى وجه اليه افكاره وأخذ على نفسه السعى اليه مدة حياته هو انهاض دولة اسلاميه من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها حتى تلحق الامه بالأمم العزيزة والدوله بالدول القويه فيعود للاسلام شأنه "[4] وقد كانت الوسيلة لتحقيق غاياته " الثوره السياسيه لاتفاقها مع مزاجه وقد ظن انها اسرع الطرق للوصول الى ما يبتغيه "[5] .

وقد خالفه فى الاسلوب - هذا - تلميذه محمد عبده الذى يرى ان الوسيله هي اصلاح التعليم لا الثوره السياسيه .

ومن اهم الآراء التى تنسب الى الافغاني وكان يدعو اليها : الدعوة الى الوحدة الاسلاميه واقامة جامعة اسلاميه تنضوى تحت لوائها دول العالم الاسلامي توحد كلمتها واهدافها :-

وانما قلت تنسب اليه لانى ارى فى مقالاته ومقالات تلاميذه ما يدل على انه لا يريد الجامعه الاسلاميه بل الجامعه الشرقيه التى تجمع دول الشرق مسلمه وغير

---

(١) سورة الانفال من الآيه : ٤١ (٢) سورة الانفال من الآيه : ٦٠ .
(٣) سورة الرعد من الآيه : ١١
(٤) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٤ .
(٥) جمال الدين الافغاني : محمود ابو ريه ص ٥٢ .

مسلمه ضد الاستعمار فهذا السيد رشيد رضا يعلق على كلمه لجمال الدين قائلا " هذا تنبيه لوجوب تأليف جامعة شرقيه لمقاومة الاستعمار الغربي ولم يفكر فيه أحد قبله "[1] ويقول فى موضع آخر " وقد اشتبه على بعض الناس أمر اللهجه الاسلاميه فى جريدة العروة الوثقى وظنوا أن خدمتها خاصه بالمسلمين فأزالا هذه الشبهه - يعنى الافغاني ومحمد عبده - بعبارة نشرت فى العدد الثامن "[2] من العروة الوثقى ويقول عثمان امين " ان الجامعه التى كان ينشرها الافغاني ومحمد عبده فى أواخر القرن الماضى ليست هي الجامعه الاسلاميه كما توهم بعض الكتاب الغربيين وانما هي فى صميمها " الجامعه الشرقيه " "[3].

وقد بدأ السيد الافغاني نشاطه السياسي فى افغانستان حيث انضم الى محمد اعظم ضد شيرعلي على ما اشرنا اليه فى أول الترجمه .

أما فى مصر فقد وصلها الافغاني في عهد الخديو اسماعيل سنه ١٨٧١ م وكان الحكم حينئذ - كما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي - حكما استبداديا لا مجال فيه للحريه . حقا ان اسماعيل انشأ سنة ١٨٦٦ م مجلسا سمي مجلس شورى النواب ولكنه مجلس استشاري لا يملك سلطه "[4].

فبدأ الافغاني أول ما بدأ ببث الوعي السياسي بين طلابه وكانوا يتناقلون ما يقول بينهم فاستيقظت مشاعر وانتبهت عقول وخف حجاب الغفله فى اطراف متعدده من البلاد وسرى هذا الشعور الى بعض الجرائد واستحدثت أخرى فتنافس الكتاب وكثر ارباب الاقلام[5].

ومنذ ذلك الحين طارت الشراره الاولى من شرارات الثوره العرابيه[6] وقد بذل السيد جمال الدين كل ما في وسعه للقضاء على الخديو اسماعيل لاتفاقه مع ولي عهده توفيق باشا على الاصلاح اذا صار الامر اليه بل ووصل الأمر الى تدبير

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٩٢ .
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٢٨٩ .
(٣) عثمان امين : مقال (العروة الوثقى) مجلة العربي الكويتيه العدد ٤٢ ص ٧٣ .
(٤) جمال الدين الافغاني : عبد الرحمن الرافعي ص ٢١ .
(٥) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٧ - ٣٨ .
(٦) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا الجزء الاول ص ٤٧ .

خطه لاغتياله لم تنفذ - كما يقول محمد عبده - لعدم وجود الشخص الذى يتكفل بذلك " (١) (٢) واشار الى هذا بلنت فى تاريخه السرى لاحتلال انجلترا مصر واعترف بهذا الامام نفسه (٣).

وانتهى نشاط الافغاني السياسي فى مصر بعد أن تنازل الخديو اسماعيل لتوفيق باشا الذى تنكر لجمال الدين وأمر بنفيه .

ثم ظهر نشاطه السياسي مره اخرى فى باريس التى انشأ فيها مجلة " العروه الوثقى " فجعلها منبرا لمحاربه الاستعمار البريطاني بحماس شديد .

وفى الحقيقه انه لم يتضح لي مع هذا حقيقة علاقته بالانجليز فبينما كان يؤلب عليهم الناس فى مصر حتى يقوموا بالثوره العرابيه . ويحرض مفتى ايران على تحريم الدخان لابطال احتكار الانجليز له في ايران تمهيدا لاحتلالها ويكتب في صحف روسيا وينشىء العروه الوثقى التى تحارب الانجليز اينما حلوا وتشنع عليهم وهو مع هذا يسرح فى بلادهم ويمرح ويتردد بين لندره وباريز بل وينشىء فى لندن مجلة " ضياء الخافقين " بالعربيه والانكليزيه فيحارب الانجليز في بلادهم وبلغتهم ومع هذا يسكت عنه الانجليز !! صحيح انهم ادوا الى تعطيل العروه الوثقى لكن صاحبها لا يجد مانعا من اللجوء الى سفير بريطانيا فى الآستانه ليساعده على الخروج منها (٤) ولا تجد انجلترا مانعا قبل ذلك من عرضها له لتوليه السلطه فى السودان (٥) ويتسآل الدكتور محمد محمد حسين لماذا كانت عداوته الشديده للاستعمار الانجليزى دون الفرنسي والهولندى فلم ترد في صحيفه العروه الوثقى اشاره للاستعمار الفرنسي للجزائر كما لم ترد فيها اشاره للاحتلال الهولندى لاندونيسيا ولم تشر الا اشاره عابره لاحتلال الهند الصينية (٦) .

---

(١) كتب على غلاف هذا التاريخ " راجعه ووافق على ما فيه الشيخ محمد عبده" .

(٢) التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر المستر بلنت وراجعه ووافق على ما فيه الشيخ محمد عبده . مطبعة البلاغ الاسبوعي ص ٩٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٥٤ . (٤) تاريخ الاستاذ الامام جـ١ص ٧٢

(٥) جمال الدين الافغاني محمود ابو ريه ص ٥٣ .

(٦) الاسلام والحضاره الغربيه محمد محمد حسين دار الارشاد بيروت الطبعة الاولى ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩م ص ٨٥ .

أما نشاطه السياسي فى ايران فقد اشرنا في رحلاته الى بعضه ونذكر هنا مظاهر ثورته السياسيه على ناصر الدين شاه بعد ان رفض قانونه ونفاه من ايران الى البصره وقد تمثلت هذه المظاهر بـ :-

أ) كتابته الى مفتى ايران كتابا يثير فيه مشاعره ضد ناصر الدين شاه ويطلب منه بصفته مفتي البلاد ان يصدر تحريما للدخان (١) بسبب تعاقد الشاه مع انجلترا لاحتكاره فتحظى هذه الخطوه بالنجاح وتلغى الاتفاقية .

ب) ثم يكتب الافغاني بعد هذا الى علماء ايران طالبا بخلع ناصر الدين شاه ولما لم ينجح بهذا

ج) نسب اليه بأدله قويه تدبيره قتل ناصر الدين شاه

نشاطه الصحفي

كان السيد جمال الدين يكره الكتابه ويتثاقلها فلم يكن له عنايه بالتأليف ووجه عنايته فيما يريد تدوينه الى الصحف فكانت معظم كتاباته في الصحف والمجلات فاذا رام انشاء مقالة القى على كاتب مثل ابراهيم اللقاني ألقاءا قل ما يراجعه ويصلحه (٢) .

وقد كان للسيد جمال الدين نشاط كبير فى انشاء عدد من الصحف في مصر وغيرها فكان اول عهده بالصحافه في مصر حيث كان له اليد الطولى فى انشاء صحيفه (مصر) الاسبوعيه التى ظهرت سنه ١٨٧٧م وعهد بادارتها الى اديب اسحاق ثم اوعز الى اديب بنقلها من القاهره الى الاسكندريه لتكون اقرب لاصطياد الاخبار ثم اوعز لاديب اسحاق وسليم نقاش بانشاء جريده (التجاره) سنه ١٨٧٨م وساهم الافغاني بالكتابه فى هاتين الصحيفتين باسمه الصريح تاره وباسم مظهر ابن وضاح تارة اخرى وامر تلاميذه بخدمة هاتين الصحيفتين قلما وسعيا (٣) .

(١) لا تنس ان السيد الافغاني كان مفرطا بالسيجار الانجليزى ولشده ولعه به كان لا يركن الى أحد من خدمه فى ابتياعه ، فيبتاعه هو بنفسه (خاطرات الافغاني ص ٤١) .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٤٩ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٥ .

ثم ساهم في انشاء صحيفة " مرآة الشرق " وقد تولاها سليم العنجوري فكانت هذه الصحف طوع اشارة الافغاني ولعل سليم العنجوري اراد ان يتخلص من هذا الاسار فعزله الافغاني واسندها الى ابراهيم اللقاني الذى اصارها طوع اشارة الافغاني (١) .

ثم انتقل نشاطه بعد نفيه من مصر الى فرنسا حيث انشأ هناك العروه الوثقي بتكليف من جمعية بهذا الاسم وهي جمعيه ذات فروع فى مصر والهند وغيرهما من اقطار الشرق (٢) وتولى اداره سياستها واسند تحريرها الى تلميذه محمد عبده وصدر اول عدد منها في يوم الخميس ١٥ جمادى الاول سنه ١٣٠١ هـ الموافق ١٣ مارس ١٨٨٤ م وتوقفت بعد صدورها بسبعة أشهر فصدر آخر اعدادها العدد الثامن عشر في ٢٦ ذى الحجه ١٣٠١ هـ الموافق ٢٦ اكتوبر ١٨٨٤م بسبب محاصرة انجلترا لها ومنعها من دخول مصر والهند فنضبت مواردها فتوقفت.

وكانت له كتابات صحفيه فى جوائد موسكو وتحتفظ مكتبة الدوله بالاتحاد السوفيتي المسماة " مكتبة لينين " بالصحف والمجلات التى صدرت ما بين سنه ١٩٠٥م و ١٩١٧ م ونشرت المقالات والمذكرات والابحاث عن اقامه الافغاني فى روسيا (٣) .

وبعد سفره الى لونده (لندن) سنه ١٣٠٩ هـ - ١٨٩٢ م ساهم فى انشاء صحيفه (ضياء الخافقين) وهي شهريه جعلها منبرا لحرب ناصر الدين شاه ايران .

نشاطه الماسوني :

ومن منا لا يعرف الماسونيه صنيعة الصهيونيه العالميه التى تسعى الى القضاء على الاديان تحت شعارات براقه (حرية ، مساواه ، اخاء) .

جاء فى البروتوكول الثالث من بروتوكولات حكماء صهيون :- " ونحن على الدوام نتبنى الشيوعيه ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعا لمبدأ الاخوه

(١) تاريخ الاستاذ الامام ص ٤٧ . (٢) العروه الوثقي ص ٢٤

(٣) مجله العربي الكويتيه العدد ٢٢٦ ص ٢٤ .

والمصلحة العامه للانسانيه ، وهذا ما تبشر به الماسونيه الاجتماعية "[(١)] .

وفى البروتوكول الرابع " ان المحفل الماسوني المنتشر فى كل انحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لاغراضنا . ولكن الفائده التى نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوه فى خطه عملنا وفى مركز قيادتنا - ما تزال على الدوام غير معروفه للعالم كثيرا "[(٢)] .

وفى البروتوكول التاسع " ان الكلمات التحريريه لشعارنا الماسوني هي الحريه والمساواة والاخاء وسوف لا نبدل كلمات شعارنا ، بل نصوغها معبره ببساطه عن فكره ، وسوف نقول (حق الحريه ، وواجب المساواه ، وفكرة الاخاء " وبها سنمسك الثور من قرنيه وحينئذ نكون قد دمرنا فى حقيقة الامر كل القوى الحاكمة الا قوتنا ، وان تكن هذه القوى الحاكمه نظريا ما تزال قائمة "[(٣)] .

وفى البرتوكول الخامس عشر " والى أن يأتي الوقت الذى نصل فيه الى السلطه ، سنحاول أن ننشىء ونضاعف خلايا الماسونيين الاحرار في جميع انحاء العالم ، وسنجذب اليها كل من يصير أو من يكون معروفا بأنه ذو روح عامه وهذه الخلايا ستكون الاماكن الرئيسيه التى سنحصل منها على ما نريد من أخبار كما أنها ستكون أفضل مراكز الدعايه "[(٤)] .

واذا كانت الماسونيه صنيعة الصهيونيه العالميه فان اهداف الصهيونيه - ولا أخالها تخفى - هدم الاديان والسيطره على العالم بأكمله والتحكم فى سياسته واقتصاده وشعوبه وفق مصالح اليهوديه العالميه وتسخير كل القوى وسلوك كل الطرق مهما كانت ملتويه .

ولا شك ان الماسونيه احدى تلك السبل التى سلكوها الى هذا الهدف وجعلوها ذرا للرماد فى العيون تحت شعار " حريه ، مساواه ، اخاء " وهي فى الحقيقة " قيديه ، طبقيه ، عداء " .

---

(١) الخطر اليهودى : بروتوكولات حكماء صهيون : محمد خليفه التونسي ص ١٢٧
(٢) المرجع السابق ص ١٣١ .   (٣) المرجع السابق ص ١٤٤ .
(٤) المرجع السابق ص ١٧٣ - ١٧٤ .

خدع كثير من الناس بهذا الشعار فدخلوها وما لبثوا ان ادركوا الغموض الذى يحيط بها فغادروها مسرعين .

الا ان السيد الافغاني قدم في ٢٢ ربيع الثاني ١٢٩٢ هـ طلبا للانضمام الى المحفل الماسوني هذا نصه :-

يقول مدرس العلوم الفلسفيه بمصر المحروسه جمال الدين الكابلى[1] الذى مضى من عمره سبعه وثلاثون سنه باني ارجو من اخوان الصفا واستدعي من خلان الوفاء اعنى ارباب المجمع المقدس الماسون الذى هو عن الخلل والزلل مصون ان يمنوا علي ويفضلوا الي بقبولي فى ذلك المجمع المطهر وبادخالي فى سلك المنخرطين فى ذلك المنتدى المفتخر ولكم الفضل .

"انظر الصوره رقم ٢ "

ربيع الثاني يوم الخميس
٢٢ سنه ١٢٩٢ هـ
التوقيع

ولم ينسحب من المحفل بل كان من الاعضاء البارزين ذوى النشاط فيه ولهذا تم اختياره بعد سنوات ثلاث رئيسا للوج كوكب الشرق بتاريخ ٧ جنايو ١٨٧٨ م باغلبيه الآراء ووجهت له دعوة بهذا التاريخ لاستلام القادوم بعد اتمام ما يجب من التكريز الاعتيادى والحضور بالزى الرسمي الماسوني الاسود ورباط الرقبه والكفوف بيضاء "انظر الصورة رقم ٣ " .

ولم يكتف السيد الافغاني بهذا بل ازداد نشاطه فى ميدان الماسونيه فاعتزل هذا المحفل الاسكتلندى وانشأ محفلا وطنيا تابعا للشرق الفرنساوى وفي برهه وجيزه بلغ عدد اعضائه العاملين اكثر من ثلاثمائه "[2] .

ولم يزل يبذل جهوده فى هذا الميدان حتى صدر الامر بنفيه فى ٦ رمضان سنه ١٢٩٦ هـ ٢٤ اغسطس ١٨٧٩ م وجاء فى القرار "انه رئيس جمعيه سريه من الشبان ذوى الطيش مجتمعه على فساد الدين والدنيا "[3] . وكتب الى بعض الشخصيات من غير أن يذكر اسما يستنجد بها مما حلّ به ويزعم أنه مظلوم فيما نسب

---

(١) نسبه الى كابل وهي عاصمه افغانستان فهو كابلى أو افغاني .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ٢٠ .
(٣) جمال الدين الافغاني : عبد الرحمن الرافعي ص ٤٦ . وانظر الصورة رقم / ١ .

يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلي

الذي مضى من عمره سبعة وثلثون سنة بأني أرجو من اخوان الصفا

واستدعي من خلان الوفا أعني ارباب المجمع المقدس الماسون

الذي هو عن الخلل والزلل مصون ان يمنوا علي ويتفضلوا الي

بقبولي في ذلك المجمع المطهر وبادخالي في سلك المنخرطين

في ذلك المنتدى المفتخر ولكم الفضل

٢٨ ربيع ١٢٩٢

جمال الدين

لوج كوكب الشرق
نمره ١٢٥٥

في القاهره بمصر في ٧ حبايرو ١٨٧٨ / ٥٨٧٨

الى الاخ جمال الدين محترم
انه لمعلوم لديكم بان في جلسة ٢٨ الماضي وباغلبية الاراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج
لهذا العام ولذا قد نهنيكم ونهني ذواتنا على هذا الحظ العظيم وعن امر الرئيس محترم الحالي
ادعو اخوتكم للحضور يوم الجمعه القادم ١١ الجاري الساعه ٢ عربي بعد الغروب الى محل هذا
اللوج لاجل استلامكم القادم بعد اتمام ما يجب من التكريز الاعتيادي ثم تبصير يوم
الخميس ١٠ الجاري الساعه ٥ افرنكي فا تكريز رئيس محترم لوج كونكورديه فالرجا حضوركم
في اليوم المذكور للاشتراك في الاشتغال وفي الحالتين ملابسكم تكون سودا ورباط الرقبه
والكفوف بيضا واقبلوا منا العناق الاخوي ::

كاتب سر
نقولا
شكوج

صوره رقم (٣)

اليـــه ، " انظر الصورة رقم ١ " .

ونفي من بعده تلميذه واحد اعضاء محفله الشيخ محمد عبده ووجد في منزله كتاب الماسون بخط السيد الافغاني كما اعترف بهذا الشيخ نفسه في خطـــاب منه الى استاذه الافغاني (انظر الصوره رقم ١٦) .

ولم ينقطع نشاط السيد الافغاني الماسوني بعد نفيه من مصر فان التـــاريخ يحدثنا انه في " جمادى الاولى سنه ١٣٠٣ [1] سافر السيد الى البلاد الايرانية بدعوة من الشاه ناصر الدين فنال مكانه ساميه وتزاحم حوله الامراء والمجتهـــدون والكبراء وتمكن من نظم كثير منهم في سلك الماسونيه " [2] .

وكان له نشاط ماسوني في فرنسا ايضا حيث قدم طلبا للعضويه في اللـــوج باريس وتم قبوله (انظر الصوره رقم ٤ ، ٥) .

واذا ثبت بما لا يقبل الشك انتماء السيد الافغاني للماسونيه ، وثبت ان الماسونيه وليدة الصهيونيه العالميه وسبيل من سبلها لتحقيق اهدافها في هدم الاديان والسيطره على العالم فان الواجب تقصّي الحقائق في سيرة الرجـــل الافغاني والبحث عن حقيقة اهدافه .

أما الزعم بأن الافغاني كان مخدوعا بمبادئ الماسونيه (الحريه المســـاواة الاخاء) ولم يعرف حقيقتها وصلتها بالصهيونيه لان بروتوكولات حكماء صهيـــون لم تنشر الا بعد وفاته فانه زعم باطل .

ذلكم ان من الصحف من قامت بكشف حقيقة الماسونيه آنذاك فقد تصـــدت جريدة البشير الجزويتيه الصادره في بيروت للماسونيه ولم تغفل عن مهاجمتها وكشف اسرارها دواما " [3] .

وقد تصدت لهذه الجريده صحف مصريه ماسونيه مثل " اللطائف " و " المقتطف و " البيان " و " الفلاح " و " النصوح " و " المقطم " بردود كثيره ودفاع عن الماسونيـــه ومبادئها [4] مما يثبت وقوع مناقشات حاده في الصحف عن الماسونيه وهـــــذا

---

(١) أي بعد نفيه من مصر بسبع سنوات تقريبا .
(٢) مصطفى عبد الرازق : المرجع السابق ص ٢٥ .
(٣) الصحافه المصريه وموقفها من الاحتلال الانجليزي : سامي عزيز ص ٣٠٩ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٠٨ - ٣١٨ .

لوحة ١٧

23 Rue de Provence

Paris 27 Mars 84

Monsieur & T∴ C∴ F∴

Vous avez fait dans
le temps une demande
d'affiliation à la resp.
Loge le Libre Examen
On avait nommé une
Commission pour vous
visiter. Malheureusement
par suite d'un événement
imprévu cette commission
n'a pu disposer son
On vient

صوره رقم (٤)

d'un nouveau et d'une
nouvelle dont je fais
partie
Vous voudriez donc
m'écrire si vous êtes
toujours dans les
mêmes intentions et
m'indiquer l'heure
à laquelle nous pourrions
vous visiter.
Agréez Monsieur et T.·.
C.·. F.·. mes salutations
frat.·.

G.·. Langgaesser

الترجمة التقريبية للصورتين رقم (٤) و (٥)

(صوره رقم ٥)

باريس فى ٢٧ مارس ١٨٨٤م

اللوج

السيد / جمال الدين الكابلى

لقد قدمت منذ فترة طلب التحاق الى . . . . . . رئيس

لامتحان حر

لقد عينوا لجنة لزيارتك و لسوء الحظ هذه اللجنة لم تستطع لحدث غيـــر

متوقع (غير منتظر) ولقد عينوا لجنة أخرى أنا عضو بها .

يجب اذاأن تكتبلى اذا كنت ما زالت عندك نفس النوايا (الرغبة) محـــددا

لى الوقت الذى نستطيع فيه زيارتك .

يدعوا الى التأكد من صحة اهدافها قبل الانضمام اليها من كل شخص فكيف بمن يريد الاصلاح وينتسب اليه .

فان زعموا ان السيد لم يقرأ هذه الصحف أو لم تصل اليه اعدادها سلمنا - جدلا - وقلنا صدر من الكتب سنه ١٨٩١ م أى قبل وفاة الافغاني بست سنوات كتاب الحقيقه الاسرائيليه " وجاء فيه " الروح الماسونيه هي نفسها الروح اليهودية لا اختلاف فى معتقداتها الاساسيه فآرآؤهما متماثله "[1] وقبل وفاة الافغاني باحدى وثلاثين سنه أى فى سنه ١٨٦٦م صدر كتاب " السر المكنون فى شيعة الفرماسون أو ماهيه الفرماسونيه على ما يشهد به اهلها وتدل عليه قوانينها وتنبىء به اعمالها " صدر فى بيروت وطبع كتاب مثله بالفرنسيه فى السنه ذاتها وهي لغه يجيدها الافغاني ، وفى سنه ١٨٨٥ م طبع كتاب " شيعه الماسونيين بمطبعه الآباء المرسلين اليسوعيين وفى سنتى ١٨٨٤ - ١٨٨٥ م نشر كتاب " الادله القاطعه على شرف الرهبانيه اليسوعيه وبيان كنه الشيعه الماسونيه " فى جزءين بمطبعه الآباء اليسوعيين[2] وفى سنه ١٨٨٥ م صدر كتاب شيعه المسونيين بلا الف بعد الميم هو مجموع المقالات التى نشرتها البشير عن الماسونيه[3] .

فان زعموا انه لم يقرأ هذا ولا ذاك سلمنا - جدلا - وقلنا اليس فى وجود اعضاء فى الماسونيه يسعون لهدم اركان الدين وتشتيت الفضيله ما يثير شكوكه فى اهداف الماسونيه فيحذرها فقد اعترف احد الماسونيين وهو جورجي زيدان بوجود هؤلاء الاعضاء فى المحافل الماسونيه حيث يقول " فقد اتهم رجال الدين الماسونيه بالكفر وانها انما تسعى لهدم اركان الدين وتشتيت الفضيله ، أما نحن فمع اجلالنا لهذه الجمعيه عن هذه التهمه ومع يقيننا انها برآء منها لا يسعنا

(١) الماسونيه احمد عبد الغفور عطار ص ٦٠ .
(٢) انظر كتاب السر المصون فى شيعه الفرمسون للاب لويس شيخو ص ٢٠٢ .
(٣) الماسونيه بلا قناع : ابو صادق ص ٢٣٤ .

الانكار أن بين اعضائها أفرادا قليلين ربط تصح عليهم تلك التهمه "[١] .

فان زعموا ان هذا كله لا تقوم به حجه ولا يستقيم به برهان ـ سلمنا جدلا ـ وقلنا خذوا القاضيه القاصمه .

أيّ شيء اراد الاستاذ محمد المخزومي تلميذ الافغاني ان يخفيه عنا حسين قال " أما انخراط جمال الدين فى الماسونيه . . . فنختصره على قدر ما تسمح به الطريقه الماسونيه "[٢] .

ثم ان اردتم ان نسير على منهج " من فمك ادينك " فانا فاعلون .

بعد دخول الافغاني الى المحفل الماسوني تغيّرت ثمّ لهجته فى احاديثه واخذ يقرب منه العوام[٣] لأى شيء يفعل هذا ؟ أتظنون أنه فعل ذلك ليوضح لهم ما يجهلونه من امور دينهم وليزع الخرافات والمعتقدات الزائفه من اذهانهم والبدع والمنكرات من افعالهم ؟ كلا ، انه يقربهم ليقول لهم " انكم معاشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد وربيتم بحجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك والرعاة حتى اليوم وانتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون[٤] لوطأه الغزاه الظالمين "[٥] الى ان قال " تناوبتكم ايدى الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والاكراد والمماليك ثم الفرنسيس والمماليك والعلويين وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ويهيض عظامكم بأداة عسفه ، وانتم كالصخره الملقاة فى الفلاة لا حس لكم ولا صوت "[٦] .

فعدّ السيد الافغاني الفتح الاسلامي لمصر دخول عرب ، وعدّ دخول العرب على حدّ تعبيره استعبادا واستبدادا وقرنه باستعباد اليونان والرومان والفرس والفرنسيس واستبدادهم ثم يسترسل فى حديثه فيقول " انظروا اهرام مصر وهياكل منفيس وآثار تيبه ومشاهد سيوه وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة اجدادكم .

---

(١) الصحافه المصريه وموقفها من الاحتلال الانجليزى : سامي عزيز ص ٣٠٨ عن تاريخ الماسونيه : جورجي زيدان ص ٢٥١ - ٢٥٣ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ١٧ - ١٨ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا ج ١ ص ٤٦ .
(٤) تعنون : تخضعون
(٥) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٤٦-٤٧ وزعماء الاصلاح فى العصر الحديث : احمد امين ص ٧٨-٧٩ .
(٦) المرجع السابق .

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ∴ ان التشبه بالرشيد فلاح "[1]

اذن فهو لا يدعو عوام المسلمين الذين قربهم اليه بعد انضمامه الى الماسونيه لا يدعوهم الى الدين الاسلامي اذ هو يشق جلودهم بمضع نهمه ويهيض عظامهم باداة عسفه كاليونان والروطان والفرس والفرنسيس ، لا يدعوهم الى الديـــن الاسلامي وانما الى النظر الى اهرام مصر وهياكل منفيس .. الخ وكلها آثار فرعونيـــه شاهدة على جاهليه تعبد الاشخاص والكواكب من دون الله ، ولاشك ان دعوتـــه الى النظر فيها دعوة الى الاقتداء بأصحابها .

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ∴ ان التشــبه بالرشيد فـــلاح

اذن فهي دعوة الى نبذ الدين الاسلامي - كما افهمها - وهي جزء مــن اهداف الماسونيه التي تحارب الاديان .

ثم ومما يزيد الأمر وضوحا ان الرجل ذكر آثارا ميته وجيفا منتنه ولم يذكـــر مصنع الرجال لكونه مأثره اسلاميه . اعنى الجامع الازهر ما الداعي الى هـــذا التجاهل ضد الاسلام ومآثره ؟ وهل لهذا ايضا صلة بانتمائه الى الماسونيه ؟ !

وبعد .. فلعلى اطلت الحديث هنا في هذا الموضوع لأنه الميزان الدقيق الذى نزن به الرجل هنا ، ولأنه يكفى في بيان حقيقة الرجل أيّ رجل اثبـــات انتمائه الى الماسونيه ..

فان كان فيما ذكرنا من أدله ما يثبت انتماء الافغاني الى الماسونيه وظهـــور أثرها في احاديثه واقواله فقد انجلت الحقيقه .. حقيقة الرجل . وان كانـــت لا تكفى لاثبات ذلك فانها ولاشك اصابع تشير الى الافغاني بالاتهام .

وفـــــاته :

مكث جمال الدين في الآستانه زهاء اربعة اعوام حتى داهمه السرطان فـــى فكه الاسفل وعملت له ثلاث عمليات جراحيه بيد اشهر الاطباء ولم تنجح فمات فـــى ٧ شوال ١٣١٤ هـ الموافق ٩ مارس ١٨٩٧م ودفن في نشان طاش في مقـــبره .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٦-٤٧ وزعماء الاصلاح في العصر الحديث : احمد امين ص ٧٨ - ٧٩ .

" شيخلر مزارلقي " اى مقبره المشائخ [١] وقال طبيبه الخاص ان شـــدة ولع جمال الدين بالسيجار الافرنجي وكثرة شربه للشاى وتناوله الطعام مالحـــا كان من مسببات السرطان [٢] " حتى قال بعض تلاميـــذه .

الملح والشاى والدخـــان اودت بروح شيخنا الافغاني [٣]

ومن المؤسف ان يتحامل بعض المؤرخين [٤] وينسب قتله الى الخليفه المسلم السلطان عبد الحميد ويصف السلطان بأنه اكبر طغاة الملوك فى عهده مما لا مجال للرد عليه هنا ونكتفي بنقل كلمه لمستشرق فرنسي حيد رباطات حيث يقول " ولكـــن من القحمه كما يظهر ان يذهب كما صنع بعض مترجميه الى انه سمّ بأمر من السلطان فالروايه التى تعزو موته المفاجئ سنه ١٨٩٧م الى سرطان ظهر فى الشفه السفلى فاستولى على جميع وجهه بالتدريج اقرب الى الحق كما يلوح وقد نقل جولـــد زيهر هذه الروايه فوكدها لنا الامير شكيب ارسلان الذى كان من تلاميذ جمـــال الدين وعاشره فى السنين الاخيره من حياته " [٥] .

ونزيد - ايضا - لو كان للسلطان نيه في قتله لسلمه لحكومة ايران التى اتهمته بالاشتراك فى قتل ناصر الدين شاه فطلبته من تركيا مع اثنين من شركائه سلمتهما تركيا فأعدما ورفضت تسليم الافغاني .

حقيقته والمآخذ عليه :

مما لا شك فيه ان حياة هذا الرجل مليئه بالاسرار ويحيطها الغموض [٦] وتلتبس فيها الحقائق بالاكاذيب ومما يزيد الأمر سوءا انه لم يؤرخ للرجل مؤرخ معتـــدل فغالب من أرّخ له اما معجب به بالغ الاعجاب مبالغا في الثناء عليه متجاوزا عـــن

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : ج١ ص٩٢ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني ص٣٩ ، ٤١ .
(٣) جمال الدين الافغاني عبد القادر المغربي ص١٢١ .
(٤) منهم محمود ابو ريه كتب فصلا كاملا في " المؤامره الكبرى بالسيد جمال الدين ليصرعوه بالآستانه " .
(٥) مجالي الاسلام تأليف حيد رباطات ترجمة عادل زعيتر دار احياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٦م ص٤٩٩ .
(٦) العروه الوثقي ص١٨ .

كثير من اخطائه تكلّ عينهعن كل عيب فيه اعمته عين الرضا عن الحقيقه واما رجـل حاقد كاره بالغ في قدحه وذمه يحمل منه كل شارده وارده ما لا تحتمله اعمته عين السخط عن الحقيقـه .

وزاد بعض تلاميذه الا مرسوءا فأخفى بعض اعماله زاعما ان الطريقة الماسونيه لا تسمح بذكره[1] .

ويزيد الأمر حينما نعلم ان اكثر نشاطه كان سريا[2] . ولكن مع هـذا الغموض فانا نجد في بعض افعاله واقواله مآخذ لا نراها الا خطيره توجب اعادة النظر في تقويم بعض الرجال كما قال الدكتور محمد محمد حسين ونحن حين ندعوا الى ذلك لا نريد ان ننقص من قدر احد ولكننا لا نريد ان تقوم في مجتمعنـا اصنام جديده معبوده لا ناس يزعمون انهم معصومون من كل خطأ "[3] .

وقد سبق لنا ان ذكرنا بعض هذه المآخذ في نشاطه الماسوني وفي تفسيره وفي الجامعه التي يدعو اليها وغير ذلك مما لا داعي لاعادته هنا .

وأول ما يصادفنا في حياته من غموض الاختلاف في اصله اهو ايراني أم افغاني وهو يذكر انه افغاني في كثير من اقواله ورسائله واحيانا يسمي نفسه "الكابلـي" أو "الحسيني" وكلها القاب يعرف بها الرجل ويشكك في صحة هذا كثير مـن المؤرخين ويزيد الأمر شكا ان التاريخ لا يحدثنا عن عودته او محاولته الاتصـال بأهله وعشيرته في افغانستان بعد خروجه منها بينما يذكر عودته المتكـرره الى ايران ويذكران معظم من يتصل به في تركيا ايرانيون وقنصل ايران قدم لـه العون عند نفيه من مصر والذي يقوم بدور الترجمه له في العروه الوثقي ايرانـي .

ونحن لا يهمنا معرفة اصله أايراني هو ام افغاني بقدر ما يهمنا معرفة الدافـع له الى التنكر ولا يقنعنا وحده القول بأنه انما تنكر حتى يستطيع الخلاص من رقابة الحكومه الايرانيه لرعاياها في الخارج .

(١) خاطرات جمال الدين الافغاني ص ١٨ .
(٢) الاسلام والحضاره الغربيه محمد محمد حسين ص ٦٥ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٩ .

ومع انه كان يدعو الى تنقية الدين الاسلامي مما علق به من الخرافات كتقديس الاموات والتبرك بهم ونحو ذلك الا انا نراه يستغل هذه النقطة ابشع استغلال فيلجأ الى مقام عبد العظيم خوفا من ناصر الدين شاه ويثير فيهم الحميه لهذا المعتقد الباطل بالانتقام من ناصر الدين شاه فيقول " وأما قصتي وما فعله هذا الكنود الظلوم معي فمما يفتت اكباد اهل الايمان ويقطع قلوب ذوى الايقان ويقضى بالدهشه على اهل الكفر وعباد الاوثان ان ذلك اللئيم امر بسجني وانا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السلام"[1] ويصف هذا المقام بأنه " حرم من دخله كان آمنا "[2] .

بل ويحاول ان يظهر بالقداسه امام العوام ولو كان بالكذب والخداع حكى عنه سعد زغلول انه ذكر لهم انه كان في سفينه خيف عليها الغرق فرأى في الركاب خوفا فأكد لهم ان السفينه لن تغرق ثم قال " لو غرقت السفينه لم اجد منهم احدا يكذبني وان سلمت ظهرت بالقداسه من اقرب سبيل "[3] .

ومن المآخذ عليه اتخاذه الاغتيال سبيلا لتحقيق مآربه فقد قال مره في حديث له مع الاستاذ براون لا امل في الاصلاح قبل قطع ستة أو سبعة رؤوس وسمى بالاسم شاه العجم وكبير وزرائه وكلاهما قتل بعد ذلك[4] وحينما طلب من السيد ان يكف عن مقاومة الشاه مقابل ما يشاء ويتمنى اجاب " لا اتمنى الا ان تزهق روح الشاه ويشق بطنه ويوضع فى القبور " قال عبد القادر المغربي كل هذا سمعته من فم شيخنا الافغاني الذى كان يرويه بطلاقة لسان وتوقد جنان "[5] وقد أمر فعلا بالقتل حينما قال رضا آغاخان يوما انه حاضر ان يفدى نفسه لتخليص امته فقال له جمال الدين (ان كان كذلك فاذهب وافعل)[6] وأمر السيد رجاله

---

(١) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغاني سعيد الافغاني دار الكاتب العربى القاهرة ١٩٦٧م / ١٣٨٦ هـ ص ٧٧ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام ج١ ص ٥٥ .

(٣) نابغة الشرق جمال الدين الافغاني ص ٩١ - ٩٢ وجمال الدين الافغاني عبد القادر المغربى ص ٥٠ - ٥١ .

(٤) الاسلام والتجديد في مصر تشارلز آدمز ترجمه عباس محمود لجنه ترجمه دائره المعارف الاسلاميه ص ١٥ .

(٥) جمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ص ٤٩ .

(٦) من بحث للامير شكيب ارسلان في حاضر العالم الاسلامي لوثروب ستودارد الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ دار الفكر ج ٢ ص ٢٩٥ .

الافغانيين انهم اذا رأوا ميرزا في حيهم يقتلونه [1] بل ان قاتل ناصر الدين شاه قال عندما انفذ فيه خنجره :- خذها من يد جمال الدين [2] ولما بلغ الافغاني ذلك قال كلمات تدل على الاعجاب بالقاتل [3] وذكر محمد عبده ان الافغاني أمره بقتل الخديو اسماعيل [4] .

وعاب احمد امين على الافغاني هجاءه لناصر الدين شاه فقال " هذه زلة كبيرة من السيد دعاه اليها حدته وحبه للانتقام اذ كيف اجاز لنفسه التشهير بحكومه شرقية اسلامية في بلاد اجنبيه تتخذ من اقواله حجة للتدخل الذى طالما حاربه في العروه الوثقي وكيف استباح ان يفضح هذه العيوب ثم قارن بينه وبين مدحت باشا الذى نفاه عبد الحميد بلا مال ولا ثياب ولا اهل فلم ينطق بكلمه في ذم عبد الحميد بل تكلم الكلام الكثير في فضل الاتراك على اورويه ثم قال الحق انها غلطة من غلطات السيد دعا اليها حدة مزاجه [5] .

وقد نسب اليه بعضهم القول بنظريه داروين والحق انه لم يقل بذلك بل رد عليها بما يبطلها [6] مع تحاملفه على من ايدها وحمده لهم الجهر بمعتقدهم ولو خالف الجمهور [7] .

ومما يؤخذ عليه كثرة لعنه ، ولا نعيب عليه اللحن بقدر ما نعيب عليه اباحته ذلك فقد قال في هجاء رجل " هذا رجل من نسل البقروت " فعابوا عليه استعمال بقروت فأجابهم ألا تقولون جبروت وملكوت ورهبوت فلماذا تمنعون عني قول بقروت فقالوا : ان بقروت لم ترد في كلام العرب فقال وهل تريدون مني ان انكر نفسي [8] .

(١) جمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ص ٥٧ .
(٢) جمال الدين الافغاني : محمود ابو ريه ص ٣١ .
(٣) زعماء الاصلاح في العصر الحديث احمد امين ص ١١٢ .
(٤) التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر ص ٣٥٤ .
(٥) زعماء الاصلاح في العصر الحديث احمد امين ص ١٠٤-١٠٥ .
(٦) انظر خاطرات جمال الدين الافغاني ص ١١٤-١١٨ .
(٧) خاطرات جمال الدين الافغاني ص ١١٦ .
(٨) جمال الدين الافغاني : لعبد القادر المغربي ص ١١٠ .

ومن احسن الردود على هذا قول الاب انستاس الكرملي "اجل اننا لا نريد ان نسير برأى اهل الباديه فى لغتنا لكننا نريد ان نسير على المناحي والمنازع التى تلقيناها من السلف جيلا بعد جيل واصلهم من الباديه ولا نقبل ان ندخل فى لغتنا مثل البقروت بحجة ان جمال الدين نطق بها "(١) وقد عرف من رأى السيد انه يجوّز استعمال الدخيل واللفظ الاعجمي ويقول اذا اردتم استعمال كلمه غير عربيه فما عليكم الا ان تلبسوها كوفيه وعقالا فتصبح عربيه وقد كنّى بالكوفيه والعقال عن التعريب "(٢) وكان يقول "كان المقصود فى النحو ان يكون آله قصيره جمود النحاة غايه "(٣) .

ومما يثير الريبه والشكوك فى الافغاني هذا الخليط من اليهود والنصارى الذى يحيط به ، سليم نقاش من نصارى الشام وهو ماسوني ووضع كتابا تبدو فيه اهداف الماسونيه بارزه فى عنوانه " مصر للمصريين " وهو يذكرنا بدعوة الافغاني للمصريين بالنظر ليس الى الآثار الاسلاميه بل الى الآثار الفرعونيه المصريه ، وفى هذا فصل لمصر عن المسلمين والاسلام .

واديب اسحاق من اكثر الدعاة الى الماسونيه حماسا وقف نشاطه الصحفى على هذا وهو ايضا من نصارى الشام انتظم فى سلك الماسونيه سنه ١٨٧٣ م فى محفل انشأه الماسون فى بيروت ذلك العام ثم وقف نشاطه على الدعوه الى الماسونيه فى بعض الصحف ولم يكتف بهذا بل قام بطبع مقالاته تلك فى كتاب ضخم (٤) ومع هذا فقد كان الافغاني لآخر نسمه من حياته - كما يقول تلميذه المخزومى - عند ذكر اديب بك اسحاق يسترجع ويقول : كان طراز العرب وزهرة الادب ، قضى نحبه فى شرخ الشبوبيه وعنفوان الفتوه وترك لنا قلوبا آسفه وشجونا فائضه انا لله وانا اليه راجعون "(٥) .

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الثامن الجزء العاشر ص ٦٢٦ .
(٢) جمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ص ١٠٩ .
(٣) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ٢٧٨ .
(٤) الماسونيه بلا قناع : ابو صادق ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٥) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ٢٢ الهامش .

ومع هذا ايضا فقد اسند الافغاني اداره أول صحيفه انشأها (مصــر) الاسبوعيه سنه ١٨٧٧ م الى اديب اسحاق هــذا ؟! ثم ساهم فى انشــاء جريدة (التجاره) وتولى رئاستها اديب اسحاق وسليم نقاش وكان الافغانــي يساهم بالكتابه فيها ويوصى تلاميذه بخدمة هاتين الصحيفتين قلما وسعيا [١] .

وهكذا نرى الافغاني يمكن النصارى من اجهزه الاعلام ويصرف النقود ويفتـح المطابع ويحصل على الامتيازات ليسلمها لهم .

وكان من المحيطين به من النصارى جورج كوتجى وطبيبه الخــــاص هارون يهودى [٢] . ولم يحضر وفاته الا كوتجى النصراني وهارون اليهودى وعنـد قدومه الى مصر يسكن فى حارة اليهود [٣] .

ومن المآخذ عليه صلته بالانجليز المريبه ورجال الانجليز ، وفى الحقيقــة انه لم تتضح لي حقيقة علاقة الرجل بالانجليز فهو معهم أحد رجلين لا محالــه : اما عدو ساذج مغفل اتخذوه مطيه لهم لتحقيق مآربهم ، واما صديق مخلــص ذو مكر ودهاء .

وحسب ما نعـرف من تاريخ الرجل فان أول صلة بينه وبين الانجليز حينمـا انضم الى محمد اعظم فى افغانستان ضد شيرعلى وانتصر الثاني لتأييد الانجليز له ولم يجد الافغاني بدا من الهرب .

وفى مصر كان يؤلب عليهم الناس حتى يقوموا بالثورة العرابيه ، وفى ايــران يحرض مفتى ايران على تحريم الدخان لابطال احتكار الانجليز له فى ايران تمهيـدا لاحتلالها وفى باريس ينشئ مجلة العروة الوثقى التى تحارب الانجليز اينما حلـوا وتشنع عليهم وهو مع هذا يسرح فى بلادهم ويمرح ويتردد بين لندره وباريز ولا يلقى سوى الترحيب .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا ج١ ص٤٥ .
(٢) الاسلام والحضاره الغربيه : محمد محمد حسين ص٦٩ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج١ ص٤٤ .

صحيح انهم أدّوا الى تحليل العروة الوثقى لكن صاحبها لا يجد مانعا من اللجوء الى سفير بريطانيا فى الآستانه ليساعده على الخروج منها [(١)] ولا تجد انجلترا مانعا قبل ذلك من عرضها له توليه السلطه فى السودان [(٢)] وقبل هذا وذاك لا يجد السيد الافغاني مانعا من دخول المحفل الماسونى الاسكتلندى ولا يجدون هم انفسهم مانعا من تعيينه رئيسا للمحفل .

ولا يجد مانعا من التعاون مع الانجليز ! ضدّ من ؟ ضدّ الخلافه الاسلاميه ؟ ! ! قال السلطان المهضوم عبد الحميد فى مذكراته التى نشرت موءخرا " وقعت فى يدى خطه أعدّها في وزاره الخارجيه الانجليزيه كل من مهرج اسمه جمال الدين الافغاني وانجليزى يدعى بلنت ، قالا فيها باقصاء الخلافة عن الاتراك واقترحا على الانجليز اعلان الشريف حسين امير مكه خليفه على المسلمين " [(٣)] .

لهذا فلا عجب ان يصفه السلطان عبد الحميد بقوله " كان رجل الانجليز ومن المحتمل جدا ان يكون الانجليز قد أعدّوا هذا الرجل لاختبارى " [(٤)] .

أما بلنت هذا الذى اشار اليه السلطان عبد الحميد فهو وزوجته من اصدقاء الافغاني الانجليز وهو وزوجته ذوى نشاط مريب فى بلاد العرب ويكفى نشاطهما ريبه دعوتهما الى انشاء دولة عربيه حليفة لانجلترا تصبح مقرا للخلافه الاسلاميه ويكتب بلنت فى ذلك كتابه المشهور المسمى " مستقبل الاسلام " [(٥)] .

وصلة الافغاني ببلنت هذا وزوجته ايضا صلة مريبه فهى التى تفاوض باسمه الحكومه البريطانيه وتبدى رأيها له فى بعض المسائل وتطلب منه توجيهاته بعد هذا (انظر الصوره رقم ٦) وتسعى لعقد الاجتماعات بينه وبين كبار الشخصيات حتى الايرانيه منها فتنظم له لقاءً مع مالكوم خان (انظر الصورة رقم ٧) سفير

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٧٢ وحاضر العالم الاسلامى شكيب ارسلان جـ ٢ ص ٢٩٦ .
(٢) جمال الدين الافغاني : محمود ابو ريه ص ٥٣ .
(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد ترجمه محمد حرب عبد الحميد ص ٦٧ .
(٤) المرجع السابق ص ٦٨ .
(٥) الاسلام والحضارة الغربية : محمد محمد حسين ص ٦٨ .

الى صديقنا العزيز حضرة السيد جمال الدين الحسيني حفظه الله

بعد السلام ان اخبركم من طرف قريني ان حصل مفاوضة في معنى ما تكلمنا عنه وبعض تحريرات والحكومة لا قبلت الاغراض تقدم لها ولا إمتنعت قطعًا انما في المكاتبة الاخيرة التي وردت الينا من طرف مستر غلادسطون قيل هكذا — انه من الممكن حصول إتفاق على إرسال مرسل الذي يعطى له ورقة أمان حتى يذهب الى الخرطوم ويخبر المهدي بالتعليمات أمر بها اللورد وولسلي وانها كما يأتي "يجب عليه (اللورد ولسلي) يبعث الى الحكومة في الحال ايًا كان بلغه من المعروضات من طرف المهدي" — وانا على هذا رديت جوابًا إنني ساخبر حضرتكم بقولهم وانما حسب رائي لا بدَّ ان يظهر لكم غير كافيًا ـ ثم مع ذلك اظن ان الحكومة تريد مفاوضات في الصلح وأنها تريد ايضًا ان لا تكشف مرادها للناس — ولو حصل إتفاق على ارسال مرسل يكون المرسل من انتعينه واردت اسأل افكاركم على من احسن هل ابراهيم او عبده او غيرهم. ودمتم في حفظه تعالى والسلام ختام

المحبة
المخلصة
علما بلونت

صوره رقم (٦)

Crabbet Park,
Threebridges,
Sussex.

الى صديقنا العزيز السيّد جمال الدين
الحسينى حفظه الله
بعد السلام وصل جواب من صديقكم
ملكوم خان ويقول فيه انه جدًا فرحان
على ملاقاتكم وان تفضلوا وتوجهوا
الى بيته غدًا يوم السبت ساعة ١١
وبيته 80 Holland Park
ونحن نسافر من هنا مع القطر ﻓ
الساعة ٨ غدًا ووصولنا ﻓ 10 James St
ﻓ الساعة (نحو) ١٠ والسلام
المحبة المخلصة
ﻏانا بلونت

١٥ اوغوست ١٨٨٥

صوره رقم (٧)

ايران لدى جمع الدول الاوربيه وهو نصرانى ذو ميول اوربيه (١) وتفاوض باسمه بريطانيا فى مسأله مصر ومسأله السودان وتكتب اليه بجواب الوزراء الانجليز (انظر الصورة رقم ٨) .

ومن يقرأ بتمعن تأريخ بلنت وزوجته يدرك انهما يحاولان الظهور بمظهر التعاطف مع قضايا (العرب) حتى ضد الانجليز ولكن حقيقتهما انهما من رجال الانكليز واكبر هذا دعوتهما لفصل العرب عن الخلافه الاسلاميه وانشاء دوله عربيه حليفه لانجلترا تصبح مقرا للخلافة الاسلاميه وفى هذا وحده ما يكشف حقيقتهما .

فما علاقة الافغاني بهما وكيف يسمح لنفسه ان يتعاون مع الانجليز لهدم الاسلام والخلافه الاسلاميه وهو يسعى بزعمه وزعم المخدوعين به الى الوحده الاسلاميه ؟!

ويتسآل الدكتور محمد محمد حسين لماذا كانت عداوته الشديده للاستعمار الانجليزى دون الفرنسي والهولندى ، فلم ترد فى صحيفه العروة الوثقي اشارة للاستعمار الفرنسي للجزائر كما لم ترد فيها اشارة للاحتلال الهولندى لاندونيسيا ولم تشر الا اشارة عابره لاحتلال الهند الصينيه (٢) .

ومن المآخذ على الافغاني تلك العبارات الخطيره والالفاظ المنحرفه وهي وان كانت غير صادره منه ولكنها من تلاميذه وموجهة اليه ولو لم يكن بها راضيا لردع تلاميذه عنها وعرفوا كراهيته لذلك فارتدعوا ولكنه لم يفعل فلم يفعلوا .

فمن ذلك ما كتبه اليه تلميذه ابراهيم اللقاني :-

" لو أذن لي سيدى واستاذى وربّ روحي ومعدّل مزاجي ومقوم خلائقي ومحور خلقي ومحرر فطرتي " (انظر الصوره رقم ٩)

---

(١) يروى عنه مستر بلنت فى تاريخه السرى لاحتلال انجلترا مصر ص ٦٤-٦٥ قوله " ربما كان يهمكم ان تسمعوا حكاية دين اسس فى فارس قبل مضى عدة سنين وقد كنت زعيمه فى يوم من الايام " ويقول " وقد ادركت عبث الاجتهاد في تنظيم فارس على مثال اوربا فصممت على الباس مشروعي اللباس الذى يفهمه الناس هناك . لباس الدين " !!

(٢) الاسلام والحضاره الغربيه : محمد محمد حسين ص ٦٩ - ٧٠ .

الى حضرة صديقنا العزيز المحترم الفاضل
الامير جمال الدين الحسيني حفظه الله
بعد السلام هذه ترجمة جواب الوزراء
(مضمونه) انهم لا يقبلون امتيازاً بين
مسألة مصر ومسألة السودان فان
حسب ظنهم تدل وحدة المسألة على ان
يتعاسر عليهم المكاتبة مع مستر بلونت -
ومع ذلك اشاروا على عدم ورود
التماس اليهم او طلبة ورقة امان
من طرف احد من وكلاء المهدي للمرور
اليه بين عساكر الانكليزي بقصد تسليم
اليه رسالة - هذا وقيل ايضاً انهم
(الوزراء) لا يقولون وعسى انهم
لا يعرفون اى جواب يردون لو بلغهم
الطلبة المذكورة آنفاً ويا صديقنا العزيز
ماذا ينبغي ان يفعل في الامر ومني
ومن قريني الف الف سلام

المحبة
المخلصة
عانا بلونت

٢٢ ابريل
[١٨٨٥]

صوره رقم (٨)

من بيروت في ١٤ مارس ١٨٨٤

لو اذن لي سيدي واستاذي ورب روحي ومعدل مزاجي ومقوم خلائقي ومكون خلقتي ومحرر
فؤادي أن ابث اليه شكايتي منه أو لو يسمح في الادب وكان مكاني في مجلس مولاي رحيبا فاشفي
بعتبه ما ضاق به صدري ومن لي لو اذن السيد او لو سمح الادب بلسان لا يتلعثم وذهن لا يتزعزع
وانا بين هول المشتكى منه وجبروت المشتكى اليه وشدة باعث العتاب وجلال المعاتب عليه
اما والله لقد كان لصباح سيدنا في كتابه الاخير الي تراب من التأثير ما كاد يخسف بي الارض ويدكدك
علي السماء هولا واضطرابا ما كادت تسيل به نفسي ويجمد دمي فرقا وانزعاجا ما اوشك ان
يطير بمشاعري حيرة واندهاشا كأن لشدة في وفائنا وخرق في فؤادنا لو علم شدة وقعه لرحمنا
من ان يخاطبنا به وخز وددت لو انه أسال ما اسال من دمي على قدمي سيدي ليتطهر ماذا يكتب في
ارقه من دلائل الوفاء وبراهين الولاء وخز لو ان سأل السيد ديته عليه فوق ان يأمرنا بأن
قسمت الجلود بتشريح ذات صدر الفؤاد عند ما يجهز الوخز عليه ليطلع على ما ملأه من الولع والشغف بمحبة
مربيه حفظه الله ليعلم وهو العليم الحكيم اني ما كتبت ولا اكتب الى جنابه الاقدس الا عن املاء فؤاد
هذه صفته وذلك شأنه ولا يأسف على ما عاناه في تربيتنا وعلاج نفوسنا من المتاعب والاوصاب
اذ ليس الذي اصابني من شكه في وفائي الا كالذي اصابني مما احسست بأنه قد نزل به من
الاسف عند عروض هذا الشك له وهين لدي ان اذهب قبل هذا الشك دون ان يورثه
مولاي ادنى أسف او كدر . وليت شعري علام هذا كله وقد قلبت ظاهري وباطني وخبرت
سري وعلانيتي وفتشت جسمي وروحي وبحثت في غرائزي وملكاتي وجربت غيبتي وشهودي
فلم اجد الا ولاءً ووفاءً وشغفا ووجدا وطاعة وامتثالا واتباعا وانقيادا وميلا
واجذابا وخضوعا وخشوعا وسجودا وركوعا كل ذلك للسيد وفي السيد وبالسيد والى السيد
ومن السيد وعلى السيد فلم ولماذا هذا الريب بنا وعلام العجز في شكه فينا . ألأن انا مصريون
(واأسفاه على المصريين من بين الامم) نعم نحن مصريون (وان يكن الولد ابن ابيه ظنا) ولكن الم
نصاحب سيدنا طرا الم يربنا ولدنا الم يبدنا خلقا جديدا بلى والله لقد كشف عن بصائرنا

صوره رقم (٩)

وجلا صدأ نفوسنا وغسل درن ارواحنا وطهر دنس طباعنا واذهب رجس اخلاقنا
ومهد لنا سبل الفضائل وسد دوننا ابواب الرذائل واودعنا روحا هي بضعة من أشعة نوره
ولا انفكاك للشعاع عن مصدره شرقي او غربي . فاي طبع للمصريين او للمغاربة او للمردة
او للشياطين لا يتحول بتلك التربية ام اي جبلة للبهائم او للانعام او للوحوش لا تتغير
بذلك العلاج ام اي نفس بشرية او كلبية او خنزيرية او قردية تعاود مرارة الجفا بعدما
ذاقت حلاوة التهذيب ولا ارى السيد تقدس سره يتمثل هنا احتجاجا علينا بقول القائل

اذا كان الطباع طباع سوء   فلا ادب يفيد ولا اديب

فوالله لئن بلغت منا الخسة والدناءة والخبث مبلغا لا نهتدي معه الى جادة لما ضللنا سبيل البر
بسيدنا واستاذنا وولينا فليتق الله فينا ويرحم نفوسنا ان يقتلها صبرا بشكه في وفائها ولا
يحوجها الى ان تطالبه بظلامتها فيما تنشده

تنشر عن الحب ما حادث وما فعلت   باي ذنب وقال الله قد قتلت

فنحن جاليون في اي زمان واي مكان وعلى اي حال واي شكل واي وضع واي هيئة
وباي اعتبار واي حسبان واي نظر وبالجملة فنحن نحن والسلام

هذا محصل ما كنت اريد ان اجعله موضوع شكايتي وهو باعث عتابي ولم اشك ولم اعاتب رهبة
وتأدبا وحسبي بعدل السيد منصفا لي منه . استغفر الله بل لو اشاء فوق ان يكشف لي عن وجه
الشك لاتوب مما اجرمتني وما هو فيما اظن الا ما وقع الى مسامعه الشريفة عن الشيخ محمد عبده فاعتقده
صدقا ثم جعل سائر المصريين في ذلك حكما واحدا (وسرعان ما يصدقنا وسرعان ما يحكم) فان
صدق ظني فيها انا عن اذن السيد اكشف عن كذب تلك الشهادة كما وعدت في الحاشية التي وقعتها على
رسالتي التي تراجع حملها البريد الى السيد منذ خمسة ايام
وذلك ان الدهر لما تنقل بنا الى الفرقة والشتات على ما بسطته لمولاي قبل هذا كان الشيخ محمد عبده قد
صادف لدى رياض باشا قبولا واعزازا خصوصا بعد ان علم انه ثمرة من ثمار غرس سيدنا ومربينا
فصار له وثوق به واعتماد عليه بل جعل له حظا من امره ونهيه وحله وعقده مجد في القيام
بفرائض هذه المنزلة جدا اشغله عن الناس واضطره الى الاقلال من زيارتهم فان اوقات فراغه
كان يستغرقها مع الباشا في مصلحة ومنفعة فرمي لذلك بالكبر والتيه ثم اذ صدقه في خدمته جعله

لوحة ٨

(٩٨ جـ)

يميل مع أهل ليبيا مال ولا يبتدي اغراض الناس بحقوق المصلحة فكان اذا احس احد من ذلك
سوءة او مذمة مما نسبوه الى تصدر الشيخ محمد وتعده أذاهم وهو برئ مما نسبوه اليه ولا صحة
لذلك مطلقا وهو ان سليم النقاش اخذ عند اعانة فرانسا على تونس يروج سياستها ترويجا لم
تنحو نحوه جريدة فرنساوية حتى احتاط لامره جميع المسلمين حوله وحتى في الكثير منهم اشمئزاز
وهو لو لم يزدد ذلك الا خبثا وعنادا ومع ذلك فالشيخ محمد لم يبال ولم يتعرض قانونا
المطبوعات من اول وهلة بل اخذ يكاتبه من عند نفسه مكاتبة ودادية يبين له انه لا ينبغي له ان
يسلك هذا المشرب خشية ان يضطر الى اجراء حكم القانون عليه ويذكره بما لقومه من خلقنا وما تأخذنا
عليه من وصف المشرب والذود عن الشرق وبنيه فلم يرعو ولم يرتدع حتى وقف وقفة رايس بها
ذات يوم على جريدته وهاله ما رأى فيها فاستدعى الشيخ محمد [illegible] ووبخه على اغماضه عنها وكلفه
بانذارها على الفور فما كان من سليم نقاش بعد تلك الفضائح الا ان هذا الانذار يتعمد الشيخ محمد
واضلاله منه غيظا وشاركه سعيد البستاني في تعنيفه عنادا وجهلا فاخذ هذان الشخصان يفعلان
في حق هذا المسكين ويفتريان عليه القبائح والمساوي كذبا واختلاقا وقد كانت غاية سليم
النقاش من مسعاه في جريدته عن ذلك التحول ان يحصل على حماية فرنساوية كما صرح لنا بذلك وجعلهم
موضوع تحصله لدى الشيخ محمد اثر الانذار

واضف يا سيدي الى ما ظنه الناس في الشيخ محمد من الشبه والى ما نسبوه اليه من تعده أذاهم ما
نحوهم من الحقد والحسد بسبب تقدمه تقدما جعل الصغير والكبير والعظيم والحقير يهابه ويخشاه ما
وتزلف اليه ويتملق له وليس الحسد من تقدم وتنقل الى المنازل العالية تدريجا كالحسد من طفر اليها
وثبة واحدة بل هذا اقرب للغيظ وادعى في اشعال الافئدة فجمع هذه الاسباب ثم تقع
للشيخ محمد صديقا او حبيبا الا بعض من كانت تحملهم حضرة السيد السلمين على ان تلك الاسباب لم
تسوه اكثر مما ساءه احتمال احد فاكر من المسيحيين الذين كانوا يعدون [illegible] صاحب الانتقاد
[illegible] ولا عجبا ينسب لهم في حديث لا يعقلونه [illegible] يعرفونهم الميل اليه [illegible]
[illegible] ولقد كانت [illegible] في جميع [illegible] البستاني حتى انه
هذا [illegible] اللوم [illegible] الشيخ محمد [illegible] على [illegible] من معاني الانسانية بل
[illegible] الى درجة البهيمية فانه [illegible] الحياة الشيخ محمد [illegible]

صوره رقم (١١)

عليه [illegible] بل عوضنا عن ان تأخذه الرأفة والرحمة عليه مما يكمل الاعداء [illegible]
الاحباب [illegible] من القسوة والوحشة والرداءة [illegible] اذ قدم الى مجلس [illegible]
[illegible] الشيخ محمد [illegible] جملة امور منها انه كان يغري [illegible] [illegible]
[illegible] وما [illegible] لو كان ادبيا وعلميا كما كان يوصف [illegible] [illegible] ايضا

ومن [illegible] ان ابا تراب عندما [illegible] لم [illegible] ولم يجتمع [illegible] واضرابه [illegible]
قلبه نفرة ووحشة من الشيخ محمد [illegible] بانه [illegible] الا [illegible] خاطره عن تلميذه
[illegible] انه [illegible] الادبا [illegible] وان [illegible] ان يشفق
[illegible] يوما ما [illegible] فينجلي ويتبين فتبيض وجوه وتسود وجوه

ها انا قد بسطت [illegible] حقيقة الواقع تخلصا من اثم الانكار عليه ووفاء بحقوق الاخوة التي بيني
وبين الشيخ محمد [illegible] من جميع [illegible] عليه [illegible]
[illegible] ان شاء الله [illegible] قبل سيدنا [illegible] خاطره
[illegible] علينا [illegible] منهم [illegible] من سيدي [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] وهل [illegible] ذكرا [illegible]

[illegible] في هذا المقام [illegible] حال [illegible] ومخلوق [illegible]
[illegible] من اكرام المسلمين [illegible] في وقت آخر [illegible] وقدمه

[illegible] فضلكم
[illegible]

وانا [illegible] علي [illegible]
[illegible] ابو تراب [illegible]
[illegible]

صوره رقم (١٢)

ويكتب اليه السيد رشيد رضا مصليا ومسلما عليه بعد رسول الله وآلــه فيقول :- "الحمد لله على افضاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآلــه وعلى سيدى بل السيد المطلق ، ذى القدح المعلى والجواد المصلى الاسبق ، سدرة منتهى العرفان ، وجنة مأوى المحاسن والاحسان الذى له فى كل جوّ متنفس، ومن كل نار مقتبس ، الامام المفرد والعقل المجرد "الى ان قال " مهبط الفيض مصعد الكلم الطيب مجلى سر الجمال الاكمل "(١) .

ويكتب اليه الاستاذ الامام محمد عبده ما هو أشدّ وافظع واخطر على عقيدة المسلم (انظر الصور رقم ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ وسنذكره عند الحديث عن محمد عبده - ان شاء الله - .

ومن المآخذ على الافغاني ان السلطان عبد الحميد استشاره فى ارسال بعثة من العلماء لنشر الاسلام فى اليابان حسب طلب امبراطور اليابان فأرجعه عن عزمه وقال له " ان العلماء نفروا المسلمين من الاسلام فأجدر ان ينفروا الكافرين "(٢) .

ومنها تحليله عدم زواجه بخشيته عدم العدل ، ومنها قسمه الذى يقسم به وعز الحقّ وسرّ العدل ، ومنها انه يشرب " قليلا من الكونياك "(٣) .

ويطول بنا الحديث لو اردنا استقصاء ذلك ، ولعل فيما ذكرنا اشاره لمؤسس هذه المدرسه العقليه الحديثه والباعث لها وهو وان كان الغالب على نشاطه السياسه لا الدروس العلميه التى هي مرادنا لكنه هو الذى وجه الامام محمد عبده وتلاميذه الى هذه الطريقه واخذ بيدها اليه حتى سلكته وحمدت له ذلك واعترفت له .

أما امام هذه المدرسه واستاذها فهو الشيخ محمد عبده وهذه ترجمتـه .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٨٥ .
(٢) نابغة الشرق جمال الدين الافغاني : سعيد الافغاني ص ١١٦ وجمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ص ٣٢ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٤٩ .

ثانيا - محمد عبده

لئن كان السيد جمال الدين الافغاني هو المؤسس لهذه المدرسة فان محمد عبده هو الذى اقام صروحها ودعا اليها ونشرها بين الناس فكان بحق هو صاحبها وهو استاذها وامامها الاول فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لاستاذه السيد جمال الدين ولعل شهرة محمد عبده توجب علينا الاقتصار في ترجمته على بعض معالم حياته التى نستشف من ورائها اتجاهه الفكرى ليس الا .

اسمه ونسبه :

هو محمد بن عبده بن حسن بن خير الله .

حدث عن نفسه فقال " كنت اسمع المزاحين من اهل بلدتنا يلقبون بيتنا ببيت التركمان فسألت والدى عن ذلك فأخبرني ان نسبنا ينتهى الى جدّ تركماني جاء من بلاد التركمان "[1] وقال " أما بيت والدتي فيقال انه عربي قرشي وانه يتصل في النسب بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ولكن ذلك كله روايات متوارثة لا يمكن اقامة الدليل عليها "[1] .

مولده ونشأته :

ولد في حصة شبشير من قرى اقليم الغربيه ونشأ فى قريه " محلة نصر " تبعد عن دمنهور نحو خمسة عشر كيلو مترا .

ولد فى أواخر سنه ١٢٦٥ هـ وتعلم القراءه في منزل والده بعد ان جاوز العاشره ثم حفظ القرآن في سنتين انتقل بعدها الى المسجد الاحمدى بطنطا ليتعلم التجويد ومكث سنة ونصفا لم يفهم فيها شيئا لرداءه طريقة التعليم فيها حسب قوله[2] عاد بعدها الى محلة نصر وتزوج سنه ١٢٨٢ هـ ثم الزمه والده الذهاب الى طنطا للتعلم فاستطاع الهرب فى الطريق الى بلده " كنيسه اورين" ولجأ الى أحد اخوال ابيه واسمه الشيخ درويش الذى حبب اليه العلم وطلبه

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٦ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٠ .

بسبب طريقته في التدريس حتى صار طلب العلم وتحصيله أحبّ شيء الى نفسه .
أقام عند الشيخ درويش ١٥ يوما انتقل بعدها الى طنطا خوفا من والده
الذى وجهه اليها للدراسه ثم انتقل الى الازهر فى منتصف شوال ١٢٨٢ هـ
فداوم على طلب العلم على شيوخه ويعود الى محلة نصر فى آخر كل سنة
ليتلقى الدروس من الشيخ درويش الذى يسأله ما درست المنطق ؟ ما درست
الحساب ؟ ما درست شيئا من مبادئ الهندسه ؟ وكان الاستاذ الامام
يلتمس عند عودته الى القاهره هذه العلوم عند من يعرفها الى ان جاء
السيد جمال الدين الافغاني في شهر المحرم ١٢٨٧ هـ فتلقى عنه بعض
العلوم الرياضيه والفلسفيه والكلاميه ويدعو الناس الى التلقي عنه فقرأ
على السيد الزوراء للدواني في التصوف وشرح القطب على الشمسيه والمطالع
وسلم العلوم فى المنطق والهدايه والاشارات وحكمة العين وحكمة الاشراق
في الفلسفه وعقائد الجلال الدواني فى التوحيد والتوضيح مع التلويح فى الاصول
والجغميني وتذكرة الطوسي فى الهيئه القديمه وكتابا آخر في الهيئه الجديده.(١)

وظهر تأثير السيد على الاستاذ سريعا فبدأ في الكتابه والتأليف واتفق
مع بعض الطلاب على ان يقرأ لهم بعض الكتب فى المنطق وعلم الكلام مما لم يكن يقرأ
مثلها في الازهر فكثر سواد المجتمعين عليه .حتى اشتهر امره مما احفظ عليه
قلب الشيخ محمد عليش الذى بلغه ان محمد عبده يقرأ كتب المعتزله والمتكلمين
فى الازهر ويرجح مذهبهم وكان الشيخ عليش -كما يقول العقاد - رجلا صالحا
عفيفا عن المطامع الدنيويه التى كانت تستهوى طلاب المظاهر من علماء عصره وكان
مخلصا صادق النيه فى كراهة البدع التى يخشى منها على الدين (٢) وكبر عليه
رحمه الله ان يقرأ احد مثل تلك الكتب فى الازهر فأرسل الى محمد عبده وناقشه
نقاشا افضى الى نزاع وخصومه قيل انه ترك التدريس على اثرها فى الازهر وقيل انه
لم يتركه وانه كان يضع بجانبه عصا وقال اذا جاء الشيخ بمكازه فله هذه العصا .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ١ ص٢٦ .
(٢) الامام محمد عبده لعباس محمود العقاد دار الكتاب العربي بيروت . لبنان
سنه ١٩٧١ م ص ١٤٠ .

وعرض نفسه على لجنة الامتحان في الازهر لنيل شهادة العالميه في سنه ١٢٩٤ هـ فحصل عليها ولم يكن نيله لها بالمانع له من الاستمرار في طلب العلم فكان له في طلبه ثلاث مراحل [(١)] :

الاولى : الطلب على طريقة الازهر المعروفه من مناقشه في عبارات المتون والشروح والحواشي والتقارير .

الثانيه : ثم تحول عن تلك الطريقه الى طريقه السيد الافغاني الذى اطلقه من التقيد بعبارات المؤلفين وتعويده الحكم باليقين مع تطبيقه على حال المسلمين الحاضره .

الثالثه : ثم اضاف الى هذا النظر في علوم الافرنج فقرأ ما ترجم من الكتب ثم تعلم الفرنسيه وصار يقرأ بها .

المصلح المعلم :

عين بعد نيله الشهاده العالميه مدرسا في دار العلوم للتاريخ وفي مدرسة الالسن الخديويه للعربيه في اواخر سنه ١٢٩٥ هـ مع مداومته على التدريس في الجامع الازهر فدرس في دار العلوم مقدمة ابن خلدون وكان غرضه من ذلك بث افكاره الاصلاحيه في السياسه وفي المجتمع وفي التعليم عبر ذلك الدرس الذى يفتح له المصارع في الحديث عن تلك الامور من اوسع الابواب وكان يكلف تلاميذه بكتابة المقالات ليعود هم الاحساس بمشاركته في الاصلاح والنقد فتكون آراؤه لديهم اكثر قبولا وتأثيرا الا انه لم يلبث طويلا حتى عزل لصلته بالسيد جمال الدين الافغاني الذى صدر الامر بنفيه . عزل عن التدريس وأمر بالمقام في بلده لا يبرحه حتى صدر الامر بالعفو عنه سنه ١٢٨٧ هـ وعين رئيسا لتحرير الجريده الرسميه "الوقائع المصريه" مما سنعرض له بعد وفي سنه ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م حكم عليه بالنفي لاشتراكه في الثوره العرابيه وتوجه الى الشام حيث مكث فيه مده نفيه الا عشرة اشهر اقامها في باريس اصدر خلالها مع الافغاني جريده العروه الوثقى عاد بعد توقفها الى

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام لرشيد رضا الجزء الاول ص ١٠٣ - ١٠٤ .

الشام فبدأ دروسه في منزله في بيروت في السيره النبويه وقرأ في الجامع الكبير التفسير لا يلتزم كتابا وانما يقرأ في المصحف ويفسر[١] ودعي فى سنه ١٣٠٣ هـ الى التدريس في المدرسه السلطانيه فلبى وكان له فيها اصلاحات متعدده فزاد فى العلوم التوحيد ومعاملات الفقه والتاريخ والمنطق والمعاني والانشاء ووجد أن المختصرات في التوحيد لا تأتي على الغرض من افادة التلامذه والمطولات تعلو على افهامهم والمتوسطات الفت لغير زمانهم فأملى عليهم ما هو أمس بحالهم فكانت " رسالة التوحيد "[٢] ونقل الى العربيه رسالة " الرد على الدهريين " لاستاذه الافغاني وشرح كتاب نهج البلاغه ومقامات بديع الزمان الهمذاني[٣] .

كان هذا جزءا من مساهمته في الحركه العلميه أما اهم اهدافه في الاصلاح التعليمي فتلخصها لنا اللائحتان اللتان قدمهما احداهما الى الآستانه لاصلاح التعليم فى سوريا والثانيه الى اللورد كرومر لاصلاح التعليم فى القاهره بعد عودته من منفاه .

أما الاولى فقدمت في سنه ١٣٠٤ هـ الى شيخ الاسلام في الآستانه قسم الناس فيها الى طبقات ثلاث وعين لكل واحدة منها حدا من هذه الفنون فالطبقة الاولى العامه من اهل الصناعه والتجاره والزراعه ومن يتبعهم ينبغى ان توضع لهم كتب التعليم الدينى على الوجه الآتي :-

أولا : كتاب مختصر فى العقائد الاسلاميه المتفق عليها عند اهل السنه مع الالمام بشيء من الخلاف بيننا وبين النصارى وبيان شبههم في معتقداتهم .

ثانيا : كتاب مختصر في الحلال والحرام والتنبيه على البدع المستحدثه .

ثالثا : كتاب في التاريخ مختصر يحتوى على مجمل سيرة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وخلفائه ثم يتبع ذلك بتاريخ الخلفاء العثمانيين .

أما الطبقه الثانيه : فهم طبقه الساسه من يتعاطى العمل للدوله فى تدبير امر الرعيه وحماتها من العسكريين واعضاء المحاكم ورؤسائها ومأمورى الادارة

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٣٩١ .

(٢) انظر رسالة التوحيد : محمد عبده تصحيح محمد رشيد رضا الطبعه الحاديه عشره سنه ١٣٦٥ م دار المنار بمصر ص ٢ .

(٣) العروه الوثقى ص ٣٢ .

على اختلاف مراتبهم فتوضع لهم الدروس كالآتي :

أولا : كتاب يكون مقدمه للعلوم يحتوى على المهم فى فن المنطق واصول النظر وشىء من آداب الجدل .

ثانيا : كتاب في العقائد يوضع على قواعد البرهان العقلى والدليل القطعى مع التزام التوسط .

ثالثا : كتاب يفصل فيه الحلال والحرام وابواب الفضائل والرذائل ببيان اكمل مما في البدايه .

رابعا : تاريخ دينى يحتوى على سيرة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والفتوحات الاسلاميه والعثمانيه .

أما الطبقة الثالثه فهى طبقة العلماء من اهل الارشاد والتربيه واقتصر هنا على ذكر الفنون دون التعرض لاعيان الكتب الا قليلا على هذا الوجه :

أولا : فن تفسير القرآن الكريم كتفسير الكشاف وتفسير القمي والنيسابورى ومن اخذ طريقهما .

ثانيا : فنون اللغه العربيه .

ثالثا : فن الحديث مع التوفيق بينه وبين القرآن باطراح الضعيف والتوفيق بينه وبين ما يوهم المخالفه من الصحيح .

رابعا : فن الاخلاق والآداب الدينيه بتفصيل تام على نحو ما سلك الغزالي في الاحياء .

خامسا : فن اصول الفقه ونرى افضل كتاب لهذا المقصد الموافقات للشاطبى .

سادسا : فن التاريخ القديم والحديث .

سابعا : فن الاقناع والخطابه .

ثامنا : فن الكلام والنظر في العقائد .

وهذه الطبقة الاخيرة ينبغى ان تكون تحت نظر شيخ الاسلام وتكون ادارتها تحت عنايته فى سلك خاص ويدعى لها بالمدرسين المتبصرين ولا يعطى الطالب منها شهادة عاليه الا بعد امتحان شديد في العلوم المتقدمه والبحث الكامل عن سيرته

في احواله واعطاله والتحقق من تقدمه في الفضيلتين العلم والعمل [(١)] .

أما اصلاح التعليم في مصر فقد تمثل في اللائحه التى قدمها الى اللورد كروم ممثل الاحتلال البريطاني وبدأ تلك اللائحه ببيان اهميه الاصلاح وان حاجة الحاكم الى صلاح الناس ليست بأخف من حاجتهم الى صلاحه ويشبه الحاكم بالصانع والمحكومين بالآله فهو كاتب مثلا وهم قلمه فلا يكتب القلم بلا كاتب ولا يكتب الكاتب بلا قلم ثم يحث المستعمر على اصلاح التعليم ويسهل له الأمر مبينا ان اهل مصر قوم سريعوا التقليد اذكياء الاذهان اقوياء الاستعداد للمدنيه بأصل الفطرة فحاكمهم اذا كان رأسا فهم بدنه واذا كان عاملا فهم آلته فلابد من استصلاحهم حتى يستقر سلطانه عليهم زمنا مديدا ثم يبين ان الاصلاح فى المدارس التى ليس عليها رقيب سوى اهل السلطه السياسيه لا غير فلهم ان يأخذوا من الدين اصوله ويغرسوها في المدارس ويحملوا نفوس طلاب العلم عليها ولا يستعرضون لما زاد عنها ثم بين انهم لن يجدوا من يعارض من اهل الدين لانهم لا يهتمون بما لا يقع تحت نظرهم مباشره .

المدارس الاميريه

ثم تكلم عن المدارس الاميريه وانه ليس فيها شئ من المعارف الحقيقية ولا التربيه الصحيحه ثم بين رغبة الناس فيها زمن اسماعيل ليستريحوا من نفقة ابنائهم وان يتعلموا ما يؤهلهم للقيام بعمل من اعمال الحكومه . أما تكوينه بالتعليم والتربيه رجلا صالحا فى نفسه يحسن القيام بالاعمال التى تسند اليه فلم يخطر ببال المسلمين ولا من ولاهم امر التعليم .

المدارس الاجنبيه

أما المدارس الاجنبيه على تنوعها فاختلاف مذاهب المعلمين والمتعلمين يضعف اثر تلك المدارس من التربيه العموميه فقليل من المصريين من يرغب فى تعليم اولاده فيها مع مداومتهم على نصيحة اولادهم بعدم الالتفات الى ما يقوله المعلمون فيها حفظا لاعتقادهم . مما يحدث الاضطراب فى طبيعة الفكر والتزلزل فى الاخلاق وقد احدثت هذه المدارس النفره في قلوب المسلمين .

(١) انظر تاريخ الاستاذ الامام محمد رشيد رضا الجزء الثانى في المنشآت . الطبعة الثانيه مطبعه المنار بمصر سنه ١٣٤٤ هـ من ص ٥٠٥ الى ص ٥١٩ .

الجامع الازهر

هو مدرسه دينيه عامه يأتي الناس اليها اما رغبة في تعلم العلوم الدينيه رجاء ثواب الآخره واما طمعا في امتيازات لطلاب العلم فيه ومما يؤسف عليه انه لا نظام لها فى دروسها ولا يبالي الاساتذه بحضور الطلاب أو غيابهم وفهمهم أو عدمه وصلاح اخلاقهم ام فسادها ويتعلمون طرقا من العقائد على منهج يبعد عن حقيقته اكثر مما يقرب منها ثم يتكلم عن اصلاح الازهر وانه لابد ان يكون بالتدريج في تغيير نظام الدروس وجعلها فى البدء تحت قواعد ساذجه قريبه من الحاله الحاضره فيها بوجوب الحضور للطلبه والا حرم من الامتياز وكل استاذ يسأل عن طلبته وتغيير برنامج الدروس وزياده اصناف من الكتب وتعديل نظام الامتحان النهائى وشروطه .

ثم تكلم عن الكتاتيب الاهليه وان اصلاحها بالتدرج في اصلاح الفقهاء المدرسين فيها ثم تكلم عن المكاتب الرسميه الابتدائيه والمدارس التجهيزيه والمدارس العاليه بوجوب غرس مبدأ الصلاح فى نفوس التلاميذ ليحسنوا استعمال ما تعلموا ثم يتحدث عن المعلمين والمربين ومدرسه دار العلوم وشروط الانتساب اليها وغايه انشائها وهي اعداد خريج الازهر لتدريس العلوم العربيه والدينيه ويستغرب امر نظار دار العلوم وجهلهم بالدين والعربيه ويرى امكانيه حلول دار العلوم هذه عن الجامع الازهر ولكن يلزم لذلك امور اثنا عشر ذهب يعددها كاصلاح البرنامج وحذف بعض العلوم وتغيير طريقة تفسير القرآن واختيار المعلمين الصالحين وناظر للمدرسه وتحديد الدراسه فيها سنه للتدريب على التعليم ونحو ذلك . ثم انه يلزم كتب تؤلف جديدا ولوائح تنظم للعمل على مقتضاها كان ذلك ايجاز لتلك اللائحة التى نبذها من كتبت له وراء ظهره ولم يوافق الخديو توفيق على تعيين صاحبها بعد عودته من سوريا مدرسا فى دار العلوم بل أمر بأقصائه عن التعليم فعين قاضيا في الريف[1] .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ٢ من ص ٥٣٣ الى ص ٥٥٣ .

واستمر بعد هذا في اصلاحه للازهر الذى كان يسميه ب " الاصطبل " و " المارستان " و " المخروب "[١] ولم تتح له الفرصه للاصلاح الا بعد ان تولى عباس الثاني الخديويه سنه ١٨٩٢م الذى اراد مناهضه الاحتلال الذى استأثر بالحكم فقرب الزعماء والعلماء المصريين وكان من بينهم الاستاذ الامام محمد عبده فذكر له انهم تركوا له الازهر والاوقاف الاسلاميه والمحاكم الشرعيه وبصلاحها صلاح للبلاد وهي اقرب وسيله للقضاء على الاحتلال[٢] فأقتنع عباس بهذا واصدر مرسوما يقضي بانشاء مجلس لاداره الازهر من اعضائه محمد عبده سنه ١٣١٢هـ وأمرا بتعيين للشيخ حسونه شيخا للازهر سنه ١٣١٣ هـ بعد استقاله الشيخ الانبابي الذى يعارض هذا الاتجاه فبدأ في الاصلاح الحسي والمعنوى فأنار المسجد وعين طبيبا وفتح صيدليه للازهر وانشأ الميضأه الصحيه وتجديد مبان صحيه في الاروقه وحددت مدة الدراسه وامتحان سنوى لمن يرغب مع مكافأه ماليه للناجحين واستبدال الكتب النافعه بالكتب الضاره - حسب قولهم - وجعل مدة دراسه المقاصد كالفقه والتفسير اطول من مدة الوسائل كالنحو والصرف وبزياده علم الاخلاق والتاريخ وتقويم البلدان والرياضيات وغير ذلك كثير من الاصلاحات التى نفذ القليل منها وترك الكثير اذ لم يلبث ان تغير ظن عباس باشا بالاستاذ الامام أدّى الى خلاف فاستقال محمد عبده في محرم سنه ١٣٢٣ هـ وكان هذا آخر جهوده في اصلاح التعليم . فمات بعد ذلك بفتره قصيره .

ومن الملاحظ اني استطردت في هذا الموضوع اذ هو المراد الاكبر الذى وجه اليه الاستاذ الامام همه وفكره اذ كان يرى ان النهضه الاسلاميه لن تكون الا باصلاح التعليم وخالف استاذه الافغاني الذى يرى ان السبيل الى ذلك " الثوره السياسيه " فكانت دعوة الاول علميه والثاني سياسيه .

وقد كان للامام نشاط سياسي ايضا نشير اليه .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٩٥ .

(٢) المجددون في الاسلام عبد المتعال الصعيدى مكتبه الاداب ومطبعتها بالجماميز ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ص ٥٣٤ - ٥٣٥ .

المصلح السياسي :

كان من اهداف الامام الاصلاح السياسي للبلاد حيث يقول " وهناك امر آخر كنت من دعاته والناس جميعا في عمى عنه وبعد عن تعقله ولكنه هو الركن الذى تقوم عليه حياتهم الاجتماعيه "[١] ثم يبين دعوته بقوله " ذلك هو التمييز بين ما للحكومه من حق الطاعه على الشعب وما للشعب من حق العداله على الحكومه "[١] ثم يبين حالها " وجهرنا بهذا القول "[١] و حال الدوله " والاستبداد في عنفوانه والظلم قابض على صولجانه "[٢] وحال الداعي " نعم انني لم أكن الامام المتبع ولا الرئيس المطاع غير اني كنت روح الدعوه "[٢] وزاد هذه الدعوه اشتعالا اتصال صاحبها بالافغاني الذى زادها اتساعا وعمقا ولم يلبث الافغاني ان نفي من البلاد لهذا النشاط وعزل الامام عن عمله واجبر على الاقامه في بلده وبعد العفو عنه وعودته الى العمل كانت في البلاد حركه ضد الاحتلال يقودها عرابي كان من اسبابها نشاط الافغاني السابق نفى الامام ان يكون له بها صله بل انه كان يحذرهم من هذا الاسلوب ويندد بزعمائها حتى ارسل اليه عرابي من يتهدده[٣] ويعلل رشيد رضا رفض الامام للحركه مع دعوته للاصلاح السياسي انه كان يحاول ذلك برضا الامير وحكومته لا بالخروج عليه[٤] ولما استفحلت الحركه العرابيه وضرب الاسطول الانجليزى الاسكندريه انضم الشيخ محمد عبده الى العرابيين وبعد القضاء على الثورة العرابيه حكم على الامام بالنفى ثلاث سنوات فاتجه الى الشام ثم غادرها بعد ذلك الى باريس حيث التقى هناك بالافغاني وانشآ جريدة العروة الوثقى التى كانت حربا على الاستعمار الانجليزى وكانت الافكار للافغانى والعباره للامام[٥] ثم توقفت الجريده بعد فترة قصيره واهتزت العلاقة بين الاستاذ وتلميذه فقد كان الاستاذ يرى الاستمرار في الاصلاح عن طريق الثورة السياسيه واكتفى محمد عبده بما حصل له من السياسه ورأى التحول الى اسلوب التربيه والتعليم

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٢ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ١٢ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ١٤٦ .
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ١٤٩
(٥) جمال الدين الافغاني محمود ابو ريه ص ٤٣ وانظر تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٢٨٩ .

قائلا لاستاذه "أرى ان نترك السياسه ونذهب الى مجهل من مجاهل الارض لا يعرفنا فيه احد نختار من اهله عشرة غلمان او اكثر من الاذكياء السليمي الفطرة فنربيهم على منهجنا ونوجه وجوههم الى مقصدنا فاذا اتيح لكل واحد منهم تربيه عشره آخرين لا تمضي بضع سنين اخرى الا ولدينا مئة قائد من قواد الجهاد في سبيل الاصلاح ومن امثال هؤلاء يرجى الفلاح "فقال له السيد انما انت مثبط نحن قد شرعنا في العمل ولابد من المضي فيه مادمنا نرى له منفذا[1] فكان الفراق . وعاد الامام الى الشام وازدادت العلاقة سوءا بين الاستاذ وتلميذه حينما كتب الثاني الى الاول بعد استقراره في الآستانه كتابا غفلا من التوقيع وتلميحا لبعض الاشخاص من غير ذكر اسمائهم ففضب السيد وكتب اليه يقول بعد الدعاء له بتثبيت الجأش "تكتب ولا تمضي وتعقد الالغاز ... انك في آفاق مكفهره .. وامامك الموت .. لا ينفعك الحذر من الاول ولا ينجيك الخوف من الثاني فلا تضيق على نفسك فكن فيلسوفا يرى العالم العوبه ولا تكن صبيا هلوعا .. قوى الله قلبك"[2] .

ولعل هذا آخر ما كان بينهما من تواصل[3] بل ويوضح لنا انقطاع الصله بينهما انا لا نرى للامام كلمه في رثاء استاذه[4] .

ونهج الاستاذ الامام بعد عودته سبيل الاصلاح التعليمي وازدادت كراهته للسياسه شده وغمز في طريقة استاذه بتخطئته اذكياء المسلمين الذين يريدون خدمة الاسلام من طريق السياسه[5] وبلغ كرهه للسياسه أوجه حين قال " اعوذ بالله من السياسه ومن لفظ السياسه ومن معنى السياسه ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسه ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسه ومن كل أرض تذكر فيها السياسه ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يجن او يعقل في السياسه ومن ساس

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٤١٦ - ٤١٧ .
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٨٩٧ .
(٣) زعماء الاصلاح في العصر الحديث احمد امين ص ١١٥ - ١١٦ .
(٤) جمال الدين الافغاني عبد الرحمن الرافعي ص ١٣٢ .
(٥) تاريخ الاستاذ الامام ص ٤٢٥ الجزء الأول .

ويسوس وسائس ومسوس "[١] وليس بعد هذا كره للسياســـه .

بقي ان نقول هنا انه ترك السياسه ولم تتركه بل استغلته واتخذ ته مطيه لها وخادما للانجليز من حيث يدرى او من حيث لا يدرى حيث يقول اللورد كرومر : " ان اهميته السياسيه ترجع الى انه يقوم بتقريب الهوه التى تفصل بين الغـــرب وبين المسلمين وانه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الاوروبي "[٢]

المصلح الصحفـــــي :

شارك الامام محمد عبده في الصحافه فبدأ الكتابه فى الاهرام ثم كتـــب فى التجاره وفي مصر بايماء من استاذه الافغاني[٣] الذى ساهم في انشائهما وكانتا مع غيرهما من المجلات كمرآة الشرق طوع اشارة الافغاني[٤] ثم وبعد نفي السيـــد والعفو عن الامام بعد عزله عن التدريس اسند اليه منصب التحرير لجريدة " الوقائع المصرية " وهى الجريدة الرسميه وقد ارادوا بهذا عزله عن الاصلاح والتعلـــــيم ولكنه قلب الموازين والمقاييس فجعلها منبرا لبث افكاره وآرائه بعد ان عين رئيســـا للتحرير فاختار لها محررين مهره ووضع لها لائحه انفذها رياض باشا وكان مــــــن احكامها ان جميع الادارات الحكوميه مكلفه ان تكتب للجريده بما عملت فأتمت ومـــا شرعت فيه ولم تتمه وكذلك المحاكم وان للجريده الحق فى نقد الاعمال والمكتوبــــات الرسميه والمراقبه على الجرائد عامه والتحقيق فيما تنشره من نقد فان كان حقـــــا وجب عقاب المذنب وان كان كذبا انذر مدير الجريده فاذا تكرر ثلاثا فلها منـــــع اصدارها البته أو الى اجل ومن حقها ان يجعل فيها قسم غير رسمي ينشر فيه ما يرى

---

(١) الاسلام والنصرانيه مع العلم والمدنيه محمد عبده ص ١١١ .

(٢) Modern Egept , : Cromer P. 180 .

(٣) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٤٥ .

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧ .

نافعا من المقالات الادبيه[1] فكان لها مكانه كبيره في بث افكاره ووقعت الثورة العرابيه ونفي الشيخ ، وانشأ مع الافغاني العروة الوثقى وكانت العباره فيهما كما قلنا سابقا عبارته والفكرة فكرة الافغاني وكانت لها مكانة في الكفاح ضد الاستعمار الانجليزى .

وعاد الى سوريا وكان له مشاركه في الصحف السوريه كجريده " ثمرات الفنون " البيروتيه وبعد عودته الى مصر استشاره تلميذه السيد رشيد رضا في اصدار مجله فأذن له وشارك في انشائها واختار لها اسم "المنار " ووجه صاحبها الى بعض الامور[2] وكانت تنشر دروسه واخباره وتفسيره للقرآن الكريم .

المصلح والتقريب بين الاديان :

لاشك ان اليهوديه العالميه " الصهيونيه " لا تألوا جهدا في سبيل تثبيت اركانها وتوطيد قوائمها ولا تترك سبيلا لتحقيق ذلك الا انتهجته .

ومهما كان من تناقض بين هذه المبادىء والمناهج فانها تلتقي في النهايه عند خدمه الصهيونيه العالميه .

فليست الرأسماليه الا وليدة الصيهيونيه العالميه وليست نقيضتها الشيوعيه الا وليدة افكارها ومبادئها وهما تلتقيان على خدمتها وترسيخ نفوذها مهما كان التناقض بينهما ظاهرا .

سعت الصهيونيه الى القضاء على الاديان كافه فانشأت الماسونيه وكانت لها محافل انجليزيه وفرنسيه وغيرها وكلها قد يبدو ظاهرها انها لا تخدم الا من ينتسب اليه اما الانجليز أو الفرنسيين مثلا ولكنها في الحقيقه فوق هذا وذاك هي في خدمة الصهيونيه العالميه .

ارادت الصهيونيه ان تفتح طريقا جديدا لتحقيق اهدافها حين ادركت ان بعض القوم قد ادركوا حقيقة الماسونيه وسعيها للقضاء على الاديان فأرادت وحتى تكون اكثر قربا للمتدينين ان يكون هذا الطريق طريق ديني بحت فأمرت اتباعها ببث فكره التقريب بين الاديان والقضاء على الفوارق الدينيه حتى يكون الناس كلهم أمه واحده .

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٠٠ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٣٧ - ١٣٩ .

وما تلكم الدعوة فى حقيقتها الا تذويب للاديان وامتصاص لعداوتها لليهوديه وحينما يتم التقريب بين الاديان فان العمانيه - حتما - هي النتيجة وحينئذ يسهل القضاء عليها لتزول الاديان كلها وتتحقق اهداف الماسونيه من طريق جديد - بل اهداف الصهيونيه .

غابت تلك الحقيقه عن اذهان كثير من المخدوعين بما ينتجه الغرب والمشدوهين بما يصدر منه من افكار ومبادئ ، أعماهم الاعجاب بالغرب عن التأمل فيما يبثه من افكار واكتفوا منه بصبغته الظاهره للعيان .

وكان من اولئك القوم المخدوعين رجال المدرسه العقليه الحديثه بزعامه استاذهم وامامهم محمد عبده فبعد ان توقفت العروة الوثقى وعاد الامام الى بيروت انشأ فيها جمعيه سياسيه دينيه سريه هدفها التقريب بين الاديان الثلاثه (الاسلام والمسيحيه واليهوديه) واشترك معه في تأسيسها ميرزا باقر ، وبيرزاده ، وعارف ابي تراب ، وجمال بك نجل رامز بك التركي قاضي بيروت ، ثم انضم اليها مؤيد الملك احد وزراء ايران ، وحسن خان مستشار السفاره الايرانيه بالآستانه ، والقس اسحاق طيلر ، وجي دبليو لينتر ، وشمعون مويال ، وبعض الانكليز واليهود وكان الامام صاحب الرأى الاول فى موضوعها ونظامها وميرزا باقر هو الناموس (السكرتير) العام لها [1] وهو ايراني تنصر وصار مبشرا نصرانيا وتسمى بميرزا يوحنا ثم عاد الى الاسلام .

ودعا أعضاؤها الى فكرتهم فى صحفهم ورسائلهم ، وهذا الشيخ محمد عبده يكتب رسالة الى القس اسحاق طيلر يقول فيها "كتابي الى الملهم بالحق الناطق بالصدق حضرة القس المحترم اسحاق طيلر أيده الله فى مقصده ووفاه المذخور من موعده " الى ان قال " .. ونستبشر بقرب الوقت الذى يسطع فيه نور العرفان الكامل فتهزم له ظلمات الغفله فتصبح الملتان العظيمتان المسيحيه والاسلام وقد تعرفت كل منهما الى الاخرى وتصافحتا مصافحة الوداد وتعانقتا

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد رشيد رضا جـ ١ ص ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢٨ .

معانقة الالفه ، فتغمد عند ذلك سيوف الحرب التى طالما انزعجت لها ارواح الملتين [١] " ويقول :- " وانا نرى التوراة والانجيل والقرآن ستصبح كتبا متوافقه ، وصحفا متصادقه يدرسها ابناء الملتين ويوقرها ارباب الدينين فيتم نور الله فى ارضه ويظهر دينه الحق على الدين كله " [١] ؟ ! !

بينما يردد الشيخ محمد عبده هذا القول وامثاله ينشر جي دبليولينستر مقال (الاسلام والمدارس المحمديه) فى الديلى تلغراف اللندنيه جاء فيه " واحسان المسلمين لمواليهم واشفاقهم على البهائم التى ترجع ايضا الى السرب وانفاقهم فى سبيل الخير والسذاجه التى هي من خصال المؤمنين الصادقين أحرى بأن تميلنا اليهم من أن نصيح على النبى الكاذب " [٢] وقال ايضا " وان كنا نريد ان نلصق المسلمين بالدولة الانكليزيه فيجب علينا ان نهب لهم الدين والدنيا " [٢] وقال " ومن جملة المساعي التى أوكد الشروع فيها ادخال الشبان المسلمين . . فى مدارسنا الحربيه " [٢] . ويقول اسحاق طيلر " ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح عليه السلام . . فهم عندنا مسيحيون نصلى لهم كل يوم أحد ونسأل الله يهديهم وايانا الى الحق والى طريق مستقيم " [٣] .

أىّ تقريب هذا ؟! الاول يضع نصب عينيه خدمه دولته الانكليزيه فيصور حاله المسلمين كما فهمها ويرشدها الى الطف المداخل لالصاق المسلمين بها وينصحها بالمزاوجه بين الدين والدنيا فى حكمها ويشير عليها بتدريب الشبان المسلمين فى مدارسها الحربيه ليكونوا اعوانا لهم فى تحقيق مساعيهم .

اين التوفيق والتقريب ؟ ! اللهم الا ان يكون اخضاع المسلمين للانكليز وايقاعهم في حبائلهم يعنى توفيقا [٤] .

---

(١) الاعمال الكاملة لمحمد عبده : جمع وتحقيق محمد عماره ج ٢ ص ٣٦٣-٣٦٤ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام : السيد محمد رشيد ج١ ص ٨٢٠ - ٨٢٢ .
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٨٢٦ .
(٤) الفكر الاسلامى المعاصر : غانزى التوبه ص ٢١ .

أما الثاني فيكشف عن مراده بالمسلمين " فهم عندنا مسيحيـــون " ويصلي لهم كل يوم أحد ويسأل الله لهم الهدايه .

ولعل أول ثمرة يجنيها اولئك القوم فى سعيهم الى التقريب بين الاديان القضاء على فكرة الجهاد فى الاسلام فمادامت الاديان الثلاثه كلها حق وليـــس بينها من فرق فليس هناك من داع لحمل السيف واعلان الجهاد ضد النصـــارى مثلا ، وهو الأمر الذى اقلق بريطانيا كثيرا وهي دوله نصرانيه فسعت بشـــتى السبل للقضاء على هذه العقيده الاسلاميه فانشأت القاديانيه التى حرمت قتال الانجليز والبهائيه كذلك ، وأيدت حركة أحمد خان الذى اعلن ان قتـــال الانجليز كفر وان مساعدتهم واجبه .

ومن اثر هذه الدعوه ما نراه بارزا فى حديث رجال المدرسة العقليـــة الحديثه من تقليل شأن الجهاد فى نشر الاسلام وانه قام على الدعوه باللســـان " وعللوا كل حركه من حركاته بأنها للدفاع بمعناه الاصطلاحى الحاضر الضيـــق "[1] فلقد زعم السيد رشيد رضا " ان حروب النبى صلى الله عليه وسلم للكفار كانت كلهـــا دفاعا "[2] .

لذلك فلا عجب ان تؤيد انجلترا تلك الجمعيه وذلك الاتجاه مادام فيـــه تحقيق لهدف طال ما سعت اليه وبذلت فيه الغالي النفيس وهو ابطال الجهـــاد لن نحاسب رجال المدرسه العقليه بزعامه استاذهم بحقيقة عصرنا الـــتى كشفت زيف هذه الدعوات فى توحيد الاديان ففي الوقت الذى يدعو فيه بعـــض المسلمين الى التقريب بين الاسلام والنصرانيه ويتنقلون بين باريس والفاتيكـــان تقوم بعض الدول النصرانيه باشعال نار الحرب الصليبيه المباشره فى لبنـــان ، لا للتقريب بين المسلمين والنصارى فيه بل لطرد المسلمين وانفراد النصـــارى به واقامه دولة نصرانيه فى لبنان كالدوله اليهودية فى فلسطين ، ولا غرو ان تقـــوم الدوله اليهوديـــه " اسرائيل " بمساعدة النصارى فى ذلك وتمكينهم من قيام دولـــه

---

(١) خصائص التصور الاسلامي : سيد قطـــب ص ١٨ .
(٢) الوحي المحمدى : للسيد محمد رشيد رضا ص ٢٧٢ .

لهم بجوارهم ففي ذلك تبرير لقيام اسرائيل اليهوديه [1] أولا وحرب للاسلام ثانيا "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى" [2] .

ومع هذا تأبى طائفة منا ان تصدق بهذا وتحاول ان تخدع نفسها بتسميتها بحرب اهليه وما هي بأهليه ولكنها صليبيه وليرحمك الله يا صلاح الدين . .

لن نحاسب الامام بهذه الحقيقه وحقائق غيرها كثيره ولكننا نحاسبه بحقيقة الاسلام التي لا تخفى على مثله وعلى امثال تلاميذه .

جاور الرسول صلى الله عليه وسلم يهود المدينه سنوات دعاهم فيها الى الاسلام ولم يدعهم الى التوفيق أو التقريب .

وحاجّ وفد من نجران الرسول صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الاسلام ولم يدعهم الى التوفيق أو التقريب ، ولو علم خيرا أو بعض خير في ذلك لفعله [3] .

وكتب الى هرقل عظيم الروم "اما بعد . . فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم البريسيين ويأهل الكتاب تعالوا الى كلمه سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" [4] [5] .

وليست تلك الطريقه خاصه به صلى الله عليه وسلم بل هي "دعاية الاسلام" ولم يدعه الى التقريب والتوفيق بل الى "اسلم تسلم" كان الاحرى بمحمد عبده ومن

---

(١) كتب الاستاذ فريد ابو شهلا رئيس تحرير مجلة الجمهور اللبنانيه في العدد ١٢٦٢ السنه ٤٣ بتاريخ ١٢ - ١٨ تموز ١٩٧٩م عن علاقه هنري كيسنجر وزير الخارجيه الامريكي السابق بالحرب اللبنانيه فقال :-
"والناس ما برحوا يرددون ان خطة تخريب لبنان وضعتها عبقريه "العزيز هنري" ريمون أدّه قال ذلك مرارا والرئيس السابق سليمان فرنجيه قاله من على صفحات هذه المجله وغيرهما عدد كبير من الزعماء اللبنانيين اشاروا بأصبع الاتهام الى وزير الخارجيه الامريكيه السابق محملينه مسئوليه ما حصل ويحصل في لبنان منذ ١٣ نيسان ١٩٧٥م متهمينه بتنفيذ مشروع تقسيم الشرق الاوسط الى دويلات طائفيه صغيره تشبه اسرائيل لتبرر في النتيجه قيام هذه الدوله اليهوديه العنصريه"

(٢) سورة البقره الآيه ١٢٠ .

(٣) الفكر الاسلامي المعاصر : غازي التوبه : ص ٢٢- ٢٣ .

(٤) سورة آل عمران الآيه ٦٤ .

(٥) اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين : شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي ص ١٢ .

نحا نحوه ان يدعوهم الى الكلمه السواء امتثالا لأمر القرآن الذى حفظه في صغره - واقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم وكان الاحرى بالنصارى حاملي هذه الفكره كشف الحقيقه الاسلاميه لقومهم بدلا من تزييفها وطمسها عنهم وبدلا من استغلال احوال المسلمين للتبشير بينهم وافساد شبابهم .

نحاسبهم بقول محمد رشيد رضا الذى يرثى فى جريدته "المنار" "خريستو غورس جباره" الذى وصل في الكنيسه الارثوذكسيه الى رتبه الارشمندريت بقوله "كان الفقيد موحدا يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقرآن ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ويخالف المسلمين فى مسألة الصلب" يؤمن بالقرآن ويعتقد بالصلب !! ويؤمن بمحمد ولا يتبعه !! ويؤمن بالقرآن ولا يمتثل أوامره !! ثم يفوض السيد رشيد أمره فى الآخره الى العليم الرحيم الا انه يندم على هذا فيستدرك فى تاريخ الاستاذ الامام ويقول "وانا اعتقد انه مؤمن ناج عند الله اذا كان قد مات على ما عرفته منه وهو في مسأله الصلب متأول معذور" !! (١) .

المصلح القاضي :-

وكان من اصلاحات الامام اصلاح المحاكم الشرعيه بعد ان عهدت اليه الحكومه بعد تقليده الافتاء بتفتيشها وبيان رأيه في اصلاحها فكتب تقريرا في ٨٣ صفحه كان من اهم الاقتراحات توسيع دائره اختصاصها وعدم حصر منصب القضاء في الحنفيين وتأليف لجنه من العلماء لاستخراج كتاب في احكام المعاملات الشرعيه ينطبق على المصالح فى هذا العصر (٢) واصلاح المحاكم واثاثها وزيادة الرواتب والاستقلال بالرأى والعناية بتنفيذ أحكامها .

المصلح الاجتماعي :-

أسس محمد عبده مع نفر من اصدقائه "الجمعيه الخيريه الاسلاميه" وكان هو الواضع لمشروع نظامها وهدفها تربية اولاد الفقراء تربية يحافظون فيها على عقائدهم وآداب دينهم واخلاقه واعماله ويستعينون بها على معايشهم وتحصيل ارزاقهم (٣) وقد

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا ج ١ ص ٨٢٧ - ٨٢٨ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٦١٥ - ٦١٦ .
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٧٣١ .

فسر محمد عبده جزء عمّ لطلابها وكان في نيته ان يتبعه بتفسير جزء تبارك[1] وادركته المنيه قبل ذلك وقد اتسع نشاط هذه الجمعيه وكثرت مدارسها وعمّ نفعها .

وكان له من النشاط الاسلامي ايضا جمعيه احياء الكتب العربيه التي قامت بطبع بعض الكتب الدينيه والعربيه .

وكتب لائحه في اصلاح المساجد واوضاع القائمين بها من أئمه ومؤذنين وخدم وملاحظين وقرآء ، عمل ببعضها وترك الباقي .

تفسيره

كان من اهداف محمد عبده تنقية تفسير القرآن مما علق به من الاسرائيليات والاحاديث الموضوعه والخرافات والاستطرادات النحويه ونكت المعاني ومصطلحات البيان وجدل المتكلمين وتخريجات الاصوليين واستنباطات الفقهاء المقلدين وتأويلات المتصوفين وتعصب الفرق وكثرة الروايات والعلوم الرياضيه والطبيعيه[2] .

ولم يكن تطهير التفاسير القديمه من هذا أمرا ميسورا فهو تراث ضخم يحتاج تجريده منها الى امكانات واسعه من اموال وعلماء وزمن وذلك عسير فلهذا رأى ان يبقى على هذا التراث كما هو لما فيه من نفائس وان يضع نموذجا للتفسير يحتذيه معاصروه ومن بعدهم[3] فأقترح عليه تلميذه محمد رشيد رضا ان يقرأ درسا في تفسير القرآن فاستجاب له وبدأ التفسير في الازهر في غرة المحرم ١٣١٧ هـ وانتهى في سنه ١٣٢٣ هـ عند تفسير قوله تعالى " وكان الله بكل شيء محيطا " من الآيه ١٢٥ من سوره النساء وكان تفسيره الخمسه مجلدات الاولى من تفسير المنار وتوفي بعد ذلك .

وقد كانت طريقته في الدرس التوسع فيما اغفله أو قصر فيه المفسرون واختصار ما برزوا فيه . والروايات التي لا تدل عليها ولا تتوقف على فهمها الآيات ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين فكان يقرأ عبارته فينقدها أو يقرها ثم يتكلم بما يفتح الله عليه[4] .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٧٨٨ .
(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا دار المنار - ط الرابعه ١٣٧٣ هـ جـ ١ ص ٧ .
(٣) اتجاه التفسير في العصر الحديث مصطفى محمد الحديدي العدد ٨٠ من سلسله البحوث الاسلاميه ربيع الاول ١٣٩٥ هـ ص ٢٢ .
(٤) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٧٦٨ .

وقد سبق له التفسيرقبل هذا القاء وكتابة فألف تفسير جزء عم لطلبـــــه الجمعيه الخيريه الاسلاميه كما سبق والف تفسيرا لسورة العصر القاه في الجزائـــر ثم نشره في المنار وطبع بعد ذلك مستقلا وهو غير تفسيرها في جزء عم . وكان يشرح بعض الآيات التى يثار حولها بعض الشبهات كالآيات ٥٢- ٥٣ - ٥٤ من سورة الحج وهي قوله تعالى "وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته " الى قوله سبحانه " أو يأتيهم عذاب يوم عقيم " فند فيها قصة الغرانـيق وكقوله تعالى : " واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك " ٢٧ الاحزاب ويفند الشبهات في مسأله زيد وزينب .

ولن نعرض لمنهجه في التفسير اذ هو اصل منهج المدرسه الذى سنعرض لـه في محله الا انه ينبغى لنا ان نذكرهنا بيتا قاله في مرض موته ضمن ابيات :

ويخرج وحي الله للناس عاريا   عن الرأى والتأويل يهدى ويلهم

وعلق عليه تلميذه رشيد رضا بأنه "آخر نص صريح من الاستاذ الامام في اتبــاع مذهب السلف فى تفسير القرآن .. ومراده بالرأى الذى ينهى عنه اتباع الهوى .. وبا لتأويل الخروج في تفسيره عن مدلول النظم العربي البليغ وما يخالف المحكـم الذى هو أم الكتاب أو ما أجمع عليه اهل الصدر الاول "(١) فهل هو رجوع منـــه الى منهج السلف عند وفاته .

مؤلفـــاته :

لم يكن الامام يميل الى التأليف بل كان يرى ان الكلام المسموع يوءثر في النفس اكثر مما يوءثر الكلام المقروء " ويعلل هذا "بأن نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته في الكلام كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه " وانه " يمكن السامع ان يســأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه فاذا كان مكتوبا فمن يسأل ؟ وان السامع يفهــم ٨٠٪ من مراد المتكلم والقارىء لكلامه يفهم منه ٢٠٪ على ما اراد الكاتب "(٢) .

كانت تلك نظرة الامام الى التأليف ولعلها أثر من آثار استاذه فيه ولكنه مع هذا

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٠٢٧ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٧٦٦ .

خلف مؤلفات غير قليله وكتب الكثير في الصحف فمن مؤلفاته غير ما سبق ذكره في تفسيره :

١ - الواردات : اول تأليفه في الكلام أو التوحيد على الطريقه الصوفيه واسلوبهم [(١)] .

٢ - رساله في وحدة الوجود .

٣ - تاريخ اسماعيل باشا .

٤ - فلسفه الاجتماع والتاريخ الفه حينما كان مدرسا في دار العلوم وهي مفقودة .

٥ - حاشيه عقائد الجلال الدواني فى علم الكلام ونشرتها دار احياء الكتب العربيه بتحقيق سليمان دنيا في مجلدين تحت عنوان " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفه والكلاميين سنه ١٣٧٧ هـ [(٢)] .

٦ - شرح نهج البلاغه وهو الكتاب المنسوب الى على بن ابي طالب رضى الله عنه وطبع مرارا .

٧ - شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني وهو مطبوع .

٨ - شرح البصائر النصيريه فى المنطق .

٩ - نظام التربيه والتعليم بمصر .

١٠ - رساله التوحيد وهي اهم مؤلفاته واشهرها على الاطلاق وطبعت مرارا وحازت على قبول كثير من النصارى فاقترح بعضهم تدريسها في مدارسهم بعد حذف مبحث نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتبرع آخر بتوزيع بعض نسخها وقرظها بعضهم باعجاب شديد ولم يسمح المؤلف لاحد ان يشرح هذه الرساله ولا ان يضع لها حاشيه وعلل هذا تلميذه رشيد رضا بأنه تعمد الابهام فى بعض المباحث [(٣)] .

١١ - تقرير المحاكم الشرعيه .

١٢ - الاسلام والنصرانيه مع العلم والمدنيه وطبع مرارا .

وقد سبق لنا القول في مؤلفات الافغاني انه قد وقع الخلط فى بعض الرسائل

---

(١) شكك محمد عماره بصحه نسبه هذه الرساله الى محمد عبده واثبت انها للأفغاني الاعمال الكامله للامام محمد عبده ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٢) ايضا شكك محمد عماره بصحه نسبه هذه الحاشيه أو التعليقات للامام محمد عبده ومال الى انها للأفغاني (الاعمال الكامله لمحمد عبده ص ٢٠٩ - ٢١٩ .

(٣) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٧٨٢ - ٧٨٣ .

المطبوعه بين ما للافغاني وما لمحمد عبده كبحث التعصب مثلا والقضاء والقدر والوحده الاسلاميه وهي مقالات نشرت في العروه الوثقى .

اهدافه وآراؤه :

يلخص لنا محمد عبده ما نادى به وارتفع صوته بالدعوه اليه بما نقتبس منه :-

الاول : تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وانه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم .

الثاني : اصلاح اساليب اللغه العربيه في التحرير .

الثالث : وهناك امر آخر كنت من دعاته والناس جميعا في عمى عنه وبعد عن تعقله ذلك هو التمييز بين ما للحكومه من حق الطاعه على الشعب وما للشعب من حق العداله على الحكومه "[1] .

ثم يعلن النتيجه "انني في كل ذلك لم اكن الامام المتبع ولا الرئيس المطاع غير اني كنت روح الدعوه وهي لا تزال بي في كثير مما ذكرت قائمه ولا ابرح ادعو الى عقيدتي في الدين .

واطالب باتمام الاصلاح في اللغه وقد قارب .

أما امر الحكومه والمحكوم فتركته للقدر يقدره وليد الله بعد ذلك تدبره "[1] .

"وصلة العقل عند الامام بالدين وثيقه "ان العقل وحده لا يستقل بالوصول الى ما فيه سعاده الامم بدون مرشد الهدى"[2] وقد اكرم الاسلام العقل " ورفع القرآن من شأن العقل ووضعه في مكانه بحيث ينتهي اليه امر السعاده والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع "[3] بل ان الاسلام عنده يعتمد على الدليل العقلي ويحتج به لا بالمعجزات :- " فالاسلام في هذه الدعوه والمطالبه بالايمان بالله

(١) المرجع السابق ج ١ ص ١١ - ١٢ .
(٢) رسالة التوحيد محمد عبده ص ١٢٨ - ١٢٩ .
(٣) المرجع السابق ص ١٩ .

ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الانساني الذى يجرى على نظامه الفطرى فلا يدهشك بخارق للعاده ولا يغشي بصرك باطوار غير معتاده ولا يخرس لسانك بقارعة سماويه ولا يقطع حركة فكرك بصيحة الهيه "[١].

ليس هذا فحسب بل يعتقد الامام ان الايمان بالله لا يؤخذ من الرسول ولا من الكتاب ولا يصح اخذه منهما بل من العقل " وقد اتفق المسلمون الا قليلا ممن لا يعتد برأيه فيهم - على ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وانه لا يمكن الايمان بالرسل الا بعد الايمان بالله فلا يصح ان يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزله فانه لا يعقل ان تؤمن بكتاب انزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز ان ينزل كتابا ويرسل رسولا "[١].

أما اذا تعارض العقل والنقل عنده فقد " اتفق اهل المله الاسلاميه الا قليلا ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل اخذ بما دل عليه العقل"[٢].

وتولد من رأيه هذا في صلة العقل بالدين ان دعا الى الاجتهاد ونبذ التقليد واطراحه فقد " انحى الاسلام على التقليد وحمل عليه حملة لم يردها عنه القدر فبددت فيالقه المتغلبه على النفوس"[٣] و" علا صوت الاسلام على وساوس الطغام وجهر بأن الانسان لم يخلق ليقاد بالزمام ولكنه فطر على ان يهتدى بالعلم والاعلام - اعلام الكون ودلائل الحوادث - وانما المعلمون منبهون ومرشدون والى طريق البحث هادون "[٣] وان الاسلام " صرف القلوب عن التعلق بما كان عليه الآباء وما توارثه عنهم الابناء وسجل الحمق والسفاهه على الآخذين باقوال السابقين "[٣].

وقد كان لهذا المنهج اثره فى حياة السيد الامام فى اعماله واقواله فلم يقبل بالحالة التى كان عليها الازهر لانها قائمة على التقليد فدعا الى الاصلاح والتجديد ورأى الجفوه بين العالمين الاسلامي وغير الاسلامي فدعا الى التقريب

---

(١) الاسلام والنصرانيه محمد عبده الطبعه السادسه ص ٥٤ - ٥٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٩ .
(٣) رساله التوحيد محمد عبده ص ١٥٧ - ١٥٨ .

وسامحته حال التربيه والتعليم فدعا الى التهذيب ونظر نظاره في السياسه ابدى فيها رأيه ولا نريد الاطاله فقد تقدم البيان .

ما يؤخذ عليه :

ليس من السهل ذكر اكثر المآخذ على الشيخ محمد عبده فضلا عن ذكرها جميعا ، وتقدم ذكر بعضها بما يغني عن اعادته ونذكر هنا منها

اشتراكه مع استاذه الافغاني في المحافل الماسونيه ونشاطه فيها وتعاونه مع استاذه في نشر مبادئها ،

ويرد على من يدافع عن انتمائه الى الماسونيه بمثل ما رددنا به على من يدافع عن الافغاني بل هو في محمد عبده اكثر قوة ووضوحا لتأخر وفاة الشيخ عبده عن الافغاني وقد كان الشيخ عبده يحتفظ ببعض كتب الماسونيه في منزله بخط الافغاني وقد صودرت اثناء سجنه بمصر (انظر الصورة رقم ١٦) .

وقد صدرت منه عبارات كعبارات استاذه الافغاني تفوح منها رائحة تجاهل الاسلام والدعوة الى الفرعونيه المصريه فمن ذلك قوله " كنت فيمن دعا الأمه المصريه الى معرفة حقها على حاكمها وهي هذه الأمه لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرنا "(١) قال هذا القول وهو في القرن الرابع عشر الهجرى أو العشرين الميلادى وعلى كلا الامرين يكون قفز بقوله الحكم الاسلامي بأكمله ! فمتى عرفت هذه الأمه ذلك اذا لم تكن عرفته في الاسلام ؟!

لاشك ان الدعوه الى القوميه الوطنيه انما هي ايضا وليدة الماسونيه التي تسعى الى القضاء على الاديان ، ولذلك يلاحظ كل من ينظر في سيرة هذا الرجل مظاهر دعوته الى القوميه العربيه في سمتين بارزتين :-

الأولى - ان الشيخ محمد عبده هو الذى صاغ برنامج الحزب الوطني المصرى وجاء فيه في الماده الخامسه منه " الحزب الوطني حزب سياسي لا ديني فانه مؤلف من رجال مختلفي العقيده والمذهب ، وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث ارض

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٢ .

مصر ويتكلم لغتها منضم اليها "[١] .

وفى سنه ١٨٨٨م ثارت فى مصر مناقشات صحفيه حول تعصب الاقباط فى مصر ضد المسلمين فكتب الشيخ محمد عبده مدافعا عن الاقباط " ليس من اللائق باصحاب الجرائد ان يعمدوا الى احدى الطوائف المتوطنه فى أرض واحده فيشملوها بشيء من الطعن أو ينسبوها الى شائن من العمل تعللا بأن رجلا أو رجالا منها قد استهدفوا لذلك .. "[٢] .

ومن اقواله " ان خير أوجه الوحده الوطن لا متناع الخلاف والنزاع فيه "[٣] وغاب عن ذهنه ان خير أوجه الوحده الدين .

السمة الثانيه : مطالبته باستقلال العرب عن الاتراك :ـ

فقد ارسل لويس صابونجي برقيه الى مستر بلنت اوردها الاخير فى تأريخه السرى لاحتلال انجلترا مصر جاء فيها ان " نديم وعرابي وعبده يتحدون الباب العالي علنا "[٤] ويقول بلنت ايضا في تأريخه هذا " وقد سمعت سامي وعبده ونديم يلعنون السلاطين والامم التركيه من عهد جنكيزخان وهولاكو الى عبدالحميد وقد ألف حزب كبير يستعد لاعلان الاستقلال عن تركيا اذا تدخل الاتراك فى مصر تدخلا حربيا .. "[٥] وهذا الموقف هو الذى يفسر لنا معنى تلك البرقيه التى ارسلها الخديو توفيق الى السلطان العثماني فى نوفمبر سنه ١٨٨١م يقول له فيها " ان مصر في حالة ثوره وان هناك اقتراحا لانشاء امبراطوريه عربيه "[٦] .

وهو مع عداوته للاتراك وللخلافه الاسلاميه قد يعلن تأييده للخلافه الاسلاميه والدوله العثمانيه ولكنه اعلان نفاق وتزلف لأنه انما يعلن هذا حينما يكون فى نطاق النفوذ المباشر للسلطان العثماني والسلطه العثمانيه فاذا خرج من ذلك عاد الى رأيه القديم فى هذه الدوله وهذا السلطان[٧] فهو يقول فى تأييد الخلافة

---

(١) الاعمال الكامله للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عماره ج ١ ص ١٠٧ .
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٠٨ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ٢ ص ١٩٤ .
(٤) التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر : للمستر بلنت ص ٢٤٩ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٥٥-٢٥٦ .
(٦) الاعمال الكامله للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عماره ج ١ ص ١١٣ .
(٧) المرجع السابق ج ١ ص ١١٤-١١٥ .

" واني على ضعفي - والحمد لله - مسلم العقيده عثماني المشرب وان كنت عربي اللسان ولا اجد فى فرائض الله بعد الايمان بشرعه والعمل على اصوله فرضا اعظم من احترام مقام الخلافه والاستمساك بعصمته والخضوع لجلالته وشحذ الهمه لنصرته بالفكر والقول والعمل ما استطعت الى ذلك سبيلا وعندى أني ان لم أقم على هذه الطريق فلا اعتداد عند الله بايماني فانما الخلافة حفاظ الاسلام ودعامة الايمان فخاذلها محاد الله ورسوله ومن حادّ الله ورسوله فاولئك هم الظالمون "(١) .

ومن أثر هذا الاتجاه ايضا اتجاهه الى انشاء جمعيه " سريه " للتقريب بين الاديان ودفاعه القوى عنها وعن اعضائها حتى فى وجه الخلافه الاسلاميه ، كتب مدافعا عن اسحاق طيلر قائلا " ان السر فى غضب السلطان عبد الحميد من نشاط القس الانجليزى اسحاق تيلور فى الدعوه لتوحيد الاديان وموافقتى وميرزا باقر وعلماء دمشق له ومراسلتنا اياه انه خشي ان يعتنق الانجليز الاسلام، ثم يطلبوا ان يكونوا اصحاب الدوله فى الاسلام وتكون الملكه فيكتوريا ملكه المسلمين ... ويذهب السلطان من السلطان .. وسبحان مدبر العقول"(٢) .

فانظر الى أى مدى وصل دفاعه عن قس انجليزى يقول " ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح عليه السلام .. فهم عندنا مسيحيون نصلى لهم كل يوم أحد ونسأل الله يهديهم وايانا الى الحق والى طريق مستقيم "(٣) .

ثم انظر الى هذا الاتهام السخيف من محمد عبده الى السلطان عبد الحميد ؟! ولا ندرى هل قال الشيخ عبده هذا عن اعتقاد صحيح أو خداع للقارئ .

أما عن نشاطه فى هذه الجمعيه فقد تقدم بيانه .

ومن اهم المآخذ عليه علاقته المريبه بالانجليز كاستاذه الافغاني فقد كان الامام محمد عبده يبذل لهم النصيحه خالصه ويرشدهم الى ما يوطد دعائم

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٥٢٢-٥٢٣ .
(٢) الاعمال الكامله للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عماره جـ ١ ص ٧٣٥ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٨٢٦ .

احتلالهم ويحذرهم من الاخطاء التى يكادون ان يقعوا فيها وتضرهم فى مصالحهم ، نذكر لذلك مثلا بحزيمة اللورد كرومر على الغاء النيابه العامه واحالة اعمالها الى القضاء ، فحذره محمد عبده بأن هذا خطأ لا يحتمل الصواب وعلل ذلك بأن رجال النيابه من أرقى رجال البلاد علما وعقلا ولسانا وقلما وستتوجه همة كل من تلغى وظيفته الى الاشتغال بالسياسه فيتعبون البلاد والمسئولين عن النظام تعبا كبيرا "[1] فأبطل اللورد المشروع فورا .

بل ويدل على ما قدمه لهم من خدمات دفاعهم عنه والوقوف بجانبه فقد صرح اللورد كرومر بأن الشيخ محمد عبده يظل مفتيا فى مصر ما ظلت بريطانيا العظمى محتله لها "[2] وكان الاحتلال الانجليزى عاملا اساسيا من عوامل عودة محمد عبده الى مصر وقد صرح اللورد كرومر بذلك في كتابه مصر الحديثه فقال : ان المفوض درعن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني "[3] .

وقدم له الانجليز الحمايه فى الآستانه حين كثرت الدسائس ضده يقول تلميذه السيد رشيد رضا "كان المراد من الدسائس .. ان يحبس الاستاذ الامام أو يهان وهم لا يجهلون ان السفاره البريطانيه كانت بالمرصاد وانها لا تسكت للحكومة الحميديه على ذلك لو اقدمت عليه والسلطان ورجاله لا يجهلون هذا ايضا "[4] ويكتب الشيخ عبده نفسه الى السيد رشيد قائلا "ان السلطان لا يستطيع حبسى لو اراده وهو يعلم عجزه عن ذلك حق العلم ولذلك اسباب لا أحبّ ذكرها الآن "[5]

فأى علاقة تربطه بالانجليز حتى يوفروا له كل هذه الحمايه ؟! وأىّ اسباب لا يحب الشيخ محمد عبده ذكرها ؟!

ثم لا ندرى كيف تستقيم عقيده الرجل وقد كلّت ابصارنا من قرآءه عبارات له خطيره يبدو الانحراف ظاهرا فى عقيدة قائلها .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٩٢٢ .
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٥٠١ ، ٥٦٤ .
(٣) الفكر الاسلامي المعاصر : غازى التوبه ص ٤٥ .
(٤) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٨٦٠ .
(٥) الاعمال الكامله للامام محمد عبده : محمد عماره ج ١ ص ١١٧ .

فمن ذلك ما ورد فى كتابه الذى ارسله من السجن الى احد مريديه " ..
ودارت الافلاك دورة العكس ذاهبة منيراتها الى عوالم غير عالمنا هذا فولى معها آلهة الخير اجمعين وتمخضت السلطة لالهة الشر "(١) .

ولا يصح تخريج تلميذه رشيد لهذا بأنه على الحكاية لخرافات اليونانيين وهو ان كان قال هذا عن اعتقاد فلاشك فى كفره "ان الهكم لواحد "(٢) .

ومن ذلك ما كتبه الى استاذه الافغاني قائلا :-

" ليتني كنت اعلم ماذا اكتب اليك ، وانت تعلم ما في نفسي كما تعلم ما في نفسك ، صنعتنا بيديك وافضت على موادنا صورها الكماليه وانشأتنا في احسن تقويم فبك عرفنا انفسنا وبك عرفناك وبك عرفنا العالم اجمعين فعلمك بنا كما لا يخفاك علم من طريق الموجب وهو علمك بذاتك وثقتك بقدرتك وارادتك ، فعنك صدرنا واليك اليك المآب .

أوتيت من لدنك حكمة اقلب بها القلوب واعقل العقول ، واتصرف بها فى خواطر النفوس ومنحت منك عزمة أتحتح بها الثوابت وأذل بها شوامخ الصعاب واصدع بها صمّ المشاكل واثبت بها فى الحق للحق حتى يرضى الحق ، وكنت اظن قدرتي بقدرتك غير محدوده ومكنتي لا منتوته ولا مقدوره فاذا أنا من الايام كل يوم في شأن جديد " ويقول " فصورتك الظاهره تجلت فى قوتي الخياليه وامتد سلطانها على حسي المشترك وهي رسم الشهامه وشبح الحكمه وهيكل الكمال فاليها ردت جميع محسوساتي وفيها فنيت مجامع مشهوداتي وروح حكمتك التى احييت بها مواتنا وأنرت بها عقولنا ولطفت بها نفوسنا بل التى بطنت بها فينا فظهرت فى اشخاصنا فكنا اعدادك وانت الواحد وغيبك وانت الشاهد ورسمك الفوتوغرافي الذى أقمته في قبلة صلاتي رقيبا على ما اقدم من اعمالي ومسيطرا عليّ في احوالي وما تحركت حركه ولا تكلمت كلمه ولا مضيت الى غايه ولا انثنيت عن نهايه حتى تطابق فى عملي احكام ارواحك وهي ثلاثه فمضيت على حكمها سعيا في

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا جـ ١ ص ٢٦٧ .
(٢) سورة الصافات الآيه : ٤ .

الخير واعلاءا لكلمة الحق وتأييدا لشوكة الحكمة وسلطان الفضيله ولست في ذلك الا آله لتنفيذ الرأى المثلث وطلي من ذاتي اراده حتى ينقلب مربعا غير ان قواى العاليه تخلت عنى في مكاتبتى اليك وخلت بيني وبين نفسي التزاما لحكم ان المعلول لا يعود على علته بالتأثير على أن ما يكون الى المولى من رقائم عبده ليس الا نوعا من التضرع والابتهال لا احسب فيه ما يكشف خفاء أو يزيد جلاء ومع ذلك فاني لا اتوسل اليك فى المفوعا تجده من قلق العباره وما تراه ما يخالف سنن البلاغه بشفيع أقوى من عجز العقل عن احداق نظره اليك واطراق الفكر خشية منك بين يديك ، وأى شفيع أقوى من رحمتك بالضعفاء وحنوك لمغلوبي حيساء " ويقول :- " فقد قضت حكمتك القائمه منا مقام الالهام فى قلوب الصديقين " ويقول ايضا " أما ما يتعلق بنا فاني على بينه من أمر مولاى وان كان في قوة بيانه ما يشكك الملائكة فى معبودهم والانبياء في وحيهم ولكن ليس في استطاعته ان يشكك نفسه في نفسه ولا ان يقنع عقله الا على بالمحالات وان كان في طوعه ان يقنع بها من اراد من الشرقيين والغربيين (انظر الصور ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) .

هذا بعض ما ورد فى خطاب محمد عبده الى استاذه الافغاني بتاريخ ٥ جمادى الاولى سنه ١٣٠٠ هـ وهي عبارات ولا شك خطيره توجب اعادة النظر فى عقيدة الرجل عند من لا تخدعه الاسماء وقد استغرب السيد رشيد رضا نفسه هذه الرساله من استاذه حيث قال عند سياقه لها :-

" ومن كتاب له الى السيد جمال الدين عقب النفي من مصر الى بيروت وهو اغرب كتبه بل هو الشاذ فيما يصف به استاذه السيد ما يشبه كلام صوفيه الحقائق والقائلين بوحدة الوجود التى كان ينكرها عليهم بالمعنى المشهور عنهم ، وفيه من الاغراق والغلو في السيد ما يستغرب صدوره عنه وان كان من قبيل الشعريات وكذا ما يصف به نفسه بالتبع لاستاذه من الدعوى التى لم تعهد منه البته "[1] ثم ساق نص الخطاب ، ولم يلتزم السيد رشيد رضا الدقه كلها في نقل الرساله

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ٢ ص ٥٩٩ .

مولاي المعظم حفظه الله وأيد مقاصده
ليتني كنت أعلم ماذا أكتب إليك وأنت تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك صنعتنا
بيديك وأفضت على نواظرنا صورها الكمالية وأنشأتنا في أحسن تقويم فبك عرفنا
أنفسنا وبك عرفناك وبك عرفنا العالم أجمعين فعلمك بنا لأنه يحاكي علم من طريق
الموجب وهو علمك بذاتك وثقتك بقدرتك وإرادتك فمنك صدرنا وإليك
إليك المآب
أوتيت من لدنك حكمة أقلب بها القلوب وأعقل العقول وأتصرف بها في خواطر النفوس
ومنحت منك عزمة أقتلع بها الثوابت وأذل بها شوامخ الصعاب وأصدع بها صم الشواكل
ولقيت بها في الحق الحقائق حتى يرضى الحق وكنت أظن قدرتي بقدرتك غير محدودة ومكنتي
لا متناهية ولا مقدودة فإذا أنا من الأيام كل يوم في شأن جديد تناولت
التعلم لأقدم إليك من روحي ما أنت به أعلم فلم أجد من نفسي سوى الأفعال وتعلقه شكل
والسيد المرتقب ولذا أتصور بها تعدد والنفار المذاهب والعقل الغائب كأنك يا مولاي مقتضى
نوع القدرة والدلالة على قوة سلطانك حضرته في الأفراد فاستثنيت منه ما يتعلق به
بالخطاب معك والتقدم إلى مقامك الجليل هذا مع أعلمي أني منك في ثلاث أرواح
لو خلت أحداها في العالم بأسره وكان جماد الحال إنسانا كاملا فصورتك الظاهرة تجلت
في قوى خيالية وامتد سلطانها على حس المشترك وهي رسم الشهامة وشبح الحكمة وهيكل الكمال
فإنها ورثت جميع محسوساتي وبها نبتت مجامع مشهوداتي وروح حكمتك التي أحييت بها
مواتنا وأنرت بها عقولنا ولطفت بها نفوسنا بل التي بطنت بها فينا فظهرت في أشخاصنا
فكنا أعدادك وأنت الواحد وغيبك وأنت الشاهد ورسمك الفوتغرافي الذي
أقمته في قبلة صلاتي رقيبا على ما أقدم من أعمالي ومسيطرا علي في أحوالي وما حركت
حركة ولا تكلمت كلمة ولا نصبت إلى غاية ولا انثنيت عن نهاية حتى تطابق في على أحكام
إرادتك ولهذا نصبت على حكمها سعيا في الخير وإعلاء لكلمة الحق وتأييدا لشوكة الحكمة
وسلطان الفضيلة ولست في ذلك إلا آلة لتنفيذ هواي الملك ومطلق حواني إرادة
حتى ينقلب مربعا

صورة رقم (١٣)

غير أن قواي الكالّة تخلّت عني في محل مبثي إليك وخلّت بيني وبين نفسي التزاماً لحكم أن المعلول
لا يعود على علته بالتأثير على أن ما يكون إلى المولى من رقائم عبده ليس إلا نوعاً من التضرع
والتذلل لا أحسب فيه ما يكشف خفاء أو يزيد جلاء ومع ذلك فاني لا أتوسل إليك في
العفو عما تجد من قلق العبارة وما تره مما يخالف سنن البلاغة بشفيع أقوى من عجز العقل
عن إحداق نظره إليك وإطراق الفكر خشية منك بين يديك وأي شفيع أقوى من رحمتك بالضعفاء
وحنوك على المغلوبين حياء

إني لا أحدثك يا مولاي عن شيء مما أصابنا بعد فراقك فقد تكفل ببيانه أخي في صحبة إبراهيم
أفندي اللقاني سوى بعض ما ترى في كتابه من انقلاب بعض القلوب من خاصتك وتحول
أحوالهم بعد نزول ما نزل بك فقد تغلب أعوان الشر وأنصار السوء عقب جلائك بقوة
جاههم وشدة بأسهم على عقول العقول على الاعتقاد بالمحال والجأوها للتصديق بما لا يقال
حتى أنهم حذروا قلب دولتلو رياض باشا عليك وعلى ما يمت إليك الصادقين أياماً معدودة زجّ
بي إلى المحل بالشدة والأخذ ببادرة الحدة ولم يلبث أن وصلت إليه بعد ما كانوا حجروا علي في
بلدي وحظروا علي الدخول في المدينة نحو أربعة أشهر فهي أول اتصالي برياض باشا جلوت عليه الأمر
وكشفت له من الحقيقة ما خفي حتى زال ما لبّس المبطلون وبطل كيدهم وما كانوا يعملون ونزلنا
عنده منزلة حسدني عليها الكافة من العلماء والأمراء ورجال الحكومة بل وكثير ممن كان يدعي الانتماء
إلى حضرة مولانا المعظم وقعدت من كل بر مقعد النفس فلا ينطق إلا بما تريد حكمتك
ولا يعمل إلا ما تأمر إرادتك فإنك وحقك كنت كأنك في الهند بين أظهر المصريين ساعياً بهم
إلى مقاصدك العالية طالباً بهم أوج السعادة وذروة المجد والفخار

وهكذا جمعت إلى كل من كان ينتسب إليك صادقاً في الانتساب أو كاذباً تحسيناً للظن وإيثاراً لجانب
العفو والكرم لهذا الذي لم أتأخر عن مساعدة أو مكن أن أستبقي إلا دنيا أديب إسحق وسليم النقاش
وسعيد البوستاني والبلاوي وما ماثلهم من الشام فأصلحت لهم القلوب وفسحت لهم من الصدور
وفتحت عليهم أبواب التقدم إلى المنافع الوزيرة لكنهم لم يرعوا عهداً ولم يحفظوا وداً ولا حاجة لي الآن
إلى إيضاح ما صدر منهم خيانة ولؤماً فأنا مولاي أعلم بمساعي اللئام وجميعهم من أصل واحد
والتفت بجانبك ممن حرم الشرف بلقائك قبيلة ليس بالقليل يجلون قدرك ويعرفون لك فضلك

وكنا واخواننا من المكانة في قلوب الناس كما شرح لك ابراهيم افندي ولكن هذا لم يلهني عن طلب
ان نتمام لك والا فقد تبارك من الوعد اللئيم والكفر العظيم وكدت اصل الى الكيفية مما قصدت
من طريق مألوف ومذهب معروف وغير معروف لولا غلبنا على الامر قطاع طريق حجر الله بين ثياب
الوهابية السالكين مناهج جبابرة الله فظنهم لغافلات العلماء المستنبطين طباع الجاهلين استعملوا طريقنا
في الدعوة الى الحرية وتمكنوا بقوة [illegible] وضعف الحكومة من اقناع العامة بكونهم دعاة الحق وحماة القانون
ونعم رسل مفوضين وجردان النظام وكانوا في بداية امرهم اشد الناس تعصبا عليك وعلى اله لذلك
واشد منهم في التعصب اولئك الانذال الذين قدمنا ذكرهم عندما رأوا بعض رجال الحكومة يميل الى اهوائهم
ويديهم في بعض غيرهم غير ان مدتهم في الفساد كانت قصيرة ولم يمض الا قليل حتى تخصنا من قلوبهم
وخلونا من بعض انصارهم فكادوا يتيهون ضياع الحق لولا ان احاطت بهم ظلمات الغرور والحمق ومع
هذا فكنا نستعلم لما تريد ونديرهم كانه لوث لغاية ما نحب بقدر الامكان والاستطاعة الا انه
غلبت عناصر الفساد وعم الضلال فطلبنا باويلك الشريف ان تخلص البلاد من الاستعمار و
ينقذ العباد من طول العناء ورجونا تأييدهم على ذلك من سكان الارض والسماء وكنا ندرك
به خل ضاحنا واستعمالا سيفنا لكن لسوء البخت كان الاعرابي على ما وصف الصابي ابا
تغلب ابن حمدان عندما قاتله عز الدولة ابن معز الدولة وهزمه حيث قال فيه انه لم يلق
لقاء الباخع بالطاعة المعتذر من سالف التفريط ولا صناعة ولا لقاء المصدق في دعواه
في الاستقلال بالمقارعة المحتف نزعه في الثبات للمدافعة ولا كان في هذين الا مربنا بالبرزخ
ولا المناجر القوي بل جمع بين نقيضه شقاقه وغدره وفضيحة جبنه وخوره فذهب عنه
الرشاد وضرب بينه وبينه الاسداد وازيد على ذلك مع توفر الاسباب وتفتح الابواب
وظهور امارات الغلبات واجلاء زعانف الصبيان واجتماع جميع القلوب عليه ونزوع الاهواء
على احتاه فكان ما كان من العاقبة السوأى وليس جاء مهم في تلك الحوادث نبأ طويل
اذا اردت يا مولاي لنا قدم لك به تاريخا مفصلا ربما يكون مفيدا فانا رهين الاشارة
وحيث انه لا في مدينة بيروت نقضي بها مدة ثلاث سنوات على ما حكم به الشقي الغبي لا لذنب جنيناه
ولا جرم اقترفناه فقد حفت بنا تلك القائمة بنا معلم الالهام في قلوب الصديقين ان اننا اهل الحق
ولنا الحجة الباهرة ونصيب الفوز ولنا البراءة الظاهرة والذمة الطاهرة وانما ذلك اثر الحقد القديم
ونتيجة الهوى العقيم ووالله يا مولاي لو خلفنا له من جلودنا ثيابا وصنعنا له من لحومنا كبابا و
ضفنا له من دمائنا شرابا لما كان لنا منه عذر عند قدرته قاتله الله فها نحن سالكون في شتك
وعلى سنتك وكنا كذلك ولا نزال الى انقضاء الاجال ولولا رضع اطفال رضع ونساء الناطوع
ابتلاهم الذل واتلفهم الضيم فاتينا بهم معنا الى حيث اقمنا لكنت اول من تلقاك في مدينة
باريس لنسعد بالاقامة في خدمتك والتمتع بذلك على الاعالي

صوره رقم (١٥)

وما اعلمه من نفسي وما اتيقنه من يقينك وما ايدته اعمالي واعمالك واقوالي واقوالك لا انكدر
مما اشرت اليه في كتابك الى تراب حيث طعنت به في ثقتك بالمصريين وبالغت حتى سمت الطعن
الى خادمك كاتب الاحرف وابراهيم افندي وزدت في المبالغة فانفذت طعنتك بالداهية الزرقاء
والبلية الحمراء اما انه ثقتك بالدواهي والبلايا فقد صار في محله فقد نقض عهدك وما انتقض عهدك
فاستبقيته في الوجود وانت موجود ارغم اهله انفها وجعلها طوع يدك ترمي بها من تشاء من اعدائك
اما ما يتعلق بنا فاني على بينة من امر مولاي وان كان في توقيعاته ما يشكك الملائكة في معبودهم وان يهيئا
في وجوده وجبهم ولكن ليس في استطاعته ان يشككني في نفسي ولا ان يقنع عقلي انه على بالمحالات وان
كان في طوعه ان يقنع رجلا من الارض من المشرقيين والفرنجيين وما حكم به سيدي من سلب الوفاء عن المصريين
ربما تصادق عليه الادلة وتشهد لنا وله علينا حوادث غير انا لسنا اولئك فقد اخرجنا المولى
عن طباعنا وانتسابنا انا صنائع يداه نقتدي بقدم ايدك الارض ولا نعود بعهدها وانما ينقرض
نتيجة القدر من شل عناصره ما يقوى به قوامه وينزع زهره ويكلو ثمره ولا ذبل وما تاد استوصلت
جذوره ورمي به الى خارج البلاد واني اعلم انا كلما في لا يزيد في يقيني بمولاي شيئا ولكنني لا ينقص منه
فلنعد من هذا ونستمنح من كرمه الواسع ان يمن علينا بامرين احدهما ارسال رسمه الفوتوغرافي
الجديد فان هذا الخادم كان عنده نسختان من الفوتوغرافية لم ادر في اخذهما فذهبا اعوان الضبطية
من بيتي عندما اودعت السجن كما اخذوا كتاب القاموس بخط مولاي المعظم وكتابية كان استجدها سعد
افندي زغلول وهو من خواص محسوبيكم وليعلق عليه تذكارا [illegible] اعواما والثاني ان يتابع
ارسال ما ينشره من الفصول السياسية والادبية في جرائدنا انا كانت فقد اعددنا دفاتر متعددة
لنقل ما يوجد منها في اي جريدة وكتبنا ما نشر في جريدة النحلة واول ما درج في البصير والان نبحث
عن مقالة الشرق والشرقيين ولم نجدها واضفنا الى ذلك ما كان ينشر في جريدة مصر في الايام
السابقة من جميع الجمل التي جاد بها فكر سيادتكم ثم انا نخبر سيادتكم خبرا تسروا به وهو ان
اعيان المسلمين من اهالي بيروت وامراءهم لم يالوا جهدا في اكرامنا والاحتفاء بنا ونخص بالذكر منهم
السيد عبد القادر افندي القباني واعضاد عائلته وهم شذوذ البيوت لهم صلة زعامتي ابقى صاحب
الجوائب وحاج يحيى حمدي افندي حادة رئيس مجلس البلدية وحسن افندي بيهم وهم من انبه
الشبان واعلمهم واكتبهم واشدهم ميلا الى الحرية وقد آلى على نفسه ان لا يموت حتى يراكم ما لم يفاجأ
واما الامير الشهير السيد عبد القادر الجزائري فقد امر ولده ان يزور خادمكم هذا وان الزيارتي وما كل هذا الا
من آثار فضلكم فلكم الشكر على كل نعمة وصلت او تصل الينا والى اعقابنا من بعدنا ونرجو من سعة كرمكم
ان تنعموا على خادمكم باسطر من خطكم الشريف يحفظها حيث يحفظ سره ويودعها مستودع حبك واسمه
يحفظه ويتم نعمة صدره والسلام

خادمكم
محمد عبده
٥ جمادى الاولى ١٣٠٠

صوره رقم (١٦)

فنراه يحذف بعض العبارات الخطيره ويضع نقطا واحيانا لا يضع حتى النقط ويحاول حينا ان يلطف من شده انحراف بعض العبارات بتأويلات متكلفه ، أما حذفه بعض العبارات فلعله وضع لنفسه مبررا لذلك فقال فى تقديم الخطاب " ومن كتاب له الى السيد جمال الدين " .

هذه عبارات ولا شك خطيره ولكن ما هو اخطر واشد ضلالا ما ورد في خطاب آخر منه الى السيد الافغاني بتاريخ ٨ شعبان سنه ١٣٠٠ هـ واني لأدعو القارىء ان يمعن النظر في كل حرف انقله من الرساله :- " أما الان وقد حسبني الجناب العالي نتيجة لاعماله فاني اصدع بافكاري قواعد الملكوت وازعزع بهمتي اركان سطوة الجبروت وادعوا الى الحق دعوة الحكيم .. " ثم يقول " بلغنا قبل وصول كتابكم الكريم ما نشر في " الدبا " من دفاعكم عن الدين الاسلامي (بما لها من مدافعه) ردا على على مسيو رينان فظننا ها من المدافعات الدينيه تحل عند المؤمنين محل القبول فحثنا بعض الدينين على ترجمتها لكن حمدنا الله تعالى اذ لم يتيسر له وجود اعداد " الدبا " حتى ورد كتابكم واطلعنا على العدد ين ترجمتهما لناحضرة الفاضل حسن افندى بيّهم فصرفنا ذهن صاحبنا الاول عن ترجمتها (١) وتوسلنا في ذلك بأن وعدناه ان الاصل العربي سيحضر فان حضر نشر ولا لزوم للترجمه فاندفع المكروه والحمد لله " .

---

(١) نقل الاستاذ محمد حميد الله فى مجلة الفكر الاسلامي - بيروت - السنه الثانيه العدد الثاني فى مقال " صلات ارنست رينان مع جمال الدين الافغاني " نقل بعض العبارات التى جاءت في دفاع الافغاني ومن الطريف ان الاستاذ حميد الله استغرب صدور هذه النصوص من جمال الدين واستبعد ذلك ، ولو أنه قرأ خطاب محمد عبده - هذا - الى الافغاني وحرصه على عدم ترجمة هذا الدفاع من الافغاني لادرك صحة نسبته للافغاني . أما النصوص فمنها :-
" عند قرآءه المحاضره (يعنى محاضره رينان التى يرد عليها الافغاني) لا يقدر الانسان على منع نفسه من التساؤل :- ان اصل تلك العوائق هل هو من دين المسلمين أو من خصائص الملل التى أكرهت بالسيف على قبول ذلك الدين ."
ومنها " وفى الحقيقه ان الدين الاسلامي حاول خنق العلم وسدّ جميع التطور ولذلك نجح فى سدّ الحركات الفكريه والفلسفيه وطرد الانسان عن طلب الحقيقه العلميه " .
ومنها " كان هذا صحيحا ان دين المسلمين يعوق من تطور العلم فهل =

ثم قال في عبارة أشد انحرافا وادعى الى تقييم عقيدته " نحن الآن على سنتك القويمه لا تقطع رأس الدين الا بسيف الدين ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهادا عبادا ركعا سجدا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ما اضيق العيش لولا فسحه الأمل " (انظر الصور رقم ١٧ ، ١٨ ، ١٩)

عجبا !! نحن الآن على سنتك القويمه :- لا تقطع رأس الدين الا بسيف الدين = ولهذا لو رأيتنا لرأيت زهادا عبادا .. ما اضيق العيش لولا فسحة الأمل ؟!

هل هي دعوة باطنيه يخفيها الرجلان ويسعيان تحت ستار الدين و " بسيف الدين " لقطع " رأس الدين " ؟! وقيامهم بالصلاة أمام الناس هل هو سعي الى القبض على سيف الدين ؟! ثم تركهم للصلاة بعض الاحيان هل هو تنفيس " لضيق العيش " وعودتهم اليها حينا لاجل " فسحه الأمل " .

عاتب الشيخ يوسف النبهاني السيد رشيد رضا على صحبته لمحمد عبده وتسميته له بالاستاذ الامام مع تركه للحج ولفروض الصلاة ولاشتراكه في الماسونيه فقال نظما :-

---

(=) يقدر احد على ان يدعي عن هذه الطائفه سوف لا تزول يوما ؟ ففيم يختلف دين المسلمين في هذا من سائر الاديان ؟ ان جميع الاديان لا سماحه عندها ابدا ، كل واحد حسب شاكلته ان المجتمع النصراني الذى تحرر واستقل الآن يتقدم بادى الرأى سريعا في سبيل التقدم والعلوم بينما المجتمع الاسلامي لم يتحرر الى الآن من تسلط الدين " .
ومنها " لا شك عندما سار الاسلام في البلاد التى تملكها باستعمال الجبر والقهر ما هو معروف نقل اليها لغته وعاداته ومعتقداته وهذه البلاد لم تستطع الى الآن من الخلاص من مخالبه " .
ومنها " .. ولماذا لم يزل العالم العربي مغطى بالظلمات العميقه ؟ في هذه الناحيه تظهر مسئوليه الدين الاسلامي كامله . ومن الظاهر ان هذا الدين حيثما حل حاول خنق العلوم " .
هذا بعض ما جاء في رد الافغاني ولذلك فلا عجب ان يكتب رينان في اليوم التالي معقبا على ردّ الافغاني " انه متفق مع جمال الدين تمام الاتفاق فيما ذكره في رده عليه " .
هذه النصوص نقلها الاستاذ محمد حميد الله من جريده " جورنال ديه ديبا " الفرنسيه المؤرخه في ١٨ مايو ١٨٨٣ .

مولاي المعظم ايده الله

اليوم عرفت نفسي وكنت بها سيئ الظن ارى ما سبقت اليه من اوبة فيّ من الكرامة بين الناس انما هو
من احكام البخت وان تفاق وعزوتها من التذبذب نسبتي الى خدمة المولى الجليل وكنت اتيه على
العالمين بتلك النسبة وهي عنوان الفضل والكمال مكتفيا برسوخها في نفسي ومقررها في
الاذهان واقول دعوا الناس في غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض اما الآن وقد حسبني
الجناب العالي نتيجة لاعماله فاني اصدع بافكاري قواعد الملكوت وازعزع بهمتي اركان سطوة
الجبروت وادعو الى الحق دعوة الحكيم واذهب باهل الرحمة مذهب الاب الرحيم خدمة لمقاصد
مولاي وانا يوم السعادة عندي ان يظهر لهذه الخدمة اثر او ينشر عنها خبر اما نهي السيد لعبده عن
محو المعروف في الحقوق التي اوجبها الفراح الزكية فمن حيث صدوره عنه ادب تتجه به ينابيع الخير والبركة
ولكن من حيث توجهه الى الخادم الامين فهو من قبيل نهي المحق عن ان يكون باطلا والنور عن ان يكون ظلاما
والكمال عن ان يكون نقصا بل نهي الارض عن ان تكون سماء سبحان الله ما اسهل ان نمتثله وايسر ان
ندين به حتى يبلغ الكتاب اجله بلغنا قبل وصول كتابكم الكريم ما نشر في الدبا من دفاعكم عن الدين
الاسلامي ازاء الهامن مدافعة (ردا على موسيو رنان) وظننا ها من المداعبات الدينية محل عند المؤمنين
محل القبول فتمنينا بعض الدينيين على ترجمتها لكنا حمدنا الله تعالى اذ لم يتيسر له وجود اعداد الدبا حتى ورد
كتابكم واطلعنا على العدد الذي ترجمها لنا حضرة الفاضل حسن افندي بيهم فصرفنا ذهن صاحبنا
الاول عن ترجمتها وتوسلنا في ذلك بان وعدناه ان الحل [illegible] سيحضر فان حضر نشر
ولا لزوم للترجمة فاندفع المكروه والحمد لله ثم اتى ما على شنشنة القومية لا تقطع راس [illegible]

صوره رقم (١٧)

ان يبغي الدين؛ ولهذا لو رأيتما الرايات زرقاء اعبادا ركعا سجدا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون. ما أضيق العيش لولا فسحة الامل   اسفت وتكدرت مما رأيته في كتابكم الى
والى ابي تراب من اللوم الشديد على ابراهيم افندي وعلمت ان ذلك من سوء تبليغ ابي تراب علما ان ابراهيم
افندي ليس بموضع التهمة بما يشركه المولى في كتابه واني احلف بحرمة سيدي انه لم يصدر منه اي امر يشينه
او يخل بحقوق مولاه فان انتقاله من البيت الذي كان فيه لم يكن الا بعد ان ظهرت الرمدية في عينيه وخشي
عليهما من الرمد ونصحه الطبيب بان ينتقل [illegible] فاستحسنت ذلك على شريطة ان ينتقل معه ابو
تراب فاستدعا ابا تراب لان ينتقل فأبى متعللا بان اهل البيت يحبونه وليس في البيت الجديد من
يخدمه فتساهل عليه الا مرافقته وحتم على البقاء ولكني تعلله صحيحا لحقيقة سوانا العلة الحقيقية هو ما
يتعهدونه فيه من الفاحشات الصبيانية. اما السيد ابراهيم فقد قام بخدمة ابي تراب احسن قيام كان مارا فيه
في شدة البرد وكثرة الاوحال الى منازل الحكماء ومعاهد الاطباء مرارا عديدة قبل حضور مصطفى بيك
وكان يصحبه كاخ صديق ينظر اليه ويعامله معاملة الاب ويبين من جميع الوجوه ولم يصرف عند المحال الا
ريالين نقدا وبعض دراهم قليلة في ادوية ودراهم وبعد حضور مصطفى بيك كان العلاج مجانا
بدون اجرة ومضى عليه زمن المرض وعمت حجبا نتعهده في اغلب الاوقات وابراهيم افندي
بعد انتقاله كان ياتي اليه من قبل شروق الشمس الى الساعة الرابعة من الليل ولا يتركه الا
وقت النوم وكانت ثياب ابراهيم وكتبه وجميع لوازمه في اودة ابي تراب ولم يكن في اودته
الا فرش النوم لا غير ثم ان ابا تراب معنا في جميع الاوقات الا ما قل وانا نعده كولد
منا منزلته منزلتنا انما امره [illegible] حسبما هي اغراضنا اما ما ذكرتم في شأن اديب افندي
وامركم ابا تراب بالتردد عليه فلعل فيه حكمة تخفى عن عقولنا ورأيكم اعلى وارفع على ان الرحيل الى قباء
عليه ضرر النفس لابي تراب من حيث تغلب شهوته الحيوانية على قوته العقلية فالاولى به ان يكون بعيدا
عن مثار الشهوات. وزادني كدرا ان ابا تراب عندما ذهب ليبلغ اديبا رسالتكم اطلعه على المكتوب
فقرأ منه ما ذكرتم في شأن ابراهيم افندي وكان كدر ابراهيم على هذه اشد من كدره على سوء ما بلغ عنه
ابو تراب جميع اخباره لم يخل من طيش الشرفيين فالامل ان لا تعتقوا بما يكتب اليكم
فيما يتعلق بشأن اتباعكم فقد يغضبه ما لا يغضب ويرضيه ما لا يرضي وليس بين غضبه
ورضاه الا كما بين ضحكه وبكاه وهو ما بين لمحات البصر اليس عجيبا ان ما نقله اليكم عني

صورة رقم (١٨)

وانا في حبس الحكومة المصرية قبل ان يرى ان كان متقلبا لدعي محسن نجرا مع اني ما رايته
من نحو ثلاث سنين ثم بدا لا اكتب اليكم ما كتب جاكر بارتي في الحبس ولم يسألني عن شيء يتعلق
بسيادتكم واظن انما حالة ابي تراب في ان يختار الذي تكلموا من هذا القبيل لا تخفى على حضراتهم
فاذا رجا ان لا تعتمدوا عليها ولا تعجلوا بالتصديق بها فليس سهلا على الصادقين في ان ينتا اليكم أن
شيء وان شيئا يكدر خاطركم من جهتهم بدونها وان كان غير منطبق على الواقع ونلتمس من رأفة
كرمكم ان لا تقطعوا عنا ما تطلعون به على صحتكم والله يحفظكم

محمد عبده

٨ شعبان [illegible]

يهدي سيادتكم مزيد السلام ويقبل ايديكم ابراهيم افندي اللقاني والشيخ امين ابو يوسف مع اعمال رحيها
سنين في حوادث المصرية والشيخ احمد القباني من افاضل بيروت والشيخ احمد عباس من نبهائها وارباب
ان فخار حزه رحمه الله كذلك بينهم وكلا منا له ميل الى الحرية وانتم في تقاليه

محمد

٨ [illegible]

صوره رقم (١٩)

وذاكرته فى شيخه وهو عبده	تملكه الشيطان عن قومه قسرا
فقلت له لو كابن سينا زعمتم	وعالم فاراب وأرفعهم قدرا
لقلنا لكم حقا وان كان باطلا	ولم نر من هذا على ديننا ضررا
ولكنكم مع تركه الحج مرة [1]	وحج لباريز ولندره عشرا
ومع تركه فرض الصلاة ولم يكن	يسر بذا بل كان يتركها جهرا
ومع كونه شيخ الحسون مجاهرا	بذلك ، لا يخفى اخوّتهم سرا
ومع غير هذا من ضلالاته التى	بها سار مثل السهم للجهه الاخرى
تقولون استاذ امام لدينا	فما أكذب الدعوى وما اقبح الأمرا
ونحن نراه عندنا شر فاسق	فيقتل فسقا بالشريعه أو كفرا [2]

أما عن الشيخ الافغاني فيقول الشيخ يوسف النبهاني "انه اجتمع به سنه ١٢٨٧ هـ في مصر حين كان مجاورا بالازهر ولازمه من قبل الغروب الى قرب العشاء فلم يصل المغرب" [3] .

ومن اقوال الشيخ محمد عبده التى نوأخذه عليها وصفه للازهر بالاسطبل والمارستان والمخروب [4] وقوله لتلميذه رشيد " ان من تطول مدة طلبه للعلم فى الازهر وامثاله فانه يفقد الاستعداد للعلم " [5] .

وفي الحقيقه ان الباحث المدقق في مسار الفكر الاسلامي فى تلك الآونه وما تلاها يجد الشيخ محمد عبده خلف كثير من الدعوات الهدامه والمبادىء المنحرفه لا اقول هذا تعصبا ضد الرجل فما تقولت عليه قولا وما نسبت اليه نصا الا عن مصدر موثوق وطريق مأمون .

---

(١) اعترف السيد رشيد بهذا وزعم ان المانع هو الخوف من اساءه السلطان عبد الحميد له! ونقول ان الشيخ محمد عبده كان قادرا على الحج قبل سوء العلاقه بينه وبين السلطان هذا لو سلمنا ان سوء العلاقة كان مانعا حقيقيا !! ومن تمكن من زياره الآستانه نفسها فى عهد السلطان عبد الحميد أفلا يستطيع أن يحج الى مكه المكرمه ؟!

(٢) الرائيه الصغرى فى ذم البدعه ومدح السنه الغراء : ضمن كتاب العقود اللؤلؤيه فى المدائح النبويه : وكلاهما للشيخ يوسف النبهاني ص ٣٨٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٧٢ . (٤) تاريخ الاستاذ الامام : جـ ١ ص ٤٩٥ .

(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ١٨١ .

نشر محمد احمد خلف الله كتابه "الفن القصصي فى القرآن الكريم" زعم فيه ان ورود الخبر فى القرآن لا يقتضي وقوعه وانه يذكر اشياء وهي لم تقع ويخشى على القرآن (!!!) من مقارنة اخباره بحقائق التاريخ وقال "انا لا نتحرج من القول بأن القرآن اساطير"[1]. وعندما رفضت جامعة فؤاد هذه الرسالة دافع عنها أمين الخولي المشرف على الرسالة قائلا " انها ترفض اليوم ما كان يقرره الشيخ محمد عبده بين جدران الازهر منذ اثنين واربعين عاما "[2].

ونشر قاسم امين كتابه تحرير المرأة وفيه دعوه الى نبذ الحجاب واطراحه والى خروج المرأه الى العمل فى كل المجالات ودراسه كل العلوم وزعموا ان هذا تحرير المرأه وهو في الحقيقه تخريب للمرأه وتحرير لها من الكرامه التى صانها لها الاسلام .

وقصة الكتاب تبدأ حينما نشر أحد الكتاب الفرنسيين مقالا هاجم فيه حجاب المرأه المصريه فكتب قاسم امين دفاعا عن الحجاب اغضب اللورد كرومر الذى جاء الى مصر كما قال ليمحو ثلاث القرآن والكعبه والازهر[3] فأمر بوضع كتاب " تحرير المرأه " وقيل ان الذى أمر بوضعه الاميره نازلي حفيده ابراهيم باشا لأنها غضبت من دفاع قاسم امين عن الحجاب " والذين نسبوا الامر الى اللورد كرومر والذين نسبوه الى " نازلي " يتفقون ان الأمر قد صدر الى الشيخ محمد عبده ، وانه قد قام بدور كبير في تأليف الكتاب .. بل يرى البعض انه هو الذى ألفه ، ثم وضع على غلافه اسم قاسم امين تجنبا للحرج والعاصفه التى كانت ستهب عليه مباشره اذا ما وضع اسمه عليه ، وهو الشيخ الازهرى ذو المناصب الدينيه الكبرى ، ومنها منصب مفتى الديار المصريه "[4].

ولذلك فلا عجب ان يقول الاستاذ محمد عماره الذى جمع مؤلفات ومقالات محمد عبده فى كتاب " الاعمال الكامله للامام محمد عبده " فى ستة مجلدات بعد

---

(١) الفن القصصي فى القرآن الكريم : محمد احمد خلف الله ص ١٨٠ .
(٢) الفن القصصي فى القرآن الكريم محمد احمد خلف الله : تقديم أمين الخولي ص ح .
(٣) الخنجر المسموم الذى طعن به المسلمون : انور الجندى ص ٢٩ .
(٤) الاعمال الكامله للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عماره ج ١ ص ٢٤٧-٢٤٨ .

تحقيق دقيق لنسبتها الى محمد عبده لا عجب ان يقول " والرأى الذى أؤمن بـه والذى نبع من الدراسه لهذه القضيه هو ان هذا الكتاب انما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده وقاسم امين .. وان في هذا الكتاب[1] عـدة فصول قد كتبها الاستاذ الامام وحده ، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين ثم صاغ الاستاذ الامام الكتاب صياغته النهائية ، بحيث جاء اسلوبه على نمط واحد هو أقرب الى اسلوب محمد عبده منه الى اسلوب قاسم أمين "[2] ثم ذكر بعد هذا مجموعه كبيره من الادله على ذلك قدم بين يديها عددا من القرائن .

منها موقف الاستاذ الامام من الكتاب بعد صدوره فلقد أيّده ودافع عنـه بطريقة غير مباشره وامتنع عن التعليق عليه أو المشاركه بشكل مباشر فى المعـارك التى دارت من حوله وبالذات عندما اراد خصومه احراجه وطلبوا منه ان يفـتى - بحكم منصبه الرسمي - فى الموضـوع .

أما دفاعه غير المباشر فيتمثل في وقوف الشيخ رشيد رضا ومجلة المنـار الى جانب الكتاب فلقد تناولت المنار الكتاب بالمدح والتقريظ فى اكثر من مـره واعتبرته مع رسالة التوحيد للاستاذ الامام و (سر تقدم الانجليز السكسونيـين) الذى ترجمه فتحى زغلول اهم الاعمال الفكريه فى ذلك العصر " المنار ١ يوليـو ١٨٩٩م " كما تناولته بالثناء فى عددى ١٥ يوليو و ٢٦ اغسطس من العام نفسه"[3].

ووصف السيد رشيد رضا قاسم امين بأنه العالم البارع فى علوم الاخلاق والاجتماع.[4]

وحينما اراد خصوم الشيخ احراجه طبعوا سؤالا موجها اليه هو :-" هـل رفع الحجاب عن المرأه واطلاقها فى سبيل حريتها بالطريقة التى يريدها صاحـب كتاب المرأه الجديده يسمح به الشرع الشريف أم لا ؟ " ووزعوا هذا السـؤال على الجمهور فى صورة كتاب مفتوح الى المفتى محمد عبده . عندما فعلوا هذا لزم

---

(١) يعنى كتاب " تحرير المرأة " المنسوب لقاسم أمين .
(٢) الاعمال الكامله للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عماره جـ ١ ص ٢٥٢ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٥٥ .
(٤) تاريخ الاستاذ الامام : للسيد محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٠٥١ .

الشيخ محمد عبده الصمت ودافعت المنار عن هذا الصمت قائله :-

١ - ان الاستفتاء جاء على خلاف المعهود بأن وزع على الجمهور .

٢ - ان الجواب عليه يستلزم قرآءه الكتاب فى حين ان المفتى مثقل بالاعمال (!!)

٣ - ان من اطلع على الفتوى يحتاج الى ان يقرأ الكتاب أولا فاذا كان ضارا تكون الفتوى سببا فى اذاعة الضرر (!!)

٤ - ان فتوى الامام ستكون على المذهب الحنفي الذى عينته الحكومه ليفتي على اساسه في حين ان بعض المذاهب قد اباحت كشف المرأه لوجهها ويديها[(١)] .

أما الفصول التى اثبت الاستاذ محمد عماره انها للشيخ محمد عبده فهى "الحجاب الشرعي" و "الزواج" و "تعدد الزوجات" و "الطلاق" ثم قال عنها "انما هي فكر خالص وصياغه خالصه للاستاذ الامام"[(٢)] وأقول ان هذه الفصول هي اهم ما في الكتاب .

ومن هنا ندرك ان الشيخ محمد عبده يقف خلف كثير من التيارات المنحرفه والمبادىء الضاله واستنادهم الى اقواله ولذلك نرى الشيخ مصطفى صبرى يكتب تحت عنوان "الاستاذ الامام وكتاب الله في كفتى الميزان" فيقول :- "وانى أرى الرسالة المستنكره - يعنى رسالة الفن القصصى فى القرآن الكريم" وما سبقها فى مصر من الاحداث والفتن المماثله الماسه بدين الاسلام وعقائده المحفوظه الى عصر الشيخ محمد عبده كلها ناشئه من الاسس التى ابتدعها هذا الشيخ الملقب بالاستاذ الامام .. فلا مناص اذن للقضاء على تيار الفتنه من مصدرها من ان تفصل الدعوى مع الامام دون المؤتمين"[(٣)] .

وبعد

فلعلى اقف هنا عن الحديث عن المآخذ على الشيخ محمد عبده ..
أما من كانت الحقيقه هدفه فلا شك انه واجد فيما ذكرت ما يجلوها له .

---

(١) مجلة المنار المجلد ٤ جـ ١ ص ٣٣ - ٣٤ فى غره ذى القعده ١٣١٨ هـ .
(٢) الاعمال الكامله للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عماره جـ ١ ص ٢٥٨ .
(٣) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبرى جـ ١ ص ٣٤٦ .

وأما من أعرض عن طلبها ووضع في ذهنه اصناما وتماثيل لاشخاص بلغوا من القداسه حدّا لا يقبل معه كلمة في حقهم ، يعلو صوته ويحتدّ صراخه ان سمع نقدا لاحدهم في وقت لا يهيج فيه ولا يتمعّر وجهه حين يسمع السب والشتم فضلا عن التجريح لابي هريره رضى الله عنه أو وهب بن منبه أو كعب الاحبار رضى الله عنهما من محمود ابو ريه وغيره من اتباع الافغاني ومحمد عبده .

ان مثل هذا لا نأبه له في حديثنا هنا ولم نكتب هذا لاقناعه لانه وامثاله ليس في مستطاعنا ولا مستطاع غيرنا اقناعهم الى ان يهديهم الله الى الحق والى سبيل الرشاد وحينذاك فليقرأوا حديثنا مرة أخرى .

ومن وجد فيما كتبنا فهما خاطئا أو تأويلا باطلا فليرشدنا الى الحق وله منا الدعاء الحسن فما كتبنا الا للحقيقه وما طلبنا الا اياها فهي ضالتنا وهي مرادنا فيما نكتب وفيما نقول والله الهادى الى سواء السبيل .

ثالثا : السيد محمد رشيد رضا

يعتبر السيد الافغاني الرجل الذى انقدحت عن فكره نظريه وجوب اصلاح المجتمع الاسلامي [(١)] ويعتبر تلميذه محمد عبده الرجل الذى بدأ في تطبيق منهج هذه المدرسه على منهج الاسلام اعنى القرآن الكريم ويعتبر تلميذه محمد رشيد رضا الرجل الذى قام بتسجيل نشاط هذه المدرسه وبثه في العالم الاسلامي عبر صحيفته " المنار " ومواصلة ما بدأته من آراء .

فهؤلاء الثلاثه يعتبرون - بحق - دعائم هذه المدرسه بقيامها على اكتافهم ورفعهم لاعلامها .

اسمه ونسبه

هو محمد رشيد بن على رضا بن بن محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد ملا على خليفه البغدادى .

ويحرص رشيد رضا في كل مناسبه ان يؤكد انه ينتسب الى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فنراه يقول عن الامام على رضى الله عنه " جدنا المرتضى عليه السلام [(٢)] " ويقول " جدنا الحسين عليه السلام " [(٣)] ويقول "جدنا الامام جعفر الصادق عليه السلام " [(٤)] .

أما والدة رشيد فاسمها فاطمه وتنتسب الى البيت النبوى من جهه الاب والأم حيث يقول رشيد عنها " فاطمه أم رشيد حسنيه الأب والأم " [(٥)] .

وقد حقق الدكتور حسيب السامرائى نسب رشيد رضا هذا وهو في القاهرة فاتصل بعائله السيد طالبا منهم التوضيح فلم يجد شيئا جديدا ثم عرج نحو النجف وفتش كتب النسب - والنسب الحسينى فى النجف - كما يقول - له قيمته الدينية

---

(١) التفسر ورجاله : محمد الفاضل بن عاشور ص ٢٤٥ .
(٢) مجلة المنار المجلد ١٣ ص ١٣٢ .
(٣) المرجع السابق المجلد ١٥ ص ٧٨ .
(٤) تفسير المنار ج ١ ص ٥١ وج ١١ ص ٤٩ .
(٥) مجلة المنار المجلد ٣٢ ص ٧٣ .

والقبليه لأن خمس الخمس وحق الامام لا يدفع الا لمن كان حسينيا فلم أجد أثرا للعائله ولا يوجد اسم منلا على خليفه البغدادى ، فقلت اذن لم يكن المنلا على خليفه البغدادى شيعيا ولعله من اهل السنه والجماعه ولابدّ ان يكون النسب فى بغداد فذهبت الى نقيب الاشراف وقلبت الانساب لعلي احظى باسم منلا على خليفه البغدادى فلم احظ بشئ "(١) .

ولا يهمنا نحن - بكثير - ان صحت نسبته الى آل البيت أو لم تصح بقدر ما يهمنا ادراك الغرض من التأكيد على انتساب هؤلاء الثلاثه الى آل البيت أو الى عمر ابن الخطاب رضى الله عنهم .

جمال الدين - كما يقولون - ينمي نسبه الى على الترمذى ويرتقى الى الحسين ابن علي رضى الله عنهما .

ومحمد عبده ينتسب من جهة الام الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ورشيد رضا ينتمى من جهة الأب والام الى آل البيت .

احسب ان الغرض من هذا التأكيد على هذا النسب مع عدم ثبوته كما فصلنا فى تراجمهم لا يخلو من هدف أو اهداف واحسب ان من اهدافه الظهور بمظهر القداسه عند العامه حتى يألفوهم ويتقربوا اليهم ويحسنوا الاصغاء الى اقوالهم ويزيدنا ريبه قول الافغاني الذى نقلناه فى ترجمته حينما اخبر الركاب بأن السفينه لن تغرق وحين سأله احد اتباعه بعد ذلك عن ذلك اجابه "لو غرقت السفينه لم اجد منهم أحدا يكذبني وان سلمت ظهرت بالقداسه من أقرب سبيل "(٢) .

وأحسب ان من اهدافه ان يكون هذا النسب حصانه لهم من أذى الدوله أو استخفاف الخصوم ولهذا يذكر الدكتور احمد الشرباصي ان حرص رشيد على ذكر هذا النسب خف حينما خفّ ما سماه (كابوس الطغيان العثماني) من جهه وسطع

(١) رشيد رضا المفسر : حسيب السامرائي ص ٢٨٣ عن رشيد رضا : محمد عبدالله السلمان ص ٢٨٣ .

(٢) نابغه الشرق جمال الدين الافغاني : سعيد الافغانى ص ٩١- ٩٢ وجمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ٥٠ - ٥١ .

نجم رشيد رضا من جهة أخرى "[1] .

مولده ونشأته :

ولد يوم الاربعاء ٢٧ جمادى الأول ١٢٨٢ هـ الموافق ١٨ تشرين الاول ١٨٦٥ م في قريه "قلمون" على شاطئ البحر جنوب طرابلس الشام على بعد ثلاثة اميال نشأ بها ودخل في كتابها وتعلم فيه قرآءة القرآن الكريم والخط وقواعد الحساب ثم دخل المدرسه الرشديه بطرابلس الشام وهي ابتدائيه تابعة للدوله العثمانية والتعليم فيها بالتركيه لانها تعد خريجها لتولي الوظائف الحكوميه وتركها بعد عام والتحق بالمدرسه الوطنيه الاسلاميه بطرابلس ايضا سنه ١٢٩٩ هـ - ١٨٨٢ م وكان التعليم فيها بالعربيه وتدرس بها اللغتان التركيه والفرنسيه وكان الشيخ حسين الجسر هو المنشئ لهذه المدرسه وهو احد علماء الشام الافذاذ ولم يطل عمر هذه المدرسه فأغلقت وتفرق طلبتها والتحق السيد بالمدارس الدينيه بطرابلس ومع هذا فلم يقطع صلته باستاذه حسين الجسر فظل ينهل الكثير من المدرسه ومن الشيخ حتى نال الشهاده العاليه من المدرسه ونال الاجازه فى التدريس من شيخه وكان السيد رشيد مقدما عند استاذه وزادت ثقته فيه حتى صار يطلب رأيه في مؤلفاته وكان السيد لا يهاب ابداء رأيه وظل رشيد موضع تقدير استاذه الذى اتاح له الكتابه في الصحف وكان لهذا التوجيه من استاذه اثر كبير في حياته وكان له اساتذه أخرون اخذ عنهم علم الحديث والفقه والادب والبلاغه ولم يكن لاحدهم من التأثير ما للأول .

وفى الحق ان السيد رشيد تأثر في حياته برجلين وكتاب ومجله أما الرجلان فتقدم ذكر الاول أما الثاني فمحمد عبده . أما الكتاب فكتاب احياء علوم الدين للغزالي أما المجله فالعروة الوثقى .

مع الغزالي :

قرأ السيد رشيد احياء علوم الدين للغزالي ودأب على مطالعته مرارا وتكرارا حتى صار له بالغ التأثير في سلوكه فأحب التصوف وانقطع للعباده وحدث عن نفسه بعد صلاة العيد فقال "صعدت الى غرفة خلوتي واتممت قرآءة ما بلغته من الاحياء

(١) رشيد رضا صاحب المنار : احمد الشرباصي ص ١٠٦ - ١٠٧ .

وفيه ذلك البحث البليغ العظيم التأثير فى الفناء والتوحيد فما اتممته الا وشعرت بأنني في عالم آخر من اللذه الروحيه وانه لم يبق لي وزن فكأني روح بغير جسم "[١]
واستمر السيد في طريقته الصوفيــــه .

الأمـــر بالمعـــروف

وكان السيد مع هذا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فأعلن انكاره لما يحدث في مجالس الذكر لجماعه المولويه وكان يقرأ الدروس في المسجد ويحث في خطبـــة الجمعه على الاصلاح ويذهب الى المقاهي وينصح من فيها باداء الصلوات ويبسط في تعليمهم ابواب الفقه ويقرب قواعده للعامه ويحذر من التبرك باصحاب القبـــور ويأمر بقطع الاشجار التى يتبرك فيها بعض العوام ويلقي الدروس على نساء القريـــه لتعليمهن امور دينهن فى الطهاره والعبادات واللباس .

العروه الوثقـــي

كان هذا تصوفه وكانت تلك بدايه اصلاحه وهما نتيجة تأثره باحياء علوم الدين الى ان التقى بالموئثر الثاني الذى يحدث عنه رشيد فيقول : " كنت اقلب في اوراق والدى فرأيت عددين من جريدة العروه الوثقي فقرأتهما بشوق ولذه ففعلا في نفسي فعل السحر "[٢] " وكان كل عدد منها كسلك من الكهرباء اتصل بي فأحـــــدث في نفســـي من الهزه والانفعال والحراره والاشتعال ما قذف بي من طور الى طور ومن حال الى حال "[٣] ويصف الطورين والحالين فيقول " كان همي قبل ذلك محصورا في تصحيح عقائد المسلمين ونهيهم عن المحرمات وحثهم على الطاعـــات وتزهيدهم فى الدنيا . . . فتعلقت نفسي بعد ذلك بوجوب ارشاد المسلمـــين عامه الى المدنيه والمحافظه على ملكهم ومباراة الامم العزيزه فى العلوم والفنـــون والصناعات وجميع مقومات الحياة فطفقت استعد لذلك استعدادا "[٤] .

مع الافغاني وعبـــده :

واشتهر حبه وتعلقه الشديد بالافغاني ومحمد عبده حتى صار الثناء عليهما أمامه يعتبر تقربا اليـــه .

---

(١) رشيد رضا ابراهيم محمد العدوى ٣٣ من سلسله اعلام العرب الموءسسه المصرية العامه ص ٣٥ .
(٢) تـــاريخ الأستاذ الامام رشيد رضا ج ١ ص ٨٤ .
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٠٣ . (٤) المرجع السابق ج ١ ص ٨٤ - ٨٥

وكتب الى الافغاني وهو في الآستانه كتابا ابان له فيه ما يكنه له من محبة وتأييد وسأله ان كان يقبله مريدا يتلقف الحكمه منه وتلميذا يقوم ببعض الخدمه [١] .

وكان الشيخ محمد عبده في الشام منفيا من مصر والتقى به السيد رشيد مرتين في طرابلس في مناسبتين قصيرتين كان نتيجتهما زيادة اعجاب السيد رشيد بالامام ورغبته في الاتصال به .

رحلته الى مصر :

وبعد ان توفي الافغاني سنه ١٣١٤ هـ عزم السيد رشيد على الرحيل "الى مصر للاتصال بوارث علمه وحكمته الاستاذ الامام لتلقي الحكمه منه" [٢] .

وكان وصوله الى القاهره يوم السبت ٢٣ رجب ١٣١٥ هـ .

اللقاء :

وفي ضحوة الاحد ذهب الى زيارة الاستاذ محمد عبده بداره في الناصريه وكان أول حديث لهما في هذا اللقاء الاول عن اصلاح الازهر وما قام به الامام من اصلاحات فيه وكان اول اقتراح له عليه ان يكتب تفسيرا للقرآن ينفخ فيه من روحه التى وجد روحها ونورها في مقالات العروه الوثقى [٣] . فلم يوافق الامام بل اجابه ان القرآن لا يحتاج الى تفسير كامل من كل وجه فله تفاسير كثيره اتقن بعضها ما لم يتقنها بعض ولكن الحاجه شديده الى تفسير بعض الآيات فاقترح عليه رشيد ان يقرأ درسا في التفسير واكثر عليه القول في ذلك في زياراته التاليه .

درس التفسير :

فوافق الامام وبدأ الدرس في غرة المحرم سنه ١٣١٧ هـ وانتهى منه في منتصف المحرم سنه ١٣٢٣ هـ عند تفسير قوله تعالى "وكان الله بكل شيء محيطا" من الآيه ١٢٥ من النساء" [٤] وتقدم بيان طريقته في ذلك ولم يتوقف التفسير بموت الامام فواصل السيد رشيد التفسير من حيث توقف استاذه .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام رشيد رضا جـ ١ ص ٨٧ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٩٩٨ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٧٦٥ .
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٧٦٨ .

منهجه في التفسير :

ويصف طريقته بعد وفاة استاذه في التفسير فيقول " هذا وانني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآيه من السنه الصحيحه سواء كان تفسيرا لها او في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات او الجمل اللغويه والمسائل الخلافيه بين العلماء وفي الاكثار من شواهد الآيات في السور المختلفه وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين الى تحقيقها "[1] .

كانت تلك طريقته في التفسير بعد وفاة استاذه واكمله الى الآيه ١٠١ من سورة يوسف وطبع الجزء الثاني عشر والاخير من المنار الى نهايه الآيه ٥٣ من سورة يوسف أما الباقي من السوره فاكمله الاستاذ بهجت البيطار وطبعه باسم رشيد رضا في كتاب مستقل[2] يشمل السوره كامله .

جريدة المنار :

كان من اغراض السيد رشيد الباعثه له على الانتقال من الشام الى مصر انشاء صحيفه اصلاحيه الا انه احب اخذ موافقة استاذه اولا فاستشاره في ٦ شعبان ١٣١٥هـ وبعد نقاش وحوار وافق الاستاذ بعد ان اقترح ثلاثه امور :

١ - ان لا يتحيز لحزب من الاحزاب .
٢ - ان لا يرد على جريدة من الجرائد التى تتعرض له بذم او انتقاد .
٣ - ان لا يخدم افكار احد من الكبراء[3] .

ثم شاوره في اختيار اسم لها وعرض عليه مجموعه من الاسماء فأختار اسم المنار وصدر العدد الاول في ٢٢ شوال سنه ١٣١٥ هـ ١٧ مارس ١٨٩٨ م واعلنت فيه اغراضها وهي نشر الاصلاحات الاجتماعيه والدينيه والاقتصاديه واقامه الحجه على ان الاسلام باعتباره نظاما دينيا لا يتنافر مع الظروف الحاضره وان غاية رشيد من انشاء المنار مواصله السير على منهج العروه الوثقى[4] .

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٦ .
(٢) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي دار الكتب الحديثه الطبعه الاولى ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م جـ ٣ ص ٢٤٣ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٠٠٣ .
(٤) رشيد رضا تأليف ابراهيم احمد العدوى ص ١٣٥ .

وآخر ما طبع من المنار الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين في ٢٩ ربيع ثاني ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م .

وبذل الامام وسعه في بثها وانتشارها فكان يثني عليها في مجالسه ويتحدث عنها وكأنه صاحبها وبالمقابل كانت الصحيفه سبب شهرة الاستاذ وبث آرائه وافكاره وتفسيره ولمس الاستاذ الامام ذلك عندما زار تونس والجزائر[1] .

الاصلاح :

جعل السيد رشيد رضا صحيفته منبرا للاصلاح ونشر فيها مقالات استاذه الاصلاحيه وكتب بنفسه مقالات اخرى واستكتب العلماء والادباء الذين يشاركونهم المهنة .

واشتهر اسم السيد رشيد رضا ليس فى العالم العربي فحسب بل وفي العالم الاسلامي وبلاد اوروبا فراسله العلماء والجمعيات والافراد والمستشرقون وكلهم يشيد بالمنار .

البدع :

فقويت الحاجه الى نشر الاصلاح فحذر من البدع والخرافات السائده في المجتمع وبين ان الاسلام بريء منها وحمل العلماء مسئوليه انتشارها ووجوب قلعها من جذورها وبين ان العلماء والحكام بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الانسان وان صلاح حالهما يصلح حال الأمه وان العلماء هم القائمون على الطب الروحاني الذى هو تهذيب الاخلاق وتقويم العادات وبين لهم الطريق الى ذلك بأنها طريقة الوعظ والتعليم بالخطابه من على المنابر وفي اماكن البدع نفسها وتحمل المشاق المترتبه على ذلك مع تحلى الدعاة بالاخلاق الفاضله والآداب الاسلاميه الساميه .

التربيه والتعليم :

وواصل السيد رشيد في صحيفته دعوة استاذه الى اصلاح التربيه والتعليم فحذر الراغبين في اصلاح التربيه والتعليم من تقليد المدارس الحكوميه السائدة اذ ان هدف تلك المدارس اعداد تلاميذها للوظائف " ومن يرمى بتعليمه الى هذا

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٠١٧ .

الفرض فهو خاسر .. وأجدر بتعليم هذا شأنه ان يسعى في ازالته "[1] وبين الفنون التي يجب ادخالها في ميدان التربيه والتعليم لمسايره ركب العلم والعرفان وهي علم اصول الدين وتهذيب الاخلاق وفقه الحلال والحرام والعبادات والاجتماع وتقويم البلدان والتاريخ والاقتصاد وتدبير المنزل والحساب والصحه وعلم لغة البلاد والخط[2] ودعا الناس الى انشاء المدارس بأنفسهم لأن المدارس الحكوميه في عهده خاضعه للاستعمار مع انتشار المدارس التبشيريه .

معهد الدعوه والارشاد :

هينما اشتدت الحاجه الى دعاة على قدر كبير من الوعي والقدره على الاصلاح وردت اليه كتب من اطراف العالم الاسلامي تطلب منه بذل العون والمساعده لهم ضد الارساليات التبشيريه التى اغرقت البلاد بمبشريها ومدارسها فرأى السيد رشيد ان من الواجب انشاء مدرسه لتخريج الدعاة وارسالهم الى تلك الاقطار . فكتب في المنار عن ذلك ولم يكتف بالمقالات فزار الآستانه وحصل على الموافقة على ذلك[3] وافتتحت في ربيع الاول سنه ١٣٣٠ هـ وكانت تعطي الطالب شهاده مرشد بعد ثلاث سنوات تؤهله للدعوه والارشاد بين المسلمين أما اذا واصل سنوات ثلاث اخرى فيصبح داعيا من الدعاة لغير المسلمين للدخول في الاسلام وكان لهذه المدرسه اثر كبير في اعداد الدعاة .

اصلاح الازهر :

وسار على نهج استاذه في اصلاح الازهر وكتب كثيرا من الانتقادات والآراء وزاد نشاطه وحماسه بعد استقاله استاذه ووفاته اذ أحس ان عليه العبء الأكبر بعد ذلك وكان يلقى من المشاق الكثير وكان خصومه اكثر من خصوم استاذه اذ ان خصوم استاذه خصوم له بالتبع ويفوقه بخصومه هو فاضطر الى تأليف كتاب عن "الازهر والمنار" سنه ١٣٥٢ هـ شرح فيه آراءه وخلاصة تجاربه في هذا الميدان وما اعترضه

(١) مجلة المنار العدد ٣٠ فى ٢٤ جمادى الاولى سنه ١٣١٦ هـ المجلد الأول ص٥٧
(٢) رشيد رضا لابراهيم العدوى ص ١٧٧ - ١٧٨ .
(٣) رحلات رشيد رضا جمع وتحقيق يوسف ايبش المؤسسه العربيه للدراسات والنشر بيروت ط أولى ١٩٧١ م ص ٦٤ ، ٧٣ .

من عقبـــــات [١] .

مطبعـــة المنـــار :

وكان السيد قد انشأ للمنار مطبعه خاصه بعد ان كانت تطبع في المطابــــع التجاريه ولم تقتصر تلك المطبعه على طبع المنار فحسب بل كانت تطبع الكتـــــب الاسلاميه .

في الســــياسة :

كتب السيد رشيد مقدمة العدد الاول ونقد عليه استاذه فيها تدخلـــــه في السياسه وبيان ما للأمه على الامام وما للامام على الامه . وحذره من الخـــوض في السياسه والتدخل فيها وكان السيد يمتثل أمر استاذه .

وفى ذلك الوقت كان عبد الرحمن الكواكبى طليقا يكتب في السياسه ما يشـــاء والف "طبائع الاستبداد" و "ام القرى" فلم يقف السيد رشيد مكتوف اليدين امام هذا النشاط فنشر تباعا "سجل ام القرى" فساعد على ترويج المنار .

وظل رشيد يجد من استاذه كابحا لجماحه كلما هم بالانطلاق نحو معـــترك السياسه [٢] ولما توفي الاستاذ دخل السيد رشيد ميدان السياسه جهارا فنقـــد الدوله العثمانيه وانشأ مع العثمانيين المقيمين فى القاهره "جمعية الشورى العثمانيه" وتولى رئاستها وبدأت ترسل منشوراتها السريه الى سائر ارجاء البلاد العثمانيه فأقلق مضاجع الســـلطة الى ان وقع الانقلاب العثماني وكان رشيد من الساعـــين الى هذا الانقلاب بالخفاء [٣] .

وحينما احتلت ايطاليا طرابلس الغرب كتب عشر مقالات بعنوان المســــألة الشرقيه [٤] حذر فيها من الخطر الذى يحدق بالعالمين الاسلامي والعربي . ولمـــا نشبت الحرب العالميه الاولى حاول الانجليز استمالته اليهم ولما لم يروا منه ذلك صار تحت مراقبتهم [٥] .

---

(١) رشيد رضا ابراهيم العدوى ص ٢٠٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١٦ - ٢١٩ .
(٣) مجلة المنار مجلد ١٤ ص ٤٣ .
(٤) رشيد رضا ص ٢٣٦ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٤٣ .

ونشط في ابداء آرائه السياسيه في جميع الاحداث في تلك الفتره وما بعدها وكان له مشاركه في محاربة الصهيونيه وسعيها الى الاستيلاء على فلسطين فاشترك في المؤتمر السورى الفلسطيني في جنيف سنه ١٩٢١م ووقع الاختيار عليه ليكون نائبا لرئيس المؤتمر وكتب سلسله من المقالات عن ثوره فلسطين اسبابها ونتائجها وحقائق في بيان حال اليهود والانجليز والعرب .

مؤلفـــاته :

وكان له نصيب كبير في الكتابه والتأليف حتى قال عنه شكيب ارسلان " ولم أكن ارى في عصرنا هذا اصبر على الكتابه واجلد على الشغل واسيل قلما واسرع خاطرا من الشيخ رشيد فلو وزعنا ما كتبه بقلمه وبخط بنانه في حياته على خمسين كاتب لاصاب كلا منهم قسط يجدر بأن يجعله في صف المؤلفين العاملين "[1] ومن الصعب حصر مقالاته وكتاباته الصحفيه ومؤلفاته العلميه ونكتفي بذكر ابرزها :

١) الحكمه الشرعيه في محاكمة القادريه والرفاعيه وهو اول مؤلفاته دونه اثناء طلبه العلم في الشـــام .

٢) مجله المنار وسبق الحديث عنها .

٣) تاريخ الاستاذ الامام في ثلاثه مجلدات وهو أوسع ترجمة للامام محمد عبده .

٤) نداء للجنس اللطيف . ٥) الوحي المحمدى ٦) المنار والازهر .

٧) ذكرى المولد النبوى ٨) الوحده الاسلاميه ٩) يسر الاســلام .

١٠) الخلافه ١١) الوهابيون والحجـــاز .

١٢) السنه والشيعه أو الوهابين والرافضه . ١٣) مناسك الحج .

١٤) تفسير المنار وسبق الحديث عنه

١٥) الربا والمعاملات في الاسلام.

١٦) مساواه الرجل بالمرأة ١٧) رسالة في ابي حامد الغزالي .

١٨) المقصوره الرشيديه ١٩) شبهات النصارى وحجج الاسلام .

٢٠) خلاصه السيره المحمدية ٢١) تفسير الفاتحه وست سور من خواتيم القرآن .

٢٢) انجيل برنابا . ٢٣) المسلمون والقبط

---

(١) شكيب ارسلان : رشيد رضا أو اخاء اربعين عاما ص ١٦٢ و ١٦٣ .

٢٤) عقيده الصلب والفداء .   ٢٥) محاورات المصلح والمقلد .

٢٦) فتاوى السيد رشيد رضا .   ٢٧) ترجمة القــرآن .

وكانت تلك موءلفاته المطبوعه بالاضافه الى العديد من المقالات الصحفيـــة والرسائل بينه وبين العلماء نذكر لذلك مثلا رسائله الى شكيب ارسلان الـــتى بلغت نحو مائتى رساله منها ما يتجاوز عشر صفحات (١) .

وفــــــاته :

خرج السيد رشيد رضا يوم الخميس ٢٣ جمادى الاولى ١٣٥٤هـ/٢٢ اغسطس ١٩٣٥م لوداع الامير سعود بن عبد العزيز فى السويس واثناء عودته بالســـيارة وقبل وصوله مصر الجديده كان منصرفا لقراءه القرآن ومازال يقرأ حتى اصابه دور من ارتجاج للسياره وتقيّـأ ثم عاد الى القرآن يقرأه ثم اتكأ على ظهره فى السياره وقـد فاضت روحه في منتصف الساعه الثانيه من بعد ظهر هذا اليوم ودفن رحمه الله فـي قرافه المجاورين في قبر بجوار استاذه محمد عبده (٢) .

سلفيتـــــــه :

واحسب ان الحديث عن السيد رشيد رضا لا يتم الا بالحديث عن سلفيتـــه ، كيف لا وهي الصوره التى رسخت فى اذهان الناس عنه .

ولعـــل الحديث عن مثل هذه السمه البارزه في شخصيه السيد رشيد يطرح سؤالا عريضا عن كيفيه جمع السيد رشيد لصفة السلفيه مع انتمائه الى المدرسه العقليـة الحديثه وهم الى المعتزلة أقرب منهم الى السلف .

الحق ان السيد رشيد - وهذا حسب اعتقادى - بدأ يتحوّل تدريجيا من منهج المدرسه العقليه الحديثه الى منهج السلف ولعل بدايه هذا التحول تعقب وفاة استاذه محمد عبـده .

وهو وان لم يكن تحولا كاملا الا أنه كان فى ازدياد الى ان ادركته الوفاه وتبدو مظاهر هذا التحول عن سيرة سلفه التى ساروا عليها فيما يلى :-

(١) رشيد رضا - ابراهيم العدوى ص ٢٦٨ .

(٢) المرجع الســابق ص ٢٨١ - ٢٨٣ .

أولا : منهجه في التفسير

فقد نصّ في تفسيره على انه خالف منهج استاذه بالتوسع فيما يتعلق بالآيه من السنه الصحيحه سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغويه والمسائل الخلافيه بين العلماء ، وفي الاكثار من شواهد الآيات في السور المختلفه وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين الى تحقيقها بما يثبتهم بهدايه دينهم في هذا العصر أو يقوى حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعه أو يحل بعض المشكلات التى اعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن اليه النفس[1] .

ثانيا : عنايته بكتب السلف وطبعها في مطبعه المنار وذلك بطبع كتب ابن تيميه وابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب ونحوهم وهو أمر اشتهر به السيد رشيد والمنار حتى سماه خصومه بالوهابي .

وبذل جهدا كبيرا في الدفاع عن العقيده السلفيه المتمثله في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فكتب مقالات عديده في الدفاع عنها بل تجاوز هذا الى التأليف فألّف كتاب :

١ - السنه والشيعه أو الوهابيه والرافضه " ردّ فيه على خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الشيعه والرافضه .

٢ - الوهابيون والحجاز " وهو مجموعة مقالات كتبها حينما هاجم خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الحركه الاصلاحيه ووصفوها بالابتداع والخروج عن الاسلام ، شرح فيها حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومبادئها واهدافها وحالة اتباعها في عصره وانهم لا يرجى غيرهم في اعاده ما للمسلمين من عزه ومجد[2] .

ونشاطه في طبع كتب السلف وتحقيقها والتعليق عليها بما يوضحها ويجلوها للناس أمر لا يخفى ، وكان لها الاثر الكبير في تحوله الى مذهب السلف وتأثره بهم عن طريق كتبهم .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٦ .
(٢) الوهابيون والحجاز : محمد رشيد رضا ص ١٠ .

ثالثا : الخصومه بينه وبين اتباع المدرسه العقليه الحديثه من تلاميذ الشيخ محمد عبده فقد ادركوا تحوله عن منهج شيخه وجرت بينه وبينهم مناقشات حادة في الصحف وكثيرا ما هاجموه وهاجموا آراءه الجديده ومن هؤلاء الاستاذ محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريده السياسه المصريه فقد فتح مجلته للهجوم على السيد رشيد رضا ، ويذكر السيد رشيد ان السبب فى ذلك هو وقوفه ضد على عبد الرازق وكتاب " الاسلام واصول الحكم " الذى انكر فيه التشريع الاسلامي من اساسه (١) .

ومن هؤلاء الشيخ عبد العزيز جاويش والاستاذ محمد فريد وجدى فقد حاربوه على صفحات مجلتهم (العلم) الناطقه باسم الحزب الوطنى ووصفوا جمعيه الدعوه والارشاد ومدرستها التى يقوم السيد رشيد رضا برئاستها بأنها تعمل لاسقاط الخلافه العثمانيه وانشاء خلافه عربيه ، وهم يقصدون بهذا ان تقطع الدوله العثمانيه عنها معونتها وتغلق ابوابها ويخسر السيد رشيد بابا من ابواب الاصلاح التى افتتحها ورد السيد رشيد على هذا وبادر الى اعلان نظام جمعية الدعوه والارشاد بكل وضوح (٢) .

ولم يكن هؤلاء وحدهم خصومه بل كان منهم كل من يحارب الاسلام فضلا عن الدعوه السلفيه اذكر من هؤلاء سلامه موسى الذى حمل على رشيد رضا حمله قويه حتى قال " ان بلدة طرابلس الشام صدرت الى مصر فى تاريخها الحديث نكبتين : أولهما الطاعون وثانيهما الشيخ رشيد رضا " (٣) .

ومع ان الخصومه بينه وبين الاستاذ هيكل والشيخ جاويش لم تمتد طويلا فقد انتهت بالمصالحة والتراضي الا ان هذا يرجع الى سماحة السيد رشيد رضا ولين جانبه وتناسيه لاخطائهم بل كان سريع التأثر اذا ذكروا بعد موتهم عنده ولما مات جاويش كتب عنه السيد رشيد رضا فى مجلة المنار ومدحه ورثاه (٤) .

---

(١) مجلة المنار المجلد ٢٨ ص ٢٤٠ .
(٢) مجلة المنار المجلد ١٥ ص ٩٢٥ والمجلد ١٣ ص ٤٦٥ وما بعدها .
(٣) رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : محمد بن عبد الله السلمان ص ٣٤٨ عن محمد عبده : لمحمد صبيح ص ٦ .
(٤) رشيد رضا أو اخاء اربعون عاما : شكيب ارسلان ص ١٥٠ و٢٦٦ - ٢٦٧ .

رابعا : ان علاقه السيد رشيد بالانجليز لم تكن كعلاقة الافغاني وعبده المريبه بهم فقد كان السيد رشيد يعلن حربه للاستعمار بجميع اشكاله الانجليزى والفرنسي والايطالي .

ولم تكن له علاقه وطيده مع رجال الانكليز بل لم تربطه اى علاقه وطيده مع أى انجليزى الا مستر متشل انس الذى وصفه السيد رشيد بأنه كان من خيار الانكليز ، الذين تقلدوا بعض اعمال الحكومه بمصر[1] .

وكثيرا ما حذر السيد رشيد المسلمين من مخططات الانجليز وفضح اساليبهم ووصفهم بانهم اعداء الخلافه الاسلاميه والعرب معا ، وانهم الذين يحاربون دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويساعدون خصومهم بالمال والعتاد ويذكر موانع انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنها الدولة العثمانيه ومحمد على باشا ودولة الدسائس الشيطانيه[2] ويقصد بها بريطانيا .

أما الاستعمار الايطالي فقد كتب عنه حينما احتلت ايطاليا طرابلس الغرب عشر مقالات بعنوان المسأله الشرقيه حذر فيها من الخطر الذى يحدق بالعالمين الاسلامي والعربي حتى اضطر وكلاء الدول الاوربيه فى مصر الى الالتجاء الى المعتمد البريطاني في مصر ليوقف هذه المقالات ويحول دون انتشارها بين الامه العربيه[3] .

أما الاستعمار الفرنسي فقد كان له نشاط كبير فى كفاحه ومهاجمة سياسته الراميه الى تنصير المسلمين ونقد الازهر فى عدم اعداده احتجاج على فرنسا بهذا المعنى[4] وكان كفاحه وحربه للاستعمار الفرنسي كبيرا ليس هذا مكان استقصاؤه .

ومن هنا ندرك انه خالف منهج الافغاني وعبده فى حرب الاستعمار فهما لم يشيرا فى مجلتهما العروة الوثقي الى غير الاستعمار الانجليزى -كما مر- مع علاقتهم المريبه بهم .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١٠ ص ٤٢٢ .
(٢) مجلة المنار المجلد ٢٦ ص ٢٠٥ .
(٣) رشيد رضا : ابراهيم العدوى ص ٢٣٨ .
(٤) المنار والازهر : رشيد رضا ص ١٤ .

أما هو فقد كان حربه صريحة ومتنوعة للاستعمار بجميع اشكاله والوانه .

خامسا : انه لم يدخل الماسونيه بل كان يحذر منها ومن الانتساب اليها ومن رواجها بين المسلمين [١] وكان اذا عاب أحد عنده الافغاني أو محمد عبده بدخول الماسونيه اكتفى بقوله " نعم هما داخلان فى الماسونيه ولكن انا لم ادخل فيها [٢] .

سادسا : ثم حربه لجمعية الاتحاد والترقي التى خلعت السلطان عبد الحميد بعد ما تكشفت له اهدافها التى ترمي اليها من القضاء على الخلافة الاسلامية وتأسفه على الخلافه الاسلاميه ووصفه لجمعية الاتحاد والترقي بأنها جمعية الاحمرين الدم والذهب [٢] ووصف مصطفى كمال اتاتورك بالالحاد والمروق من الدين الاسلامي [٣] وأخذ يدعو بعد هذا بشده الى اعادة الخلافه الاسلاميه والف فى ذلك كتابه " الخلافه أو الامامه العظمى " ولم يكتف بالكتابه بل كان له نشاط عملي ودعا الى عقد مؤتمر للخلافه فى مصر عام ١٣٤٣ هـ وتم انعقاد المؤتمر ولم تكن له نتيجه مشجعة [٤] .

ومن هذا ندرك مدى مخالفة السيد رشيد رضا لسيرة استاذيه الافغاني ومحمد عبده ولم يكن هذا التحول فجائيا بل كان التدرج واضحا في سيره فقد كان يزداد قربا الى منهج السلف كلما امتد به العمر الى ان توفاه الله .

ولا يعنى هذا خروج رشيد رضا من نطاق بحثنا هنا فانا لا نحاسبه على الجانب أو الجوانب السلفيه منه فى فكره فهذه امور نحمدها له ونذكرها .

ولكن نعنى هنا بالجانب الآخر من فكره وهو جانب تأثره بالافغاني ومحمد عبده الذى بقي أثره معه الى وفاته لم ينفك عنه وليس هو بالقليل .

---

(١) مجلة المنار المجلد ١٤ ص ٣١٨ .
(٢) الاسلام والحضاره الغربيه محمد محمد حسين ص ٩٦ .
(٣) مجلة المنار المجلد ١٦ ص ١٤٥ وانظر المجلد ١٩ ص ١٥٩ .
(٤) رشيد رضا أو اخاء اربعون عاما ص ٣٥٢ - ٣٥٣ وص ٤٤٤ - ٤٥٠ .

رابعا : محمد مصطفى المراغي

يوضح لنا الاستاذ انور الجندى علاقة المراغي بمحمد عبده بأنه اذا كان الامام المراغي اكبر تلاميذ الامام كما يقول تشارلز آدمز فهو في الحق اقربهم اليه . واذا ذهبت تقارنه برشيد رضا ومصطفى عبد الرازق وضح لك هذا المعنى أما الشيخ رشيد فقد مال الى الصحافه والتوجيه الكتابي ولم يكن خطيبا وكانت آراؤه في نطاق متحفظ أقل جرأه من محمد عبده واقرب الى الجمود أما الشيخ عبد الرازق فقد كان اقرب الى الفلاسفه والادباء والمعلمين منه الى المصلحين وكان منزعه الى الادب اقرب أما المراغي فقد كان سويا على الصراط مصلحا مزهريا بالفطرة لم تأخذه الصحافه ولم تمل به السياسه ولم يذهب مذاهب الادباء والفلاسفه[1] .

نشأته :

هو محمد مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي

ولد في قريه " المراغه " من مديريه جرجا في الصعيد فى شهر ربيع الآخر سنه ١٢٩٨ هـ الموافق ٩ مارس سنه ١٨٨١م وبدأ في طلبه العلم كأنداده فحفظ القرآن في الكتاب وتردد على بعض العلماء في مدينه طهطا المجاوره للمراغه وانتقل بعد ذلك الى الازهر لمواصله الدراسه في وقت كانت تسوده حركه فكريه اصلاحيه امامها الشيخ محمد عبده فكان له الاثر فى تكوين عقليته الاسلاميه وتعلقه بالامام واعجابه به فحضر دروس البلاغه والتفسير التى كان الامام يلقيها فى الازهر ولم يلبث فى الازهر طويلا فتقدم في سنه ١٩٠٤م لشهاده العالميه فأعطى الدرجه الثانيه وعين مدرسا فى الازهر .

فى القضاء :

وبعد فتره قصيره وفي نفس العام صدر الأمر بتعيينه قاضيا في مدينة دنقله فى السودان ثم عين في سنه ١٩٠٦ م قاضيا لمديريه الخرطوم ثم نقل الى مصر

(١) الامام المراغي انور الجندى ١١٥ من سلسله اقرأ دار المعارف بمصر اغسطس ١٩٥٢م ص ١٤٤ - ١٤٥ .

مفتشا بوزاره الاوقاف سنه ١٩٠٧م وصدر الامر بعد ذلك في اغسطس ١٩٠٩م بتعيينه قاضيا لقضاة السودان وكان من اصلاحاته فى هذا المنصب ان طالب كل محكمة ان ترسل كشفا شهريا بالقضايا والاحكام الصادره فيها فيراجعها ويصحح الاخطاء ان وجدت بل ربما استدعى القاضي وناقشه فى القضية [١] ثم نقل الى مصر في سبتمبر سنه ١٩١٩م بوظيفة رئيس للتفتيش الشرعي وتقلب بعدها في عدة مناصب كان من اهمها رئاسة المحكمه العليا الشرعيه فى سنه ١٩٢٣م حيث أصدر أمرا بتشكيل " لجنة تنظيم الاحوال الشخصيه " برئاسته وكان يقول لاعضاء اللجنه " ضعوا من المواد ما يبدو لكم انه يوافق الزمان والمكان وانا لا يعوزني بعد ذلك ان آتيكم بنص من المذاهب الاسلاميه يطابق ما وضعتم " [٢] !!

شيخ الأزهر :

وفي ٢٢ مايو سنه ١٩٢٨م عين شيخا للازهر فكان ان تقدم بقانون جديد للازهر وهو يلخص تلك الاصلاحات في جوابه لسؤال من محرر جريدة الهلال فيقول : " نريد ان نقصر الازهر على الاقسام العاليه واقسام التخصص فقط أما القسم الابتدائي والقسم الثانوى فسنؤسس لهما مدرستين بالقاهره .. " وبعد ذلك يدخل الطالب الازهر وهو ثلاث كليات الشريعه للقضاء والفقه واللغه العربيه وهي تشبه دار العلوم بل المراد منها ان تقوم مقامها اصول الدين حيث يدرس الطالب جميع الاديان ومقابله كل دين بآخر .. وفي كل هذه الكليات الثلاث يدرس الطالب لغات اجنبيه ولغة شرقيه قديمه أو حديثه " [٣] .

ولا يتحقق للشيخ شيء مما اراد وتقف في سبيله العقبات فيستقيل في العاشر من اكتوبر ١٩٢٩م [٤] وقد صدرت خطه الاصلاح التى وضعها فى القانون المعروف

---

(١) الامام المراغي انور الجندى ١١٥ من سلسله اقرأ دار المعارف بمصر اغسطس ١٩٥٢م ص ١٧ .

(٢) المجددون فى الاسلام عبد المتعال الصعيدى مكتبه الاداب بالجماميز الطبعة الثانيه ١٣٨٢هـ ص ٥٤٨ .

(٣) مجلة الهلال المصريه أول يوليه ١٩٢٩م ٢٤ محرم ١٣٤٧هـ الجزء التاسع السنه ٣٧ المجلد الثاني ص ١٠٣٨ .

(٤) الشيخ المراغي باقلام الكتاب جمع ابو الوفا المراغي المطبعه المنيريه بالأزهر الطبعة الاولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م ص ١٢٢ .

بالقانون رقم ٤٩ لسنه ١٩٣٠م [١] ولكن بتعديل [٢] وفي السابع والعشرين من ابريل سنه ١٩٣٥م يعود الشيخ مرة اخرى الى مشيخه الازهر فيجرى فيه بعض التعديلات وبدأ بتنظيم البعثات وبعد عودتهم لم يحققوا كل امله فيهم وكان يعلن ذلك في اسف الى خاصته ولم يهتم بعد ذلك بارسال بعثات اخرى [٣] ، وقسم الوعظ ومعهد القراءات ولجنة الفتوى ووضع مشروع المدينه الازهريه ومكتب البحوث الثقافية والمعاهد والوحده الطبيه [٤] ويستمر في هذا المنصب وتلك الاصلاحات الى وفاته .

اعماله :

من ابرز اعمال الشيخ المراغي التى تدل على منهجه الفكرى :

١ - تقريره عن الاحوال الشخصيه الذى صدر القانون المصرى عليه ولم يتقيد فيه بالمذاهب الاربعة [٥] بناءً على دعوته الى الاجتهاد ونبذ التقليد .

وقد تجاوز بدعوته الحقّ وندّت منه عباره تدل على ان قائلها يريد ان يكيف النصوص لموافقة المجتمع لا ان يكيف المجتمع لموافقة النصوص حيث يقول لاعضاء اللجنه " ضعوا من المواد ما يبدو لكم انه يوافق الزمان والمكان وانا لا يعوزني بعد ذلك ان آتيكم بنص من المذاهب الاسلاميه يطابق ما وضعتم " [٦] وهذا لا يعدّ اجتهادا فضلا عن انه اخذ من المذاهب الاسلاميه ولم يستنبط حكما جديدا بالاجتهاد فهو تقليد فسر منه اليه والى اشر منه .

٢ - اصلاح الازهر وسبق الحديث عنه .

٣ - فتواه في جواز ترجمة القرآن الى اللغات الاخرى وهو يقسم القرآن للترجمة الى قسمين فيقول : " ان بعض آيات القرآن يمكن ان تترجم ترجمه حرفيه وبعضها لا يمكن ان يترجم ترجمة حرفيه " [٧] ويجوز استنباط الاحكام من

---

(١) الاسلام والتجديد فى مصر تشارلز آدمز ص ٢٠٠ .

(٢) الشيخ المراغي باقلام الكتاب جمع ابو الوفا المراغي المطبعه المنيريه بالازهر طبعة أولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ص ١٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨ .

(٤) الامام المراغي انور الجندى ص ٧١ .

(٥) تراجم الاعلام المعاصرين انور الجندى ص ٤٣ .

(٦) المجددون في الاسلام عبد المتعال الصعيدى ص ٥٤٨ ، الفتح المبين فى طبقات الاصوليين عبد الله مصطفى المراغي ج ٣ ص ١٩٨ ، تراجم الاعلام المعاصرين انور الجندى ص ٤٢٨ .

(٧) بحث فى ترجمة القرآن محمد مصطفى المراغي ص ١٣ .

الترجمه [١] بل الناظر الى الترجمه الحرفيه لا يكون مقلدا فيها المترجم في فهم المعنى ويكون مقلدا في النوع الثاني من الترجمه ويرى وجوب الصلاة بالترجمة الحرفيه للعاجزعن العربيه [٢] مع اقراره بأن هذه " التراجم لا يصح ان تسمى القرآن " [٣] وقوله " ان الفقهاء لا يجيزون الصلاة بالتفسير بالاجماع " [٤] وسنعرض لهذا بمزيد بيان ان شاء الله .

٤ - مطالبته بحل جميع الهيئات الدينيه ومن بينها جماعة الاخوان المسلمين لأن هذه الهيئات اباحت لنفسها استصدار الفتوى ونشرها على الناس بما يتفق واغراضها . ولكن الامام المراغي مات قبل ان تنفذ رغبته [٥] .

تفسيره :

سن الملك فاروق الاول سنه حسنة وذلك بتعيين المراغي لالقاء درس في التفسير في بعض المساجد في شهر رمضان وكان الملك يحضره بنفسه مما كان له اثره في الاقبال على ذلك الدرس مع نقله في الاذاعه وطبعه في مجلة الازهر ثم نشره مستقلا .

ولم يكن الشيخ المراغي من المكثرين في التفسير بل كان مقلا ولا يتناول فيه الا آيات وسور قليله . أما الآيات فمن سور متفرقه أما السور فالحجرات والحديد ولقمان والعصر والملك .

منهجه في التفسير :

كان للشيخ عناية في اختيار الآيات لدروسه فكان يختار منها ما تتجلى فيه دلائل قدره الله وآيات عظمته وما تظهر فيه وسائل هدايه البشر ومواضع العظه والعبره وما تظهر ان القرآن لا يقف في سبيل العلم ولا يصادم ما صح من نظرياته وقواعده [٦] .

---

(١) بحث في ترجمة القرآن محمد مصطفى المراغي مطبعه الرغائب ربيع الثاني سنه ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦م ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٩ و ٢٧ . (٣) المرجع السابق ص ١٢ و ٢٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٧ .

(٥) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي جـ ٣ ص ٣٦٠ .

(٦) لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا عبد المتعال الجبرى دار الاعتصام الطبعة الاولى ١٣٩٧ هـ ص ٣٩ .

وكان لا يحاول ان يجلو ما لبهمه القرآن واعرض الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيانه ولا يقحم في تفسيره الاسرائيليات فيقول مثلا في تفسير قوله تعالى " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم "(١) ونحن لا نعلم ما هو الذى فرضه الله على الامم السابقه من قبل : اهو شهر رمضان كما قال بعض الناس ام غيره وليس لنا ما يهدينا الى شيء معين من دليل يطمئن اليه القلب "(٢) وكان له عنايه باظهار اسرار التشريع ومعالجه المشاكل الاجتماعية وعنايه في التوفيق بين القرآن والعلم وذكر لاراء العلماء مع حريه في ابداء رأيه(٣) .

موالفاته

كانت اغلب موالفات الامام المراغي رسائل او بحوث قصيره وهي :-

١) بحث في ترجمة القرآن الكريم واحكامها .

٢) رسالة الاولياء المحجورين التى حصل بها على عضويه جماعه كبار العلماء وهي مخطوطه .

٣) بحوث في التشريع الاسلامى .

٤) تفسير جزء تبارك .

٥) تفسير سورة الحجرات .

٦) تفسير سورة الحديد وآيات من الفرقان .

٧) تفسير سورتي لقمان والعصر .

٨) الدروس الدينيه التى كان يلقيها في المسجد ويحضرها الملك فاروق الاول تناول فيها تفسير عدد من الآيات المتفرقة .

٩) يوميات .

وله بحوث فقهيه في قانون الزواج والطلاق ما تزال مخطوطه لم تطبع بعد وهي موجودة في مكتبه الامام(٤) .

---

(١) سورة البقره من الآية ١٨٣ .

(٢) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٧ محمد مصطفى المراغي مطبعه الازهر ١٩٣٩م ص٦ .

(٣) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبى الجزء الثالث ص ٢٧٢ .

(٤) الامام المراغي انور الجندى ص ١٣٣ .

وفــــاته :

توفي الامام المراغي فى الاسكندريه ليلة الاربعاء ١٤/٩/١٣٦٤هـ الموافق ٢٢ اغسطس ١٩٤٥م .

- - - -

خامسا : محمد فريد وجدى

ليس اشق على الانسان ان يكتب ما يحتاج الى صفحات وصفحات بـــل المجلدات في صفحه واحده أو فى اثنتين ، وهو ما اضطرتنا اليه هنا رغبـــة الاختصار وخشية ان تكون هذه الرساله بحث تراجم لا بحث منهج فى التفسير وفـــى هذا ما نحسبه عذرا لنا اذا ما جاءت الترجمة هنا مبتوره مقتضبه اذ ليس مرادنـــا هنا الاستقصاء والشمول ولكنه التعريف ليس الا .

ذلك أن حياة محمد فريد وجدى بحر متلاطم الامواج زاخر العباب بخيره وشره بصلاحه وفساده ، بنفعه وضره ،بنوره وظلمته .

ولد محمد فريد بن مصطفى وجدى بن على رشاد بين عامي ١٨٧٥ ، ١٨٧٨م على خلاف بين المؤرخين ، فى الاسكندريه ، مكث فيها ١٦ عاما تعلم في مدارسهـا تعليما أبعد ما يكون عن الدين وعن الدراسات الاسلامية [1] .

ثم أختير والده وكيلا لمحافظه دمياط فانتقل اليها مع والده ،وكان والده يمنعه من مناقشه العلماء حينذاك فى بعض المسائل المتعلقه بالكون والخلق ، لكن هذا لم يمنعه من حب المناقشه ما أمكن وبعد سنوات ثلاث انتقل الى السويس وتعلم فيها الفرنسيه ، وفى سنه ١٨٩٩م اصدر رسالة له بعنوان " الفلسفه الحقه فى بدائـــع الاكوان " [2] وعلى اثر ذلك أصدر مجلة (الحياة) ثم كتب كتابه " المدنيه والاسلام"

ثم انتقل الى القاهره حيث قضى فيها بقيه عمره فانشأ سنه ١٩٠٧م جريـدة خاصه به اسماها (الدستور) وشارك فى كتابة المقالات فى عدد من الجرائـــد والمجــــلات .

---

(١) محمد فريد وجدى وآثاره الاسلاميه : عبد الحليم عويس ، مقال في مجلـــة اضواء الشريعه العدد الثامن ص ٤٥٤ .

(٢) الاعلام : خير الدين الزركلى جـ ٧ ص ٢٢٠ .

ويذكر الاستاذ عبد الحليم عويس ان " من البديهيات المعروفه ان فريد ا قد تأثر بالجو الاسلامي الذى كان سائدا فى بلاد الشرق كلها آنذاك . اعنى بتلك الانفاس العطره التى اشاعها السيد جمال الدين الافغاني واستنشقها الناس عطرا وشذى .. فكانت بردا وسلاما على الحركه الاسلاميه ، مهما يكن من اجتهادات جمال الدين الخاطئه ، دينيا وسياسيا "[1] .

وقد كان له نشاط كبير منذ هذا التاريخ فى التأليف والكتابه بالمجلات والجرائد السياره ، حتى عام ١٩٣٣م حيث اسند اليه الاشراف على مجلة (نور الاسلام) التى تغير اسمها بعد عامين الى مجلة الازهر وفي هذه المرحله توقف وجدى تماما عن التأليف وتخلص من المطبعه وغيرها من وسائل النشر واكتفى بهذا العمل وحده وجعله طريقه الى قرائه والى الناس[2] .

اما نتاجه الفكرى فنذكر من كل نوع اهمه :

اما التأليف فمن اهم مؤلفاته :

١) دائره معارف القرن العشرين فى مجلدات عشره .
٢) المدنيه والاسلام .
٣) على اطلال المذهب المادى ، فى ثلاثه اجزاء .
٤) الاسلام في عصر العلم جزءين .
٥) المصحف المفسر .
٦) صفوه العرفان وهي (مقدمه المصحف المفسر) .

أما الصحافه فقد اصدر من الصحف والمجلات :

١) الحياة ٢) الدستور ٣) الوجديات

أما المقالات الصحفيه :

فقد انتشرت فى عدد كبير من الصحف والمجلات واهم مقالاته :

١) مهمه الدين الاسلامي فى العالم فى ٢٦ حلقه .
٢) السيره المحمديه تحت ضوء العلم والفلسفه فى ٨٠ حلقه .
٣) عناصر المدنيه فى الديانه الاسلاميه[3] .

---

(١) محمد فريد وجدى : عبد الحليم عويس (اضواء الشريعه العدد الثامن ص٤٥٤)
(٢) محمد فريد وجدى : انور الجندى ص ٨٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٨٥ .

ومن المعروف ان وجدى كان نباتيا لا يأكل اللحوم ومشتقاتها منذ سنه ١٩١٤م[1] ومما يؤخذ عليه مناصرته للانقلاب على الخلافه الاسلاميه ، وثناؤه على أتاتورك وتمجيده له وتمجيد حركته التى ثبت - فى وقته - عداؤها للاسلام واهله .

وكذا ايمانه باستحضار الارواح فقد سئل عما اذا كان يؤمن باستحضار الارواح فأجاب بالايجاب[2] ،

وكذا تأثره واعجابه الشديدين بالمدنيه الغربيه وانخداعه بمنهجها ، وغير ذلك كثير وقد كانت وفاته فى ١٥ فبراير ١٩٥٤م .

---

(١) محمد فريد وجدى وآثاره الاسلاميه : حامد عويس اضواء الشريعة ج ٨ ص ٤٥٧ و ٤٨٧ .

(٢) محمد فريد وجدى : انور الجندى ص ٩٦ .

سادسا : محمود شلتوت

ولد شلتوت فى ٢٣ ابريل ١٨٩٣م ببلدة منيه بنى منصور مديريه البحيره ، والتحق بالمعهد الديني في الاسكندريه سنه ١٩٠٦م ونال شهادة العالميه سنه ١٩١٨م .

وعين مدرسا بمعهد الاسكندريه الديني عام ١٩١٩م ونقل فى سنه ١٩٢٧م مدرسا بالقسم العالي فى القاهره وقد حاول فى تلك الفتره مواصلة " الاصلاح " الذى بدأه الافغاني ومحمد عبده والمراغي فى الازهر لكن المشرفين على سياسة الازهر رفضوا ذلك وصدر الأمر بفصله سنه ١٩٣١م .

ثم اعيد سنه ١٩٣٥م وعين وكيلا لكلية الشريعه الاسلاميه ثم مفتشا بالمعاهد الدينيه .

وفى سنه ١٩٥٧م عين وكيلا للجامع الازهر الى أن صدر فى ٨ ربيع الثاني سنه ١٣٧٨هـ الموافق ٢١ اكتوبر ١٩٥٨م أمر بتعيينه شيخا للجامع الازهر . واستمر فى هذا المنصب حتى وفاته .

وقد كان له جهد كبير فى اصلاح الازهر قبل وبعد توليه المشيخه فى الأزهر قال الاستاذ احمد حسن الزيات " وكان قد سبقه فى محاوله هذا الاصلاح ثلاثة من ابناء الازهر النابغين ولكنهم منوا جميعا بالعجز عنه لاستبداد القصر يومئذ بسياسة الازهر .. فقضى محمد عبده بحسرة من بغي عباس ومضى المراغي بخيبه من هوى فؤاد وخرج عبد المجيد سليم بنزوه من نزق فاروق فاتجه - يعنى شلتوت - بعقله وقلبه الى المشاركه فى هذا الاصلاح "(١) .

وقد تحدث الاستاذ الزيات عن مكانة شلتوت بين الناس وعلل السبب بقوله " ومما ساعد على بلوغ هذه المكانه دعوته الى التقريب بين المذاهب والطوائف وعمله للسلام بين الاديان والأمم "(١) .

وقد ساهم فى انشاء جمعيه لهذا الغرض كانت تصدر مجلتها (رسالة الاسلام) وكان الشيخ شلتوت يكتب فيها تفسيرا للقرآن الكريم قال عنه الاستاذ

---

(١) مجلة الازهر ج ٦ مجلد ٣٥ شعبان ١٣٨٣هـ ص ٦٤٤ وما قبلها .

محمد عبد الله السمان : " ان الحق الذى لا مراء فيه ان تفسيرات القرآن القديمه على كثرتها وضخامتها لم تكن لتغني أى مفكر في هذه الآونه عن تفسير كتفسير المنار .. الا ان هذا التفسير الجديد لم تشأ له الظروف العديدة أن يتم .. وجاء الزمان بعقليات ناضجه تصلح أن تكون امتدادا لعقلية الامام المفكر ومنها عقلية المرحوم الامام المراغي .. ولم تشأ له الظروف ايضا ان يفسر القرآن أو على الاقل ان يواصل ما وقف عنده الشيخ رشيد رضا .. وأما الاستاذ الاكبر الشيخ شلتوت فقد بدأ فعلا فى ان يقوم برسالته على نحو كتاب الله واستطاع ان يقدم للمكتبه الثلث الاول من القرآن والأمل فى الله وعده ان يمده بالصحه والعافيه حتى يكمل ما بدأ "[1].

وقال عنه حسن الشيخه " لم ينقطع هذا الفيض القرآني بعد عصر الامام محمد عبده بل اتصل حاضره بماضيه وآخره بأوله فقد ربط الشيخ الاكبر محمود شلتوت بين عهده وبين عهد الامام وبين طريقته وطريقته بعروة وثقى لا انفصام لها ، فكان طليعة وارثيه فى استقامته على طريقة الاصلاح بالقرآن للعقائد الدينيه وللمجتمع الانساني "[2]

وقال الاستاذ عباس محمود العقاد ان المنهج الذى اختاره شلتوت فى التفسير واقتدى به هو منهج المعلم (المصلح العظيم محمد عبده)[3] وقال عنه الاستاذ خفاجي أنه " ممن درسوا افكار الامام محمد عبده الاصلاحية التجديديه وتأثروا بها "[4].

وللشيخ شلتوت مؤلفات عديده نذكر منها :-

١) فقه القرآن والسنه ٢) كتاب مقارنه المذاهب ٣) منهج القرآن فى بناء المجتمع .

٤) القرآن والقتال ٥) القرآن والمرأة ٦) تنظيم النسل .

٧) الى القرآن الكريم ٨) الفتاوى ٩) الاسلام عقيده وشريعة.

١٠) تفسير القرآن الكريم الاجزاء العشره الاولى .

وتوفي الشيخ شلتوت ليلة الجمعه ٢٧ رجب ١٣٨٣ هـ .

---

(١) مجلة الازهر مجلد ٣٢ الجزء الاول محرم ١٣٨٠ هـ ص ١١٢ - ١١٣ .
(٢) المرجع السابق المجلد ٣٠ الجزءان ٤ و ٥ ربيع الآخر وجماد الاولى ١٣٧٨ هـ.
(٣) المرجع السابق المجلد ٣٥ الجزء السادس شعبان ١٣٨٣ هـ ص ٦٤٧ .
(٤) الازهر فى الف عام : محمد عبد المنعم خفاجي ج ٣ ص ١١٢ - ١١٣ .

سابعا - عبد العزيز جاويش

ولد جاويش في ٣١ أكتوبر ١٨٧٦م فى الاسكندريه ، وبدأ فيها طلب العلم ثم انتقل الى القاهره فى عام ١٨٩٢م ويتميز هذا العام بمميزات عده لها أثر فى تكوينه الفكرى بعد ذلك كان الاستعمار يضرب أطنابه وكان الشيخ محمد عبده قد عاد من المنفى وهو يلقى دروس التفسير فى الازهر ، وصدرت فى هذا العام عشرات الصحف والمجلات .

وقد اتيح له فى هذه الفتره ان يلتقى بالشيخ محمد عبده قدمه اليه الشيخ رشيد رضا فحضر مجالسه فى عين شمس واتصل به عن قرب وأحبه (١) .

ثم انتقل من الازهر الى دار العلوم حيث أحرز شهادتها سنه ١٨٩٧م فابتعث الى بريطانيا حيث عاد بعد سنوات ثلاث ليعين مفتشا في وزارة المعارف الا أنه يعود مره أخرى الى بريطانيا سنه ١٩٠٢م ليقوم بتدريس اللغه العربيه هناك ، وعاد فى سنه ١٩٠٦ لعمله الاول مفتشا فى وزاره المعارف فى القاهرة حتى استقال عام ١٩٠٨م ليتولى رئاسة تحرير " اللواء " لمده أربع سنوات هي كل عمله الصحفى قدم خلالها للمحاكمه ثلاث مرات وحقق معه أربع مرات وسجن مرتين (٢) مما اضطره الى السفر فى فبراير ١٩١٢ (٣) الى تركيا حيث انشأ هناك مجلة (الهلال العثماني) ولم يكف عن الكتابه عن احوال بلاده حتى اتهمته الحكومة المصريه بتوزيع منشورات فى مصر فسلمته الحكومه التركيه اليها سنه ١٩١٧م ثم عاد الى الآستانه فى نفس العام بعد ان ثبتت براءته من التهم الموجهه اليه ثم غادرها الى المانيا سنه ١٩١٨م وعاد الى مصر أخيرا سنه ١٩٢٣م .

وعين سنه ١٩٢٥م مديرا للتعليم الى ان توفي فى ٢٥ يناير ١٩٢٩م .

وقد عمل جهده مواصله ما بدأه اساتذته الافغاني ومحمد عبده من " اصلاح " التعليم فى الازهر فعمل على ارسال بعثه أزهريه الى أوربا من نوابغ الازهر فقد كانت البعثات تسافر من كل المدارس ما عدا الازهر ، فجد فى جمع المال اللازم لهذا المشروع وقرر أن يكون الزى وسطا بين الشرقي والأوربي فاختار

---

(١) عبد العزيز جاويش : أنور الجندى ص ٤٢ .
(٢) المرجع السابق : ص ٥٨ . (٣) المرجع السابق ص ١١٩ .

لهم العمامه العاليه مع البذله الافرنجيه وقال عن هذا المشروع رأيت أن أبذر في مصر من الازهريين رجالا فأرسلهم الى حيث يتلقون العلم الصحيح (!!) ليرجعوا لنا وقد جمعوا منه ما يمكنهم ان يدرسوه لا مثالهم الازهريين وقد أشار جاويش الى أنه أقتفى في ذلك أثر الشيخ محمد عبده في اصلاح الازهر (١) .

وقال الدكتور محمد محمد حسين عن منهج جاويش في التفسير " وأخذ عبد العزيز جاويش في تفسيره للقرآن يسير على منهج الشيخ محمد عبده في ربطه بالظروف القائمه متنقلا في ذلك بين التاريخ والأدب والاجتماع والسياسه " (٢)

وقال عنه الاستاذ سالم قنيبر أنه " أقتفى آثار الشيخ محمد عبده ونهج منهجه في تفسير القرآن الكريم تفسيرا يسير فيه على نسق يلائم روح العصر " (٣) .

وقال الاستاذ أنور الجندي " وقد حرص جاويش ان يقوم بتفسير القرآن على نحو عصري سلفي على النحو الذي بدأه الشيخ محمد عبده واستمع اليه جاويش في الرواق العباسي سنه ١٩٠١ وهو في كثير من عروضه للاسلام والقرآن يستشهد به ويردد اسمه مسبوقا بعباره وقال " استاذنا " " (٤) .

وقال عنه ايضا " كأنما هو خليفه حقيقي لجمال الدين الافغاني في معالجته لقضايا العالم الاسلامي ووريث أصيل لمحمد عبده في حلوله لمسائل الاصلاح الاجتماعي والتربيه " (٥) .

وقد كان السيد رشيد هو الذي جمع بينه وبين محمد عبده حيث قال " اتصل بشيخنا الاستاذ الامام فتلقح ذهنه بأفكاره ، واقتبست بصيرته من انواره ، وكنت أنا الذي قدمته اليه وذكرت له ذكاءه وغيرته وطموحه وهمته وجمعه بين التعليمين الاسلامي والأوربي " (٦) .

---

(١) عبد العزيز جاويش : انور الجندي : ص ١٨١ .
(٢) الاتجاهات الوطنيه في الادب المعاصر : محمد محمد حسين : ج ١ ص ٣٤٠ .
(٣) الاتجاهات السياسيه والفكريه والاجتماعيه في الادب العربي المعاصر : سالم قنيبر ص ٢٩٠ .
(٤) عبد العزيز جاويش : انور الجندي ص ٢٠٣ .
(٥) المرجع السابق ص ٥٩ .
(٦) مجلة المنار : رشيد رضا مجلد ٢٩ ج ٩ ص ٧١٣ .

وقد كان الاستاذ انور الجندى وضعه " فى ثبت الاعلام الذين رجعــــوت ان اكتب عنهم مثل محمد فريد وجدى وعبد العزيز الثعالبى وعبد الحميد بن باديس وغيرهم من مدرسة جمال الدين وتلامذته "(١).

أما مؤلفاته فمنها : الاسلام دين الفطره والحريه ، وارشاد المعلمــين ، واسرار القــرآن

- - - - -

ثامنــا ـ عبد القادر المغربي

ولد عبد القادر بن مصطفى المغربي في اللاذقيه في ٢٤ رمضان ١٢٨٤هـ، وانتقل مع والده الى طرابلس الشام وتلقى العلم فيها على ابيه ، ولزم الشيخ حسين الجسر علامه طرابلس . وتحدث المغربي عن الاطوار التى مر بها فى طلبه العلـم الى أن قال " ... غير أنى لما اتصلت بالسيد الافغاني وانعمت النظر فى دراسة تعاليمه انتقلت في حياتي الفكريه الى الدور الثالث أو الطور الثالث ، وهو ان نفهم النص الدينى فهما صحيحا مراعى فيه قوانين اللغه وقواعد بلاغتها ونستوثـــق من مطابقة النص للكتاب والسنه ثم نجرأ على التصريح بما فهمنا من النص ســـواء أوافق رأى غيرنا أم لا ، وقد اقتبسنا هذه الطريقه فى الفهم من اقوال الســيد الافغاني وتعاليمه المرويه المبثوثه في العروه الوثقى أولا ثم فى سائر ما علق بكفنــا من كتاباته وكتابات تلميذه الشيخ محمد عبده ثانيا"(٢).

وبدايه صلته بالمدرسه كزميله السيد رشيد بدأت عن طريق مجله العــروة الوثقى " أخذت ابحث عن اعدادها وكانت ثمانيه عشر عددا مبعثره لدى بعـض فضلاء طرابلس .. وكان شريكي فى هذا الحرص الشيخ رشيد وكان هو ينسخ المهم من مقالاتها أما أنا فكنت انسخها بقلمى من الفها الى يائها "(٣) ودفعه الشـوق الى رؤية جمال الدين وكان فى سنه ١٣١٠هـ مقيما فى الآستانه فسافر اليه وظـل فى جواره سنه واحده أفاد منه فوائد جليلـــه(٤).

(١) عبد العزيز جاويش : انور الجندى ص ٤ .
(٢) جمال الدين الافغاني ذكريات وأحاديث : عبد القادر المغربي ص ٤٥ .
(٣) المرجع السابق ص ١٤ .
(٤) محاضرات عن عبد القادر المغربي : محمد اسعد طلس ص ١٨ .

وأولع بعدئذ بدراسة آثار الشيخ محمد عبده واستدعاه الامام محمد عبده الى مصر حيث المجال للدعوه آنذاك أرحب واوسع [١] وكان استدعاؤه ذلك بعد الافراج عن المغربي من المعتقل وذلك لتهجمه على الخلافه الاسلاميه فى الآستانه وتنديده بها كسائر تلاميذ المدرسه .

ولما انتقل الى مصر عمل فى الصحافه وكان له نشاط كبير فيها ومما نشره فى المؤيد يومئذ مقال بعنوان (حجاب المرأه فى الاسلام) وحمل عليه المحافظون من أجلـه [٢] .

وقد عرض عليه الاستعمار الفرنسي منصب الافتاء بطرابلس للافادة منه كما استفاد الاستعمار البريطاني من الشيخ محمد عبده بتوليته منصب الافتاء فى البلاد المصريه - لكن المغربي رفض ذلك [٣] .

وقد كانت أعنف فترة فى حياته خلال سنتي ١٩٠٦م - ١٩١١م - فقد قام فيما بين هذين العامين بحمله على الحجاب ودعا الى سفور المرأه وقد وصف من احوال نساء أوربا وامريكا ومخالطتهن للرجال ما يشعر باستحسانه له وتمنيه لنسائنا مثله حتى هاج عليه الشيوخ [٤] .

وهو يرجو من قاسم أمين ان يتحفنا بكتاب فى المرأه يكون ثالث القمرين (يعنى كتابي تحرير المرأه ، والمرأه الجديده ، لقاسم أمين) وشاهدا لصاحبه بالحسنيين " [٥] .

وكان للمغربي عدد كبير من المؤلفات نذكر منها ما له علاقه بالترجمه :-

١ - كلمتان فى السفور والحجاب : طبع سنه ١٩١٠ - ١٩١١ هـ .
٢ - محاضرات عن (محمد صلى الله عليه وسلم والمرأه) طبع سنه ١٣٤٧هـ .
٣ - جمال الدين الافغاني ذكريات واحاديث نشر فى سلسله اقرأ ١٩٤٨م .
٤ - تفسير جزء تبارك طبع عدة مرات .
٥ - على هامش التفسير طبع سنه ١٣٦٨ هـ .

---

(١) محاضرات عن عبد القادر المغربي : محمد اسعد طلس ص ١٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٢١ . (٣) المرجع السابق ص ٢٢ .
(٤) المرجع السابق ص ٥٢ .
(٥) المرجع السابق ص ٥٣ .

أما آخر ما كتب فـ " النجم الآفل " وهي ترجمه لروايه " غادة الكاميليا " للاسكندر دوماس ووضع الشيخ المغربي فيها اشعارا وادوارا غنائيه حيث عرضت على الجماهير في المسرح في ٣ اكتوبر ١٩٠٨م ويظهر ان المغربي لم يكن يرغب في ان يعرف الناس انه قد ترجم هذه الروايه وانه نظم أغانيها ووضع أدوارها الغنائيه فرفض طبعها ونشرها . ويظهر انه كان لا يحب ان يعرف عنه انه اهتم بالروايات والمسرحيات لما في ذلك من الغض من سمعته ومكانته الدينيه (١) .

وتوفي في دمشق ٢٧ شوال ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦م .

- - - -

تاسعا ـ احمد مصطفى المراغي

كان بودى أن اكتب له ترجمه ولكن مع البحث والتنقيب الشديدين لم أجد له شيئا من ذلك ، بل وجدت بعض الذين تعرضوا لتفسيره نصوا على أنهم لم يجدوا له ترجمه .

ولا ضرر كبير في ان لا نجد له ذاك مادام تفسيره موجود بين أيدينا وهو ينضح بتأثره بالافغاني ومحمد عبده ويصرح بذلك ويكثر النقول عنهم مع الاعجاب والثناء ، ويؤيد أفكارهم ويسير على نهجهم في التفسير ، ويؤل الآيات بما أولوها به .

---

(١) محاضرات عن عبد القادر المغربي : محمد اسعد طلس ص ٥٩ .

الباب الاول

رجال المدرسة :

١) جمال الدين الافغاني .

٢) محمد عبده .

٣) محمد رشيد رضا .

٤) محمد مصطفى المراغي .

٥) غيرهم .

منهج المدرسه العقليه الحديثه في التفسير :

يحدد رجال المدرسه التفسير المطلوب للقرآن الكريم بأنه " فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخره فان هذا هو المقصد الاعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله "(١) .

ويرى الشيخ احمد مصطفى المراغي في تفسيره ان هذا هو ما يطلبه الله منا في التفسير لم يطلب منا سواه فقال " ولما كان القرآن كتابا سماويا تنزل على قلب اكمل الانبياء مشتملا على معارف عاليه ومطالب ساميه ، يجد المنقب عنها من الهيبه والجلال ما يكاد يحول بينه وبين الوصول اليها سهّل سبحانه الأمر علينا ، فلم يطلب منا الا الفهم والتدبر في كلامه لانه نزله نورا وهدى للناس ، وجعله حاويا للشرائع والاحكام التى لا يمكن العمل بها الا اذا فهمت حقّ الفهم ، واستوضحت مغازيها وكشفت اسرارها ومراميها ، من حيث هي دين الهي وهدى سماوى ، ترشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيويه والأخرويه ، وما سوى ذلك من وجوه النظر والبحث فتابع لذلك ، ووسيله اليه في التحصيل ، ولا يعنينا العناية التى نهتم لها اهتمامنا بالمطلب الاول "(٢) .

وهم يريدون بهذا ان يلقوا اللوم على كثير من المفسرين السابقين بشتى مذاهبهم ومناهجهم في التفسير - الذين اشتغلوا بوسائل التحصيل عن المقصد الاعلى والمطلب الاسمى ، اذ يرى الشيخ احمد المراغي أن " كثيرا من المفسرين جعلوا عنايتهم تكاد تكون وقفا على الوسائل دون المقاصد "(٣) لهذا يرى السيد رشيد رضا انه " كان من سوء حظ المسلمين أن اكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العاليه والهدايه الساميه ، فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث

(١) فاتحة الكتاب : للشيخ محمد عبده ص ٥ وتفسير المنار محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٧ .
(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ١ ص ١١ .
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١١ .

الاعراب وقواعد النحو ، ونكت المعاني ومصطلحات البيان ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين وتخريجات الاصوليين ، واستنباطات الفقهاء المقلدين ، وتأويلات المتصوفين ، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض ، وبعضها يلفته عنه بكثره الروايات وما مزجت به من خرافات الاسرائيليات ، وقد زاد الفخر الرازى صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضيه والطبيعيه وغيرها من العلوم الحادثه في الملة على ما كانت عليه في عهده ، كالهيئه الفلكية اليونانيه وغيرها " (١).

لهذا فللتفسير - كما يرى الشيخ محمد عبده - وجوه شتى :-

(احدها) النظر فى اساليب الكتاب ومعانيه وما اشتمل عليه من انواع البلاغه ليعرف به علو الكلام وامتيازه على غيره من القول ، سلك هذا المسلك الزمخشرى ، وقد ألم بشيء من المقاصد الاخرى ونحا نحوه آخرون .

(ثانيها) الاعراب وقد اعتنى بهذا اقوام توسعوا في بيان وجوهه وما تحتمله الالفاظ منها .

(ثالثها) تتبع القصص وقد سلك هذا المسلك اقوام زادوا في قصص القرآن ما شاءوا من كتب التاريخ والاسرائيليات .. الخ .

(رابعها) غريب القرآن .

(خامسها) الاحكام الشرعيه من عبادات ومعاملات والاستنباط منها ، وقد جمع بعضهم آيات الاحكام وفسرها وحدها ومن اشهرهم ابو بكر بن العربي ، وكل من يغلب عليهم الفقه من المفسرين يعنون بتفسير آيات احكام العبادات والمعاملات اكثر من عنايتهم بسائر الآيات .

(سادسها) الكلام في اصول العقائد ومقارعة الزائغين ومحاجة المختلفين . وللامام الرازى العناية الكبرى بهذا النوع .

(سابعها) المواعظ والرقائق ، وقد مزجها الذين ولعوا بها بحكايات المتصوفه والعباد ، وخرجوا ببعض ذلك عن حدود الفضائل والآداب التى وضعها القرآن .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٧ .

(ثامنها) ما يسمونه بالاشاره . وقد اشتبه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام الصوفيه ، ومن ذلك التفسير الذى ينسبونه للشيخ الاكبر محي الدين بن عربي ، وانما هو للقاشاني الباطنى الشهير ، وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله وكتابه العزيز "[1] .

ويعقب رجال المدرسه العقليه على هذا بأن الاكثار في مقصد خاص من هذه المقاصد يخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الالهي ويذهب بهم فى مذاهب تنسيهم معناه الحقيقي وهو فهم الكتاب من حيث هو دين وهدايه للناس فى دنياهم وآخرتهم[2] .

وحتى يكون التفسير في المرتبه العليا لابد من تحقق امور فى المفسر هي كما يراها الشيخ محمد عبده :-

(احدها) فهم حقائق الالفاظ المفرده التى اودعها القرآن بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات اهل اللغه غير مكتف بقول فلان وفهم فلان .. الخ .

(ثانيها) الاساليب فينبغى أن يكون عنده من علمها ما يفهم به هذه الاساليب الرفيعه وذلك يحصل بممارسه الكلام البليغ ومزاولته ، مع التفطن لنكته ومحاسنه والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه .

(ثالثها) علم احوال البشر .. فلابد للناظر فى هذا الكتاب من النظر فى أحوال البشر في اطوارهم ، وادوارهم ، ومناشىء اختلاف احوالهم ، من قوة وضعف ، وعزّ وذلّ ، وعلم وجهل ، وايمان وكفر ، ومن العلم بأحوال العالم الكبير ، علويه وسفليه ، ويحتاج فى هذا الى فنون كثيره من اهمها التاريخ بأنواعه .

(رابعها) العلم بوجه هدايه البشر كلهم بالقرآن . فيجب على المفسر القائم بهذا الفرض الكفائي ان يعلم ما كان عليه الناس فى عصر النبوه من العرب وغيرهم ، لأن القرآن ينادى بأن الناس كلهم كانوا فى شقاء وضلال ، وان النبى صلى الله عليه وسلم بعث به لهدايتهم واسعادهم ، وكيف يفسر المفسر ما قبحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقه أو ما يقرب منها اذا لم يكن عارفا بأحوالهم ، وما كانوا عليه ؟

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٧-١٨ وتفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ١ ص ١١-١٢ .

(٢) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢١-٢٤ باختصار وفاتحة الكتاب : محمد عبده ص ٩-١٢ .

(خامسها) العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشئون دنيويها واخرويها "[١].

ويرى السيد رشيد ان الذى " يفهم القرآن ويتفقه فيه من كان نصب عينه ووجهه قلبه في تلاوته في الصلاة وفي غير الصلاة ما بيّنه الله تعالى فيه من موضوع تنزيله ، وفائده ترتيله ، وحكمة تدبره ، من علم ونور ، وهدى ورحمه ، وموعظه وعبره ، وخشوع وخشيه ، وسنن في العالم مطرده ، فتلك غايه انذاره وتبشيره ، ويلزمها عقلا وفطرة : تقوى الله تعالى بترك ما نهى عنه ، وفعل ما أمر به بقدر الاستطاعه ، فانه كما قال (هدى للمتقين) "[٢].

لهذا وذاك ولاجل تفاوت المفسرين في الاتيان بهذه الشروط التى ذكرها الشيخ محمد عبده والتفاوت في مدى التزامهم للهدف الذى طلبه الله منا في التفسير - كما حددوه - قسّم الشيخ محمد عبده التفسير الى قسمين :-

(احدهما) جاف مبعد عن الله وعن كتابه ، وهو ما يقصد به حلّ الالفاظ واعراب الجمل وبيان ما ترمي اليه تلك العبارات والاشارات من النكت الفنيه وهذا لا ينبغى ان يسمى تفسيرا ، وانما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرهما .

(ثانيهما) وهو التفسير الذى قلنا : انه يجب على الناس على انه فرض كفايه ، هو الذى يستجمع تلك الشروط لاجل ان تستعمل لغايتها وهو ذهاب المفسر الى فهم المراد من القول وحكمة التشريع في العقائد والاحكام . على الوجه الذى يجذب الارواح ، ويسوقها الى العمل والهدايه المودعه في الكلام ليتحقق فيه معنى قوله " هدى ورحمه " ونحوهما من الأوصاف ، فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو :- الاهتداء بالقرآن "[٣].

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢١ - ٢٤ باختصار وفاتحة الكتاب: محمد عبده ص ٩ - ١٢ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٧ .

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٤ - ٢٥ .

ولاجل هذا الهدف وضع الشيخ عبده وتلاميذه تفاسيرهم للقرآن الكريم قال الاستاذ الامام محمد عبده - بعد ما نقلناه آنفا - " وهذا هو الغرض الأول الذى ارمي اليه فى قرآءة التفسير "[1].

ويرى السيد رشيد ان " الحاجة شديدة الى تفسير تتوجه العنايه الاولى فيه الى هدايه القرآن على الوجه الذى يتفق مع الآيات الكريمه المنزله في وصفه ، وما انزل لاجله من الانذار والتبشير والهدايه والاصلاح ... ثم العناية الى مقتضى حال هذا العصر ، فى سهوله التعبير ، ومراعاة افهام صفوف القارئين ، وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفه والعلوم الطبيعيه وغيرها "[2].

أما الشيخ احمد مصطفى المراغي فيرى " ان الاساليب التى كتبت بها كتب التفسير وضعت فى عهود سحيقه بأساليب تناسب اهل العصور التى ألفت فيها ويسهل عليهم فهمها ، وان جمهرتهم أوجزوا في القول وعدوا ذلك مفخرة لهم ، ولما كان لكل عصر طابع خاص يمتاز به عن غيره فى آداب اهله واخلاقهم وعاداتهم وطرائق تفكيرهم - وجب على الباحثين فى هذا العصر مجاراة اهله في كل ما تقدم ، فكان لزاما علينا ان نتلمس لونا من التفسير لكتاب الله باسلوب عصرنا موافقا لامزجه اهله ، فأساس التخاطب ان لكل مقام مقال . وان الناس يخاطبون على قدر عقولهم ، وقد رأينا أن نشيد فيه بجهود السابقين معترفين بفضلهم ، مستندين الى آرائهم "[3].

لهذا ولغيره من الاسباب اعتنى رجال المدرسه العقليه الحديثه بالتفسير ، ومن قرأ تفاسيرهم ادرك ان لهم منهجا خاصا بهم سلكوه في تفسيرهم للقرآن.

ونرى لزاما علينا ان نبين هنا انهم قد يتفقون مع منهج السلف فى بعض اسس منهجهم وقد يخالفونه ، كما انهم فى بعضها قد يتفقون معهم من ناحية تقرير الاساس والتسليم به لكنهم يتطرفون فى تطبيقه ويتجاوزون حدود السلف فيه .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٥ .
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٠ .
(٣) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ١ ص ١٧ .

ولعلنا حينما نذكر هنا كل هذه الاسس ما وافقوا فيه السلف وما خالفوه به لعلنا حينما نفعل هذا نكون قد ابرزنا الصوره الكامله لمنهجهم حتى تظهر لنا معالمه وخطوطه واضحه بينه الحسن منها والقبيح فلا نبهتهم باخفاء الحسن ولا نطمس الحقيقه باخفاء القبيح .

وسنذكر كل ما أمكن - ان شاء الله - مذهب السلف فى كل اساس من أسس منهجهم حتى تمكن المقارنه بين المنهجين وندرك مدى انحراف المدرسة العقلية فيه .

- - - - - - -

الأساس الأول : الوحده الموضوعيه في السوره القرآنية :-

وهو اساس متين ومن الخصائص البارزه في تفسير رجال هذه المدرسه . وقد وقع فيه خلاف بين علماء المسلمين السابقين ، فذهبت طائفة الى القول بالتناسق بين آيات القرآن الحكيم وارتباط بعضها ببعض ، وذهبت طائفة أخرى الى ان القرآن " لم يأت على نسق الكتب الموضوعيه .. اذ ليست له مقدمه ، وليست فيه مباحث موضوعيه ، مرتبه ، لها مقاصد واغراض فى فصول وابواب ، وانما كان القرآن مشتملا على عدة سور كل سورة منه احتوت على آيات متعدده كل آيه فى غرض . فهذه للوعظ وتلك للزجر ، وهذه قصه ، واخرى لحكم من الاحكام ، واخرى لوصف الجنه أو النار "(١) .

وجد المستشرقون - اعداء الاسلام منهم - فى هذا الخلاف منفذا خالوه من الاتساع بحيث يدخل منه دسهم ومكرهم ويكون القبول حليفه فزعموا " ان القرآن خليط متنافر وجمع غير مؤتلف ليس فيه وحدة للموضوع ولا يتبع منهج التأليف العلمي أو الفني من عرض الموضوع ومناقشته وتدوين الملاحظات واستنتاج الحقائق بل نجد السوره تدخل فى اكثر من موضوع وتعرض الجميع عرضا مبتسرا سريعا ولا تراعي مناسبه

(١) الوحده الموضوعيه في القرآن الكريم : محمد محمود حجازى ص ١٣ .

بين محتوياتها فهى اشبه بقولهم عسل ، خمر ، لبن "[١] .

فقام للرد عليهم رجال هذه المدرسه والتزموا في سبيل ذلك القول بالوحده الموضوعيه فى السوره القرآنيه متوهمين ان انكار هذا يتحقق فيه مزاعم المستشرقين .

وكان ممن سبقهم الى القول بترابط آيات السوره القرآنيه وتناسقها عدد من علماء المسلمين نذكر منهم الامام الشاطبى رحمه الله تعالى حيث يقول في كتابه الموافقات " غير أن الكلام المنظور فيه تاره يكون واحدا بكل اعتبار بمعنى انه أنزل في قضية واحده طالت أو قصرت وعليه اكثر سور المفصل ، وتاره يكون متعددا في الاعتبار بمعنى انه انزل في قضايا متعدده كسورة البقره وآل عمران والنساء واقرأ باسم ربك واشباهها ، ولا علينا انزلت السورة بكمالها دفعه واحده أم نزلت شيئا بعد شيء ولكن هذا القسم له اعتباران :-

١ - اعتبار من جهة تعدد القضايا ... الخ .

٢ - اعتبار من جهة النظم ... الخ .

وكلاهما لا يلتمس منه فقه على وجه ظاهر وانما يلتمس منه ظهور بعض أوجه الاعجاز وبعض مسائل نبه عليها فى المسأله السابقه ، وجميع ذلك لا بد فيه من النظر في أول الكلام وآخره بحسب تلك الاعتبارات ، فاعتبار جهة النظم - مثلا - في السوره لا يتم به فائده الا بعد استيفاء جميعها بالنظر فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود كما ان الاقتصار على بعض الآيه في استفادة حكم ما لا يفيد الا بعد كمال النظر في جميعها "[٢] .

ومن قال بهذا الشيخ ولي الدين الملوى الذى روى عنه الامام السيوطي رحمه الله تعالى فى الاتقان قوله - " قد وهم من قال لا يطلب للآى الكريمه مناسبه لانها على حسب الوقائع المفرقه ، وفصل الخطاب انها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمه ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما فى اللوح المحفوظ مرتبه سوره كلها وآياته بالتوقيف كما انزل جملة الى بيت العزه ومن المعجز البين

---

(١) منهج الامام محمد عبده : عبد الله محمود شحاته ص ٣٦ .
(٢) الموافقات : للامام الشاطبى ج ٤ ص ٤١٤ - ٤١٥ .

اسلوبه ونظمه الباهر والذى ينبغى في كل آيه ان يبحث أول كل شيء عن كونها مكمله لما قبلها أو مستقله ثم المستقله ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جمّ وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له "(١) .

ثم وضع الامام السيوطى قاعدة لمعرفة المناسبه فقال " قاعده " قال بعض المتأخرين الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو انك تنظر الغرض الذى سيقت له السوره وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر الى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع الى الاحكام واللوازم التابعه له التى تقتضى البلاغه شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف الى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فاذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آيه وآيه وفي كل سوره أ . هـ "(٢) .

وفي مقابل هؤلاء العلماء الاجلاء مال آخرون الى القول بنفي الوحده الموضوعيه في السوره القرآنيه وعابوا على من يلتمس في تفسيره بيان وجه ارتباط الآى بعضها ببعض وعدوا هذا من التكلف روى الامام السيوطي رحمه الله تعالى عن عز الدين بن عبد السلام رحمه الله قوله : " المناسبه علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام ان يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فان وقع على اسباب مختلفه لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه الا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن احسنه فان القرآن نزل في نيف وعشرين سنه في احكام مختلفه شرعت لاسباب مختلفه وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض "(٣) .

وقف رجال المدرسه العقليه الحديثه على هذين السبيلين ورأوا - وهم في مواجهة المستشرقين الذين حاولوا ان يلجوا من هذا المدخل الى الطعن

---

(١) الاتقان : للامام السيوطى جـ ٢ ص ١٠٨ .
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ١١٠ .
(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٠٨ .

في القرآن - ان يغلقوا عليهم هذا المنفذ ويبطلوا كيدهم ورأوا ايضا ان السبيل الى ذلك لا يكون الا بنفي القول الثاني والاخذ بالقول الاول واثبات الوحده الموضوعيه في السوره القرآنيه بصوره جليه يثبت ارتباط الآى بعضها ببعض فتتناسق آياتها وتتلاحم حتى تكون كالسبيكه الواحده .

لهذا ردوا من التفاسير كل ما يخالف الهدف الذى سيقت له السوره حتى يكون موضوع السوره اساسا في فهم آياتها فرفض الاستاذ الامام محمد عبده قول من فسر الرزق فى قوله تعالى " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا "(١) بأنه كان يجد عندها فاكهه الصيف فى الشتاء وفاكهه الشتاء في الصيف. رفض الامام محمد عبده هذا التفسير بقوله " والله لم يقل ذلك ولا قاله رسوله صلى الله عليه وسلم ولا هو مما يعرف بالرأى ولم يثبته تاريخ يحتد به والروايات عن مفسرى السلف متعارضه وفي اسانيدها ما فيها " ثم قال " وانت ترى انه لا دليل في الآيه على ان الرزق كان من خوارق العادات واسناد المؤمنين الامر الى الله فى مثل هذا المقام معهود في القديم والحديث " وقال " أما ما سبقت القصه لاجله وهو الذى يجب ان نبحث فيه ، ونستخرج العبر من قوادمه وخوافيه ، فهو تقرير نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ودحض شبه أهل الكتاب الذين احتكروا فضل الله وجعلوه خاصا بشعب اسرائيل وشبه المشركين الذين كانوا ينكرون نبوته لانه بشر ، وبيان ذلك ان المقصد الاول من مقاصد الوحي هو تقرير عقيده الالوهيه واهم مسائلها مسأله الوحدانيه وتقرير عقيدة البعث والجزاء وعقيدة الوحي والانبياء وقد افتتحت السوره بذكر التوحيد وانزال الكتاب ثم كانت الآيات من اولها الى هذه القصه أو قبيل هذه القصه فى الالوهيه والجزاء بعد البعث بالتفصيل وازالة الشبهات والاوهام في ذلك ثم بين ان الايمان بالله وادعاء حبه ورجاء النجاة في الآخره والفوز بالسعاده فيها انما تكون باتباع رسوله وقفى على ذلك بهذه القصه التى تزيل شبه المشركين . واهل الكتاب فى رسالته وتردها على وجوههم ، رد عليهم بما يعرفونه من أن آدم ابو البشر وان الله اصطفاه ... ومن اصطفاء

(١) سورة ال عمران من الآيه : ٣٧ .

نوح .. ومن اصطفاء ابراهيم .. فاذا كان الأمر له في اصطفاء من يشاء من عباده وبذلك اصطفى هؤلاء على عالمي زمانهم فما المانع له من اصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على العالمين كما اصطفى اولئك "[1] .

لهذا ايضا رد وا كل ما يخالف موضوع السوره ومعانيها . فهذا الشيخ محمد عبده يرفض قول من قال ان قوله تعالى :-

" وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنه للذين في قلوبهم مرض والقاسيه قلوبهم "[2] .

الآيات

رفض الشيخ -عبده- تأويل هذه الآيات بقصة الغرانيق[3] وقال " والآن ارجع الى تفسير الآيات على الوجه الذى تحتمله الفاظها وتدل عليه عباراتها والله اعلم " ثم استعرض هذه الآيات قائلا :- ذكر الله لنبيه حالا من احوال الانبياء والمرسلين قبله ليبين له سنته فيهم وذلك بعد أن قال (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير "[4] الى آخر الآيات ثم قال (ياأيها الناس انما انا لكم

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

(٢) سورة الحج الآيتين ٥٢ - ٥٣ .

(٣) قصه الغرانيق خلاصتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورة النجم بمكه فلما بلغ " أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثه الاخرى " ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فلما سجد فى آخر السوره سجد وا معه فأنزل الله عز وجل هذه الآيه " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم " .

قال بن كثير رحمه الله تعالى عن هذه القصه " ولكنها من طرق كلها مرسله ولم أرها مسنده من وجه صحيح " تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٢٤١ .

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى في الشفا " أما المأخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه أحد من اهل الصحه ولا رواه ثقه بسند سليم متصل وانما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .. وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته ... " الشفا للقاضي عياض جـ ٢ ص ١٠٧ .

(٤) سورة الحج الآيتين ٥٢ - ٥٣ .

نذير مبين ، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى "[١] .. الخ فالقصص السابق كان في تكذيب الامم لانبيائهم ثم تبعه الأمر الالهي بأن يقول النبى صلى الله عليه وسلم لقومه : اننى لم ارسل اليكم الا لانذركم بعاقبة ما انتم عليه ولا بشر المؤمنين بالنعيم وأما الذين يسعون في الآيات والادله التى اقيمها على الهدى وطرق السعاده ، ليحولوا عنها الانظار ، ويحجبوها عن الابصار ، ويفسدوا أثرها الذى اقيمت لاجله ، ويعاجزوا بذلك النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى يسابقونهم ليعجزوهم ويسكتوهم عن القول وذلك بلعبهم بالألفاظ وتحويلها عن مقصد قائلها - كما يقع عادة من أهل الجدل والمماحكه - هؤلاء الضالون المضلون هم اصحاب الجحيم واعقب ذلك بما يفيد ان ما ابتلى به النبى صلى الله عليه وسلم من المعاجزه في الآيات قد ابتلى به الانبياء السابقون فلم يبعث نبى في أمه الا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف ، ويضادون أمانيه ويحولون بينه وبين ما يبتغى بما يلقون في سبيله من العثرات . فعلى هذا المعنى الذى يتفق مع ما لقيه الانبياء جميعا يجب ان تفسر الآيه " ثم قال بعد ان ذكر ما يراه من تفسير لها " هذا هو التأويل الثاني فى معنى الآيه ويدل عليه ما سبق من الآيات ويرشد اليه سياق القصص السابق فى قوله " وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح "[٢] الخ . وانت ترى ان قصة الغرانيق لا تتفق مع هذا المعنى الصحيح "[٣] .

وانت ترى من هذا مبلغ تحرّيهم فى تفسير الآيات المعنى الذى يطابق موضوع السوره وهدفها الذى سيقت له .

لذلك نرى الحرص الواضح منهم على بيان موضوع السوره وتحديد معالم الوحده الموضوعيه فيها قبل تناولها بالتفسير حتى يكون هذا البيان قاعده يسير عليها تفسيرهم بعده .

---

(١) سورة الحج الآيات : ٤٩-٥٢ . (٢) سورة الحج من الآيه : ٤٢ .

(٣) الاثاره الثالثه : للامام محمد عبده ضمن كتاب تفسير الفاتحه و٦ سور من خواتيم القرآن : (رشيد رضا) ص ١٧٨-١٨٧ .

ويبين لنا الشيخ محمود شلتوت معالم الوحده الموضوعيه فى سورة البقرة بأن للسوره غرضان اساسيان :

الأول : توجيه الدعوه الى بنى اسرائيل ومناقشتهم فيما كانوا يثيرونه حول الرساله المحمديه من تشكيكات وشبه ، وفي سبيل ذلك اخذت تذكرهم بنعم الله على اسلافهم ، وبما انتاب هؤلاء الاسلاف حينما التوت عقولهم عن تلقى دعوة الحق من انبيائهم السابقين وأرتكبوا ما ارتكبوا من صنوف العناد والتكذيب والمخالفة ، وأقرأ فى ذلك من قوله تعالى في السوره " يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون "[1] الى آخر آيه البر فى منتصف السوره تقريبا " ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب "[2] وهذا هو الغرض الاول الذى استدعاه جوار المسلمين لاهل الكتاب .

أما الغرض الثاني فهو التشريع الذى اقتضاه تكون المسلمين جماعه متميزه عن غيرها فى عباداتها ومعاملاتها وعاداتها .

وقد ذكرت السوره من ذلك القصاص فى القتل العمد العدوان ، وذكرت الصيام والوصيه ، والاعتكاف والتحذير من اكل اموال الناس بالباطل وذكرت الاهله ، وانها جعلت ليعتمد الناس عليها فى معرفة أوقات العباده والزراعه وغيرها ، وذكرت الحج والعمره ، وذكرت القتال وسببه الذى يدعو اليه ، وغايته التى ينتهى اليها ، وذكرت الخمر والميسر واليتامى وحكم مصاهره المشركين ، وذكرت حيض النساء والتطهر منه ، والطلاق والعده ، والخلع والرضاع وذكرت الايمان وكفارة الحنث فيها ، وذكرت الانفاق فى سبيل الله والربا والبيع ، وذكرت طرق الاستيثاق فى الديون بالكتابه والاستشهاد والرهن ويبدأ هذا السياق من قوله تعالى بعد آيه البر " ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى "[3] الى قبل آخر السوره وكان يتخلل كل ذلك - على طريقة القرآن - ما يدعو المؤمنين الى التزام هذه الأحكام وعدم الاعتداء فيها من قصص ووعد ووعيد ، وارشاد الى سنن الله في الكون

---

(١) سورة البقره الآيه : ٤٠ .
(٢) سورة البقره من الآيه : ١٧٧ .
(٣) سورة البقره من الآيه : ١٧٨ .

والجماعات ثم تختم ببيان عقيدة المؤمنين على نحو ما بدأت في بيان أوصاف المتقين "آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون "[(١)] ثم قال الشيخ شلتوت " ثم يكون الختام الاخير تعليم المؤمنين دعاءا من شأنه ان يغرس في نفوسهم سنة الله في التشريع لهم وبناء احكامه وتكاليفه على اليسر والوسع ودفع الحرج ومن شأنه متى اخلصوا فيه أن يأخذ بأيديهم الى حياة سعيدة سهله ~~ميسره~~ وييسر لهم وسائل المغفره والنصره " ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا "[(٢)] الخ السوره وقال الشيخ شلتوت " وبذلك يؤكد آخرها أولها ويؤسس أولها لآخرها وتصير السوره كتلة واحدة "[(٣)] .

وهذا قليل من كثير ندرك به مبلغ عنايتهم بهذا الاساس في تفسير القرآن الكريم واعتمادهم له . والله الموفق ".

---

(١) سوره البقره من الآيه ٢٨٥ .

(٢) سوره البقره من الآيه ٢٨٦ .

(٣) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت الصفحات ٥١ - ٥٣ .

الأســـاس الثاني : الوحده الموضوعيه في القرآن الكريم

وبيان ذلك - كما يقول الزرقاني - رحمه الله تعالى " ان القرآن الكـــريم تقرؤه من أوله الى آخره فاذا هو محكم السرد دقيق السبك متين الاسلوب قـــوى الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله يجرى دم الاعجاز فيه كلـه من ألفه الى يائه كأنه سبيكه واحده ، ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه حلقه مفرغه أو كأنه سمط[1] وحيد وعقد فريد يأخذ بالابصار نظمت حروفـــه وكلماته ، ونسقت جمله وآياته ، وجاء آخره مساوقا لاوله ، وبدأ أوله مواتيـــا لآخـــره "[2] .

وهذا الاساس امتداد للاساس الاول ، فالقائلون به هم انفسهم القائلـون بالاول .

قال السيوطي في اتقانه والزركشي فى برهانه " قال ابن العربي فى سراج المريدين " ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمه الواحده متسقـــه المعاني منتظمه المباني علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقـــرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حمله ورأينا الخلق بأوصاف البطله ختمنا عليـــه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه "[3] .

وروى السيوطي رحمه الله تعالى عن الشيخ ولي الدين الملوى قوله " قد وهم من قال لا يطلب للآى الكريمه مناسبه " الى ان قال " والذى ينبغى فى كل آيـــه ان يبحث أول كل شىء عن كونها مكمله لما قبلها أو مستقلة ثم المستقله ما وجـــه مناسبتها ففي ذلك علم جمّ وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلهـــــا وما سيقت له "[4] أ . هـ

---

(١) قال الفيومي فى المصباح المنير " السمط وزان حمل القلاده " وقال الرازى في مختار الصحاح السمط الخيط مادام فيه الخرز والا فهو سلك .

(٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني ج١ ص٥٣ .

(٣) الاتقان : للسيوطي ج٢ ص١٠٨ والبرهان في علوم القرآن : للزركشي ج١ ص٣٦ .

(٤) الاتقان : للسيوطي ج٢ ص١٠٨ .

وقال الامام الشاطبي رحمه الله تعالى في الموافقات " فصل " وهل للقرآن مأخذ في النظر على ان جميع سوره كلام واحد بحسب خطاب العباد ، لا بحسبه في نفسه ؟ فان كلام الله في نفسه كلام واحد لا تعدد فيه بوجه ولا باعتبار ، حسبما تبين في علم الكلام ، وانما مورد البحث هنا باعتبار خطاب العباد تنزلا لما هو من معهودهم فيه هذا محل احتمال وتفصيل .

فيصح في الاعتبار ان يكون واحدا بالمعنى المتقدم ، أي يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما ، وذلك انه يبين بعضه بعضا . حتى أن كثيرا منه لا يفهم معناه حق الفهم الا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى ، ولأن كل منصوص عليه فيه من انواع الضروريات مثلا مقيد بالحاجيات ، فاذا كان كذلك فبعضه متوقف على البعض في الفهم . فلا محالة أن ما هو كذلك فكلام واحد ، فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار .

ويصح ان لا يكون كلاما واحدا وهو المعنى الاظهر فيه ، فانه انزل سورا مفصولا بينها معنى وابتداء ، فقد كانوا يعرفون انقضاء السوره وابتداء الاخرى بنزول (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول الكلام . وهكذا نزول اكثر الآيات التي نزلت على وقائع واسباب يعلم من افرادها بالنزول استقلال معناها للافهام وذلك لا اشكال فيه "(١) .

وقال رجال المدرسه العقليه الحديثه بالوحده الموضوعيه في القرآن الكريم وعدوه اساسا في فهمه وتفسيره وهم لا يريدون بهذا ان يقيدوا القرآن الكريم بهذا الوصف بمبدأ الوحده الفنيه في التأليف الادبي أو الفني . فالقصه الادبيه مثلا لها قواعد فنيه يجب مراعاتها مثل العقده والمأزق والصراع والحل ولكن القرآن الكريم كتاب هدايه يذكر من القصه أو الحادثه ما يحقق هذه الهدايه واحيانا يبسط الموضوع واحيانا يوجزه حسب مقتضى الحال واحيانا يترك الموضوع ويتكلم عن شيء مناسب أو مجانس ثم يرجع الى الموضوع الاول أو ينتقل الى غيره(٢) .

---

(١) الموافقات : الامام الشاطبي جـ ٣ ص ٤٢٠ .
(٢) منهج الامام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم : عبد الله شحاته ص ٣٧ .

ولتأكيد الوحده الموضوعيه بين آيات القرآن الكريم نرى رجال المدرسه العقليه يوازنون بين هذه وتلك فيختارون في التفسير ما يلتئم مع السياق ولهذا ربما استعرضوا آراء المفسرين السابقين في تفسير كلمه قرآنيه ورفضوها لمخالفتها لهذا الاساس .

فالامام محمد عبده - مثلا - عند تفسيره لقوله تعالى " ما ننسخ من آيه أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير "(١) يستعرض آراء المفسرين ثم يقول " هذا تقرير ما جرى عليه المفسرون في الآيات واذا وازنا بين سياق آية " ما ننسخ " وآيه " واذا بدلنا آيه مكان آيه "(٢) نجد أن الاولى ختمت بقوله تعالى " الم تعلم ان الله على كل شئ قدير "(١) والثانيه بقوله " والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر "(٢) ونحن نعلم شدة العنايه في اسلوب القرآن بمراعاة هذه المناسبات فذكر العلم والتنزيل ودعوى الافتراء في الآيه الثانيه يقتضى ان يراد بالآيات فيها آيات الاحكام وأما ذكر القدره والتقرير بها في الآيه الاولى فلا يناسب موضوع الاحكام ونسخها وانما يناسب هذا ذكر العلم والحكمه فلو قال الم تعلم ان الله عليم حكيم لكان لنا ان نقول انه اراد نسخ آيات الاحكام لما اقتضته الحكمه من انتهاء الزمن أو الحال التى كانت فيها تلك الاحكام موافقة للمصلحه "(٣) ثم يبطل تفسير ننسها بـ تركها على ما هي عليه من غير نسخ لانه لا معنى للاتيان بخير منها مع تركها على حالها غير منسوخه ثم قال :- " والمعنى الصحيح الذى يلتئم مع السياق الى آخره ان الآيه هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الانبياء من الدلائل على نبوتهم أى ما ننسخ من آيه نقيمها دليلا على نبوة نبى من الانبياء أى نزيلها ونترك تأييد نبى آخر بها أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاننا بما لنا من القدره الكامله والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات النبوه أو مثلها في ذلك "(٣) .

وقال عند تفسير قوله تعالى " والفجر وليال عشر "(٤) :- " كثر خلاف

---

(١) سورة البقره الآيه : ١٠٦ .
(٢) سورة النحل من الآيه : ١٠١ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٤١٦ - ٤١٧ .
(٤) سورة الفجر الآيتين ١ و ٢ .

المفسرين والرواة في معنى كل من الفجر وليال عشر الى آخر ما اقسم به ، وقد يفسر الواحد منهم الفجر بمعنى ثم يأتي في الليالي العشر بما لا يلائمه وغالب ذلك يجرى على خلاف ما عودنا الله في نسق كتابه الكريم ، وقد جرت سنه الكتاب بأنه اذا اريد تعيين يوم أو وقت ذكره بعينه كيوم القيامه فى لا أقسم بيوم القيامه وكاليوم الموعود فى سورة والسماء ذات البروج وكليلة القدر فى سورتها فاذا اطلق الزمن ولم يقيد كان المراد ما يعمه معنى الاسم كما سبق في قوله تعالى " والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس "[١] فالفجر هنا - على هذا - هو جنس ذلك الوقت المعروف الذى يظهر فيه بياض النهار في جلد الليل الاسود وينبعث الضياء لمطارده الظلام وهو وقت تنفس الصبح وهو معهود في كل يوم فصح ان يعرف بالالف واللام "[٢] .

واستنادا الى هذا الاساس ايضا ينفي عن تفسير الآيه القرآنيه ما لا يتفق عنده مع مفهوم الوحده الموضوعيه فى القرآن الكريم فنراه ينفي عن قوله تعالى " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم "[٣] الآيات ينفي عن تفسير هذه الآيات قصة الغرانيق فيقول : - " ما أقرب هذه الآيات في مغازيها الى قوله تعالى فى سورة آل عمران (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب)[٤] وقد قال بعد ذلك (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار)[٥] ثم قال (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ")[٦] الخ الآيات وكأن احدى الطائفتين من القرآن شرح

---

(١) سورة التكوير الآيتين : ١٧ - ١٨ .
(٢) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٧٦
(٣) سورة الحج : الآيه : ٥٢
(٤) سورة آل عمران الآيه : ٧ .
(٥) سورة آل عمران الآيه : ١٠
(٦) سورة آل عمران الآيه : ١٢ .

للاخرى فالذين فى قلوبهم زيغ هم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، والراسخون فى العلم هم الذين أوتوا العلم ، وهؤلاء هم الذين يعلمون انه الحق من ربهم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا فتخبت له قلوبهم ، وان الله ليهد يهم الى صراط مستقيم ، واولئك هم الذين يفتتنون ويشتغلون بقال وقيل ، بما يلقى اليهم الشيطان ويصرفهم عن مرامي البيان ، و يميل بهم عن محجة الفرقان ، وما يتكثون عليه من الاموال والاولاد لن يغني عنهم من الله شيئا فستوافيهم آجالهم ، وتستقبلهم اعمالهم ، فان لم يوافهم الاجل على فراشهم ، فسيغلبون في هراشهم [١] وهذه سنه جميع الانبياء مع اممهم ، وسبيل الحق مع الباطل من يوم رفع الله الانسان الى منزلة يميز فيها بين سعادته وشقائه ، وبين ما يحفظه وما يذهب ببقائه وكما لا مدخل لقصة الغرانيق فى آيات آل عمران لا مدخل لها فى آيات سورة الحج " [٢] .

وأكد على هذا الاساس تلميذه محمد رشيد رضا فى بيانه التناسب في ترتيب سور القرآن الكريم حيث يقول " من نظر فى ترتيب السور كلها فى المصحف يرى انه قد روعي فى ترتيبها الطول والتوسط والقصر فى الجمله ، ومن حكمته ان فى ذلك عونا على تلاوته وحفظه .. ولكن فى كل قسم من الطول والمئين والمفصل تقديما لسور قصيره على سور أطول منها ومن حكمة ذلك انه قد روعي التناسب في معاني السور مع التناسب في الصور أى مقدار الطول والقصر " [٣] ثم يبين لنا ذلك التناسب فى معاني السور بين البقره وآل عمران والنساء والمائده والانعام أما الفاتحه " فلا يراعى مناسبتها لما بعدها وحده اذ هي فاتحة القرآن كله " [٣] فيقول " سورة البقرة اجمع سور القرآن لاصول الاسلام وفروعه ففيها بيان التوحيد والبعث والرساله العامه والخاصه واركان الاسلام العمليه وبيان الخلق والتكوين وبيان احوال اهل الكتاب والمشركين والمنافقين فى دعوة القرآن ومحاجه الجميع

---

(١) الهراش : المواثبه والمخاصمه .

(٢) الاثاره الثالثه : محمد عبده ص ١٨٢ - ١٨٤ ضمن تفسير الفاتحة و ٦ سور من خواتيم القرآن لرشيد رضا .

(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٢٨٧ .

وبيان احكام المعاملات الماليه والقتال والزوجيه والسور الطوال التي بعدها متممة لما فيها فالثلاث الاولى منها مفصله لكل ما يتعلق بأهل الكتاب ولكن البقرة اطالت في محاجة اليهود خاصه وسوره آل عمران اطالت في محاجه النصارى في نصها الاول وسورة النساء حاجتهم فى أواخرها واشتملت فى اثنائها على بيان شئون المنافقين مما اجمل في سورة البقره ثم اتمت سورة المائده محاجة اليهود والنصارى فيما يشتركان فيه وفيما ينفرد كل منهما به . ولما كان أمر العقائد هو الاهم المقدم في الدين وكان شأن اهل الكتاب فيه اعظم من شأن المشركين قدمت السور المشتملة على محاجتهم بالتفصيل ، وناسب ان يجئ بعدها ما فيه محاجة المشركين بالتفصيل وتلك سورة الانعام لم تستوف ذلك سورة مثلها فهى متممه لشرح ما في سورة البقره مما يتعلق بالعقائد وجاءت سورة الاعراف بعدها متممه لما فيها ومبينه لسنن الله تعالى فى الانبياء المرسلين وشئون اممهم معهم وهي حجة على المشركين واهل الكتاب جميعا ولكن سورة الانعام فصلت الكلام في ابراهيم الذى ينتمى اليه العرب واهل الكتاب في النسب والدين ، وسورة الاعراف فصلت الكلام فى موسى الذى ينتمى اليه اهل الكتاب ويتبع شريعته جميع انبيائهم حتى عيسى المسيح عليه الصلاة والسلام .

ولما تمّ بهذه السوره تفصيل ما اجمل فى سورة البقره من العقائد في الالهيات والنبوات والبعث ناسب ان يذكر بعدها ما يتم ما اجمل فيها من الاحكام ولاسيما احكام القتال والمنافقين وكان قد فصل بعض التفصيل فى سورة النساء ، فكانت سورتا الانفال والتوبه وهما مفصلتين لذلك وبهما يتمّ ثلث القرآن "[1] .

وقد نهج فى بيان الوحده الموضوعيه فى تلك السور الشيخ محمود شلتوت نحو هذا المنهج ، فقال عن الوحده العامه " ان جميع ما في القرآن وان اختلفت اماكنه وتعددت سوره واحكامه فهو وحدة عامه لا يصح تفريقه في العمل ولا الاخذ ببعضه دون البعض "[2] .

وهم بهذا المنهج يذمون رواة اسباب النزول الذين عمدوا الى الآيات

---

(١) تفسير المنار : رشيد رضا جـ ٧ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .
(٢) الاسلام عقيده وشريعه : محمود شلتوت ص ٤٨٧ .

ذوات اسباب النزول ليفردوها عن بقية القرآن ويتناولوها بالتفسير والشرح من هذا الجانب وهم بهذا - كما يقول السيد رشيد رضا - " يمزقون الطائفه الملتئمه من الكلام الالهي ويجعلون القرآن عضين متفرقه بما يفككون الآيات ويفصلون بعضها من بعض وبما يفصلون بين الجمل الموثقه فى الآيه الواحده فيجعلون لكل جمله سببا مستقلا كما يجعلون لكل آيه من الآيات الوارده في مسأله واحده سببا مستقلا "(١) .

ويضرب لنا مثلا بقوله تعالى " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم "(٢) والآيه التى بعدها فيقول " انظر هذه الآيات لتجد اعجازها فى بلاغه الاسلوب : أن مهدت للأمر بتحويل القبله ما يشعر به في ضمن حكايه شبهه المعترضين التى ستقع منهم وبتوهين هذه الشبهه باسنادها الى السفهاء من الناس وايرادها مجملة ، ويوصلها بالدليل على فسادها " ثم يستمر في سرد مزايا هذه الآيات البلاغيه ليقول بعد ذلك :- " أفيصح فى مثل هذا السياق الموثق بعض جمله وآياته ببعض ان تفك وثقه ويجعل نتفا نتفا ويقال ان كل جملة منه نزلت لحادثه حدثت أو كلمه قيلت وان ادى ذلك الى قلب الوضع وجعل الاول آخرا والآخر أولا " وجعل آيات التمهيد متأخره فى النزول عن آيات المقصد ؟ أتسمح لنا اللغة والدين بأن نجعل القرآن عضين لاجل روايات رويت وان قيل ان اسناد بعضها قوى بحسب ما عرف من تاريخ الراوين ؟ "(٣) .

وهم يحكمون بهذا المنهج الذى سلكوه على منهج جدّ من بعدهم بالبطلان ألا وهو منهج التفسير البياني للقرآن الكريم ، ولست اعنى بهذا المنهج البياني الدراسات التى تناولت اعجاز القرآن البلاغي وكان لها اهميه كبيره فى بعض العصور الاسلاميه فى الدفاع عن القرآن الكريم ضدّ من حاول - مستغلا ضعف اللغه العربيه وتزعزع اركانها - التشكيك فى اعجاز القرآن كالجعد بن درهم والنظام وغيرهما فانبرى لهم الخطابي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهما . وانما اعنى بالتفسير

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ١١ .
(٢) سورة البقـــره الآيه : ١٤٢ .
(٣) تفسير المنار جـ ٢ ص ١١ وانظر ايضا تفسير المنار جـ ٢ ص ٥٦ .

البياني للقرآن الكريم منهج مدرسه جدّت من بعدهم وهى مدرسه امين الخولي ولندع الحديث لتلميذته عائشه عبد الرحمن توضح لنا اصله حيث تقول " والاصل فى منهج التفسير الادبي - كما تلقيته عن استاذى - هو التناول الموضوعي الذى يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه فيجمع كل ما في القرآن عنه ويهتدى بمألوف استعماله للالفاظ والاساليب بعد تحديد الدلاله اللغويه لكل ذلك ... وهو منهج يختلف تماما عن الطريقة المعروفه فى تفسير القرآن سوره سوره يؤخذ اللفظ أو الآيه فيه مقتطعا من سياقه العام فى القرآن كله مما لا سبيل معه الى الاهتداء الى الدلاله القرآنيه لالفاظه ، أو استجلاء ظواهره الاسلوبية وخصائصه البيانيه "(١) .

اذن فالمذهبان متضادان فالاول منهما يرى ان القرآن محكم السرد دقيق السبك متين الاسلوب قوى الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض فى سوره وآياته وجمله "

ويذهب الثاني الى " التناول الموضوعي " ويريدون به التفرغ لدراسه موضوع واحد بجمع كل ما في القرآن عنه ثم تناول هذه المجموعه التى يربطها موضوع واحد منفصله عن باقي القرآن .

ومن الطريف ان اتباع كلّ من المذهبين - وهما متضادان - يزعم ان طريقته هي التى تلتزم قول السلف الصالح القرآن يفسر بعضه بعضا فعائشه عبد الرحمن مثلا تقول عن مذهبها فى التفسير البياني للقرآن الكريم " وقصدت بهذا الاتجاه الى توضيح الفرق بين الطريقه المعهوده في التفسير وبين منهجنا الحديث الذى يتناول النص القرآني في جوه الاعجازى ويلتزم في دقّه بالغة قولة السلف الصالح " ان القرآن يفسر بعضه بعضا " - ثم تسىء الادب فتقول - " وقد قالها المفسرون ثم لم يبلغوا منها مبلغا "(٢) .

وفى الوقت نفسه يقول الامام محمد عبده عن منهجه " وقد قالوا ان القرآن يفسر بعضه ببعض وان افضل قرينه تقوم على حقيقه معنى اللفظ : موافقته لما سبق

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم : عائشه عبد الرحمن ص ١٨ .
(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم : عائشه عبد الرحمن ص ١٨ .

له من القول واتفاقه مع جملة المعنى وائتلافه مع القصد الذى جاء له الكتاب"[1] وهو مع هذا لا ينكر اهميه جمع ما تكرر من الآيات في مواضع منه أو شملها موضوع واحد ولكن للنظر لا لتفسيرها منفرده فيقول "فعلى المدقق ان يفسر القرآن بحسب المعاني التى كانت مستعمله فى عصر نزوله والاحسن ان يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر فى مواضع منه وينظر فيه فربما استعمل بمعان مختلفه كلفظ الهدايه وغيره ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآيه فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه"[2].

ويطبق هذا المنهج احد تلاميذه عند تفسير "والمرسلات"[3] بالرياح فيقول "وقلما ذكر القرآن اطلاق الرياح الا عبر عنه بفعل أرسل ففى سورة فاطر "والله الذى ارسل الرياح" وفي الحجر "وارسلنا الرياح لواقح" وفى الاحزاب "فارسلنا عليهم ريحا" وفي الاعراف "وهو الذى يرسل الرياح" وفي الروم "ومن آياته ان يرسل الرياح" وفي آيات اخرى غيرها فقوله تعالى هنا : "والمرسلات" من هذا القبيل"[4].

من هذا كله يتضح لنا حرص المدرسه العقليه على تقرير منهج الوحده الموضوعيه فى القرآن الكريم .

---

(١) تفسير المنار : رشيد رضا ج ١ ص ٢٢ .
(٢) فاتحة الكتاب : محمد عبده ص ٩ ، ١٠ .
(٣) سورة المرسلات : من الآيه الأولى .
(٤) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ١٢٦ .

الأســـاس الثالث : الشمول في القرآن الكريم

والشمول فيه متفرع عن الشمول فى الرساله الاسلاميه " قل ياأيها النـــاس انى رسول الله اليكم جميعا "(١) " وما ارسلناك الا رحمة للعالمين "(٢) " وما أرسلناك الا كافه للناس بشـــيرا ونذيرا "(٣) .

ومادامت الشريعة الاسلاميه ليست اقليميه أو لأمه من الامم بل هي للنـــاس كافه فى كل زمان ومكان كما عبر عن ذلك احد علماء الاسلام فقال واجاد " انهـــا الرساله التى امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الامم .. وامتدت عمقا حتى استوعبت شئون الدنيا والآخـــره "(٤) .

فلا عجب ان يكون كتابها القرآن الكريم شاملا وتاما " وأوحى الى هـــذا القرآن لانذركم به ومن بلغ "(٥) " ان هو الا ذكر للعالمين "(٦) " تبارك الذى نـزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "(٧) .

لهذا كان الاصل عند رجال هذه المدرسه الشمول فى النص القرآنى فقـال استاذها وامامها " ان القرآن هاد ومرشد الى يوم القيامه وان معانيه عامه وشامله فلا يعد ويوعد ويعظ ويرشد اشخاصا مخصوصين وانما نيط وعده ووعيده وتبشـيره وانذاره بالعقائد والاخلاق والعادات والاعمال التى توجد فى الامم والشعوب"(٨) ويقول " خاطب الله بالقرآن من كان في زمن التنزيل ولم يوجه الخطاب اليهــم لخصوصيه فى اشخاصهم بل لانهم من افراد النوع الانساني الذى انزل القـــرآن لهدايته يقول الله تعالى " ياأيها الناس اتقوا ربكم "(٩) فهل يعقل انه يرضى منـــا بألا نفهم قوله هذا ونكتفى بالنظر في قول ناظر نظر فيه . لم يأتنا من الله وحـــي بوجوب اتباعه لاجملة ولا تفصيلا ؟ كلا انه يجب على كل واحد من الناس ان يفهـم آيات الكتاب بقدر طاقته "(١٠) .

---

(١) سورة الاعراف من الآيه : ١٥٨ .

(٢) سورة الانبياء الآيه : ١٠٧ .

(٣) سورة سبأ من الآيه : ٢٨ .

(٤) مجلة الازهر ذى القعده ١٣٩٦ هـ ص ٩٢٣ (مقال " الاسلام دعوه شامله " للشيخ يوسف القرضاوى .

(٥) سورة الانعام الآيه : ١٩ .

(٦) سورة يوسف الآيه : ١٠٤ .

(٧) سورة الفرقان الآيه الأولى .

(٨) تفسير المنـــار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٧٩ .

(٩) سورة النساء من الآيه الأولى .

(١٠) فاتحه الكتاب : محمد عبده ص ٨ .

ويقول تلميذه محمد رشيد رضا "فان كان مات من كانوا سبب النزول فالقرآن حي لا يموت ينطبق حكمه ويحكم سلطانه على الناس في كل زمان"[1] .

وهذه احدى المزايا التى اختص بها القرآن الكريم من بين الكتب السماويه اذ ان كل كتاب نزل الى قوم بعينهم ، ولزمن معين ، أما هذا القرآن فللناس كافه الى يوم يبعثون .

ولهذا فهم يرجحون قول الجمهور "العبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" على قول غيرهم "العبره بخصوص السبب لا بعموم اللفظ" ومحل خلافهم اذا لم تقم قرينه على تخصيص لفظ الآيه العام بسبب نزوله . أما اذا قامت قرينه بهذا فان الحكم يكون مقصورا على سببه لا محاله باجماع العلماء"[2] .

كما ان حكم النص العام الوارد على سبب يتعدى عند الفريقين الى غير السبب الا ان الجمهور يعدّى حكم النص بنفسه ويعديه غيرهم بالقياس أو بنص آخر

ولنر كيف يطبق استاذ المدرسه نظريه الشمول فى العباره القرآنيه عند قوله تعالى "فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى"[3] .

يقول "وبتفسير الاتقى والاشقى على النحو الذى سمعته تبطل تلك الاشكالات التى اوردها المفسرون فى الحصر وما اشكل عليهم الا تقيدهم بالعاده فى استعمال الفاظ كذب وتولى ، وتحكيم عاداتهم واصطلاحاتهم التى وضعوها من عند انفسهم لا نفسهم فى كتاب الله تعالى وسنه رسوله ثم انهم يوردون ههنا اسبابا للنزول وان الآيات نزلت فى سيدنا ابي بكر الصديق رضى الله عنه لانه اشترى من ارقاء المسلمين ضعفاء واعتقهم من ماله لا يبتغى فى ذلك الا وجه الله ورووا غير ذلك وقالوا ان الاشقى هو اميه بن خلف وقيل غير ذلك ومتى وجد شىء من ذلك فى الصحيح لم يمنعنا من التصديق به مانع ولكن معنى الآيات لا يزال عاما - كما رأيت - والله أعلم"[4] .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٥٣ .
(٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني جـ ١ ص ١١٩ .
(٣) سورة الليل الآيات : ١٤-١٧ . (٤) تفسير جزء عم : للشيخ محمد عبده ص ١٠٦ .

ويتبعه تلميذه السيد محمد رشيد رضا فيطبق ذلك المنهج عند تفسيره لقوله تعالى :-

" ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين "(١) فيقول :-

" وهذه الآيات التي نحن بصدد تفسيرها الآن هي المبينه لحال الفرقه الرابعه وهي فرقه من الناس توجد في كل آن وفي كل عصر وليست الآيات كما قيل في اولئك النفر من المنافقين الذين كانوا في عصر التنزيل ولذلك قال تعالى في بيان حالهم " ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر " ولم يقل عنهم انهم يقولون مع ذلك " وآمنا بك يامحمد " وما كان القرآن ليعتني باولئك النفر الذين لم يلبثوا ان انقرضوا كل هذه العنايه ويطيل في بيان حالهم اكثر مما اطال في الاصناف الثلاثه الذين هم سائر الناس "(٢) .

ويتبعهم في ذلك عبد القادر المغربي فيقول مثلا عند تفسيره لقوله تعالى " واسروا قولكم أو اجهروا به "(٣) " والخطاب في قوله " واسروا قولكم " -وان كان موجها الى الفريقين المصدقين والمكذبين- كان سببه صادرا عن المكذبين وهم المشركون فانهم كانوا يوصي بعضهم بعضا بالا يجهروا بما يدور بينهم من الحديث لئلا يطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم "(٤) .

ويقول احمد مصطفى المراغي في تفسيره لقوله تعالى " فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره "(٥) والاوامر التي جاءت في الكتاب الكريم موجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هي له ولأمته الا اذا دل دليل على انها خاصه به كقوله " خالصة لك من دون المؤمنين "(٦) وقوله " ومن الليل فتهجد به نافلة لك "(٧) وانما أكّد الأمر باستقباله ووجهه الى المؤمنين بعد أن أمر به نبيه

---

(١) سورة البقره الآيه : ٨ .

(٢) [illegible] المنار ج ١ ص ١٤٩ .

(٣) سورة الملك من الآيه : ١٣ .

(٤) تفسير جزء تبارك ، عبد القادر المغربي ص ٧ ، ٨ .

(٥) سورة البقره من الآيه : ١٤٤ .

(٦) سورة الاحزاب الآيه : ٥٠ .

(٧) سورة الاسراء الآيه : ٧٩ .

وشرفهم بالخطاب بعد خطاب رسوله لتشتد عزيمتهم وتطمئن قلوبهم ويتلقوا تلك الفتنه التى اثارها المنافقون واهل الكتاب واليهود بعزيمة صادقه وثبات على اتباع الرسول "[1] .

ويقول الاستاذ الاكبر شيخ الازهر محمد مصطفى المراغي عند تفسيره لقوله تعالى " يأأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون "[2] يقول بعد ذكره سبب النزول لا يصح ان يكون هذا أو غيره سبب نزول الآيه لكن الآيه عامه تشمل كل خيانه لله ورسوله "[3] .

---

(١) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ٢ ص١٠ .
(٢) سورة الانفال الآيه : ٢٧ .
(٣) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٧ هـ محمد مصطفى المراغي ص : ٢٩ .

الاساس الرابع : القرآن هو المصدر الأول للتشريع

ويجب ان نفرق هنا بادئ ذي بدء بين من يقول هذا القول وبين من يقول ان القرآن هو مصدر التشريع ، أو يقول الاسلام هو القرآن وحده ، ويقصدون من هذا نبذ السنّة وفصلها عن الشريعه الاسلاميه ملحدين - ولا اقول مستدلين - بآيات منها قوله تعالى " ما فرطنا في الكتاب من شيء "(١) وقوله تعالى " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء "(٢) .

وليست هذه الدعوى وليدة العصر وانما اخذت طريقها الى عقول بعض الفرق الاسلاميه كالشيعه والخوارج والمعتزله وكانت في بدايتها عباره عن رد بعض الاحاديث الصحيحه الثابته لعدم موافقتها لاصولهم(٣) تطوّر عند بعضهم الى رد السنه مطلقا والاعتماد على الكتاب والعقل استغل هذا المستشرقون ابشع استغلال وربوا عليه تلاميذهم واسقوه اياهم كما يسقى الرضيع اللبن فصار الخطر منهم على الاسلام اكثر من الخطر من المستشرقين عليه(٤) .

ولا تزال الى ساعتنا هذه تلك الغشاوه تختم على قلب وعلى سمع وعلى بصر طائفه من الناس يقولون هذا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

وليس لنا طويل نقاش مع هؤلاء فانكار حجيه السنه والادعاء بأن الاسلام هو القرآن وحده لا يقول به مسلم يعرف دين الله وأحكام شريعته تمام المعرفه وهو يصادم الواقع(٥) وليقل لنا قائل هذا القول في أيّ قرآن وجد ان الظهر اربع ركعات وبيان ما يجتنب في الصوم وبيان زكاة الذهب والفضه والانعام وبيان اعمال الحج ومن أى موضع تقطع يد السارق واحكام البيوع وغير ذلك بل لا يلزم قائل هذا القول من الصلاة الا ركعة ما بين دلوك الشمس الى غسق الليل واخرى عند الفجر لان ذلك هو اقل ما يقع عليه اسم صلاة ولاحد للاكثر في ذلك ، وقائل

---

(١) سورة الانعام من الآيه : ٣٨ . (٢) سورة النحل من الآيه : ٨٩ .

(٣) انظر ما ذكرناه عن المعتزله في التمهيد .

(٤) من هؤلاء مثلا احمد امين في فجر الاسلام ومحمود ابو ريه في " اضواء على السنه المحمديه " .

(٥) السنه ومكانتها في التشريع الاسلامي : مصطفى السباعي ص : ١٦٥ .

هذا كافر مشرك حلال الدم والمال - كما قال ابن حزم [١] .

ولنذكرهنا - للباحثين عن الحقيقه - لا لمن خسئت ابصارهم وحسرت بعد ان رجعت اليهم ابصارهم ولم تجد فى دينا من فطور ، نقول لاولئك اليكم دليلا من القرآن الكريم في بيان مكانة السنه منه قال تعالى " وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون " [٢] وقال سبحانه " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " [٣] وقال سبحانه " ومن يطع الرسول فقد اطاع الله " [٤] فاذا ما لانت نفوسهم واتجهت الى الحق قلوبهم ذكرنا لهم ما قاله عليه الصلاة والسلام " الا اني اوتيت هذا الكتاب ومثله معه ، الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه .. الحديث " [٥] .

ثم يجب ايضا ان نتحقق من مراد من قال بالرأى الاول وهو ان القرآن هو المصدر الاول للتشريع - فكم من كلمه حق اريد بها باطل - فان اراد بذلك الرجوع الى القرآن الكريم في كل قضيه فان وجد العلاج اخذه وان لم يجد بحث في السنه ، فهذا حق .

وان اراد بذلك الرجوع الى القرآن الكريم فى ذلك والاخذ بما يوافقه من السنه ونبذ ما التبس عليه فهمه وعسر على ذهنه - القاصر - هضمه من سنه مبينه لاجمال أو مخصصه لعموم ونحو ذلك فهذا باطل مرفوض . ينقضه ما رجعوا اليه اعنى القرآن الكريم " وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم " [٦] وما قاله عليه الصلاة والسلام لمعاذ " كيف تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ قال اقضى بكتاب الله قال فان لم تجد في كتاب الله ؟ قال اقضى بسنه رسول الله قال فان لم تجد فى سنه رسول الله ؟ قال اجتهد رأيي ولا آلو قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره

---

(١) انظر الاحكام في اصول الاحكام : لابي محمد على بن حزم الاندلسي الظاهرى ج ٢ ص ٨٠ .

(٢) سوره النحل من الآيه : ٤٤ . (٣) سورة الحشر من الآيه : ٧ .

(٤) سورة النساء من الآيه : ٨٠ .

(٥) ابوداود فى السنه وسنده صحيح ، والترمذى فى العلم ، وقال هذا حديث حسن واخرجه احمد في المسند ٤ / ١٣٠-١٣٢ وابن ماجه في المقدمه .

(٦) سورة النحل من الآيه : ٤٤ .

وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما يرضى رسول الله " [(١)] .

وبعد هذا كله - الى أى مذهب ذهب الاستاذ الامام محمد عبده وتلاميذه ؟
قبل ان اجيب يجب ان نذكر انها المدرسه العقليه الحديثه وسبق لنا فى التمهيد ان تناولنا المدرسه العقليه القديمه فى الاسلام " المعتزله " وذكرنا هناك أنهم يردون من السنه النبويه ما يخالف اصولهم - وان صح الحديث وان رواه البخارى ومسلم فهل سارت الحديثه على نهج سلفها ؟ .

فى الحقيقه ان لهذه المدرسه مجله تتحدث باسمها وهى اشهر من نار على علم - المنار - وهى المتحدث الرسمي باسم هذه المدرسه فهل يحق لنا ان نحكم على تلك المدرسه من واقع ما ينشر فيها ؟ ان كان لنا ذلك فالأمر جد خطير يحتاج الى اعلان العودة منهم الى الاسلام بعد نشر مقالين للدكتور " توفيق صدقي " فى العددين ٧ و ١٢ من السنه التاسعه تحت عنوان " الاسلام هو القرآن وحده " ينكر فيه حجية السنه [(٢)] .

ولن نسيغ لانفسنا هذا الاسلوب في مناقشتهم امتثالا لقوله تعالى " ولا تزر وازرة وزر أخرى " [(٣)] وان كانوا موءاخذين على كل حال لنشرهم ذلك .

ولكنهم يؤاخذون بنصوصهم واقوالهم فلنذكر شيئا منها . قال الاستاذ الامام محمد عبده " اريد ان يكون القرآن اصلا تحمل عليه المذاهب والآراء فى الدين لا ان تكون المذاهب اصلا والقرآن هو الذى يحمل عليها ويرجع بالتأويل أو التحريف اليها كما جرى عليه المخذولون وتاه فيه الضالون " [(٤)] .

وقال تلميذه محمد رشيد رضا :- " ان القاعده القطعيه المعروفه عمن انزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم وعن خلفائه الراشدين (رضى الله عنهم) أن القرآن هو الاصل الاول لهذا الدين وان حكم الله يلتمس فيه أولا فان وجد فيه يؤخذ وعليه

---

(١) رواه احمد وابو داود والترمذى والدارمي .
(٢) انظر الرد على المقالين السابقين فى كتاب " السنه ومكانتها في التشريع الاسلامي " مصطفى السباعي ص ١٥٥ .
(٣) سورة الانعام من الآيه : ١٦٤ . (٤) فاتحه الكتاب: محمد عبده ص ٤٦ .

يعول ولا يحتاج معه الى مأخذ آخر[1] وان لم يوجد النص من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا أقر النبى صلى الله عليه وسلم معاذا حين ارسله الى اليمن وبهذا كان يتواصى الخلفاء والائمة من الصحابة والتابعين"[2].

وقال محمود شلتوت :- " ان مصادر التشريع فى الاسلام ثلاثه : القرآن والسنه والرأى وهي فى المصدريه على هذا الترتيب فما وجد في القرآن اخذ منه ولا يطلب له مصدر سواه وما لم يوجد فيه بحث عنه فيما صحت روايته وثبت وروده عن الرسول صلى الله عليه وسلم[3] .." .

الى هنا فهذا رأى لا بأس به وان كان يشمّ منه رائحه التطرف ولكن الأمر لم يتوقف هنا . فقال الامام محمد عبده " والذى يجب اعتقاده ان القرآن مقطوع به وانه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه ، وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصوله الى المشركين واعدائه ، ووبخهم على زعمهم هذا فاذن هو ليس بمسحور قطعا .

وأما الحديث - على فرض صحته - فهو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد ، وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه الا باليقين ، ولا يجوز ان يؤخذ فيها بالظن والمظنون"[4] ثم قال : " وعلى اى حال فلنا بل علينا ان نفوض الأمر في الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنصّ الكتاب وبدليل العقل "[4].

ولا نرد عليه بأكثر من رد المرحوم محمد حسين الذهبى حين قال" وهذا الحديث الذى يرده الاستاذ الامام رواه البخارى وغيره من اصحاب الكتب الصحيحة وليس من وراء صحته ما يخل بمقام النبوه فان السحر الذى اصيب به النبى عليه الصلاة

(١) مما لا شك فيه ان في القرآن مجمل بينته السنه وعام خصصته ومختصر بسطته أفلا يرجع اليها في هذا ؟ ان كان الجواب بنعم فليكتفي بقوله "فان وجد فيه يؤخذ " ولا يؤكد هذا بما يشعر ابطال ما سواه انظر الموافقات للشاطبى جـ ٤ ص ١٢ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١٢٠ .

(٣) الاسلام عقيده وشريعه : محمود شلتوت ص ٤٦٩ .

(٤) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٨٠-١٨١ .

والسلام كان من قبيل الامراض التى تعرض للبدن بدون ان تؤثر على شيء من العقل "[1] وقال " ثم ان الحديث رواية البخارى وغيره من كتب الصحيح ولكن الاستاذ الامام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخارى وغيره . فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخارى كما انه لو صح فى نظرهم فهو لا يعدو ان يكون خبر آحاد لا يثبت به الا الظن وهذا في نظرنا هدم للجانب الاكبر من السنه التى هي بالنسبه للكتاب بمنزله المبيّن من المبينّ . وقد قالوا : ان البيان يلتصق بالمبين "[2] .

ولنذكر مثلا آخر لاحد تلاميذه وهو الاستاذ محمد رشيد رضا عند تفسيره لقوله تعالى :- " قل لا اجد فيما اوحي الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير - فانه رجس - أو فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم "[3] حيث يقول " الارجح المختار عندنا ان كل ما صح من الاحاديث في النهي عن طعام غير الانواع الاربعه التى حصرت فى الآيات محرمات الطعام فيها فهو اما للكراهه واما مؤقت لعله عارضه - كما تقدم فى الحمير - وما ورد منه بلفظ التحريم فهو مروى بالمعنى لا بلفظ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وليس مراد من ردّ تلك الاحاديث بآية الانعام من الصحابه وغيرهم انه لا يقبل تحريم ما حرمه الرسول صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن منصوصا في القرآن بل معناه انه لا يمكن ان يحرم صلى الله عليه وسلم شيئا جاء نص القرآن المؤكد بحله واعتبر هذا بما أخرجه احمد وابو داود عن عيسى بن نميله الفزارى عن ابيه قال : كنت عند بن عمر فسئل عن اكل القنفذ فتلا هذه الآيه (قل لا اجد فيما أوحي الى محرما) .. فقال شيخ عنده سمعت ابا هريره يقول ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال " خبيثه من الخبائث " فقال بن عمر ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فهو كما قال أ . هـ فقوله " ان كان " مشعر بشكه فيه وأنه ان فرض

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢٤١ ج ٣ .
(٣) سورة الانعام : الآيه : ١٤٥ .

أنه قال وجب قبوله لان الله أمر باتباعه ولكن بمعنى انه خبيث غير محرم كالثوم والبصل على ان الحديث ضعيف "[1].

ويعلق الشيخ احمد مصطفى المراغي فى تفسيره على هذه الآيه ايضا فيقول " وما صح من الاحاديث في النهي عن طعام غير هذه الانواع الاربعه فهو اما موقت واما للكراهه فقط ومن الاول تحريم الحمر الاهليه فقد روى ابن ابي شيبه والبخارى عن ابن عمر قال " نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن لحوم الحمر الاهليه يوم خيبر " ومن الثاني ما رواه البخارى ومسلم عن ابي ثعلبه الخشنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم " نهى عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير "[2].

وليس غرضنا من ذكر ذلك بيان موقفهم من الحديث الشريف فلهذا موضع آخر في البحث ولكن غرضنا بيان مدى ما وصلوا اليه فى تقرير هذا الاصل : القرآن هو المصدر الاول للتشريع ، ومما ذكرنا من النصوص يتضح لنا ان موقفهم من السنه كموقف سلفهم المدرسه العقليه القديمه (المعتزله) بالنسبه للحديث الشريف وردهم ما يخالف ما ذهبوا اليه من آراء فى التفسير وما هدتهم اليه عقولهم ، وحتى لا أكون ممن القى التهم جزافا اعيد ما ذكرته آنفا من نقل عن الامام محمد عبده حينما اضطرب فى الحديث المروى فى صحيح البخارى عن سحر الرسول صلى الله صلى الله عليه وسلم" وعلى اى حال فلنا ، بل علينا ان نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل "[3].

وبهذا يتبين لنا المدى الذى وصلوا اليه فى بيان هذا الاصل اعنى اعتبار القرآن الكريم هو المصدر الاول فى التشريع .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٨ ص ١٦٣ .
(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ٨ ص ٥٨ .
(٣) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٨٠ - ١٨١ .

الاساس الخامس : ترك الاطناب فيما ورد مبهما في القرآن الكريم

قال الله تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا "(١) . وفى قوله تعالى " لقد رأى من آيات ربه الكبرى"(٢) تنبيها لقلوب المؤمنين الى ان في مكنون الكون وفي باطن خلق الله ما لا تدركه العقول ولا تصل اليه الافهام " وما اوتيتم من العلم الا قليلا "(٣) واذا كانت هذه لمحه ترشدنا الى ان في خلق الله اسرارا لا تدرك للعباد فان في الصلاة من جهة اعداد ركعاتها وأوقاتها وفي انصبه الزكاة ومقادير الكفارات لمحات أخرى واضحه جليه في ان لله سبحانه في تكاليفه ما يعجز البشر عن ادراك اسراره وما عليهم الا ان يؤمنوا ويمتثلوا فتصدق فيهم العبوديه ويخلص منهم الايمان "(٤) .

والقرآن الكريم كتاب الله انزله على رسوله فيه مما نعجز نحن البشر عن ادراك معانيه وامرنا ان نقول عنه " آمنا به كل من عند ربنا "(٥) .

رفض هذا المبدأ طائفة من الناس قالوا ان الله وصف كتابه بأنه " هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان "(٦) فلا يصح ان يحتوى ما لا يفهم ! !

والحق انه مادام واضحا في جملته وفيما قصد به ، فلا بأس من ان يرد فيه بعض ما استأثر الله بعلمه تنبيها على القدره التامه فى جانب الربوبيه والقصور فى جانب العبوديه وتلك سنه الله فى خلقه وتكاليفه فكم له فى الكون من اسرار تنقضى الدنيا ولا تدرك ، وكم له فى التكاليف من اسرار لا يملك العبد أمامها الا ان يمتثل ، وما هذه المكتشفات التى تتجدد يوما بعد يوم للبشر الا قطره أو قطرات من بحر خلق الله الذى لا يعرف مداه سواه "(٧) .

ومع هذا فلا ينبغى ان نتوسع فنطرد هذا المبدأ فيما وضحت دلالته العربيه وثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بيانه فنزعم كما زعمت احدى الطوائف الضالــه

---

(١) سورة الاسراء الآيه : ٣٦ .
(٢) سورة النجم الآيه : ١٨ .
(٣) سورة الاسراء من الآيه : ٨٥ .
(٤) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٥٧ .
(٥) سورة آل عمران من الآيه ٧ .
(٦) سورة البقرة من الآيه : ١٨٥ .
(٧) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٥٦ .

ان للقرآن ظاهرا يدل عليه ويفهمه العامه ويكلفون به وباطنا لا يفهمه الا الخواص من عباد الله وهم مكلفون به [(١)] .

بل الواجب ان نفهم منه ما بينه القرآن الكريم فى موضع آخر أو بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضحت دلالته العربيه .

وما سوى ذلك نكل علمه الى الله سبحانه وتعالى فلو كان فى ذكره فائده لنا دنيا أو اخرى لذكره سبحانه وهو اعلم بصلاح امورنا وما يستقيم عليه ديننا .

وقد كان هذا المبدأ واضحا جليا فى سيرة سلفنا الصالح وكان هذا المبدأ ايضا من الوضوح بمنزله كبيره فى المدرسه العقليه الحديثه التى تدعو بكل اسلوب وبكل لغه وبكل وسيله الى تنقية التفاسير مما علق بها من احاديث وضعها القصاص والوضاعون فى بيان مبهم فى القرآن الكريم ليدعموا به مبادئهم الضاله التى لم يجدوا لها سندا واضحا من كتاب الله أو سنه رسوله فلجأوا الى ذلك الاسلوب الهجين .

وأول ما يواجه القارىء للقرآن الكريم مما استأثر الله بعلمه ما يسمى بـ " فواتح السور " (ا ل م) و (كهيعص) و (حمعسق) وغيرها فقالوا :-
" ولعل من الخير للناس ان يوفروا على انفسهم عناء البحث فى معاني هذه الحروف واسرار ترتيبها واختيارها على هذا النحو وان يكفوا عن الخوض فيما لا سبيل الى علمه ولم يكلفهم الله به ، ولم يربط به شيئا من احكامه أو تكاليفه " [(٢)] .

ويقول الامام محمد عبده بعد ذكر الاقوال فى المراد بـ " أبا " فى قوله تعالى " وفاكهه وأبّا " [(٣)] " فالمطلوب منك فى هذه الآيات هو ان تعلم ان الله يمن عليك بنعم اسداها اليك فى نفسك وتقويم حياتك وجعلها متاعا لك ولا نعامك فاذا جاء فى سرد ها لفظ لم تفهمه لم يكن من جدّ المؤمن ان ينقطع لطلب هذا المعنى بعد فهم المراد من ذكره بل الواجب على اهل الجد والعزيمه ان يعتبروا بتعداد النعم وان يجعلوا معظم همهم الشكر والعمل هكذا كان شأن الصحابه

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٥٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٦١ .
(٣) سورة عبس الآيه : ٣١ .

رضى الله عنهم ثم خلف من بعدهم خلف وقفوا عند الالفاظ وجعلوها شغلا شاغلا لا يهمهم الا التشدق بتصريفها وتأويلها وتحميلها مالا تحتمله ، وقد تركوا قلوبهم خاليه من الفكر والذكر ، واعضاؤهم معطله عن العمل الصالح والشكر "(١) .

أما المراد بالنفس فى قوله تعالى " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده " الايه(٢) فيقول عنه " نحن لا نحتج على ما وراء مدركات الحس والعقل الا بالوحي الذى جاء به نبينا عليه السلام واننا نقف عند هذا الوحي لا نزيد ولا ننقص كما قلنا مرات كثيره وقد ابهم الله تعالى ههنا أمر النفس التى خلق الناس منها وجاء بها نكره فندعها على ابهامها "(٣) .

فان قلت ما الذى دعاه الى هذا التطرف فى التوقف ؟ قلنا خشيته من ان يصادم قول الباحثين الذى لم يثبت حيث يقول " فاذا ثبت ما يقوله الباحثون من الافرنج من ان لكل صنف من اصناف البشر أبا كان ذلك غير وارد على كتابنا كما يرد على كتابهم التوراه لما فيها من النص الصريح فى ذلك وهو مما حمل باحثيهم على الطعن فى كونها من عند الله تعالى ووحيه "(٣) .

أما عن رجم الشياطين فى قوله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين "(٤) فيتوقف الشيخ عبد القادر المغربي عن بيانه ويكتفى بظاهره فيقول " ونحن معشر المسلمين نعتقد بظاهر ما ورد فى القرآن الكريم من أن النجوم قد ينفصل عنها رجوم تتبع الشياطين واذا لم يفهم العلم الطبيعى هذه القضيه فذلك لانه لم تتوفر له اسباب الفهم اليوم ويكفينا في صحة الايمان بها على ظاهرها ان العقل لا يجعلها من المحالات العقليه "(٥) .

ونحو هذا قول الامام محمد عبده فى تفسيره لقوله تعالى "وان عليكم لحافظين كراما كاتبين "(٦) " ومن الغيب الذى يجب علينا الايمان به ما انبأنا به في كتابه من أن علينا حفظه يكتبون اعمالنا حسنات وسيئات ولكن ليس علينا ان نبحث عن حقيقة هؤلاء ومن أى شىء خلقوا وما هو عملهم فى حفظهم وكتابتهم ، هل عندهم اوراق واقلام

---

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٢١ . (٢) سورة النساء : من الآيه الأولي .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٤ .
(٤) سورة الملك من الآيه : ٥ . (٥) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص٦ .
(٦) سورة الانفطار الآيتين ١٠ و ١١ .

وهداد كالمعهود عندنا - وهو ما يبعد فهمه - أو هناك الواح ترسم فيها الاعمال ؟ وهل الحروف والصور التى ترسم هي على نحو ما نعهد أو انما هي ارواح تتجلى لها الاعمال فتبقى فيها بقاء المداد فى القرطاس الى ان يبعث الله الناس ؟ كل ذلك لا نكلف العلم به وانما نكلف الايمان بصدق الخبر وتفويض الأمر فى معناه الى الله والذى يجب علينا اعتقاده من جهة ما يدخل في علمنا هو أن اعمالنا تحفظ وتحصى لا يضيع منها نقير ولا قطمير "[1].

كانت هذه نماذج لتوقفهم فى امور غيبيه دنيويه ، أما توقفهم فى أمور أخرويه كالاخبار عن الجنه والنار والميزان والصراط ووقت قيام الساعه ونحو ذلك فنذكر منه وقفه الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر حيث نراه يقول عند تفسير قوله تعالى " وسارعوا الى مغفره من ربكم وجنه عرضها السموات والارض اعدت للمتقين "[2] يقول " والآيه تدل بظاهرها على ان الجنة مخلوقه الآن لأن الفعل الماضي يفهم هذا غير أنه من الجائز ان يكون من قبيل قوله تعالى " ونفخ فى الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض "[3] فلا يدل على خلقها الآن والبحث في هذا لا فائده له ولا طائل تحته "[4] أما الاستاذ محمد رشيد رضا فهو عند تفسير قوله تعالى " فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجاره اعدت للكافرين "[5] يقول عن النار " وهي موطن عذاب الآخره نؤمن بها لأنها من عالم الغيب الذى اخبر الله تعالى به ولا نبحث عن حقيقتها ولا نقول انها شبيهه بنار الدنيا ولا انها غير شبيهه بها وانما نثبت لها جميع الاوصاف التى وصفها الله تعالى به كقوله " التى وقودها الناس والحجاره "[6].

ويقول الشيخ عبد القادر المغربي عن الصوت الذى يسمع حين يلقى الكفار فى النار كما ورد في قوله تعالى " اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور "[7].

---

(١) جزء عم : محمد عبده ص ٣٦ .

(٢) سوره آل عمران : الآيه ١٢٣ . (٣) سورة الزمر من الآيه ٦٨ .

(٤) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٦هـ : محمد مصطفى المراغي ص ٢١ .

(٥) سورة البقره الآيه : ٢٤ .

(٦) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٩٧ .

(٧) سورة الملك الآيه : ٧ .

يقول " وهل هذا الصوت صوت جهنم نفسها بمعنى ان المواد التى تلتهب فيها يسمع لها هذا الصوت ؟ أو هو صوت اهلها الذين القوا ويلقون فيها ؟ لم يكلفنا الشرع تعيين أحد الامرين كما لم يكلفنا ان نعرف جهنم والجنه وسائر شئون عالم الغيب معرفة كنه وتحديد وانما كل ما على المؤمن ان يعتقد انه تعالى أعدّ دارا للاشرار تسعر فيها النار وتفور ويسمع لها صوت على المعنى الذى يريده سبحانه وتعالى أما ما وراء ذلك من اعتقاد ان مواد جهنم وعناصرها وطبائعها وغليانها وحسيسها من جنس ما نعرفه فى الدنيا أولا ـ فهذا مما لم نكلفه رحمه بنا اذ القصد ان يؤدى علمنا بالنار الى الخشية والازدجار وهذا يحصل بمجرد ما قصه الله علينا من أمرها وان الداخل اليها يشعر من الالم بأقصى ما يعهده فى دار الدنيا "(١) .

ويصف الشيخ محمود شلتوت الحجاب بين الجنه والنار الوارد في قوله تعالى " وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم "(٢) الآيه بقوله " والذى يجب علينا ان نقف عنده هو ان هناك حجابا بين الجنه والنار قد يكون ماديا ، وقد يكون معنويا والله اعلم بحقيقته والمقصود ان بين الجنه والنار ما يحجز بين الفريقين وان هذا الحجاب الحاجز لا يمنع من وصول الاصوات عن طريق المناداة وان هناك مكانا ـ أو صفة الامتياز والعلو وانه يكون على هذا المكان رجال لهم من المكانه ما يجعلهم مشرفين على هؤلاء ، ينادون كل فريق بما يناسبه : يحيون اهل الجنه ويبكتون اهل النار "(٣) .

ولنختم الحديث عن النار بما قاله استاذهم وامامهم محمد عبده " نار جهنم هي دار العذاب فى الآخره وهي نار يجب علينا الايمان بها والتصديق بأن العذاب فيها اشد من العذاب في نار الدنيا ، كما يجب علينا ان لا نبحث في حقيقتها ولا بم تتقد ولا اين يكون موضعها فذلك مما لا يمكن لعقولنا ان تصل اليه وليس بمحال عقلى حتى نحتاج فيه الى تأويل "(٤) .

---

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٧ .
(٢) سورة الاعراف : من الآيه ٤٦ .
(٣) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٤٢٢ .
(٤) جزء عم : محمد عبده ص ١٣٥ .

كان هذا موقفهم مما ورد من آيات عن الجنه والنار أما موقفهم من الميزان في الآخره فنعرفه عند تفسير قوله تعالى " فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشه راضيه وأما من خفت موازينه فأمه هاويه "[1]. فيقول الامام محمد عبده " ومن عجيب ما قاله بعض المفسرين "انه ميزان بلسان وكفتين كاطباق السموات والارض ولا يعلم ماهيته الا الله "! فماذا بقي من ماهيته بعد لسانه وكفتيه حتى يفوض العلم فيه الى الله ؟ والكلام فيه جرأه على غيب الله بغير نص صريح متواتر عن المعصوم ولم يرد في الكتاب الا كلمه الميزان وقد عرفت ما يمكننا ان نفهم منها لننتفع بما نعتقد وما عدا ذلك فعلمه الى الله سبحانه "[2]" وعليك ايها المؤمن المطمئن الى ما يخبر الله به ان تؤمن ان الله يزن الاعمال ويميز لكل عمل مقداره ولا تسل كيف يزن ولا كيف يقدر فهو اعلم بغيبه والله يعلم وانتم لا تعلمون "[2].

ويقول الشيخ احمد المراغي " وعلى الجمله فعلينا ان نؤمن بما ذكره الله من الميزان فى هذه الآيه وفي قوله " ونضع الموازين القسط ليوم القيامه "[3] ومن وزن الاعمال وتمييز مقدار لكل عمل وليس علينا ان نبحث وراء ذلك فلا تسأل كيف يزن ولا كيف يقدر ؟ فهو اعلم بغيبه ونحن لا نعلم "[4].

ولا نريد ان نستقصى ما توقفوا عن بيانه وحذروا من الاطناب في ما ابهم وانما نكتفى بما يشير الى كونه اصلا من اصولهم .

وينبغي ان نذكر هنا ان التوقف كان في المسائل التى ورد الاطناب فيها في احاديث القصاص والوضاعين من احاديث نسبوها الى الرسول صلى الله عليه وسلم أو الى احد اصحابه .

ولا نقصد بهذا الاسرائيليات فلهم منها موقف هو اصل من اصولهم سنعرضه ان شاء الله .

---

(١) سورة القارعه : الآيات ٦ - ٩ .
(٢) جزء عم : محمد عبده ص ١٤٥ - ١٤٦ .
(٣) سورة الانبياء من الآيه : ٤٧ .
(٤) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ١٠ ص ٢٢٧ .

الاساس السادس : التفسير العلمي الحديث

نزل القرآن الكريم أول ما نزل في جاهليه جهلاء وضلالة عمياء ،كان الناس في ظلمه حالكه نهارها كبهيم ليلها ـ خلدوا فيها الى النوم .

فكانت أول شعاعه يبثها في ارجائها شعاعة " اقرأ " ولكنها لم تكن شعاعة بل كانت هزه ارتج لها الكون بأكمله ، جاءت لايقاظ النائمين ، ولم تزل اصداء تلك الهزه تجلجل فى الكون والى يوم الدين ، كانت ردّه الفعل لتلك الهـزه تتفاوت بين الناس تماما كتفاوتهم عند اليقظه فمنهم من يستيقظ بهمسه تدعوه للقيام ومنهم من لا يوقظه الا الصوت المتكرر القوى ومنهم من يسمع النداء ولكن شهوتـه تأبى ان يطيع وتدعوه الى الاستمرار فى النوم .

لم تزل تلك الشعاعه الاولى تنمو وتكبر بانضمام قريناتها اليها حتى انجلت الظلمه واضاء النور ارجاء واسعه ، لم يسع اتباعه ان يستأثروا به بعد أن امروا بالدعوه اليه ، ووجدوه اكبر من ان يحصر في مكـان فهو نور عظيم بامكانه ان يضىء الكون بأسره ان لم توضع أمامه العقبات والحواجز التى تحجز نوره عن وصوله الى ما وراءها .

فقدموا انفسهم واموالهم فى سبيل نشر هذا النور وازالة العقبات عـن طريقه ليهتدى به من اراد وليغمض عينه من يوءذيه النور ، فقاتلوا وقتلوا وبذلـوا اولادهم واموالهم وما يملكون احتسابا لما عند الله من المثوبة والاجر لا لما عنـد البشر من مال فان وفيء زائل . كان ذلكم النور نور القرآن الكريم .

ولقد كان الناس فى ذلك العصر يفهمون القرآن الكريم ويفسرونه وكان ذلك ـ فى غالب آياته ـ من الامور الهيّنه السهله الجاريه على الفطره والبساطه لا يحتاجون فى ذلك الى اصطلاحات فنيه ولا الى قواعد نحويه وبلاغيه ولا الى نظريات علميـه ، بل كان بمحض السليقه العربيه السليمه والذوق البلاغي الرقيق وكانوا يفهمون هدايته بعقول صافيه وذكاء موهوب ولغة عربيه سليمة نزل بها ذلك الكتاب ، واذا مـا استعانوا بشىء فبالنظر فى كتاب الكون وآيات الله في الآفاق وفى انفسهم وفـي السموات والارض ، واذا ما اشكل عليهم بعد هذا كله أمر رجعوا الى رسول اللـه

صلى الله عليه وسلم فيجلوا لهم كل ابهام ويزيل عن اذهانهم كل التباس[١] .

مضى الناس على ذلك المنهج الاسلم والاعلم والاحكم فترة من الزمن تنحصر في وقته عليه السلام وبضع سنين من بعده اتسعت فيها دائرة الاسلام ودخلت فيه طوائف من الناس لا تعرف العربيه ، وادخلوا معهم لطوائف من علومهم من طب وفلسفه وفنون اخرى كان لهذا وذاك اثر كبير :-

١) فبعد ان كان الناس ينطقون الفصحى سليقه اصبح من تعلمها لم يصل الى درجتهم ومن خالطهم من الفصحاء تأثر أو ابناؤه بلهجتهم فصار يخطىء كما يخطؤون ، ولولا ان الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظ القرآن ومن حفظه حفظ لغته العربيه لتقوضت اركانها ولا تهدت كما ينهد بيت تهدمت اركانه ، ولكن الله قيض للغة رجالا جعلوا لها ضوابط تضبطها وتضمن سلامتها فنشأت بذلك علوم اللغه العربيه من نحو وصرف وبلاغه وغير ذلك .

٢) وكان لعلوم تلك الطوائف من الناس اثر كبير ايضا فعند ترجمتها الى اللغة العربيه كان بعضها لا يتفق مع القرآن اتفاقا بينا فجدّ بعضهم في التوفيق بين النصوص العلميه تلك والنص القرآني الثابت وكان قصدهم من ذلك ألا يظهر القرآن الكريم مصادما للعلم بغض النظر عن نصيب تلك النظريات العلميه من الثبوت أو عدمه ، فجدّ في التفسير منهج جديد ، ذلكم هو منهج التفسير العلمي للقرآن الكريم .

تسمع هذا فتتسآل : ولكن ما هو دليلهم الذى اباح لهم سلوك هذا المنهج ؟ واذا بأحدهم يأخذ بيمينك ويقول لك . الم يقل الله سبحانه وتعالى " أفلم ينظروا الى السماء كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج "[٢] ويقول آخر وقال سبحانه " فلينظر الانسان ممّ خلق خلق من ماء دافق "[٣] الآيه ويكمل ثالث وقال عز وجل " فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحى الارض بعد موتها "[٤] ويعود الأول فيقول الم تسمع قول الله تعالى " أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض "[٥] ويقول

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني جـ ١ ص ٥٦٦ .
(٢) سوره ق الآيه : ٦ (٣) سورة الطارق الآيتان ٥ و ٦ .
(٤) سورة الروم من الآيه : ٥٠ . (٥) سورة الاعراف من الآيه : ١٨٥ .

سبحانه " انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه "[1] وقال " قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق "[2] وغير ذلك من الآيات كثير اليس فى هذا دليل كاف على المنهج العلمي فى القرآن الكريم ؟

تسمع هذا وتستعيده ومعه آيات أخرى كثيره ثم تقول ولكن هذا لا يدل على ان القرآن يشتمل على تلك العلوم بل يدل على دعوته الى العلم وطلبه ، وفرق بين ان نصف الأذان - مثلا - بأنه صلاة وبين انه دعوة الى الصلاة ، وان كان يماثلها بأنه عباده ، ولكنه ليس هو عينها بل هو عبادة أخرى .

فالقرآن علم - يدعو ومن بين دعواته دعوته الى العلوم ولا يلزم منه اشتماله على كل تلك العلوم التى يدعو اليها .

ثم تريد بعد هذا ان تستجلى آراء السابقين فى موقفهم من تطبيق هذا المنهج لتعبر منه على بينه الى منهج المعاصرين فى ذلك ، فتجد ان العلماء السابقين لم يكونوا على درجه واحده أو موقف واحد من هذا المنهج ، فبينما كان اناس منهم يدعون اليه كان اناس يفندونه ويبطلونه فتختار منهم طائفه لتسمع آراءهم فى ذلك ، فتبدأ بالمؤيدين فتسمع .

رأى الغزالي : ت ٥٠٥ هـ

الذى يعتقد ان القرآن يشتمل على جميع العلوم فيقول " وبالجمله فالعلوم كلها داخله فى افعال الله عز وجل وصفاته ، وفي القرآن شرح ذاته وافعاله ، وهذه العلوم لا نهاية لها وفى القرآن اشاره الى مجامعها والمقامات فى التعمق فى تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما اشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ففي القرآن اليه رموز ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها "[3] .

ويقول " فاعلم ان من زعم ان لا معنى للقرآن الا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حدّ نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطىء فى الحكم برد

---

(١) سورة الانعام من الآيه : ٩٩ .
(٢) سورة العنكبوت من الآيه : ٢٠ .
(٣) احياء علوم الدين : الامام الغزالي جـ ١ ص ٢٩٦ .

الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه بل الاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم "[1] ويستدل لذلك بقوله " وقال علي كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار . . وقد قال بعض العلماء لكل آيه ستون الف فهم وما بقى من فهمها اكثر وقال آخرون القرآن يحوى سبعة وسبعين الف علم ومئتي علم اذ كل كلمه علم ثم يتضاعف ذلك اربعة اضعاف اذ لكل كلمه ظاهر وباطن وحدّ ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مره[2] لا يكون الا لتدبره باطن معانيها والا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقال ابن مسعود رضى الله عنه من اراد علم الاولين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر "[1] .

رأى السيوطى : ت ٩١١هـ

وذهب الامام السيوطى رحمه الله تعالى الى نحو ما ذهب اليه الغزالي واستدل بأدله هي اقوى من ادلة الغزالي ، فهو يفرد النوع الخامس والستين من انواع علوم القرآن فى العلوم المستنبطه من القرآن ويدلل لذلك بقوله تعالى " ما فرطنا في الكتاب من شيء "[3] وقال سبحانه " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء "[4] وقال صلى الله عليه وسلم " ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم " أخرجه الترمذى وغيره واخرج سعيد بن منصور عن بن مسعود قال من اراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والآخرين قال البيهقى يعنى اصول العلم[5] وما اخرجه ابو الشيخ

(١) احياء علوم الدين : للامام الغزالي جـ ١ ص ٢٩٦ .
(٢) رواه ابو ذر الهروى فى معجمه من حديث ابي هريره بسند ضعيف (المغنى عن حمل الاسفار في الاسفار فى تخريج ما في الاحياء من الاخبار) . للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ضمن احياء علوم الدين للامام الغزالي جـ ١ ص ٢٨٩ .
(٣) سورة الانعام من الآيه : ٣٨ .
(٤) سورة النحل من الآيه : ٨٩ .
(٥) الاتقان في علوم القرآن : للامام السيوطي جـ ٢ ص ١٢٥-١٢٦ .

عن ابي هريره انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لن الله لو اغفل شيئا لا غفل الذره والخردله والبعوضه)[١] وما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال (انزل فى هذا القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شىء لكن علمنا يقصر عمّا بين لنا فى القرآن)[٢] ثم قال السيوطي : " وانا اقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شىء أما انواع العلوم فليس منها باب ولا مسئله هي اصل - الا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض وما في الافق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق واسماء مشاهير الرسل والملائكه وعيون اخبار الامم السالفه .. الى غير ذلك مما يحتاج شرحه الى مجلدات "[٣]

رأى بن ابي الفضل المرسي :

أما رأى ابن ابي الفضل فى تفسيره فيذكره السيوطي فى اتقانه فيقول :-

" وقال بن ابي الفضل المرسي في تفسيره " جمع القرآن علوم الاولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة الا المتكلم بها ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابه واعلامهم مثل الخلفاء الاربعه وابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى ، ثم ورث عنهم التابعون باحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل اهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابه والتابعون من علومه وسائر فنونه ، فنوعوا علومه وقامت كل طائفه بفن من فنونه .. الخ "[٤] وقال : " وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الاوائل مثل الطب والجدل والهيئه والهندسة والجبر والمقابله والنجامه وغير ذلك "[٥].

ثم ذهب يبين بعض مواضع ذلك مما يطول استيفاؤه هنا ويتبع ذلك كله

(١) الاكليل فى استنباط التنزيل : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ص ٢ .
(٢) الاكليل في استنباط التنزيل : للسيوطي ص ٢ .
(٣) الاتقان : للسيوطي جـ ٢ ص ١٢٩ .
(٤) الاتقان : للامام السيوطي جـ ٢ ص ١٢٦ .
(٥) المرجع السابق - جـ ٢ ص ١٢٧ .

بقوله : " وفيه اصول الصنائع واسماء الآلات التى تدعو الضروره اليها كالخياطه والحداده والنجاره والغزل والنسج والفلاحه والصيد والغوص والصياغه والزجاجه والفخار والملاحه .. الخ "(١) وهو يستشهد فيما بينهما .

كان ذلك اشاره الى آراء بعض المؤيدين للقول باشتمال القرآن الكريم على العلوم ولم يكن ذلكم الرأى خاليا من المعارضه والرفض بين العلماء آنذاك بل كان له معارضون نكتفى - كي لا نطيل - برأى احدهم ذلك هو الامام الشاطبى رحمه الله تعالى .

رأى المعارضين :

الامام الشاطبى : ت ٧٩٠هـ

يبدأ الامام الشاطبى بيان رأيه ببيان العلوم التى كانت منتشره بين العرب عند نزول القرآن ويبين موقف الشريعه منها فيقول " فصححت الشريعه منها ما هو صحيح وزادت عليه وابطلت ما هو باطل ، وبينت منافع ما ينفع من ذلك ومضار ما يضر منه "(٢) ويذكر من ذلك علم النجوم وعلم الانواء واوقات نزول الامطار وعلم التاريخ واخبار الامم الماضيه ثم يبين ما كان اكثره باطلا أو جميعه كعلم العيافه والزجر والكهانه وخط الرمل والضرب بالحصى والطيره ومن النوع الاول الطب والتفنن فى علوم البلاغه وضرب الامثال(٣) ، ثم يقرر بعد هذا " ان كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدّ فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم(٤) والمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون واشباهها وهذا اذا عرضناه على ما تقدم لم يصح والى هذا فان السلف الصالح - من الصحابه والتابعين ومن يليهم - كانوا اعرف بالقرآن وبعلومه وما اودع فيه ولم يبلغنا انه تكلم أحد منهم فى شىء من هذا المدعى سوى ما تقدم وما ثبت فيه من احكام التكليف واحكام الآخره وما يلي ذلك ولو كان لهم فى ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على اصل المسأله الا ان ذلك لم يكن فدل على انه غير موجود

---

(١) الاتقان : للامام السيوطي جـ ٢ ص ١٢٨ .
(٢) الموافقات : للامام الشاطبى جـ ٢ ص ٧١ - ٧٦ .
(٣) المرجع السابق جـ ٢ ص ٧١-٧٢ . (٤) أى الرياضيات من الهندسه وغيرها .

عندهم وذلك دليل على ان القرآن لم يقصد فيه تقرير لشىء مما زعموا "[١].

ويبين ذلك فى موضع آخر عند ذكر العلوم المضافه الى القرآن ، فبعد أن ذكر من العلوم ما هو كالاداة لفهمه والوسيله لاستخراج فوائده يقول :- " ولكن قد يدعى فيما ليس بوسيله انه وسيلة الى فهم القرآن وانه مطلوب كطلب ما هو وسيله بالحقيقه ، فان علم العربيه أو علم الناسخ والمنسوخ ، وعلم الاسباب ، وعلم المكى والمدني ، وعلم القراآت ، وعلم اصول الفقه ، معلوم عند جميع العلماء انها معينه على فهم القرآن ، واما غير ذلك فقد يعده بعض الناس وسيلة ايضا ولا يكون كذلك كما تقدم في حكاية الرازى فى جعل علم الهيئه وسيلة الى فهم قوله تعالى : " افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج "[٢] وزعم ابن رشد الحكيم فى كتابه الذى سماه بـ " فصل المقال فيما بين الشريعه والحكمه من الاتصال " ان علوم الفلسفه مطلوبه اذ لا يفهم المقصود من الشريعه على الحقيقه الا بها ولو قال قائل ان الامر بالضد مما قال لما بعد في المعارضه .

أم كانوا تاركين لها أو غافلين عنها ؟ مع القطع بتحققهم بفهم القرآن يشهد لهم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم والجمّ الغفير ، فلينظر امرؤ اين يضع قدمه ؟"[٣]

ثم ذكر الرد على اولئك بما خلاصته ان ما استدلوا به من الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد أو المراد بالكتاب فى قوله تعالى " ما فرطنا في الكتاب من شىء "[٤] اللوح المحفوظ ولم يذكروا فيها ما يقتضى تضمنه لجميع العلوم النقليه والعقليه ، وما ينقل عن على رضى الله عنه أو غيره فى هذا لا يثبت فليس بجائز ان يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصح ان ينكر منه ما يقتضيه[٥] .

---

(١) الموافقات : الامام الشاطبى جـ ٢ ص ٧٩- ٨٠ .
(٢) سورة ق الآيه : ٦ .
(٣) الموافقات : للشاطبي جـ ٣ ص ٢٧٦ .
(٤) سورة الانعام من الآيه : ٣٨ .
(٥) الموافقات : للشاطبي جـ ٢ ص ٨٠ - ٨١ .

كان هذا بيانا موجزا لآراء بعض علماء المسلمين السابقين في التفسير العلمي للقرآن الكريم وقبل ان ننفذ منه الي بيان موقف المدرسه العقليه الحديثه من ذلك يجب ان نحلن هنا حقيقه في حق هؤلاء العلماء القدامى الذين اجازوا مبدأ تفسير القرآن بالعلوم وهي أننا لا نكاد نصادف فى آثارهم العلميه محاولات تطبيقيه تلح على الربط بين النظريه العلميه والحقيقه القرآنيه كما نجد فى آثار علمائنا المحدثين ، ذلك ان شغلهم الشاغل فى ذلك الوقت كان الاقتباس مما نقل اليهم من التراث اليوناني والانتفاع بمقولاته الفلسفيه والمنطقيه في تأكيد الحقيقه الدينيه لتستقيم لهم قضيه التوفيق بين العقل والنقل (١) .

أما في العصر الحديث فان الذين يؤيدون هذا الاتجاه العلمي فى التفسير يقولون ان القرآن يشير الي مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعيه ولعل متحققا بهذه العلوم الحديثه لو تدبر القرآن واحكم النظر فيه وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم ولا يلتوى عليه أمر من اموره لاستخرج منه اشارات كثيره تومىء الى حقائق العلوم (٢) .

بمعنى آخر ان السابقين جعلوا الحقيقه القرآنيه اصلا ذكروا ما يؤيد هذه الحقيقه من نظريات أو حقائق علميه وان المعاصرين جعلوا النظريات أو الحقائق العلميه أصلا يدعمونها ويفسرونها بآيات قرآنيه قد تؤيدها صراحه أو يفهم منها ذلك وقد لا تدل على شىء من هذا فيتكلفون فى التوفيق بين هذا وذاك .

هذه حقيقه يجب ان نذكرها للتفريق بين منهج هؤلاء ومنهج اولئك ننتقل بعدها الى بيان موقف المدرسه العقليه الحديثه من ذلك .

<u>رأى المدرسه العقليه الحديثه :</u>

وحقيقه أخرى يجب ان نصرح بها فى موقف هؤلاء ايضا من التفسير العلمي الحديث للقرآن الكريم فبينما يؤكدون فى نصوصهم الكثيره على التحذير من سلوك هذا المنهج والتطرف فيه لان ذلك مما يشغل القارىء عن المقاصد العاليه

---

(١) الفكر الديني في مواجهة العصر : عفت محمد الشرقاوى ص ٤٢٢ - ٤٢٣ .
(٢) اعجاز القرآن والبلاغه النبويه : مصطفى صادق الرافعي ص ١٤٢ .

والهدايه الساميه للقرآن الكريم بينما نراهم يؤكدون ذلك نجد تفاسيرهم لا تخلو من ذلك التطرف فى الاستدلال بالعلوم الحديثه عند تفسير النصوص القرآنيه .

وحتى لا نكون ممن يلقى التهم جزافا نبدأ بذكر نصوص معارضتهم لذلك النوع من التفسير فنذكر - مثلا - رأى الشيخ محمد مصطفى المراغي حيث يقول : -

" وجد الخلاف بين المسلمين في العقائد والاحكام الفقهيه ، ووجد عندهم مرض آخر هو الغرور بالفلسفه وتأويل القرآن ليرجع اليها وتأويله لبعض النظريات العلميه التى لم يقر قرارها وذلك خطر عظيم على الكتاب فان للفلاسفه أوهاما لا تزيد على هذيان المصاب بالحمى ، والنظريات التى لم تستقر لا يصح ان يرد اليها كتاب الله "[1] .

ويرى الشيخ محمود شلتوت ان هؤلاء المثقفين الذين اخذوا بطرف من العلم الحديث نظروا فى القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول " ما فرطنا فى الكتاب من شىء "[2] فتأولوها على نحو زين لهم ان يفتحوا في القرآن فتحا جديدا ففسروه على اساس من النظريات العلميه المستحدثه وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونيه وظنوا انهم بذلك يخدمون القرآن ويرفعون من شأن الاسلام ويدعون له ابلغ دعايه فى الاوساط العلميه والثقافيه .

نظروا فى القرآن على هذا الاساس فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن ، وافضى بهم الى صور من التفكير لا يريدها القرآن ولا تتفق مع الغرض الذى من أجله انزله الله فاذا مرت بهم آيه فيها ذكر للمطر أو وصف للسحاب أو حديث عن الرعد أو البرق تهللوا واستبشروا وقالوا هذا هو القرآن يتحدث الى العلماء الكونيين ويصف لهم أحدث النظريات العلميه عن المطر والسحاب وكيف نشأ وكيف تسوقه الرياح . واذا رأوا القرآن يذكر الجبال أو يتحدث عن النبات والحيوان

---

(١) مجله الازهر : المجلد التاسع سنه ١٣٥٧ ص ١٧٣ الدروس الدينيه : محمد مصطفى المراغي .

(٢) سورة الانعام من الآيه : ٣٨ .

وما خلق الله من شيء قالوا هذا حديث القرآن عن علوم الطبيعة واسرار الطبيعه وانه رأوه يتحدث عن الشمس والقمر والكواكب والنجوم قالوا : هذا حديث يثبت لعلماء الهيئه والفلكيين ان القرآن كتاب علمي دقيق !! " (١)

ثم قال " ولسنا نستبعد اذا راجت عند الناس في يوم ما نظريه داروين مثلا ان يأتي الينا مفسر من هؤلاء المفسرين الحديثين فيقول : ان نظريه داروين قد قال بها القرآن منذ مئات السنين " (٢) ثم يختم كلامه ببيان رأيه في ذلك فيقول :-

" هذه النظره خاطئه من غير شك لأن الله لم ينزل القرآن ليكون كتابا يتحدث فيه الى الناس عن نظريات العلوم ودقائق الفنون وانواع المعارف ، وهي خاطئه من غير شك لانها تحمل اصحابها والمغرمين بها على تأويل القرآن تأويلا متكلفا يتنافى مع الاعجاز ، ولا يسيغه الذوق السليم ، وهي خاطئه لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان ، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأى الاخير ، فقد يصح اليوم في نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات ، فلو طبقنا القرآن على هذه المسائل العلميه المتقلبه لعرضناه للتقلب معها وتحمل تبعة الخطأ فيها ولا وقفنا انفسنا بذلك موقفا حرجا في الدفاع عنه .

فلندع للقرآن عظمته وجلالته ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته ، ولنعلم ان ما تضمنه من الاشاره الى اسرار الخلق وظواهر الطبيعه انما هو لقصد الحث على التأمل والبحث والنظر ليزداد الناس ايمانا مع ايمانهم وحسبنا ان القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم تطمئن اليها العقول " (٣) .

ولا نرمي هنا الى استقصاء اقوال الرفض عندهم ولكن نتوّجه برأى السيد محمد رشيد رضا الذى قال عنه الامام محمد عبده " صاحب المنار ترجمان افكارى " (٤)

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ١١ .
(٢) المرجع السابق : ص ١٣ .
(٣) المرجع السابق : ص ١٣ - ١٤ .
(٤) تفسير المنار جـ ٢ ص ٤٩٦ .

اذ يقول " وقد زاد الفخر الرازى صارفا آخر عن القرآن هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضيه والطبيعيه وغيرها من العلوم الحادثه في المله على ما كانت عليه فى عهده كالهيئه الفلكيه اليونانيه وغيرها وقلده بعض المعاصرين بايراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيره الواسعه فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآيه فصولا طويله بمناسبة كلمه مفرده كالسماء والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان تصد قارئها عما انزل الله لاجله القرآن "[1].

هذا بيان لبعض نصوص رفضهم لهذا النوع من التفسير تدل على مدى رفضهم له . ومع هذا فان لهم نصوصا أخرى تدل على تسامحهم ، بل دعوتهم لهذا النوع من التفسير ويؤكد هذه الدعوه وقوع هذا التفسير منهم عند تناولهم لبعض آيات القرآن الكريم ، فلنذكر شيئا من النصوص التى تدعو الى تناول الآيات بالتفسير العلمي فهذا السيد جمال الدين الافغاني يقول " عمّ الجهل وتفشى الجمود في كثير من المتردّ ين برداء العلماء حتى تخرّصوا على القرآن بأنه يخالف الحقائق العلميه الثابته والقرآن برئ مما يقولون "[2] ويقول " فاذا لم نر فى القرآن ما يوافق صريح العلم والكليات اكتفينا بما جاء فيه من الاشاره ، ورجعنا الى التأويل اذ لا يمكن ان تأتي العلوم والمخترعات بالقرآن صريحه واضحه ، وهي في زمن التنزيل مجهولة من الخلق كامنة في الخفاء لم تخرج لحيز الوجود .. لذلك نراه قد جاء بالاشاره الى كلّ ما هو حادث اليوم وما هو ممكن ان يحدث في مستقبل الزمن مع مراعاة عقول الخلق وتقريب الاشياء للانسان عن طريق نظرهم وقابلية فهمهم "[2].

وهذا فضيلة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر يكتب مقدمه لكتاب " الاسلام والطب الحديث " فيقول فيها " قرأت لسعادة الطبيب النطاسي عبد العزيز اسماعيل باشا نتفا مما كان يكتب له بمجلة الازهر تحت عنوان (الاسلام والطب الحديث) فأعجبني منه ما توخاه من التوفيق بين معاني بعض الآيات القرآنيه الكريمه وبين مقررات الطب الحديث وحمدت له هذه النزعه العلميه التى لو تحلى

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٧ .

(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ١٠٠ .

بها كل مبرز في فرع من فروع العلم لا جتمع لدينا ذخر عظيم من هذه التطبيقات الثمينه تستفيد منه النابته الحديثه زياده معرفه باعجاز القرآن وايقان بأن الله ما فرط في كتابه من شيء .

لست اريد من هذا ان اقول ان الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالاسلوب التعليمي المعروف وانما اريد ان اقول أتى بأصول عامه لكل ما يهم الانسان معرفته والعمل به ليبلغ درجة الكمال جسدا وروحا ، وترك الباب مفتوحا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفه ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذى هم عائشون فيه "(١) .

وهذا الشيخ محمد رشيد رضا يعدّ ذلك وجها من وجوه اعجاز القرآن فيقول " الوجه السابع اشتمال القرآن على تحقيق كثير من المسائل العلميه والتاريخيه التى لم تكن معروفه في عصر نزوله ثم عرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق "(٢) وذهب يذكر امثله لذلك .

ومنهم الاستاذ محمد فريد وجدى الذى قال " من مطالب الاوساط من الدين ان يكون مرنا يتسع لما يجد من الآراء العلميه ولا يستعصى على ما يثبت أو يرجح من المذاهب الفلسفيه ولا ما يقوم الدليل عليه من الشئون الكونيه ، والواقع انه قليل على الاسلام ان يوصف بالمرونه وسعة الصدر للآراء والمذاهب والكونيات لأنه دين انطلاق وتعقل وتفكير ومطالبه بالفهم وبالدليل واشعار بالتبعيه الشخصيه ونهى عن التقليد "(٣) .

وهل نحن فى حاجة لذكر رأى الشيخ طنطاوى جوهرى ؟ لا اعتقد فكل كلمه فى تفسيره الجواهر تصرخ بهذا المنهج حتى انكره وردّ على تطرفه فى ذلك تلاميذ المدرسه انفسهم .

---

(١) الاسلام والطب الحديث : عبد العزيز اسماعيل مقدمه الشيخ محمد مصطفى المراغي ص ٥ - ٦ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢١٠ .

(٣) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ٥١ .

ولنذكر بعد هذا امثله من تفسيرهم للقرآن الكريم تفسيرا متأثرا بالمكتشفات العلميه والنظريات الحديثه .

فمن ذلك تفسير السيد الافغاني لقوله تعالى " قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزه اهلها أذله وكذلك يفعلون ، واني مرسله اليهم بهديه فناظره بم يرجع المرسلون "[١] قال الافغاني " فردّ سليمان الهديه وتحفز لاخراج الملكه وقومها أذلة بالحرب وأراد ان يريها ما لديه من القوى ، وما تسخر له من رياح يمتطيها وتجرى بأمره -طيارات مثلا - وسرعة نقل الاخبار والاشياء بأسرع من البرق - التلغراف اللاسلكى مثلا - وجدنا فى ذلك القصص ان بتلك الواسطه التى توفرت لسليمان ، وبها نقل عرش بلقيس من سبأ الى القدس قبل ان يرتد اليه طرفه جاءت صريحه بالعمل مبهمه عن الآله العامله اذ لم يكن بالامكان للقرآن ان يصرح بشكلها أو باسمها لبعد ذلك عن الانسان فى ذلك الحين ، وكذلك لوجاءنا القرآن بنقل الاخبار بالفضاء وشرح لنا ما فهمناه اليوم لما صدقنا ذلك لو لم نره باللاسلكى . وهكذا العلم لا يعجز عن احداث ما نظنه اليوم مستحيلا وابرازه مرئيا "[٢] .

وقال فى تفسير قوله تعالى " وترى الارض بارزه "[٣] " أى خارجه عن محورها غير راضخه للنظام الشمسى ، واذا ما حصل ذلك فلاشك يختلف ما عرف من الجهات اليوم فيصير الغرب شرقا والجنوب شمالا وبذلك الخروج عن النظام الشمسي وما يحدثه من الزلزال العظيم - لا شك تتبعثر اجزاء الارض لبعدها عن المركز ، وتنسف الجبال نسفا وتتحول براكين هائله ، وبالنتيجه تخرب الكره الارضيه ويعمها الفناء بما فيها من حيوان وتقوم القيامه والله اعلم "[٤] .

ونحا هذا النحو من التفسير تلميذه الشيخ محمد عبده فقال فى تفسير قوله تعالى :- " اذا السماء انشقت "[٥] انشقاق السماء مثل انفطارها الذى مرّ تفسيره

---

(١) سورة النمل : الآيتين ٣٤- ٣٥ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ١٠١ - ١٠٢ .
(٣) سورة الكهف من الآيه : ٤٧ .
(٤) خاطرات جمال الدين الافغاني : محمد المخزومي ص ١٠٤ .
(٥) سورة الانشقاق الآيه الاولى .

في سوره " اذا السماء انفطرت "[١] وهو فساد تركيبها واختلال نظامها عند ما يريد الله خراب هذا العالم الذى نحن فيه وهو يكون بحادثه من الحوادث التى قد ينجر اليها سير العالم كأن يمرّ كوكب فى سيره بالقرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره ويحدث من ذلك غمام وأى غمام يظهر في مواضع متفرقه من الجو والفضاء الواسع فتكون السماء قد تشققت بالغمام واختل نظامها حال ظهوره "[٢].

ويعترض الشيخ محمد حسين الذهبى على هذا التفسير فيقول " ولكن هل لابد في فساد الكون من ان يترتب على مثل هذه الظاهره الكونيه ؟ وهل يعجز الله عن افساده واخلاله بأمر آخر غير ذلك ؟ أليس الاولى بنا ان نؤمن بما جاء به القرآن ولا نخوض فيما وراء ذلك من تفصيلات ، كما هو مذهب الشيخ ؟ أحسب أن الشيخ يضرب ذلك مثلا ولا يريده على انه أمر لابد منه "[٣].

ويؤيد ذلك الرفض الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير[٤].

ويفسر الشيخ محمد رشيد رضا قوله تعالى " أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون "[٥] بقوله " أى أكذّب الذين كفروا بآياتنا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا مادة واحده ففتقناهما وخلقنا منها هذه الاجرام السماويه التى تظلهم وهذه الارض التى تقلهم وهذه المادة هي المبينه فى قوله تعالى :- " ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين "[٦] . وهذا شيء لم يكن يعرفه العرب ولا غيرهم من اهل الارض وكذلك خلق كل الاشياء من الماء وهو اصرح فى الآيه مما قبله "[٧] ومنه قوله تعالى " والشمس تجرى لمستقر لها ـ الى قوله ـ وكل فى فلك يسبحون "[٨] فهو موافق لما ثبت فى الهيئه الفلكيه مخالفا لما كان يقوله المتقدمون "[٩].

---

(١) سورة الانفطار الآيه الاولى . (٢) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٤٨ .
(٣) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ٢٣٤ .
(٤) اتجاه التفسير فى العصر الحديث : مصطفى محمد الحديدى الطير ص٥٣ / ٥٤ .
(٥) سورة الانبياء الآيه : ٣٠ . (٦) سورة فصلت الآيه : ١١ .
(٧) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج١ص٢١٠ وأنظر ج ٨ ص ٤٤٦ .
(٨) سورة يس الآيات : ٣٨- ٤٠ . (٩) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج١ ط٢١١ .

ومن ذلك تفسير الشيخ محمد مصطفى المراغي قوله تعالى " خلق السموات بغير عمد ترونها "[١] والسموات مجموع ما نراه في الفضاء فوقنا من سيارات ونجوم وسدائم وهي مرتبه بعضها فوق بعض تطوف دائره في الفضاء كل شيء منها في مكانه المقدر له بالناموس الالهي وهو نظام الجاذبيه ولا يمكن ان يكون لها عمد والله ممسكها ومجريها الى الاجل المقدر لها فاذا قيل : " ان نظام الجاذبية - وهو الناموس الالهي - قائم مقام العمد ويطلق عليه اسم العمد جاز ان نقول ان لها عمدا غير منظوره واذا لاحظنا انه لا يوجد شيء مادى تعتمد عليه وجب ان نقول انه لا عمد لها واقدار الاجرام السماويه واوزانها أقدار واوزان لا عهد لاهل الارض بها والارض نفسها اذا قيست بهذه الاجرام ليست الا هباءه دقيقه في الفضاء "[٢] .

ويفسّر قوله تعالى " ثم استوى الى السماء وهي دخان "[٣] بقوله " وهذا الذى قرره الكتاب الكريم هو الذى دلّ عليه العلم وقد قال العلماء ان حادثا كونيا جذب قطعه من الشمس وفصلها عنها وان هذه القطعه بعد أن مرت عليها اطوار تكسرت وصارت قطعا كل قطعه منها صارت سيارا من السيارات وهذه السيارات طافت حول الشمس وبقيت في قبضة جذبها والارض واحده من هذه السيارات فهي بنت الشمس والشمس هي المركز لكل هذه السيارات "[٤] .

ويفسر الشيخ احمد مصطفى المراغي قوله تعالى : - " والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم "[٥] بقوله " اى والشمس تجرى حول مركز مدارها الثابت الذى تسير حوله بحسب وضعها النجمى فقد ثبت ان لها حركه رحويه حول هذا المركز تقدر بمائتي ميل في الثانيه "[٦] ثم ذكر انه طلب من وكيل المرصد الفلكى المصرى ان يدلي له بما اثبته علماء الفلك حديثا في النظريات

---

(١) سورة لقمان الآيه : ١٠ .
(٢) تفسير سورة لقمان : محمد مصطفى المراغي ص ١٣ .
(٣) سورة فصلت من الآيه ١١ .
(٤) تفسير سورة لقمان : محمد مصطفى المراغي ص ١٤
(٥) سورة يس : الآيه : ٣٨ .
(٦) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ٢٣ ص ٩ .

التى تضمنتها الآيات وكتب ما ادلى به اليه [١] .

وفسر الشيخ عبد القادر المغربي قوله تعالى " الم نجعل الارض كفاتا احيا ً واموانا " [٢] فقال " هذا الاكتشاف - يعنى الجاذبيه - يفسر لنا معنى ما قرره الكتاب الالهي من أن الارض كفات للاحياء هذ يكونون على ظهرها فانها تجذبهم اليها وتضمهم الى صدرها كما تفعل الام الحنون فلا تدعهم يتفلتون وهم بذلك لا يشعرون " [٣] .

وقال الشيخ عبد العزيز جاويش مفسرا لقوله تعالى " وجعل الشمس سراجا " [٤] وقوله سبحانه " وجعلنا سراجا وهاجا " [٥] :- " الشمس جسم مشتعل تبث النور والنار من ذاتها وترسلهما الى سياراتها المرتبطه بها وان اقتضى ذلك اضاعة اضعاف اضعاف ما يحتاجه كل سيار من اشعتها والاجرام الكونيه جميعها حادثه بالذات والزمان وقابله للفساد والفناء ومن الثابت بالحساب ان الشمس تفقد من مادتها فى الثانيه على اقل تقدير اربعة ملايين طن ولا ينبغى ان يزعج هذا عشاق الحياة الدنيا فان الشمس على هذا الحساب تحتاج في فقدها جزءًا من مائة جزء من حجمها الى مائه مليون سنه وخمسين الف سنه على انها بعد ان تصل الى هذه الحاله نجدها لا تزال ترسل من نورها وحرارتها ما يجعل الحياة في اكثر اجزاء هذه الارض صالحه " [٦] .

وفسر الشيخ -عبد القادر المغربي ايضا السموات السبع فى قوله تعالى " الذى خلق سبع سموات طباقا " [٧] الآيه بقوله " والسموات السبع هي طرائق السيارات ومداراتها ولا ريب ان هذه المدارات طبقات طبقه ادنى من طبقه وفلك فوق فلك ، وانما اقتصر الوحي من ذكر السموات على سبع مع ان العلم اثبت انها اكثر من ذلك لأنه تعالى انما يخاطب القوم وقت البعثه بما عرفوا من أمر

---

(١) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ٢٣ ص ٩ .
(٢) سورة المرسلات الآيتين ٢٥ و ٢٦ .
(٣) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ١٣٠ .
(٤) سورة نوح من الآيه ١٦ .
(٥) سورة النبأ الآيه ١٣ .
(٦) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ١٨٦ .
(٧) سورة الملك من الآيه : ٣ .

الافلاك وكواكبها .. وليس القصد من ذكرها تقرير حقائق فى علم الهيئه ، وسكوت الوحي عن ذكر ما زاد على سبع السموات لا ينفي وجود الزيادة .. وأما فلكا "اورانوس" و "نبتون" فلم يكونا اكتشفا بعد فى ذلك العهد فلو احال الله البشر فى قرآنه على ما لم يمكنهم النظر فيه والاحاطه علما بأمره من النجوم الثوابت والفلكين المذكورين - لكانت احالته عبثا وتكليفه محالا ، وقد أبى الله سبحانه وتعالى لنا ذلك في منزل وحيه ومحكم شرعه تفضلا منه ورحمه "[1].

هل اذكر بعد هذا مزيدا من التفاسير ؟ لا .. فلو ذهبت اذكر مزيدا من ذلك لاحتجت الى الاسفار الضخمه ، وكفى بتفسير "جواهر القرآن الكريم" للشيخ طنطاوى جوهرى استقصاءا وتوسعا[2] ان تجد فيه ما لا تجده الا في اخص كتب العلوم الحديثه وأدقها وقلدهم بعد ذلك طائفة ممن تناولوا التفسير كمصطفى محمود وعبد الرازق توفيق وغيرهم كثير .

وبعد

هل لي ان اذكر هنا ما اراه صوابا فى سلوك هذا المنهج مستندا فيه الى رأى طائفه فاضله من العلماء المسلمين ان كان لي ذلك فاني اقول ...

---

(١) جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص : ٥ .
(٢) طبع هذا التفسير في ٢٦ جزءا .

الرأى المختـــــار :-

يذكر اصحاب التفسير العلمي ان تفسير القرآن على وفق ذلك المنهج يثبت اعجازا آخر من اوجه اعجاز القرآن الكريم ذلكم هو الاعجاز العلمي ، كيف لا والقرآن دعا الناس كثيرا الى النظر في الكون ليصلوا من الكون الى مكوّنه وليستدلـــوا بالوجود على موجده .

ويقول الرافضون لذلك المنهج ان الحقائق القرآنيه حقائق نهائيه قاطعه مطلقه أما ما يصل اليه البحث الانساني - أيا كانت الادوات المتاحه له - فهـــى حقائق غير نهائيه ولا قاطعه وهي مقيده بحدود تجاربه وظروف هذه التجـــارب وادواتها فمن الخطأ المنهجي - بحكم المنهج العلمي الانساني ذاته - ان نعلق الحقائق النهائيه القرآنيه بحقائق غير نهائيه . وهي ما يصل اليه العلـــم البشـــرى "[1] .

ويقولون ان العلوم الانسانيه تتجدد مع الزمن على سنة التقدم فلا تـــزال بين ناقص يتم وغامض يتضح وموزع يتجمع وخطأ يقترب من الصواب ، وتخمين يترقى الى اليقين ولا يندر في القواعد العلميه ان تتقوض بعد رسوخ أو تتزعزع بعد ثبـــوت ويستأنف الباحثون تجاربهم فيها بعد ان حسبوها من الحقائق المفروغ منهـــا عدة قرون[2] .

ويخشى هؤلاء من التفسير العلمي للقرآن الهزيمه الداخليه التى تخيـــل لبعض الناس ان العلم هو المهيمن والقرآن تابع ومن هنا يحاولون تثبيت القـــرآن بالعلم ويخشون ايضا التمحل والتكلف لنصوص القرآن وحملها واللهث بها وراء الفروض والنظريات التى لا تثبت ولا تستقر وكل يوم يجد فيها جديد[3] .

والحق - فيما أرى - وسط بين مذهبين .

فلا رفض يمنع من :

١) ادراك وجوه جديده للاعجاز في القرآن من ناحية اثبات التوافق بـــين حقائقه النهائيه القاطعه وبين ما يثبت من الحقائق العلميه التى لا يقبل

---

(١) فى ظلال القرآن : للشهيد سيد قطب جـ ٢ ص ٩٦ .
(٢) الفلسفه القرآنيه : عباس محمود العقاد ص ١٥ .
(٣) فى ظلال القرآن : سيد قطب جـ ٢ ص ٩٧ .

ثبوتها اى نوع من الشــك .

٢) دفع مزاعم القائلين بأن هناك عداوة بين العلم والدين .

٣) استماله غير المسلمين الى الاسلام من هذا الطريق ببيان اعجازه العلمي لهم .

٤) الحث على الانتفاع بقوى الكون ومواهبه .

٥) امتلاء النفس ايمانا بعظمة الله وقدرته حينما يقف الانسان في تفسير كلام الله على خواص الاشياء ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون (١) ، وحينما يرى الحقائق القرآنيه ثابته وصامده تتكسر تحت اقدامها " النظريات " العلميه وتعانقها بسلام " الحقائق " العلميه .

لا رفض يمنع هذا ولا تسليم مطلق للتفسير العلمي لان :

١) اعجاز القرآن ثابت وهو غني عن ان يسلك في بيانه هذا المسلك المتكلف الذى قد يذهب بالاعجاز وهناك من الوان الاعجاز غير هذا ما يشهد للقرآن بأنه كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

٢) ان الدعوه القرآنيه الى النظر فى الكون والعلوم هي دعوه لعامة الناس وخاصتهم الى موضع العبره والعظه ليهتدى الناس بها الى خالقها وموجدها وليس الى بيان دقائقها وكشف علومها .

٣) انه مدعاة الى الزلل لدى اكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين لان عمليـة " التوفيق " تفترض غالبا محاولة للجمع بين موقفين يتوهم انهما متعاديـان ولا عداء أو يظن انهما متلاقيان ولا لقاء ، اعنى انه لا ينبغي ان يحالف النجاح بصوره حتميه كل عمليه من عمليات " التوفيـق " (٣) .

٤) ان تناول القرآن بهذا المنهج وبذلك المدى يضطر المفسر الى مجاوزه الحدود التى تحتملها الفاظ النص القرآني الكريم ، لانه يحس بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفه مع ان كثيرا من حقائق العلم مؤقتـه ومتغيره ولا تظهر كلها دفعه واحده بل تتكشف يوما بعد يوم وحينئذ يكون التعجل فى تلمس المطابقه بين القرآن والعلم تعجلا غير مشروع (٤) .

---

(١) مناهل العرفان : محمد عبد العظيم الزرقاني ج ١ ص ٥٦٨ - ٥٦٩ .
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ١٥٩ .
(٣) معالم الشريعه الاسلاميه : صبحى الصالح ص ٢٩١ .
(٤) الفكر الدينى فى مواجهة العصر : عفت الشرقاوى ص ٤٤٣ .

٥) ان ما يكشف من العلوم انما هو نظريات وفروض كل قيمتها انها تصلح لتفسير اكبر قدر من الظواهر الكونيه أو الحيويه أو النفسيه أو الاجتماعية الى ان يظهر فرض آخر يفسر قدرا اكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر تفسيرا أدق ومن ثمّ فهي قابله دائما للتغيير والتعديل والنقص والاضافه بل قابله لان تنقلب رأسا على عقب بظهور أداة كشف جديده أو بتفسير جديد لمجموعه الملاحظات القديمه [1] ومن ثم فلا يصح ان نعلق الحقائق القرآنيه النهائيه بمثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظريه ..

لا رفض للتفسير العلمي مطلقا ولا تأييد وتسليم له مطلقين . بل جمع بين حقيقتين حقيقه قرآنيه ثابته بالنص الذى لا يقبل الشك ، وحقيقه علميه ثابته بالتجربه والمشاهده القطعيين . ومن هنا كان المسلمون كلهم متفقون على ان القرآن الكريم لا يصادم ولن يصادم الحقيقه العلميه ، وانما يقع التصادم عند ما ندعي حقيقة علميه فى الكون وهي ليست حقيقه علميه ، أو ندعي حقيقه قرآنيه وهي ليست حقيقه قرآنيه . [2]

لهذا فلا بأس من ايراد حقائق علميه ثابته لا تقبل الشك عند تناول النص القرآني مع ادراك معنى النص وفهمه فهما سليما خاليا من الشوائب والمؤثرات الخارجيه أو الميل به والانحراف لموافقه تلك الحقيقه العلميه وهذا اينما كله مشروط بـ :

١ - الا تطغى تلك المباحث على المقصود الاول من القرآن وهو الهدايه والاعجاز .

٢ - ان تذكر تلك العلوم لاجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيده ضد اعدائها وبيان موافقة القرآن الكريم للحقائق العلميه الثابته .

٣ - ان تذكر تلك الابحاث على وجه يدفع المسلمين الى النهضه ويلفتهم الى جلال القرآن ويحركهم الى الانتفاع بقوى هذا الكون الذى سخره الله لنا انتفاعا يعيد للأمه الاسلاميه مجدها [3] . والله الموفق ،،

---

(١) فى ظلال القرآن : سيد قطب جـ٢ ص ٩٧ .
(٢) معجزة القرآن : محمد متولي الشعراوى ص ٤٧ .
(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني جـ١ ص ٥٦٩ - ٥٧٠ .

الاساس السابع : المنهج العقلي في التفسير

قال تعالى : " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما "[1] تلك آيه واحده من آيات عديده اضاءت السبيل للمسلمين ليهتدوا الى طريق الحق والى طريق السلامة في استجلاء الحكم الشرعي في كل قضية من القضايا . ذلكم هو الرجوع اليه عليه الصلاة والسلام حيا ، وميتا ، بالرجوع الى شخصه في حياته ، والى القرآن والسنه النبويه بعد مماته صلى الله عليه وسلم وهو رجوع اليه قال تعالى " واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدودا "[2].

ولن يعنى هذا ابدا نفي الرجوع بعد ذلك الى امور أخرى من اجماع للمسلمين أو اجتهاد بشروطه فهى امور دلّ عليها الكتاب والسنه وارشدا ، وما تقريره عليه الصلاة والسلام لمعاذ حين قال " اجتهد ولا آلو " الا تقرير منه صلى الله عليه وسلم بتسويغ ذلك ، وهذا تقدير من الاسلام كبير للعقل ، بشرط ان لا ينحرف به الهوى الى الضلال بل يهتدى بهدايات الكتاب والسنه الى الحق والى سواء السبيل .

وليس في هذا غمط للعقل ونقص من حقوقه ، فللعقل في الاسلام مكانه كبيره ومنزله عظيمه لا يجد ما يدانيها في مختلف الاديان وشتّى المذاهب مهما بالغت في اعطائه الحريه واغراقه بالمدح والثناء ، فما المبالغة في ذلك الا غمط من حقوقه وتكليف له بما لا يستطيع لا يدانيه غمط من ذمه ودعا الى اطفاء نوره فكلا الفريقين المبالغ في مدحه والمبالغ في قدحه - مجانف للحق والصواب والحق وسط بين هؤلاء وهؤلاء .

قصّر في حقه المبالغ في مدحه لأنه سلبه ذلكم النور الذى يهتدى به في ظلمات الحياة يجلو له ماابهم عليه في ظلمتها الحالكه ليدركها .

وقصّر في حقه القادحون لانكارهم حقا من حقوقه وهو القدره على الادراك اذا اقترنت تلكم القدره بنور يضيء لها الطريق .

---

(١) سورة النساء الآيه : ٦٥ .

(٢) سورة النساء الآيه : ٦١ .

فما أشبه العقل بعين رجل سليم النظر حادّ البصر أدخل في غرفه مظلمه حالكه الظلمه ان أعين ذلك البصر بنور يجلو تلك الظلمه ادرك ما فيها من اشياء وعرف محتوياتها واستطاع ان يشق طريقه فيها من غير ان يصطدم بتلك القطعة أو غيرها .

ولكن المبالغين في مدحه ظلموه حقّه ورفضوا تسليمهم له ذلكم النور ، زاعمين أنه بنفسه قادر على ادراك ما فيها وشق طريقه فكلفوه اكثر من قدرته فكانوا له ظالمين .

واعتقد القادحون ان ذلكم البصر الذى لم يدرك شيئا فى تلك الظلمه ما هو الا لقصور فيه لا ينفعه شيء ولا يكمل نقصه مكمل ، فذموه وقدحوا فيه وكانوا له ظالمين .

وجاء الاسلام بأن الحق ليس هذا ولا ذاك فاعطى العقل ذلكم النور الكتاب والسنه ليهتدى بهما في تلك الظلمات فكانا خير مرشد وخير معين ، وكان الاسلام له منصفا .

وصرّح الاسلام في مواضع متفرقه بالدعوه الى استعمال العقل قال تعالى : " كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون "[1] " وكذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون "[2] " قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون "[3] " والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون "[4] .

وذمّ بعض الافعال وبين مخالفتها للعقل فقال سبحانه " وان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون "[5] " تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلكم بأنهم قوم لا يعقلون "[6] " أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون "[7] " أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون "[8] " أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون "[9]

---

(١) سورة البقره من الآيه ٧٣ .
(٢) سورة البقره من الآيه ٢٤٢ .
(٣) سورة آل عمران من الآيه ١١٨ .
(٣) سورة النحل من الآيه ١٢ .
(٥) سورة الحجرات من الآيه ٤ .
(٦) سورة الحشر من الآيه ١٤ .
(٧) سورة البقره من الآيه ٤٤ .
(٨) سورة البقره من الآيه ٧٦ .
(٩) سورة الانبياء من الآيه ٦٧ .

وذكر من اسباب دخول النار عدم الاهتداء بالعقل " وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في اصحاب السعير "(١)

ولست أرمي من هذا الى بيان مكانه العقل ومنزلته في الاسلام ، ولا الى بيان وجهة نظر الطائفه التى ذمته وادلتها ولا الى بيان الطائفه التى حكّمته ورضت به اماما ومرشدا واستندت اليه وقدمته على الكتاب والسنه حتى كانت المدرسه العقليه القديمه فى الاسلام وسماهم بعض المستشرقين " بالعقليين " لست أرمي الى بيان هذا فقد سبق بيانه وتفصيله في التمهيد .

ولكنى أرمي الى بيان موقف طائفه أخرى حديثه نظرت من جانب واحد الى تلك الادله فاعتقدت تقديس الاسلام للعقل وتفويضه له واطلاق سراحه وجعلت حكمه فى المرتبه الاولى يأتي بعدما القرآن الكريم ، وأوجبت العمل به وما علينا الا اتباعه والانقياد له - وغضت النظر عن الجانب الآخر من الادله التى حددت له مجاله ورسمت سبيله ووضعت له فيه معالم يهتدى بها ، ان لم يتقيد ويسترشد بها ضل واضل وخاب وخسر .

اعتقدت ذلك حتى اطلق عليهم اسم " معتزلة العصر الحديث "(٢) فكانوا المدرسه العقليه الحديثه ولن نذهب بعيدا في بيان موقفهم هذا ولندع الفرصه لهم ليتحدثوا بأنفسهم .

فهذا امامهم واستاذهم محمد عبده يقول " الاصل الاول للاسلام النظر العقلي لتحصيل العلم فأول اساس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلي والنظر عنده هو وسيلة الايمان الصحيح فقد أقامك منه على سبيل الحجه وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذعن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك ان يجور أو يثور عليه ؟ "(٣) و" الاصل الثاني للاسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض ، اسرع اليك بذكر اصل يتبع هذا الاصل المتقدم قبل ان الى غيره ، اتفق اهل المله الاسلاميه الا قليلا ممن لا ينظر اليه على أنه اذا تعارض

(١) سورة الملك من الآيه ١٠ .
(٢) اليقظه الاسلاميه في مواجهة الاستعمار : انور الجندى ص ١٣٢ .
(٣) الاسلام والنصرانيه : محمد عبده ص ٧٢-٧٣ .

العقل والنقل أخذ بما دلّ عليه العقل وبقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه وتفويض الأمر الى الله فى علمه ، والطريق الثانيه تأويل النقل مع المحافظه على قوانين اللغه حتى يتفق معناه مع ما اثبته العقل.

وبهذا الاصل الذى قام على الكتاب وصحيح السنه وعمل النبى صلى الله عليه وسلم مهّدت بين يدى العقل كلّ سبيل وأزيلت من سبيله جميع العقبات واتسع له المجال الى غير حدّ " (١).

ويقول " وتقرر بين المسلمن كافه - الا من لا ثقة بعقله ولا بدينه - ان من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به الا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وبقدرته على ارسال الرسل وعلمه بما يوحى به اليهم " (٢) ويوضح تلك العباره فى موضع آخر فيقول " للاسلام في الحقيقه دعوتان دعوة الى الاعتقاد بوجود الله وتوحيده ، ودعوة الى التصديق برساله محمد صلى الله عليه وسلم ، فأما الدعوه الاولى فلم يعوّل فيها الا على تنبيه العقل البشرى وتوجيهه الى النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ما حواه الكون من النظام والترتيب وتعاقد الاسباب والمسببات ، ليصل بذلك الى ان للكون صانعا واجب الوجود عالما حكيما قادرا وان ذلك الصانع واحد لوحدة النظام فى الاكوان واطلق للعقل البشرى ان يجرى فى سبيله الذى سنّته له الفطره بدون تقييد ، فالاسلام فى هذه الدعوه والمطالبه بالايمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شىء سوى الدليل العقلي والفكر الانساني الذى يجرى على نظامه الفطرى (وهو ما نسميه بالنظام الطبيعى) فلا يدهشك بخارق للعاده ولا يغشى بصرك باطوار غير معتاده ولا يخرس لسانك بقارعه سماويه ولا يقطع حركة فكرك بصيحه الهيه .

وقد اتفق المسلمون - الا قليلا ممن لا يعتد برأيه فيهم - على أن الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وانه لا يمكن الايمان بالرسل الا بعد الايمان بالله فلا يصح ان يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزله فانه لا يعقل ان تؤمن بكتاب انزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز

---

(١) الاسلام والنصرانيه : محمد عبده ص ٧٤ - ٧٥ .
(٢) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ٧ .

ان ينزل كتابا ويرسل رسولا .

وقالوا كذلك أن اول واجب يلزم المكلف أن يأتي به هو النظر والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله لينتقل منه الى تحصيل الايمان بالرسل وما انزل عليهم من الكتاب والحكمه "(١).

ولنعد الحديث عن الامام ولنسمع من تلاميذه فهذا الاستاذ محمد رشيد رضا يقول :- " ذكرنا في المنار غير مرّه ان الذى عليه المسلمون من اهل السنه وغيرهم من الفرق المعتد باسلامها ان الدليل العقلي القطعي اذا جاء في ظاهر الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل العقلي متعين ، ولنا في النقل التأويل أو التفويض وهذه المسأله مذكوره في كتب العقائد التى تدرس في الازهر وغيره من المدارس الاسلاميه في كل الاقطار كقول الجوهره :

وكل نصّ أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها "

ثم يستدل بقول الرازى فيقول " قال الامام الرازى في تفسير قوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)(٢) عند ذكر التأويل " انه قد ثبت انه متى وقع التعارض من القاطع العقلي والظاهر السمعي فاما ان يصدقهما وهو محال لأنه جمع بين النقيضين ، واما ان يكذب القاطع العقلى ويرجح الظاهر السمعي وذلك يوجب تطرق الطعن في الدلائل العقليه ومتى كان كذلك بطل التوحيد والنبوه والقرآن وترجيح الدليل السمعي يوجب القدح في الدليل العقلي والدليل السمعي معا ، فلم يبق الا ان يقطع بصحة الدلائل العقليه ويحمل الظاهر السمعي على التأويل " أ . هـ ثم انه اقام الدليل بهذا الوجه على المعتزله في مسألة التكليف لانهم يتفقون مع اهل السنه فيه "(٣).

---

(١) الاسلام والنصرانيه : محمد عبده ص ٦٥ و ٦٨ و ٦٩ .
(٢) سورة البقره من الآيه : ٢٨٦ .
(٣) شبهات النصارى وحجج الاسلام : محمد رشيد رضا ص ٧١-٧٢ .

وقال الاستاذ محمد فريد وجدى بعد ذكر حديث " الدين هو العقل ولا دين لمن لا عقل له "[1] وحديث "يأيها الناس اعقلوا من ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند ربكم "[2] الخ الحديث وبعد ان يسمى هذين الحديثين " قواعد الهيه " يقول " بهذه القواعد الالهيه نال العقل حريته وتخلص من وثاق كان يئن منه ويتعثر في أصفاده وصار هو المرشد الحقيقى للانسان وهي الوظيفه التى خلقه لاجلها الملك الديان ، كما صار هو المميز الاكبر لافراد النوع الانساني في الافضليه بعد ان كان المميز فيها العباده الظاهريه والتقوى الشكليه قال عليه الصلاة والسلام " لا يعجبنكم اسلام رجل حتى تنظروا ماذا اعقده عقله "[3] ماذا تفيد الانسان عباداته الظاهريه وانفعاله العضويه بينما يكون هو بضعف عقله عرضه لكل انواع الافراط والتفريط يضع الامور في غير مواضعها ويزن الاشياء بغير ميزانها فان كلف باداء وظيفه اساء استعمالها وأخل أعمالها لظنه الظلم عدلا والعدل ظلما ؟ ألسنا نرى كثيرا ممن يدعون الصلاح والتقوى صاروا جوائح اممهم وبوائق وطنهم بمحض ضعف عقولهم ؟ اثنى قوم على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال كيف عقل الرجل ؟ فقالوا نخبرك عن اجتهاده فى العباده واصناف الخير وتسألنا عن عقله

(١) قال الشيخ محمد ناصر الدين الالباني فى كتابه سلسله الاحاديث الضعيفه والموضوعه (الدين هو العقل ومن لا دين له لا عقل له) باطل . أخرجه النسائي فى الكنى وعنه الدولابي فى الكنى والاسماء ج ٢ ص ١٠٤ . وقال النسائي حديث باطل منكر سلسله الاحاديث الضعيفه والموضوعه ص ١٣ .

(٢) قال العراقي فى المغنى عن حمل الاسفار فى الاسفار " حديث يأيها الناس اعقلوا من ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المحبّر أحد الضعفاء فى كتاب العقل من حديث ابي هريره وهو فى مسند الحرث بن ابي أسامه عن داود " انظر احياء علوم الدين للغزالي ج ١ ص ٨٩ .

(٣) رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول ص : ٢٤١ وص ٤٠٥ عن ابن عمر رضى الله عنهما .

فقال " ان الاحمق يصيب بجهله اكثر من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم "[١] هذا هو مقدار تشريف الديانه الاسلاميه للقوه العقليه "[٢].

وقال وجدى - ايضا - " وقد عاش المسلمون قرونا على هذا النحو حتى انهم اضطروا الى تأويل كلّ نص خالف ظاهره حكم العقل والعلم فقالوا بكروية الارض وبكل ما وصل اليه علم الفلك وغيره مع ان في الكتاب آيات يدل ظاهرها على نقيض ما قالوه فأولوه جريا على الاصل الاسلامي نفسه "[٣] وقال :- " فان الاسلام وقد اطلق العقل من عقاله واعطاه كامل سلطانه كان يعلم ان المسلمين سيواجهون مذاهب وآراء تخالف ظاهر الفاظ الكتاب فاحتاط العارفون باسرار هذا الدين لهذا الأمر فوضعوا له قاعدة كلية في كتبهم الاصوليه وهي : أنه اذا خالف حكم العقل نص الكتاب أو السنه وجب التعويل على حكم العقل ، وتأويل ظاهر النص "[٤].

وقال الشيخ عبد العزيز جاويش : " ان من الممكن ان تصل العقول البشريه بالبحث والتنقيب والتجارب الى ما تصبوا اليه النفس الانسانيه من مراتب الكمال فى الاحكام والتصورات والنظم الاجتماعيه والمسائل العلميه والآداب الخلقيه .... الخ "[٥] وقال " ان القرآن لم يترك وسيله تؤدى الى انعاش العقل وتحرير الفكر الا تذرع بها فهو اذا تحاكم فالى العقل واذا حاجّ فبحكم العقل واذا سخط فعلى معطلى العقل واذا رضى فعلى أولى العقل "[٦] ثم قرر

(١) قال العراقى : احياء علوم الدين ج ١ ص ٨٩ " حديث أنس اثنى قوم على رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فى الثناء فقال كيف عقل الرجل ؟ الحديث ابن المحبر فى العقل بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصرا " قلت انظر نوادر الاصول للحكيم الترمذى ص ٢٤٢ .

(٢) المدنيه والاسلام : محمد فريد وجدى ص ٥٢ - ٥٣ .

(٣) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ٧٢ - ٧٤ .

(٤) المرجع السابق : ص ٥٥ .

(٥) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ١٣٧ .

(٦) المرجع السابق : ص ١٤١ .

الشيخ - جاويش - بعد هذا " ان أول ما بدأ به القرآن في التحاكم الى العقل الايمان بوجود الله فان القرآن ومن ورائه علماء الكلام واصول الدين كلهم مجمع على ضروره طلب تلك العقيده من طريق النظر والاستدلال حتى أن منهم من لم يقبل الايمان التقليدى بالله "[1] ثم يقرر أخيرا " ان القرآن الذى هو كتاب دين الفطره ما كان ليأتي بما ينافي الآراء القويمه أو تغم حكمته على العقول السليمه ولم يكن ليكلف العقل الايمان بما لا يعقل أو يحمل الجسم ما لا طاقة له به أو أن يفترض على الانسان ما ليس من موضوعات فطرته اذا فوظيفته فى البشر رسم أقرب الطرق الى الهدايه وحفظ العباد عن مواطن الهلاك التى يغشاها طلاب الحق والحقيقه لا من طريق الوحي بل من طرائق التجارب .. الخ "[2] .

ويجعل الشيخ عبد العزيز جاويش الاصل السادس من اصول الاسلام " تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض .. ولا يخفى ان تقرير هذا الاصل فى الاسلام يدلك دلاله واضحه على ان الدين المحمدى لم يلزم العقل ان يخالف ما يقتضيه نظره وبحثه بل أنه فوق ذلك قدمه فى العمل والاعتقاد "[3] .

ولن نذهب الى استقصاء عباراتهم وسردها هنا - واذا لو فعلنا لطال بنا المقام والمقال - وما ذكرنا فيه دليل على اتخاذهم العقل حكما ودليلا في امور الدين كلها وعلم التفسير احدها وهذا الاستاذ محمد فريد وجدى يقول بعد ذكر بعض الآيات من القرآن الكريم " كل هذه الآيات تتناولها القاعده الاصوليه التى انفرد بها هذا الدين وهي انه لو تعارض نصّ وعقل أو علم صحيح أوّل النص وأخذ بحكم العقل أو العلم ، وقد أوّل آباؤنا من هذه الآيات ما خالف عقولهم أو ناقض العلم الصحيح ، ونحن نجرى على سنتهم فنؤّل ما يخالف عقولنا منها .

---

(١) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ١٤٢ .
(٢) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ١٤٥ .
(٣) المرجع السابق : ص ٧٤ .

جرى المسلمون على هذا السمت فكان تطورهم العلمي يمدهم بالمعلومات وعلماؤهم يؤولون الآيات حتى تآخى العلم والدين وسارا كفرسي رهان لا يسبق احدهما الآخر .. فلم ينقسم الناس الى فريقين ، فريق للدين يقل كل يوم عددا ، وفريق للمدنيه يزداد كل يوم عددا ولكن كانوا في وحدة لا انفصام لها فبلغوا الى ما لا تبلغه أمة قبلهم من بسطتي الدنيا والدين "[1].

كانت هذه صيحتهم ، وكان هذا نداؤهم ، تداعوا الى تطبيقه في تفسير القرآن الكريم فطبقوه والقوا نظرة في كثير من التفاسير السابقه فوجدوا بعضها مليئا بما يناقض العقل من الاقوال فنقدوه وابطلوه ووجدوا في معظمها ايمان وتسليم بما لا يدركه العقل فأولوه وحرفوه وكان لهم صولات وجولات كان الصواب حليفهم حينا وكان التحريف سبيلهم احيانا كثيره .

كانوا يرجعون اليه ليحكم فيما اشكل عليهم أو ابهم في كبير الامور وصغيرها فهذا الامام محمد عبده يعلق على ما اورده بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى " الذى يوسوس في صدور الناس من الجنه والناس "[2] فيقول :- " وكل ما اوردوه في خرطوم الشيطان وخطمه ومنقاره وجثومه على الصدر أو القلب ونحو ذلك - فهو من التمثيل والتصوير ، والا فليجعلوا مثل ذلك للقسم الثاني من الوسواس أو الموسوسين - وهم الناس - فان الله نسب الوسوسه اليهم على حدّ السواء فقال (من الجنه والناس) فليكن للناس الذين يوسوسون في صدور الناس خرطوم وخطم ومنقار يدخل في الصدور ويوضع على أذن القلب فاذا ذكر الله خنس الخرطوم كما ذكروه في الجنّه ، ولكنهم يكثرون الوصف ويخترعون ما يشاءون بأوهامهم فيما لا يراه الناس - وان كانوا لا يعقلونه - ويجترئون على الغيب فيذكرون من شئونه ، ما استأثر الله بعلمه ، ثم لا يكفيهم ذلك حتى يخترعوا من الاحاديث ما يسند أوهامهم ، وينسبون الى السلف ما يظنون انه يقوى مزاعمهم "[3] .

---

(١) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ٩٢ .
(٢) سورة الناس : الآيتين ٥ ، ٦ .
(٣) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٨٥ .

ويفسر بالرأى من غير دليل قوله تعالى " وفرعون ذى الاوتاد "[١] بقوله :-

" وفرعون هو حاكم مصر الذى كان في عهد موسى عليه السلام وللمفسرين فى الاوتاد اختلاف كبير واظهر أقوالهم ملاءمه للحقيقه ان الاوتاد : المباني العظيمه الثابته ، وما اجمل التعبير عما ترك المصريون من الابنيه الباقيه بالاوتاد ! فانها هي الاهرام ، ومنظرها في عين الرائي منظر الوتد الضخم المغروز في الارض ، بل ان شكل هياكلهم العظيمه في اقسامها شكل الاوتاد المقلوبه : يبتدىء القسم عريضا وينتهى بأدق مما ابتدأ ، وهذه هي الاوتاد التى يصح نسبتها الى فرعون على انها معهوده للمخاطبين "[٢]

ويعلق على تفسير الجلال السيوطي لقوله تعالى " أو كصّيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق "[٣] بقوله " وقال مفسرنا الجلال السيوطي ان الرعد ملك أو صوته ، والبرق سوطه يسوق به السحاب " كأن الملك جسم مادى لان الصوت المسموع بالآذان من خصائص الاجسام ؟ وكأن السحاب حمار بليد لا يسير الا اذا زجر بالصراخ الشديد والضرب المتتابع "[٤].

ولكنه يقول في موضع آخر عن الملائكه :- " واذا ورد انهم موكلون بالعوالم الجسمانيه كالنبات والبحار فاننا نستدل بذلك على أنّ في الكون عالما آخر الطف من هذا العالم المحسوس وان له علاقه بنظامه واحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بامكانه لذاته ويحكم بصدق الوحي الذى اخبر به "[٥].

ويفسر الشيخ محمد رشيد رضا الامداد في قوله تعالى " اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكه مردفين "[٦] بقوله " ان هذا الامداد أمر روحاني يؤثر في القلوب فيزيد في قوتها المعنويه فقال " وما جعله الا بشرى " أى وما جعل عزّ شأنه هذا الامداد الا بشرى لكم بأنه ينصركم كما وعدكم " ولتطمئن به

---

(١) سورة الفجر الآيه : ١٠ .
(٢) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٧٩ .
(٣) سورة البقره من الآيه : ١٩ .
(٤) تفسير المنار : السيد رشيد رضا جـ ١ ص ١٧٤ .
(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٥٤ .
(٦) سورة الانفال الآيه : ٩ .

قلوبكم " أى تسكن بعد ذلك الزلزال والخوف الذى عرض لكم في جملتكم فكان من مجادلتكم للرسول في أمر القتال ما كان فتلقون اعداءكم ثابتين موقنين بالنصر ، وسيأتي في مقابلة هذا القاء الرعب في قلوب الذين كفروا (وما النصر الا من عند الله) دون غيره من الملائكه أو غيرهم كالاسباب الحسيه فهو عز وجل الفاعل للنصر كغيره مهما تكن اسبابه الماديه أو المعنويه انهو المسخر لها وناهيك بما لا كسب للبشر فيه كتسخير الملائكه تخالط المؤمنين فتستفيد ارواحهم منها الثبات والاطمئنان "[1] وقال " وظاهر نص القرآن ان انزال الملائكه وامداد المسلمين بهم فائدته معنويه كما تقدم وانهم لم يكونوا محاربين "[2] وقال " وما ادرى اين يضع بعض العلماء عقولهم عند ما يغترون ببعض الظواهر وببعض الروايات الغريبه التى يردها العقل ولا يثبتها ماله قيمه من النقل فاذا كان تأييد الله للمؤمنين بالتأييدات الروحانيه التى تضاعف القوه المعنويه وتسهيله لهم الاسباب الحسيه كانزال المطر وما كان له من الفوائد لم يكن كافيا لنصره اياهم على المشركين بقتل سبعين وأسر سبعين حتى كان ألف - وقيل آلاف - من الملائكه يقاتلونهم معهم فيفلقون منهم الهام ويقطعون من ايديهم كل بنان ، فأى مزيه لاهل بدر فضلوا بها على سائر المؤمنين ممن بعدهم واذلوا المشركين وقتلوا منهم الالوف ؟ "[3] ثم قال " ألا ان في هذا من شأن تعظيم المشركين ورفع شأنهم وتكبير شجاعتهم وتصغير شأن افضل اصحاب الرسول واشجعهم مالا يصدر عن عاقل الا وقد سلب عقله لتصحيح روايات باطله لا يصح لها سند ولم يرفع منها الاحديث مرسل عن ابن عباس ذكره الالوسي وغيره بغير سند ، وابن عباس لم يحضر غزوة بدر لأنه كان صغيرا فرواياته عنها حتى في الصحيح مرسله وقد روى عن غير الصحابه حتى عن كعب الاحبار وامثاله "[3].

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٥٦١ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٥٦٦ - ٥٦٧ .

وفسر المسخ في قوله تعالى " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين "[١] بقوله : " أى فكانوا بحسب سنة الله في طبع الانسان واخلاقه كالقرده المستذله المطروده من حضرة الناس : والمعنى أن هذا الاعتداء الصريح لحدود هذه الفريضه قد جرأهم على المعاصي والمنكرات بلا خجل ولا حياء حتى صار كرام الناس يحتقرونهم ولا يرونهم اهلا لمجالستهم ومعاملتهم " ثم قال " وذهب الجمهور ايضا الى أن معنى "كونوا قرده " ان صورهم مسخت فكانوا قرده حقيقيين والآية ليست نصا فيه ، ولم يبق الا النقل ولو صح لما كان فى الآيه عبره ولا موعظه للعصاة لانهم يعلمون بالمشاهدة ان الله لا يمسخ كل عاص فيخرجه عن نوع الانسان اذ ليس ذلك من سننه في خلقه وانما العبرة الكبرى في العلم بأن من سنن الله تعالى فى الذين خلوا من قبل ان من يفسق عن أمر ربه ويتنكب الصراط الذى شرعه له ينزل عن مرتبة الانسان ويلتحق بعجماوات الحيوان وسنة الله تعالى واحده فهو يعامل القرون الحاضره بمثل ما عامل به القرون الخاليه "[٢] .

وهذا الشيخ عبد القادر المغربي فى تفسيره لـ " جزء تبارك " يقول مفسرا قوله تعالى :- " أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور"[٣] :- من في السماء هو الله تعالى ، ولكن قام البرهان العقلي على ان الاله الازلي خالق الكل وضابط الكل لا يتصور ان يكون مستقرا في مكان ، فوجب اذن صرف الآيه عن ظاهرها ، وحملها على معنى يلتحم مع ما اثبته العقل وقام عليه البرهان ، والقرآن يفسر بعضه بعضا فآيه " وهو الله في السموات وفي الارض "[٤] تنفي ان تكون ذات الله في السموات وفى الارض اذ كيف يعقل ان تكون الذات الواحده في مكانين فى آن واحد ؟ لا جرم ان يكون المراد بكونه تعالى في السماء وفى الارض

---

(١) سورة البقـره الآيه : ٦٥ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٤٤ .
(٣) سورة الملك الآيه : ١٦ .
(٤) سورة الانعام من الآيه : ٣ .

ان مشيئته وحكمه نافذ فيهما وسلطانه وقهره غالب عليهما " ثم استشهد بقول ابو مسلم الاصفهاني " ان العرب لما كانوا يقرون بوجود الله تعالى ويزعمون انه في السماء - خوطبوا في الوحي على حسب اعتقادهم فقيل لهم أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض ؟ أى أأمنتم ايها القوم ذلك الاله العظيم الذى تعتقدون أنه موجود في السماء ان يهلككم ؟ هذا ما قاله ابو مسلم وهو دقيق جدا وربما ورد في القرآن امور لم تذكر على جهة التقرير والتشريع وارادة حمل المخاطبين على اعتقادها ، وانما تذكر على سبيل الفرض وارخاء العنان لهم في اعتقادها اعتمادا على نصوص أخر بينت فساد هذا الاعتقاد " (١).

وقال - الشيخ عبد القادر - فى تفسير قوله تعالى " فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم "(٢) هذا هو خبر سيدنا يونس حسبما أخذناه من النصوص الصحيحه وليس فيه ما يستبعد وقوعه اللهم الا التقام الحوت له ومكثه في بطنه حينا من الزمن حيا يرزق ثم نبذه في ذلك الفضاء ، على انه ان حق لاهل القرون الماضيه ان يستبعدوا خبر صاحب الحوت فلا يحق لابناء عصرنا ذلك الاستبعاد بعد أن رأوا بأعينهم سبح الكثيرين منهم في بطون الغواصات أياما متطاولات تحت البحار الطاميات ، وطيرانهم مثل ذلك في اجواء السموات فالاله الذى خلق العقل البشرى ، ومهد له سبيل الوصول الى مثل هذه العجائب ألا يكون قادرا على ان ييسر حصول مثله لعبده يونس ببعض الاسباب التى لم تزل مجهوله لنا ؟؟ .

هذا ما نقوله للمتسائل المتعجب . أما نحن معشر المسلمين فنؤمن بما ورد فى الكتاب مادام انه غير محال في العقل "(٣).

---

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي : ص ٩ .
(٢) سورة القلم الآيه : ٤٨ .
(٣) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٢٩ - ٣٠ .

لن أذكر هنا ما أدى بهم اليه هذا المنهج من تأويلات وتحريفات خطيره فهذه امور بلغت درجتها ومقامها في دراستهم ان ينظر اليها لجسامتها وخطورتها من وجهة نظر مستقله ، بأن تفرد بدراسات خاصه ان لم تكن بتوسع فلتكن بايضاح اكثر وبيان أوفى ، وهو ما سنفعل ان شاء الله .

هذه الامور المتولده من هذا المنهج بلغت قيمة بعضها ان صارت اساسا آخر من الاسس التى يقوم عليها منهج هذه المدرسه ، فمن ذلك ذم التقليد والدعوه الى الاجتهاد .

وموقفهم من التفسير بالمأثور ورد بعض الاحاديث الصحيحه لمخالفتها لبعض ما يذهبون اليه ، والتحذير من الاسرائيليات والخوض فيها وتفسير القرآن أو الاستشهاد بها . هذه أمور تولدت من هذا المنهج وصارت اسسا مهمه فى تفاسيرهم . وهناك أمور أخرى تولدت عن هذا المنهج ايضا ولكنها لم تبلغ درجة القاعده العامه التى تفسر بها آيات القرآن ويعتمد عليها في التفسير ولكنها مع هذا خطيره وجسيمه وذلك مثل تأويل معجزات الانبياء بما يبطلها وتأويل القصص فى القرآن الكريم بالتمثيل وتفسير الجن بغير ما هو معروف عند السلف ، والتكذيب بتأثير السحر وغير ذلك .

هذه امور كلها تولدت من هذا المنهج وسنفردها في مواضع خاصه لها ان شاء الله وهو أمر ان لم نفعله أوجب علينا ان ندمج جل هذا البحث تحت هذا المنهج وهذا الدمج يتولد عنه تكتل في المعلومات وتشتيت للذهن وسوء في العرض والبيان ، وهي أمور آثرنا تحاشيها .

بقى مما سنذكره هنا بيان الحق في هذا المنهج ورأى بعض السلف وبعض المعاصرين فى سلوكه لننتهى من هذا الى المنهج الاسلم .

رأى بعض السلف :

يرى الامام ابن تيميه رحمه الله تعالى ان " الرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه ، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه ، لكن المسرفون فيه قضوا بوجوب أشياء وجوازها ، وامتناعها ، لحجج عقليه بزعمهم اعتقدوها حقا ، وهي باطل وعارضوا بها النبوات وما جاءت به ، والمعرضون عنه صدقوا باشياء باطله ، ودخلوا في احوال واعمال فاسده ، وخرجوا عن التمييز الذى فضل الله به بني آدم على غيرهم "[١] وقال " ثم هؤلاء لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنه على نقيض قولهم لظنهم ان العقل عارض السمع - وهو اصله - فيجب تقديمه عليه ، والسمع اما ان يؤول واما أن يفوض وهم ايضا عند التحقيق لا يقبلون الاستدلال بالكتاب والسنه على وفق قولهم "[٢] وقال " ثم المخالفون للكتاب والسنه وسلف الأمه - من المتأولين لهذا الباب - في أمر مريج فان من انكر الرؤيه يزعم ان العقل يحيلها وانه مضطر فيها الى التأويل ومن يحيل ان لله علما وقدره ، وان يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول ان العقل أحال ذلك فاضطر الى التأويل ، بل من ينكر حقيقة حشر الاجساد والاكل والشرب الحقيقى في الجنه يزعم ان العقل أحال ذلك وانه مضطر الى التأويل ، ومن يزعم ان الله ليس فوق العرش : يزعم ان العقل أحال ذلك ، وانه مضطر الى التأويل .

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء انه ليس لواحد منهم قاعدة مستمره فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم ان العقل جوّز وأوجب ما يدّعى الآخر أن العقل أحاله .

فياليت شعرى بأى عقل يوزن الكتاب والسنه !؟ فرضي الله عن الامام مالك ابن انس حيث قال " أوكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هؤلاء "[٣] ثم قال " ان العقل الصريح يوافق

---

(١) مجموع الفتاوى : ابن تيميه : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج٣ ص٣٣٩ .
(٢) المرجع السابق : ج ٣ ص ٨٨ ب .
(٣) المرجع السابق : ج ٥ ص ٢٨ - ٢٩ .

ما جاءت به النصوص وان كان في النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل وانما يعلمه مجملا .. على ان الوجوه الاساطين من هؤلاء الفحول معترفون بأن العقل لا سبيل له الى اليقين في عامة المطالب الالهيه ، واذا كان هكذا فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات على ما هو عليه ... ومعلوم للمؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من غيره بذلك وانصح من غيره للأمه وافصح من غيره عباره وبيانا بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للأمة وأفصحهم فقد اجتمع في حقه كمال العلم والقدره والاراده .. فعلم قطعا أن ما بينه من أمر الايمان بالله واليوم الآخر حصل به مراده من البيان ، وما اراده من البيان فهو مطابق لعلمه ، وعلمه بذلك اكمل العلوم فكل من ظن ان غير الرسول اعلم بهذا منه أو اكمل منه بيانا أو أحرص على هدى الخلق منه : فهو من الملحدين لا من المؤمنين "[1].

أما ما زعمه الامام محمد عبده وتلاميذه من أن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به الا من طريق العقل كالعلم بوجود الله وبقدرته على ارسال الرسل وعلمه بما يوحى به اليهم[2] فنرد عليه بما " قال القاضي ابو يعلى في عيون المسائل (مسأله) ومثبتوا النبوات حصل لهم المعرفه بالله تعالى بثبوت النبوه من غير نظر واستدلال في دلائل العقول خلافا للاشعريه في قولهم : لا تحصل حتى تنظر وتستدل بدلائل العقول .

وقال ونحن لا نمنع صحة النظر ولا نمنع حصول المعرفه به وانما خلافنا هل تحصل بغيره واستدل بأن النبوة اذا ثبتت بقيام المعجزه علمنا ان هناك مرسلا أرسله ، اذ لا يكون هناك نبى الا وهناك مرسل[3] واذا ثبت ان هناك مرسل أغنى

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه : عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد جـ ٥ ص ٢٩- ٣١ .

(٢) رسالة التوحيد : محمد عبده ص : ٧ .

(٣) هذا دليل عقلي اذ الاستدلال على ان كل مرسل لابد له من مرسل ارسله دليل عقلي ، فلو قال أن النبوة اذا ثبتت بقيام المعجز وجب التسليم للنبى فيما يذكر ويخبر به وهم قد أخبروا بالمرسل " لكان اسلم .

ذلك عن النظر والاستدلال في دلائل المعقول على اثباته "[١].

وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد ما ذكره الخطابي ايضا في " الغنيه عن الكلام واهله " وقد سلك بعض من بحث في اثبات الصانع وحدوث العالم طريق الاستدلال بمقدمات النبوه ومعجزات الرساله لان دلائلها مأخوذه من طريق الحس لمن شاهدها ومن طريق استفاضه الخبر لمن غاب عنها ، فلما ثبتت النبوه صارت أصلا في وجوب قبول ما دعا اليه النبي ، وعلى هذا الوجه كان ايمان اكثر المستجيبين للرسول وذكر قصة جعفر واصحابه مع النجاشي وقصة الاعرابي الذي قال من خلق السماء وغير ذلك "[٢].

ويستدل ابن تيميه على صحة هذه الطريقه بما جاء في القرآن في قصة فرعون فانه كان منكرا للرب قال تعالى " فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين "[٣] الى قوله سبحانه " قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين "[٤].

فهنا قد عرض عليه موسى الحجة البينه التي جعلها دليلا على صدقه في كونه رسول رب العالمين وفي انه له الها غير فرعون يتخذه ، وكذلك قال تعالى " فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وانه لا اله الا هو "[٥].

هذا هو رأي ابن تيميه رحمه الله تعالى وانما اكثرت من النقل عنه لان أرباب المدرسه العقليه الحديثه ينظرون اليه نظرة احترام وتقدير ويطبعون كتبه ويستدلون ببعض اقواله زاعمين انها تذهب الى ما ذهبوا اليه وهو عندهم حكم عدل وهو عندنا كذلك لان احكامه ترجع الى الكتاب والسنه قبل رجوعها الى العقل " فياليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنه ! ؟ "[٦]. وهو خلاف ما ذهبوا اليه . والله أعلم ،،

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه : عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج ١١ ص ٣٧٧ .
(٢) المرجع السابق ج ١١ ص ٣٧٧ - ٣٧٨ .
(٣) سورة الشعراء الآيه : ١٦ .
(٤) سورة الشعراء الآيات ٢٩ - ٣٣ .
(٥) مجموع فتاوى ابن تيميه : عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج ١١ ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .
(٦) المرجع السابق ج ٥ ص ٢٩ .

رأى بعض المعاصـــرين :

مما لا شك فيه انه كان لمنهج تلك المدرسه صدى واسعا بين النـــاس ، اعجب طائفة منهم فسلكته ونهجت نهجه وسارت في سبيله ، ووقفت طائفـــه أخرى موقف الرفض لمنهج تلك المدرسه وموقف المشكك باهدافها واهـــداف مؤسسيهـــا .

لن نستدل هنا بشئ من كلام هؤلاء ولا كلام اولئك وان كان في كـــلام كل حق وباطل ، ولكن نستدل بكلام طائفه من الناس ان رأت خيرا حمدته وان رأت غير ذلك وضحته ونشرته ، وان كان بعضهم مما يميل الى المدرسة ويؤيدها في كثير من الامور فهذا أمر يزيد النقد والذم لهذا المنهج قوة وسلامه وصحـــة وقربا الى الحق والصواب .

نذكر من هؤلاء الاستاذ انور الجندى حيث يقول : " واذا كان جمـــال الدين الافغاني هو أول من فتح باب المنطق والفلسفه في الفكر العربي الحديث بحسبانه طريقا الى الدفاع عن الاسلام في مواجهة الفلسفات الحديثه على نفـــس المنهج الذى اتخذه المعتزله ، فان محمد عبده هو الذى عمق هذا الاتجـــاه حتى اطلق عليهما اسم " معتزلة العصر الحديث " (١) .

وتسآل الدكتور مصطفى حلمي قائلا " اليس الاعوجاج فى التفكير الـــذى يشكو منه ابن تيميه هو نفسه الذى يتخذه ارباب النظر العقلي المعاصـــرون الذين يحاولون اخضاع الشريعه لمتطلبات العصر المتجدده في زعمهم ؟ " (٢) ، ثم استشهد بقول الشهيد سيد قطب :- " وقد تأثر تفسير الاستاذ الامام محمد عبده لجزء عم بهذه النظره تأثيرا واضحا . وتفسير تلميذه المرحوم الشيخ رشـــيد رضا وتفسير تلميذه الاستاذ الشيخ المغربي لجزء تبارك حتى صرح مرات بوجوب

(١) اليقظه الاسلاميه في مواجهة الاستعمار : انور الجندى ص ١٣١ - ١٣٢ .
(٢) قواعد المنهج السلفي : مصطفى حلمي ص ٣٦ .

تأويل النص ليوافق مفهوم العقل ! وهو مبدأ خطر . فاطلاق كلمة العقل يرد الأمر الى شيء غير واقعي ! فهناك عقلي وعقلك وعقل فلان وعقل علان .. وليس هنالك عقل مطلق لا يتناوبه النقص والهوى والشهوه والجهل يحاكم النص القرآني الى مقرراته واذا أوجبنا التأويل ليوافق النص هذه العقول الكثيره فاننا ننتهي الى فوضى ! " (١) .

ولكن الشهيد سيد قطب يصور تلك القضيه صورة واضحه في موضع آخر ويحدد معالم هذه الفكره واسبابها حيث يقول " أما البحوث التى كتبت للرد على انحراف معين فانشأت هي بدورها انحرافا آخر فأقرب ما نتمثل به في هذا الخصوص توجيهات الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ومحاضرات اقبال في موضوع " تجديد الفكر الديني فى الاسلام" .

لقد واجه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده بيئه فكريه جامده اغلقت باب الاجتهاد وانكرت على العقل دوره في فهم شريعة الله واستنباط الاحكام منها واكتفت بالكتب التى الفها المتأخرون في عصور الجمود العقلي وهي -في الوقت ذاته- تعتمد على الخرافات والتصورات الدينيه العاميه ! كما واجه فترة كان العقل فيها يعبد في اوروبا ويتخذه اهلها الها ، وخاصة بعد الفتوحات العلميه التى حصل فيها العلم على انتصارات عظيمه ، وبعد فتره كذلك من سيادة الفلسفة العقليه التى تؤله العقل ، وذلك مع هجوم من المستشرقين على التصور الاسلامي وعقيدة القضاء والقدر فيه ، وتعطيل العقل البشري والجهد البشرى عن الايجابيه فى الحياة بسبب هذه العقيده .. الخ فلما اراد ان يواجه هذه البيئه الخاصه باثبات قيمة " العقل " تجاه " النص " واحياء فكرة " الاجتهاد " ومحاربة الخرافه والجهل والعاميه في " الفكر الاسلامي " .. ثم اثبات ان الاسلام جعل

---

(١) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته : سيد قطب ص : ٢٠ .

للعقل قيمته وعمله في الدين والحياة وليس كما يزعم بعض الافرنج انه قضى على المسلمين " بالجبر " المطلق وفقدان " الاختيار " .. لما أراد ان يواجه الجمود العقلي في الشرق والفتنه بالعقل في الغرب جعل " العقل " البشرى ندا للوحي في هدايه الانسان ولم يقف به عند - ان يكون - جهازا من اجهزه في الكائن البشرى يتلقى الوحي ومنع ان يقع خلاف ما بين مفهوم العقل وما يجيء به الوحي ولم يقف بالعقل عند ان يدرك ما يدركه ويسلم بما هو فوق ادراكه "[1] .

هذا التحكيم للعقل عند الامام محمد عبده وتلاميذه هو الذى حمل الاستاذ عباس محمود العقاد على ان يقول عنه " فهو مع الفلاسفه والمعتزله في تحكيم العقل والقياس على المنطق والعلوم الكونيه "[2] .

ويذكرلنا الاستاذ عبد الله شحاته الذين تأثر بهم الاستاذ الامام فيقول :-

" وقد كان الامام الاستاذ متأثرا في حديثه عن المعجزات والنبوات بالمؤلفين الفرنسيين فهو يحاول ان يقرب الى الاذهان المعجزات الالهيه ويعلل وقوعها بما يوافق العلم والعقل ويقربها من خضوع الاسباب للمسببات "[3] ويرى ايضا " ان الاستاذ الامام كان متأثرا في نفيه السحر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بعدة أمور :

١ - محاوله اظهار الاسلام أمام المستشرقين والمتدينين بمظهر الدين العلمي المنهجى الذى لا يعترف بالسحر ولا بالخرافه .

٢ - وجد الامام في آراء المعتزله تراثا عقليا وذخيرة فكريه فهم يرفضون الايمان بالسحر والكهانه والشفاعه وكرامات الاولياء ويؤلون النصوص الدينيه التى تثبتها وقد سار الامام على طريقتهم .

٣ - لما كان هدف الامام من انكار السحر محاربة الخرافه واظهار الاسلام بأنه دين العقل واعترض طريقه حديث صحيح قال انه حديث آحاد " والحديث الذى

---

(١) خصائص التصور الاسلامي ومقوماته : سيد قطب ص ١٨ - ١٩ .
(٢) محمد عبده : عباس محمود العقاد ص ٢٣٩ .
(٣) منهج الامام محمد عبده : عبد الله محمود شحاته ص ٩٨ .

يصل الينا عن طريق الآحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده أما من قامت الادله عنده على انه غير صحيح فلا تقوم به حجه وعلى فرض صحته يؤول أو يفوض الأمر فيه "[1].

ولن يسعنا هنا الا ان نختم آراء المعاصرين برأى الاستاذ سليمان دنيا حيث يقول " ان الشيخ محمد عبده لو كان باحثا حرا طليقا من كل قيد كما هو شأن كثير من الباحثين لهان الأمر ولكنه باحث يجد نفسه مضطرا الى ان يرضي العقل والنص معا كما هو شأن المفكرين الاسلاميين .

ان امثال الشيخ محمد عبده ممن وجدوا انفسهم مضطرين لأن يرضوا العقل والنص معا ، لان العقل واجب الاحترام ، ولأن النصوص قد ثبتت عندهم بطريق مأمون من الخطأ . والذين وقفوا موقف الشيخ محمد عبده هذا انقسموا الى فرقتين فرقة تبعت العقل وانتهت معه الى حيث انتهى ، ثم بعد ذلك نظرت الى النص ، فان وجدته متمشيا مع ما انتهى اليه العقل حمدت الظروف واطمأنت الى نتيجة عملها ، وان وجدته غير ذلك لم تجد صعوبة في أن تحمل النصوص حملا على ان تنزل عند ارادة ما ساق اليه العقل ، رضيت النصوص ذلك ، أم أبت .

وفرقة اتخذت من النص بداية عملها ففهمتها في محيطها النصي ، واطمأنت الى صواب ما فهمت ثم بعد ذلك ، اذا وجدت من يقول : (هذا يخالف العقل) التمست مبررات من العقل لتأييد ما فهمته من النص " .

ثم قال " والحق الذى تنشرح له نفس المنصف ان العقل والنص كلاهما من الله وكلاهما يهدف لهداية البشر ، ولو كان في العقل وحده غناء للنوع البشرى يهديه الى غايته من الوجود لم يكن هناك حاجة الى النصوص ، ولو أمكن ان تفهم النصوص الالهيه بدون عقل لكان في انزال النصوص غناء عن خلق العقل في الانسان .

---

(١) منهج الامام محمد عبده : عبد الله شحاته ص ١٢٦ .

انهما متكاملان لاغناء لاحدهما عن الآخر كالماء والطعام للانسان ... فأين من هذه المشكلة كلن موقف الشيخ محمد عبده ؟

ان الذى لا شك فيه عندى ان الشيخ محمد عبده قد تحيّف فى حق النصوص وبالغ في تقدير قيمة العقل ، والكتاب كله شواهد على هذا الذى اذهب اليه " [1] .

وانتقد الاستاذ سليمان دنيا طريقه الاستاذ الامام محمد عبده في قوله :
" والحق الذى يرشد اليه الشرع والعقل ان يذهب الناظر المتدين الى اقامة البراهين الصحيحه على اثبات صانع واجب الوجود ، ثم منه الى اثبات النبوات ، ثم يأخذ كل ما جاءت به النبوات بالتصديق والتسليم بدون فحص فيما تكنه الالفاظ الا فيما يتعلق بالاعمال على قدر الطاقه ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده بالبراهين الصحيحه كان ما أدت اليه ما كان ، لكن بغاية التحرى والاجتهاد ثم اذا فاء من فكره الى ما جاء من عند ربه فوجده بظاهره ملائما لما حققه فليحمد الله على ذلك والا فليطرق عن التأويل ويقول : آمنا به كل من عند ربنا فانه لا يعلم مراد الله ونبيه الا الله ونبيه " [2] .

انتقد الاستاذ سليمان دنيا هذا المنهج الذى وضحه محمد عبده فقال :-
" .. فطريق النجاة اذن ليس في ان يقتفى المرء آثار ما كان عليه الرسول واصحابه في امور الاعتقاد ، فان ذلك غير ممكن من وجهة نظر الشيخ محمد عبده ، وانما طريق النجاة في أن " يأخذ المرء طريق التحقيق فى تأسيس جميع عقائده بالبراهين الصحيحه كان ما ادت اليه ما كان " ذلكم هو كل ما في الأمر ، أما النصوص الالهيه وما تنطوى عليه من آراء فأمرها دائر بين ان تكون موافقه لما تأدت اليه هذه البراهين أو أن تكون مخالفه له والأمر في كلتا الحالين سهل يسير في نظر الشيخ

(١) الشيخ محمد عبده بين الفلاسفه والكلاميين : تحقيق سليمان دنيا ص٢٥-٢٦ المقدمه .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٥ .

محمد عبده فلنها ان كانت موافقة فقد كفى ان المؤمنين القتال ، وان كانت مخالفه فلا قتال ايضا لانه يكفى ان يقول المرء آمنت بما جاءت به الى جانب الايمان بما تأدت اليه البراهين .

هذا هو السبيل فى نظر الشيخ محمد عبده وهو سبيل غير سبيل الكلاميين اعنى انه سبيل الفلاسفه .

ولا يخدعنا قول الشيخ عبده (فليطرق عن التأويل ويقول آمنا به كل من عند ربنا) فان ذلك ايمان بألفاظ جوفاء لا معنى لها مادام قد آمن من طريق آراء بآراء تعارض هذه الالفاظ معارضه تامه "[1] .

ثم ختم الاستاذ سليمان دنيا مناقشته الطويله لآراء محمد عبده بقوله :-

" ثم ان لمنهج الشيخ محمد عبده جانبا آخر له خطورته ايضا ذلك انه طريق تفريق للأمه لا طريق تجميع .

ذلك انه اذا اعتمد كل انسان على نفسه وعقله فقط فقلما ينتهى واحد الى مثل ما ينتهى اليه الآخر وهؤلاء هم الفلاسفه ، لان كل واحد منهم يعول على نفسه وعقله فقط نجدهم فى الغالب متفرقين قلما يلتقون على شىء واحد من كل الوجوه .

وقد كان هدف المشرع صلى الله عليه وسلم من قوله " من هم على ما انا عليه واصحابي " ان يجمع شمل الأمه في مستقبلها كما اجتمعت في ماضيها فيكون لها كيان دينى موحد يكون شعارها وعنوانها ومبعث فخرها ومناط قوتها ، لا ان يكون كل واحد منها ، فرقه برأسه يخالف الآخرين ويخالفه الآخرون "[2] .

---

(١) محمد عبده بين الفلاسفه والكلامين : تحقيق سليمان دنيا ص ٥٩ - ٦٠ المقدمه .
(٢) المرجع السابق ص ٦٣ - ٦٤ .

ويقول الاستاذان على محمد جريشه ومحمد شريف الزيبق فى نقد منهج المدرسه العقليه بعد ردهما على مقالأه محمد عبده للكافرين واستشهادهما بآيات قرآنيه " أم أن له فيه تأويلا كتأويله فى الملائكه أو في سجودهم أو في معصية آدم أو في خلق عيسى عليه السلام أو في الجن أو في السحر .. أو غير ذلك مما اعمل فيه عقله (الكبير) .. ليقول " بالرأى في كتاب الله ؟ !! " لقد مضى الرجل الى ربه فنترك له حساب سره وعلانيته لكننا ازاء الظاهر "(١) .

هذا رأى بعض المعاصرين الذين ذهبوا فى النقد حدّ الاعتدال ، ومنه ترى الى أى مدى وصل الاستاذ وتلاميذه فى تطبيق هذا المنهج مما اخرجهم عن جاده الحق والصواب ومما نقلهم من منهج السنه الى منهج المعتزله .

ولنا رأى :

احب قبل ختام عرضنا لهذا المنهج ان اذكر ما اراه في الموضوع ، واحب ايضا قبل ذكر هذا ان اصحح خطأ وقع فيه رجال هذه المدرسه ويقع فيه كثير من علمائنا المعاصرين فأقول :-

ليس الاسلام - وحده - دين العقل :-

يصر رجال هذه المدرسه وكثير من كتابنا وعلمائنا المعاصرين على ان الاسلام وحده هو دين العقل وان الاديان الاخرى قائمه على ان الدين والعقل ضدان لا يجتمعان والعلم والدين خصمان لا يتفقان وان جميع ما يستنتجه العقل خارجا عن نصّ الكتاب فهو باطل (٢) وان اليهوديه شريعة مبنيه على الشده في تربيه قوم ألفوا العبوديه والذل ، والمسيحيه يهوديه من جهه وروحانيه شديده من جهة أخرى فهى تأمر اهلها بأن يسلموا امورهم الجديه الاجتماعيه للمتغلبين من اهل التسلط والحكم واما الاسلاميه فهى القائمه على اساس العقل والاستقلال (٣) .

(١) اساليب الغزو الفكرى : على جريشه ومحمد الزيبق ص ٢٠٤ .
(٢) تفسير المنار ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
(٣) المرجع السابق ج ٦ ص ٤١٩ .

وهذا أمر لا نرى الصواب حليفه فلم يأت دين من الاديان السماويه المذكوره في القرآن الا وكان العقل حليفها ، وكان معها على وفاق وكانت تدعو الى استعمال العقل والتدبر في مخلوقات الله الى نفس المدى الذى دعا اليه الاسلام دينا ، ذلكم ان الانبياء كلهم يدعون الى الاسلام قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام " اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين (١) .

وقال سبحانه " ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما " (٢) .

وقال ابراهيم واسماعيل عليهما السلام " ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمه لك " (٣) وهذا يوسف عليه السلام يخاطب ربه " انت ولي في الدنيا والآخره توفني مسلما والحقني بالصالحين " (٤) بل بني يعقوب جميعا يجيبون والدهم يعقوب عليه السلام حين سأل " ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون " (٥) وهذا نوح عليه السلام يقول " وأمرت ان اكون من المسلمين " (٦) وهذا سليمان عليه السلام يدعو ملكه سبأ " ألا تعلوا علىّ وأتوني مسلمين " (٧) وتقول هي " واسلمت مع سليمان لله رب العالمين " (٨) وغير ذلك من الآيات .

كل هذا يدل على ان الانبياء السابقين عليهم السلام ومن اتبعهم كانوا مسلمين ، ولا يليق ان يوصف اسلام هؤلاء بأنه بلا عقل كيف وقد دلّ القرآن الكريم على ان دعوتهم قائمه على الدعوه الى التفكر في مخلوقات الله والتدبر ليتوصلوا بذلك الى الدين الحق ، فهذا نوح عليه السلام يدعو قومه قائلا :- " الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا " (٩) وهذا موسى عليه السلام يجيب على سؤال فرعون

---

(١) سورة البقره الآيه : ١٣١ .
(٢) سورة آل عمران الآيه : ٦٧ .
(٣) سورة البقره الآيه : ١٢٨ .
(٤) سورة يوسف من الآيه : ١٠١ .
(٥) سورة البقره من الآيه : ١٣٣ .
(٦) سورة يونس من الآيه : ٧٢ .
(٧) سورة النمل من الآيه : ٣١ .
(٨) سورة النمل من الآيه : ٤٤ .
(٩) سورة نوح الآيات : ١٥ - ٢٠ .

" وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين "[1] قال ربكم ورب آبائكم الاولين "[1] " قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون "[1] فلما لم تنفع معه هذه الادله جاءه بالمعجزه والقى عصاه ونزع يده ،

وهذا ابراهيم عليه السلام يقول لقومه بعد تحطيمه للاصنام " قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون "[2] .

اليس فى هذه الآيات دليل على ان دعوة الانبياء السابقين عليهم السلام دعوة قائمة على النظر والتفكر والتدبر لمخلوقات الله . وان ايمانهم ليس مجرد تسليم اعمى كما يزعم الزاعمون ، اليس ما قام عليه دينهم هو ما يزعم هؤلاء انه من خصائص الاسلام وحده وان جميع الاديان قبله قائمه ضده !!

لم لا نقولها - حقيقه - وليس فى هذا ما يضير ديننا الاسلامي الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ان الاديان السماويه كلها قائمه على العقل وليس فيها ما يناقض العقل .

أما ان نحتج بقيامها على غير العقل بنصوص ليست من كلام انبيائه بل من التحريف الذى طغى عليها بعد ذلك فهذا ليس الحق الذى يدعونا اليه ديننا .

ولن يعنى هذا التسويه بين الاديان في وجوب اتباعها بعد ان كانت كلها فى منزله واحده من العقل ذلكم ان هذا الدين الذى بيّن ان الاديان السابقه قائمه على ما قام عليه من النظر والتفكر والتدبر فى مخلوقات الله هو الذى اوجب اتباعه وقصر الدين الحق بعده على اتباعه فقال " ان الدين عند الله الاسلام "[3] .

---

(١) سورة الشعراء الآيات : ٢٤ - ٢٨ .
(٢) سورة الانبياء الآيات ٦٣ - ٦٧ .
(٣) سورة آل عمران الآيه ١٩ .

وقال " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه "[1] وعلم من نصوص اخرى كثيره ان المراد به دين محمد صلى الله عليه وسلم .

هذه حقيقه احببت بيانها قبل ان اشير الى ما نراه في بيان منزله العقل في الاسلام وهو أمر سبق بيانه في التمهيد حيث بينت هناك مكانه العقل في الاسلام ومجاله الذى حدّده له الاسلام بحيث لا يضل ولا يشقى . ولا ارى الامر يدعو الى اعاده البيان ، وخلاصه الكلام ان الاسلام كرم العقل وامر بتكريمه واسند اليه ما يستطيعه من الاستدلال وبين له تلك العلامات التي يهتدى بها في بهيم الظلمات ونهاه عن الخوض فيما ليس في استطاعته دركه ولا معرفته لينجو من التخبط والتعثر والضياع الذى اوقعه فيه ووقع معه من سلك به تلك السبل ، والله الهادى الى سواء السبيل .

---

(١) سوره آل عمران الآيه ٨٥ .

الاساس الثامن : التحذير من التفسير بالاسرائيليات

قلنا ان الصحابه رضى الله عنهم فهموا القرآن - لكونهم عربا خلصا - بمقتضى سليقتهم العربيه فهما يتبادر الى اذهانهم خالصا من شوائب العجمه والبدعه في الدين ، أو صرف الفاظه الى معان زائفه بمقتضى الالتزام بعقائد باطله فان ابهم عليهم أمر أو استصعب عليهم فهمه رجعوا اليه صلى الله عليه وسلم فوجدوا البيان الشافي الكافي .

وكان بعضهم رضى الله عنهم بعد هذا يرجع لبيان ما ابهمه القرآن أو لتفصيل ما اجمله مما يتعلق بأخبار الامم الماضيه الى اهل الكتاب .

كان هذا فى آيات قليله لكن الأمر نما واتسع حتى عم وشمل في فتره من مراحل التفسير الكثير من آيات القرآن الكريم كان ذلكم النوع من التفسير هو التفسير بالاسرائيليات .

المراد بالاسرائيليات

يجب ان نوضح انه يراد بالاسرائيليات ما هو اعمّ من لفظها اذ هو لا يدل على اكثر من الروايات المنسوبه الى بنى اسرائيل وهم اليهود ، وما يراد اضافه الى هذا الروايات المنسوبه الى النصارى ايضا فهى تطلق على ما يروى عن اهل الكتاب عامه .

وانما اطلق على ذلك كله لفظ الاسرائيليات لمجاورة اليهود للمسلمين فى المدينه وكونهم أول من نشرها بين المسلمين . فنسبت اليهم وشملت بعد هذا ما مصدره النصارى من باب التغليب .

اقسامها :

تنقسم الاسرائيليات من حيث موافقتها لشريعتنا الاسلاميه أو مخالفتها الى اقسام ثلاثه :

أولها : ما يوافق ما صح من شريعتنا ومن ذلك حديث طويل رواه مسلم عن فاطمه بنت قيس ذكرت فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس وقال لهم " اني والله ما جمعتكم لرغبه ولا لرهبه ولكن جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا

نصرانيا فجاء فبايع واسلم ، وحدثني حديثا وافق الذى كنت احدثكم عن مسيح الدجال حدثني انه ركب في سفينه بحريه ... الحديث[1] .

ومن ذلك تعيين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخضر فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا فيما رواه البخارى[2] .

ثانيها : ما يخالف شريعتنا ومن ذلك مثلا ما ورد ان سليمان عليه السلام دخل الحمام فوضع خاتمه عند امرأه من اوثق نسائه في نفسه فأتاها الشيطان فتمثل لها على صورة سليمان عليه السلام فأخذ الخاتم منها[3] .. الخ وفيه غير هذا ان الشيطان كان يأتي نساء سليمان عليه السلام وهن حيض .. الخ هذا من الروايات التي يقشعر لها بدن المؤمن .

ثالثها : ما ليس في شريعتنا ما يوافقه ولا ما يخالفه من نحو ذكر اسماء اصحاب الكهف ولون كلبهم وعصا موسى من أى الشجر كانت واسماء الطيور التي احياها الله لابراهيم عليه السلام وتعيين بعض البقره الذى ضرب به قتيل بني اسرائيل وغير هذا .

تلكم هي الاسرائيليات وتلكم هي اقسامها فما موقف سلفنا الصالح منها وما موقف مدرسه الامام .

موقف السلف من الاسرائليات :

يرى ابن تيميه رحمه الله تعالى ان الاحاديث الاسرائيليه تنقسم الى أقسام ثلاثه :-

أحدها :- ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

والثاني :- ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث :- ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن باب قصة الجساسه .
(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير باب ما جاء في سورة الكهف .
(٣) انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور : للامام السيوطي جـ ١ ص ٣١٢ .

لما تقدم ـ يقصد حديث وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ـ وغالب ذلك مما لا فائده فيه تعود الى أمر ديني "[1].

ثم يضرب لذلك مثلا "كما يذكرون في مثل هذا اسماء اصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم وعصا موسى من أى الشجر كانت ؟ .. " الخ[1]

فابن تيميه يرى صحة ما وافق شريعتنا وكذب ما خالفها ، وما عدا ذلك فلا حرج في حكايته من غير تصديق ولا تكذيب .

وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى " من المعلوم ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بني اسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله " اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم "[2] وهذا القول يزيد الأمر وضوحا بمنع التحديث بما يخالف شريعتنا من الاسرائيليات .

وخصص ابن حجر رحمه الله تعالى النهى الوارد فى حديث " لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم " أى اذا كان ما يخبرونكم به محتملا لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبوه أو كذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج ، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه ،ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، نبه على ذلك الشافعي رحمه الله ... وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف من ذلك"[3] .

أما ابن كثير رحمه الله تعالى فيقول " فأما الحديث الذى رواه البخاري رحمه الله في صحيحه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " بلغوا عنى ولو آيه وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج وحدثوا عنى ولا تكذبوا علي ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " فهو محمول على الاسرائيليات المسكوت عنها عندنا فليس عندنا ما يصدقها ولا ما

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيميه : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج٣ ص٣٦٦ .
(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى : لابن حجر العسقلاني كتاب احاديث الانبياء ج ٦ ص ٤٩٩ .
(٣) المرجع السابق : كتاب التفسير ج ٨ ص ١٧٠ .

يكذبها فيجوز روايتها للاعتبار . . . فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا اليه استغناء بما عندنا وما شهد له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود لا يجوز حكايته الا على سبيل الانكار والابطال "[1] ولكنه يقول في موضع آخر " وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني اسرائيل فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح وما خالف شيئا من ذلك رددناه وما ليس فيه موافقه ولا مخالفه لا نصدقه ولا نكذبه بل نجعله وقفا ، وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته وكثير من ذلك مما لا فائده فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين ، ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعه الكامله الشامله "[2] .

وقال ايضا ما قاله شيخه ابن تيميه عن هذه الاحاديث انها تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد [3] .

وخلاصه موقف السلف من الاسرائيليات

أ) ان ما وافق شريعتنا تجوز روايته للاستشهاد لا للاعتقاد .

ب) ان ما خالف شريعتنا لا تصح روايته .

ج) ان ما ليس في شريعتنا ما يوافقه ولا ما يخالفه فلا بأس بحكايته من غير تصديق ولا تكذيب .

موقف المدرسه العقليه الحديثه من الاسرائيليات :

شنّ رجال هذه المدرسه حمله شعواء على الاسرائيليات وحذروا من الخوض فيها ومن تناولها عند تفسير القرآن الكريم ، ونعوا على المفسرين السابقين

(١) البدايه والنهايه : ابن كثير جـ ١ ص ٦ - ٧ .
(٢) تفسير ابن كثير : جـ ٣ ص ١٩٢ .
(٣) تفسير ابن كثير : جـ ١ ص ٣ وانظر مجموع الفتاوى لابن تيميه جـ ١٣ ص ٣٦٦ وينبغي أن اشير هنا الى ان ابن كثير نقل عباره ابن تيميه وقد ورد في جميع طبعات تفسير ابن كثير هكذا " انها تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد " ووردت العباره في مجموع الفتاوى وجميع طبعات مقدمه في اصول التفسير بلفظ " انها تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد " فليلاحظ .

تناولهم لها وعدّوا هذا عليهم خطأ لا يغتفر ، ونسبوا اليه أمورا كثيره زعموا انها ترتبت على روايه هذه الاسرائيليات .

وكعاده رجال المدرسه - هذه - في مجاوزه حدّ الاعتدال المحمود الى التطرف والاسراف فانهم تطرفوا في التحذير من هذه الاسرائيليات ، وأدّى بهم هذا التطرف الى تكذيب بعضها مع موافقتها لما صحّ من شريعتنا ، بل وزادوا على هذا بأن ردوا بعض الاحاديث التى توافقها وان صحت وان رواها البخارى ومسلم .

ولم يقتصر الأمر على هذا بل تناولوا بعض الصحابه بالتجريح وشككوا في ايمان بعض التابعين الذين شهد لهم السلف الصالح بالعداله وروى عن البخارى ومسلم ، ونسبوا من وثقهم من علماء الحديث الى الغفله .

ولكن بعد هذا التشدد وهذا الرفض الحاسم والرد القاطع هل التزم رجال هذه المدرسه ذلكم النهج الذى وضعوه ؟ الحق انهم وقعوا فيما هو أشد منه فيما نرى والا ففي مثله لا محاله . ! !

لن نسترسل في بيان منهجهم فالاسلوب الذى سلكته في بيان منهجهم أن ادع الحديث لنصوصهم لترسم بنفسها للقارئ خطّ سيرها ومنهجها فيه ، وأن لا اتحدث الا فيما أراه واجبا للربط بين موضوع وآخر أو مقارنه بين منهج ومنهج .

لنبدأ أولا - بالنصوص التى تبين لنا حكم هذه الاخبار الاسرائيليه .

حيث يقول الامام محمد عبده :- عند تفسيره لقوله تعالى " وقولوا حطه نغفر لكم خطاياكم " الايه [(١)] بعد أن ذكر بعض أقوال المفسرين " ومنشأ هذه الاقوال الروايات الاسرائيليه ولليهود فى هذا المقام كلام كثير وتأويلات خدع بها المفسرون ولا نجيز حشوها في تفسر كلام الله تعالى " [(٢)] وقال عن التفاسير " كما ولعوا بحشوها بالقصص

(١) سورة البقره من الآيه : ٥٨ .
(٢) تفسر المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٢٥ .

والاسرائيليات التى تلقفوها من افواه اليهود والصقوها بالقرآن لتكون بيانا له وتفسيرا وجعلوا ذلك ملحقا بالوحي والحق الذى لا مرية فيه انه لا يجوز الحاق شئ بالوحي غير ما تدلّ عليه الفاظه واساليبه الا ما ثبت بالوحي عن المعصوم الذى جاء به ثبوتا لا يخالطه الريب "(١) وقال في تفسير قوله تعالى "ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت "(٢) " فنأخذ القرآن على ما هو عليه لا ندخل فيه شيئا من الروايات الاسرائيليه التى ذكروها وهي صارفه عن العبره لا مزيد كمال فيها "(٣).

وقال الاستاذ - احمد مصطفى المراغي في مقدمة تفسيره "اشار الكتاب الكريم الى كثير من تاريخ الامم الغابره التى حلّ بها العذاب على ما اجترحت من الآثام ، والى بدء الخلق وتكوين الارض والسموات ، ولم يكن لدى العرب من المعرفة ما يستطيعون به شرح هذه المجملات التى اشار اليها الكتاب اذ كانوا أمة أميه في صحراء نائيه عن مناهل العلم والمعرفه والانسان بطبعه حريص على استكناه المجهول واستيضاح ما عزت عليه معرفته فالجأتهم الحاجة الى الاستفسار من اهل الكتاب من اليهود والنصارى ولاسيما مسلمتهم كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه فقصوا عليهم من القصص ما ظنوه تفسيرا لما خفى عليهم فهمه من كتابهم ، ولكنهم كانوا في ذلك كحاطب ليل يجمع بين الشذره والبعره والذهب والشبه .. فساقوا الى المسلمين من الآراء في تفسير كتابهم ما ينبذه العقل وينافيه الدين وتكذبه المشاهده ويبعده كل البعد ما اثبته العلم في العصور اللاحقه "(٤).

وقال الشيخ -عبد العزيز جاويش- "لنرجع الى ما ذكره اولئك المفسرون في شرح (ارم ذات العماد) (٥) (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٧٥ .
(٢) سورة البقره من الآيه : ٢٤٣ .
(٣) تفسر المنار : جـ ٢ ص ٤٥٧ .
(٤) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ١٩ .
(٥) سورة الفجر الآيه ٧ .

ذى الاوتاد) [1] والى ما قالوه فى الزلازل والثور الحامل للارض ووصف يأجوج ومأجوج . . . هذا بعض ما اتى به اولئك المفسرون ليتمموا به كلام الله تعالى فاضحكوا منهم الصبيه والبله فضلا عن العقلاء من الناس كما انهم حطوا غير المسلمين على الاستهزاء بالدين والسخريه بالقرآن الحكيم " [2] .

وقال الشيخ محمود شلتوت - " فانه لما حدثت بدعة الفرق والتطاحن المذهبى والتشاحن الطائفى . . وظهرت في اثناء ذلك ظاهره خطيره هي تفسير القرآن بالروايات الغريبه والاسرائيليات الموضوعه التى تلقفها الرواه من اهل الكتاب وجعلوها بيانا لمجمل القرآن وتفصيلا لآياته " [3] ثم قال " قيد هذا التراث العقول والافكار بقيود جنت على الفكر الاسلامي فيما يختص بفهم القرآن والانتفاع بهدايه القرآن . . " [3] .

أما اشدّ هؤلاء حربا للاسرائيليات ورفضا فهو الاستاذ محمد رشيد رضا اذ يقول "كان من سوء حظ المسلمين ان اكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العاليه والهدايه الساميه فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الاعراب وقواعد النحو . . وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات وما مزجت به من خرافات الاسرائيليات . . . واكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة اهل الكتاب " [4] ثم استشهد بنصوص لابن تيميه رحمه الله تعالى بعد نقلها من غير مصدرها ملخصة تلخيصا مخلا [5] وفهم من تلك النصوص فهما خاصا " فأنت ترى ان هذا الامام المحقق جزم بالوقف عن تصديق جميع [6] ما عرف انه

---

(١) سورة الفجر الآيتين ٩ و ١٠ .

(٢) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ٥٦ .

(٣) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٩ و ١٠ .

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٧ - ٨ .

(٥) انظر تفسير المنار ج ١ ص ٨ و ٩ ثم انظر مجموع الفتاوى لابن تيميه ج ١٣ ص ٣٤٤ - ٣٥٦ ومن الاخلال حذف الاستثناء "الا بحجه " من قوله " وما لا بأن نقل عن اهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه الا بحجه " .

(٦) هذا غير صحيح ! فابن تيميه رحمه الله لم يجزم بالوقف عن تصديق " جميع" . . وقد مرّ بنا قبل قليل رأيه رحمه الله تعالى وخلاصته قبول ما وافق شريعتنا وتكذيب ما خالفها والتوقف فيما لا يوافقها ولا يخالفها . فهل هذا جزم بالوقف عن تصديقه جميعا ؟ ! .

من رواة الاسرائيليات وهذا في غير ما يقوم الدليل على بطلانه فى نفسه ...وانت ترى ايضا انه لم يجزم بما روى عن الصحابه رضى الله عنهم من ذلك وانما قال أنّ النفس اليه اسكن مما ينقل عن التابعين لان احتمال سماعه من النبى صلى الله عليه وسلم اقوى من احتمال سماعه من بعض اهل الكتاب لقلة روايه الصحابه عنهم وهذا ينقض[1] قول من اطلق الحكم بأن ما قاله الصحابي الثقه مما لا يعرف بالاستدلال بل بالنقل له حكم الحديث المرفوع "[2].

وقال السيد رشيد رضا - ايضا - " رووا في قصة (الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت)[3] روايات من الاسرائيليات التى ولع بها المفسرون وكلفوا بتطبيق كتاب الله تعالى عليها اشهرها ابعدها عن السياق وهي رواية السدى ... "[4].

ونذكر لهذا الرجل نصا لو اكتفى به لشكرنا له ذلك وكان به موافقا لرأى السلف حيث يقول " والمراد من النهى عن سؤالهم - أى اهل الكتاب - النهى عن سؤال الاهتداء وتلقي ما يروونه بالقبول لأجل العلم بالشرائع الماضيه وأخبار الانبياء لزياده العلم أو لتفصيل بعض ما اجمله القرآن وسببه ما هو ظاهر من السياق وهو انهم لنسيانهم بعض ما انزل اليهم وتحريفهم لبعضه بطلت الثقه بروايتهم ، فالمصدق لها عرضه لتصديق الباطل والمذكب لها عرضه لتكذيب الحق اذ لا يتيسر لنا ان نميز فيما عندهم بين المحفوظ السالم من التحريف وغيره فالاحتياط ان لا نصدقهم ولا نكذبهم الا اذا رووا شيئا يصدقه القرآن أو يكذبه فانا نصدق ما صدقه ونكذب ما كذبه ، لانه مهيمن على تلك الكتب وشهيد عليها

---

(١) نص عباره ابن تيميه مجموع الفتاوى جـ ١٣ ص ٣٤٦ " ومع جزم الصاحب - أى الصحابي - فيما يقوله فكيف يقال انه أخذه عن اهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم " فهل هذا مناقض للقول بأن لما قال الصحابي حكم الحديث المرفوع أو أقرب الى تأييده !!

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٩ - ١٠ .

(٣) سورة البقره من الآيه : ٢٤٣ .

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٥٤ - ٤٥٥ .

وشهادته حق لانه نزل بالحق وحفظه الله من التحريف والتبديل "[1] .

ذلكم المنهج الذى ذكره السيد رشيد هو المنهج السليم الذى سلكه السلف كما ذكرنا ولكن صاحبنا سامحه الله لم يلتزم هذا المنهج بل جاوزه وتطرف في التجاوز حتى ردّ بعض الاحاديث الصحيحه زاعما انها من الاسرائيليات فمن ذلك حديث الجساسه الذى رواه مسلم في صحيحه[2] حيث قال السيد رشيد " وجملة القول في حديث الجساسه ان ما فيه من العلل والاختلاف والاشكال من عدة وجوه يدل على انه مصنوع وانه على تقدير صحته ليس له كله حكم المرفوع"[3] وتجاوز هذا الى " وكذا يقال في سائر احاديث الدجال المشكله "[3] مع ورود بعض احاديث الدجال في الصحيحين[4] وغيرهما من كتب السنه المعتمده .

أما حديث البخارى الذى رواه عن ابى هريره رضى الله عنه في كتاب التفسير " قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطه فدخلوا يزحفون على استاههم فبدلوا وقالوا حطه حبه في شعره "[5] واختاره السيوطى فى التفسير فقال عنه السيد رشيد " ما اختاره الجلال مروى في الصحيح ولكنه لا يخلو من عله اسرائيليه "[6] .

وذمّ بعض رواتها الثقات ككعب الاحبار ووهب بن منبه حيث قال عن وهب عند روايته ان موسى عليه السلام كان يقرع لهم أقرب حجر فتنفجر منه عيون .. " وهذا من الخرافات التى اختلقها وهب ليس لها اصل عند اليهود ولا عند المسلمين ولولا جنون الرواة بكل ما يقال عن بنى اسرائيل لما قبلوا من مثله ان يشرب مئات الالوف أو الملايين من حجر صغير .. وقد عدوه مع امثال هذه الخرافات ثقة في الروايه ا "[7] .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٦ ص ٤١٢ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الفتن باب قصه الجساسه ج ١٨ ص ٧٨-٨٥
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٤٥٧ .
(٤) انظر صحيح البخارى كتاب الفتن باب ذكر الدجال ج ٩ ص ٧٤- ٧٦ وأنظر صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفتن باب ذكر الدجال ج ١٨ ص ٥٨- ٧٧ .
(٥) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة البقره ج ٦ ص ٢٣ .
(٦) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٢٥ .
(٧) المرجع السابق : ج ٩ ص ٣٤٣ .

وقال عن كعب الاحبار " .. بمثل هذه الخرافات كان كعب الاحبار يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسنتهم ، وخدع به الناس لاظهاره التقوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم "[1] وقال في موضع آخر " ولكن البليه في الروايه عن مثل كعب الاحبار وممن روى عنه ابو هريره وابن عباس ومعظم التفسير المأثور مأخوذ عنه وعن تلاميذه ومنهم المدلسون كقتاده وكذا غيره من كبار المفسرين كابن جريج "[2] .

وقال " وقد هدانا الله من قبل الى حلّ بعض مشكلات احاديث ابي هريره المعنعنه على الروايه عن كعب الاحبار الذى ادخل على المسلمين شيئا كثيرا من الاسرائيليات الباطله والمخترعه وخفي على كثير من المحدثين كذبه ودجله لتعبده "[3] .

ونسب اباطيل الروايات الاسرائيليه الى " مقاصد كعب الاحبار وامثاله منها كما نرى صدّ اليهود عن الاسلام بما يرويه في تفسير المسلمين للقرآن مخالفا لما هو متفق عليه عندهم وعند غيرهم من المؤرخين في وقائع عمليه وامور حسيه "[4] وقال عن كعب أخيرا " كعب الاحبار الذى أجزم بكذبه بل لا اثق بايمانه "[5] !!

وقال عن الاثنين كعب ووهب " ان بطلى الاسرائيليات وينبوعي الخرافات كعب الاحبار ووهب بن منبه "[6] وقال " وان الراجح ان كل ما ورد فيها - أى عمر الدنيا - من مرفوع وموقوف ومن الآثار فهو من الاسرائيليات التى بثّها في الأمه كعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهما ، ولو فطن الحافظ ابن حجر لدسائسهما وخطأ من عدلهما من رجال الجرح والتعديل لخفاء تلبيسهم عليهم لكان تحقيقه لهذا البحث أتمّ واكمل "[7] .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٤٥٩ .
(٢) المرجع السابق : ج ٩ ص ٤٦٦ .
(٣) المرجع السابق : ج ٨ ص ٤٩٩ .
(٤) المرجع السابق : ج ١١ ص ٤٧٤ .
(٥) مجلة المنار : محمد رشيد رضا جزء ٩ المجلد ٢٧ ص ٦٩٧ .
(٦) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٤٣٨ .
(٧) المرجع السابق : ج ٩ ص ٤٤٢ .

وقال " ثم ليعلم ان شرّ رواة هذه الاسرائيليات أو اشدهم تلبيسا وخداعا للمسلمين هذان الرجلان : كعب الاحبار ووهب بن منبه "[1] .

وقال في تفسير " وكتبنا له في الالواح "[2] " واما تلك الروايات الكثيره في جوهرها ومقدارها . . كلها من الاسرائيليات الباطله التى بثها في المسلمين امثال كعب الاحبار ووهب بن منبه فاغتر بها بعض الصحابه والتابعين ان صحت الروايه عنهم "[3] .

وقال الشيخ احمد مصطفى المراغي في تفسير قوله تعالى " فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين "[4] " وقد ذكر رواه التفسير بالمأثور روايات غاية في الغرابة في وصف الثعبان ، ليس لها سند يوثق به وما هي الا اسرائيليات تلقفها المفسرون من اهل الكتاب الذين كانوا يكيدون للاسلام وللعرب كروايات وهب ابن منبه وهو فارسي الاصل . . ومثله روايات كعب الاحبار الاسرائيلي وقد كان كلاهما كثير الروايه للغرائب التى لا يعرف لها اصل معقول ولا منقول وقومهما كانوا يكيدون للمسلمين الذين فتحوا بلاد الفرس واجلوا اليهود من الحجاز "[5] .

هذا غيض من فيض من ذمّ هؤلاء لهذين ولن نذهب لتفنيد زعمهم بأكثر من ذكر آراء بعض السلف مع اعتراف ارباب المدرسه في النصوص التى سقناها ان الجمهور عدلوهما ووثقوهما واعترافهم ايضا بأن ابا هريره وابن عباس رضى الله عنهما وغيرهما من الصحابه قد رووا عن كعب فهل يرى هؤلاء ان الصحابه رضى الله عنهم تروى عن كذاب وضاع ؟ ! اليس هذا تزكية منهم رضى الله عنهم له ؟ ألا نقبل بعد هذا بتزكية صحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم .

ثم ان الامام مسلم رحمه الله تعالى خرج له في صحيحه في مواضع في أواخر كتاب الايمان وخرج له ايضا ابو داود والترمذى والنسائى وهذا دليل على ان كعبا

---

(١) مجلة المنار جـ ١٠ مجلد ٢٧ ص ٧٨٣ .
(٢) سورة الاعراف من الآيه : ١٤٥ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ١٨٤ .
(٤) سورة الاعراف : من الآيه : ١٠٧ .
(٥) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٩ ص ٢٤ .

كان ثقة عند هؤلاء [١].

بل ان الجمهور على توثيق كعب لذا لا تجد له ذكرا في كتب الضعفاء والمتروكين وقد اتفقت كلمة نقاد الحديث على توثيقه [٢].

أما وهب بن منبه فقد روى له البخارى ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى قال الذهبى فى الميزان كان ثقه صادقا كثير النقل من كتب الاسرائيليات ، قال العجلى ثقه تابعى كان على قضاء صنعاء وقد ضعفه الفلاس وحده ووثقه جماعه [٣] وقال ابو زرعه والنسائى ثقه وذكره ابن حبان فى الثقات [٤] والبخارى نفسه يعتمد عليه ويوثقه [٥].

وبعد: هذا بعض ما قاله علماء الحديث فى توثيق هذين الرجلين فهل يحق لاحد ان يخالف هؤلاء العلماء الاعلام في نقد الرجال! وان يشكك في سلامه اسلوبهم في ذاك أو ان يتهمهم بالغفله والاغترار!! وهم أهل هذا الفن الذى لا يصلح له الا القليل من الناس [٦].

ليس معنى قولي هذا ان كل ما رواه هذان العالمان الفاضلان حق لا كذب فيه بل ان فيه من الكذب ما يخالف شرعنا ولا يقره العقل ولكن لا يعنى هذا ان ننسب الكذب اليهما فقد يكون الكذب من غيرهما أو انهما نقلاه على انه مما في كتبهم وهما يعتقدان صحته ولم يعلما كذبه لخفاء الثابت والمحرف فى كتب اهل الكتاب كما قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى " ان بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذبا لا انه يتعمد الكذب والا فقد كان كعب من أخيار الاحبار" [٧]

قلت ومثل هذا يقال في وهب .

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ١ ص ١٨٩ .

(٢) مقالات الكوثرى : محمد زاهد الكوثرى ص ٣٢-٣٣ .

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال : لابي عبد الله محمد بن احمد الذهبى ج ٤ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٤) تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ج ١١ ص ١٦٧ .

(٥) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ١ ص ١٩٧ .

(٦) المرجع السابق ج ١ ص ١٩٢ .

(٧) فتح البارى : ابن حجر العسقلاني ج ١٣ ص ٣٣٥ .

ذلكم هو رأى رجال هذه المدرسه العقليه في الاسرائيليات :- حاربوها وذموا روايتها ورواتها ولكن هل التزموا هذا المنهج أو وقع منهم الخوض فيها ؟!

وقوعهم في رواية الاسرائيليات :

استميحكم عذرا اذا ما سبقت الادله هذه المره وقلت ان هؤلاء قد تجاوزوا السابقين من المفسرين فى رواية الاسرائيليات وزجوا في التفسير بما لم يزجه أولئك !! فرووا من الاسرائيليات بعض ما هو موجود فى الكتب السابقه وزادوا عليه برجوعهم بأنفسهم الى المصادر التى كان يأخذ منها كعب ووهب ؟ ولم يقل أحد منهم في نفسه ما قالوه في كعب ووهب ، واباحوا لانفسهم ما لم يبيحوه لسواهم ، فنقلوا من الاسرائيليات ما خالف نصّ القرآن الكريم ولم ينقدوه أو يبطلوه وحرفوا معاني نصوص القرآن الكريم لتوافق ما جاءوا به من تلك الاسرائيليات .

ليس ما اقوله من قبيل القاء الكلام على عواهنه كما يقولون - وليس من قبيل استفزاز المشاعر ضدهم ، بل هو ما سأسوق الادله لاثباته .

مع أني لست بأول من عاب عليهم هذا السلوك فهذا الشيخ محمد حسين الذهبى رحمه الله يقول " كذلك لا يفوتنا ان ننبه على أن صاحب المنار كان مع شدة لومه على المفسرين الذين يزجون بالاسرائيليات في تفاسيرهم ويتخذون منها شروحا لكتاب الله يخوض هو ايضا فيما هو من هذا القبيل ويتخذ منه شروحا لكتاب الله وذلك انه كثيرا ما ينقل عن الكتاب المقدس اخبارا وآثارا يفسر بها بعض مبهمات القرآن أو يرد بها على أقوال بعض المفسرين وكان الاجدر بهذا المفسر الذى يشدد النكير على عشاق الاسرائيليات ان يكف هو ايضا عن النقل عن كتب اهل الكتاب خصوصا وهو يعترف انه قد تطرق اليها التحريف والتأويل "(١) .

أما روايتهم لما ورد من الاسرائيليات في الكتب السابقه من غير ردّ لها حسب منهجهم الذى دعوا اليه فمثاله قول رشيد رضا " روى نحو هذا ابن جرير قال

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ج ٣ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

حدثنا الحسن قال اخبرنا عبد الرزاق قال اخبرنا عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول وكل بالبقرتين اللتين سارتا بالتابوت اربعة من الملائكة يسوقونها .. الخ "[1].

وقال ايضا في تفسير قوله تعالى " فقلنا اضربوه ببعضها "[2] ويروون في هذا الضرب روايات كثيره قيل ان المراد اضربوا المقتول بلسانها وقيل بفخذها وقيل بذنبها .. "[3].

وذكر الاستاذ احمد مصطفى المراغي " وللعلماء في الطعام الذى نزل في المائده آراء : فقيل هو خبز وسمك وقيل خبز ولحم وقيل كان ينزل عليهم طعاما اين ما ذهبوا كما كان ينزل المن على بنى اسرائيل كما رواه ابن جرير عن ابن عباس "[4] وقال في تفسير قوله سبحانه " أولم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله "[5] .. وقد كان العلماء قديما يعلمون تخلخل الهواء في الطبقات العاليه في الجو وهي نظريه لم تدرس في العلوم الطبيعيه الا حديثا فقد أثر عن كعب الاحبار انه قال ان الطير يرتفع في الجو اثنى عشر ميلا ولا يرتفع فوق ذلك "[6]

وقال الشيخ عبد القادر المغربي " وجاء في كتب الاوائل ان في زمن " أنوش بن شيث بن آدم " ابتدأت عبادة الاوثان وجعل الناس يسمون المخلوقات آلهه فكان أنوش يجمع اهل بيته وذويه للصلاة والتسبيح وعبادة الله وحده ، وفي زمن ادريس عليه السلام وهو " اخنوخ بن يارد بن مهلاعيل بن قينان بن أنوش - كثر النفاق وانغمس الناس فى الآثام فأنزل الله عليه وحيا في سفر هو صحف ادريس المشهوره ولم يبق من ذلك السفر سوى فقره يقولون انها وجدت في اطواء بعض الكتب

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٨٤ .
(٢) سورة البقره : من الآيه : ٧٣ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٥١ .
(٤) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٧ ص ٥٩ .
(٥) سورة النحل من الآيه : ٧٩ .
(٦) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ١٤ ص ١١٩ .

المقدســـــه " (١) .

أما روايتهم لما خالف القرآن الكريم من الاسرائيليات من غير ردّ عليها أو ابطال لها فمن ذلك ما ذكره عبد القادر المغربي في تفسير جزء تبارك حيــث يقول :- " وذكر في الاسفار القديمه ان نوحا ولد لسنة ١٨٢ من عمر ابيه " لامك " ولسنه ١٠٥٦ لجده الاكبر آدم عليه السلام ومعنى نوح : الراحه والتعزيه وكــان عمر نوح ٥٠٠ سنه لما أخذ يلد أولاده ساما وحاما ويافث وكان عمره ٦٠٠ ســنه لما حصل الطوفان " (٢) ولكن مراقبة الثقافه بالازهر تعلق على هذا بقولهـــا " قوله تعالى في سورة العنكبوت " ١٤ " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهـم ألف سنه الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان " يفيد أن الطوفان حدث بعد ان امضى نوح بين قومه ٩٥٠ سنه فالقرآن يخالف في ذلك ما نقله المؤلف عن الاسفار القديمــه " (٢) .

قلت ولا ينفع الشيخ عبد القادر قوله بعد هذا " هذا منخول ما جاء فــي الكتب القديمه من خبر نوح عليه السلام ونحن - معشر المسلمين - لا نصدقهـــا ولا نكذبها بل نكل أمرها الى العلم الحديث فهو الذى يمحصها ويميز غثها مــن سمينها " (٢) .

اقول ليس هذا منهج المسلمين بل منهجهم تكذيب ما خالف النص القــرآني لا التوقف أو تفويض أمره الى العلم الحديث ! !

أما مثال تحريفهم لمعنى النص القرآني ليوافق نصوص اهل الكتاب فنضـــرب له مثلا بتحريف الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا معنى قوله تعالـــى : " واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقره قالوا اتتخذنا هزوا قال اعـوذ بالله ان اكون من الجاهلين " (٣) الآيات .. الى ان المراد فى الآيات بيان نـوع من التشريع الموجود عند بنى اسرائيل يتوصل به الى معرفة القاتل المجهول ثـــم

---

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٥٥ .
(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٥٦ الهامش .

(٣) سورة البقره من الآيه ٢٤٨ .

يربط بين هذا المعنى وبين ما جاء في التوراه فيقول " على ان هذا الحكم منصوص في التوراه وهو أنه اذا قتل قتيل لم يعرف قاتله فالواجب ان تذبح بقره غير ذلول في واد دائم السيلان ويغسل جميع شيوخ المدينه القريبه من المقتل ايديهم على العجله التى كسر عنقها في الوادى ... الخ "[١] .

وأيّد الشيخ رشيد رضا ما ذهب اليه شيخه بذكر النص الوارد في التوراه المتعلق بقتل البقره ثم قال بعد هذا " فعلم من هذا أن الامر بذبح البقره كان لفصل النزاع في واقعة قتل "[١] ثم قال "والظاهر مما قدمنا ان ذلك العمل كان وسيله عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في القاتل اذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجاني من غيره .. ومعنى احياء الموتى على هذا حفظ الدماء التى كانت عرضه لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس أى يحييها بمثل هذه الاحكام وهذا الاحياء على حدّ قوله تعالى (٥ : ٣٢ ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا) وقوله (ولكم في القصاص حياة) فالاحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين ثم قال (ويريكم آياته) بما يفصل بها في الخصومات ويزيل من اسباب الفتن والعداوات "[٢] .

اذن فالشيخ عبده وتلميذه صرفا معنى الايه عن ان تكون قصة واقعه احيا الله فيها القتيل " كذلك يحي الله الموتى) ليكون آيه للناس (ويريكم آياته) صرفا هذه الآيات عن هذا المعنى الى انها وردت لبيان حكم كان في بنى اسرائيل فعلوا هذا ليوافق ما جاء عن اهل الكتاب " الاسرائيليات " .

أما رجوعهم بأنفسهم الى مصادر اهل الكتاب واستسقاؤهم منها تفاسير لمجملات القرآن ومبهماته ، وجعلها ميزانا للترجيح بين اقوال المفسرين يردون بها ما يخالفها من التفاسير حتى قال قائلهم " ومنه نعلم ان كلّ ما خالفها

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٥١ .

- أى التوراه - من اقوال المفسرين في معنى الطمس على اموالهم فهو من اباطيل الروايات الاسرائيليه التى كان من مقاصد كعب الاحبار وامثاله منها - كما نرى صدّ اليهود عن الاسلام بما يرويه في تفسير المسلمين للقرآن مخالفا لما هو متفق عليه عندهم "[١] .

قلت أما رجوعهم هذا فلا يسعنا ولا يسع غيرنا استقصاؤه الا بكتابه الاسفار الضخمه ولنقتصر منه على مايثبت ما ذكرنا .

فمن ذلك ما ذكرناه آنفا من استشهاد الشيخ محمد عبده بنصوص التوراه عن حكم القتيل المجهول ، ومنها ما رواه السيد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى : " قال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم "[٢] الآيه قال " وهذا التابوت المصرف صندوق له قصه معروفه في كتب اليهود ففي أول الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج ما نصه :- " وكلم الربّ موسى قائلا كلّم بنى اسرائيل . . . الخ "[٣] وذكر النص وقال ايضا " وفي سفر تثنية الاشتراع ان موسى لما كمل كتابة هذه التوراه أمر اللاويين حامل تابوت عهد الرب قائلا خذوا كتاب التوراه هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون شاهدا عليكم (٣١ : ٢٤-٣٠) "[٤] .
وقال " وأما ما ورد في التوراة الحاضره فى شأن الالواح فمنه ما جاء في سفر الخروج من (٢٣ : ١٢ وقال الرب لموسى اصعد الى الجبل وكن هناك فاعطيك لوحى الحجاره والشريعه والوصيه التى كتبتها لتعلمهم الكلمات العشر) وجاء في وصف اللوحين منه (٣٢ : ١٥ ثم انثنى موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهاده في يده : لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هناك كانا مكتوبين "[٥] .

أما الاستاذ احمد مصطفى المراغي فيقول في تفسير " فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شئ شهيد "[٦] " وجاء في انجيل يوحنا (وهذه هى

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١١ ص ٤٧٤ .
(٢) سورة البقره من الآيه ٢٤٨ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٢ ص ٤٨٠ .
(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨٢ .
(٥) المرجع السابق ج ٩ ص ١٨٥ .
(٦) سورة المائده من الآيه ١١٧ .

الحياة الابديه ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذى ارسلته)"[(١)]

وقال ايضا في تفسير قوله تعالى " قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون "[(٢)] وقد جاء في الفصل السادس من سفر الخروج من التوراه فقال الرب لموسى الاتري ما اصنع بفرعون انه بيد قديره سيطلقكم وبيد قديره سيطردكم من ارضه .. "[(٣)] الخ .

اما الشيخ عبد القادر المغربي فيقول في تفسير قوله تعالى " وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكه وما جعلنا عدتهم الا فتنه للذين كفروا "[(٤)] الآيه " ويكفي في الاستشهاد على ذلك ما جاء في " رؤى دانيال " من اسفار العهد القديم و " رؤيا يوحنا " من اسفار العهد الجديد ، وقد قال المفسرون من علماء اهل الكتاب " انه وان يكن يوجد في سفر دانيال حوادث غير اعتياديه فليس هذا بمستغرب لأنه يعمّ الكتاب المقدس تقريبا " وقالوا في رؤيا يوحنا " ان معناها عويص وهي مشحونه بمسائل محيره لا يمكن حلها قبل تتمه الف سنه "[(٥)] الخ وقال في تفسير قوله تعالى " وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئه "[(٦)] " ولا حاجة الى ذكر ما جاء به قوم فرعون وقوم لوط من الخطايا والآثام .. غير أنّا نذكر موجزا من تاريخ حياة لوط حسبما ورد في الاسفار القديمه قالوا هو بن حاران أخي ابراهيم الخليل عليه السلام وقد هاجر مع عمه ابراهيم من بلاد ما بين النهرين الى ارض الميعاد (فلسطين) .. "[(٧)] .

ولنكتفي بما ذكرت من رواياتهم ، والحق انه ما كان بودّي ان اطيل الحديث في هذا الموضوع . لولا أني رأيت رفضهم القاطع لها وذمهم للمفسرين السابقين

---

(١) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٧ ص ٦٤ .
(٢) سورة الاعراف : من الآيه ١٢٩ .
(٣) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٩ ص ٣٩ .
(٤) سورة المدثر من الآيـه ٣١ .
(٥) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٩٥ .
(٦) سورة الحاقه الآيه ٩ .
(٧) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٣٥ .

لامبرادها ومع هذا وقع منهم في تفسيرهم روايات كثيره كما ذكرنا ، وكان الاحرى بهم - ان يلتزموا ما دعوا اليه من عدم التعرض لذكر الاسرائيليات .

وان كان لي من رأى اذكره بعد هذا فهو ما تراه الصواب في هذا المنهج ، ولن اذهب في تعداد الادله من الكتاب والسنه فأطيل في الحديث ولكني اختصر ذلك بالقول أن الحق ولاشك هو ما ذهب اليه السلف الذين درسوا تلك الادلة دراسة وافيه شامله وخرجوا منها بالرأى الذى سجلناه في موقفهم وسجلناه ايضا للشيخ رشيد في احد نصوصه ولكنه لم يلتزمه .

وخلاصه ذاك :

١ - ان ما وافق شريعتنا من الاسرائيليات تجوز روايته للاستشهاد لا للاعتقاد .

٢ - وما خالف شريعتنا لا تصح روايته الا على سبيل التكذيب والرد عليه .

٣ - ما ليس في شريعتنا ما يوافقه ولا ما يخالفه لا بأس بحكايته من غير تصديق ولا تكذيب وذلكم هو المنهج السليم ، والله الموفق "

الاساس التاسع : التقليل من شأن التفسير بالمأثور

ويشمل هذا النوع من التفسير امورا أربعـــه :-

١) تفسير القرآن بالقرآن .

٢) تفسيره بالسنه النبويه .

٣) تفسيره باقوال الصحابه رضى الله عنهم .

٤) تفسيره باقوال التابعين رضى الله عنهم.

ولن نتناول هذا النوع الاول من ذلك فقد سبقت الاشاره اليه مع الاتفاق علـــى قبوله وعلى انه اشرف انواع التفسير واصح طرقه .

وانما نقصر الحديث هنا على الثاني وهو تفسيره بالسنه النبويه الصحيحـــه وانما قصرناه على هذا لان من يرد التفسير بالسنه النبويه أو يحرفها فهو أســـبق الى ردّ سواها من اقوال الصحابه والتابعين .

ولن نتناول هنا أيضا حجية السنه - فهو موضوع اصولي يطول بنا ذكر ادلـة الاثبات وهو من الوضوح في الشريعه الاسلاميه بمكان ولم يخالف فيه الا طائفـــه من الناس في العصرين القديم والحديث قام من اهل الاسلام من قام بالرد عليهم بما يلجمهم ويظهر للمسلمين مرادهم من هذا الزعم وما يؤدى اليه من ابطال للشريعة الاسلاميه ووصفوا القائلين بهذا القول بالضلال والميل عن الصراط المستقيم قـال الامام الشاطبى رحمه الله تعالى بعد بيان مذهب الزائغين " ولقد ضلت بهـذه الطريقه طوائف من المتأخرين كما كان ذلك فيمن تقدم فالقول بها والميل اليها ميل عن الصراط المستقيم اعاذنا الله من ذلك بمنه "(1) ثم أن من له اعتبار من علمـــاء المسلمين السابقين واللاحقين اتفقوا على حجيتها فلا كلام لنا في مناقشة ذلك.

وانما الحديث عن تفسير القرآن الكريم بالسنه النبويه الصحيحه ببيان منزلـــة هذا النوع ، وبيان موقف السلف من ذلك والمنهج الذى سلكه رجال المدرســـه العقليه الحديث في هذا النوع من التفســـير .

(١) الموافقات : الشاطبى ج ٤ ص ١٩ .

أما منزله هذا النوع من التفسير فتأتي في الدرجه الثانيه بعد القرآن الكريم الذى نصّ على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبين لآيات القرآن الكريم قال تعالى " وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون "[1] وقال سبحانه " وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمه لقوم يؤمنون "[2] وقال عليه الصلاة والسلام ألا واني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه .. الحديث"[3]

موقف السلف من هذا التفسير :-

لا خلاف بين السلف في قبول هذا النوع من التفسير والاشاده به والاكتفاء بوروده عما سواه ، فأفرده المحدثون منهم كالبخارى ومسلم وغيرهما رحمهم الله اجمعين ابوابا للتفسير جمعوا فيها ما صح عندهم من التفسير المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم .

واشار غيرهم الى منزلة هذا النوع من التفسير فقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى " وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان :- أحدهما : نص كتاب فاتبعه رسول الله كما انزل الله . والآخر : جملة بين رسول الله فيه عن الله معنى ما اراد بالجمله واوضح كيف فرضها عاما أو خاصا وكيف اراد ان يأتي به العباد وكلاهما اتّبع فيه كتاب الله "[4] .

وقال ابن تيميه رحمه الله تعالى " فان قال قائل فما احسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصحّ الطرق في ذلك ان يفسر القرآن بالقرآن ... فان اعياك ذلك فعليك بالسنه فانها شارحة للقرآن وموضحه له "[5] .

---

(١) سورة النحل الآيه : ٤٤ .
(٢) سورة النحل الآيه : ٦٤ .
(٣) رواه احمد من حديث المقدام بن معد يكرب والترمذى وقال حسن غريب .
(٤) الرساله : للامام الشافعي تحقيق احمد محمد شاكر ص ٩١ .
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيميه : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج ١٣ ص ٣٦٣ .

وقال رحمه الله تعالى " وما ينبغى ان يعلم ان القرآن والحديث اذا عرف تفسيره من جهة النبى صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى اقوال اهل اللغه فانه قد عرف تفسيره "[١] وقال ايضا :- " ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآيه الا بآيه أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم تفسرها فان سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين القرآن وتدل عليه وتعبر عنه "[١].

وقال الامام الشاطبى رحمه الله تعالى " ان السنه توضح المجمل وتقيد المطلق وتخصص العموم فتخرج كثيرا من الصيغ القرآنيه عن ظاهر مفهومها في اصل اللغه ، وتعلم بذلك ان بيان السنه هو مراد الله تعالى من تلك الصيغ فاذا طرحت واتبع ظاهر الصيغ بمجرد الهوى صار صاحب هذا النظر ضالا في نظره جاهلا بالكتاب خابطا في عمياء لا يهتدى الى الصواب فيها ، اذ ليس للعقول من ادراك المنافع والمضار في التصرفات الدنيويه الا النزر اليسير وهي في الاخرويه أبعد على الجمله والتفصيل "[٢].

أما الامام الطبرى رحمه الله تعالى فيذكر ما ذكرنا من الآيات الكريمه ثم يقول " فقد تبين ببيان الله جل ذكره : أن مما انزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصل الى علم تأويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره واجبه وندبه ، وارشاده ، وصنوف نهيه ووظائف حقوقه وحدوده ومبالغ فرائضه ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض وما اشبه ذلك من أحكام آيه التى لم يدرك علمها الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ، وهذا وجه لا يجوز لاحد القول فيه الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويله بنص منه عليه أو بدلاله قد نصبها دالة أمته على تأويله "[٣].

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيميه : جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد جـ٣ ص٢٧ و ٢٩
(٢) الموافقات : للشاطبى جـ ٤ ص ٢١ .
(٣) تفسير الطبرى : تحقيق محمود شاكر جـ ١ ص ٧٤ .

وقد ذكر هؤلاء العلماء رحمهم الله وغيرهم من علماء السلف طائفة من التفسير المرفوع للرسول عليه الصلاة والسلام لبعض آيات القرآن وهم لا يقدمون عليها سواها من التفسير .

موقف المدرسة العقليه الحديثه منه :-

يظهر التردد واضحا في موقف رجال هذه المدرسه فهم ازاء نصوص علماء السلف وقبل هذا آيات القرآن والسنه النبويه التى تدل كلها على وجوب قبول تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم والتسليم له وعدم تقديم أى تفسير غيره بعد ثبوته - هم ازاء هذا يعلنون قبولهم هذا المنهج ولكن بغير الحماس الذى يظهرونه لقبول المنهج العقلي . لهذا فهم حين يشكل عليهم حديث لا يترددون في تأويله فان قبل التأويل والا ابطلوه وكذبوه وطعنوا في رواته ولو كان في الصحيحين . وهم كثيرا حين يبطلون هذا الحديث أو ذاك لا يسلكون المنهج المعروف لدى المحدثين في ردّ الاحاديث وانما يبطلونه لانه لا يوافق ما ذهبوا اليه وسنذكر - ان شاء الله - هنا من النصوص ما يدل على ما وصفناهم به .

قال السيد رشيد رضا - " وأما الروايات المأثوره عن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وعلماء التابعين في التفسير فمنها ما هو ضرورى ايضا لأن ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء ويليه ما صح عن علماء الصحابه مما يتعلق بالمعاني اللغويه أو عمل عصرهم والصحيح من هذا وذاك قليل واكثر التفسير المأثور قد سرى الى الرواة من زنادقه اليهود والفرس ومسلمه اهل الكتاب كما قال الحافظ ابن كثير "[1] وقال " فالحق ان كل ما لا يعلم الا بالنقل عن المعصوم من أخبار الغيب الماضي أو المستقبل وامثاله لا يقبل في اثباته الا الحديث الصحيح المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم وهذه قاعدة الامام ابن جرير التى يصرح بها كثيرا"[2]

---

(١) تفسير المنار : رشيد رضا جـ ١ ص ٧ و ٨ ولم يشر رشيد رضا الى المصدر ولم نقف لابن كثير رحمه الله تعالى على مثل هذا ؟ !

(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ١٠ .

ثم قال " وغرضنا من هذا كله أن اكثر ما روى فى التفسير المأثور أو كثيره حجاب على القرآن وشاغل لتاليه عن مقاصده العاليه المزكيه للانفس المنوره للعقول فالمفضلون للتفسير المأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التى لا قيمة لها سندا ولا موضوعا "[1] وقال " فكل حديث مشكل المتن أو مضطرب الروايه أو مخالف لسنن الله تعالى فى الخلق أو لاصول الدين أو نصوصه القطعيه أو للحسيات وامثالها من القضايا اليقينيه فهو مظنة لما ذكرنا في هذه التنبيهات "[2] ثم قال " فمن صدق روايه مما ذكر ولم يجد فيها اشكالا فالاصل فيها الصدق ومن أرتاب في كل شيء منها أو أورد عليه بعض المرتابين أو المشككين اشكالا في متونها فليحمله على ما ذكرنا من عدم الثقه بالروايه لاحتمال كونها من دسائس الاسرائيليات ، أو خطأ الروايه بالمعنى أو غير ذلك مما اشرنا اليه واذا لم يكن شيء منها ثابتا بالتواتر القطعى فلا يصح ان يجعل شبهه على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بالقطع ولا على غير ذلك من القطعيات "[3] وقال " ولقد كان الاستاذ الامام يقول ان الاسلام الصحيح هو ما كان عليه اهل الصدر الأول قبل ظهور الفتن ولم يكن يثق الا بأقل القليل مما روى في الصحاح من احاديث الفتن "[3] وقال " وقد ثبت ان الصحابه رضى الله عنهم كان يروى بعضهم عن بعض وعن التابعين حتى عن كعب الاحبار وامثاله ، والقاعده عند اهل السنه ان جميع الصحابه عدول فلا يخل جهل اسم راو منهم بصحة السند وهي قاعده اغلبيه لا مطرده فقد كان في عهد النبى صلى الله عليه وسلم منافقون .. "[3] وقال " ولا شك في ان اكثر الاحاديث قد روى بالمعنى كما هو معلوم واتفق عليه العلماء ويدل عليه اختلاف رواة الصحاح فى ألفاظ الحديث الواحد حتى المختصر منها وما دخل على بعض الاحاديث من المدرجات ... فعلى هذا كان يروى كل أحد ما فهمه وربما وقع في فهمه الخطأ لأن هذه هذه امور غيبيه "[3]

---

(١) تفسير المنار : رشيد رضا جـ ١ ص ١٠

(٢) المرجع السابق : جـ ٩ ص ٤٦٥ - ٤٦٧ .

(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٤٦٥ - ٤٦٧ .

وقال الشيخ محمد مصطفى المراغي " وطاعة الرسول واجبه في حياته وبعد مماته ، فيما علم انه دعا اليه دعوة عامه من السنن العمليه المبينه للكتاب ومن السنن القوليه القطعيه في الروايه والدلاله .. " [1]

ورد الشيخ محمود شلتوت على طائفه انكرت حجية السنه ثم قال " ولكن المحققين من العلماء قد اثبتوا بالسنة قولا وعملا كثيرا من الاحكام التشريعيه الدائمه كما اعتمدوا عليها في بيان القرآن بتخصيص عامه وتقييد مطلقه وبيان مجمله وغير ذلك معتمدين في هذا على القرآن نفسه اذ يقول الله تعالى " وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " ٧ : الحجر .. " [2]

ويوضح لنا الشيخ احمد مصطفى المراغي في مقدمة تفسيره منهجه في ذلك فيقول " ... ومن ثمّ رأينا الا نذكر رواية مأثوره الا اذا تلقاها العلم بالقبول ولم نر فيها ما يتنافر مع قضايا الدين التى لا خلاف فيها بين اهله وقد وجدنا ان ذلك اسلم لصادق المعرفه واشرف لتفسير كتاب الله واجذب لقلوب المثقفين ثقافه علميه لا يقنعها الا الدليل والبرهان ونور المعرفه الصادقه " [3] .

ثم ان الشيخ رشيد رضا لم يستمر في سلوكه هذا المنهج فقد خالفه بعد موت استاذه حيث يقول " هذا وانى لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآيه من السنه الصحيحه سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها .. " [4] .

خالف منهج استاذه لان الاستاذ كان متشددا جدا في قبول الحديث :-
" والذى يجب اعتقاده ان القرآن مقطوع به وانه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه " [5]

---

(١) الدروس الدينيه لسنه ١٣٥٧ هـ : محمد مصطفى المراغي ص ٢٤ .
(٢) الاسلام عقيده وشريعه : محمود شلتوت ص ٤٩٧ .
(٣) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ١٩ .
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ١٦ .
(٥) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٨٠ .

" وبالجملة فخبر وجود النهر - أى الكوثر - من الاخبار الغيبيه التى لا يجوز الاعتقاد به الا بعد التيقن انه ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فاذا وصلت فيه الى اليقين الذى لا يجوز عندك تبدله وكان علمك بصدوره عنه - عليه السلام - كعلمك بوجود مكه أو المدينه قبل ان تراهما فاعتقد به والا ففوض الأمر الى الله وقل لا اعلم . والله اعلم "[1] " ان الحديث الذى يصل الينا من طريق الآحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده أما من قامت له الادله على انه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجه وعلى أى حال ، فلنا بل علينا ان نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل "[2] .

كان ذلكم منهج الامام محمد عبده وتلاميذه في التفسير المرفوع للرسول صلى الله عليه وسلم . ولكن مع هذا وحتى لا نظلم القوم - نرى انهم احيانا يستدلون منها بما يفسر الآيه أو يتعلق بها مما لا يخالف ما ذهبوا اليه . وحينا يوردون ذلك التفسير من غير اشاره الى الحديث الذى ورد فيه .

فمن ذلك تفسير القوه فى قوله تعالى " واعدوا لهم ما استطعتم من قوه "[3] يقول السيد رشيد رضا " وقد روى مسلم في صحيحه عن عقبه بن عامر انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وقد تلا هذه الآيه على المنبر يقول " ألا ان القوة الرمي " قالها ثلاثا وهذا كما قال بعض المفسرين من قبيل حديث الحج عرفه بمعنى ان كلا منهما اعظم الاركان فى بابه .. "[4] .

ويورد ايضا تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للظلم فى قوله تعالى " الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون "[5] فيقول روى احمد والبخارى ومسلم والترمذى وغيرهم من حديث ابن مسعود أن الآيه لما نزلت شق ذلك على الناس وقالوا يارسول الله وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم " انه

---

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٨٠ .
(٢) المرجع السابق : ص ١٨١ .
(٣) سورة الانفال من الآيه ٦٠ .
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١٠ ص ٦٦ .
(٥) سورة الانعام الآيه ٨٢ .

ليس الذى تعنون الم تسمعوا ما قال العبد الصالح (ان الشرك لظلم عظيم)[(١)] انما هو الشرك " وروى تفسير الظلم هنا بالشرك عن ابي بكر وعمر وابن عباس وابي بن كعب وحذيفه وسلمان الفارسي وغيرهم من الصحابه والتابعين رضى الله عنهم "[(٢)] .

وفسر الاستاذ الامام محمد عبده المراد بالصلاة الوسطى في قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين "[(٣)] بقوله " وللعلماء في ذلك ثمانية عشر قولا أوردها الشوكاني (في نيل الاوطار) اصحها رواية ما ذهب اليه الجمهور من كونها صلاة العصر لحديث علي عند احمد ومسلم وابي داود مرفوعا " شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر " .. " [(٤)] ولكنه قال بعد هذا " ولولا انهم اتفقوا على انها احدى الخمس لكان يتبادر الى فهمي من قوله " والصلاة الوسطى " ان المراد بالصلاة الفعل وبالوسطى الفضلى أى حافظوا على افضل انواع الصلاة وهي الصلاة التى يحضر فيها القلب وتتوجه لها النفس الى الله تعالى وتخشع لذكره وتدبر كلامه لا صلاة المرائين ولا الغافلين "[(٤)] .

وفسر الشيخ رشيد رضا قوله تعالى " ويقولون لولا أنزل عليه آيه من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين "[(٥)] بقوله " فجملة ما ورد في اقتراح الآيات الكونيه من مجمل ومفصل يفسر بعضه بعضا وهو مقرر لما علم بالقطع من دين الاسلام ان الله تعالى جعل حجته على رسالة خاتم النبين هذا القرآن المشتمل على كثير من الآيات العقليه والعلميه والاصلاحية ... وقد آتى الله رسوله خاتم النبين آيات أخرى علميه وكونيه ولكنه لم يجعلها حجة على رسالته ولا أمره بالتحدى بها وانما كانت تكون لضرورات اشتدت حاجه الأمه اليها كاستجابة

---

(١) سورة لقمان : من الآيه ١٣ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٥٨٢ .
(٣) سورة البقره الآيه : ٢٣٨ .
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٣٧- ٤٣٨ .
(٥) سورة يونس : الآيه ٢٠ .

بعض أدعيته صلى الله عليه وسلم ... ويؤيد هذه القاعده المأخوذه من هـذه الآيات كلها ما رواه الشيخان والترمذى والنسائى من حديث ابي هريره مرفوعا " ما من نبى من الانبياء الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجوان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامه " الخ [1] .

وفسر الشيخ احمد مصطفى المراغي الحساب اليسير في قوله تعالى " فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " [2] بما روى عن عائشه رضى الله عنها انها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " اللهم حاسبنى حسابا يسيرا قلت وما الحساب اليسير ؟ قال ينظر في كتابه ويتجاوز عن سيئاته فأما من نوقش الحساب فقد هلك " [3] .

وقال الشيخ محمود شلتوت في تفسير قوله تعالى " وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله " [4] " واذا كان شخص الرسول قد غاب عن اعين الآخرين فهو حاضر في قلوبهم ماثل في انفسهم ولم تنقطع اسوتهم به ... فمنزلة وجوده فيهم بعد مماته هي منزلة وجود الكتاب فيهم كلاهما متواتر يلقاه جيل من المؤمنين عن جيل وقد ورد فى الخبر ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه قال " تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدى ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى " [5] . وفسر الشيخ شلتوت ايضا - حبل الله فى قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا " [6] بقوله " وحبل الله كما ورد مرفوعا عن النبى صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم الذى يهدى للتى هي أقوم " [7] .

وذكر الشيخ محمد مصطفى المراغي في تفسير التقوى من قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلك تتقون " [8] " وقد

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١١ ص ٣٢٣ .
(٢) سورة الانشقاق : الآيتين ٧ ، ٨ .
(٣) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ٣٠ ص ٩١ .
(٤) سورة آل عمران من الآيه : ١٠١ .
(٥) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ١٢٩ .
(٦) سورة آل عمران من الآيه : ١٠٣ .
(٧) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ١٣٢ .
(٨) سورة البقره : الآيه : ١٨٣ .

وردت التقوى في الكتاب العزيز على معان منها الايمان " الزمهم كلمة التقوى "[١]. ومنها الطاعه " ان انذروا انه لا اله الا أنا فاتقون "[٢] .. ومنها الاخلاص " فانها من تقوى القلوب "[٣] أى من اخلاص القلوب ومقام التقوى مقام شريف " ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون "[٤] .. وفي الحديث الشريف " من أحب ان يكون اكرم الناس فليتق الله "وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم " لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس "[٥].

وفي قوله تعالى " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر "[٦] يورد الشيخ محمد المراغي قوله صلى الله عليه وسلم " خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله عز وجل لن يمل حتى تملوا " وفي حديث معاذ عندما اطال الصلاة أفتان أنت يامعاذ ؟ ان منكم منفرين فاذا ما صلى أحدكم بالناس فليتجوز فان منهم الكبير والضعيف وذا الحاجه "[٧].

وذكر في قوله تعالى " واتقوا فتنه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصه واعلموا ان الله شديد العقاب "[٨] " ومن الحديث الشريف " ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده " وقيل يارسول الله اتهلك القريه وفيها الصالحون ؟ قال نعم بتهاونهم وسكوتهم على معاصي الله "[٩].

واورد الشيخ عبد القادر المغربي في تفسير قوله تعالى " واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون "[١٠] حديثا " ويروى انه صلى الله عليه وسلم أمر وفد ثقيف

---

(١) سورة الفتح من الآيه : ٢٦ .
(٢) سورة النحل من الآيه الثانيه .
(٣) سورة الحج من الآيه : ٣٢ .
(٤) سورة النحل من الآيه ١٢٨ .
(٥) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٧ هـ : محمد مصطفى المراغي ص ٨ و ٩ .
(٦) سورة البقره من الآيه : ١٨٥ .
(٧) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٧هـ : محمد مصطفى المراغي ص ٢٠ .
(٨) سورة الانفال الآيه : ٢٥ .
(٩) الدروس الدينيه لعام ١٣٥٧هـ : محمد مصطفى المراغي ص ٢٦ و ٢٧ .
(١٠) سورة المرسلات الآيه : ٤٨ .

بالصلاة فقالوا " لا ننحني ، فانها سبة لنا " فقال صلى الله عليه وسلم " لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود " على ان الاسلام انما جاء لترويض النفوس العاتيه وتذليل انفتها " [1] .

وقد يذكر أحدهم التفسير المأثور من غير اشاره الى وروده في السنه نضرب لذلك مثلا تفسير الشيخ احمد المراغي لقوله تعالى " والزمهم كلمة التقوى " [2] بقوله :- " وكلمه التقوى هي لا اله الا الله " [3] وهو تفسير ورد فيما أخرجه الترمذى وابن جرير عن ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " والزمهم كلمة التقوى " قال :- " لا اله الا الله " .

تلكم آيات من القرآن ذكروا ما يفسرها أو ما يتعلق بتفسيرها من السنه النبويه وهو أمر على قلّته في تفسيرهم كنا نحمده لهم ونعده من جميل صنعهم لولا انهم قلبوا ظهر المجن فردوا كثيرا من السنه النبويه الطاهره التى تفسر بعض آيات من القرآن الكريم أو تتعلق بذلك لم يردوها لضعف في سندها أو لمخالفة ما هو معلوم من الشريعه وانما فعلوا ذلك لانها لا تتفق مع ما ذهبوا اليه فى تفسير الآيه وبنوا ما ذهبوا اليه على عقولهم القاصره فردوا أحاديث صحيحه رواها البخارى ومسلم وغيرهما من ائمه الحديث .

ولنذكرهنا بعض الاحاديث التى اوردها علماؤنا المحققون في تفسير آيات من القرآن الكريم ولنبين ايضا ردّ رجال المدرسه العقليه الحديثه لها .

فمن ذلك ما ورد في السنه عن الكوثر الذى اعطيه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد روى البخارى رحمه الله عن انس رضى الله عنه قال : لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا فقلت ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر [4] وأخرج احمد ومسلم رحمهما الله تعالى عن

---

(١) تفسر جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ١٣٥-١٣٦ .
(٢) سورة الفتح من الآيه : ٢٦ .
(٣) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ٢٦ ص ١٠٩ .
(٤) صحيح البخارى : كتاب التفسير (انا اعطيناك الكوثر) ج ٦ ص ٢١٩ .

انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر وعد نيبه ربي عز وجل فى الجنه "(١) قال السيوطي رحمه الله تعالى " له طرق لا تحصى "(٢)

فاذا ما القينا نظره على تفسير الاستاذ محمد عبده وجدناه يذكر في تفسير الكوثر بعض الاقوال منها ان المراد به النبوه أو العلم والحكمه أو نور القلب وقيل ان المراد الخير الدنيوى والاخروى ثم قال بعد ذلك " وأما ان هناك نهرا في الجنه اسمه الكوثر وان الله اعطاه نبيه فلا يفهم من معنى الآيه بل الذى يدل عليه سياق السوره وموضع نزولها هو الذى بيناه من احد القولين والأول وهو النبوه وما في معناها ارجح .

أما الاعتقاد بوجود هذا النهر في الجنه فموقوف على تواتر الاخبار التي وردت به وقد ذهب جماعه الى انها متواتره المعنى فيجب الاعتقاد بوجود النهر على وجه عام دون تفصيل أو صافه لكثره الخلاف فيها .

ولكن التواتر لا يصح ان يكون برأى جماعه أو برأى آخرين فحد التواتر هو ما تراه في القرآن : تعرفه طبقه عن طبقة يؤمن تواطوء كل منها على الكذب الى ان وصل اليك لا تنكره فرقه من فرق المسلمين قاطبه - فهذا التواتر هو الذى يوجب اليقين وليس الأمر كذلك فى احاديث النهر فانها - وان كثرت طرقها - لم تبلغ هذا المبلغ فلا يصدق عليها اسم المتواتر خصوصا وانه يظن بالرواة سهوله التصديق فى مثل هذا الخبر لما فيه من غرابة الكرامه وجمال الوصف فيسهل على كل راو الميل الى تصديق ما يقال له . وهذا يخل بشرط التواتر ، لان أول شرط فيه ان لا يكون في الطبقات رائحه التشيع للمروى "(٣) .

قلت واحيانا تزكم الانوف رائحة التشيع ضد المروى وتلمّس أوهى الاسباب لرده ، ولندع الشيخ يكمل حديثه :-

---

(١) مسند احمد جـ ٣ ص ٢٢٠ وص ٢٣٦ .
وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب من قال البسمله آيه من أول كل سوره سوى براءه جـ ٤ ص ١١٣ .

(٢) الاتقان : السيوطي جـ ٢ ص ٢٠٤ .

(٣) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٦٥ .

" وبالجملة فخبر وجود النهر من الاخبار الغيبيه لا يجوز الاعتقاد به الا بعد التيقن انه ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فاذا وصلت فيه الى اليقين الذى لا يجوز عندك تبدله وكان علمك بصدوره عنه - عليه السلام - كعلمك بوجود مكه أو المدينه قبل ان تراهما فاعتقد به والا ففوض الأمر الى الله وقل لا اعلم والله اعلم.

بعد ان اكد الله لنبيه الخبر بأن الذى اعطاه هو الكوثر الذى لا يستقل عدده ولا ينتقص قدره [1] وأن ما يعدونه كثيرا وعظيما فهو بالنسبه اليه قليل وحقير - طالبه بالشكر على ذلك .. " [2].

وليس لنا من تعليق ولن نردّ عليهم في عرضنا هذا الا بأن نقرن بين كلامهم وبين ما ورد في صحيح البخارى ومسلم وهو ما فعلنا وسنفعل ان شاء الله.

ومن هذا ما ورد في صحيح البخارى ومسلم عن عائشه رضى الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيل اليه أنه يفعل الشىء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم أو ليلة وهو عندى لكنه دعا ودعا ثم قال ياعائشه اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد احدهما عند رأسي والآخر عند رجلى فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل ؟ فقال مطبوب قال من طبه ؟ قال لبيد بن الاعصم قال في أى شىء ؟ قال في مشط ومشاطه وجف [3] طلع نخلة ذكر قال واين هو ؟ قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فجاء فقال ياعائشه كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين قلت يارسول الله أفلا استخرجه قال قد عافاني الله فكرهت أن أثوّر على الناس فيه شرا فأمر بها فدفنت " [4] رواه البخارى ومسلم واللفظ للبخارى ، قال

(١) يقصد محمد عبده ب " الكوثر " الشىء الكثير الذى لا يستقل عدده ولا .. الخ.
(٢) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٦٥ .
(٣) الجف وعاء الطلع وغشاوه الذى يكنه " جامع الاصول لابن الاثير ج ٦ ص ٥٣ " .
(٤) رواه البخارى في كتاب الطب باب السحر ج ٧ ص ١٧٧ ورواه مسلم في كتاب السلام باب السحر .

ابن القيم رحمه الله تعالى عن هذا الحديث (ثابت عند اهل العلم بالحديث لا يختلفون في صحته وقد اتفق اصحاب الصحيحين على تصحيحه ولم يتكلم فيه أحد من اهل الحديث بكلمه واحده والقصه مشهوره عند اهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء وهؤلاء اعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين "[1]

وقال الاستاذ عبد القادر الارناؤوط " ورواه ايضا احمد والنسائى وابن سعد والحاكم وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقى في دلائل النبوه وغيرهم وقال ابن القيم في بدائع الفوائد وهذا الحديث ثابت عند اهل العلم متلقى عندهم بالقبول "[2] .

تلكم درجة ذلك الحديث ولنسجل هنا في مقابلة هذا ما ذهب اليه الاستاذ الامام محمد عبده في تفسيره لقوله تعالى " ومن شر النفاثات في العقد "[3] حيث يقول :-

" وقد رووا هنا احاديث في ان النبى صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم وأثر سحره فيه حتى كان يخيل له انه يفعل الشىء وهو لا يفعله أو يأتي شيئا وهو لا يأتيه وان الله أنبأه بذلك واخرجت مواد السحر من بئر وعوفي صلى الله عليه وسلم مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السوره .

ولا يخفى ان تأثير السحر فى نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر الى ان يظن انه يفعل شيئا وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الامراض فى الابدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الامور العاديه بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح وهو مما يصدّق قول المشركين فيه " ان تتبعون الا رجلا مسحورا "[4] وليس المسحور عندهم الا من خولط فى عقله وخيل له ان شيئا يقع وهو لا يقع فيخيل اليه انه يوحي اليه ولا يوحى اليه .

---

(١) انظر التفسير القيم : ابن القيم سوره الفلق ص ٥٦٦ .
(٢) جامع الاصول فى احاديث الرسول : ابن الاثير تحقيق عبد القادر الارناؤوط ج ٥ ص ٦٧ .
(٣) سورة الفلق : الآيه ٤ .
(٤) سورة الفرقان : من الآيه ٨ .

وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة وما يجب لها ان الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لانه ضرب من انكار السحر وقد جاء القرآن بصحة السحر.

فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح في نظر المقلد بدعة!

نعوذ بالله! يحتج بالقرآن على ثبوت السحر، ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم وعده من افتراء المشركين عليه، ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك! مع ان الذي قصده المشركون ظاهر لانهم كانوا يقولون ان الشيطان يلابسه عليه السلام وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه وهو بعينه أثر السحر الذي نسب الى لبيد فانه قد خالط عقله وادراكه في زعمهم.

والذي يجب اعتقاده ان القرآن مقطوع به وانه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصول السحر له الى المشركين اعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فاذن هو ليس بمسحور قطعا.

وأما الحديث على فرض صحته فهو آحاد والاحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه الا باليقين ولا يجوز ان يؤخذ فيها بالظن والمظنون.

على ان الحديث الذي يصل الينا من طريق الآحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده أما من قامت له الادلة على انه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة وعلى أي حال فلنا بل علينا ان نفوض الامر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل!!"

ثم قال "على أن نافي السحر بالمرة لا يجوز أن يعد مبتدعا لان الله تعالى ذكر ما يعتقد به المؤمنون في قوله "آمن الرسول" الآية وفي غيرها من الآيات ووردت الاوامر بما يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسلما ولم يأت في شيء من ذلك ذكر السحر على انه مما يجب الايمان بثبوته أو وقوعه على الوجه الذي يعتقد به الوثنيون (!!) في كل مله بل الذي ورد في الصحيح هو ان تعلّم السحر

كفر فقد طلب منا ان لا ننظر بالمره فيما يعرف عند الناس بالسحر ويسمى باسمه "[1]

وماذا نقول بعد هذا ؟! في موقف الاستاذ الامام . هل يكفي وصف تلميذه السيد رشيد رضا له " بأنه كان مقصرا فى علوم الحديث من حيث الروايه والحفظ والجرح والتعديل "[2] ؟! لا لا يكفى ذلك بل قد تجاوزه الامام محمد عبده ، فحتى المقصرين فى علوم الحديث يدركون انه ليس من حقهم الخوض فى الاحاديث تصحيحا وتضعيفا حتى يدركوا أصول ذلك فكيف يرد ما رواه البخارى ومسلم ؟!!

ثم لنستمع الى رأى الشيخ رشيد رضا في هذا مدافعا عن استاذه وملتمسا مخرجا آخر له ولرجال المدرسه كافه حيث قال بعد سياقه للحديث السابق :-

" فهذا الحديث صريح في ان المراد من السحر فيه خاص بمسأله مباشرة النساء ولكن فهم اكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم سحر سحرا أثر في عقله كما أثر في جسده فانكره بعضهم وبالغوا في انكاره وعدوه مطعنا في النبوة ومنافيا للعصمة لقول عائشه : حتى انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء ولم يكن فعله فعظمت هذه الروايه على علماء المعقول وعدوها مخالفه للقطعى في النقل وهو ما حكاه الله تعالى عن المشركين من طعنهم فيه كعادة امثالهم في رسلهم بقولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا "[3] وتفنيده تعالى لهم بقوله " انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا "[3] ومخالفه للقطعى في العقل من عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من كل ما ينافي النبوة والثقة بها ان يدخل في ذلك التخييل ما هو من التشريع ومخالفه لعلم النفس الذى يعلم منه ان الانفس السافله الخبيثه لا تؤثر في الانفس العاليه الطاهره فانكر صحة الروايه بعض العلماء وأقدم من

---

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ١٨٠ - ١٨١ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٥ .
(٣) سورة الا الفرقان من الآيتين ٨ و ٩ .

عرفنا ذلك عنهم من المفسرين الفقهاء ابو بكر الجصاص في كتابه احكام القرآن وآخرهم شيخنا الاستاذ الامام في تفسير جزء عم وقد اطال شيخنا في هذا وبالغ فيه "[1] ثم قال بعد هذا :- " وقد محصت هذه المسأله مرارا آخرها في الرد على مجلة الازهر (نور الاسلام) في زعمها المفترى انني كذبت حديث البخارى في سحر النبى صلى الله عليه وسلم فبينت ان الحديث الصحيح في المسأله عن عائشه رضى الله عنها توهم عباره بعض رواياته ما هو أعمّ من المعنى الخاص الذى اراد ته منها وهو مباشره الزوجيه بينه صلى الله عليه وسلم وبينها فقولها : كان يخيل اليه انه يفعل الشيء وهو لم يفعله - كناية عن هذا الشيء الخاص لا عام في كل شيء ... وبينت ايضا ان الروايه في اصح اسانيدها عند الشيخين عن هشام عن ابيه عن عائشه فيها عله من علل الحديث الخفيه التى يشترط في صحة الحديث السلامه منها وهي ان بعض منكرى الحديث أعلّوه بهشام هذا وألّف بعضهم كتابا خاصا فيه محتجا بقول بعض علماء الجرح والتعديل انه كان في العراق يرسل عن ابيه عروه بن الزبير ما سمعه من غيره وعروه هو راوية عائشه الثقه وهي خالته وقال ابن خراش كان مالك لا يرضاه يعني هشاما وقد نقم منه حديثه لاهل العراق[2] وقال ابن القطان تغير قبل موته ولا شك ان تعديل الجماعه له ومنهم الشيخان خاص بما رواه قبل تغيره فهذا عذر من طعن في روايته لهذا

---

(١) تفسير الفاتحه وست سور من خواتيم القرآن : محمد رشيد رضا ص١٢٧ - ١٢٨ .

(٢) وذلك انه " قدم الكوفه ثلاث مرات : قدمة كان يقول حدثني ابي قال سمعت عائشه ، والثانيه كان يقول : أخبرني أبي عن عائشه وتقدم الثالثه فكان يقول ابي عن عائشه - يعني يرسل عن ابيه " ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٠١ - ٣٠٢ قال الذهبى " هشام بن عروه أحد الاعلام حجة امام ، لكن في الكبر تناقص حفظه ، ولم يختلط أبدا " وقال " ولما قدم العراق في آخر عمره حدث بجمله كثيرة من العلم في غضون ذلك يسير أحاديث لم يجوّدها ومثل هذا يقع لمالك ولشعبه ولوكيع ولكبار الثقات فدع عنك الخبط وذر خلط الائمه الاثبات بالضعفاء والمخلطين فهشام شيخ الاسلام " قال الذهبى هذا ردا على من زعم ان هشاما اختلط وتغير في آخر عمره .

الحديث الذى انكروا متنه بما علمت والأمر فيه أهون مما قالوا فالتحقيق انه خاص بمسأله الزوجيه كما جاء في التصريح به في الرواية الثانيه كما تقدم ولا يمتد بغير هذا "[١].

فلنعدّ الحديث عن هذا وذاك ولنذكر شكلا آخر من اشكال ردّهم لصحيح الحديث عند تفسير قوله تعالى " فبدّل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم"[٢] حيث يذكر السيد رشيد رأيه هنا ورأى استاذه فيقول " ولا ثقة لنا بشيء مما روى في هذا التبديل من الفاظ عبرانيه ولا عربيه فكله من الاسرائيليات الوضعيه كما قاله الاستاذ الامام هنالك وان خرج بعضه في الصحيح والسنن موقوفا ومرفوعا كحديث ابي هريره المرفوع في الصحيحين وغيرهما " قيل لبنى اسرائيل " ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطه "[٣] فدخلوا يزحفون على استاهم وقالوا : حطه حبه في شعره " وفي روايه شعيره رواه البخارى في تفسير السورتين[٤] من طريق همام بن منبه أخي وهب وهما صاحبا الغرائب في الاسرائيليات ولم يصرح ابو هريره بسماع هذا من النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه سمعه من كعب الاحبار اذ ثبت انه روى عنه وهذا مدرك عدم اعتماد الاستاذ رحمه الله تعالى على مثل هذا من الاسرائيليات وان صح سنده (!!) ولكن قلما يوجد في الصحيح المرفوع شيء يقتضى الطعن في سندها "[٥].

وقال في موضع آخر بعد بيان تفسير الجلال الآيه في سورة البقره بما ورد في صحيح البخارى " وأقول ان ما اختاره الجلال مروى في الصحيح ولكنه لا يخلو من عله اسرائيليه "[٦].

وفي تفسير قوله تعالى " يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا "[٧] قال السيد رشيد : " واقوى

(١) تفسير الفاتحه وست سور من خواتيم القرآن : محمد رشيد رضا ص ١٣٩- ١٤٠.
(٢) سورة الاعراف من الآيه ١٦٢ .
(٣) سورة الاعراف من الآيه ١٦١ .
(٤) يقصد سورتي البقره والاعراف .
(٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٣٤٨ .
(٦) المرجع السابق : ج ١ ص ٣٢٥ .
(٧) سورة الانعام : من الآيه ١٥٨ .

الاحاديث الوارده في طلوع الشمس من مغربها ما رواه البخاري في كتاب الرقـــاق "عن ابي هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تقوم السـاعة حـــتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا) أ . هـ . . وأخرجه ايضا احمد ومسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم "[١] ثم قال " هـــذا وان أبا هريره رضي الله عنه لم يصّرح في هذه الاحاديث بالسماع من النبي صلـى الله عليه وسلم فيخشى ان يكون قد روى بعضها عن كعب الاحبار وامثاله فتكـــون مرسله ولكن مجموع الروايات عنه وعن غيره تثبت هذه الآيه بالجمله فننظمها في سـلك المتشابهات ونحمل التعارض بين الروايات وما في بعضها من مخالفه الادلـــة القطعيه على ما اشرنا اليه من الاسباب كالروايه عن مثل كعب الاحبار من رواة الاسرائيليات (والله أعلم) "[١] .

وفي تفسير قوله تعالى " ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ســته أيام "[٢] الايه قال السيد رشيد " وفي حديث أخرجه احمد في مسنده ومسلم في صحيحه عن ابي هريره قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال " خلق الله عـز وجل التربه يوم السبت . . الحديث " ثم قال " ان كل ما روى في هذه المسألـــه من الاخبار والآثار مأخوذ من الاسرائيليات لم يصح فيها حديث مرفوع ، وحديث ابي هريره هذا وهو اقواها مردود بمخالفه متنه لنص كتاب الله (!!) وأما سنده فــلا يغرنك روايه مسلم له به (!!) فهو قد رواه كغيره عن حجاج بن محمد الاعـــور المصيصي عن ابن جريج وهو قد تغير في آخر عمره وثبت انه حدّث بعد اختـــلاط عقله كما في تهذيب التهذيب وغيره والظاهر (!!) ان هذا الحديث مما حدّث به بعد اختلاطه "[٣] .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٨ ص ٢١٠ - ٢١١ .
(٢) سورة الاعراف : من الآيه ٥٤ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٨ ص ٤٤٩ .

وقد تقدم بيان ردهم لحديث الجساسه عند ذكر تحذيرهم من الاسرائيليات ولن نذهب في ذكر ما ردوه من الاحاديث الصحيحه التي تخالف ما ذهبوا اليه في تفسير الآيات ، ولكن نختم ذلك ببيان شكل دقيق من اشكال ردهم للاحاديث وهو اغفال ذكرها عند تفسير الآيه وذكر التفسير الذى يحلو لهم من غير رجوع الى الحديث أو بيان وروده .

قال الاستاذ . احمد مصطفى المراغي في تفسير قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين "(١) " والمغضوب عليهم هم الذين بلغهم الدين الحق الذى شرعه الله لعباده فرفضوه ونبذوه وراءهم ظهريا وانصرفوا عن النظر في الادلة تقليدا لما ورثوه عن الآباء والاجداد ... والضالون هم الذين لم يعرفوا الحق أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح وهؤلاء هم الذين لم تبلغهم رساله أوبلغتهم على وجه لم يستبين لهم فيه الحق "(٢) .

قال السيوطي رحمه الله تعالى " رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى " غير المغضوب عليهم ولا الضالين "(١) نحو عشرة أقوال وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابه والتابعين واتباعهم حتى قال ابن ابي حاتم لا اعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين "(٣) .

وقال المراغي ايضا في تفسير قوله تعالى " ان زلزلة الساعة شىء عظيم "(٤) " أى ان الزلزله التى تكون حين قيام الساعه قبل قيام الناس من أجداثهم .. الخ "(٥) قال الالوسي في تفسيره " أخرج احمد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والنسائى والترمذى والحاكم وصححاه عن عمران بن حصين قال لما نزلت " يا أيها الناس - الى قوله - ولكن عذاب الله شديد "(٦) كان صلى الله عليه وسلم في سفر فقال (اتدرون

(١) سورة الفاتحه : من الآيه السابعه .
(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ٣٧ .
(٣) الاتقان : للسيوطي جـ ٢ ص ١٩٠ .
(٤) سورة الحج من الآيه الاولى .
(٥) تفسير المراغي : احمد المراغي جـ ١٧ ص ٨٤ .
(٦) سورة الحج الآيتين الاولى والثانيه .

أى يوم ذلك ؟ قالوا الله تعالى ورسوله أعلم قال (ذلك يوم يقول الله تعالى لآدم عليه السلام ابعث بعث النار الخ) ثم قال وحديث البعث مذكور في الصحيحين وغيرهما لكن بلفظ آخر وفيه كالمذكور ما يؤيد كون هذه الزلزله في يوم القيامه "[1].

وقال الشيخ عبد القادر المغربي في تفسير ، " انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر "[2] أى اعطيناك يامحمد الخير الكثير .. الخ "[3] وقد تقدم بيان ما ورد في الكوثر من الحديث الصحيح .

فلنكتف بما ذكرنا من الشواهد في موقفهم من تفسير القرآن الكريم بالسنه النبويه وهذا منهج لا نكتفي ببيان عدم موافقتنا لهم في سلوكه ، فهم في منهجهم هذا لا يفرقون بين كتب الحديث فسيان عندهم ما رواه البخارى ومسلم وما رواه غيرهما من حيث القبول والرد فيرفضون من ذلك ما لا يتفق مع ما ذهبوا اليه أو يزعمون أنه خبر آحاد لا يثبت الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا .

وهذا هدم للجانب الاكبر من السنه التى هي بالنسبه للكتاب بمنزله المبيّن من المبيَّن . وقد قالوا ان البيان يلتصق بالمبين[4].

فلنحذر من سلوك هذا المنهج الخطير ولنعد الى حظيرة السلف ولنلتزم ما التزموه من تقدير لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنقدمه على آرائنا الشخصيه بل لنضرب بها عرض الحائط في مقابله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح كما قال سلفنا . وليس في هذا انتقاص لعقولنا ولا لافهامنا ولكنه تكريم لها بسلوكها المنهج الاسلم والاعلم . والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

---

(١) تفسير روح المعانى : لابي الفضل شهاب الدين محمود الالوسي ج ١٧ ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) سورة الكوثر : الآيتين : ١ و ٢ .

(٣) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص : ٨٩ .

(٤) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى : ج ٣ ص ٢٤١ .

الاساس العاشر : انكار التقليد وذمه والتحذير منه

يطلق التقليد ويراد به في عرف الفقهاء "قبول قول الغير من غير حجـــه" ولا يسمى الاخذ بالكتاب أو السنه أو الاجماع تقليدا لأن ذلك هو الحجه فـــي نفســــه [1].

ولا يصح سلوك طريق التقليد لاثبات العقيده فلابد لكل مسلم ان يســلك طريق العلم والمعرفه في اثبات ما يجب عليه اعتقاده فيثبت ما يثبت عن معرفــــه واقتناع لا عن طريق التقليد والاتباع الغالبين من معرفة الدليل .

وقد ذمّ الله في آيات كثيره من سلك منهج التقليد في اثبات العقيده : -

قال تعالى :- " واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليــه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " وقال تعالى " واذا قيــل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون " [3] وقال سبحانه " واذا فعلوا فاحشــــه قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولـــــون على الله ما لا تعلمون " [4] وقال عز شأنه عن ابراهيم وقومه " اذ قال لابيه وقومــــه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون . قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقــد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين " [5] وقال عز وجل " قالوا بل وجدنا آباءنا كـــذلك يفعلون " [6] وقال سبحانه " واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير " [7] وقال سبحانه "وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمه وانــا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بمــا ارسلتم به كافرون . فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبه المكذبين " [8] وقال سبحانه :

---

(١) انظر روضه الناظر وجنه المناظر : ابن قدامه المقدسي ص ٢٠٥ .
(٢) سورة البقره الآيه : ١٧٠ .
(٣) سورة المائده الآيه : ١٠٤ .
(٤) سورة الاعراف الآيه : ٢٨ .
(٥) سورة الانبياء الآيات : ٥٢ - ٥٤ .
(٦) سورة الشعراء الآيه : ٧٤ .
(٧) سورة لقمان الآيه : ٢١ .
(٨) سورة الزخرف الآيات : ٢٣ - ٢٥ .

" قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا "[1] وقال سبحانه عن المشركين " قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا "[2] وقال سبحانه " اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون "[3] وقال سبحانه موجها عباده للطريق السليم " واتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون "[4].

كل هذا من الآيات الكريمه وغيرها كثير ذمّ اشنع ذم مقلدى آبائهم في العقائد الفاسده الضاله ورفضهم اتباع الحق لمخالفته ما توارثوه عن ابائهم . لهذا فلا خلاف بين العلماء رحمهم الله - يذكر - في النهى عن التقليد في جانب العقائد .

بقي أمر التقليد فى الاحكام الشرعيه الفقهيه ، ولنحدّد موضع الخلاف فى هذا . فان كل ما نص عليه الكتاب والسنه نصا صريحا لا يجوز العدول عنه الى ما يؤدى اليه الاجتهاد وكذا ما اجمع عليه علماء المسلمين لا يصح لاحد ان يخالف فيه .

فانحصر موضع الخلاف في الاجتهاد أو التقليد في الاحكام الشرعيه التى لم ينص عليها في كتاب ولا سنه ولم يجمع على حكمها علماء الأمه في عصر من العصور .

واذا نظرنا بعد هذا الى ما تبقى وجدناه شيئا[5] لا يستحق هذا الخلاف العظيم الكبير الذى اثير حول الموضوع وجاوز حدوده المشروعه فكفر بعضهم

---

(١) سورة الاعراف من الآيه : ٧٠ .
(٢) سورة هود من الآيه : ٦٢ .
(٣) سورة التوبه الآيه : ٣١ .
(٤) سورة الاعراف من الآيه الثالثه .
(٥) قال الشيخ زاهد الكوثرى عن الفقهاء " وهم على اتفاق في نحو ثلثى مسائل الفقه والثلث الباقي هو معترك آرائهم .. " مقالات الكوثرى ص ١٣٢ قلت : وهذا الثلث ليس فيه من المسائل في عظمها وخطورتها ما فى الثلثين . فماتبقى أقل كمية واهميه . والله اعلم .

بعضا ووصفهم بأوصاف المشركين بله اليهود والنصارى ، وهذا أمر لا نرتضيه ولا نسيغه ، فأمر تكفير المسلم من الخطوره على قائله بمكان .

وقد وقع اختلاف شديد بين علماء المسلمين فى الاجتهاد أو التقليد فيما تبقى من الاحكام الشرعيه من غير نص في كتاب أو سنه أو اجماع فذهبت طائفه منهم الى ذم التقليد والتحذير منه وذهبت طائفه أخرى الى تأييد التقليد والقول والعمل به .

ولئن كان لا يسعنا هنا استقصاء الموضوع وتفصيل ابحاثه فانه لا يسعنا ايضا الا أن نشير الى ادلة مبطلى التقليد ، وأن نشير الى أدلة مؤيدى التقليد حتى يكون لدينا ما نستطيع ان نعرف به تطرف المتطرفين واعتدال المعتدلين في الرفض أو القبول .

من أدّله مبطلى التقليد :-

ذهب هؤلاء الى الاستدلال لاثبات رأيهم بأدله كثيرة جدا يصعب حصرها هنا فمن ذلك :

١ - الآيات التى وردت في ذمّ المقلدين فى العقائد ، حملها بعضهم على ذمّ المقلدين عموما فى العقائد والاحكام . قال ابن القيم رحمه الله تعالى " وقد احتج العلماء بهذه الآيات في ابطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها . لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر احدهما وايمان الآخر ، وانما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حجه للمقلد .. وان اختلفت الآثام فيه "(١) .

ويرد على هذا بعض القائلين بالتقليد فيقول " لما كان التقليد نوعان : تقليد لمخالفة الحق وتقليد لاتباع الحق ، والاول حرام والثاني واجب

---

(١) اعلام الموقعين : ابن القيم جـ ٢ ص ١٩١ .

فالاحتجاج بالآيات الداله على حرمه النوع الاول من التقليد على حرمـــة النوع الثاني منه لاشك انه من تلبيس الحقّ بالباطل "[١] .

٢ - واستدلوا ايضا بقوله تعالى " ولا تقف ما ليس لك به علم .. الآيه "[٢] وبقولـه سبحانه " انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مـا لا تعلمون "[٣] وقوله عزّ شأنه " وان تنازعتم في شيء فردوه الى اللـــه والرسول "[٤] وقوله سبحانه " أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذيـن جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجه "[٥] ونحو ذلك من الآيات الكريمـــــه .

٣ - قالوا ان التقليد بدعه محدثه لانا نعلم بالقطع انه لم يكن في عصر الصحابه وعصر التابعين ولا تابعي التابعين ، فليكذبنا المقلدون برجل واحـــد سلك سبيلهم الوخيمه في القرون الفضيله على لسان رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ، وانما حدثت هذه البدعه في القرن الرابع المذموم على لســـان رسول الله صلى الله عليه وسلم[٦] .

٤ - وقالوا يقال للمقلد هل تدعي عصمه متبوعك أو تجوز عليه الخطأ ؟ والاول لا سبيل اليه بل تقّر ببطلانه فتعين الثاني ، واذا جوّزت عليه الخطأ فكيـف تحلل وتحرم ... بقول من أنت مقّر بجواز كونه مخطئا[٧] .

---

(١) انهاء السكن الى من يطالع اعلاء السنن : للعلامه ظفر احمد العثمانـــي التهانوى جـ ٢ ص ٨ .

(٢) سوره الاسراء من الآيه ٣٦ .

(٣) سورة الاعراف الآيه ٣٣ .

(٤) سورة النساء من الآيه ٥٩ .

(٥) سورة التوبه الآيه ١٦ .

(٦) اعلام الموقعين : ابن القيم جـ ٢ ص ٢٠٨ .

(٧) المرجع السابق : جـ ٢ ص ٢١٠ .

٥ - وقالوا ايضا ان الائمه الاربعه صرحوا بالنهي عن التقليد فانه قد صح عن كل واحد منهم هذا المعنى من طرق متعدده فقد قيل لابي حنيفه رحمه الله تعالى اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه قال اتركوا قولي بكتاب الله ، فقيل له اذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه قال اتركوا قولي بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم فقيل له اذا كان قول الصحابي يخالفه فقال اتركوا قولي بقول الصحابي . وقال مالك رحمه الله تعالى انما أنا بشر اخطىء وأصيب فأنظروا في رأيي كل ما وافق الكتاب والسنه فخذوا به وما لم يوافق الكتاب والسنه فاتركوه ، وقال الشافعي رحمه الله تعالى اذا وجدتم في كتابي خلاف سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت ،قال الشوكاني رحمه الله تعالى وأما الامام احمد بن حنبل فهو أشد الائمة الاربعه تنفيرا عن الرأى وابعدهم عنه والزمهم الى السنه .. واذا تقرر لك اجماع ائمة المذاهب الاربعه على تقديم النص على آرائهم عرفت ان العالم الذى عمل بالنص وترك قول اهل المذاهب هو الموافق لما قاله ائمه المذاهب والمقلد الذى قدّم اقوال المذاهب على النصّ هو المخالف لله ولرسوله ولامام مذهبه ولغيره من سائر علماء الاسلام[1] .

ولنكتفي بما ذكرنا من ادلتهم ولنذكر بعد هذا بعض ادلة القائلين بالتقليد فمن ذلك :-

١ - انهم استدلوا بقوله تعالى " فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون "[2] فان الله سبحانه وتعالى أمر من لا يعلم بسؤال اهل الذكر ،ولاشك ايضا أن جوابهم هو الواجب عليه وقد أبرأ ذمته بسؤالهم . واستدلوا ايضا بقوله تعالى : " واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم "[3] وقالوا

---

(١) القول المفيد في أدله الاجتهاد والتقليد : محمد بن علي الشوكاني ص٢٢-٢٣.
(٢) سورة النحل : من الآيه : ٤٣ .
(٣) سورة النساء من الآيه : ٥٩ .

ان أولى الأمر هم العلماء وطاعتهم تقليدهم فيما يفتون به .. وغير ذلك من الآيات .

٢ - واستدلوا بحديث العسيف ونحوه حيث قال ابو العسيف اني سألت اهل العلم فأخبروني انما على ابني جلد مائه وتغريب عام وأن على امرأه هذا الرجم فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تقليد أهل العلم وهم قد اخبروه بالحكم الشرعي ولم يحدثوه حديثا على وجه الروايه . ومع ذلك قلدهم هو ولم ينكره عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدل ذلك على أن فتوى اهل العلم حجة على الجاهل وان لم يقولوا حدثنا فلان عن فلان - الى آخره (١) واستدلوا بحديث صاحب الشجه " ألا سألوا اذ لم يعلموا انما شفاء العي السؤال " وهو توبيخ منه صلى الله عليه وسلم لهم لعدم سؤالهم مع عدم علمهم وغير ذلك من الحديث .

٣ - وقالوا ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحوا البلاد وكان الناس حديثى عهد بالاسلام وكانوا يفتونهم ولم يقولوا لاحد منهم عليك ان تطلب معرفة الحق في هذه الفتوى بالدليل . أما ادعاء أن كل ما كانوا يفتون به كان بنقل قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وأمره فباطل كما لا يخفى على من عرف فتاواهم ، ولو كان كذلك لم يكن بمجرد النقل بل كان ممزوجا بالاجتهاد لانه انما ينتقل ما ينقل على حسب ما فهمه من قوله أو فعله أو أمره صلى الله عليه وسلم وقد يخطىء الناقل في ذلك وقد يصيب فكان حاصل نقلهم انا فهمنا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره وفعله كذا والناس كانوا يتبعونهم في ذلك وهو التقليد (٢) .

---

(١) انهاء السكن الى من يطالع اعلاء السنن : ظفر احمد العثماني التهانوى جـ ٢ ص ١٧ .

(٢) المرجع السابق : جـ ٢ ص ٣٩ .

٤ - وقالوا لو كان التقليد غير جائز لكان الاجتهاد واجبا على كل فرد من أفراد العباد وهو تكليف ما لا يطاق فان الطباع البشريه متفاوته فمنها ما هو قابل للعلوم الاجتهاديه ومنها ما هو قاصر عن ذلك وهو غالب الطباع ، وعلى فرض انها قابله له جميعها فوجوب تحصيله على كل فرد يؤدى الى تبطيل المعايش التى لا يتم بقاء النوع بدونها فانه لا يظفر برتبة الاجتهاد الا من جرّد نفسه للعلم في جميع أوقاته على وجه لا يشتغل بغيره فحينئذ يشتغل الحراث والزراع والنساج والعمار ونحوهم بالعلم وتبقى هذه الاعمال شاغره معطله فتبطل المعايش بأسرها "(١).

٥ - وقالوا أن الائمة صرحوا بجواز التقليد حيث قال محمد بن الحسن يجوز للعالم تقليد من هو أعلم منه ولا يجوز له تقليد من هو مثله وقد صرّح الشافعي بالتقليد حيث قال في موضع :- " قلت هذا تقليدا لعمر " وفي موضع آخر " قلته تقليدا لعثمان " وفي موضع آخر " قلت بقول زيد وعنه قلنا اكثر الفرائض " وفي موضع آخر " قلته تقليدا لعطاء " وهذا ابو حنيفه قال في مسائل الآبار ليس فيها معه الا تقليد من تقدمه من التابعين ، وهذا مالك لا يخرج من عمل اهل المدينه ويصرح في موطأه بأنه أدرك العمل على هذا وهو الذى عليه اهل العلم ببلدنا ويقول في غير موضع " ما رأيت أحدا أقتدى به يفعله "(٢)

وغير ذلك كثير من الادله على جواز التقليد مما ليس في وسعنا ذكره وحصره هنا .

تحقيق القولين :

قلنا آنفا انه لا تقليد في العقائد بل يجب على المسلم ان يعرف بنفسه أدلة وجود الله سبحانه وثبوت الرساله ونحو ذلك من غير تقليد .

وانه لا يصح الاجتهاد فيما نص عليه الكتاب أو السنه أو اجمع عليه علماء المسلمين ، فانحصر الخلاف فيما تبقى وهو الأقل عددا واهمية وهو الذى حصل النزاع

(١) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد : محمد بن على الشوكاني ، ص٣٨ .
(٢) انهاء السكن الى من يطالع اعلاء السنن : ظفر احمد التهانوى ج٢ ص ٣٧ .

فيه بين الاجتهاد والتقليد .

وان قبل منى أرباب العلم تطفلى عليهم بعد النظر في أدلة هؤلاء وهؤلاء فاني أقول رأيا لم أر - فيما قرأت - من قال به ذلكم ان كلا الفريقين فيهما المتطرف، والمعتدل . .

أما الاعتدال فاني أشبّه المعتدلين من كلا الفريقين برجلين ينظران الى لوح أمامهما نصفه أسود ونصفه الآخر ابيض ويقول أحدهما مشيرا الى اللوح هذا اللوح نصفه ابيض ويقول الآخر مشيرا الى اللوح نفسه بل نصفه أسود وكلاهما على حق وكلاهما على صواب .

ما اشبه المعتدلين من القائلين بالتقليد والقائلين بالاجتهاد بهذين الرجلين ،ذلكم ان المعتدلين من القائلين بالتقليد اباحوا الاجتهاد لمن بلغ رتبته وتمكن منه ، وأوجبوا التقليد على من لم يبلغ ذلك ، وكذا انصار الاجتهاد يقولون بوجوبه مع توفر شروطه وبلوغ رتبته وجوزوا لمن دون ذلك التقليد ومن هؤلاء ابن القيم وقد عرف عنه رحمه الله تعالى الدعوه الى الاجتهاد الا أنه يقول" وأما تقليد من بذل جهده في اتباع ما انزل الله وخفي عليه بعضه فقلد فيه من هو أعلم منه فهذا محمود غير مذموم ومأجور غير مأزور "[1] .

فها أنت ترى ابن القيم يجيز للمجتهد في بعض المسائل التقليد فيما خفى عليه فاباحته لمن لم يبلغ درجة الاجتهاد في كل المسائل أوضح .

بل حكى ابن قدامه رحمه الله تعالى الاجماع على جواز التقليد في الفروع[2] وقال ابن عبد البر " ولم تختلف العلماء ان العامة عليها تقليد علمائها وانهم المرادون بقول الله عزّ وجل " فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون "[3] .

ومن هذا ونحوه يتبين لنا ان المعتدلين من هؤلاء وهؤلاء لا خلاف بينهم بل هم متفقون في المعنى مختلفون في العباره .

---

(١) اعلام الموقعين : ابن القيم ج ٢ ص ١٨٨ .
(٢) روضه الناظر وجنه المناظر : ابن قدامه ص ٢٠٦ .
(٣) جامع بيان العلم وفضله : ابن عبد البر ج ٢ ص ١٤٠ .

وقد تطرفت طائفة من دعاة التقليد فاغلقت باب الاجتهاد وحذرت الحنبلي من الصلاة خلف الشافعي والمالكي من الصلاة خلف الحنفي ونحو ذلك بل كانت الصلاة في عصر من العصور في بعض البلدان الاسلاميه تقسم أوقاتها في المسجد الواحد على حسب المذاهب فيصلى أولا اتباع المذهب الفلاني ثم اتباع المذهب الآخر وهكذا الى ان تتم المذاهب الاربعه . وهذا أمر خطير لا نرتضيه ولا نقره فهو مخالف لقوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا "(١) وهو تفريق للمسلمين الى طوائف اربع . ونحمد الله على زواله وندعوه سبحانه ان لا يعيده على المسلمين .

وأخطر من هذا وأشد تفريقا للمسلمين من فرقهم لا الى فرق أربع ولا الى اربعة الآف بل الى ان يكون كل مسلم وحده فرقة مستقله ذلكم هو التطرف في الدعوه الى الاجتهاد .

وقد أوقعهم ذلكم التطرف فى اخطاء وأخطار جسام هي اعظم واشد خطرا على عقيدة المسلم مما حذروا منه .

وصف بعضهم المقلدين بأوصاف المشركين !!! فقال " وليس على المسلم ان يلتزم واحدا منها - أي من المذاهب - بعينه بل من التزم واحدا منها بعينه في كل مسائله فهو متعصب مخطىء مقلد تقليدا اعمى !! وهو ممن فرقوا دينهم وصاروا شيعا "(٢) .

هذا ما قاله بعضهم وحتى تعرف حكم الله تعالى فيمن فرقوا دينهم وكانوا شيعا اقرأ قوله سبحانه " ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون "(٣) .

ما أخطر ان يوصف مسلم مؤمن ليس له ذنب الا انه عامي أمي لا يحسن قرآءه ولا كتابه فضلا عن الاجتهاد ، فلم يجد الا طريق التقليد ولم يجد فى بلده الا المذهب الفلاني فقلده .. ما اخطر ان يوصف هذا بأنه من المشركين الذين فرقوا دينهم

---

(١) سوره آل عمران من الآيه ١٠٣ .
(٢) هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعه ؟ محمد بن سلطان الخجندى ص ٤٠ .
(٣) سورة الروم من الآيتين : ٣١ - ٣٢ .

وكانوا شيعا ؟ ! انها فرية نبرأ الى الله منها .

وتطرفوا فى فتح باب الاجتهاد وجعلوا بلوغ رتبته أمرا سهلا فقالوا " وتحصيل هذه الطريقه سهل لا يحتاج اكثر من الموطأ والصحيحين وسنن ابي داود وجامع الترمذى والنسائي وهذه الكتب معروفه مشهوره يمكن تحصيلها في أقرب مده فعليك بمعرفة ذلك "[1] !!

الى هذا الحدّ بلغ الأمر ونسوا أو تناسوا انه يشترط في المجتهد ما هو اكثر من الحصول على هذه الكتب بل ان الاكتفاء بهذه الكتب قد يوقع مطالعها وحدها في حيره عند بعض أحاديثها المتعارضه اذا لم يكن لديه من العلم ما يفرق به بين ناسخها ومنسوخها وبين صحيحها وضعيفها وموضوعها ونحو ذلك .

وتناسوا انه يشترط في المجتهد ان يكون فقيها أى عالما بأصول الفقه وما يستمد منه عالما بالادله السمعيه واختلاف مراتبها فمن الكتاب والسنه ما يتعلق بالاحكام ، عالما بالناسخ والمنسوخ منها وبصحة الحديث وضعفه سندا ومتنا ، عالما بالنحو واللغه ما يكفيه فيما يتعلق بهما من نص وظاهر ومجمل ومبين وحقيقه ومجاز وأمر ونهى وعام وخاص ومستثنى ومستثنى منه ومطلق ومقيد وان يكون عالما بما اجمع عليه العلماء المسلمون وباسباب النزول واسباب ورود الحديث[2] .

ومن هذا تعرف ما اشترطه سلفنا في بلوغ رتبه الاجتهاد وتعرف تطرف هؤلاء فى فتح باب الاجتهاد .

ومن بلغ هذه الرتبه في عصرنا هذا اختفى أو كاد في خضمّ مدعي بلوغ تلك الرتبه ، فكم ادعاها من رجل لا يعرف من الشريعه الا بضع آيات والا بضع احاديث اختلط عليه صحيحها بضعيفها وناسخها بمنسوخها . لا يكاد يفرق بين هذا وذاك .

---

(١) هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعه ؟ محمد بن سلطان المعصومي الخجندى المكى ص ٧ .

(٢) شرح الكوكب المنير : شهاب الدين احمد الفتوحي ص ٣٩٤ - ٣٩٦ .

وكم ادعاها من رجل امسك بدفتي المصحف وهو شبعان على أريكته وقال "عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه".

وكم ادعاها من رجل يريد الاتيان بجديد يلفت الانظار اليه . وكم ادعاها من رجل اضطرب فكره وحار عقله وضل سبيله حينما رأى ما بين المسلمين في هذا العصر وبين الكفار من فاصل "حضاري" فاراد من امته اللحاق بركبها فمهد لها السبيل بما اوحى اليه عقله من ازالة تلك العقبات واعطى لنفسه الحق في بيان حكمها في الشريعة الاسلامية .

وليس هؤلاء الادعياء بالذين يغلق باب الاجتهاد لاجلهم عن العلماء كافه من يستحق ومن لا يستحق . ولكن الحق ان باب الاجتهاد مفتوح لمن توفرت فيه شروط الاجتهاد .

فمن رأى في نفسه توفر شروط الاجتهاد وجب عليه ذلك ، ولكن لا يوجب تقليده على أحد ولا يصح لاحد ان يقلده الا اذا كان عدلا عنده .

وشدّد هؤلاء منكرو التقليد - فقرنوا فقه المذاهب بالانجيل كتاب النصارى فقال احدهم معلقا على أحد الاحاديث النبويه "هذا صريح في ان عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا ويقضي بالكتاب والسنه لا بغيرهما من الانجيل أو الفقه الحنفي ونحوه"[1] !! ولو قال هذا رجل عامي لعظمت المصيبه فكيف اذا قاله رجل ينتسب الى علماء المسلمين .

وخلاصة القول

ان المعتدلين وان اختلفت عباراتهم فهم متفقون في المعنى ولكن الاختلاف الشديد والخطير في موقف المتطرفين من الفريقين فما موقف المدرسه العقليه الحديثه من ذلك ؟

---

(١) مختصر صحيح مسلم : للمنذري تحقيق ناصر الدين الألباني ص ٥٤٨ .

موقف المدرسه العقليه الحديثه :-

من الواضح البين ان موقفهم من التقليد قد تولد من موقفهم من العقل ، فهم حينما حكموا العقل ورضوا به اماما وهاديا ومرشدا قدموه على النص أو أولوا النص بما لا يخالف العقل وردوا كثيرا من الاحاديث الصحيحه لزعمهم انها مخالفه للعقل .

من يفعل هذا في السنه النبويه ففعله له في اقوال السلف الصالح اشد واعظم ومن ردّ صحيح الحديث فرده لقول الشافعي ومالك وغيرهما رحمهم الله اجمعين اسرع وأسبق ، وهو ما كان منهم ، فلا تكاد تقرأ في كتاب من كتبهم ولا في صحيفه من صحفهم أو مجله الا ورأيت ذمهم للتقليد واهله ووصفهم بأبشع الاوصاف ورأيت دعوتهم الى الاجتهاد .

وتطرفهم في ذلك معلوم لا يخفى ، فاجتهد منهم من هو ليس من اهل الاجتهاد وخرجوا بآراء جديده وقالوا ما خالف الحق والصواب .

أما منزله هذه الدعوه في مدرستهم فيصرح بها استاذ هذه المدرسه الشيخ محمد عبده حينما جعل تحرير الفكر من قيد التقليد أول أمر دعا اليه حيث قال " .. ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن ان سئمت الاستمرار على ما يألفون واندفعت الى طلب شيء مما لا يعرفون فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه وناديت بأحسن ما وجدت ودعوت اليه وارتفع صوتي بالدعوه الى أمرين عظيمين الأول تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمه قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه .. وقد خالفت في الدعوه اليه رأى الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمه - طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم "(1)

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١١ .

اذن فالباعث له الى ترك التقليد وذمه " السأم من الاستمرار على ما يألفون والاندفاع الى طلب شيء مما لا يعرفون " !! ولا ادري متى كان السأم منهجا للتغيير في الدين والتحول من حال الى حال وما يدرينا لعل السأم يكون في يوم من الايام داعيا لطائفه من الناس الى نبذ الكتاب والسنه !

أما السيد جمال الدين الافغاني فقال عنه أحد اتباعه " عرف جمال الدين باستنكافه ونفوره من التقليد من غير تمحيص فكان يأخذ بالاحسن من الاقوال ويرد الضعيف منها ويجتهد للاستنباط للاولى ويتناول الاقرب للصواب وما يقبله العقل "(١).

عجبا أي اجتهاد يحق لمن قال في وصف رجل " هذا رجل من نسل البقروت " فعابوا عليه استعمال بقروت فأجاب ألا تقولون جبروت وملكوت ورهبوت فلماذا تمنعون عني قول بقروت فقالوا ان بقروت لم ترد في كلام العرب فقال وهل تريدون مني ان انكر نفسي "(٢) ؟!

ذكروا يوما عنده رأيا للقاضي عياض فقال " ياسبحان الله ان القاضي عياض قال ما قاله على قدر ما وسعه عقله وتناوله فهمه وناسب زمانه فهل لا يحق لغيره ان يقول ما هو أقرب للحق وأوجه واصح من قول القاضي عياض أو غيره من الائمه ؟ وهل يجب الجمود والوقوف عند اقوال اناس هم انفسهم لم يقفوا عند حد أقوال من تقدمهم .. ما معنى باب الاجتهاد مسدود ؟ وبأي نص سد باب الاجتهاد ؟ أو أي أمام قال لا ينبغي لاحد من المسلمين بعدي ان يجتهد ليتفقه بالدين ؟! أو أن يهتدي بهدي القرآن وصحيح الحديث أو أن يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصريه وحاجيات الزمان واحكامه ولا ينافي جوهر النص "(٣).

---

(١) خاطرات جمال الدين الافغاني : جمع محمد المخزومي ص ١١١ .
(٢) جمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ص ١١٠ .
(٣) خاطرات جمال الدين الافغاني : جمع محمد المخزومي ص ١١١-١١٢ .

ثم وضح السيد الافغاني شروط الاجتهاد فقال " فمن كان عالما باللسان العربي وعاقلا غير مجنون[1] ، وعارفا بسيرة السلف وما كان من طرق الاجماع وما كان من الاحكام منطبقا على النصّ مباشره أو على وجه القياس وصحيح الحديث جاز له النظر في احكام القرآن وتمعنها والتدقيق فيها واستنباط الاحكام منها ومن صحيح الحديث والقياس "[2] .

عودة الى استاذ هذه المدرسه الشيخ محمد عبده لنسمع منه تلك الشنشنه التى يكررها في ذم الفقهاء . مع اني اعتقد - وهذا رأيي - ان الايمان الصادق يمنع صاحبه من التلفظ بهذه الاوصاف الشنيعه في حقّ فقهاء المسلمين - قال الشيخ بعد ذكر بعض الآراء الفقهيه :-

" ولكن هؤلاء الفقهاء حرفوا كل نصوص الكتاب والسنه "[3] ولم يكتف بهذا الوصف الخطير بل اكمل " ان اليهود لم تحرف التوراة اكثر مما حرفوا "[3] !!

حاولت ان احمل كلامه على قصد طائفه من الفقهاء وهو أمر على خطورته وشدته أهون من شمول الفقهاء كلهم لولا انه نص في أول كلامه " ومن العجيب ان فقهاء المذاهب الاربعه وربما غيرهم ايضا "[3] هذا ما قاله الشيخ وان عرض بعض الكلام يكفي لاظهار مساوئه من غير كشف وبيان وهو ما نلتزمه هنا .

أما بلوغ رتبة الاجتهاد فهو أمر سهل المنال عنده قال " فرض الاسلام على كل ذي دين أن يأخذ بحظه من علم ما اودع الله في كتبه وما تقرر من شرعه وجعل الناس في ذلك سواء بعد استيفاء الشرط باعداد ما لا بد منه للفهم وهو سهل المنال على الجمهور الاعظم من المتدينين لا تخص به طبقه من الطبقات ولا يحتكر مزيته وقت من الاوقات "[4] .

وبعد تلميذه الشيخ رشيد رضا ما اشترط في بلوغ رتبه الاجتهاد افتياتا على الله ونسخا لكتابه .. الخ " وان في اطلاق مقلدة المصنفين من خلف القرون الوسطى

---

(١) قارن هنا بين قوله " بقروت " واباحته الاجتهاد لنفسه ؟ !!
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني : جمع محمد المخزومي ص ١١١-١١٢ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٩٤١-٩٤٢ .
(٤) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٦٢ - ١٦٣ .

القول بايجاب تقليد المجتهدين في امور الدين وتحريم الاخذ بالدليل فيه - لاشتراطهم فيه استعداد كل مستدل مستقل للتشريع - لا فتياتا على دين الله ونسخا لكتاب الله وشرعا لم يأذن به الله خلاصته تحريم العلم وايجاب الجهل وهذا منتهى الافساد للفطره والعقل وهو اقطع المدى لاوصال الاسلام وافعل المعاول في هدم قواعد الايمان وعله العلل لانتشار البدع التي ذهبت بهداية الدين واستبدلت بها الخرافات ودجل الدجالين "(١).

وقال الاستاذ الامام محمد عبده في تفسير قوله تعالى " وقالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا أو نصارى تلك امانيهم . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين "(٢) " علم القرآن اهله ان يطالبوا الناس بالحجه لأنه أقامهم على سواء المحجه وجدير بصاحب اليقين ان يطالب خصمه به ويدعوه اليه وعلى هذا درج سلف هذه الأمه الصالح قالوا بالدليل وطالبوا بالدليل ونهوا عن الأخذ بشيء من غير دليل ثم جاء الخلف الطالح فحكم بالتقليد وأمر بالتقليد ونهى عن الاستدلال على غير صحة التقليد حتى كأن الاسلام خرج عن حدّه أو انقلب الى ضده وصار الذين يعلمون ان الاسلام امتاز عن سائر الاديان بابطال التقليد وبالمطالبه بالبرهان والدليل وعلّم الناس استقلال الفكر مع المشاوره في الأمر يطالبون المسلمين بالرجوع الى الدليل ويعيبون عليهم الاخذ بقال وقيل ويا ليته كان الاخذ بقال الله وقيل فيما يروى عن رسول الله ولكنه الاخذ بقال فلان وقيل عن علان " ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان "(٣) "(٤) وقال " انظر كيف الحق التقليد اهل الكتاب الذين كانوا على علم بالدين الالهي بالمشركين الذين لا يعلمون منه شيئا ؟ هذا ما فعله التقليد بهم وبمن بعدهم لانه عدو للعلم في كل زمان وكل مكان "(٥).

---

(١) تفسير المنار : السيد محمد رشيد رضا ج ١ ص ١١٤ .
(٢) سورة البقره : الآيه ١١١ .
(٣) سورة النجم : الآيه ٢٣ .
(٤) تفسير المنار : السيد رشيد رضا ج ١ ص ٤٢٥ .
(٥) المرجع السابق : ج ١ ص ٤٣٠ .

وفي تفسير قوله تعالى " اذ تبرأ الذين أتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب "(١) قال الاستاذ محمد عبده :- " لولا ان حيل بين المقلدين وهداية القرآن لكان لهم في هذه الآيه أشد زلزال لجمودهم على اقوال الناس وآرائهم في الدين سواء كانوا من الاحياء أم الميتين وسواء كان التقليد في العقائد والعبادات أم في احكام الحلال والحرام ان كل هذا مما يؤخذ عن الله ورسوله ليس لاحد فيه رأى ولا قول الا ما كان من الاحكام متعلقا بالقضاء "(٢) وقال " في مثل هؤلاء المتبوعين والتابعين نزل قوله تعالى في سورة الاعراف " كلما دخلت أمة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون "(٣) فكل يؤاخذ بعمله فاذا حمل الأول الآخر على رأيه ودعاه الى اتباعه فيه أو في رأى غيره الذى يقلده هو فيه فهو من الائمه المضلين وعليه اثمه ومثل اثم من اضلهم من غير ان ينقص من اثمهم شىء اذ حرم الله عليه اتخاذ الانداد من دون الله فاتخذ وهم "(٢)

وفي تفسير قوله تعالى " فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "(٤) قال محمد عبده " فما جرى عليه المقلدون من المسلمين من الأخذ بآراء بعض الفقهاء في العبادات والحلال والحرام هو عين ما انكره كتاب الله تعالى على اهل الكتاب وجعله منافيا للاسلام بل جعل مخالفتهم فيه هي عين الاسلام . فليعتبر المعتبرون "(٥)

واستميحكم عذرا ان تقبلوا منى دعوة للاستماع الى ما يريده الشيخ محمد عبده من الفقهاء " ثم ان الناس تحدث لهم باختلاف الزمان أمور ووقائع لم ينص عليها

---

(١) سورة البقره الآيه ١٦٦ .
(٢) تفسير المنار : ج ٢ ص ٧٩ .
(٣) سورة الاعراف من الآيتين : ٣٨ - ٣٩ .
(٤) سورة آل عمران : من الآيه : ٦٤ .
(٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٣٢٧ .

في هذه الكتب فهل نوقف سير العالم لاجل كتبهم ؟ هذا لا يستطاع ولذلك اضطر العوام والحكام الى ترك الاحكام الشرعيه ولجؤوا الى غيرها . ان اهل بخاري جوزوا الربا لضروره الوقت عندهم والمصريون قد ابتلوا بهذا فشدد الفقهاء على اغنياء البلاد فصاروا يرون ان الدين ناقص[1] فاضطر الناس الى الاستدانه من الاجانب بارباح فاحشه استنزفت ثروة البلاد وحولتها للاجانب والفقهاء وهم المسئولون عند الله تعالى عن هذا وعن كل ما عليه الناس من مخالفة الشريعه لانه كان يجب عليهم ان يعرفوا حالة العصر والزمان ويطبقوا عليه الاحكام بصورة يمكن للناس اتباعها (أى كاحكام الضرورات) لا انهم يقتصرون على المحافظه على نقوش هذه الكتب ورسومها ويجعلونها كل شيء ويتركون لاجلها كل شيء "[2].

أرأيتم ما يريده الشيخ من الاجتهاد ؟! يريده ان يخضع الاحكام للزمان فينظر في حكم الربا بين المسلمين حتى لا تخرج الاموال الربويه الى الكفار وما يدرينا لعله يأتي يوم يطالب به الفقهاء - بناء على هذا - اباحة بيع المسلمين للخمر حتى لا يحتكره الكفار ، بل يبيح احدهم الفطر في رمضان والغاء شهر الصيام لكون الدوله في حاجه الى اليد العامله وهي لا تستطيع العمل فى نهار رمضان !! اذن فالمعركه الاقتصاديه وضرورتها اباحت الافطار فى شهر رمضان[3].

ثم لندع الشيخ محمد عبده يشرح لنا الطريق لاصلاح الفقه !! قال" اذا

---

(١) أحس السيد رشيد بخطوره هذه العباره فقال وهو ينقل النص من مذكرته "كذا في مذكرتي" تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٩٤٤ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام : السيد رشيد رضا ج ١ ص ٩٤٤ .
(٣) انظر "في سبل السنه الاسلاميه" : محجوب بن ميلاد ص ٤١٢ .

رجعنا الى كتب القرون المتوسطه كالزيلعى [1] نكون قد خطونا خطوه لاصلاح الكتب والفقه ، ومادمنا مقيدين بعبارات هذه الكتب المتداوله ولا نعرف الدين والعلم الا منها فلا نزداد الا جهلا " .

اذن فالخطوه الاولى تبدأ بمراجعه كتب الفقه في القرون المتوسطه وطرح ما بعد ذلك من كتب الفقه !! ما الذى اباح الرجوع الى الزيلعى رحمه الله تعالى وحرم الرجوع الى ابي حنيفه ومالك والشافعى واحمد رحمهم الله تعالى اجمعين ؟ ! انه التخبط ، بل لنقل ما اعترف به بنفسه انه السأم من الاستمرار على المألوف والاندفاع الى طلب شيء غير معروف [2]

وقال السيد رشيد رضا " لا اصلاح الا بدعوه ولا دعوه الا بحجه ولا حجه مع بقاء التقليد فاغلاق باب التقليد الاعمى وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل اصلاح " [3] .

ودعا الشيخ محمود شلتوت الى فتح باب الاجتهاد فقال " وهنا نذكر بالاسف هذه الفكرة الخاطئه الظالمه التى ترى وقف الاجتهاد واغلاق بابه ونؤكد أن نعمة الله على المسلمين بفتح باب الاجتهاد لا يمكن ان تكون عرضه للزوال بكلمه قوم قالوها - أو قال من ينتمون اليهم من ارباب الحكم والسلطه ان يكون في الأمه من يرفع فيها لواء الحريه في الرأى والتفكير " [4] .

وقال الشيخ احمد مصطفى المراغي في تفسير قوله تعالى " واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا .. الآيه " [5] :- " وفي الآيه ارشاد الى منع التقليد لمن قدر على الاجتهاد فاذا اتبع المرء غيره في الدين ممن علم انه على حق كالانبياء والمجتهدين - فهذا ليس بتقليد - بل اتباع لما انزل الله

---

(١) لا ندرى أى زيلعى يريد الشيخ عبده ؟ ! عبد الله بن يوسف الزيلعى صاحب كتاب " نصب الرايه " توفى سنه ٧٦٢هـ - وعثمان بن على الزيلعى صاحب كتاب تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق " توفى سنه ٧٤٣ . وكلاهما رحمهما الله بعد عصر اصحاب المذاهب الاربعه بكثير ، فلا ندرى ايضا لم اباح الرجوع الى عصرهما وذم الرجوع الى من قبلهما .

(٢) انظر تاريخ الاستاذ الامام : السيد رشيد رضا جـ ١ ص ١١ .

(٣) الوحده الاسلاميه : محمد رشيد رضا ص (ز) .

(٤) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٢٠٨ .

(٥) سورة البقره : من الآيه ١٧٠ .

كما قال تعالى " فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون "[1] فأقرب الناس الى معرفة الحق هم الباحثون الذين ينظرون في الدلائل بقصد صحيح فانهم اذا اخطئوا يوما اصابوا في آخر ، وابعدهم عن معرفة الحق المقلدون لانهم قطعوا على انفسهم طريق العلم وسجلوا على عقولهم الحرمان من الفهم وهم لا يوصفون باصابه الصواب لأن المصيب من يعرف ان هذا هو الحق والمقلد انما يعرف ان فلانا قال هذا هو الحق فهو عارف بالقول فقط "[2] .

وقال الشيخ عبد العزيز جاويش " فكل من يعرف لغة القرآن لا ينبغي له بحال ما ان يقلد غيره تقليدا متى قدر على فهمه وفهم الكتب الصحاح في السنه فلم ينسد ولن ينسد باب الاجتهاد برغم أنف من ارادوا ان يحجروا على العقول البشريه ويقيموا عليها أوصياء من الاولين حتى تسير كما ساروا وتقول بما قالوا "[3] .

أما الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر فيقرر " ان الدين في كتاب الله غير الفقه !! وأن من الاسراف في التعبير ان يقال عن الاحكام التى استنبطها الفقهاء وفرعوا عللها واختلفوا فيها وتمسكوا بها حينا ورجعوا عنها حينا انها احكام الدين وان من انكرها فقد انكر شيئا من الدين فانما الدين هو الشريعة التى أوصى الله بها الى الانبياء جميعا أما القوانين المنظمه للتعامل والمحققه للعدل والدافعه للحرج فهى آراء للفقهاء مستمده من اصولها الشرعيه تختلف باختلاف العصور والاستعدادات وتبعا لاختلاف الامم ومقتضيات الحياة فيها وتبعا لاختلاف البيئات والظروف ولو جاز ان يكون الدين هو الفقه مع ما نرى من اختلاف الفقهاء بعضهم مع بعض وتفنيد كل آراء مخالفيه وعدّها باطله لحقّت علينا كلمه الله " ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء "[4] [5].

لعلى انهج هنا ما نهجته عند ذكر بعض النصوص من الاستغناء بعرضها عن التعليق عليها ، ولكنى انتقل هنا فهما آخر يضاف الى ما يفهم من ظاهر هذا

---

(١) سورة النحل من الآيه ٤٣ .

(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٢ ص ٤٥ .

(٣) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ٧٠ .

(٤) سورة الانعام من الآيه ١٥٩ .

(٥) مجلة الرساله العدد ٣٩٦ السنه التاسعه ص ١٢٨ .

النص لكم هو ما فهمه الشيخ مصطفى صبرى رحمه الله تعالى - شيخ الاسلام للدوله العثمانيه سابقا حيث يقول " يحاول الاستاذ الاكبر المراغي بقوله المنقول من قبل ترويج آخر آمال لهم وتمزيق آخر اوصال للاسلام وهو فصل الدين عن الحكومه فقد رام ان يتوسل اليه بفصل الدين عن الفقه وقطع صلته به [1]" فاذا كان الفقه ليس من الدين فليس على الدوله لزاما ان تنظر اليه وأن تأخذ به في نظامها واحكامها وليس للفقهاء المسلمين حق في التدخل في نظام الدوله وهذا هو فصل الدين عن الدوله .

وربط الشيخ مصطفى صبرى بين هذه الدعوى وبين ما دعا اليه على عبد الرازق من فصل الدين عن الدوله مما سبب قطع رابطته بالازهر ويتأكد هذا حينما يطلب الاستاذ الاكبر المراغي اعادة هذه الرابطه المقطوعه (!!) ثم يتعجب الشيخ مصطفى مما جرى للرجلين احدهما يكون شيخا للازهر والثاني يطرد من الازهر والرأى واحد [2] !

وفي تفسير قوله تعالى " أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " [3] وقوله تعالى " ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء " [4] يقول الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر " وقع المسلمون فيما وقع فيه أهل الكتاب من قبلهم تفرقوا في العقائد وتفرقوا في الفروع ولو انهم حكموا قاعدة القرآن وردوا الى الكتاب والسنه من غير تعسف في التأويل لضاقت دائره الخلاف وقد ضلت الأمه الطريق ولعبت بها الاهواء " [5] .

وبعد فان النصوص والشواهد من اقوال الشيخ محمد عبده وتلاميذه الداله على ذم التقليد وفتح باب الاجتهاد كثيرة جدا ليس من السهل وليس هدفنا

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبرى جـ ٤ ص ٣١٤ .
(٢) المرجع السابق : جـ ٤ ص ٣١٩ .
(٣) سورة الشورى : من الآيه ١٣ .
(٤) سورة الانعام من الآيه ١٥٩ .
(٥) مجلة الازهر : المجلد التاسع ص ١٧٣ سنه ١٣٥٧ هـ الدروس الدينيه : محمد مصطفى المراغي .

حصرها ، فلنكتفي بما ذكرنا منها ، ولنعد الحديث بعد هذا ولنذكر بعض اجتهاداتهم بعد اباحتهم الاجتهاد لانفسهم وكأني بأبي الحصين الاسدى رحمه الله تعالى يقصدهم حين قال " ان احدهم ليفتي في المسأله ولو وردت على عمر لجمع لها اهل بدر "(١) .

وعلق الشيخ مصطفى صبرى عند ما علم ان الاستاذ الامام محمد عبده تولى منصب المستشار بمحكمة الاستئناف - وهي تحكم بالقوانين الفرنسيه - ومنصب الافتاء بالديار المصريه علق بقوله " فقال القائلون يومئذ شيخ يفتى هنا بقانون الشرع وهناك بقانون فرانسه وأنا اقول : لا غرو في ذلك فان الشيخ لم يكن من العلماء الجامدين وفوق ذلك فانه مجتهد خوّله اجتهاده ان يجمع بين العمل بالقانون الشرعي والقانون الفرانسي !! "(٢)

اما الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر فقد أمر بتشكيل لجنه تنظيم الاحوال الشخصيه ، أتدرون بماذا أوصاهم ؟ هل أوصاهم بتقوى الله وتحرى الحق فى بحوثهم ودراستهم ! ليته فعل ذلك ، بل ليته أمرهم بالاجتهاد الذى يدعو اليه ولكنه أوصاهم بأمر آخر قال :- ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان وانا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنصّ من المذاهب الاسلامية يطابق ما وضعتم "(٣) !!

هل هذا هو الاجتهاد الذى يدعو اليه ! ان من يفعل هذا لا يعد مجتهدا بل يعد مبتدعا بل زنديقا فقد قالوا " من تخيّر فقد تزندق " أى من تخير ما يوافق هواه من اقوال الفقهاء من هنا وهناك فهو زنديق ، وان من يفعل هذا يريد ان يكيّف النصوص لموافقة المجتمع لا أن يكيف المجتمع لموافقة النصوص ، وهو أخطر من اجتهاد من ليس من اهل الاجتهاد .

---

(١) اعلام الموقعين : ابن القيم جـ ٢ ص ١٦٦ .
(٢) موقف العقل والعلم والعالم من الله رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبرى جـ ٤ ص ٣٥٣ .
(٣) المجددون فى الاسلام : عبد المتعال الصعيدى ص ٥٤٨ والفتح المبين في طبقات الاصوليين : عبد الله مصطفى المراغي جـ ٣ ص ١٩٨ .

وهذا يذكرنا بقول استاذه الافغاني " اذا كان القاضي عياض وامثالـــــه سمحوا لانفسهم ان يخالفوا أقوال من تقدمهم فاستنبطوا وقالوا ما يتفق وزمانهــم فلم لا نستنبط ونقول ما يوافق زماننا "[1].

ويرى الشيخ محمد عبده - مجتهدا - أن " من العجيب ان فقهاء المذاهب الاربعة وربما غيرهم ايضا قالوا ان الصلاة بلا حضور ولا خشوع يحصل بها اداء الفرض ويسقط الطلب ما هذا الكلام انه لباطل ،كل آيه تذكر الصلاة فى القرآن تبطله "[2]

ثم أدّى به اشتراط الخشوع في الصلاة ليحصل بها اداء الفرض الى أمــر آخر صرّح به تلميذه السيد رشيد رضا حيث يقول " وأصرّ مع هذا بأنه كان كثـيرا (!!) ما يجمع بين صلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء حتى في الحضــــر اذا لم يتيسر له صلاة الاولى بالخشوع والحضور الذى يعتقد وجوبه "[3] وصـــرّح في موضع آخر انه " خالف فيه المذاهب الاربعه ولكنه وافق حديثا صحيحا أخذ بـه غيرهم من الائمه "[4].

اذن فالاستاذ الامام يرى ان الخشوع لابد منه في الصلاة ، ولا صحة ولا قبول لصلاة ليس فيها خشوع بل تؤخر فتجمع مع أختها ! وكان يفعل هو هذا كثـــيرا ، لا ادرى ماذا يقول لو لم يتوفر الخشوع عند انسان في صلاة العصـــــر هل يؤخرها الى المغرب ؟ ! واذا لم يتوفر الى العشاء ؟ ! وان مكث أياما يعاني من آلام مرض ينغص عليه الخشوع في الصلاة هل يؤخر تلك الاوقات الى ان يشفــى لانه لابد للصلاة من خشوع ؟ ارأيتم ذلك المريض الذى لم يستطع الصلاة قائما ولا قاعدا ولا على جنبه فصلى بطرفه وهو يعاني آلام المرض الشديد الذى يصعب حضور الخشوع معه هل نقول له ان صلاتك باطله ومردوده عليك غير مقبوله لأنك لم تخشــع فيهـــا ! .

---

(١) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث : احمد أمين ص ١٢١ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام : السيد رشيد رضا جـ ١ ص ٩٤١ .
(٣) المرجع السابق : جـ ١ ص ١٠٤٣ .
(٤) المرجع السابق : جـ ١ ص ٥ .

وقال الشيخ عبده " من اين جاءهم ان ماء الزهر والورد لا يصح الوضوء به ؟ وهل فيه زيادة عن الماء الا شيء من الطيب الذى هو من مقاصد الشريعة ؟ وماء الكولونيا احسن شيء للوضوء فانه يمنع آثار المرض ايضا وكان الشيخ الانبابي يقول بنجاسته لأن فيه سبيرتو ، وهل يوجد شيء مطهر كالسبيرتو؟ والاستدلال على نجاسته باسكاره ضعيف فانه لا يمكن شربه لأنه محرق للجوف - كذلك محلول السليماني من احسن المنقيات والمطهرات الطبيه وشربه قاتل "[1].

وقال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها "[2] الآيه ، قال " وقد استكبر الجمهور خلود القاتل في النار وأوله بعضهم بطول المكث فيها وهذا يفتح باب التأويل لخلود الكفار فيقال ان المراد به طول المكث ايضا "[3].

وكذا في قوله تعالى في وعيد آكلى الربا " ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون "[4] قال السيد رشيد " وما الوعيد هنا الا كالوعيد بالخلود في آيه قتل العمد وليس هناك شبهه على ارادة الاستحلال "[5]. ومن هذا تعرف الى انه يذهب في اجتهاده مذهب المعتزله والخوارج القائلين بخلود اهل الكبائر في النار .

ويرى الشيخ ايضا اباحة التيمم للمسافر حتى مع وجود الماء " ألا ان من اعجب العجب غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصه الصريحه في عبارة القرآن التى هي اظهر واولى من قصر الصلاة وترك الصيام واظهر في رفع الحرج والعسر الثابت بالنص وعليه مدار الاحكام ، واحتمال ربط قوله تعالى " فلم تجدوا ماء "[6] بقوله " وان كنتم مرضى أو على سفر "[6] بعيد بل ممنوع البته كما تقدم على انهم

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : السيد رشيد رضا جـ ١ ص ٩٤١ .
(٢) سورة النساء : من الآيه ٩٣ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ٣٤١ .
(٤) سورة البقره من الآيه ٢٧٥ .
(٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٩٨ .
(٦) سورة النساء من الآيه : ٤٣ .

لا يقولون به في المرضى لان اشتراط فقد الماء في حقهم لا فائده له لان الاصحاء مثلهم فيه فيكون ذكرهم لغوا يتنزه عنه القرآن . ونقول : ان ذكر المسافرين كذلك فان المقيم اذا لم يجد الماء يتيمم بالاجماع فلولا ان السفر سبب للرخصه كالمرض لم يكن لذكره فائده ولذلك عللوه بما هو ضعيف متكلف وما ورد في سبب نزولها من فقد الماء في السفر أو المكث مدة على غير ماء لا ينافي ذلك "[1] .

وفي تفسير قوله تعالى " يأأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفه واتقوا الله لعلكم تفلحون "[2] يرى السيد رشيد ان الربا المحرم هو ما كان اضعافا مضاعفه ويقول " والمراد بالربا فيها ربا الجاهليه المعهود عند المخاطبين عند نزولها لا مطلق المعنى اللغوى الذى هو الزياده فما كل ما يسمى زياده محرم "[3] .

وهذا استجابه من السيد رشيد لدعوه استاذه فيما نقلناه آنفا " ان اهل بخارى جوزوا الربا لضروره الوقت عندهم والمصريون قد ابتلوا بهذا فشدد الفقهاء على اغنياء البلاد فصاروا يرون ان الدين ناقص فاضطر الناس الى الاستدانه من الاجانب بارباح فاحشه استنزفت ثروة البلاد وحولتها للاجانب والفقهاء هم المسئوولون عند الله تعالى عن هذا .. كان يجب عليهم ان يعرفوا حالة العصر والزمان ويطبقوا عليه الاحكام بصوره يمكن للناس اتباعها (!!!) - أى كاحكام الضرورات - لا أنهم يقتصرون على المحافظه على نقوش هذه الكتب ورسومها ويجعلونها كل شيء ويتركون لاجلها كل شيء "[4] .

وهي أيضا استجابه لدعوه استاذهم جميعا الافغاني الذى قال ب" جواز الربا المعقول الذى لا يثقل كاهل المديون ولا يتجاوز في برهة من الزمن رأس المال ويصير اضعافا مضاعفه "[5] .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٥ ص ١٢١ .
(٢) سورة آل عمران : الآيه : ١٣٠ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٤ ص ١٢٣ .
(٤) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا ج ١ ص ٩٤٤ .
(٥) نابغة الشرق جمال الدين الافغاني : محمود ابو ريه ص ٩٨ .

تلكم بعض اجتهادات هؤلاء .. وذلكم ما ادى بهم اليه فتح باب الاجتهاد الى الدرجه التى يريدونها .

وبعـــد

فخلاصه الحديث انه لا خلاف بين المعتدلين من انصار التقليد ، وانصار الاجتهاد .. فكلاهما اباح التقليد للعامي .. وكلاهما اباح الاجتهاد لمن بلغ رتبة الاجتهاد ..

ولكن الاختلاف وقع بين المتطرفين من الفريقين . ممن سد أحدهما بـــاب الاجتهاد واوجب التقليد وحذر الشافعي من تقليد المالكي أو الحنبلي من تقليـــد الحنفي .. ودعا الى اقامة الصلوات في المسجد الواحد بأن يصلى الاحنـــاف أولا ثم الشافعيه ثانيا وهكذا يصلون طوائف لا جماعه واحده .

وذهب الفريق الآخر في التطرف حدا أبعد من هذا ففتح باب الاجتهـــاد ولم يفرق المسلمين الى فرق اربع بل الى ان يكون كل مسلم فرقه بعينه . ووصفـــوا المقلدين بأوصاف الكفره والمشركين وانهم ممن فرقوا دينهم وكانوا شيعا .

وسلك هذا المسلك ارباب المدرسه العقليه الحديثه ، وجعلوا ذم التقليـــد والدعوه الى الاجتهاد أول ما يدعون اليه .

واباحوا لانفسهم الاجتهاد فى مسائل ومشكلات وابدوا فيها آراءهم وسخروا من التقليد والمقلدين .

نسأل الله لنا ولهم الهدايه والتوفيـــــــق ،،،

الاساس الحادى عشر : الاصلاح الاجتماعي

قال عليه السلام " انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق " وما انزل القرآن الكريم الا لنفس الهدف الذى بعث له محمد عليه الصلاة والسلام . لذا نرى الترابط التام بين هذا وذاك فقد كان القرآن خلقه صلى الله عليه وسلم .

اذن فلا عجب ان يحتوى القرآن الكريم على المثل العليا لبناء المجتمع السليم ، فكان الميزان الصادق للامه الاسلاميه يحفظ سلطانها وتشتد هيبتها بين الامم بقدر ما تأخذ من مثله . فحينما قال الحاكم " والله لو عثرت شاة فى العراق لخشيت الله ان يسألنى عنها لم لم أمهد لها الطريق ؟ وقال المحكوم " يا أمتاه ان كان عمر لا يعلم فاله عمر يعلم والله ما كنت لأطيعه فى الملأ واعصيه في الخلاء "[1] وقال راعي الغنم عن ايمان صادق كلمه لا زالت تجلجل في الفضاء تعلن مثالية الأمانه قال :- فأين الله ؟![2] وقال آخر فى مرض موته ان أنا مت فزوجوا بنتى لفلان فانــي

---

(١) وخلاصه القصه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج ذات ليلة الى اسواق المدينه وطرقاتها يعس ولما أحس بالتعب اتكأ على جدار ليستريح واذا بصوت امرأه تقول لابنتها قومى الى ذاك اللبن فامذقيه (أى اخلطيه) بالماء ، وكان عمر قد نهى عن مذق اللبن بالماء فقالت ابنتها يا أمتاه أو ما علمت عزمه أمير المؤمنين ؟ فاجابت الام انه بموضع لا يراك عمر ولا منادى عمر فقالت الفتاة يا أمتاه ان كان عمر لا يعلم فاله عمر يعلم والله ما كنت لاطيعه فى الملاء واعصيه فى الخلاء ، وعمر يسمع ذلك كله ثم خطب الفتاه لابنه عاصم فولدت منه بنتا هي أم عاصم فتزوجها عبد العزيز بن مروان فأتت بعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه (اخبار عمر وأخبار ابن عمر ص ٣٩٩-٤٠٠ على الطنطاوى وناجى الطنطاوى) .

(٢) خلاصه القصه ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مرّ براعي غنم وهو عبد اسود صغير السن فأراد ابن عمر ان يختبر أمانته وسأله ان يبيعه شاه من الغنم فأجاب الغلام انها ليست له وانها لمولاه فقال ابن عمر اذا سألك مولاك عنها قل له اكلها الذئب فمضى الراعي وهو يقول رافعا اصبعه الى السماء : فأين الله ! ؟ فلم يزل ابن عمر يقول فأين الله ؟ وبعث الى سيد الراعي والغنم واشتراهما منه واعتق الغلام ووهبه الغنم " أخبار ابن عمر ص ٤٨٧- ٤٨٨ " على الطنطاوى وناجى الطنطاوى .

اعطيته شبه وعد " فكانت مثال الوفاء ووقع الايثار في اسمى معانيه في الرمق الاخير بين ثلاثة شهداء كل منهم يؤثر الآخر على نفسه بشربة ماء الى ان ماتوا جميعا .

حينما كانت هذه المثل القرآنيه سائده في المجتمع قويت شوكه المسلمين واتسعت دولتهم حتى قال حاكم من حكامهم يخاطب سحابه " ايتها السحابه امطري حيث شئت فان خراجك سيأتي اليّ "

ثم ما الذي حدث بعد هذا ؟ ! تخلّى المسلمون شيئا فشيئا عن تلك المثل القرآنيه العليا فتساقطت دولهم واحده بعد الاخرى وعم الجهل وفشت البدع والمنكرات وكثر الفساد وقل الناصح وندر المصلح . والقرآن هو القرآن لا زال يزخر بكنوزه ويدعو الناس اليها ولكن الناس كانوا في غفله وكان حجاب الشهوات يضرب اطنابه لحجب تلك الكنوز .

فكان لا بد لمن يتناول تفسير القرآن الكريم ان يوضح للناس تلك الأخلاق الساميه والصفات الحميده التي يجب ان يتحلى بها المسلمون ، ويكشف لهم ما يخالفها مما هم عليه من البدع والمنكرات ، ويشرح لكل فرد من افراد الأمه حقوقه التي شرعها الله له في القرآن الكريم ، ويقرن هذا البيان القرآني بالبيان النبوي ليتضح المعنى وتتحدد الاهداف .

حاول رجال هذه المدرسه العقليه تطبيق هذا المنهج فحذروا من كثير من البدع والمنكرات السائده ، وعالجوا بعض القضايا الاجتماعيه بروح المفسر المصري بحسناته وسيئاته ولوضوح هذا المنهج في تفاسيرهم التصق بهم فاطلق عليهم ضمن ما عرفوا به اسم المدرسه الاجتماعيه .

دعوا الناس الى التفطن لما في القرآن من الفضائل والابتعاد عن فلسفه الشعوبيين وآدابها أو التنازع في زينه الدنيا وسلطانها " يقرأ كثير من الناس هذه السوره - يعني سورة هود - فلا يكادون يفطنون لما فيها من بيان فضائل الرسل والمؤمنين التي يجب التأسي بها ومساوىء الكفار التي يجب تطهير الانفس منها ،

فمن قرأ منهم تفسيرها في اكثر كتب التفسير المتداوله كانت اشغل شاغل له عن ذلك بمباحث الفنون العربيه والمجادلات الكلاميه ، والاساطير الاسرائيليه ومن يهمه العلم الذى يعينه على تهذيب نفسه صار يطلبه من الاخلاق والادب والتصوف دون القرآن ؛ وهو هو الذى قلب طباع الأمه العربيه كلها وزكى انفسها وسودها على بدو العالم وحضره منذ الجيل الاول من اسلامها ؛ الى ان اعرضوا عن هدايته وأدبه اشتغالا بفلسفه الشعوبيه وآدابها أو تنازعا في زينة الدنيا وسلطانها ؛ فكانوا يبعدون عن الحق والعدل والفضل والسياده بقدر ما يبعدون عن هداية القرآن فيها "(١)

الوحده الاسلاميه :-

واشتهرت عنهم الدعوه الى الوحده الاسلاميه ، بل ان المقصد السياسي للسيد جمال الدين " الذى وجه اليه افكاره واخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته هو انهاض دولة اسلاميه من ضعفها وتنبيهها للقيام على شئونها حتى تلحق الأمه بالامم العزيزه والدولة بالدول القويه فيعود للاسلام شأنه "(٢).

وتحدثت مجلة العروة الوثقى عن حال المسلمين أولا ثم قالت " ذلك شأنهم الاول وهذا وصفهم الآن . ولكنهم مع هذا كله وقفوا في سيرهم بل تأخروا عن غيرهم في المعارف والصنائع بعد ان كانوا فيها اساتذه العالم واخذت ممالكهم تنقص اطرافها وتتمزق حواشيها مع ان دينهم يرسم عليهم ان لا يدينوا لسلطه من يخالفهم بل الركن الاعظم لدينهم طرح ولايه الاجنبى عنهم وكشفها عن ديارهم بل منازعه كل ذى شوكه في شوكته هل نسوا وعد الله لهم بأن يرثوا الارض وهم العباد الصالحون ؟ هل غفلوا عن تكفل الله لهم باظهار شأنهم على سائر الشؤون ولو كره المجرمون ؟ هل سهوا عن ان الله اشترى منهم لاعلاء كلمته انفسهم واموالهم بأن لهم الجنه ؟ ... الاتفاق والتضافر على تعزيز الولايه الاسلاميه من أشد اركان الديانه المحمديه

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا ج ١٢ ص ٢١٨ .
(٢) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٤ .

والاعتقاد به من اوليات العقائد عند المسلمين لا يحتاجون فيه الى استاذ يعلم ولا كتاب يثبت ولا رسائل تنتشر ان رعاة المسلمين فضلا عمن علاهم تتصاعد زفراتهم وتفيض اعينهم من الدمع حزنا وبكاءا على ما اصاب ملتهم من تفرق الآراء وتضارب الاهواء ... فما الذى اقعدنا عن مشاكله غيرنا فيما هو أيسر الاشياء علينا ونحن أشد الناس ميلا اليه من رعاية شرف المله والتألم بما يحط منه والتعاون على صون الوحده الجامعه لنا عن كل ما يثلمها "(١) .

وفي تفسير قوله تعالى " واتقوا فتنه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصه واعلموا ان الله شديد العقاب "(٢) يقول الشيخ محمد مصطفى المراغي " واشد هذه الانواع الفتن المليه والقوميه التى تقع بين الامم عند التنازع على المصالح العامه من السياده والملك وعند التنازع في السياسه على الحكم وقد تحصل تبعا لذلك فرقة في الدين والشريعه حيث يتخذ الدين وسيله للفوز والغلب ، وقد طالب الله سبحانه المؤمنين ان يحذروا هذه المعاصي الظاهره وبخاصه ما كان عاما منها وما يوجد الفرقه بين الأمه ويصدع وحدة الجماعه سواء أكانت الوحدة في العقيده أو العمل أو في السياسه وقواعد الاجتماع لأن الفرقة في ذلك كله تضيع الجهود وتذهب القوه وتطمع الاعداء في المسلمين حتى ينتهى أمرهم الى الضعف والوهن وينتهى أمرهم بتسلط الاعداء عليهم "(٣) .

ونصوص دعوتهم الى الوحده الاسلاميه كثيرة جدا .. ولكن .. مهلا .. ما مفهوم الوحده عندهم ؟ وما مفهوم " الاسلاميه " عندهم ايضا ؟

أما مفهوم الوحده فتوضحه مجلة العروه الوثقى " لا التمس بقولي هذا ان يكون مالك الأمر في الجميع شخصا واحدا فان هذا ربما كان عسيرا ولكني ارجو ان يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده

(١) مجله العروه الوثقي ص ١٠٩ ، ١١١ .
(٢) سورة الانفال آيه ٢٥ .
(٣) الدروس الدينيه لسنه ١٣٥٧هـ - : للشيخ محمد مصطفى المراغي ص ٢٥ .

لحفظ الآخر ما استطاع فان حياته بحياته وبقاءه ببقائه الا ان هذا بعد كونه اساسا لدينهم تقضي به الضروره وتحكم به الحاجه في هذه الاوقات "[١].

أما " الاسلاميه " فيوضحها الشيخ احمد المراغي في تفسيره لقوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا "[٢] فيقول " ... دعا الترك الى العصبيه التركيه والمصريون الى الجنسيه المصريه والعراقيون الى الجنسيه العراقيه ظنا منهم ان ذلك مما ينهض بالوطن ، وليس الأمر كما يظنون فان الوطن لا يرقى الا باتحاد كل المقيمين فيه لاحيائه لا في تفرقهم ووقوع الشحناء والبغضاء بينهم ، فالدين يأمر باتحاد كل قوم تضمهم أرض واحده وان اختلفت ادياتهم واجناسهم (!!) ويأمر بالاعتصام بحبل الله المتين بين جميع الاقوام "[٣].

اذن فهم يطلقون الوحده الاسلاميه على " الاتحاد الشرقي " بمختلف دياناته واجناسه ولا يحتاج هذا الى اجتهاد مجتهد في ادراك ما يقصدون بل هو صريح في عباره السيد رشيد رضا حيث يقول" وقد اشتبه على بعض الناس أمر اللهجه الاسلاميه في جريده العروة الوثقى وظنوا ان خدمتها خاصه بالمسلمين فأزالا - يعني الافغاني وعبده - هذه الشبهه بعباره نشرت في العدد الثامن وهذا نصها " لا يظن احد من الناس ان جريدتنا هذه بتخصيصها المسلمين بالذكر احيانا ومدافعتها عن حقوقهم تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم في اوطانهم .. ليس هذا من شأننا ولا يبيحه ديننا .. ولكن الغرض تحذير الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا من تطاول الاجانب عليهم والافساد في بلادهم وقد نخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب في الاقطار التي غدر بها الاجنبيون وأذلوا اهلها اجمعين "[٤].

---

(١) مجلة العروة الوثقى : ص ١١٢ .
(٢) سورة آل عمران من الآيه : ١٠٣ .
(٣) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٤ ص ١٧ .
(٤) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا جـ ١ ص ٢٨٩ .

وقال الاستاذ عثمان امين " ان الجامعه التى كان ينشدها الافغاني ومحمد عبده في أواخر القرن الماضى ليست هي الجامعه الاسلاميه كما توهم بعض الكتاب الغربيين وانما هي في صميمها " الجامعه الشرقيه "[١]

ويعلق السيد رشيد رضا على كلمة للافغاني بقوله " هذا تنبيه لوجوب تأليف جامعه شرقيه لمقاومة الاستعمار الغربي ولم يفكر فيه أحد قبله "[٢].

تلكم دعوة من دعواتهم لاصلاح المجتمع الاسلامي كنّا وكان غيرنا يحسبها دعوة اسلاميه خالصه لاعاده وحده المسلمين فاذا بها تدعونا للاستعانه بالمشركين على الكافرين ونحن لا نستعين بمشرك !

الحريه :

ولسنا نعنى بالحريه العريه هنا كما يفهمها الغربيون واذنابهم عندنا ، فتلك حرية كانت في صميمها تحررا من سلطان ورجال الكنيسه فى العصور الوسطى ومن سلطان الاقطاعيين وسلطان الفكر الصورى الاجوف وسلطان التقليد الاعمى الذى ما انزل الله به من سلطان .. تلكم هي الحريه عندهم وذلكم هو مفهومها لديهم نقلها الى العالم الاسلامي طائفه من أذناب الاستعمار من غير تشخيص لدائه ومن غير ان تكون لديه الحاله نفسها التى لدى الغرب فتولد من هذا ان ارتبط مفهوم الحريه عند طائفه من المسلمين بالتحرر من الدين فقالوا ان الدين شىء والسياسه شىء آخر وفصلوا بين الدين والدوله . فتلك الحريه نتاج ثقافه وفكر لا وجود له فى الاسلام .. اذن فليست تلك الحريه من مقاصد الاسلام فمفهوم الحريه فى الاسلام لا يغرى بالهجوم على الدين لانه ينبع من الدين اذن فللحريه[٣] مفهوم آخر فى الدين الاسلامي .

---

(١) مجلة العربي الكويتيه العدد ٤٢ ص ٧٣ مقال " العروة الوثقى " للدكتور عثمان أمين .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا ج ١ ص ٢٩٢ .

(٣) انظر : الفكر الدينى في مواجهة العصر : عفت الشرقاوى : ص ١٤٠ - ١٤١ .

حريه سياسـيه :

فشرع الشورى قال السيد رشيد رضا في تفسير قوله تعالى : "وشاورهم في الأمر"(١) " وشاورهم في الأمر العام الذى هو سياسه الأمه في الحرب والسلم والخوف والأمن وغير ذلك من مصالحهم الدنيويه أى دم على المشاوره وواظب عليها كما فعلت قبل الحرب في هذه الواقعه (غزوه احد) وان أخطأوا الرأى فيها فان الخير كل الخير في تربيتهم على المشاوره بالعمل دون العمل برأى الرئيس وان كان صوابا لما في ذلك من النفع لهم في مستقبل حكومتهم ان أقاموا هذا الركن العظيم " المشاوره " فان الجمهور أبعد عن الخطأ من الفرد في الأكثر والخطر على الأمه في تفويض أمرها الى الرجل الواحد أشد واكبر قال الاستاذ الامام ليس من السهل ان يشاور الانسان ولا أن يشير واذا كان المستشارون كثارا كثر النزاع وتشعب الرأى ولهذه الصعوبه والوعوره أمر الله تعالى نبيه أن يقرر سنه المشاوره في هذه الأمه بالعمل فكان صلى الله عليه وسلم يستشير اصحابه بغاية اللطف ويصغى الى كل قول ويرجع عن رأيه الى رأيهم "(٢) .

ويعلل عدم وضع الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة ونظاما للشورى بحكم واسباب منها :-

أ - ان هذا الأمر يختلف باختلاف احوال الأمه الاجتماعيه في الزمان والمكان .

ب - ان النبى صلى الله عليه وسلم لو وضع قواعد مؤقته للشورى بحسب حاجة ذلك الزمن لاتخذها المسلمون دينا وحاولوا العمل بها في كل زمان ومكان وما هي من أمر الدين .

جـ - ومنها انه لو وضع تلك القواعد من نفسه عليه الصلاة والسلام لكان غير عامل بالشورى وذلك محال في حقه لأنه معصوم من مخالفة أمر الله ولو وضعها

---

(١) سورة آل عمران من الآيه : ١٥٩ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

بمشاوره من معه من المسلمين لقرر فيها رأى الاكثرين منهم كما فعل في الخروج الى أحد وقد تقدم ان رأى الاكثرين كان خطأ ومخالفا لرأيه صلى الله عليه وسلم ، أليس تركها للأمه تقرر في كل زمان ما يؤهلها له استعداد ما هو الاحكم ؟ [١].

وحريه من العبوديه لغير الله :-

فالاصل في الانسان حريته من العبوديه الا لله سبحانه وتعالى ، وهذا يذكرنا بقول عمر رضي الله عنه مستنكرا " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " .

ولذلك حث الاسلام على العتق وتحرير الأرقاء قال الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى :- " فلا اقتحم العقبه وما ادراك ما العقبه فك رقبه " [٢] " وفك الرقبه عتقها أو المعاونه عليه وقد ورد في فضل العتق ما بلغ معناه حد التواتر فضلا عما ورد في الكتاب وهو يرشد الى ميل الاسلام الى الحريه وجفوته للاسر والعبوديه " [٣].

وفي تفسير قوله تعالى " وفي الرقاب " [٤] قال السيد رشيد " وفي جعل هذا النوع من البذل حقا واجبا في اموال المسلمين دليل على رغبة الشريعة في فك الرقاب واعتبارها ان الانسان خلق ليكون حرا الا في احوال عارضه تقضي المصلحة العامة فيها ان يكون الاسير رقيقا " [٥].

حرية الفكر والعقيدة :

قال تعالى " لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " [٦] قال في تفسيرها الشيخ محمد عبده " كان معهودا عند بعض الملل لاسيما النصارى حمل الناس على الدخول في دينهم بالاكراه وهذه المسأله الصق بالسياسه منها بالدين

(١) انظر تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .
(٢) سورة البلد : الآيات ١١ - ١٣ .
(٣) تفسير جزء عم : محمد عبده : ص : ٨٩ .
(٤) سورة البقره من الآيه : ١٧٧ .
(٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ١١٦ .
(٦) سوره البقره : من الآيه : ٢٥٦ .

لأن الايمان وهو اصل الدين وجوهره عبارة عن اذعان النفس ويستحيل ان يكون الاذعان بالالزام والاكراه وانما يكون بالبيان والبرهان ولذلك قال تعالى بعد نفي الاكراه " قد تبين الرشد من الغي "[1].

وقال السيد رشيد " ولكن قد يرد علينا اننا قد أمرنا بالقتال .. "

ويجيب على هذا " ان الاكراه ممنوع وان العمده في دعوة الدين بيانه حتى يتبين الرشد من الغي وان الناس مخيرون بعد ذلك في قبوله وتركه شرع القتال لتأمين الدعوه ولكف شر الكافرين عن المؤمنين لكيلا يزعزعوا ضعيفهم قبل ان تتمكن الهداية من قلبه ويقهروا قويهم بفتنته عن دينه كما كانوا يفعلون في مكه جهرا ولذلك قال " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدين لله "[2] "[3]

وقال محمد عبده " لا اكراه في الدين قاعدة كبرى من قواعد دين الاسلام وركن عظيم من اركان سياسته فهو لا يجيز اكراه أحد على الدخول فيه ولا يسمح لاحد ان يكره أحدا من اهله على الخروج منه وانما نكون متمكنين من اقامة هذا الركن وحفظ هذه القاعده اذا كنا اصحاب قوة ومنعه نحمي بها ديننا وانفسنا ممن يحاول فتنتنا في ديننا اعتداء علينا بما هو آمن ان نعتدى بمثله عليه اذا أمرنا ان ندعوا الى سبيل ربنا بالحكمه والموعظه الحسنه .. فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار أي أنه ليس من جوهره ومقاصده وانما هو سياج له وجنه فهو أمر سياسي لازم له للضروره "[3].

ويتصل بحرية العقيده حرية الجدل الديني وقد أباحه الاسلام ما دام عماده الاقناع الكريم والمنطق السليم[4] وقد فسر الاستاذ محمد فريد وجدى قوله تعالى " ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم "[5] بقوله

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٣٧ .
(٢) سورة البقره من الآيه : ١٩٣ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٣٩ .
(٤) الفكر الديني في مواجهة العصر : عفت الشرقاوى ص ١٦٣ .
(٥) سورة العنكبوت : من الآيه ٤٦ .

" ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالخصله التى هي أحسن الخصال كمقابله خشونتهم باللين وشغبهم بالنصح الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء "[1] .

اصلاح العقائد وتنقيتها مما طرأ عليها من البدع والمنكرات :-

وقد كان هذا الهدف بارزا في تفاسيرهم فكثيرا ما تعرضوا لنقد ما وقع في المجتمعات الاسلاميه حينذاك في عقائدهم من عقائد باطله اعتقدوها في الاسلام من تقديس للاولياء ولزوم للمقابر ودعاء وذبح لغير الله ومما طرأ على بعض المعتقدات الاسلاميه من تحريف كعقيده الايمان بالقضاء والقدر .

دافع الافغاني عن الاعتقاد بها فقال " كثر فيها لغط المغفلين من الافرنج وظنوا بها الظنون وزعموا أنها ما تمكنت من نفوس قوم الا وسلبتهم الهمه والقوه وحكمت فيهم الضعف والضعه . واعتقد هؤلاء الافرنج انه لا فرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر وبين الاعتقاد بمذهب الجبريه القائلين بأن الانسان مجبور محض في جميع أفعاله وتوهموا أن المسلمين بعقيدة القضاء يرون انفسهم كالريشه المعلقه في الهواء تقلّبها الرياح كيف ما تميل .. هكذا ظنت طائفه من الافرنج وذهب مذهبها كثيرون من ضعفاء العقول في المشرق ولست أخشى ان اقول كذب الظان وأخطأ الوهم وبطل الزاعم وافتروا على الله والمسلمين كذبا - لا يوجد مسلم في هذا الوقت من سني وشيعي وزيدى واسماعيلي ووهابي وخارجي يرى مذهب الجبر المحض ويعتقد سلب الاختيار عن نفسه بالمره .

الاعتقاد بالقضاء والقدر اذا تجرّد عن شناعه الجبر يتبعه صفة الجرأه والاقدام وخلق الشجاعه والبساله ويبعث على اقتحام المهالك التى توجف لهما قلوب الاسود وتنشق منها مرائر النمور هذا الاعتقاد يطبع الانفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعه الاهوال ويحليها بحلى الجود والسخاء ويدعوها الى الخروج من كل ما يعز عليها بل يحملها على بذل الارواح والتخلي عن نضرة الحياة كل هذا في سبيل الحق الذى قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيده .

(١) المصحف المفسر : محمد فريد وجدى ص ٥٣٧ .

امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد ... " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم "(1) .

اندفع المسلمون فى اوائل نشأتهم الى الممالك والامصار يفتحونها ويتسلطون عليها فادهشوا العقول وحيروا الالباب بما دوّخوا الدول وقهروا الامم ... أرغموا الملوك واذلوا القياصره والاكاسره فى مدة لا تتجاوز ثمانين سنة ان هذا ليعد من خوارق العادات وعظائم المعجزات .. وما كان قائدهم وسائقهم الى جميع هذا الا الاعتقاد بالقضاء والقدر .

أما ما زعموه فى المسلمين من الانحطاط والتأخر فليس منشأه هذه العقيدة ولا غيرها من العقائد الاسلاميه ونسبته اليها كنسبة النقيض الى نقيضه بل أشبه ما يكون بنسبة الحراره الى الثلج والبروده الى النار . نعم حدث للمسلمين بعد نشأتهم نشوة من الظفر وثمل من العز والغلب وفاجأهم وهم على تلك الحال صدمتان قويتان صدمة من طرف الشرق وهي غاره التتر من جنكيز خان واحفاده وصدمه من جهة الغرب وهي زحف الامم الاوربيه بأسرها على ديارهم وان الصدمه فى حال النشوه تذهب بالرأى وتوجب الدهشه والسبات بحكم الطبيعه وبعد ذلك تداولتهم حكومات متنوعه ووسد الأمر فيهم الى غير أهله وولي على امورهم من لا يحسن سياستها فكان حكامهم وأمراؤهم من جراثيم الفساد فى اخلاقهم وطباعهم وكانوا مجلبه لشقائهم وبلائهم فتمكن الضعف من نفوسهم "(2) .

وحذر رجال المدرسه العقليه المسلمين مما وقع فيه اكثرهم من البدع والمنكرات كتقديس الاولياء والذبح عند قبورهم ودعائهم لهم واستغاثتهم واستعانتهم بهم ففى قوله تعالى " فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد

---

(1) سورة آل عمران : الآيتين ١٧٣ و ١٧٤ .

(2) جريده العروه الوثقى : بتلخيص من الصفحات ٩٠ - ٩٧ .

فى الأرض"[1] قال السيد رشيد " .. ان الصالحين المصلحين فى الارض هم الذين يحفظ الله بهم الامم من الهلاك ماداموا يطاعون فيها بحسب سنه الله .. وقد فهم الوعاظ والفقهاء من خلفنا الجاهل خلاف ما كان يفهمه السلف الصالح من بركه الصالحين المتقدمين وحفظ الله الامم بهم فظنوا ان المراد بهم الذين يكثرون من الصيام والقيام وقرآءه الاوراد والاحزاب .. كلا ان من اصحاب الاوراد من يقوم ليله بورد من تشريع مبتدع هو به عاص لله تعالى لعباد ته بغير ما شرعه فكان مما قال فيهم " أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمه الفصل لقضي بينهم "[2] أى بهلاكهم وفي الحديث " رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر "[3] كم من مصل هو مصداق لحديث " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعدا "[4] وكذا كان دراويش مهدى السودان وامثالهم من المسلمين الجاهلين لهداية القرآن فنكل بهم الأفرنج بمساعدة الفاسقين من المسلمين واستولوا على بلادهم وقد علمنا من اخبار المهدى انه كان على علم وبصيرة فى صلاحه ولكن قواده لم يكونوا بعده مثله وصلاح دراويشه لا بصيره فيه ولا علم "[5].

وفي قوله تعالى " وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شىء "[6] الآيه يقول السيد رشيد رضا " .. فاذا قيل لهم ان اصله الغلو فى الصالحين ولا سيما الميتين منهم واعتقاد تصرفهم في الكون ودعاؤهم فى طلب النفع ودفع الضر وان مثله أو منه ما كان يحكى عن مسلمي بخارى ان شاه نقشبند هو الحامي لها فلن تستطيع الدولة الروسيه الاستيلاء عليها . وما كان يحكى عن مسلمى المغرب الاقصى من حماية مولاى ادريس لفاس وسائر المغرب ان تستولي عليها فرانسه انكروا على القائل ان هذا

(١) سورة هود من الآيه : ١١٦ .
(٢) سورة الشورى من الآيه : ٢١ .
(٣) قال السيد رشيد معلقا " رواه ابن ماجه بهذا اللفظ واحمد والحاكم بتقديم وتأخير " .
(٤) قال السيد معلقا " رواه احمد فى الزهد عن ابن مسعود موقوفا وابن جرير عن مرفوعا " .
(٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
(٦) سورة هود : من الآيه : ١٠١ .

كذلك وقالوا انما هو توسل بجاه الاولياء عند الله وليس من المنكر ان يدفعوها بكراماتهم فكرامه الاموات ثابته كالاحياء وقد بينا لهم جهلهم هذا بتبدل الاسماء ومخالفته لكتاب الله تعالى وسنه رسوله وسيرة السلف الصالح من الأمه في فتوحاتهم وتأسيس ملكهم وحفظه وخصصنا اخواننا اهل المغرب الاقصى بالانذار منذ أنشىء المنار وارشدناهم الى تنظيم قواتهم الدفاعيه العسكريه وطلب الضباط له من الدوله العثمانيه والى العلوم والفنون المرشده الى القوه والثروه والنظام والا ذهبت بلادهم من ايديهم قطعا فقال المفوون لهم من اهل الطرائق القدد بلسان حالهم أو مقالهم ان صاحب المنار معتزلي منكر لكرامات الاولياء وما هو بمعتزلي ولا اشعرى بل هو قرآني سنى . وها هي ذى فرانسه استولت على بلادهم كما انذرهم وظهر ان اكبر مشايخ الطريق نفوذا ودعوى للكرامات بالباطل كالتجانيه كانوا ومازالوا من خدمه فرانسه وساعديها على فتح البلاد واستعباد اهلها أو اخراجهم من دين الاسلام الى الالحاد أو النصرانيه من حيث يدرون أو لا يدرون .

يجهل أمثال هؤلاء وغيرهم من الذين يظنون ان الشرك بالله تعالى خاص بعبادة الاصنام والاوثان أن اصل هذا الشرك هو الغلو فى تعظيم الصالحين والتبرك أو التوسل باشخاصهم لابطال سنن الله .

واكبر مصائب الاسلام ان افتتان المسلمين بالصالحين الذين اتبعوا فيه سنن من قبلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع كما اخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قد كان سببا لالحاد فريق كبير من الذين يتعلمون علوم العصر ومنها سنن الخلق والاجتماع ومروقهم من الدين باعتقادهم ان الاسلام دين خرافي هو الذى اضاع ملك المسلمين "[1]

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١٢ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

وفى قوله تعالى " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا "[١] يجمل لنا السيد رشيد رضا تفسير استاذه محمد عبده فيقول " ثم ذكر أن هذا الشرك قد فشا في المسلمين اليوم وأورد شواهد على ذلك عن المعتقدين الغالين في البدوى " شيخ العرب " والدسوقي وغيرهما لا تحتمل التأويل وبيّن أن الذين يؤولون لامثال هؤلاء انما يتكلفون الاعتذار لهم لزحزحتهم عن شرك جلي واضح الى شرك أقل منه جلاء ووضوحا ولكنه شرك ظاهر على كل حال وليس هو من الشرك الخفي الذى وردت الاحاديث بالاستعاذه منه الذى لا يكاد يسلم منه الا الصديقون "[٢] .

وفي تفسير قوله تعالى " وقالوا لا تذرن ءالهتكم ولا تذرن ودّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا "[٣] يتحدث الاستاذ عبد القادر المغربي عن نشأة الوثنيه ثم يقول " ومن تأمل ما قلناه في مناشىء ظهور الوثنيه فى البشر فهم السر في كون الدين الاسلامي يحرم اقامة الصور ونصب التماثيل وتشييد القبور وتجصيصها على رمم العظماء وفى حديث على رضى الله عنه " ارسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي لا تدع صنما الا طمسته ولا قبرا الا سويته "[٤] فان الوثنين كانوا يتخذون من مواثل القبور والاصنام ذكرى لرجالهم الصالحين وليست ذكراهم لهم ذكرى عظه واعتبار وانما هي ذكرى استمداد اسرار واقتباس انوار واستغراق واستحضار واسترزاق واستمطار والتماس منافع واستكفاء أضرار فسدّ دين الاسلام الذريعه بتحريم هذه المواثل خشية ان تسترهب ضعفاء العقول وتستهويهم ومن مزالق الوثنيه تقربهم وتدنيهم فلله الاسلام ما اعدله فيما شرع وحكم وما اوضح نهجه فيما خط لنا من الهدايه ورسم "[٥] .

---

(١) سورة النساء من الآيه : ٣٦ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ٥ ص ٨٣ .
(٣) سورة نوح الآيه : ٢٣ .
(٤) رواه احمد ومسلم وابو داود ولكن بلفظ " .. أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته " .
(٥) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٦٢ .

ويستدل الشيخ احمد المراغي بقوله تعالى " ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين "(١) على " أن سماع هذا الوعيد واشباهه يوجب على المؤمن ان يفكر طويلا ويتأمل فيما وصل اليه حال المسلمين اليوم وكيف أن علماءهم يجارون العامه في بدعهم وضلالاتهم وهم يعترفون ببعدها عن الدين ولا يكون لهم وازع من نواهيه وقوارعه الشديده وزواجره التي تخر لها الجبال سجدا "(٢)

وقال الشيخ محمد عبده في نفس الآيه " نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه من القارئين ولا نزد جرعن اتباع اهواء الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم حتى انك ترى الذين يشكون من هذه البدع والاهواء ويعترفون ببعدها عن الدين يجارون اهلها عليها ويمازجونهم فيها واذا قيل لهم في ذلك قالوا ماذا نعمل ؟ ما في اليد حيله ، العامه عمى ، آخر زمان . وامثال هذه الكلمات هي جيوش الباطل تؤيده وتمكنه في الارض حتى يحل بأهله البلاء ويكونون من الهالكين "(٣) .

ومع هذا التحذير الشديد من رجال المدرسه العقليه لهذا النوع من المعتقد الزائف الباطل الا أنّا نرى زعيم هذه المدرسه الاول السيد جمال الدين الافغاني يقع منه هذا الفكر المنكر " وهي المصيبه الاعظم " ويستغل هذا المنكر أبشع استغلال فقد لجأ الى مقام عبد العظيم خوفا من ناصر الدين شاه ويثير في العوام الحميه لهذا المعتقد الباطل بالانتقام من ناصر الدين شاه " وأما قصتي وما فعله هذا الكنود الظلوم معي فما يفتّت اكباد اهل الايمان ويقطع قلوب ذوى الايقان ويقضي بالدهشه على اهل الكفر وعبادة الاوثان . ان ذلك اللئيم أمر بسجني وانا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السلام "(٤) ويصف هذا المقام بأنه " حرم

---

(١) سوره البقره من الآيه : ١٤٥ .
(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٢ ص ١٢ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ١٨ - ١٩ .
(٤) نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغاني : سعيد الافغاني : ص ٧٧ .

من دخله كان آمنا " [1] بل ويحاول ان يظهر بمظهر القداسة أمام العوام ولو كان بالكذب والخداع حكى عنه سعد زغلول أنه ذكر لهم انه كان فى سفينه خيف عليها الغرق فرأى في الركاب خوفا فأكد لهم أن السفينه لن تغرق ثم قال " لو غرقت السفينه لم اجد منهم أحدا يكذبنى وان سلمت ظهرت بالقداسه من أقرب سبيل [2] "

فهل تتفق هذه الافعال مع دعوتهم الى - ترك البدع والمنكرات والاستعانة والاستغاثه بالاموات !

الاصلاح التعليمى والتربوى :-

لاشك ان دين الاسلام اعطى العلم من الاهميه والمكانه ما لم ينله من أى دين سواه ومنزله العلم فى الاسلام من الوضوح بحيث لا تحتاج الى شرح وبيان قال رشيد رضا " عظم القرآن شأن العلم تعظيما لا تعلوه عظمة أخرى بقوله تعالى " شهد الله انه لا اله الا هو والملائكه وأولوا العلم قائما بالقسط " [3] الآيه فبدأ عز وجل بنفسه وثنى بملائكته وجعل أولي العلم فى المرتبه الثالثه ويدخل فيها الانبياء والحكماء ومن دونهم من اهل الدرجات في قوله " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " [4] وأمر اكرم رسله واعلمهم بأن يدعوه بقوله " وقل رب زدني علما " [5] " [6]

عرف رجال هذه المدرسه منزلة العلم فى الاسلام ولم يخف عليهم ما له من أهمية كبيرة فى بناء المجتمعات واقامه الحضارات بشرط اقترانه بالدين . فكتب السيد رشيد رضا فى تفسيره موضحا الخطر على البشر من ارتقاء العلم بدون الدين قائلا " ان حرمان هؤلاء العلماء من الايمان بآيه الله تعالى من هذا النوع قد جعل حظ البشر من هذا الارتقاء العجيب فى العلم انهم ازدادوا به شقاء حتى صارت حضارتهم مهدده بالتدمير العلمي الصناعي فى كل يوم وجميع

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٥٥ .

(٢) نابغة الشرق : سعيد الافغاني ص ٩١ - ٩٢ وجمال الدين الافغاني : عبد القادر المغربي ص ٥٠ - ٥١ .

(٣) سوره آل عمران من الآيه : ١٨ .

(٤) سورة المجادله من الآيه : ١١ .

(٥) سورة طه من الآيه : ١١٤ .

(٦) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : ج ١١ ص ٢٤٨ .

علمائهم المصلحين وساستهم الدهاقين في حيره من تلافي هذا الخطر ولن يتلاقى الا بالجمع بين العلم والدين وهذا ما جاءهم به محمد خاتم النبيين"[1] .

لهذا وذاك كان سبيل اصلاح التعليم في المجتمع الاسلامي من اهم الاهداف التى سعى اليها رجال المدرسه العقليه . فقدم الاستاذ الامام محمد عبده كما ذكرنا في ترجمته لائحتين لاصلاح التعليم فى سوريا وفى القاهره . قدم الاولى الى الآستانه والثانيه الى اللورد كرومر ممثل الاحتلال البريطاني . وأشرنا هنالك الى ملخص اللائحتين والى جهوده فى اصلاح التعليم بالازهر

ويرى السيد الافغاني ان " حياة الشرقيين بالعلم الصحيح موت لحكم الغرب فيهم وفك الحجر عنهم . والعكس بالعكس اذن فلابد من تمام اليقظه والعلم بكمال الحكمه من الشرقيين للوصول الى الغايه بدأب متواصل وهمم لا تفتر وعزائم لا تكل أما الرجال والكهول ومن شبّ منهم عن دور التعلم واستقام على عوج فيما تلقفه هؤلاء تقومونهم بالمحاضرات وفتح نواد وطنيه للاجتماع .. أما الاطفال والصبيان فأحسنوا للأول تربية المرأه وأما الثاني (وهم الصبيان) فأغلقوا في وجوههم مدارس الحكومه وافتحوا لهم ابواب المكاتب الأهليه "..[2] الخ

الاصلاح الاقتصادى :-

وحاول رجال هذه المدرسه اصلاح الاقتصاد فى البلاد حسب ما فهموه من نصوص القرآن الكريم أو السنه النبويه الشريفه فكان لهم صولات وجولات على مستوى الدوله بين الساسه والقاده ، وعلى مستوى العامه بين الفلاحين والعمال. وفيما اودعوه في كتبهم من بيان لمزايا الشريعه الاسلاميه فى ادارة الاموال والطريق السليمه لذلك وقارنوا بين نظرة الاسلام والسياسه الماليه عند اليهود والنصارى والشيوعيه والرأسماليه ، وبينوا ان منهج الاسلام هو منهج السلام. " والحق

(١) تفسير المنار : السيد رشيد رضا جـ ١١ ص ٢٤٣ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني : جمع وترتيب محمد المخزومي ص ٨٧ .

ان الاسلام هو الدين الوسط الجامع بين مصالح الروح والجسد للسيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسط بين اليهودية المالية الدنيوية والنصرانية الروحية الزهدية ، وان من مقاصده الاصلاحية في الاجتماع البشري هداية الناس الى العدل والفضل في أمر المال ليكتفي الناس شر طغيان الاغنياء وذلة الفقراء ، ونصوص القرآن والسنة في هذا هي الغاية القصوى في الاصلاح وهي هادمة لمزاعم هؤلاء المفتاتين على الاسلام بالجهل والهوى .

غلا عباد المال من اليهود والافرنج في جمعه واستغلاله واستعباد الالوف والوف الالوف من العمال الفقراء به بجعله دولة بينهم وغلا خصومهم من الاشتراكيين في مقاومتهم ومحاولة جعل الناس فيه شرعا وجعله بينهم حقا شائعا فانتهى هذا الغلو بالشيوعية الروسية في عصرنا ان استعبدت اكثر من مئة ألف من البشر تسخرهم في تنفيذ مذهبها كالانعام والدواب ...

ولا منقذ للامم من هذه الفتنة وعواقبها الا بدين الاسلام - أعني بالتدين به والعمل بأحكامه المالية وغيرها ولا يمكن التزامها بالعمل الا باذعان الدين وقد بدأ عقلاء الافرنج يشعرون بالحاجة الى دين معقول يصلح بالتزامه فساد هذه المدنية المادية ولن يجدوا حاجتهم الا في دين القرآن وسنة خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام واخشى الا يهتدوا اليه الا بعد البطشة الكبرى والطامة العظمى وهي حرب التدمير المنتظرة من تنازع البلشفية والرأسمالية وانني اذكر هنا اهم اصول الاصلاح الاسلامي في المسألة المالية التي تبتدر فكري وتبدهه فأقول ....» (1)

ثم ذكر السيد رشيد رضا ما يراه من الأصول الاسلامية لاصلاح المسألة المالية فعد منها اقرار الملكية الشخصية وتحريم اكل اموال الناس بالباطل وتحريم الربا والقمار ومنع جعل المال دولة بين الاغنياء .. والحجر على السفهاء في اموالهم حتى لا يضيعوها وفرض الزكاة وفرض نفقة الزوجية والقرابة وايجاب كفاية

(1) تفسر المنار : محمد رشيد رضا ج ١١ ص ٢٩ - ٣١ .

المضطر من كل جنس ودين وجعل بذل المال كفاره لبعض الذنوب وندب بصدقات التطوع والترغيب فيها وذم الاسراف والتبذير والبخل والشح واباحه الزينه بشرط اجتناب الاسراف ومدح القصد والاعتدال فى النفقه على النفس والعيال ثم قال بعد هذا " أرأيت أمة من الامم تقيم هذه الاركان ويوجد فيها فقر مدقع أو غرم موجع أو شقاء مفظع ؟ "(١) .

وقال فى موضع آخر " فماذا جرى لنا نحن المسلمين بعد هذه الوصايا والحكم حتى صرنا أشدّ الامم اسرافا وتبذيرا واضاعة للاموال وجهلا لطرق الاقتصاد فيها وتثميرها واقامه مصالح الامه بها في هذا الزمن الذى لم يسبق له نظير فى ازمنه التاريخ من حيث توقف قيام مصالح الامم ومرافقها وعظمة شأنها على المال حتى ان الامم الجاهله بطرق الاقتصاد التى ليس فى ايديها مال كثير قد صارت مستذلـه ومستعبده للامم الغنيه بالبراعه فى الكسب والاحسان في الاقتصاد "(٢) ثم يرجع السبب فى ذلك الى اولئك " الذين لبّسوا علينا بلباس الصالحين فنفثوا في الأمه سموم المبالغة فى التزهيد والحث على انفاق جميع ما تصل اليه اليد وانما كان يريد اكثرهم انفاق كسب الكاسبين عليهم وهم كسالى لا يكسبون لزعمهم انهم بحب الله مشغولون "(٢)

وجهود رجال المدرسه العقليه فى اصلاح احوال البلاد الاسلاميه الاقتصاديه لا تنكر الا أنه مع هذا وقع منهم ما نرفضه ولا نقره منهم فكان لهم رأى فى الربا المحرم وان المراد به ما كان اضعافا مضاعفه وقد بينا فيما سبق ما ذهب اليه الاستاذ الامام محمد عبده في ذلك ودعوته الى اباحة الربا للضروره الاقتصاديه وزعمه ان تحريم الربا كان السبب فى انتقال اموال المسلمين الى الاجانب بارباح فاحشه(٣) ، وكذا قول استاذه الافغاني بـ " جواز الربا المعقول

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١١ ص ٢٩ - ٣١ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٩٤٤ .

الذى لا يثقل كاهل المديون ولا يتجاوز فى برهة من الزمن رأس المال ويصير اضعافا مضاعفـــــه "[1] .

الجانب التهذيبى :

وعنى ارباب المدرسه ببيان الفضيله ودعوة المجتمع اليها والرذيله وتحذير المجتمع منها ففى تفسير قوله تعالى " حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا للــه قانتين "[2] يطنب الاستاذ رشيد رضا فى بيان حكم الصلاة فى الاسلام ثم يقـول بعد هذا " ارأيت هذه الآيات العزيزه والاحاديث الناطقه بالعزيمه قد نـــال التأويل منها نيله فى الزمن الماضي واعرض جماهير المسلمين عنها فى الزمن الحاضر حتى كثر التاركون الغافلون والمارقون وقل عدد المصلين الساهين وندر المصلون المحافظون . ذلك ان الاسلام عند هؤلاء المسلمين الذين يصفون انفسهـــــم بالمتمدنين قد خرج عن كونه عقيده دينيه الى كونه جنسيه سياسيه آية الاستمساك به والمحافظه عليه والدفاع عنه مدح كبراء حكامه وان كانوا لا يقيمون حدوده ولا ينفذون احكامه بل رفعوا انفسهم الى مرتبة التشريع العام واستبدال القوانـــين الوضعيه بما نزل الله من الاحكام ..

ماذا كان من أثر ترك الصلاة والتهاون بالدين فى المدن والقرى والمزارع؟ كان من أثره فى المدن فشو الفواحش والمنكرات تجد حانات الخمر ومواخير الفجور والرقص وبيوت القمار غاصه بخاصة الناس وعامتهم حتى في ليالي رمضان ليالـــي الذكر والقرآن ، وعبد الناس المال لا يبالون أجاء من حرام أم من حلال وانقبضت الايدى عن اعمال الخير وانبسطت فى افعال الشر وزال التعاطف والتراحم وقلت الثقه من افراد الأمه بعضهم ببعض فلا يكاد يثق المسلم الا بالاجنبى وغير ذلك من فساد الاخلاق وقبح الفعال فى الافراد واكبر من ذلك انحلال الروابط المليه بل تقطع اكثرها ..

---

(١) جمال الدين الافغاني : محمود ابو ريه ص ٩٨ .

(٢) سورة البقره الآيه : ٢٣٨ .

المحافظ على هذه الصلاة الفضلى ينتهى عن الفحشاء والمنكر .. المحافظ على هذه الصلاة لا يمنع الماعون .. المحافظ على هذه الصلاة لا يخلف ولا يلوى فى حق غيره عليه .. المحافظ على هذه الصلاة لا يضيع حقوق اهله وعياله ولا حقوق أقاربه وجيرانه ولا حقوق معامليه واخوانه المحافظ على هذه الصلاة يعظم الحق واهله ويحتقر الباطل وجنده .. المحافظ على هذه الصلاة لا تجزعه النوائب ولا تفّل غرار عزمه المصائب ولا تبطره النعم ولا تقطع رجاءه النقم ..."[1]

وبحث الامام محمد عبده على خلق الصبر فى تفسير قوله تعالى "وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"[2] بقوله "والصبر خلق من امهات الاخلاق بل مساك كل خلق قالوا فى فضل الصبر انه ذكر في القرآن نحو سبعين مره ، وليس لنا فائده كبرى فى تحديد العدد ولكن جاء في الكتاب العزيز ذكر الصبر ومدح اهله وتبشيرهم بالفوز والفلاح والصبر ملكه فى النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتماله والرضى بما يكره فى سبيل الحق وهو خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق وما أتى الناس من شىء مثل ما اتوا من فقد الصبر أو ضعفه ..."[3].

وعن الخصام والرشوه يقول السيد رشيد "وكم من ثروه نفدت وبيوت خربت ونفوس اهينت وجماعه فرقت وما كان لذلك من سبب الا الخصام والادلاء بالمال الى الحكام ولو تأدب هؤلاء الناس بآداب الكتاب الذى ينتسبون اليه لكان لهم من هدايته ما يحفظ حقوقهم ويمنع تقاطعهم وعقوقهم ويحل فيهم التراحم والتلاحم محل التزاحم والتلاحم"[4].

وفي بيان احوال الامم المقهوره يفسر السيد رشيد رضا قوله تعالى : "فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم"[5] ذلك ان الامم اذا قهرها العدو

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٤٠ - ٤٤٣ بتلخيص .
(٢) سورة العصر من الآيه : ٣ .
(٣) تفسير سورة العصر : محمد عبده ص ٢٣ - ٢٤ .
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٢٠١ .
(٥) سورة البقره : من الآيه : ٢٤٦ .

ونكل بها يفسد بأسها ويغلب عليها الجبن والمهابه فاذا اراد الله تعالى احياءها بعد موتها ينفخ روح الشجاعه والاقدام فى خيارها وهم الاقلون فيعملون ما لا يعمله الاكثرون .. قال الاستاذ الامام وفى الآيه من الفوائد الاجتماعيه ان الامم التى تفسد اخلاقها وتضعف قد تفكر فى المدافعه عند الحاجة اليها وتعزم على القيام بها اذا توفرت شرائطها التى يتخيلونها على حدّ قول الشاعر :

واذا ما خلا الجبان بأرض

طلب الطعان وحده والنزالا

ثم اذا توافرت الشروط يضعفون ويجبنون ويزعمون انها غير كافيه ليعذروا انفسهم وما هم بمعذورين" (١)

وفى ذم بخس الناس اشياءهم يقول السيد رشيد رضا فى تفسير قوله تعالى " ولا تبخسوا الناس اشياءهم " (٢) :- " وهذه النقيصه فاشية بين الامم والشعوب فى هذا العصر فنجد بعضهم يذم بعضا وينكر فضله كالافراد وترى التجار في عواصم أوروبه يغالون من الاسعار للغرباء ما يرخصون لاهل البلاد وترى بعض الغرباء يستحلون من نهب اموال المصريين بضروب الحيل والتلبيس ما لا يستحلون مثله في معاملة ابناء جلدتهم وأما المصريون وامثالهم من الشرقيين كما قال الشاعر:

لكن قومي وان كانوا ذوى عدد	ليسوا من الشر في شيء وان هانا
يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة	ومن اساءه اهل السوء احسانا

وياليتهم يعاملون انفسهم ومن تجمعهم معهم اقوى المقومات هذه المعامله بل يكثر منهم من يبخسون ابناء قومهم وملتهم اشياءهم ويهضمون حقوقهم ويعظمون الاجنبى ويعطونه فوق حقه وانما استذلهم للاجانب حكامهم فهم في جملتهم مبخوسون لا باخسون ومظلومون لا ظالمون وهم على ذلك مذمومون لا محمودون ومكفورون لا مشكورون" (٣)

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٢ ص ٤٧٤ .
(٢) سورة الاعراف : من الآيه : ٨٥ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٨ ص ٥٢٦ .

ويحذر السيد الافغاني من التجسس والكذب فيه فيقول في تفسير قوله تعالى "وجئتك من سبأ بنبأ يقين "[1] أي " غير ملفق ولا مشوب بكذب كما تفعل أكثر الجواسيس مع الملوك والحكام "[2] .

ويتحدث الشيخ احمد مصطفى المراغي في تفسير قوله تعالى " يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما "[3] الآيه عن حكمهما ثم عن مضار كل منهما فيذكر مضار الخمر الصحيه بافساد المعده وفقد شهوة الطعام ومرض الكبد والكلى والسل حتى قال احد الاطباء اقفلوا لي نصف الحانات اضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات .. ثم يتحدث عن مضارها العقليه ومضارها الماليه ثم عن مضارها في المجتمع ووقوع النزاع والخصام بين بعض السكارى وبعض ، وبينهم و بين من يعاشرهم ، لادنى بادره تصدر من واحد منهم ويتحدث عن مضارها النفسيه من افشاء الاسرار ولاسيما اذا كان متصلا بالحكومات وسياسة الدول وشئونها العسكريه وعليها يعتمد الجواسيس في نجاحهم في مهامهم التي ندبوا اليها ويتحدث عن مضارها الدينيه ، وينتقل الى ذكر مضار الميسر من أنه يورث العداوه والبغضاء ويصدّ عن ذكر الله ويفسد الاخلاق ويخرب البيوت بغته .

ويقول " واذا استمر انتشار الخمر والزنا في هذه البلاد ولاسيما الخمور التي تباع للفقراء فهي مواد سامه محرقه (سبيرتو) يضاف اليها قليل من الماء والسكر فليس بالبعيد ان تنقرض الأمه بعد جيلين أو أكثر كما انقرض هنود امريكا لا يبقى منهم الا بعض الاجراء والخدم فالسكر والزنا مقراضان يقرضان الامم ، وقد شاع حديثا في مصر ما هو افتك بالأمه من الخمور وأقتل لها وهو بعض السموم التي تستعمل حقنا تحت الجلد أو شما بالانف كالمورفين والكوكايين والهرويين "[4] .

---

(١) سورة النمل من الآيه : ٢٢ .
(٢) خاطرات جمال الدين الافغاني ص ١٠٠ - ١٠١ .
(٣) سورة البقره من الآيه : ٢١٩ .
(٤) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي : جـ ٢ ص ١٤٠ - ١٤٤ .

والحديث عن تهذيب الاخلاق فى الاسلام حديث طويل وانما بعث عليه الصلاة والسلام ليتمم مكارم الاخلاق .

قضيــة المــرأه :

والحديث عن قضيه المرأه فى العصر الحديث شابه من مخلفات الحضاره ما خلط عند ضعاف البصر الحقيقه بالباطل فالتبس على طائفه منهم التفريق بين منهج السلام ومنهج الضلال ،

وليس من السهل علينا ان نتناول قضيه المرأه فى العصر الحديث فى هذا الحيز من بعض جوانبها فضلا عن استقصائها .. فلنقصر الحديث هنا على ما تناوله رجال هذه المدرسه من بيان لمكانه المرأه فى الاسلام وحقوقها التى اعطاها اياها .

ففي تفسير قوله تعالى " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله على الكاذبين "(١) يقول السيد رشيد " اقول وفى الآيه ما ترى من الحكم بمشاركه النساء للرجال فى الاجتماع للمباراة القوميه والمناضله الدينيه وهو مبنى على اعتبار المرأه كالرجل حتى فى الامور العامه الا ما استثنى منها ككونها لا تباشر الحرب بنفسها بل يكون حظها من الجهاد خدمه المحاربين كمداواة الجرحى "(٢) ثم يقول " فأين هذا من حال نسائنا اليوم ومن اعتقاد جمهورنا فيما ينبغى ان يكن عليه ؟ لا علم لهن بحقائق الدين ولا بما بيننا وبين غيرنا من الخلاف والوفاق ولا مشاركه للرجال فى عمل من الاعمال الدينيه ولا الاجتماعيه فهل فرض الاسلام على نساء الاغنياء لاسيما فى المدن ان لا يعرفن غير التطرس والتطرز والتورن (٣) وعلى نساء الفقراء لاسيما القرى والبوادى ان يكن كالأتن

(١) سورة آل عمران الآيه : ٦١ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ٣ ص ٣٢٣ .
(٣) التطرس التنوق في الطعام والشراب أى تحرى الاطيب منهما ، والتطرز فى اللباس توخى الفاخر النفيس منه ، والتورّن المبالغه في التطيب والتنعم " تعليق السيد رشيد رضا .

الحامله والبقر العامله ؟ وهل حرم على هؤلاء واولئك علم الدنيا والدين والاشتراك في شيء من شؤون العالمين ؟ كلا ، بل فسق الرجال عن أمر ربهم فوضعوا النساء في هذا الموضع بحكم قوتهم فصغرت نفوسهن وهزلت آدابهن وضعفت ديانتهن ونحفت انسانيتهن ، وصرن كالدواجن في البيوت أو السوائم في الصحراء ... لبث المسلمون على هذا الجهل الفاضح احقابا حتى قام فيهم اليوم من يحيرهم باحتقار النساء واستعباد من ويطالبونهم بتحريرهن ومشاركتهن في العلم والادب وشؤون الحياة منهم من يطالب بهذا اتباعا لهدى الاسلام وما جاء به من الاصلاح ومنهم من يطالب به تقليدا لمدنية اوروبا وقد استحسنت الدعوة الاولى بالقول دون العمل واجيبت الدعوه الاخرى بالعمل على ذم الاكثرين لها بالقول فانشأ المسلمون يعلمون بناتهم القراءة والكتابه وبعض اللغات الاوربيه والعزف بالآت اللهو وبعض اعمال اليد كالخياطه والتطريز ، ولكن هذا التعليم لا يصحبه شيء من التربيه الدينيه ولا من اصلاح الاخلاق والعادات بل هو من عوامل الانقلاب الاجتماعي الذي تجهل عاقبته "[١].

وفي قوله تعالى " فاستجاب لهم ربهم أني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى بعضكم من بعض"[٢] قال الشيخ احمد مصطفى المراغي :- " ان هذا التشريع قد اصلح معاملة الرجل للمرأه واعترف لها بالكرامه وانكر تلك المعامله القاسيه التي كانت تعاملها بها بعض الامم فقد كان بعضها يعدها كالبهيمه المسخره لمصلحة الرجل وبعضها يعدها غير اهل للتكاليف الدينيه اذ زعموا انه ليس لها روح خالد فما زعمه الافرنج من انهم السباقون الى الاعترافون بكرامه المرأه ومساواتها للرجل ليس مبنيا على اساس صحيح . فالاسلام هو الذي سبق كل الشرائع في هذا ولا تزال شرائعهم الدينيه والمدنيه تميز الرجل من المرأه . نعم ان المسلمين قصروا في تعليم النساء وتربيتهن ولكن هذا لا يصلح حجة على الدين نفسه "[٣].

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : ج ٣ ص ٣٢٣-٣٢٤ .
(٢) سورة آل عمران من الآيه ١٩٥ .
(٣) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ٤ ص ١٦٦ .

وقال الاستاذ محمد فريد وجدى " ومما اختص به الاسلام الذهاب في احترام الحقوق الطبيعيه للمرأه الى حدود لم تدر في خيال مشرع مدني الى اليوم فالاسلام لم يكلف المرأه ، وهي زوجه ، بأى حق تؤديه للرجل غير حفظ عرضه وطاعته فى المعروف باعتبار انه الرئيس الطبيعي للأسره .. والمرأه المسلمه لا تفقد بزواجها شيئا من استقلالها المالي فتظل على حريتها في التصرف بمالها واملاكها .. هذا الحق لم تنله المرأه الغربيه الى اليوم فانها بزواجها تقع من ناحية تصرفاتها الاقتصاديه تحت وصاية زوجها "[1] .

ويرد الشيخ محمود شلتوت على خصوم الاسلام الذين " اتخذوا التفاوت بين نصيبى الذكر والانثى هكذا مطعنا على الاسلام من جهة ان فيه اهدارا لحق بنوة الانثى المساويه تماما فى نسبتها الى المورث لبنوه الذكر وقالوا :- ان هذا من فروع هضم الاسلام حق المرأه وهي انسان كالرجل وفاتهم ان الذكر تتعدد مطالبه وتكثر تبعاته فى الحياة فهو ينفق على نفسه وعلى زوجه وعلى ابنائه ومن اصول الشريعه انه يدفع المهر لمن يريد ان يتزوجها أما الانثى فانها لا تدفع مهرا ويلزم زوجها بنفقتها فى مأكلها ومشربها ومسكنها وخدمها وذلك فوق تبعاته العائليه التى لا يلحق الانثى مثلها وهذا باب يتضح منه ان نصيب الانثى في الوضع الاسلامي اعظم واكثر من نصيب الذكر "[2] .

وفى تفسير قوله تعالى " ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات "[3] يقول الشيخ محمود شلتوت " ومن هنا اخذ الفقهاء ان الشريفة مقدمه فى الزواج على غير الشريفه وان حسنة السمعه مقدمه على سيئتها ، وفي هذا ايحاء قوى للنساء بأن يحملن جهدهن على تحسين سمعتهن وتحليهن بالاخلاق الفاضله التى ترغب فيهن الازواج ..

---

(١) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى : ص : ١٧٥ .
(٢) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص : ١٧٢ .
(٣) سورة النساء : من الآيه ٢٥ .

ولقد كان لما اتخذته الفتاة لنفسها أو مكنها ولي أمرها من حريه واسعه في هذه الايام نصيب كبير فيما نرى من أزمة الزواج واعراض الشباب عنه لما يعلمون عن الفتاة من اخلاق جعلت الزواج فى نظرهم بابا من ابواب الشقاء فعلى الفتاة وعلى ولي أمرها أن يتدبرا الأمر فان عليهما وحدهما تقع تبعة هذه المشكلة وعليهما ان يعملا على حلها ان ارادا الخير والسعاده "[1] .

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص : ١٧٢ .

الباب الثالث

آراء المدرسة العقلية الحديثة في بعض علوم القرآن .

الفصل الاول :

في ترجمة القرآن الكريم .

الفصل الثاني :

القصة في القرآن الكريم .

الفصل الثالث:

اعجاز القرآن الكريم .

ترجمة القرآن الكـــريم :

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين " انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "(١) " وكذلك انزلناه حكما عربيا "(٢) " وكذلك انزلناه قرآنا عربيا "(٣) " ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون * قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون "(٤) " كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا "(٥) " وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا "(٦) " انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون "(٧) " وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا "(٨) " نزول به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين "(٩) " أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء "(١٠) " وهذا لسان عربي مبين "(١١) .

ومع نزوله باللسان العربي المبين فان دعوته للناس كافه لا تختص بالعرب وحدهم ولا تفضل العربي على العجمي الا بالتقوى " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا "(١٢) " وما ارسلناك الا رحمة للعالمين "(١٣) " وما ارسلناك الا كافه للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون "(١٤) " قل يأأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا "(١٥) .

امتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الأمر الالهي فبدأ بأم القرى وما حولها ووجه كتبه للدعوه الى دين الاسلام الى قيصر الروم وكسرى فارس ومقوقس مصر ونجاشي الحبشه ، كما وجهها الى ملوك وامراء العرب فى الجزيره العربيه .

وادرك شمول الرساله صحابته من بعده صلى الله عليه وسلم فأرسل الخلفاء

---

(١) سورة يوسف الآيه : ٢ .
(٢) سورة الرعد من الآيه : ٣٧ .
(٣) سورة طه من الآيه : ١١٣ .
(٤) سورة الزمر الآيتين : ٢٧- ٢٨ .
(٥) سورة فصلت من الآيه : ٣ .
(٦) سورة الشورى من الآيه : ٧ .
(٧) سورة الزخرف الآيه : ٣ .
(٨) سورة الاحقاف من الآيه : ١٢ .
(٩) سورة الشعراء الآيات ١٩٣- ١٩٥ .
(١٠) سورة فصلت من الآيه : ٤٤ .
(١١) سورة النحل من الآيه : ١٠٣ .
(١٢) سورة الفرقان الآيه الأولى .
(١٣) سورة الانبياء الآيه : ١٠٧ .
(١٤) سورة سبأ الآيه : ٢٨ .
(١٥) سورة الاعراف من الآيه : ١٥٨ .

الجيوش لحماية دعاة الاسلام ممن يريد منعهم من التبليغ الواجب فحققت تلك الجيوش اوسع الفتوحات في مده قصيره .

وانتشر الاسلام بين العجم في مختلف الاقطار وصاروا من الدعاة اليه وساعدوا على انتشاره .

ادرك الجيل الاول من اولئك العجم منزلة اللغه العربيه في القرآن الكريم وادركوا اهميتها فقاموا بتنشئة ابنائهم على اللغه العربيه وتحصيل علوم الدين الاسلامي ، أما هم وقد كاد ان يفوتهم الركب بعد ان تقدم بهم العمر ورسخت العجمه في السنتهم فاكتفوا بتعلم ما هو ضروري في الدين بباعث العقيده وضروره اقامه الفريضه فتعلموا من القرآن ما يقيمون به الصلاة المفروضه ويتعبدون بتلاوته .

وادرك ابو حنيفه رحمه الله تعالى (٨٠- ١٥٠ هـ) طائفة منهم لم تستقم السنتهم بالعربيه فسوغ لهم من قبيل الرخصه الدينيه ليس الا ان يقرأوا المعاني لسورة الفاتحه على انها دعاء حتى تقوم السنتهم فلما رأى الالسنه قومت ولانت واستقامت وخشي البدعه ان يجد المبتدعه السبيل لبدعتهم [1] مع انقراض الجيل الأول وكون الجيل الحاضر من الاجيال التى نشأت في دار الاسلام وتعلمت لغته رجع عن رأيه رحمه الله تعالى [1] .

ولم يزل علماء المسلمين رحمهم الله تعالى اجمعين يدعون الى تعلم اللغه العربيه ووجوب الصلاة وقراءه القرآن بها لا بغيرها .

وبلغت الفتوحات الاسلاميه أوجها وفترت العزائم وضعف الايمان وصارت الأمه الاسلاميه غثاء كغثاء السيل فتداعت الامم عليها كما تتداعى الاكله الى قصعتها وذهبوا يتقاسمونها فيما بينهم .

ومع هذا كله فقد بقي فيما بقي بين المسلمين شيئان عظيمان وخطيران لهما منزلتهما الكبيره في وحده المسلمين التى اقضت مضاجع الغرب وهما : القرآن

(١) القرآن المعجزه الكبرى : محمد ابو زهره ص ٥٢١ .

الكريم ، والخلافه الاسلاميه المتمثله آنذاك بالدوله العثمانيه رغم بعدها عن روح الاسلام وجوهره يتضح هذا في أبرز صوره فيما اشترطته بريطانيا على تركيا فى مؤتمر لوزان لانسحابها من تركيا بعد الحرب العظمى حيث كان أول شرط لها الغاء الخلافه الاسلاميه وطرد الخليفه من تركيا ومصادره امواله ونفّذ كمال اتاتورك الشروط فانسحبت الدول المحتله من تركيا ورد كروزون وزير خارجيه انجلترا على المعارضين للانسحاب في مجلس العموم البريطاني بقوله " لقد قضينا على تركيا التى لن تقوم لها قائمه بعد اليوم ... لاننا قضينا على قوتها المتمثله فى أمرين الاسلام والخلافه " فصفق النواب الانكليز كلهم [(١)] وتخلص اعداء الاسلام بسقوط الخلافه من رابط اسلامي طال ما أرقهم وأقض مضاجعهم .

ولكن الرابط الآخر وهو الاقوى والامتن هو القرآن الكريم الذى كادوا لقطعه بكل وسيله وجربوا كل حيله ولم يستطيعوا ولن يقدروا لأن قوته ومتانته مستمده من الله سبحانه وتعالى الذى تعهد بحفظه " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " [(٢)] وحاولوا اطفاء نوره فأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون .

ثم يدركون منزلة القرآن الكريم وقيمته في جمع كلمه المسلمين وقوة شوكتهم اذا تمسكوا به . فقد صرح غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقا " مادام هذا القرآن موجودا فى ايدى المسلمين فلن تستطيع اوربه السيطره على الشرق" ويقول الحاكم الفرنسى فى الجزائر " اننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربيه " [(٣)] ويقول المبشر النصراني وليم جيفورد " متى توارى القرآن ومدينه مكه عن بلاد العرب يمكننا حينئذ ان نرى العربي يتدرج في طريق الحضاره الغربيه بعيدا عن محمد وكتابه " [(٤)].

---

(١) قادة الغرب يقولون دمروا الاسلام ابيدوا أهله : جلال العالم ص ٤٨- ٤٩ .
(٢) سورة الحجر : الآيه ٩ .
(٣) قاده الغرب يقولون : جلال العالم ص : ٣١ .
(٤) المرجع السابق : ص ٤٩ .

هم يدركون هذا اذن فلا عجب ان يسعوا بكل وسيله الى فصل المسلمين عن القرآن الكريم . فليجربوا اذن .. ولتكن بداية حركتهم فصل غير العرب عنه وعن لغته العربيه ..

فأوحوا الى اذنابهم بهذا بعد سقوط الخلافه وقبلها فمنع الاذان بالعربيه والكتابه بها واستبدلت الاحرف اللاتينيه بالاحرف العربيه .

ودعت طائفة منهم الى ترجمة القرآن الكريم باللغة التركيه ووجوب الصلاة بها وترك اللغه العربيه والصلاة بها ، وحتى تلقى دعوتهم تلك القبول وضعوا لها مبررات تخدع المنهزمين فكريا وتزيد المؤمنين ثباتا .

قالوا فيما قالوا ان الصلاة بالترجمة تمد المصلي العجمي بالخشوع في الصلاة لانه يفقه المعاني التي يقرؤها في صلاته وتكون مناجاته لربه اعمق واصدق !!

وقالوا ان الدين الاسلامي دين يسر فلا يشق على غير العربي بتعلم العربيه . وزعموا ان هذا اسرع لانتشار الاسلام بين العجم واكثر تحبيبا وتزيينا للدين الاسلامي في نفوسهم .

فانخدعت طائفه من المسلمين بما ذهبوا اليه وابتهجت نفوسهم لهذا الكلام المعسول وانخدعت عقولهم بظاهر كلامهم واعماهم حب التجديد عن القرآن الحقيقى له .

فكان ممن انخدع بهذه الدعوه من اتباع المدرسه شيخ الازهر الاستاذ الاكبر محمد مصطفى المراغي ، ورجل آخر كثيرا ما اغشت بصره تلك المدنيه الحديثه عن الحقيقه ، اعنى الاستاذ محمد فريد وجدى .

وكان ممن وقف في وجه هذه الدعوه تلميذ آخر كان أقل التلاميذ اعجابا وانخداعا بتلك المدنيه الزائفه اعنى الشيخ محمد رشيد رضا - متأثرا بسلفيته التى كانت تزداد قوة ومتانة كلما أمتد به العمر .

وكانت ردود ومناقشات بين الدعاة والرافضين من تلاميذ المدرسه وغيرهم ، وجب ان لا يخلو منها بحث عن هذه المدرسه .

معنى الترجمة والمراد بها :

تطلق الترجمه فى اللغه العربيه على أحد معان أربعه[1] :-

الاول : تبليغ الكلام لمن لم يبلغه ومنه قول الشاعر .

ان الثمانين وبلغتها ∴ قد أحوجت سمعي الى ترجمان

ثانيها : تفسير الكلام بنفس لغته ومنه سمي بن عباس رضى الله عنه " ترجمان القرآن " .

ثالثها : تفسير الكلام بغير لغته جاء فى لسان العرب وفى القاموس ان الترجمان هو المفسر للكلام وقال شارح القاموس " وقد ترجمه وترجم عنه اذا فسر كلامه بلسان آخر . قاله الجوهرى " .

رابعها : نقل الكلام من لغة الى أخرى قال في اللسان " الترجمان بالضم والفتح هو الذى يترجم الكلام أى ينقله من لغه الى اخرى والجمع تراجم "

وهذا المعنى هو ما يراد بالترجمه فى عرف التخاطب العام وهي التعبير عن معنى كلام فى لغه بكلام آخر من لغة اخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده[2] .

أقسام الترجمه :-

وتنقسم الترجمه الى قسمين[3] :-

الاول : الترجمه الحرفيه . وهي نقل الكلام من لغه الى أخرى مع مراعاة الموافقه فى النظم والترتيب والمحافظه على جميع معاني الاصل المترجم .

الثاني : الترجمه التفسيريه أو المعنويه وهي شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى بدون مراعاة لنظم الاصل وترتيبه وبدون المحافظه على جميع معانيه المراده منه .

---

(١) انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن : عبد العظيم الزرقاني جـ ٢ ص ٥ .
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ٧ .
(٣) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى جـ ١ ص ٢٣ - ٢٤ .

ويتضح الفرق بين القسمين حينما نضرب مثالا للترجمه بهما على فرض امكانهما فى آية من القرآن الكريم قال تعالى " ولا تجعل يدك مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط "(1).

ففي الترجمه الحرفيه تأتي بكلام من اللغه المترجم اليها يدل على النهى عن ربط اليد فى العنق وعن مدها غاية المد مع رعايه ترتيب الاصل وتنظيمه بأن تأتي بأداه النهى أولا يليها الفعل المنهى عنه متصلا بمفعوله ومضمرا فيه فاعله .. الخ وهذا النوع من من الترجمه يخرج في اسلوب غير معروف ولا مألوف فى تفهيم المترجم لهم ما يرمي اليه الاصل من النهى عن التقتير والتبذير بل قد يستنكر المترجم لهم هذا المعنى الذى فهموه .

وفى الترجمه التفسيريه يعمد المفسر بعد تفهم المعنى المراد فى الاصل الى التعبير عنه باللغة الاخرى بعباره تدل على هذا النهي المراد في اسلوب يترك في نفوس المترجم لهم اكبر الأثر فى استبشاع التقتير والتبذير مع عدم التقيد برعاية نظم الاصل وترتيب الفاظه "(2).

ثم ان الخلاف لم يكن بين الرافضين للترجمه وانصارها فحسب ، بل وقع بين انصار الترجمه الذين ذهب بعضهم الى حدّ وجوب الصلاة بالترجمه والقراءه بها للعاجز وغيره من العجم وأوجبه غيرهم على العاجز واباحه لغيره وابـاح غيرهم ترجمة معاني القرآن واباح الصلاة بالترجمه الحرفيه دون غيرها .

ووقع ايضا بين الرافضين انفسهم خلاف فى ذلك فمنهم من رفض الترجمه أىّ ترجمه وأوجب على العجم تعلم العربيه وقراءه القرآن بها . وقال غيرهم باباحة الترجمه ولكن بتفهيم من لا يفهم شيئا من معانيها لا للصلاة ولا للقراءه بها وانما ليستعين بها على فهم معنى ما يقرأه بالنص العربىّ .

ولن نذهب فى مناقشه آراء كل قول وادلته فهذا مما يطول بيانه ونكتفى هنا بالاشاره الى ادلة انصار الترجمه عموما والرافضين كذلك من اتباع مدرسه الامام محمد عبده :-

---

(1) سورة الاسراء : من الآيه : ٢٩ .
(2) مناهل العرفان فى علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقاني جـ ٢ ص ٨ .

ادلة القائلين بالترجمة :

استدل انصار الترجمه بأدله كثيره نذكر منها :-

١ - ان الدعوه الاسلاميه دعوه عامه لا تختص بجيل دون جيل أو أمة دون أخرى وان مصلحة الدعوه تحفزنا الى ذلك - ترجمة القرآن - لأننا مكلفون بها بشرط والدعوه بالقرآن ابلغ ما يصل اليه الامكان وهو المأثور عن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا أراد أن يدعو قوما قرأ عليهم ما تيسر منه فلا يجدون محيصا من التسليم به قال تعالى " لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون "(١) . وقال تعالى " وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ "(٢) أى وسائر من بلغه من عموم الخلق وقال تعالى " فذكر بالقرآن من يخاف وعيد "(٣) .

اذا كان الأمر كما ترى فلماذا نعدل عن هذه الطريقة الى غيرها ؟ فان قيل ان الذى أمرنا ان نذكر به هو القرآن العربي لا ترجمته ، قلنا :- اننا نذكر بالقرآن من يفهمه فأما من لا يفهمه من الاجانب فنذكرهم بترجمته كما ذكره ابن حجر " ان الوحى متلو أو غير متلو انما نزل بلغة العرب ، ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم لان اللسان الذى نزل عليه به الوحى عربي وهو يبلغه الى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم " انتهى "(٤) .

ولا يرتضى السيد رشيد رضا - وهو من معارضى الترجمه للقرآن - هذا الاستدلال فيرد عليه بقوله :- " لئن كان اطلاع بعض الافراد من اعاجم الشرق والغرب على ترجمة القرآن سببا لاسلامهم فعلّته أنهم عرفوا منها أصول الاسلام ومقاصده كلها أو بعضها . وذلك كاف لتفضيله على غيره

(١) سوره الحشر : الآيه : ٢١ .
(٢) سورة الانعام : من الآيه : ١٩ .
(٣) سورة ق : من الآيه : ٤٥ .
(٤) الادله العلميه على جواز ترجمة معاني القرآن : محمد فريد وجدى ص١٢-١٣ .

من الاديان كلها . ولم يكن سببه ترجمته كتأثير اصله المعجز للبشر في اقناع العقول وهدايه القلوب الذى كان سبب اهتداء العرب وقلب طباعهم وجمع كل منهم وارتفاع رايتهم وخضوع الامم والشعوب لهم ولو بلغت هذه الاصول والمقاصد للاعاجم بلغاتهم باسلوب آخر بأن يذكر كل اصل في فصل خاص مع الشواهد عليه من القرآن والسنه ببيان معاني نصوصهما بالتفسير واقامة الادله عليه من النقل والعقل لكان يكون ذلك أقرب، الى الاقناع وأشد تأثيرا في هدايه المستعد للاسلام . فان هذه هي الطريقه المثلى للدعوه وهي التى جرى عليها مسلمو خير القرون "[1] .

ويرفض الاستاذ محمد فريد وجدى هذا الاعتراض من السيد رشيد ويرفض هذا الاسلوب فى الدعوه لامور :-

أ) ان الامم لا تقبل على قراءه هذه الرسائل كما لا نقبل نحن على قراءه رسائل المبشرين اعتقادا من تلك الامم أن هذه المطبوعات تكتب للدعايه وانها يتحرى فيها التأثير الخطابي والخلابه الكتابيه .

ب) ان الخصوم يستطيعون ان يقاوموا رسائلنا برسائل مثلها مدعين ان ما نكتبه فيها ثمرة ما حصلناه من علومهم لا ثمرة تعاليم كتابنا .

جـ) ان الامم المعاصره لا يقنعها ان تأخذ الشيء بالواسطه وبفهم سواها له وانما تريده من مصدره الاول وتدعي انها تفهم منه اكثر مما يفهم اهله الاخصون"[2]

٢ - واستدل انصار الترجمة بدليل آخر ذلك أنه لا يمكن الادعاء بأن النظم العربي يؤثر وتكون له لذه وطلاوه عند جاوى أو فارسي أو تركي أو ياباني أو صينى لا يفهم العربيه فالامم الاسلاميه التى لا تفقه العربيه ليست الآن واقعة تحت تأثير طلاوه النظم العربي حتى تكون قراءه التراجم مانعه عنهم هذه الطلاوه وهذا التأثير وعلى العكس فان قراءه التراجم تجعلهم يحصلون على طلاوه المعاني

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٣٢٣ .
(٢) الادله العلميه على جواز ترجمه معاني القرآن : محمد فريد وجدى ص ٦ .

ولذ تها وتأثيرها ومن الخيرات نوفر لهم الحصول على بعض هذه المقاصد اذا فاتتهم المقاصد كلها وليس يخفى على أحد من الناس ان ينبوع المعارف الالهيه هو معاني القرآن المدلول عليها بنظمه العربي واذا ذهبنا الى أن المعارف الالهيه مرتبطه بالالفاظ صرنا الى شيء من اللغو لا يقوله قائل "(١).

ويتسآل الشيخ محمد مصطفى المراغي ردا على من يرفض الترجمه :-

" لم يحرم المسلم من مناجاة ربه بمعنى قوله " ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء "(٢) أو من معنى قوله " ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار "(٣) الآيات أو من معنى قوله تعالى " وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامه .. "(٤) الآيات ، واني لا أتردد لحظه واحده عن القول بأن جمال معاني هذه الآيات لا يمكن ان يفارقها في اللغات الاخرى ، نعم . قد تضيع روعة هذه الالفاظ ولكن تبقى روعة المعاني والمناجاة محتاجه الى هذه الروعه "(٥).

ولا يرتضى السيد رشيد رضا هذا الادعاء ويجيب عليه من وجهين :-

أحدهما : ان الفهم والتدبر وما يراد بهما من الخشوع والاعتبار انما يتم بتعلم المسلمين للغة الكتاب الالهي لا بتحويل الكتاب الالهي الى لغاتهم كما فصله الامام الشافعي في رساله الاصول ، وأقره جميع المسلمين لسبق الاجماع وجريان العمل على ذلك في الصدر الاول .. فتعين ان يكون المسلمون تابعين لما انزل الله تعالى دون ان يكون ما انزله تعالى تابعا للغاتهم ولا يعقل أن يؤثر المؤمن بالله وبكتابه وبرسوله لغة قومه على لغة كتاب الله ورسوله . ولهذا كان قدماء العجم من المسلمين يزاحمون العرب بالمناكب في تلقى العربيه من اعراب

---

(١) بحث في ترجمة القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ١٤ - ١٥ .
(٢) سورة ابراهيم الآيه : ٣٨ .
(٣) سورة آل عمران الآيتين : ١٩٠ - ١٩١ .
(٤) سورة الزمر من الآيه : ٦٧ .
(٥) بحث في ترجمة القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ٢١ - ٢٢ .

البادية ، وفي جميع علومها وفنونها وآدابها كعلوم الشريعة نفسها وذلك أن ايمانهم كان برهانيا وجدانيا ..

ثانيهما :- ان ما لابد منه في التلاوة في الصلاة وهو الفاتحة وبعض الآيات أو السور القصيرة يمكن ان يفسر لكل مسلم يحفظه تفسيرا يتمكن من فهم معناه والاعتبار به فهو لا يتوقف على ترجمته " (١) .

ويرد الشيخ محمد مصطفى المراغي على هذا الاعتراض بقوله :- " أما تعريب الامم الاسلامية الاعجمية فهو أمل حلو ، وكل مسلم يود لو ان اللغة العربية عمت العالم الاسلامي جميعه أو العالم كله واصبحت لغة التفاهم والتخاطب ولغة التأليف والتراسل ولغة العلم ولغة الفنون ويود كل مسلم ان يصبح كل المسلمين قادرين على فهم القرآن الكريم بنظمه العربي وقادرين على النطق به وقادرين على استنباط الاحكام منه .

ولكن الى ان يتحقق هذا الامل ماذا تفعل الامم الاعجمية ؟ وهل الافضل لها ان تبقى كما هي قانعة بقراءة الفاتحة في الصلاة ثم هي بعد ذلك لا تستطيع النظر في الفاظ القرآن العربية ولا النظر في معانيه المترجمة أو الافضل ان تنقل اليها معاني القرآن وينقل ما يمكن نقله بالترجمة الحرفية لتستطيع اطالة الصلاة والمناجاة بقراءة الترجمة الحرفية ، وتستطيع النظر والفهم والتدبر في المعاني ؟ هذه في الحقيقة هي المسألة بقطع النظر عن الجواز والحرمة فان أمر الجواز والحرمة فرغ منه الفقهاء منذ اثنى عشر قرنا (!!) ونحن لا نحدث جديدا من الفقه في هذه المسألة " (٢)

٣ - وقالوا ان مما يضطرنا الى ترجمة القرآن ان الاوربيين ترجموا القرآن تراجم سقيمة لا نرى منذ وجه من تقويمها ولا يسعنا تركها على حالها " (٣) .

(١) تفسير المنار : السيد محمد رشيد رضا . الجزء ٩ الصفحة ٣٢٣ .
(٢) بحث في ترجمة القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي : ص ٣٢ .
(٣) الادلة العلمية : محمد فريد وجدي : ص ١٢ .

ويتسآل الاستاذ وجدى بعد هذا " أفلا يكون من اهم ما يجب ان يعنى به الازهر وضع ترجمه صحيحه لمعاني القرآن الكريم تتلافى ضرر الاخطاء الفاحشه التى جاءت فى تلك التراجم الكثيره فيقف الناس على حقيقه الاسلام من مصدره الاقدس وبخاصه فى هذا العهد الذى تغلى به الرؤوس فى اوربا وأمريكا وآسيا بطلب التجديد والوقوف على الحقائق الناصعه ، وازاء حركة المؤتمرات الدينيه التى تعقد كل عام في عاصمه من اكبر عواصم الارض .

أمن الورع ان يقف المسلمون جامدين مكتوفي الايدى أمام أمثال هذه الحركات الفكريه والروحيه ليتوهم العالم كله أننا لا نملك سلاحا نكافح به فى ميدان هذا الجهاد الفكرى فى هذا العصر المنير ؟ "(١)

٤ - ويستدلون هنا ايضا ببعض النصوص من كتب الفقه فيذكر الشيخ محمد مصطفى المراغي من الادله ما " قال شمس الائمه السرخسي فى كتاب المبسوط " وأصل هذه المسأله اذا قرأ في صلاته بالفارسيه جاز عند ابي حنيفه رحمه الله ويكره وعندهما لا يجوز اذا كان يحسن العربيه واذا كان لا يحسنها يجوز وابو يوسف ومحمد رحمهما الله قالا القرآن معجز والاعجاز فى النظم والمعنى فاذا قدر عليهما فلا يتأدى الواجب الا بهما واذا عجز عن النظم أتى بما قدر عليه كمن عجز عن الركوع والسجود يصلى بالايماء "(٢) .. وقال فخر الدين قاضيخان " وعلى هذا الخلاف اذا قرأ القرآن في الصلاة بالفارسيه عند ابي حنيفه رحمه الله يجوز . وان كان يحسن العربيه وعندهما اذا كان يحسن العربيه لا يجوز وتفسد صلاته . كذا ذكر شمس الائمه الحلواني "(٢) وفي شرح فخر الدين الزيلعى على الكنز " وأما القرآءه بالفارسيه فجائزه في قول ابي حنيفه وقال ابو يوسف ومحمد لا تجوز اذا كان يحسن العربيه لأن القرآن اسم لمنظوم عربي لقوله تعالى " انا جعلناه قرآنا عربيا "(٣) وقال تعالى " انا أنزلناه قرآنا عربيا "(٤) والمراد نظمه ، ولابي

---

(١) الادله العلميه : محمد فريد وجدى ص ١٥ .
(٢) بحث فى ترجمة القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ١٥ - ١٦ .
(٣) سورة يوسف من الآيه : ٢ .
(٤) سورة الزخرف من الآيه : ٣ .

حنيفه قوله تعالى " ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى "[1] وصحف ابراهيم كانت بالسريانيه وصحف موسى بالعبرانيه فدل على كون ذلك قرآنا وما تلوناه يعني (انا جعلناه قرآنا عربيا)[2] و" انا انزلناه قرآنا عربيا "[3] لا ينفي كون غير العربي قرآنا لانه مسكوت عنه ويجوز بأى لسان كان سوى الفارسيه وهو الصحيح لان المنزل وهو المعنى عنده لا يختلف بأختلاف اللغات والصحيح أن القرآن هو النظم والمعنى جميعا عنده لانه معجزه للنبي صلى الله عليه وسلم والاعجاز وقع بهما جميعا الا أنه لم يجعل النظم ركنا لازما في حق جواز الصلاة خاصه رخصه لانها ليست بحالة الاعجاز "[4] .

وهم حين ينقلون هذه النقول فانها عندهم كافيه الى حدّ كبير في اثبات مذهب الحنفيه عموما بما لا يقبل الشك أو النقاش في ترجمه القرآن الكريم على حسب ما فهموه لنفسهم يقول وجدى :- " أما القرن الثاني فقد اصبحت هذه الرخصه الاسلاميه مذهبا دينيا لصميم اهل السنه والجماعه في مذهب ابي حنيفه "[5] ويقول محمد المراغي " واذا تتبعت أمهات الكتب المعده لنقل مذهب الامام ابي حنيفه واصحابه لا تجد فيها كلاما عن الترجمه من حيث الجواز والحرمه ولكنك تجد الفروع الكثيره والادله الطويله على جواز الصلاة بها عند القدره على العربيه على رأى الامام ، وعلى جواز الصلاة بها عند العجز خاصه على رأى اصحابه ولا أظن أنه يدور بخلد أحد ممن تمذهب بمذهب ابي حنيفه ودرس فروعه واصوله ان يشك في جواز الترجمه على مذهب ابي حنيفه واصحابه "[6] .

---

(١) سورة الأعلى الآيتين : ١٨ - ١٩ .
(٢) سورة يوسف من الآيه : ٢ .
(٣) سورة الزخرف من الآيه : ٣ .
(٤) بحث في ترجمة القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ١٦ .
(٥) الادله العلميه : محمد فريد وجدى ص ٥٨ .
(٦) بحث في ترجمه القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ١٥ .

ثم رغب - المراغي - بعد هذا التعميم والتأصيل الذى نسبه الى مذهب ابي حنيفه رحمه الله تعالى رغب بعد هذا أن يعم الفقهاء فلا يجد غضاضه في القول بعد أن يستدل على جواز الصلاة بالترجمه " هذه فى الحقيقه هي المسأله بقطع النظر عن الجواز والحرمه فان أمر الجواز والحرمه فرغ منه الفقهاء منذ اثنى عشر قرنا ، ونحن لا نحدث جديدا من الفقه فى هذه المسأله[1] " ؟ !

ثم رغب بعد هذا ان يعم المذاهب بعد ان يسوق نصا من تصحيح الفروع للمقدسي الحنبلى ونصا من الاقناع يفهم هو منهما ما أراد من جواز الترجمه ، وبعد أن يسوق نصا عن ابن حجر نقله ابن حجر عن ابن بطال المالكي وبعد ان يفهم المراغي من النص ما أراد يجعله مذهب المالكيه بل ويجعله مذهبا للشافعيه لان بن حجر وهو شافعي نقله ولم يرد عليه (! !) ثم يقول بعد هذا[2] " ومن السهل ان يطمئن الباحث بعد هذه النصوص التى نقلناها (! !) الى أن الحنفيه لم ينفردوا بالقول بجواز الترجمه بل وافقهم على هذا الحكم الشافعيه لما علمت من اقرار ابن حجر لما نقله عن ابن بطال ، والحنابله لما سمعت من نص كتاب تصحيح الفروع وكتاب الاقناع ، والمالكيه لما رآه بن بطال فى شرح الحديث السالف وقد عرفت من قبل رأى الشاطبى وهو ان الترجمه جائزه باجماع المسلمين "[3] [4]

---

(١) بحث فى ترجمه القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ١٥ .

(٢) العجيب ان رجال المدرسه العقليه الحديثه يذمون الفقهاء ونصوصهم الفقهيه ويذمون مقلديهم والآخذين بأقوالهم ويحذرون من ذلك كله فالفقهاء كما يقول عبده " حرفوا كل نصوص الكتاب والسنه " و " أن اليهود لم تحرف التوراه اكثر مما حرفوا " (انظر تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٩٤٢) والفقه ليس من الدين كما يقول محمد المراغى نفسه " ان الدين فى كتاب الله غير الفقه " (مجلة الرساله العدد ٣٩٦ السنه التاسعه ص ١٢٨) ولمزيد بيان راجع ما كتبناه عنهم فى الاساس العاشر من منهجهم فى التفسير . العجيب انهم يذمون الفقه والفقهاء كما رأيت ولكنهم حينما يرون رأيا يوافقهم ولو من بعيد فانهم يجعلونه أصلا وقاعده كبرى من قواعد الاسلام جل ومذهبا اسلاميا عاما وشاملا لكل المذاهب الاسلاميه .

(٣) يحق لنا ان نقول هنا دفاعا عن الشاطبى رحمه الله تعالى أنه أفرد فصلا فى منع الترجمه التى ذهب الى جوازها وجواز الصلاة بها الشيخ المراغى (الموافقات ج ٢ ص ٦٦ - ٦٨) .

(٤) بحث فى ترجمة القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ٣٣ .

ويرفض السيد رشيد رضا هذا الفهم منهما ويرد عليهما وعلى من ذهب الى ما ذهبا اليه بقوله " ان مسأله القرآءه فى الصلاة شيء ومسألة ترجمة القرآن وقرآته بغير اللغه العربيه مطلقا شيء آخر ، والكلام فى الثاني دون الأول ، ولا يلزم من جواز الاول على فرض تسليمه جواز الثاني حتى ينسب الى الامام وصاحبيه القول بجواز ترجمة القرآن وقرآته خارج الصلاة وكتابته بغير اللغه العربيه وكيف ذلك وقد اجمعت كتبهم على أن الخلاف فى خصوص الصلاة "(1) .

ثم ينقل السيد رشيد بعض النصوص من شرح اصول البزدوى للامام عبد العزيز ابن احمد البخارى الحنفي :- " والقرآن اسم للنظم والمعنى جميعا في قول عامة العلماء وهو الصحيح من قول ابي حنيفه الا أنه لم يجعل النظم ركنا لازما فى جواز الصلاة خاصه ، وانما هو لازم فيما سواه من الاحكام الاخرى كوجوب الاعتقاد وحرمة كتابه المصحف بالفارسيه وحرمة المداومه والاعتياد على القرآءه بها أ. هـ وقد نقل ان الامام رجع عن هذا القول فى الصلاة ايضا الى القول بعدم جواز الصلاة بالفارسيه مطلقا فيكون النظم ركنا لازما عنده في كل حاله كما ذكره العلامه الالوسي فى تفسيره عند قوله (وانه لفي زبر الاولين)(2) بناء على عود الضمير الى القرآن باعتبار معناه ، وفى روايه عنه تخصيص الجواز بالفارسيه لانها اشرف اللغات بعد العربيه وفى أخرى انها انما تجوز بالفارسيه فى الصلاة للعاجز عن العربيه وقد صح رجوعه عن القول بجواز القرآءه بغير العربيه مطلقا جمع من الثقات المحققين لضعف الاستدلال بهذه الآيه كما لا يخفى ... ومن هذا يعلم ما في استدلال بعضهم بقول الامام على جواز ترجمة القرآن بأى لغه خارج الصلاة وداخلها للقادر والعاجز لأنه على رواية التخصيص بالفارسيه لا تجوز بغيرها مطلقا ، وعلى روايه رجوعه الى قول صاحبيه لا تجوز خارج الصلاة مطلقا ولا للقادر فى الصلاة وعلى رواية الثقات عنه لا تجوز مطلقا بغير العربيه فى الصلاة وغيرها للقادر

---

(1) تفسير المنار : ت محمد رشيد رضا : ج ٩ ص ٣١٣ .
(2) سورة الشعراء : الآيه : ١٩٦ .

وللعاجز ، والمعول عليه رأيه الاخير الذى صح رجوعه اليه كما هو رأى الجماعه فكيف يصح الاستدلال بقوله على جواز ترجمة القرآن مطلقا ؟ "[1] .

٥ - واستدلوا ايضا بـ " أن الامام الشافعي رضى الله عنه نصّ فى كتاب الأم فى الصفحه ١٤٧ من الجزء الأول على ما يأتي " واذا ائتموا به فان أقاما معا أمّ القرآن أو لحن أو نطق أحدهم بالاعجميه أو لسان عجمي فى شيء من القرآن غيرها أجزأته ومن خلفهم صلاتهم اذا كان أراد القرآءه لما نطق به من عجمه ولحن ، فان أراد به كلاما غير القرآءه فسدت صلاته " قال المراغي (محمد مصطفى) " فهذا النص يدل على ان اللسان الاعجمي بعد قرآءه المفروض عنده وهو الفاتحه لا يبطل الصلاة وهو موافق للحنفيه فى هذا "[2] .

ولا يقبل السيد رشيد هذا الفهم منهم بل يذكر معناه عنده فيقول " واذا ائتموا به .. الخ معناه ان الاعجمي الذى لا يحسن القرآءه اذا أمّ مثله فاقاما معا أمّ القرآن أى أحسن كل من الامام والمأموم قرآءه الفاتحه أو لحنا جميعا فى غير الفاتحه ، أو نطق أحدهما بالاعجميه أو لسان اعجمى فى شيء من القرآن غير الفاتحه كانت صلاة كل منهما صحيحه ، لان اللحن والعجمه والرطانه الاعجميه فى غير الفاتحه لا تبطل الامامه ولا الصلاة ، اذ ركن القرآءه في الصلاة هو الفاتحه وما عداه من القرآن فهو مستحب لا فرض ولا واجب - وليس عند الشافعي فى الصلاة واجب غير فرض - والمفروض أن ما ذكر من النطق بالاعجميه أو باللسان الاعجمي في غير الفاتحه سببه العجز عن القرآءه الفصيحه لا التلاعب ولا قصد غير القرآءه والا بطلت صلاتهما .

" ولا يدخل فى هذا الباب شيء من تعمد ترجمة القرآن والاستغناء بالعجمى المترجم به عن القرآن العربي المنزل من عند الله تعالى وتسميته قرآنا ، كيف وقد

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ٩ ص ٣١٤ .

(٢) بحث فى ترجمة القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ٢٤ - ٢٥ .

صرح الشافعي في الرساله بوجوب قرآءه القرآن في الصلاة وغيرها بالعربيه كما انزله الله تعالى وبوجوب اداء سائر الاذكار المأمور بها بالعربيه ايضا وبوجوب تعلم العربيه على كل مسلم لذلك وهذا نص عبارته (كما في الطبعه الاميريه التى مع كتاب الأم ٠ له) :- "فعلى كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله تعالى وينطق بالذكر فيما أفترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك "[1] الخ هذا نص الشافعي بعد أن أطال في كون كل ما في القرآن عربي وكتب مذهبه متفقه في المسألة كسائر كتب المسلمين واتباعه اشدهم فيها ... " .

" اين ذكر الشافعي الترجمه وأباحها للاعجمي ؟ اللهم هذا افتراء عليه وجملة القول ان عبارة الامام الشافعي في هذا المقام خاصه بمن لا يحسن النطق بالقرآن وما يحذر به وما لا يحذر به هو ومن يأتم به ، ومثل هذا العجز معهود في كل زمان نسمعه بآذاننا ممن يتعلمون لغة غير لغتهم ولا يتقنونها من العرب أو العجم ، فهم يحرفون ويلحنون ويخلطون الفاظا من اللغه التى يجيدونها باللغه التى لا يجيدونها بغير اختيار ، ونعيد القول ونؤكده بأن تعمد ترجمة القرآن والقرآءه به لا تدخل في شيء من كلام الامام ولم تخطر ببال أحد من اتباعه في مذهبه عندما شرحوا كلامه وفصلوا أحكامه ولا تخطر ببال أيّ قارئ له يفهم ما يقرأ "[2] .

٦ - وأبرز ما استدلوا به ما أورده الشيخ محمد مصطفى المراغي قال " وفي النفحه القدسيه للشرنبلالي " وروى أن اهل فارس كتبوا الى سلمان رضي الله عنه ان يكتب لهم الفاتحه بالفارسيه فكتب لهم (بسم الله الرحمن الرحيم بنام يزدان بخشايند " فكانوا يقرءون ذلك في الصلاة حتى لانت السنتهم وبعد ما كتب عرض على النبي صلى الله عليه وسلم كذا في المبسوط . قاله في النهايه والدرايه "[3] .

---

(١) انظر : الرساله : للامام الشافعي : تحقيق احمد محمد شاكر ص ٤٨ .
(٢) انظر تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٣٢٠-٣٢٢ .
(٣) بحث في ترجمة القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ١٧ وانظر الادله العلميه : محمد فريد وجدى ص ٦٣ و ٥٨ .

وقال الاستاذ محمد فريد وجدي :- " ومع هذا فقد ظهر القول بجواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما لمن لا يعرف العربيه في القرن الأول وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ ترجم سلمان رضي الله عنه فاتحه الكتاب الى الفارسيه وصلى بها بعض من اسلم من الفرس واصبح هذا الجواز في القرن الثاني اصلا مذهبيا في اكبر مذاهبهم الفقهيه "(١) .

ويتسآل الاستاذ وجدي " اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينكر على سلمان الفارسي ان يترجم الفاتحه ويصلي بها قوم من الفرس ، أفينكر اليوم على من يتصدى لترجمة معاني القرآن لافهام الامم القويه حقيقة الدعوه الاسلاميه التي وقف لها حياته الشريفه ودعا اتباعه للدءوب على بثّها في العالم كله باعتبار انها حق مشاع للبشر كافه ؟ ان الامام أبا حنيفه الذي ادرك القرن الأول واخذ علمه عن التابعين قد استند على هذه السابقه فقرر بناء عليها جواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما . أفنتورع نحن عما لم يتورع عنه هو واصحابه ونحن في القرن الرابع عشر ، ومقصدنا أدعى للاهتمام والعناية من مقصده فقد كان يقرر جواز العمل برخصة من رخص الدين ، ولكننا حيال تصحيح تحريفات وقعت في معاني كلام الله القديم في تراجم قام بها رجال من الامم الاجنبيه وهو أمر جلل لو تغابينا عنه وقعنا في اثم عظيم . يقول المتلاعبون بالخلافات الفقهيه ان خبر ترجمة سلمان للفاتحه لم يثبت . نقول : ان قولهم لم يثبت على الاطلاق غير صحيح فانه ثبت عند ابي حنيفه وأصحابه فأخذوا به كما هو وارد نصا صريحا في كتب الحنفيه واذا كان هذا الخبر لم يثبت عند بقية الائمه فلم يأخذوا به فليس هذا بغريب ففي الفقه احكام كثيره ثبتت مصادرها عند واحد فأخذ بها ، ولم تثبت عند الثلاثه فرفضوها . فاذا أراد أحدنا أن يتكلم عن واحد منها في هذا العصر فلا يجوز له أن يقول ان هذا الخبر لم يثبت مرسلا النفي اطلاقا على هذا النحو فان هذا العمل لا يعد أمانه في العلم ، ولكن يجب ان يفصّل فيه القول فيقول

---

(١) الادله العلميه : محمد فريد وجدي ص ٧٠ - ٧١ .

ثبت عند الامام فلان فأخذ به ، ولم يثبت عند الثلاثه فرفضوه "[١].

ولكن الاستاذ وجدى وهو يذهب فى اثبات جواز الترجمه ينسى ما يوجهه من نصائح للآخرين ، فكما نصح من وصف حديث سلمان بأنه لم يثبت بعدم "ارسال النفي " لأن هذا لا يعد أمانه علميه نراه يقع هو في ارسال الاثبات غير عابىء بآراء الآخرين حيث يقول :- " فانظر الى أى دركه وصل بعضنا فى تدهوره من اغفال الناحيه العالميه للاسلام حتى أصبح لا يسعهم ما وسع آباءنا الأولين من لدن القرن الاول ، بل ما وسع النبى صلى الله عليه وسلم اذ سمح بأن تترجم الفاتحه ويقرأ بها مترجمه فى الصلاة وقد بنى أبو حنيفه مذهبه على هذه الحادثه "[٢] ويزيد القول " وهل يجروء أحد على مثل هذا القول وقد سمح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تترجم الفاتحه ويصلى بها ؟ انكم تنكرون ذلك ، وماذا يجدى انكاركم له وهو مأخذ مذهب هو اكبر مذاهب المسلمين على الاطلاق وأولها ظهورا ولم يطعن عليه نقدة الحديث ولا سنته المذاهب التى لم تأخذ به بسوء "[٣] !!

٧ - وأخيرا فانهم يقولون " فاذا لم تكن ترجمة القرآن جائزه فى مذهب ابي حنيفه ومستحسنه لدى كثير من كبار علماء المذاهب الاخرى كما رأيت أفلا نكون فى حل من ترجمته استنادا على القاعده الاسلاميه المشهوره وهي ان الضرورات تبيح المحظورات ، درأ للتحريف الذى وقع في التراجم التى قام بها أفراد من الاوربيين ، فى أزمان مختلفه "[٤].

تلكم بعض أدلة الشيخ المراغي والاستاذ محمد فريد وجدى فيما ذهب اليه ، ونستطيع أن نجمل رأيهم فى الترجمة بأنهم يرون أن ترجمة معاني القرآن الكريم ممكنه فى كل القرآن أما ترجمته الحرفيه فممكنه في بعض القرآن لا كله[٥] والصلاة

---

(١) الادله العلميه : محمد فريد وجدى ص ٧٠ - ٧١ .
(٢) الادله العلميه : محمد فريد وجدى ص ٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٧٥ .
(٤) المرجع السابق ص ٧٠ .
(٥) بحث فى ترجمه القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ٢٧ .

تجب بالترجمة الحرفيه [١] على العاجز عن العربيه [٢] وتجب قراءة النص العربي للقادر عليه [٣] ولا يصح أن تسمى تلك التراجم قرآنا ولكن سلب هذه التسميه لا يستلزم سلب جواز استخراج الاحكام منها بل يجب ان يصح استخراج الاحكام منها لان الاحكام تستفاد من المعاني التى هي مدلولات الالفاظ العربيه والمعاني يصح نقلها الى اللغات الاخرى [٤] وما استخرج من الاحكام من الترجمه المعنويه يكون مستخرجها مقلدا للمترجم وهذا لا شبهة فيه أمّا ما استخرج من الترجمة الحرفيه فان مستخرجها لا يكون مقلدا فى فهم المعنى [٥] وان الترجمه وان كانت غير قرآن باتفاق فانها تحمل معاني كلام الله ومعاني كلام الله ليست كلام الناس [٦] (! !) .

هم يقولون هذا ولكن الاستاذ وجدى يأتينا بالعجب فهو ينكر على من وصفهم بالدعوه الى ترجمة القرآن ليقرأه الناس فى الصلاة فيقول " من الذى قال اننا نترجم القرآن ليقرأه الناس في الصلاة ؟ انّ كل ما قلناه اننا نترجم معاني القرآن لتصحيح التراجم الخاطئه اذ لا يجوز شرعا ترك المعاني القرآنيه محرفه فيها ولتفهيم الاجانب سمو دينا وأن كتابه يهدى للتى هي أقوم فى جميع المجالات الانسانيه فلماذا يلزمنا الاستاذ بما لم نقله ولا قاله أحد من الذين تصدوا لهذا المشروع " [٧] .

ينكر هذا وهو الذى قال قبل اسطر خمسه من كلامه هذا دفاعا عن الفرس الذين ورد أنّ سلمان رضى الله عنه ترجم لهم الفاتحه " وما الذى كان يضطرهم الى الصلاة بلغة لا يفهمونها وهم لم يتعودوا ذلك ولا عهدوه فى غيرهم ولا سمعوا بأن الاسلام يحظره فكتبوا الى صديق لهم أن يوافيهم بترجمة الفاتحه ففعل " [٨] .

---

(١) بحث فى ترجمه القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ٢٧ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢٢ .
(٣) المرجع السابق : ص ١٨ .
(٤) المرجع السابق : ص ١٢ .
(٥) بحث فى ترجمه القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ١٣ .
(٦) المرجع السابق ص ٢٢ .
(٧) الادله العلميه : محمد فريد وجدى ص ٦٦ .
(٨) المرجع السابق ص ٦٥ .

وهو ايضا يعترف فى نفس الصفحه بأن دعوته لترجمة القرآن والصلاة بالترجمه !! حيث يقول منكرا على أحد خصومه " ألست القائل فى الصفحه التاليه اجمع الائمه الاربعه وجماهير المسلمين على ما يأتي :

١ - عدم جواز ترجمة القرآن .
٢ - " " كتابته بغير العربيه .
٣ - " " القرآءه بغير العربيه خارج الصلاة .

فكيف بعد اعتقادك هذه الامور الثلاثه وقولك باجماع الأمه على عدم جواز قرآته بغير العربيه حتى خارج الصلاة تقدم على الدعوه معي لترجمته والصلاة بالترجمه حتى تلين الالسنه للقرآءه بالعربيه ؟ "(١) .

وان شئت مزيد أعترافات من وجدى فأرجع الى ما نقلناه عنه من نصوص تدرك منها مدى تناقضه مع نفسه واضطرابه .

تلكم بعض أدله أولئك وذلكم هو خلاصة رأيهم فى الترجمه للقرآن الكريم وما كان لنا ان نستطرد فى سوقها لولا أن قصد الايضاح واتمام العباره اضطرنا لذلك . وهو أمر لا نتوقعه في سوق أدلة السيد رشيد رضا على ما ذهب اليه لوضوحها وتمام عبارتها .

ادلة السيد رشيد رضا :

استدل السيد رشيد على ما ذهب اليه من منع ترجمة القرآن الكريم بأدلة كثيرة جدا(٢) نذكر منها :-

١ - أن ترجمة القرآن ترجمة حرفيه تطابق الاصل متعذره كما يعلم من المسائل الآتيه والترجمه المعنويه عباره عن فهم المترجم للقرآن أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين وحينئذ لا تكون هذه الترجمه هي القرآن وانما هي فهم رجل للقرآن يخطىء فى فهمه ويصيب ولا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمه بالمعنى الذى ننكره .

(١) الادله العلميه : محمد فريد وجدى ص ٦٦ .
(٢) انظر تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٩ ص ٣٠٧ - ٣١٢ .

٢ - أن القرآن هو أساس الدين الاسلامي بل هو الدين كله اذ السنه ليست دينا الا من حيث انها مبينه له [1] فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم ما فهمه المترجم لهم لا نفس القرآن المنزل من الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، والاجتهاد بالقياس انما هو فرع عن النص والترجمه ليست نصا من الشارع والاجماع عند الجمهور لابد أن يكون له مستند والترجمه ليست مستندا فعلى هذا لا يسلم لمن يجعلون ترجمة القرآن قرآنا شيء من أصول الاسلام .

٣ - ان القرآن منع التقليد فى الدين وشنع على المقلدين فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لمترجمه فهو اذا خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها .

٤ - ان القرآن ينبوع للهدايه والمعارف الالهيه لا تخلق جدته ولا تفتأ تتجدد هدايته وتفيض للقارىء على حسب استعداده حكمته ، فربما ظهر للمتأخر من حكمه واسراره ما لم يظهر لمن قبله تصديقا لعموم حديث" فرب مبلغ أوعى من سامع " وترجمته تبطل هذه المزيه اذ تقيد القارىء بالمعنى الذى صوره المترجم بحسب فهمه .

٥ - ذكر الغزالي فى كتاب الجام العوام عن علم الكلام أن ترجمة آيات الصفات الالهيه غير جائزه واستدل على ذلك بما هو واضح جدا " لان من الالفاظ العربيه ما لا يوجد لها فارسيه تطابقها ومنها ما يوجد لها فارسيه تطابقها لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التى جرت العرب باستعارتها منها ، ومنها ما يكون مشتركا في العربيه ولا يكون فى العجميه كذلك " [2] وبين أن الخطأ فى ذلك مدرجه للكفر .

---

(١) هذا أفتيات من حق السنه النبويه الشريفه فالسنه مصدر مستقل بنفسه من مصادر التشريع الاسلامي وهي أيضا مبينه لمجمل القرآن ومخصصه لعمومه فلا يصح القول أنها ليست دينا الا من حيث انها مبينه له . وقد تقدم الاشاره الى هذا فى الاساس التاسع من أسس منهجهم فى التفسير .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج٣ ص ٢١٤ .

٦ - ان لنظم القرآن واسلوبه تأثيرا خاصا فى نفس السامع لا يمكن ان ينقل بالترجمه واذا فات يفوت بفوته خير كثير فيا طالما كان جاذبا الى الاسلام .

٧ - ان القرآن هو الآيه الكبرى على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بل هو الآيه الباقيه من آيات النبيين وانما يظهر كونه آيه باقيه محفوظه من التغيير والتبديل والتحريف والتصحيف بالنص الذى نقلناه عمن جاء به من عند الله والترجمه ليست كذلك .

٨ - ويستدل بعد هذا بنصوص للفقهاء فى ذلك منها (١) :-

قال شيخ الاسلام ابو الحسن المرغيناني الحنفي فى التجنيس :-

" ويمنع من كتابة القرآن بالفارسيه بالاجماع لأنه يؤدى الى الاخلال بحفظ القرآن لأنه أمرنا بحفظ اللفظ والمعنى فانه دلاله على النبوه ولأنه يؤدى الى التهاون بأمر القرآن "

وقال فى معراج الدرايه " من تعمد قرآءه القرآن أو كتابته بالفارسيه فهو مجنون أو زنديق والمجنون يداوى والزنديق يقتل ، وروى ذلك عن ابي بكر محمد ابن الفضل البخارى "

ومذهب الحنابله أن الصلاة تفسد بالقرآءه بالفارسيه ونحوها عند العجز وعدمه وهو يدل على منع قرآءه القرآن وكتابته بغير العربيه مطلقا .

ومذهب المالكيه : أنه لا تجوز قرآءه القرآن وكتابته بغير العربيه ولذلك أوجبوا تعلم الفاتحه على من لا يحسن قرآتها فى الصلاة بالعربيه ان أمكن والا ائتم بمن يحسنها فان لم يكن فالمختار سقوطها وسقوط القيام لها وقيل يجب قيامه بقدر ما تيسر من الذكر .

وقال الامام الزركشى من أئمه الشافعيه رحمه الله تعالى الاقرب المنع من كتابة القرآن بالفارسيه كما تحرم قرآته بغير لغة العرب .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ٩ ص ٣١٢ - ٣١٦ .

اذا علمت هذا فالمعول عليه عند جميع الائمه أنه لا تجوز كتابة القرآن ولا قراءته بغير العربيه لعاجز أو قادر لا في الصلاة ولا خارجها ، الا ما تقدم عن الساده الحنفيه في خصوص الصلاة للعاجز عن العربيه وقد علمت ما فيه ، وتصحيح الثقات رجوع الامام عنه .

تلكم بعض ادلة السيد رشيد رضا ، ولا يذهبن بك الفهم الى انه يقطع عن العجم كل وسيلة لفهم القرآن الا بتعلم اللغه العربيه فهو لم يرد هذا حيث يقول " فهذا ما أقوله الآن فى ترجمة القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلغتهم مع بقائه اماما لهم ودون ترجمته لدعوه غيرهم به الى الاسلام مع أن المترجم يبين المعنى الذى يفهمه هو " و " أن ترجمة القرآن ترجمة حرفيه متعذره ويترتب عليه مفاسد كثيره فهو محظور لا يبيحه الاسلام لأنه جناية عليه وعلى أهله ولا يجوز أن تسمى الترجمة قرآنا ولا كتاب الله ولا أن يسند شئ منها اليه تعالى فيقال قال الله كذا لأن كتاب الله وقرآنه عربي بالنص القطعى والاجماع الشرعي من سلف أهل الملة كلهم وخلفها ، لا الاجماع الاصولي المختلف فيه ، ولانها ليس لها شئ من خصائص القرآن اللفظيه ولا المعنويه كالاعجاز وهي لا بد ان تكون مخالفه له في المعنى كمخالفتها فى اللفظ فاسنادها اليه تعالى كذب عليه وكفر بكتابه بل اجمع المسلمون على أنه لا يجوز ابدال لفظ من الفاظ المصحف بلفظ آخر يرادفه من اللغه العربيه ككلمتى " شك وريب " فى قوله تعالى " ذلك الكتاب لا ريب فيه "[1] واما الترجمه المعنويه التى هي عباره عن تفسير ما يحتاج الى تفسيره منه بلغة أخرى فغير محرم وانما تتبع فيه المصلحة الشرعيه بقدرها "[2] .

ولنا رأى :

لا يبعد رأينا هنا عما قلناه فى الاجتهاد والتقليد من تقسيم المتنازعين الى قسمين معتدلين ومتطرفين ، وأنه لا خلاف يذكر بين المعتدلين من المقلدين

---

(١) سورة البقره من الآيه الثانيه .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٣١١ - ٣١٢ .

ودعاة الاجتهاد ، وعصرنا الخلاف الشديد بين المتطرفين من الفريقين .

ما قلناه هناك نقوله هنا في ترجمة القرآن الكريم فلا خلاف يذكر بين الداعين الى ترجمة معاني القرآن المعتدلين منهم وبين رافضي الترجمة .

وانما الخلاف بين المتطرفين من الفريقين فدعت طائفة من انصار الترجمة الى ترجمة القرآن الكريم بنوعيها حرفيه ومعنويه وأجازت الصلاة بالترجمة الحرفية واستنباط الاحكام منها وزعمت أن مستنبط الاحكام لا يكون مقلدا ايضا اذا استنبط من الترجمه الحرفيه ويكون مقلدا اذا كان من الترجمه المعنويه بل تجاوزوا هذا كله فزعم الشيخ المراغي (محمد مصطفى) " أن الترجمة وان كانت غير قرآن باتفاق تحمل معاني كلام الله ومعاني كلام الله ليست كلام الناس وعجيب ان تسلب من معاني القرآن صفاتها وجمالها وتوصف بأنها من جنس كلام الناس بمجرد أن تلبس ثوبا آخر غير الثوب العربي كأن هذا الثوب هو كل شيء "(1) .

عجبا اذا لم تكن معاني القرآن الكريم من كلام الناس كما يقول فكلام من هي اذن ؟! لا يصح القول أبدا أنها ليست من كلام الله ولا من كلام الناس فاذا نفى انها من كلام الناس فقد تعين انها من كلام الله وهو أمر فرّ من القول به وهو لازم كلامه ولا شك أن وصف معاني القرآن بأنها كلام الله أمر خطير وتطرف شديد .

والتفاسير للقرآن الكريم كلها معاني له أو تحرى لمعانيه فهل يصح أن نطلق على هذه التفاسير كلها بأنها كلام الله ؟! وفيها ما فيها من أقوال متضاده وأقوال يبطل بعضها بعضا ؟! حاشا لله .

فلا يستبعد منهم بعد هذا ايجابهم الصلاة بالترجمه على العاجز عن العربيه واباحتهم استنباط الاحكام منها ونحو ذلك .

ذلكم شأن المتطرفين في الدعوه الى ترجمة القرآن الكريم ، وتطرف آخرون فحرموا أيّ نوع من الترجمه للقرآن الكريم وسدوا كل باب للعجم لفهم القرآن الا باب

---

(1) بحث في ترجمه القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص ٢٢ .

التعلم للغه العربيه .

أما من ذهب الى حدّ الاعتدال من الفريقين فليس بينهما خلاف يذكر اللهم الا خلاف حول مسمى الترجمه فسماها انصار الترجمه " ترجمة معاني القرآن الكريم " وسماها الرافضون للترجمه " تفسير القرآن " أو " ترجمة تفسير القرآن الكريم " وجمع آخرون الاسمين معا " ترجمة معاني تفسير القرآن الكريم"[1].

قال السيد رشيد رضا " فهذا ما أقوله الآن في ترجمه القرآن للمسلمين دون تفسيره لهم بلغتهم مع بقائه اماما لهم ، ودون ترجمته لدعوه غيرهم به الى الاسلام "[2].

واذا أمعنت النظر وقلبت الأمور لم تجد تغايرا في الهدف فكلاهما يمنع الصلاة بالترجمه ، ويوجب أن ينص فيها على أن هذه الترجمه ليست قرآنا ويبين فيها ان القرآن لا تمكن ترجمته وان مزاياه الكامله واعجازه والتحدى به انما هو بنصه العربي .

كلاهما يمنع هذا ويبيح ان يترجم الى اللغات الاعجميه " تفسير القرآن الكريم " أو " معاني القرآن الكريم " أو " معاني تفسير القرآن الكريم " وان يكون الغرض من الترجمه الاستعانه بها ليفهم الاعجمى النص المقروء بالعربيه .

وهذا هو ما نراه الحق فان خصوص لغة القرآن لا تنافي عالميته فالقرآن ليس للعرب خاصه بل هو لانذارهم ومن بلغ " وأوحى الى هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ "[3].

ولكن وجوب الانذار به وتبليغه للناس لا يلزم منه بحال من الاحوال الصلاة بترجمته فالدعوه بالترجمه شيء والصلاة بها شيء آخر وكل منهما له حكمه الذى ينفرد به .

---

(١) الفكر الدينى فى مواجهه العصر : عفت الشرقاوى ص ١٧٧ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٣١١ .
(٣) سورة الانعام من الآيه ١٩ .

فالقرآن دلّ على وجوب تبليغه للناس ونشره بينهم كافه عربا وعجما وتبليغه للعرب لا يحتاج الى ترجمه والى العجم لابد من ترجمة معانيه وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فوجبت ترجمة معانيه لاستحالة ترجمته حرفيا .

ولم يدل القرآن على وجوب أو جواز الصلاة بترجمته ولم يثبت فى السنه ما يوجب أن يبيح الصلاة بالترجمه .. فبقيت الصلاة على الاصل .

وكانت الضروره كافيه عند بعض العلماء لاباحة الصلاة بالترجمه حين دخول الناس فى دين الله افواجا صعب معه تعليمهم جميعا الفاتحه بالعربيه فقال باباحه الصلاة بالترجمه ثم تبين له بعد ذلك ان لا ضروره فرجع عن قوله .

ثم قام بعض المفتونين بالمدنيه الاوربيه بالدعوه الى ترجمة القرآن للغات الاعجميه وجوزوا الصلاة بالترجمه خشية أن يوصف الاسلام بالجمود وعدم مسايره الحضاره الحديثه .

وما كنا لنرد عليهم وعلى من دعا الى مثل دعوتهم بالاستشهاد بواقع أوربا وأمريكا لولا أنّ أولئك القوم ينظرون بعين الرضا والاعجاب لما يجرى هناك .

ولندع الحديث للامير شكيب ارسلان يحدثنا عن ذلك :-

" وها نحن أولاء نرى الامم الكاثوليكيه ومنها أمم راقيه فى سلم المدنيه وراقيه جدا مثل الفرنسيس والبلجيك والنمساويين وما يزيد على الثلث من الالمان ونحو الربع من الهولانديين ثم أمة المجر وأمة التشيك والبولونيين ثم الايرلانديين ثم الأمه الايطاليه والأمه الاسبانيوليه والأمه البرتغاليه وجميع سكان أمريكا الجنوبيه وأهل اميركا الوسطى وخمسة وعشرين مليونا من أميركا الشماليه وجميع هذه الأمم تقيم شعائرها الدينيه الكاثوليكيه باللغه اللاتينيه بدون أن تفهمها ولا يفهمها من كل أمه منها الا نزر لا يذكر ، وانما يفسرون لهم ما يريدون فهمه من الشعيره الدينيه من اللاتينى الى السنتهم .

اذن هذه سبيل ليس الاسلام فيها بأوحد "(1)

(1) حاضر العالم الاسلامي لوثروب ستودارد ترجمه عجاج نويهض تعليق شكيب ارسلان ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٣ .

اذن فالترجمه للقرآن التى نراها لا يصح بحال من الاحوال الصلاة بها ولا نتصور ضرورة تدعو الى ذلك فما يقرأه المسلم فى صلاته من القرآن لا يعدو ما هو فرض أو مستحب والمفروض لا يتجاوز الفاتحه والفاتحه لا تتجاوز اسطرا يستطيع الاعجمى مهما بلغت عجمته لمن يحفظها بين وقتين من أوقات الصلاة وجاز له فيما أرى الجمع بين الوقتين ان ادركه الوقت قبل حفظه وما عداها من سور القرآن فانه يحفظ منه على التراخي .

ومن هنا ندرك ان لا ضروره مبيحه للصلاة بالترجمة الاعجميه للقرآن الكريم ونبقي بهذا على قدسية القرآن الكريم وعلى سلامة لغته وشرفها .

وخلاصه ما نراه فى ترجمة القرآن الكريم أنه كما يباح باجماع المسلمين كافه تفسير القرآن الكريم وتداوله بين المسلمين فانه لا ضير أن يفسر القرآن عربيّ أو يفسره غير عربيّ متمكن من العربيه بلغته مادام ما يقوله لا يتجاوز وصفه بـ " التفسير " فكما يصح أن يقال هذا تفسير القرآن بالعربيه فانه يجوز ان يقال وهذا تفسيره بالفارسيه وأرى ان لا تورد كلمه ترجمه اطلاقا كما لم نوردها فى أى تفسير للقرآن بالعربيه وحتى لا يشعر الاعجمى بحال من الاحوال عند قرآته للترجمه بما يوهمه أن ما يقرأه هو القرآن الكريم .

فليكن النص للقرآن الكريم مكتوبا بالعربيه ومرقما بالارقام العربيه وبالكتابه المصحفيه المعروفه ومضبوطا بالشكل فى أعلا كل صفحه ، وليتلوه باللغه المترجم اليها كلمه " التفسير " ثم يكتب تحتها بتلك اللغه ذلكم التفسير .

ونكون بهذا أبقينا النص القرآني على لغته الاصليه وجعلنا أمام قارىء التفسير الاعجمى ما يشده الى اللغه الاصليه ويحثه على تعلمها ليستمتع هو بنفسه بتفهم المراد منه كما تعلمها صاحب التفسير الذى بين يديه .

ولا اعتقد ان أحدا من العجم سيلتبس عليه الأمر فى مثل هذه الطريقـــه فيعتقد أن ما يقرأه من التفسير هو القرآن الكريم بل سيدرك فى الحال ان القرآن الكريم هو النص العربي وان النص العجمى لا يعدو التفسير له .

ولا ضير أن يوضع بين النص القرآنى الكريم والتفسير بالاعجميه نص التفســير بالعربيه وحينئذ يصح ان تسمى تلك الترجمه " ترجمة تفسير القرآن " أو " ترجمـه معاني القرآن الكريم " .

هذا ما نراه والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

القصــه فى القرآن الكريم :-

تلك حلقه أخرى نستطيع ان نضمها الى الحلقه السابقه الدعوه الى ترجمة القرآن الكريم من السلسله التى سلكها أعداء الاسلام للكيد للقرآن الكريم وابطال منزلته بين المسلمين واطفاء نوره بأفواههم .

كانت الحلقه السابقه تهدف لفصل العجم عنه ووضع حاجز بينهم وبين لغته وكل ما يشدهم اليه فيه أما تلك الحلقه فتهدف الى فصل العرب عنه وزعزعة ثقتهم به والتشكيك فى أخباره وقصصه وما الذى يبقى للانسان من هداية القرآن بعد أن يشك فى صحة ما يسمع من نصوصه ؟ !

تكشف هذا نصوص كثيره لا ولئك الاعداء وما تزال أصداء كلمه غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقا تجلجل فى سمع كل من يهمه شأن الاسلام حيث يقول " مادام هذا القرآن موجودا فى أيدى المسلمين فلن تستطيع أوربه السيطره على الشرق " ويقول الحاكم الفرنسي فى الجزائر " اننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرؤون القرآن ويتكلمون العربيه "(١) ويقول وليم جيفورد " متى توارى القرآن ومدينه مكه عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضاره الغربيه بعيدا عن محمد وكتابه "(٢) ويقول اللورد كرومر فى مصر " جئت لا محو ثلاث القرآن والكعبه والازهر "(٣) .

ولن نذهب نذكر المزيد من تلك النصوص التى تحز فى نفس المسلم . لا يحزه قولهم فهو يعرف مبلغ حقدهم على الاسلام واهله وانما يحزّه غفله أولئك المسلمين عما يراد بهم ثم تمكن اعداء الاسلام من اداره أمور المسلمين فى عقر دارهم وقدرتهم على تولية من يريدون فى المنصب الذى يريدون .

ما اعتدى أحد من المنتسبين الى الاسلام على الاسلام الا ورأيناه بعد فترة يتبوأ منصبا كبيرا فى الدوله ، وان قامت الصيحات ضده والاعتراضات على فكرته السابقه لكنها لا تلبث أن تسكن يعقبها توليه المنصب ذاك .

(١) قادة الغرب يقولون دمروا الاسلام أبيدوا أهله : جلال العالم ص ٣١ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٩ .
(٣) الخنجر المسموم الذى طعن به المسلمون : انور الجندى ص ٢٩ .

لا أزعم لنفسي تلك الملاحظه ولكنها ملاحظه تعدد مدركوها كتب توفيق الحكيم مره عن احدى تلك الانتهاكات لحدود الشريعه الاسلاميه فقـــال " وليست هذه الحركه هي الاولى من نوعها فى مصر فقد سبق أن ألف الاستاذ على عبد الرازق وزير الاوقاف الحالي كتابا عن الاسلام واصول الحكم فقامت قيامـــة الازهر واحتجت هيئه كبار العلماء وفصلته واستقال الوزراء الاحرار الدستوريـون من وزاره زيور باشا احتجاجا على الفصل وأقيل وزير العدل عن منصبه وكان عبد العزيز فهمى باشا بهذا السبب .

وحدث مره أخرى أن ألف الدكتور طه حسين كتابا عن الشعر الجاهلـي شك فيه فى بعض المعتقدات فقامت قيامه البرلمان واراد مجلس النواب اخراجـه من منصبه فهدد عدلي باشا رئيس مجلس الوزراء بالاستقاله حماية للبحث العلمي " (١)

عجبا لواقع المسلمين تعتدى طائفه من المنتسبين للاسلام على الاســـلام فاذا ما علت اصوات الصادقين بالاحتجاج قامت طائفه من ذوى النفوذ بحمايتهـم منهم والدفاع عنهم فيستقيل الوزراء ويستقيل رئيس الوزراء والسبب " حماية البحث العلمي " ؟ !!

أرأيتم لو أن باحثا نشر شيئا من خيانه أولئك الوزراء على الشعب وهو صادق فيما يقول ويثبت بالحجه والبرهان ما الذى سيقع عليه ويحل ؟ ! هذا وهـــو صادق فكيف اذا كان كاذبا هل سيدافع عنه أولئك ويسكتون بحجه " حماية البحث العلمي " .

انى لواثق أن " زوار الفجر " سيزورونه وان لم ينصبوا له المشنقه أمام الجمهور نصبوا له ما هو أشد فى الزنزانات المظلمه .

أرأيتم هذا الذى اعتدى على العقائد الاسلاميه هل واجه شيئا من ذلك ؟ ولكنها الاصابع الخفيه تلعب من وراء الستار .

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفـى صبرى جـ ١ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ . عن جريده أخبار اليوم العدد ١٥٥ .

" يقوم الفينه بعد الفينه من سولت له نفسه بالخروج على الاسلام فى ناحيه من نواحيه الاعتقاديه . فيثور احتجاجا عليه فئه من الغيورين على دينهم ويحميه منهم رجال من الوزراء المستبطنين ما اظهره الخارج وان لم يحمه حام عاجلا ففي المستقبل القريب أو البعيد ينال الرجل مكافأه خروجه بأضعاف ما كان له من المراكز والمناصب يوم خرج وثار عليه المستنكرون ... ويكون هذا المصير غبطه لآخرين فتتكرر المهزله فى أيام أخر على مسائل أخرى مماثله "(١).

فلا عجب بعد هذا أن يدعو زعيم من زعماء الالحاد أولئك الذين يحملون مثل تلك الافكار بالخروج بها ونشرها بين الناس ولهم النصر المؤكد يقول أمين الخولي " وأحسبنى لا أجد فى هذا المقام أصوب وأجدى من الحديث في هذه المقدمه عن ذلك الناموس الاجتماعي المطرد على الاجيال منذ قديم عهد الدنيا بالحياة ليربط صدق هذا القانون على قلوب الذين يكتب الله عليهم اليوم وفي الغد القريب أو البعيد والأبعد أن يكونوا حملة فكرة تطوريه ودعوة تجديديه فى أى ميدان من ميادين النشاط الانساني .. فلا يهنون حين تجتمع الدنيا بكثرتها على محاربتهم ولا يشكون لحظه فى النصر مهما تتربص قوى الجهل بهم .. وليعلموا أن هذا النصر المؤكد لا ينال الا بثمنه الباهظ القادح ، من الصدق والصبر اللذين يلذ معهما الالم ، ويهون الصعب ، ويترآى النور من القلوب فى أشد حلكه الظلام ويقوى الايمان حين يستيئس الناس "(٢)

تلكم دعوة أمين الخولي الذى وصفه الاستاذ محمد سيد كيلاني بأنه " كان يدرس مادتي التفسير والبلاغه وظل أمره مستورا الى سنة ١٩٤٧م لا يدرى أحد فى خارج الكليه ما يلقنه أمين لتلاميذه من انواع الكفر والضلال ففي هذه السنه - ١٩٤٧م - تقدم أحد الطلبه برساله موضوعها " الفن القصصى فى القرآن الكريم " للحصول على درجة الدكتوراه من قسم اللغه العربيه وكان أمين هو المشرف على هذه

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبرى جـ ١ ص ٣٢٨ .

(٢) مقدمه أمين الخولي لكتاب " الفن القصصى فى القرآن الكريم " لمحمد احمد خلف الله ص " ل " .

الرساله والموجه للطالب فيما كتب وقد رفضت الرساله "(١).

ومن هنا يبدأ حديثنا

فى عام ١٩٤٧م قدم الطالب محمد احمد خلف الله من كلية الآداب بجامعة فؤاد رساله للحصول على الدكتوراه عن " الفن القصصي فى القرآن الكريم " قرر فيها أن ورود الخبر فى القرآن الكريم لا يقتضي وقوعه وأنه يذكر أشياء وهي لم تقع ويخشى على القرآن !!! من مقارنه أخباره بحقائق التاريخ " هذه الوقفات الطويله وهذا التفكير المستمر جعل العقل الاسلامي يقرر أخيرا ويقرر فى قسوه أن التاريخ ليس من مقاصد القرآن وان التمسك به خطر أى خطر على النبى عليه السلام وعلى القرآن بل هو جدير بأن يدفع الناس الى الكفر بالقرآن كما كفروا من قبل بالتوراة "(٢).

ويقول ان المعاني التاريخيه ليست مما بلغ على أنه دين يتبع وليست من مقاصد القرآن فى شيء ومن هنا أهمل القرآن مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب للاحداث "(٣).

ويصف القرآن بأنه " أساطير " كما وصفه به المشركون ويستدل على هذا بأن القرآن عرض مره واحدة للرد على المشركين " في قيلهم بأنه أساطير وهي المره التى ترد في سوره الفرقان وهذه هي الآيات " وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما "(٤) فهل هذا الرد ينفي ورود الاساطير فى القرآن ؟ أو هو انما ينفي ان تكون هذه الاساطير من عند محمد يكتتبها وتملى عليه ويثبت انها من عند الله قل أنزله الذى يعلم السر .. الخ "(٥) ثم يقول بعد هذا " واذا كان القرآن لا ينفي ورود الاساطير فيه وانما ينفي ان تكون هذه الاساطير

---

(١) ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلاني ص ٨٦- ٨٧ .
(٢) الفن القصصي فى القرآن الكريم : محمد احمد خلف الله ص ٤٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٤ .
(٤) سورة الفرقان الآيتين ٥ ، ٦ .
(٥) الفن القصصي فى القرآن الكريم : محمد احمد خلف الله ص ١٧٨ .

هي الدليل على أنه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله اذا كان هذا ثابتا فانا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير لأنا في ذلك لا نقول قولا يعارض نصا من نصوص القرآن "[١].

وبعد هذا يبرر مخالفة القصص فى القرآن للحقائق الواقعه حسب العاده بها بأن هذا من البلاغه فى القرآن ثم يستدل بهذا على أمر خطير " وان الصنيع البلاغي للقرآن الذى يقوم على تخليص العناصر القصصيه من أحداث وأشخاص وأخبار من معانيها التاريخيه وجعلها صالحه كل الصلاحيه لاستثارة العواطف والانفعالات حتى تكون العظه والعبره وتكون البشاره والانذار وتكون الهدايه والارشاد ويكون الدفاع عن الدعوه الاسلاميه والتمكين لها حتى فى نفوس المعارضه ان هذا كله لهو الدليل القوى على أن القرآن الكريم لا يطلب الايمان برأى معين فى هذه المسائل التاريخيه "[٢].

وهو يريد أن يصل بهذا الى نتيجه أخطر " ومن هنا يصبح من حقنا أو من حق القرآن علينا أن نفسح المجال أمام العقل البشرى ليبحث ويدقق وليس عليه من بأس فى أن ينتهى من هذه البحوث الى ما يخالف هذه المسائل ولن تكون مخالفه لما اراده الله أو لما قصد اليه القرآن لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ ولان القصص القرآني لم يقصد الا الموعظه والعبره وما شابههما من مقاصد وأغراض "[٣].

ثم يقرر ما يعتقده بعد ذلك " اعتقد انك قد فطنت الى ما نريد تقريره من نظريه تحل مشكلات المفسرين وترد اعتراضات المستشرقين والمبشرين ، واعتقد أنك قد فطنت الى أن هذه النظريه ليست الا القول بأن ما بالقصص القرآني من مسائل تاريخيه ليست الا الصور الذهنيه لما يعرفه المعاصرون للنبى عليه السلام عن التاريخ - وما يعرفه هؤلاء لا يلزم ان يكون هو الحق والواقع كما لا يلزم القرآن ان يصحح هذه المسائل أو يردها الى الحق والواقع لان القرآن الكريم كان يجيء

(١) الفن القصصي فى القرآن الكريم : محمد أحمد خلف الله ص ١٧٩ - ١٨٠ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢٥٤ .
(٣) المرجع السابق : ص ٢٥٤ .

فى بيانه المعجز على ما يعتقد العرب وتعتقد البيئه ويعتقد المخاطبون "[1].

وخلاصه القول أن الطالب ينفي الصدق عن القرآن الكريم ومطابقه قصصه للحقائق التاريخيه حسب زعمه ، ويذكرني هذا الالحاد والتكذيب للقرآن الكريم بتكذيب الدكتور طه حسين للقرآن الكريم حين قال فى كتابه " فى الشعر الجاهلي " :- " للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا ايضا ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي "[2].

وما كان لنا ان ندرس هذه القضيه لولا صلة ذكرت بينها وبين استاذ المدرسه العقليه وامامها وبعض تلاميذه .

تبدأ الحكايه حينما ينسب الطالب خلف الله اسباب ذلك الى استاذه أمين الخولي " أما الاسباب التى جعلتنى أعنى بالدراسه الادبيه وأجعل من القرآن ميدان أبحاثى فترجع قبل كل شىء الى نوع من الاستهواء عمل على اذاعته فى نفسي درس أستاذنا الخولي عن المنهج الادبي فى فهم القرآن وتفسيره فقد كانت تلك اللفتات تستقر فى نفسي استقرارا يجعلنى أتخيل أني استطيع تمثل هذا المنهج والسير عليه فى تفسير كتاب الله "[3].

ولا تنسى ما نقلناه عن الاستاذ محمد سيد كيلاني من وصف لأمر أمين الخولي وكونه مستورا لا يدرى أحد في خارج الكليه ما يلقنه لتلاميذه من انواع الكفر والضلال .

ولكن أمين الخولي نفسه لا يحوجنا الى شىء من هذا فهو يقر بنفسه بأن كل ما جاء في الرساله حق حيث يقول " فلو لم يبق في مصر والشرق أحد يقول : انه حق لقلت وحدى وأنا أقذف فى النار أنه حق حق "[4].

---

(١) الفن القصصي في القرآن الكريم : محمد أحمد خلف الله ص ٢٥٥ .
(٢) ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلاني ص ٨٤ عن " في الشعر الجاهلي " لطه حسين ص ٢٦ .
(٣) الفن القصصي فى القرآن الكريم : محمد احمد خلف الله ص ١ .
(٤) المرجع السابق : مقدمه أمين الخولي ص : ح .

اذن فالاستاذ المشرف على الرساله يشارك تلميذه فى كل ما جاء فيها من الحاد وتكذيب للقرآن الكريم .

فقامت الاحتجاجات ورفعت البرقيات للمسئولين ، ورفضت الرساله وطالب أولئك بتطبيق أحكام الرده على خلف الله ودافع عنه استاذه أمين الخولي ودفع الى الميدان بورقته الرابحه عند ضعاف النفوس حيث وصف جامعه فؤاد التى رفضت الرساله انها " ترفض اليوم ما كان يقرره الشيخ محمد عبده بين جدران الازهر منذ اثنين وأربعين عاما "[1] !

وعلّق توفيق الحكيم على هذا بقوله " اننى أحب أن الفت النظر الى نقطة الخطوره فيها تلك هي قوله ان الاستاذ الامام محمد عبده انتهى الى مثل هذه الآراء منذ اثنين واربعين عاما اذا كان هذا القول صحيحا كما يؤكد الاستاذ الخولي فلنا ان نطلب تعليلا لما صرنا اليه وعلى المسئولين من رجال الدين ان يوضحوا الموقف فانه لا يرضيهم أن نرجع اليوم -فى عهدهم- القهقرى .. بعد نهضه اسلاميه بعثها الاستاذ الامام "[2] .

وهم حين يلقون هذا القول يعتقدون انهم يلقونه على رجل لا تصعد اليه المسئوليه بل تتلاشى قبل أن تصل الى مقامه البعيد[3] .

يقول الشيخ مصطفى صبرى رحمه الله تعالى عن الرساله تلك " وانى أرى الرساله المستنكره وما سبقها فى مصر من الاحداث والفتن المماثله الماسه بدين الاسلام وعقائده المحفوظه الى عصر الشيخ محمد عبده .. كلها ناشئه من الاسس التى ابتدعها هذا الشيخ الملقب بالاستاذ الامام ... فلا مناص اذن للقضاء على تيار الفتنه من مصدرها ان تفصل الدعوى مع الامام دون المؤتمين "[4] .

---

(١) الفن القصصي فى القرآن الكريم : محمد احمد خلف الله ص : ح .
(٢) المرجع السابق : ص : ط .
(٣) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبرى جـ ١ ص ٣٤٥ .
(٤) المرجع السابق : جـ ١ ص ٣٤٦ .

وانى ادعو كل رجل مؤمن بالله تعالى ان يجعل الله سبحانه نصب عينيه وان لا يجعل للعاطفه سبيلا عند مناقشه قضيه كهذه القضيه تمس كيان القرآن الكريم ، وان لا يجعل لها سبيلا لطمس الحقائق حينما تمس من نتزله فى نفوسنا منزلة ساميه فلعلنا نكون قد خدعنا به والحقيقه ضاله كل مسلم .

ويجدر بنا هنا ان نقف مع الشيخ محمود شلتوت وقفة يبين لنا فيها مناهج الناس في فهم القصص القرآني حيث يقسمها الى أقسام ثلاثه ويضيف هو منهجا رابعا وهي :-

١ - منهج المؤولين للقصص

" وهو صرف الكلام عن مدلوله اللغوى الى معنى آخر دون ما يدعو الى هذا التأويل " وصاحبه قد يحكّم فيه مجرّد الاستبعاد لما يؤدّيه الكلام من المعنى الظاهر ، وكثيرا ما يقصده بعض الباحثين دفعا لما يثيره خصوم القرآن على القرآن ، ويدخل فى هذا القسم تأويل احياء الموتى المنسوب لعيسى بالاحياء الروحي ، وحمل النمل فى قصة سليمان على أنه قبيله ضعيفه .. " ثم يقول " وهذا المنهج هو من طريقة التأويل التى أسسها الباطنيه فى القرآن الكريم صرفوه بها عن دلالته العربيه وفيه احتفاظ بمدلول للكلام وواقع يدل عليه ولكنه صرف للفظ عن معناه الوضعي الى هذا المعنى الواقعي الذى يزعمه المؤول مدلولا للكلام ، والرأى فى هذه الطريقه أنه يجب ان يطبق عليها قانون التأويل الذى يتلخص فى أنه اذا كان التأويل لا يقضى على أصل دينى ولا يمس عقيده ثابته وهو فى الوقت نفسه يحتفظ للعباره القرآنيه بواقع تعبر عنه تعبيرا صادقا وكانت اللغه تسمح به فانه يكون مقبولا من الوجهتين الدينيه واللغويه واذا لم تسمح به اللغه فهو مرفوض من هذه الجهه صادر عن جهل من صاحبه بقانون التأويل ومرفوض أيضا من جهة ما يلزمه من الحكم بصدور التلبيس من الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا أما اذا كان يقضى على اصل دينى أو يمسّ عقيده فانه يكون مرفوضا ايضا من الوجهه الدينيه "(١).

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٤٥ - ٤٦ .

بقي ان نقول ان الشيخ شلتوت جعل تأويل الشيخ محمد عبده ورشيد رضا لقصه بقرة بني اسرائيل من هذا النوع وسيأتي بيان ذلك .

المنهج الثاني - منهج القائلين بالتخييل :-

وهو يتفق مع المنهج الاول في ناحيه ويخالفه في ناحيه اذ هو صرف للالفاظ عن معانيها الحقيقيه كما في المنهج الاول ولكن لا الى واقع يزعم ويدعى انه مراد وانما الى تخييل ما ليس بواقع واقعا فلا يلزم فيه الصدق ولا ان يكون اخبارا بما حصل وانما هو ضرب من القول شبيه بما يوضع من حكايات بين اشخاص مفروضين أو على السنه الطيور والحيوان للايحاء فقط بمغزى الحكايات من الارشاد الى فضيله والحث عليها أو التحذير من رذيله والتنفير منها ... ولا شك ان القرآن اذا استقبلت دراسته على هذا النحو من الخلط والخبط والادعاء فقد اقتحمت قدسيته وزالت عن النفوس روعة الحق فيه ، وتزلزلت قضاياه في كل ما تناوله من عقائد وتشريع وأخبار "[1] .

المنهج الثالث : منهج المسرفين في قبول الروايات :-

وهو منهج جمهور المفسرين ويقوم على الافراط في تحكيم الروايات الوارده من طرق مختلفه في فهم القصه القرآنيه واعتبار كل ما ورد متصلا بالقصه بيانا وتفصيلا لما جاء في القرآن كما اتخذ الفقهاء الاحاديث المتصله بآيات التشريع بيانا وتفصيلا أو تكميلا لما ورد في الآيات من أحكام وكما اعتبر الفقهاء الاحاديث مصدرا ثانيا للتشريع اعتبر هؤلاء الروايات الوارده في القصه مصدرا ثانيا للقصه بعد القرآن الكريم "[2] .

ويرى الشيخ شلتوت ان ذلك لا يصح في الروايات القصصيه لانها لم تبحث كما بحثت الاحاديث فهذا المنهج فيه افراط أي افراط وذلك يتمثل في كثير من كتب التفسير حينما تصل الى قصص الانبياء مع أممهم .

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٤٦ - ٤٧ .
(٢) المرجع السابق : ص ٤٧ - ٤٨ .

المنهج الرابع : المنهج المختـــار :-

يرى الشيخ شلتوت ان هذه المناهج الثلاثه مترددة بين افراط وتفـــريط فى شأن القصص القرآني وما ينبغى ان يستقبل به حتى يحقق الغايه المقصـــوده من قصه على الناس بالعبره والموعظه وحتى يحدث التسليه للدعاة والمصلحـــين وحتى يتبين للناس أنه القصص الحق المطابق للواقع الذى لا مرية فيه ولا تزيـــد ولا تخيـــل .

وعلى اساس ان الحق وسط بين باطلين نقرر المنهج الرابع الذى يجـــب استقبال القصص القرآني على اساسه وهو المنهج السليم والصراط المستقيم ان شاء الله وخلاصته الوقوف عند ما ورد في القرآن الكريم مع الاحتفاظ بدلالة الالفـــاظ اللغويه على معانيها وافادتها لواقع هي تعبير صحيح عنه دون تزيد عليــــــه بما لم يرد فيه اعتمادا على روايات لا سند لها كما صنع المفرطون ودون تحيـــف لمعانيها باعتبار ان الكلام تخييل لا يعبر عن واقع كما فعل المفرّطون ودون صـــرف للالفاظ عن معانيها الوضعيه الى معان أخرى من غير صارف يمنع اجراء الكلام على ظاهره كما فعل أهل التأويل الذين حرفوا كثيرا من القرآن عن مواضعه وتنكبـــوا قانون العربيه التى نزل بها "[1].

ومن وصف الشيخ شلتوت للمنهج الثاني بأنه يتفق مع الاول في ناحيـــــــه صرف الالفاظ عن معانيها الحقيقيه ندرك ان المنهجين الاول والثاني فى كفه وفـــى الكفه الاخرى المنهج الثالث منهج المفرطين في قبول القصص مع الزيادات الـــتى لا سند لها ، وكلاهما باطل والحق وسط بينهما وهو المنهج الرابع .

ويبرز سؤال عريض أين موقع رأى الشيخ محمد عبده وتلاميذه من تلك المناهج ؟ وهو سؤال سبقت اجابته أو ما يقرب منها حيث أشرنا فى المنهج الاول الى ان الشيخ شلتوت يقول في رأى الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا فى قصه بقرة بنى اسرائيل

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص : ٥٠ .

" وكل هذا لا يتفق وما يريده الشيخان من حمل الآيه على المعنى التشريعى فهذا الحمل تأويل منهما لكنه تأويل لا تساعد عليه اللغه وما هو المعهود من كلام العرب "[1].

اذن فالشيخ شلتوت يضع رأى الشيخ محمد عبده والسيد رشيد في المنهج الاول ثم يصفه بالافراط وبالبطلان وأنه " صرف للالفاظ عن معانيها الوضعيه الى معان أخرى من غير صارف يمنع اجراء الكلام على ظاهره كما فعل أهل التأويل الذين حرفوا كثيرا من القرآن عن مواضعه وتنكبوا قانون العربيه التى نزل بها "[2].

أما الشيخ شلتوت فقد برأ ساحته حينما نقد رأى بعض المتفلسفه المصريين في القصص القرآني فقال " بقي أن جماعه من متفلسفه هذا العصر حاولوا أن يحيدوا بعض آراء قوم حكموا عقولهم فيما قصه الله فقالوا ان مثل هذا القصص لا يلزم ان يكون صادقا يحكي واقعا صحيحا ... "[3] الخ ثم وصف هذا القول بالفساد ومنافاته لقدسية القرآن " وهذه آراء - فضلا عما لها من نتائج سيئه - تذهب بقدسية القرآن من النفوس وتزيل عنه روعة الحق وتزلزل قضاياه في كل ما تناوله من عقائد وتشريع وأخبار ماضيه واحوال مستقبله .."[3]

لقد برأ الشيخ شلتوت ساحته بهذا النص فلا نقاش لنا معه ، ولكننا نشد على عباره وردت في ذمه لهذا المنهج الباطل توقع الشيخ محمد عبده ورشيد رضا وغيرهم فى سلك هذا المنهج المذموم حيث يقول " هذه الآراء فضلا عما لها من تلك النتائج السيئه هي فاسده فى ذاتها لان القرآن عربي نزل بلغة العرب وقانون اللغه المتواتر يقضى بحمل الكلام على ظاهره وما تدل عليه ألفاظه

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٤٥ .
(٢) المرجع السابق : ص ٥٠ .
(٣) المرجع السابق : ص ٢٧٣ .

من المطلبي المعروفه لها عند المخاطبين ما لم يمنع من ذلك الحمل مانع "(١) نشد على هذه العباره لأنه وصف آنفا منهج الشيخ وتلميذه بهذا الوصف .

فهل يريد الشيخ شلتوت بهذا أن يشرك محمد عبده ورشيد رضا مع أولئك ؟ هذا ما يفهم من عباراته ونصوصه المنقوله ، وعلى كل حال سواء أكان يشركه أم لا يشركه فهي شهادة من تلميذ ببطلان منهج أستاذه يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار .

وكلمه حق يجب أن نسوقها قبل سياق نصوص محمد عبده وتلميذه رشيد ذلك أنه لم يصدر عنهما أى تصريح بأن قصص القرآن منافيه للحقيقه أو وصفهما بالكذب ومغايرة الواقع أقول انه لم يصدر نص صريح بهذا أما أن كلامهما يحتمل ذلك ويحتمل غيره فهذا أمر لا تنفيه ولندع نصوصهم تتحدث .

قال الشيخ محمد عبده فى تفسيره قصه آدم فى الجنه التى تحدثت عنها الآيات فى قوله تعالى :- " وقلنا ياآدم اسكن انت وزوجك الجنه وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين "(٢) الآيات يقول الشيخ عبده :- " وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف فى التمثيل فيقال فيه : ان القرآن كثيرا ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغه السؤال والجواب أو بأسلوب الحكايه لما في ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الاذهان الى ما وراءها من المعاني كقوله تعالى (٥٠ : ٣٠ يوم نقول لجهنم هل امتلأت ؟ وتقول هل من مزيد) فليس المراد ان الله تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه وانما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا ونحوه قوله عز وجل بعد ذكر الاستواء الى خلق السماء (٤١ : ١١ فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) والمعنى فى التمثيل ظاهر " .

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ٢٧٣ - ٢٧٤ -
(٢) سورة البقره الآيه : ٣٥ .

ثم قال " وتقرير التمثيل فى القصه على هذا المذهب هكذا : ان اخبار الله الملائكه بجعل الانسان خليفه فى الارض هو عبارة عن تهيئه الارض وقوى هذا العالم وارواحه التى بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيهما فيكون به كمال الوجود فى هذه الارض - وسؤال الملائكه عن جعل خليفه يفسد فى الارض لأنه يعمل باختياره ويعطى استعداد فى العلم والعمل لا حدّ لهما هو تصوير لما في استعداد الانسان لذلك وتمهيد لبيان أنه لا ينافى خلافته فى الارض - وتعليم آدم الاسماء كلها بيان لاستعداد الانسان لعلم كلّ شيء فى هذه الارض وانتفاعه به فى استعمارها - وعرض الاسماء على الملائكه وسؤالهم عنها وتنصلهم فى الجواب تصوير لكون الشعور الذى يصاحب كل روح من الارواح المدبره للعوالم محدودا لا يتعدى وظيفته - وسجود الملائكه لآدم عبارة عن تسخير هذه الارواح والقوى له ينتفع بها فى ترقية الكون بمعرفة سنن اللـه تعالى فى ذلك - واباء ابليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الانسان عن اخضاع روح الشر وابطال داعيه خواطر السوء التى هي مثار التنازع والتخاصم والتعدى والافساد فى الارض - ولولا ذلك لجاء على الانسان زمن يكون فيه أفراده كالملائكه بل اعظم أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشرى .

هذا ملخص ما تقدم في سابق آيات القصه ، وأما التمثيل فيما نحن فيه منها فيصح عليه أن يراد بالجنه الراحة والنعيم فان من شأن الانسان أن يجد فى الجنه التى هى الحديقه ذات الشجر الملتف ما يلذ له من مرأى ومأكول ومشروب ومشموم ومسموم (١) فى ظل ظليل وهواء عليل وماء سلسبيل كما قال تعالى فى القصه من سورة طه (أن لك الا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى) ويصح أن يعبر عن السعاده بالكون فى الجنه وهو مستعمل ، ويصح أن يراد بآدم نوع الانسان كما يطلق اسم أبي القبيله الاكبر على القبيله فيقال كلب فعلت كذا

---

(١) هكذا وردت ولعلها (ومسموع) .

ويراد قبيلة كلب ، وكان من قريش كذا يعنى القبيله التى أبوها قريش ، وفى كلام العرب كثير من هذا .

ويصح أن يراد بالشجرة معنى الشر والمخالفه كما عبر الله تعالى فى مقام التمثيل عن الكلمه الطيبه بالشجرة الطيبه ، وفسرت كلمه التوحيد وعن الكلمه الخبيثه بالشجرة الخبيثه وفسرت بكلمه الكفر وفى الحديث تشبيه المؤمن بشجرة النخل - ويصح أن يكون المراد بالأمر بسكنى الجنه وبالهبوط منها أمر التكوين فقد تقدم أن الأمر الالهي قسمان : أمر تكوين ، وأمر تكليف . والمعنى على هذا ان الله تعالى كون النوع البشرى على ما نشاهد فى الاطوار التدريجيه التي قال فيها سبحانه (٧١ : ١٤ وقد خلقكم أطوارا) فأولها طور الطفوليه وهي لا هم فيها ولا كدر وانما هي لعب ولهو كأن الطفل دائما في جنة ملتفة الاشجار يانعة الثمار جارية الانهار متناغيه الاطيار وهذا معنى (اسكن انت وزوجك الجنه) وذكر الزوجه مع أن المراد بآدم النوع الآدمي للتنبيه على الشمول وعلى أن استعداد المرأه كاستعداد الرجل فى جميع الشئون البشريه فأمر آدم وحواء بالسكنى أمر تكوين أى أنه تعالى خلق البشر ذكورا واناثا هكذا - وأمرهما بالاكل حيث شاءا عبارة عن اباحة الطيبات والهام معرفة الخير والنهى عن الشجرة عبارة عن الهام معرفة الشر ، وأن الفطرة تهدى الى قبحه ووجوب اجتنابه وهذان الالهامان اللذان يكونان للانسان فى الطور الثاني وهو طور التمييز هما المراد بقوله تعالى (٩٠ : ١١ وهديناه النجدين) ووسوسه الشيطان وازلاله لهما عبارة عن وظيفه تلك الروح الخبيثه التى تلابس النفوس البشريه فتقوى فيها داعية الشر ، أى أن الهام التقوى والخير أقوى في فطرة الانسان أو هو الاصل ولذلك لا يفعل الشر الا بملابسة الشيطان له ووسوسته اليه - والخروج من الجنه مثال لما يلاقيه الانسان من البلاء والعناء بالخروج عن حدّ الاعتدال الفطرى - وأما تلقي آدم الكلمات وتوبته فهو بيان لما عرف فى الفطره السليمه

من الاعتبار بالعقوبات التي تعقب الافعال السيئه ورجوعه الى الله تعالى عند الضيق والتجائه اليه في الشدة وتوبه الله تعالى عليه عبارة عن هدايته اياه الى المخرج من الضيق والتفلت من شرك البلاء بعد ذلك الاعتبار والالتجاء وذكر توبة الله على الانسان ترد ما عليه النصارى من اعتقاد أن الله تعالى قد سجل معصية آدم عليه وعلى نبيه الى أن يأتي عيسى ويخلصهم منها وهو اعتقاد تنبذه الفطره ويرده الوحي المحكم المتواتر ...

وبقى طور آخر أعلى من هذه الاطوار وهو منتهى الكمال وأعنى به طور الدين الالهى والوحي السماوى الذى به كمال الهدايه الانسانيه وبيانه فى قوله تعالى " قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون "[1] [2].

ذلكم ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده فى تأويل قصه آدم فى الجنه ومنه ندرك أن الامام لم يصرح بما صرح به خلف الله من أن قصص القرآن منافيه للواقع مخالفه للحقيقه ، وهو ولا شك وافقه فى حمل القصه على غير ظاهر الفاظها الى معنى أو معان اخرى لا يدل عليها ظاهر الكلام ومن غير مسوغ لذلك .

وهو مذهب لم يذهب اليه الشيخ محمد عبده فى هذه القصه فحسب بل هو منهج سار عليه وبعض تلاميذه فى معظم قصص وأخبار القرآن الكريم ففي قوله تعالى " ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون "[3] قال السيد رشيد رضا " ولا يشترط ان تكون القصه فى مثل هذا التعبير واقعه بل يصح مثله فى القصص التمثيليه اذ يراد أن من شأن مثلها فى وضوحه ان يكون

---

(١) سورة البقره الآيتين : ٣٨ ، ٣٩ .
(٢) تفسير المنار جـ ١ ص ٢٨٠ - ٢٨٤ وانظر تفسير المراغي جـ ١ ص ٩٤ - ٩٦ فقد نقل هذا النص ووصف أستاذه بالاجاده .
(٣) سورة البقره الآيه : ٢٤٣ .

معلوما حتى كأنه مرئي بالعينين "[1] ثم ذهب في تفسير الآيه " فقال لهم الله موتوا " أي أماتهم بامكان العدو منهم فالأمر أمر التكوين لا أمر التشريع أي قضت سنته في خلقه بأن يموتوا بما أتوه من سبب الموت وهو تمكين العدو والمحارب من أقفائهم بالفرار ففتك بهم وقتل أكثرهم ولم يصرح بأنهم ماتوا لأن أمر التكوين عباره عن مشيئته سبحانه فلا يمكن تخلفه وللاستغناء عن التصريح بقوله بعد ذلك " ثم أحياهم " وانما يكون الاحياء بعد الموت والكلام فى القوم لا في أفراد لهم خصوصيه لأن المراد بيان سنته تعالى فى الامم التى تجبن فلا تدافع العادين عليها ومعنى حياة الامم وموتها فى عرف الناس جميعهم معروف فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم وأزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمه، بأن تفرق شملها وذهبت جامعتها فكل من بقي من أفرادها خاضعين للغالبين ضائعين فيهم مدغمين فى غمارهم لا وجود لهم فى انفسهم وانما وجودهم تابع لوجود غيرهم ومعنى حياتهم هو عود الاستقلال اليهم ذلك أن من رحمه الله تعالى في البلاء يصيب الناس أنه يكون تأديبا لهم ومطهرا لنفوسهم مما عرض لها من دنس الاخلاق الذميمه أشعر الله أولئك القوم بسوء عاقبة الجبن والخوف والفشل والتخاذل بما أذاقهم من مرارتها فجمعوا كلمتهم ووثقوا رابطتهم حتى عادت لهم وحدتهم قويه فاعتزوا وكثروا الى أن خرجوا من ذل العبوديه التى كانوا فيها الى عز الاستقلال فهذا معنى حياة الامم وموتها "[2].

ويبين الشيخ محمد عبده رأيه فى القصه فى القرآن الكريم بعض بيان حين يقول " يظن كثير من الناس الآن كما ظن كثير ممن قبلهم - أن القصص التى جاءت فى القرآن يجب أن تتفق مع ما جاء فى كتب بنى اسرائيل المعروفه عند النصارى بالعهد العتيق أو كتب التاريخ القديمه ، وليس القرآن تاريخا ولا قصصا وانما هو

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ٢ ص : ٤٥٧ .

(٢) المرجع السابق : جـ ٢ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ وانظر تفسير المراغي جـ ٢ ص ٢٠٨ - ٢٠٩

هدايه وموعظه فلا يذكر قصة لبيان تاريخ حدوثها ولا لأجل التفكه بها أو الاحاطه بتفصيلها وانما يذكر ما يذكره لاجل العبره كما قال تعالى (١٢ : ١١١ لقد كان في قصصهم عبره لاولى الالباب) وبيان سنن الاجتماع كما قال (٣ : ١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبه المكذبين "[١]

وهو يكرر مثل هذا الكلام فى مواضع عديده من التفسير فيقول فى تفسير قوله تعالى " واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم " الايه [٢] " ان كثيرا من أعداء القرآن يأخذون عليه عدم الترتيب فى القصص ويقولون هنا أن الاستسقاء وضرب الحجر كان قبل التيه وقبل الأمر بدخول تلك القريه فذكرهنا بعد تلك الوقائع ، والجواب عن هذه الشبهه يفهم مما قلناه مرارا فى قصص الانبياء والامم الوارده فى القرآن وهو أنه لم يقصد بها التاريخ وسرد الوقائع مرتبه بحسب أزمنة وقوعها . وانما المراد بها الاعتبار والعظه ببيان النعم المتصله بأسبابها لتطلب بها وبيان النقم بعللها لتتقى من جهتها "[٣] ثم يقول " ان ترتيب الوقائع هو من الزينه فى وضع التأليف فلا يتوقف عليه الاعتبار بل ربما يصد عنه بما يكلف الذهن من ملاحظته وحفظه فهذا ضرب من ضروب الاصلاح العلمي جاء به القرآن وأيده سير الاجتماع فى الانسان "[٣] .

وفى قوله تعالى " واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقره "[٤] الآيات يقول الشيخ محمد عبده " جاءت هذه الآيات على اسلوب القرآن الخاص الذى لم يسبق اليه ولم يلحق فيه فهو فى هذه القصص لم يلتزم ترتيب المؤرخين ولا طريقة الكتاب فى تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الوقائع حتى فى القصه الواحده وانما ينسق الكلام فيه بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب ويحرك الفكر الى النظر تحريكا ويهز

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٧٠ .
(٢) سورة البقره من الآيه : ٦٠ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٢٧ .
(٤) سورة البقره من الآيه ٦٧ .

النفوس للاعتبار هزا "[1].

قال الشيخ رشيد " قد جرى على هذا الاسلوب كتاب القصص المخترعه والاساطير التى يسمونها للروايات فى هذا العصر "[2] ويسلب السيد رشيد خصائص هذه القصه من كونها معجزه لموسى عليه السلام فى قضيه خاصه أحيا الله بها ميتا " ليريكم آياته " فيحملها على أنها وسيلة للفصل في الدماء عند بنى اسرائيل ويحمل احياء الميت فيها على حفظ الدماء على حد قوله تعالى " ولكم فى القصاص حياة "[3] يقول السيد رشيد في هذا " والظاهر مما قدمنا ان ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل فى الدماء عند التنازع فى القاتل اذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجاني من غيره ... ومعنى احياء الموتى على هذا حفظ الدماء التى كانت عرضه لان تسفك بسبب الخلاف فى قتل تلك النفس أى يحييها بمثل هذه الاحكام وهذا الاحياء على حد قوله تعالى (٥ : ٣٢ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) وقوله (ولكم فى القصاص حياه) ويريكم آياته بما يفصل بها في الخصومات ويزيل من اسباب الفتن والعداوات فهو كقوله تعالى (٤ : ١٠٥ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) "[4].

وهو يذكر ان الحكم ورد فى التوراة فى أول الفصل الحادى والعشرين من سفر تثنية الاشتراع ونصه :-

١ - اذا وجد قتيل فى الارض التى يعطيك الرب الهك لتمتلكها واقعا فى الحقل لا يعلم من قتله .

٢ - يخرج شيوخك وقضاتك ويقيسون الى المدن التى حول القتيل .

٣ - فالمدينه القربى من القتيل يأخذ شيوخ تلك المدينه عجله من البقر لم يحرث عليها لم تجرّ بالنّير "[5].

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .
(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .
(٣) سورة البقره من الآيه : ١٧٩ .
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٣٥١ .
(٥) المرجع السابق : جـ ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

ثم يمضى النص فى بيان الحكم بكسر عنق العجله ثم يتقدم الشيوخ ويغسلون أيديهم على العجله ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم واعيننا لم تبصر .

وقال الشيخ محمد عبده فى موضع آخر عن التاريخ والقصه القرآنيه :-

" ليس فى القرآن شىء من التاريخ من حيث هو قصص وأخبار للامم أو البلاد لمعرفة أحوالها وانما هي الآيات والعبر تجلت فى سياق الوقائع بين الرسل وأقوامهم لبيان سنن الله تعالى فيهم انذارا للكافرين بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وتثبيتا لقلبه وقلوب المؤمنين به ، ولذلك لم تذكر قصة بترتيبها وتفاصيلها وانما يذكر موضع العبره فيها " (١) .

وقال فى تفسير قوله تعالى " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين " (٢) " وان اخبار التاريخ ليست مما بلغ على أنه دين يتبع والموضوعات المرويه فى بناء الكعبه كثيره " (٣) .

وفى تفسير قوله تعالى " أو كالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه " الآيه (٤) قال الشيخ رشيد رضا " ويحتمل ان تكون القصه من قبيل التمثيل " (٥) .

وقال الشيخ محمد عبده " بيّنا غير مرة ان القصص جاءت فى القرآن لاجل الموعظه والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الاخبار عند الغابرين ، وانه ليحكى من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عاداتهم النافع والضار لاجل الموعظه والاعتبار فحكاية القرآن لا تعدو موضع العبره ولا تتجاوز موطن الهدايه " (٦) .

ولا ندرى ما الذى يقصده الشيخ بهذا ؟ هل يريد انه اذا كانت قصصه ليست للتاريخ وانما للهدايه والاعتبار فانها لا تلتزم حقائق التاريخ بل تشتمل على ما لم يقع وما لم يحدث ؟ !

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٢٠٥ .
(٢) سوره آل عمران : الآيه ٩٦ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٧ .
(٤) سورة البقره من الآيه : ٢٥٩ .
(٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٥٢ .
(٦) المرجع السابق : جـ ١ ص ٣٩٩ .

وهل يريد بزعمه وزعم تلميذه ان قصص القرآن " لا تتجاوز موطن الهدايه " وانها لم ترد الا " للعظه والاعتبار " الورود الذى يسوغ لقائلها ان يتجاوز الحقائق ويروى ما لم يقع ولم يحصل مادامت فى حيز الهدايه والعظه كما يسوغ للحكيم ان يروى حكمته ويسديها الى الناس على ألسنة الحيوانات والطيور .

هل يريد بهذا ان يرفض قوله تعالى ووصفه لقصص القرآن بأنها الحق " ان هذا لهو القصص الحق "[1] وقوله سبحانه " نحن نقص عليك نبأهم بالحق "[2] وقوله سبحانه " ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين "[3] .

وهل يقصد الشيخ بقوله " ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الاخبار " اباحة ردّ شىء من جزئياتها وتكذيبها وأن ذلك لا يخالف عقيدة المسلم ؟ !

ان كان وتلاميذه يقصدون هذا ولم يصرحوا به كما صرح به خلف الله فى رسالته الملحده فهو أمر يذكرنا بقول تلميذه الاستاذ محمد فريد وجدى :-

" وقد اتصل الشرق الاسلامي بالغرب منذ اكثر من مئه سنه فأخذ يرتشف من مناهله العلميه ويقتبس من مدنيته الماديه فوقف فيما وقف على هذه الميتولوجيا " علم الاساطير " ووجد دينه ماثلا فيها فلم ينبس بكلمه لانه يرى الأمر اكبر من أن يحاوله ولكنه استبطن الالحاد متيقنا أنه مصير اخوانه كافه متى وصلوا الى درجته العلميه ، وقد نبغ فى البلاد الاسلاميه كتاب وشعراء وقفوا على هذه البحوث العلميه فسحرتهم فأخذوا يهيئون الاذهان لقبولها دسا فى مقالاتهم وقصائدهم غير مصارحين بها غير أمثالهم تفاديا من أن يقاطعوا أو ينفوا من الارض "[4] .

والحق أنا لا نرى كبير فارق بين قولي الشيخ محمد عبده والاستاذ خلف الله فان رأى الشيخ فى قصص القرآن أنها " تمثيل وتخييل وهي للعظه والهدايه" ورأى خلف الله " انها مخالفه للواقع ومختلقه وهي للعظه والهدايه " .

---

(١) سورة آل عمران من الآيه ٦٢ .
(٢) سورة الكهف من الآيه ١٣ .
(٣) سورة الانعام من الآيه ٥٧ .
(٤) جريدة الاهرام ٣٠/٨/١٩٣٣م . مقال مذهب القرآن في المتشابهات محمد فريد وجدى .

فهما متفقان على الشطر الثاني ، ومتفقان فى الشطر الأول على أن ظاهر لفظها غير مراد وانها غير واقعه عبر الاول عن ذلك بالتمثيل والتخييل وعبر الثاني عنه بالاختلاق .

ولا ينفي هذا قوله فى موضع آخر " وجملة القول ان طريقه القرآن فى قصص الذين خلوا هي منتهى الحكمه وما كان لمحمد الأمي الناشئ فى تلك الجاهليه الأميه أن يرتقى اليها بفكره ، وقد جهلها الحكماء فى عصره وقبل عصره ولكنها هداية الله تعالى لعباده أوحاها الى صفوته منهم صلى الله عليه وسلم (٧ : ٤٣ وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) فعلينا وقد ظهرت الآيه ووضحت السبيل ان لا نلتفت الى روايات الغابرين فى تلك القصص ولا نعد مخالفتها للقرآن شبهه نبالي بكشفها "(١) .

واني لأستعيد هنا نصوصا ذكرتها تؤيد ما قلته . قال السيد رشيد " ولا يشترط ان تكون القصه فى مثل هذا التعبير واقعه بل يصح مثله فى القصص التمثيليه "(٢) ويقول " وان اخبار التاريخ ليست مما بلغ على أنه دين يتبع "(٣) ويقول فى احدى القصص " ويحتمل ان تكون القصه من قبيل التمثيل "(٤) ويقول أخيرا " قد جرى على هذا الاسلوب كتاب القصص المخترعه والاساطير التى يسمونها الروايات فى هذا العصر "(٥) .

ويقول شيخه محمد عبده " بينا غير مره ان القصص جاءت فى القرآن لاجل الموعظه والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الاخبار عند الغابرين "(٦) .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ٤٧٢ .
(٢) المرجع السابق : جـ ٢ ص ٤٥٧ .
(٣) المرجع السابق : جـ ٤ ص ٧ .
(٤) المرجع السابق : جـ ٣ ص ٥٠٢ .
(٥) المرجع السابق : جـ ١ ص ٣٤٧ .
(٦) المرجع السابق : جـ ١ ص ٣٩٩ .

ولني لادعو كل مسلم ان يجعل البحث عن الحقيقه هدفه وان لا تحميه منزلة الرجل بين الناس عن طلبها وان يجعل الحق ميزانا للاقوال لا ان يجعل الرجال ميزانا لها .

وبعد أن يؤمن بهذا فلينظر فيما سقناه من النصوص فى مذهب الشـيخ محمد عبده وبعض تلاميذه فى القصه فى القرآن الكريم . وما لم نذكره اختصـارا ثم ليقل رأيه بعد هذا وليرشدنا الى الحق ان كنا قد تجاوزناه فالحقيقــه ضالتنا .

اعجاز القرآن الكريم :

انزل الله سبحانه كتابه على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وتحدى به الناس اجمعين ان يأتوا بمثله فعجزوا ولم تزل البشريه عاجزه الى ان يرث الله الارض ومن عليها فكانت المعجزه الخالده .

وقد اراد الله سبحانه ان يكون التحدى ابلغ ما يكون فتحداهم ان يأتوا بمثل هذا القرآن " قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "(١) وتحداهم ان يأتوا بعشر سور مثله مفتريات " ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين "(٢) وتحداهم بسوره من مثله " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين "(٣) ام يقولون افتراه قل فأتوا بسوره مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين "(٤) وتحداهم ان يأتوا بحديث مثله " أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين "(٥) .

وعجزوا بعد هذا كله ان يأتوا بمثله ومن بعدهم اكثر عجزا منهم ، فثبت بهذا العجز منهم اعجازه وبعجزهم وعجز من بعدهم ثبت لنا ذلك وسيثبت اعجاز القرآن على هذا المعنى الى يوم القيامه .

(١) سوره الاسراء : آيه : ٨٨ .
(٢) سوره هود : الأيه : ١٣ .
(٣) سوره البقره : الآيه : ٢٣ .
(٤) سوره يونس : الايه : ٣٨ .
(٥) سوره الطور الآيتين : ٣٣ و ٣٤ .

قال بهذا المسلمون جميعا وقال به ارباب المدرسه العقليه الحديثه وكان لقولهم باعجازه مزيه . عددنا فيما ذكرنا من اسس منهجهم في التفسير تحكيم العقل والعقل عند محكميه لا يؤمن بما يخرق أحكامه والمعجزات خارقه لها بزعمهم فوقع ارباب المدرسه العقليه في تبلبل أيقولون بالمعجزات فيخالفون احكام العقل التي بها يؤمنون ، أم ينفونها فيخالفون الدين الذى اليه ينتمون؟ فأرادوا الجمع بين الأمرين فأنكروا بعض المعجزات بتأويلها بما لا تكون به اعجازا أو بتضعيف اسانيد روايتها !! وشعروا انهم جردوا النبوه خاصه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مما يثبتها من المعجزات فأرادوا تعويض هذا كله باثبات اعجاز القرآن واطاله الاشاده بهذا الاعجاز كسد نقص منهم عن المعجزات الاخرى لنبينا صلى الله عليه وسلم .

وحتى اعجاز القرآن الكريم أبوا الا ان يكون اثباته بالعقل ، والعقل وحده قال الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي " والامم العربيه الآن ومن أزمان خلت لا يفقهون الاعجاز من النظم العربي ، وقد انقضى عصر الذين ادركوا الاعجاز من طريق الذوق ، وآمنوا بالقرآن بسبب هذا الادراك ، ونحن الآن نقيم على الاعجاز أدلة عقليه فنقول :- ان القرآن تحدى العرب وانهم عجزوا ، وهذا يدل على أنه من عند الله "(١) .

بل ان القرآن هو المعجزه الوحيده القاهره " ولم تكن معجزه محمد صلى الله عليه وسلم القاهره الا في القرآن وهي معجزة عقليه وما ابدع قول البوصيرى :-

لم يمتحنا بما تعيا العقول به حرصا علينا . فلم نرتب ولم نهم "(٢) .

ويقول الشيخ محمود شلتوت عن اعجاز القرآن " وقد كانت معجزات الرسل قبله خوارق حسيه لا عقليه يجول فيها العقل ويصول ويعمل فيها الذهن بالتفكير والتدبر وكانت منقرضه لا دائمه وذلك لان رسالتهم لم تكن عامه لأهل زمنهم ولا خالده "(٣) .

---

(١) بحث في ترجمة القرآن الكريم : محمد مصطفى المراغي ص : ١٠ .
(٢) حياة محمد : محمد حسين هيكل تقديم محمد مصطفى المراغي ص : ١٢ .
(٣) الاسلام عقيدة وشريعه : محمود شلتوت : ص ٤٧٨ .

وهم بعد ان يثبتوا وقوع التحدى بالقرآن الكريم بنصوص منه يردون على من زعم عدم توفر الداعي عند العرب لمعارضه القرآن الكريم فيقول الشيخ محمد عبده " كان يتحداهم بمثل هذه الآيات الصادعه التى تثير النخوه وتهيج الغيره مع علو كعبهم فى البلاغه ورسوخ عرقهم في اساليبها وفنونها في عصر ارتقت فيه دولــة الكلام ارتقاء لم تعرف مثله الأيام حتى كانوا يتبارون فيه ويتنافسون ويباهون ويفاخرون ويعقدون لذلك المجامع ويقيمون الاسواق ثم يطيرون بأخبارها فى الآفـــاق ومع هذا لم يتصد أحد منهم للمعارضه ولم ينهض بليغ من مصاقعهم الى المناهضه" ويواصل السيد رشيد رضا كلام استاذه فيقول " بل تواتر عنهم ما كان من الاعراض عن المعارضه بأسلات ألسنتهم ، والفزع الى المقارعه بأسنه أسلهم وسفك دمائهم بأسيافهم وتخريب بيوتهم ، أفلم يكن الأجد بمداره قريش وفحولها وغرر بني معد وجحولها أن يجتمعوا على تأليف سوره ببلاغتهم التى كانوا يتبارون فيها بســوق عكاظ وغيرها من مجامع مفاخراتهم ويؤثروا هذا على سوق الخميس بعد الخميس من صناديدهم الى يثرب لقتال محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن به " رضى " فى بدر وأحد ووراء الخندق لو كان ذلك مستطاعا لهم ؟ ومثل هذا يقال في اليهود الذين كانوا بجواره فى المدينه فأمنهم على دينهم واموالهم وأعراضهم فأبــوا الا اعانه مشركي قومه عليه حتى اضطروه الى قتالهم واخراج بقيه السيف من ديارهم فلاشك ان الله تعالى قد رفع هذا الكلام الى درجة لا يرتقي البشر اليها وهــو تعالى جده العالم بمبلغ استطاعتهم ، والمالك لأعنه قدرتهم "(١) .

ويعدّ السيد رشيد من فوائد قوله تعالى " ولن تفعلوا " من الآيه " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسوره من مثله وادعوا شهداءكم من دون اللــه ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا " الآيه (٢) فيقول " ومن فائده هذا القول

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ١ ص ١٩٥ - ١٩٦ .
(٢) سوره البقــره : الآيتين ٢٣ و ٢٤ .

فى عهد نزوله وقبل ظهور تأويله أن قرعه لسمع من لا يؤمن بالغيب يقتضى أشد التحريض على المعارضه التى يظهر بها العجز ويقوم البرهان "(١) .

وقال محمد عبده " تواتر الخبر كذلك بما كان من الحرص على معارضه النبى صلى الله عليه وسلم والتماسهم الوسائل قريبها وبعيدها لابطال دعواه وتكذيبه فى الاخبار عن الله واتيانهم فى ذلك على مبلغ استطاعتهم ، وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزه الملك على معاندته والامراء الذين يدعوهم السلطان الى مناوأته والخطباء والشعراء والكتاب الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعته ، وقد اشتد جميع أولئك في مقاومته وانهالوا بقواهم عليه استكبارا عن الخضوع له وتمسكا بما كانوا عليه من أديان آبائهم وحمية لعقائدهم وعقائد اسلافهم وهو مع ذلك يخطئ آراءهم ويسفه أحلامهم ويحتقر أصنامهم ويدعوهم الى ما لا تعهده أيامهم ولم تحقق لمثله أعلامهم ولا حجه له بين يدى ذلك كله الا تحديهم بالاتيان بمثل أقصر سوره من ذلك الكتاب أو بعشر سور من مثله وكان فى استطاعتهم ان يجمعوا اليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاءوا ليأتوا بشىء من مثل ما أتى به ليبطلوا الحجه ويفحموا صاحب الدعوه .

جاءنا الخبر المتواتر أنه مع طول زمن التحدى ولجاج القوم فى التحدى اصيبوا بالعجز ورجعوا بالخيبه وحقت للكتاب العزيز الكلمه العليا على كل كلام وقضى حكمه العلي على جميع الاحكام "(٢) .

اذن فدواعي معارضة القرآن الكريم عند العرب متوفره وموجوده ولم يقم أحد منهم بمعارضه القرآن الكريم " اذ لو وجد له معارض أتى بسوره مثله لتوفرت الدواعي على نقلها بالتواتر ايضا ، بل لكانت فتنة أرتد بها المسلمون على ادبارهم "(٣)

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٩٧ .
(٢) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٤٥ - ١٤٦ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٩٨ .

ولما لم يقع هذا ثبت الاعجاز بالقرآن الكريم .

وليس لاعجاز القرآن الكريم مزية واحده بل مزايا عديده تحلو قدرة المخلوق علما وحكما وبيانا للعلم والحكمه لهذا حار العلماء - كما يقول السيد رشيد في تحديد وجه الاعجاز بعد ثبوته بالعلم اليقيني الذي بلغ حدّ الضروره في ظهوره (١) .

وعقد السيد رشيد فصلا (٢) في تفسيره لتحقيق وجوه الاعجاز في القرآن الكريم وصفه بالاختصار والايجاز ذكر فيه وجوها سبعه .

أولها : اعجاز القرآن بأسلوبه ونظمه .
ثانيها : « « ببلاغته .
ثالثها : « « بما فيه من علم الغيب .
رابعها : « « بسلامته من الاختلاف .
خامسها : « « بالعلوم الدينيه والتشريع .
سادسها : « « بعجز الزمان عن ابطال شيء منه .
سابعها : « « بتحقيق مسائل كانت مجهوله للبشر .

وقد تحدث السيد رشيد عن هذه الوجوه السبعه بشيء من التفصيل .

وهم يستدلون بهذا الاعجاز للقرآن الكريم على كونه من الله سبحانه وتعالى ودليلا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ محمد عبده " أليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أمي أعظم معجزه وأدل برهان على أنه ليس من صنع البشر وانما هو النور المنبعث عن شمس العلم الالهي والحكم الصادر عن المقام الرباني على لسان الرسول الامي صلوات الله عليه ؟ " (٣) ويقول " فثبت بهذه المعجزه العظمى وقام الدليل بهذا الكتاب الباقي الذي لا يطرئ عليه التغيير ولا يتناوله التبديل أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله الى خلقه فيجب التصديق برسالته والاعتقاد بجميع ما ورد في الكتاب المنزل عليه والاخذ بكل ما ثبت عنه من هدى وسنه متبعه وقد جاء في الكتاب أنه خاتم

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٩٨ .
(٢) انظر المرجع السابق : ج ١ الصفحات ١٩٨ - ٢١٢ .
(٣) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٤٦ - ١٤٧ .

الانبياء فوجب علينا الايمان بذلك كذلك "[1] .

وقال الشيخ شلتوت عن القرآن الكريم " وقد أنزله الله لأمرين عظيمين أحدهما أن يكون معجزه داله على صدق الرسول في دعوى الرساله والتبليغ عنه سبحانه "[2] .

ويثبت السيد رشيد هذا فيقول " والحق الذى يقال في هذا المقام ان ما أيد الله تعالى به رسله من الآيات الكونيه كان مناسبا لحال زمان كل منهم واهله . وقامت الحجه على من شاهد تلك الآيات في عهده ثم على من صدق المخبرين من بعده وقد علم الله تعالى ان سلسلة النقل ستنقطع وأن ثقة بعض المتأخرين به ولا سيما بعد انقطاع سلسلته ستضعف وأن دلالتها على الرساله ستنكر - فجعل الآيه الكبرى على اثبات رسالة خاتم النبين عليه دائمه لا تنقطع وهي هذا الكتاب المعجز للخلق بما فيه من انواع الاعجاز السبعه التى ذكرناها وبينا أن كل واحد منها آيه بينه لمن ألقى السمع وهو شهيد وكان مستقلا من أسر النظريات الماديه وقيود التقليد اذ لا يتصور عاقل يؤمن برب العالمين أن يصدر هذا الكتاب المشتمل على هذا القدر السنيع من المعاني في هذا الأسلوب البديع والنظم المنيع من المباني من رجل أمي ولا متعلم أيضا الا أن يكون وحيا اختصه به الرب عز وجل ناهيك به وقد جزم بعجز الانس والجن عن أن يأتوا بمثله ثم تحداهم بسوره من مثله فهذا التحدى حجة مستقله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بصرف النظر عن المتحدى به ما هو وكل نوع من تلك الانواع السبعه الثابته للقرآن حجة مستقله في نفسها وحجه انهض وأقوى باعتبار أمية من جاء بها فان أمكن تمحل المراء والجدل في بعض الوجوه التى ذكرنا لاعجازه فهل يمكن ذلك في جملتها أو في كل منها ؟ كلا "[3] .

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٥١ .
(٢) الاسلام عقيده وشريعه : محمود شلتوت ص ٤٧٧ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢١٨ .

هذا قبس مما قالوه في اعجاز القرآن الكريم لا نخالفهم فى وقوع التحدى بالقرآن الكريم ولا نخالفهم فى عجز الانس والجن عن الاتيان بمثله ـ فهذا أمر مسلم به بين المسلمين لا ينكره مسلم .

وانما الذى لا نوافقهم عليه ولا نرضاه منهم ولا من غيرهم الاشادة باعجاز القرآن الكريم على حساب المعجزات النبويه الاخرى والتقليل من شأنها اما بانكارها أو تضعيف اسانيد روايتها أو بتأويلها على أمر لا تكون به معجزه . وسنعرض لهذا الأمر ان شاء الله فى مبحث المعجزات .

نحن لا نوافقهم على هذا فاعجاز القرآن الكريم حق نؤمن به وما ورد من المعجزات الاخرى غير القرآن حق نؤمن به ايضا .

ولقد أطال رجال المدرسه العقليه الحديثه عن اعجاز القرآن الكريم واشادوا به وسعوا لاثباته واقامه الدليل عليه وانما فعلوا ذلك كسد نقص منهم للجانب الآخر من المعجزات الذى هدموه .

ولو اتبع أولئك منهج السلامه وطريق أهل السنه والجماعه لاثبتوا اعجاز القرآن وغيره من معجزاته صلى الله عليه وسلم مما لا يخالف العقل ولا ينافيه ولكنها الانهزاميه . . الانهزاميه التى ابتلى بها كثير من المسلمين فى العصور المتأخره ذهبت بهم الى أن يتنازلوا عن بعض الحقائق الثابته فى دينهم خشيه ان يصفه رجال الافرنج " الاحرار " بأنه دين يؤمن بالخوارق ؟ ! وما في ذاك من عيب ولكنه ضعف الايمان أمام بريق الحضاره الزائف الذى يغشى العيون العمش (١) أنار الله ابصارنا وبصائرنا وأياكم .

---

(١) العمش : محرّكه ضعف البصر مع سيلان الدمع فى اكثر الاوقات قاله الفيروزآبادى فى القاموس .

المملكة العربية السعودية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية
كلية اصول الدين بالرياض
قسم التفسير



منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير

الجزء الثاني

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

اعداد

فهد بن عبدالرحمن بن سليمان الرومي

اشراف

الدكتور : مصطفى مسلم
الاستاذ في كلية اصول الدين بالرياض



العام الجامعي

١٣٩٩ - ١٤٠٠ هـ

١٩٧٩ - ١٩٨٠ م

البـــاب الرابـــع

موقف المدرسة العقلية الحديثة من قضايا قرآنيــة :

أولا : الوحى

ثانيا : البعث وامارات الساعة .

ثالثا : القضاء والقـدر .

رابعا : المعجــزات.

خامسا : أصل الانســان .

سادسا : الملائكــة .

سابعا : الجــن .

أولا : الوحـــي :-

قال تعالى " وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجــاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم "[1] وقال سبحانه " انــا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا "[2] وقال سبحانه " قل انما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا مـا ينذرون "[3] وقال سبحانه " ان هو الا وحي يوحى "[4] .

والوحي في الاصل الاعلام في خفاء سواء كان بطريق الاشاره أو الكــلام أو الرساله أو الالهام . قال الراغب الاصفهاني : أصل الوحي الاشاره السريعه ولتضمن السرعه قيل مر وحي وشيء وحي أى عجل مسرع ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وباشاره ببعض الجوارح ، وبالكتابه .

اذن فمعنى الوحي في اللغه : الاعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجــه اليه ، بحيث يخفى على غيره ويدخل تحت ذلك انواع عديده من الاعلام[5] :-

منها الالهام الغريزي كالوحي الى النحل " وأوحى ربك الى النحل أن أتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون "[6] .

ومنها الهام الخواطر بما يلقيه الله في روع الانسان السليم الفطره الطاهر الروح كالوحي الى أم موسى (وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليـــه فالقيه في اليم ، ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين "[7] .

ومنها :- وسوسه الشيطان " وان الشياطين ليوحون الى اوليائهـــــم

---

(١) سورة الشورى : الآيه ٥١ . (٢) سورة النساء : الآيه ١٦٣ .
(٣) سورة الانبياء : الآيه ٤٥ . (٤) سورة النجم : الآيه ٤ .
(٥) لمحات في علوم القرآن : محمد الصباغ ص ٢٢ - ٢٣ .
(٦) سورة النحل : الآيه ٦٨ .
(٧) سورة القصص : الآيه ٧ .

ليجادلوكم "[1] " وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا "[2].

أما في الشرع فيراد بالوحي " اعلام الله لاحد عباده ويكون هذا الاعلام بطرق متعدده فقد سأل الحرث بن هشام رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمنى فأعي ما يقول قالت عائشه رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا " أخرجه البخارى ومسلم والموطأ والترمذى واللفظ للبخارى .

ومن الوحي ما يكون منا ما قالت عائشه رضى الله عنها " أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحه فى النوم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح " الحديث متفق عليه ، وقال ابراهيم عليه السلام " يابنى انى أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى "[3].

أما الايمان بالوحي فدل على وجوبه الكتاب والسنه النبويه الشريفه والاجماع وليس علينا بعد هذا - لزاما - ان ننظر في أدلة أخرى الا اذا كان هذا النظر من باب طلب الطمأنينه القلبيه التى طلبها ابراهيم عليه السلام ليس الا .

وان كان كذلك الأمر فليس بضائر أن نقول ان العلم الحديث كشف لنا أنه من الممكن أن يخاطب الانسان من كان فى آفاق عنه بعيده ، وان يفهمه ما شاء ويرشده الى ما اراد . بل مكنه أن يشاهد صورته كما يسمع صوته .

وأمكن من هذا كله - مادام ذلك من شأن البشر - أن يكلم الله وهو فى سماواته العلى من شاء من عباده فى ارضه أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء .

---

(١) سورة الانعام الآيه : ١٢١ .
(٢) سورة الانعام الآيه : ١١٢ .
(٣) سورة الصافات الآيه : ١٠٢ .

ونضيف الى هذا أيضا ذلكم النظام الذى تسير عليها بعض الممالك الحيوانيه كمملكه النحل أو مملكه النمل من نظام دقيق فى حياتها تعجز عن تعليل أسبابه العقول . فتلتمس له سببا حتى تسمع قول الله تعالى " وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون "(١) . فلا تملك الا الاذعان بالايمان بأن هذا لا يكون الا بتدبير منه سبحانه . واذا صح هذا فى عالم الحيوان فهو أولى ان يصح فى الانسان الذى كرمه ربه وفضله على كثير من خلقه " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا "(٢) .

ومادام العقل السليم يقرّ ويؤمن بوجود الله سبحانه ويسلم بعد هذا وبعد استقراء الادله برسالة محمد صلى الله عليه وسلم واخوانه الانبياء والرسل من قبله فانه يؤمن ولا شك بوقوع الوحي . كيف وقد أخبر أولئك الرسل الذين آمن ذلكم العقل بصدقهم . بوقوعه .

كيف لا يثبت لهؤلاء الانبياء الحدّ الفاصل بين من يستمد آراءه وأحكامه وقوانينه من عند نفسه وبين من يستمد تشريعه وأحكامه من ربه من غير زيادة أو نقصان .

ولاهمية هذا الحدّ الفاصل بين هؤلاء وهؤلاء وكونه السمه البارزه فى وزن تلك التشريعات سعي أعداء الاسلام للتشكيك فى وقوعه وبذلوا جهدا فكريا شاقا فى تكلف وتمحّل ، من أجل التلبيس على حقيقته والخلط بينه وبين الالهام وحديث النفس بل وحتى الصرع ايضا وسلطوا شبهاتهم لازالة هذا الحدّ الفاصل من حياته صلى الله عليه وسلم ليصلوا بعد هذا الى هدفهم ومقصودهم بترسيخ فكرة أن ما دعا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من المبادىء والاحكام التشريعيه ليس الا من تفكيره الذاتي(٣) ليقضوا بهذا على الاسلام كله " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون "(٤) .

---

(١) سورة النحل : الآيه ٦٨ .

(٢) سورة الاسراء : الآيه ٧٠ .

(٣) كبرى اليقينيات الكونيه : محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٠٠ .

(٤) سورة الصف : الآيه ٨ .

ذلكم أن القرآن الكريم انما أنزله المسلمون هذه المنزله العليا واستمدوا منه احكامهم وحلّ في قلوبهم تلك المكانه انما هو لاعتقادهم انه كلام الله سبحانه وتعالى وتشريعه وليس لمحمد صلى الله عليه وسلم الا تبليغه للناس، وكذا العقيده الاسلاميه كلها انما تستمد احكامها ونظامها من ذلكم القرآن فهى ايضا مستمده من الله سبحانه وتعالى ليس للبشر فيها الا التبليغ والاقرار .

بل الانبياء أنفسهم انما اتبعهم من اتبعهم من الناس وامتثلوا لاوامرهم لانهم انما يعتقدون فيهم أنهم مبلغون عن الله سبحانه وليسوا مبتدعين ذلك من عند انفسهم فليس لهم فيما يحكون الا البلاغ " فهل على الرسل الا البلاغ المبين "(1) " وما على الرسول الا البلاغ المبين "(2) " وما علينا الا البلاغ المبين "(3) " فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين "(4) " فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين "(5) .

فلا عجب ان يتجه من يريد هدم الاسلام من اعدائه فى القديم والحديث الى تلك العقيده " عقيدة الوحي " وذلك بالتشكيك فى صحتها والتشكيك فى ثبوت الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم .

فكان من شبهات أعداء الاسلام فى عصره صلى الله عليه وسلم الزعم بأن القرآن الكريم أسطوره من الاساطير " يقول الذين كفروا ان هذا الا أساطير الاولين "(6) " واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا أساطير الاولين "(7) " اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين "(8) .

وكان من شبهاتهم الزعم بأن هذا القرآن انما يتلقاه محمد صلى الله عليه وسلم عن انسان آخر . ولم يحسنوا حبك هذه الشبهه فزعموا أنه انما يتلقاه عن انسان أعجمى " ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون

---

(١) سورة النحل من الآيه : ٣٥

(٢) سورة النور من الآيه ٥٤ وسورة العنكبوت من الآيه ١٨ .

(٣) سورة يس من الآيه : ١٧

(٤) سورة النحل من الآيه ٨٢ .

(٥) سورة التغابن من الآيه : ١٢

(٦) سورة الانعام من الآيه ٢٥ .

(٧) سورة النحل من الآيه : ٢٤

(٨) سورة القلم الآيه ١٥ وسورة المطففين الآيه ١٣ .

اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين "[1].

وجاء الاعداء في العصر الحديث وهم اكثر مكرا وكيدا للاسلام واهلـه فزادوا على الشبه القديمه شبها أخرى وزعموا - حتى يخدعوا المنهزمين فكريا أمامهم - أن شبههم هذه انما تقوم على العلم الحديث .

وكان من شبهاتهم قولهم "كان محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يكن فيلسوفا ولكنه لم يزل يفكر في هذا الأمر الى ان تكونت في نفسه بطريق الكشف التدريجي المستمر عقيده كان يراها الكفيله بالقضاء على الوثنيه "[2] وقالوا " ان سبب الوحي النازل على محمد والدعوه التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع "[3] وقالوا " ان الوحي الهام كان يفيض من نفس النبي الموحى اليه لا من الخارج ، ذلك أن منازع نفسه العاليه وسريرته الطاهره وقوة ايمانه بالله وبوجوب عبادته وترك ما سواها من عبادة وثنيه وتقاليد وراثيه رديئه يكون لها في جملتها من التأثير ما يتجلى في ذهنه ويحدث في عقله الباطن الرؤى والاحوال الروحيه فيتصور ما يعتقد وجوبه ارشادا الهيا نازلا عليه من السماء بدون وساطه أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك يعتقد أنه ملك من عالم الغيب ، وقد يسمعه يقول ذلك ، وانما يرى ويسمع ما يعتقده في اليقظه ، كما يرى ويسمع مثل ذلك في المنام الذي هو مظهر من مظاهر الوحي عند جميع الانبياء ، فكل ما يخبر به النبي من كلام ألقي في روعه ، أو عن ملك ألقاه على سمعه ، فهو خبر صادق عنده .

يقول هؤلاء الماديون نحن لا نشك في صدق محمد في خبره عما رأى وسمع وانما نقول ان منبع ذلك من نفسه وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذي يقال أنه وراء عالم الماده والطبيعه الذي يعرفه جميع الناس ، فان هذا الغيب شيء لم يثبت عندنا وجوده كما أنه لم يثبت عندنا ما ينفيه ويلحقه بالمحال ، وانما نفسر الظواهر غير المعتاده بما عرفنا وثبت عندنا دون ما لم يثبت "[4].

---

(١) سورة النحل الآيه : ١٠٣ .
(٢) حاضر العالم الاسلامي : لوثروب ستودارد من تعليق شكيب ارسلان جـ ١ صـ ٣٩
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٤ .
(٤) الوحي المحمدي : محمد رشيد رضا ص ٧٥ .

ونحن لن نذهب نجادل أولئك القوم الماديين فى تلك القضيه الفرعيه فخلافنا معهم فى الاصل ، وهو اشتراط ان يكون للشيء مادة محسوسه حتى يتم الايمان به وبوجوده ، وهو شرط مردود عليهم ذلكم أن مما يجب الايمان به وقد علم وجوده ضروره ما ليس له ماده نستطيع نحن البشر ادراكها فى هذه الحياة ولا يخفى وجوده على أحد ثم انهم قالوا فى الوحي كما نقلنا "كما أنه لم يثبت عندنا ما ينفيه" ومادام الأمر كذلك فان الايمان بالوحي يكون واجبا اذا جاء ما يثبته . ولم يثبت ما ينفيه وقد كان فليكن الايمان به .

وانما قصدنا من الاشاره الى شبهات أعداء الاسلام من الاوربيين فى العصر الحديث في قضية الوحي الى تحديد معالم النزاع في الوحي بين المسلمين واعدائهم .

ولندرك بعد هذا حقيقة النفر الذين ادركوا من استقراء عقائد الاسلام منزلة الوحي واهميته فى الشريعه الاسلاميه وثبوته ثبوتا قاطعا ، واطلعوا بعد هذا على شبهات اعداء الدين وما شابوها به من صبغه علميه لينخدع بها من ذهب ببصره أو كاد بريق الحضاره الغربيه الحديثه الزائف .

فأرادوا - ود ينهم الاسلام - تضييق الفجوه بين المسلمين واعدائهم فى هذه العقيده عقيده الوحي فجاءوا بتعريفات للوحي جديده لا يكون بينها وبين نظريات الاعداء ذلك الصدام الواقع بين تعريف المسلمين وتعريف الاعداء .

ثم حملوا بعد هذا أقوال الغربيين وتعريفهم للوحي محملا حسنا واكتفوا منهم بما يكون به محمد صلى الله عليه وسلم عبقريا لا نبيا وما يكون به القرآن الكريم نتاج معرفه محمد صلى الله عليه وسلم للحق بطريق التأمل لا بطريق الوحي بمعناه الحقيقى ؟! وزعموا بعد هذا أن ذلك لا يبعد كثيرا عن العقيده التى عليها المسلمون ؟!

ورجال المدرسه العقليه الحديثه حينما فعلوا هذا فانما فعلوه خشية أن يوصف دينهم بمخالفة النظريات العلميه الحديثه ، ولذلك فقد أخذت قضية

الوحي واثباته وتقريبه لعقول الغربيين والماديين حيزا كبيرا من بحوثهم .

ولهذا أعرض الشيخ محمد عبده عن تعريف السلف للوحى وجاء بتعريف جديد من عنده لأنه " سئم من الاستمرار على ما يألفون واندفع الى طلب شيء مما لا يعرفون "[1] فقال في تعريف الوحي " وقد عرفوه شرعا أنه اعلام الله تعالى لنبى من انبيائه بحكم شرعي ونحوه أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطه أو بغير واسطه والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت ويفرق بينه وبين الالهام بأن الالهام وجدان تستيقنه النفس وتنساق الى ما يطلب من غير شعور منها من أين اتى وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور "[2] .

أما تعريفه للوحي بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه فيبطله ما هو معلوم من انواع الوحي حيث قال صلى الله عليه وسلم حين سئل كيف يأتيك الوحي فأجاب " أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمنى فأعي ما يقول "[3] ومن ذلك ايضا " وكلم الله موسى تكليما "[4] فهذا لا يشمله كله الوصف بأنه " عرفان يجده الشخص من نفسه " فهو وصف قاصر لا يصح القول به .

وكذا قوله " مع اليقين بأنه من عند الله " لا يصح ، ذلكم ان بعض النفوس قد تستيقن ما تجده من عرفان بأنه من عند الله وما هو من عنده بل هو من الشيطان فما الوسواس الذى يجده الموسوسون فى نفوسهم فى الأمر الدينى الا اعتقاد منهم بأنه تنبيه الهي لهم بتقصيرهم فى الوضوء مثلا فيعيدونه مرات ومرات وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . وما ذلكم الوسواس الا من الشيطان قال تعالى " قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس

---

(١) انظر تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١١ .
(٢) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٠٨ .
(٣) أخرجه البخارى ومسلم والموطأ والترمذى واللفظ للبخارى .
(٤) سورة النساء : من الآيه ١٦٤ .

في صدور الناس من الجنة والناس"[1] .

" وكل من خالف الرسول - كما يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى - لا يخرج عن الظن وما تهوى الانفس فان كان ممن يعتقد ما قاله وله فيه حجه يستدل بها كان غايته الظن الذى لا يغني من الحق شيئا كاحتجاجهم بقياس فاسد أو نقل كاذب أو خطاب القى اليهم اعتقدوا أنه من الله وكان من القاء الشيطان"[2]

ثم ان قول الاستاذ محمد عبده في الوحي " يجده الشخص من نفسه " باطل لا يصح ذلكم ان الوحي ليس من نفس الانسان بل هو من خارجها فهو من الله سبحانه وتعالى لا من نفس الانسان بل ان هذا الزعم هو الشبهه التى زعمها أعداء الاسلام في الوحي حين زعموا أنه تكوّن في نفسه بطريق الكشف التدريجي أو زعموا أنه الوحي النفسي . ولهذا أدرك الشيخ رشيد رضا أن هذا القول يشمل (قبل التفرقه بينه وبين الالهام) ما يسميه بعضهم بالوحي النفسي أو الالهام الفائض من استعداد النفس العاليه وقال وقد اثبته بعض علماء الافرنج لنبينا صلى الله عليه وسلم كغيره فقالوا ان محمدا يستحيل أن يكون كاذبا فيما دعا اليه من الدين القويم والشرع والادب السامي "[3] .

ثم لا ندري سببا لهذا الاصرار من محمد عبده وتلميذه السيد رشيد على التعبير عن الوحي بأنه عرفان أو شيء يجده الانسان من نفسه من غير تفكر أو استنباط . ولنقرأ تعريف السيد رشيد رضا الذى عزّ عليه أن يعرض عن تفسير السلف للوحي وعزّ عليه أيضا ان لا يستأنس بتعريف استاذه فقال " الوحي في اللغه اعلام في خفاء . ووحي الله تعالى الى انبيائه علم يخصهم به من غير كسب منهم ولا تعلم من غيرهم بل هو شيء يجدونه في انفسهم من غير تفكر ولا استنباط مقترنا بعلم وجداني ضروري بأن الذى القاه في قلوبهم هو الرب القادر على كل شيء ، وقد يتمثل لهم ملك فيلقنهم ذلك العلم ، وقد يكون بغير وساطه ملك "[4] .

---

(١) سورة الناس .
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيميه : جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ج ١٣ ص ٦٧ - ٦٨ .
(٣) الوحي المحمدى : محمد رشيد رضا ص ٣٩ .
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٢٠ .

وانت ترى ان هذا التعريف من السيد رشيد لا يصح ذلكم أن قوله " ولا تعلم من غيرهم " يبطله قوله تعالى "علمه شديد القوى " [1] ثم انه ينقضه بنفسه بقوله بعد هذا " وقد يتمثل لهم ملك فيلقنهم ذلك العلم .

قلت لا ندرى لم هذا الاصرار من الشيخ عبده والسيد رشيد على التعبير عن الوحي بأنه " يجدونه فى انفسهم " أو " يجده الشخص من نفسه " وكذا قول الشيخ عبده " ان روح النبى منطويه على الدين في جملته من قبل أن ينزل عليه الوحي بتفصيل مسائله " [2] ؟ ! ! لا ندرى لهذا سببا الا ان يكون متأثرا بشبهات المستشرقين ممن انكر الوحي الالهي منهم وزعم أنه وحي نفسي نابع من نفس محمد لا من خارج ذاته .

ويتحدث الشيخ محمد عبده بعد هذا عن امكان وقوع الوحي فيقول " أما امكان حصول هذا النوع من العرفان (الوحي) وانكشاف ما غاب من مصالح البشر عن عامتهم لمن يختصه الله بذلك ، وسهوله فهمه عند العقل فلا أراه مما يصعب ادراكه الا على من لا يريد أن يدرك ويحب أن يرغم نفسه الفهامه على أن لا تفهم " [3]

ومادام الشيخ محمد عبده يدرك جلاء حقيقة الوحي ووضوحها الا عند من لا يريد أن يفهم فان الاحرى به أن يثبت على منهج السلف بتعريفهم للوحي المستند الى الكتاب والسنه وأن لا يأتي وتلاميذه بتعريفات يتكرر فيها مثل " عرفان " " يجده الشخص من نفسه " أو " يجدونه في انفسهم " " مقترنا بعلم وجداني " " يتمثل لسمعه " وما الى ذلك من الالفاظ التى ارادوا بها التقرب الى رجال العلم فى العصر الحديث حيث تلقى القبول لديهم بقدر ما تبعد عن التعريف الصحيح للوحي كما جاء عند السلف وسنده استقراء آيات الكتاب الكريم والسنه النبويه الشريفه .

---

(١) سورة النجم الآيه : ٥ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٢ ص ١٤ .

(٣) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٠٩ .

ويواصل الشيخ حديثه فى اثبات امكان الوحي " قلت : أى أستحاله فـى الوحي وان ينكشف لفلان ما لا ينكشف لغيره من غير فكر ولا ترتيب مقدمات مع العلم ان ذلك من قبل واهب الفكر ومانح النظر ، متى حفت العناية من ميّزته هـذه النعمه ؟

مما شهدت به البديهه أن درجات العقول متفاوته تعلو بعضها بعضـا وأن الادنى منها لا يدرك ما عليه الاعلى الا على وجه من الاجمال وأن ذلك ليس لتفاوت المراتب فى التعليم فقط بل لابد معه من التفاوت فى الفطر التى لا مدخل فيها لاختيار الانسان وكسبه ولا شبهه فى أن من النظريات عند بعض العقـلاء ما هو بديهي عند من هو أرقى منه ولا تزال المراتب ترتقي فى ذلك الى ما لا يحصره العـدد .. "(١)

ثم يقول " فاذا سلم ولا محيص عن التسليم ما اسلفنا من المقدمات فمـن ضعف العقل والنكول عن النتيجه لمقدماتها عند الوصول اليها أن لا يسلم بأن من النفوس البشريه ما يكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطره ما تستعد به من محض الفيض الالهي لأن تتصل بالافق الاعلى وتنتهى من الانسانيه الى الذروه العليـا وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها الى تعقله أو تحسسـه بعصا الدليل والبرهان وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو وضوحا على ما يتلقـاه أحدنا عن اساتذه التعاليم ثم تصدر عن ذلك العلم الى تعليم ما علمت ودعوه الناس الى ما حملت على ابلاغه اليهم وأن يكون ذلك سنة الله فى كل أمه وفى كل زمان حسب الحاجه يظهر برحمته من يختصه بعنايته ليفي للاجتماع ما يضطر اليـه من مصلحه الى ان يبلغ النوع الانساني أشده وتكون الاعلام التى نصبها لهدايتـه الى سعادته كافيه فى ارشاده فتختم الرساله ويغلق باب النبوه "(٢) .

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١١٠ .

(٢) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١١٠-١١١ .



ولنا وقفة هنا مع الشيخ محمد عبده حيث يقول "... الى ان يبلغ النوع الانساني أشده" وهي عبارة كثر ترديدها بين رجال المدرسه العقليه الحديثه ويرتبون على بلوغه أشده أو سن الرشد انقطاع النبوه والوحي . ولنتسآل عن قصدهم بهذا ؟

نعرف ان الشيخ محمد عبده يرى ان المجتمع البشرى في مجموعه مرّ بنفس المراحل التى تمرّ بها أو مرت أفراده . فبدأ المجتمع البشرى بمرحله الطفوليه النوعيه لا يألف من الوجود الا ما وقع تحت حسه ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمسه وأن يتناول بذهنه من المعاني ما لا يقرب من لمسه .."[1] الى أن وصل المجتمع البشرى الى المرحله الاخيره المذكوره "سن الرشد" أو "بلوغه الرشد" .

ولعلنا نفهم جوابا لهذا من قول الشيخ عبده "الى ان يبلغ النوع الانسانى اشده ... فتختم الرساله ويغلق باب النبوه" لعلنا نفهم من هذا أن النبوة والعقل بمنزلة واحده يغنى كلا منهما عن الآخر فعند عدم كمال العقل تأتي النبوه ويرسل الانبياء وعند كمال العقل وبلوغ "سن الرشد" تنتهى الحاجه الى النبوه والانبياء فلينقطعا اذن فالبشريه قد بلغت سن الرشد وليس لها من حاجه الى النبوه وهدايتها ولنكتفى بأحكام العقل وهدايته ؟ !

وحتى لا يكون فيما فهمته من عبارته جناية عليه من سوء فهمى فاني أشير الى عباره للدكتور محمد احمد خلف الله الذى عرف عنه تأثره بأقوال الشيخ عبده واستدلاله بها دائما فى الحادثه وما نسبته قصص القرآن الكريم الى الاساطير عنا ببعيد يقول الدكتور :-

"ولقد كان قول القرآن عند محمد عليه السلام : "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين" الوثيقه الخطيره فى سبيل تحرير العقل

---

(١) انظر رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٦٦ .

الانساني والفكر العربي ... ان معنى هذه الوثيقه ان الانسانيه قد بلغت سن الرشد ومرحله تحمل الاعباء ، وليست فى حاجه بعد اليوم الى وحي السماء "[1] ويؤكد هذا مرة أخرى فيقول " والقرآن الكريم ينهى وصاية السماء على الارض بانهاء النبوه والرساله "[2] ؟!!

لعل الأمر بعد هذا بلغ الوضوح ولنا أن نقول ان انقطاع الوحي لن يكون أبدا بسبب بلوغ النوع الانساني أشده المزعوم فما بلغ النوع الانساني أشده بل هو في عصره فى جاهليه هي أشد جهلا منها آنذاك وهو فى وثنيه اكثر ضلالا . وما بنى هذا الزعم الا على نظريه التطور التي قال بها المشككون في الدين حيث زعموا ان الانسان بدأ حياته لا يفقه منها شيئا ولم يزل عقله ينمو ويتطور الى ان بلغ أشده . ولنا فى هذا قول سيأتي ان شاء الله فى مبحث أصل الانسان .

ولندع الحديث بعد هذا للشيخ محمد عبده ليرد على من ينكر تمثل الصوت والشبح للملائكه حيث يقول :- " أما تمثل الصوت واشباح لتلك الارواح فى حس من اختصه الله بتلك المنزله فقد عهد عند اعداء الانبياء ما لا يبعد عنه فى بعض المصابين بأمراض خاصه على زعمهم فقد سلموا ان بعض معقولاتهم يتمثل فى خيالهم ويصل الى درجة المحسوس فيصدق المريض فى قوله انه يرى ويسمع بل يجالد ويصارع ولا شيء من ذلك فى الحقيقه بواقع ، فان جاز التمثل فى الصور المعقوله ولا منشأ لها الا في النفس وان ذلك يكون عند عروض عارض على المخ فلم لا يجوز تمثل الحقائق المعقوله في النفوس العاليه وان يكون ذلك لها عند ما تنزل عن عالم الحس وتتصل بحظائر القدس وتكون تلك الحال من لواحق صحة العقل فى اهل تلك الدرجه لاختصاص مزاجهم بما لا يوجد فى مزاج غيرهم ؟ وغايه ما يلزم عنه ان يكون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غير معروف فى تلك العلاقه من سواهم

(١) القرآن ومشكلات حياتنا المعاصره : محمد احمد خلف الله ص ٧٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٨١ .

وهو مما يسهل قبوله بل يتحتم لأن شأنهم في الناس ايضا غير الشئون المألوفه وهذه المغايره من أهم ما امتازوا به وقام منها الدليل على رسالتهم والدليل على سلامة شهودهم وصحة ما يحدثون عنه أن أمراض القلوب تشفى بدوائهم وان ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوه فى اممهم التى تأخذ بمقالهم ومن المنكر فى البديهه ان يصدر الصحيح من معتل ، ويستقيم النظام بمختل "[1] .

ويثبت تلميذه السيد رشيد رضا هذا بحجة أخرى جديده غير الحجه التي كان السلف يثبته به مقللا من شأن حجتهم بوصفه لهم ب " يكتفون " :- " وأما تمثل الملك فكانوا يكتفون فى اثباته بقولهم أنه ممكن فى نفسه وقد أخبر به الصادق فوجب تصديقه ونقول اليوم ان العلوم الكونيه لم تبق شيئا من أخبار عالم الغيب غريبا الا وقربته الى العقل بل والى الحس تقريبا بل ظهر من الاختراعات الماديه المشاهده فى هذا العصر ما كان يعد عند الجماهير محالا فى نظر العقل ، لا غريبا فقط فاذا كان الانسان الكيميائى يحلل الاجسام الكثيفه حتى تصير غازات لا ترى من شده لطفها ويكثف العناصر اللطيفه فتكون كالجامده بطبعها فكيف يستغرب تكثيف الملك لنفسه وهو من الارواح ذات المرّه والقوه العظيمه يأخذه من مواد العالم المنبثه فيه هيكلا على صورة الانسان مثلا ؟ دع مخترعات الكهرباء العجيبه التى لا يوجد شىء مما أخبر به الرسل من عالم الغيب الا وفيها نظير له يقربه من الحس لا من العقل وحده . وهل الكهرباء الا قوة مسخره للملائكه ؟ ودع ما يثبته الالوف من علماء الامم كلها من تمثل بعض أرواح البشر لبعض الناس فى صور كصور الاجساد "[2] .

ونحن لا نقبل ان يستدل على امكان وقوع الوحي بما يعرض للمصابين بأمراض خاصه حيث يتمثل فى خيالهم أنهم يرون ويسمعون بل ويجالدون ويصارعون ولا شىء من ذلك في الحقيقه بواقع " لا نقبل الاستدلال بمثل هذا على امكان

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

الوحي فوقوع الوحي للنبي حقيقه وليس خيالا والأمر هنا على فرض وقوعه خيال لا حقيقه ولا يستدل بوقوع الخيال على وقوع الحقيقه اللهم الا اذا كانوا يكتفون من الوحي للنبى بأنه وحي ذاتي أو وحي نفسي لا من خارج ذاته بل من خيالاته فهذا مما زعمه اعداء الاسلام وهو غاية مساهمتهم في التشكيك في الوحي .

هذا من ناحيه استدلال الشيخ محمد عبده . أما ما ذكره السيد رشيد " من تمثل بعض ارواح البشر لبعض الناس في صور كصور الاجساد " فلعله يقصد أمر تحضير الارواح الذى كان له جوله في عصره وصوله فان كان الامر كذلك فهو كاستاذه يستدل بوقوع أمر باطل على وقوع أمر حق وهذا لا يكون أما أمر تحضير الارواح فقد خدع به كثير من ذوى الثقافه ، ادرك بعضهم الخداع والشعوذه والخيالات والاوهام التى تقوم عليها تلك الاحداث فرجع مكذبا مبطلا لها كاشفا لما فيها من ذلك واقرأ ان شئت كتاب الدكتور محمد محمد حسين " الروحيه الحديثه دعوة هدامه " وهو يكتب عن تجربه عاشها وأحداث جربها لا يجازف بالخوض فيما لا يعرفه (1) .

وينهج الاستاذ محمد فريد وجدى ذلك النهج الذى سلكه استاذه محمد عبده والسيد رشيد في الاستدلال على اثبات الوحي وهو " أشد ما ترتطم به عقول المعاصرين من الشبهات العلميه " (2) فيقول " ان روح الوجود (3) الذى صور الكائنات كلها على أى اساليب الايجاد شاء - سواء أخلق كلا منها خلقا مستقلا أم اشتق بعضها من بعض على قاعدة التحول التدريجى - لم يقطع امداده لها طرفة عين وكيف يعقل ذلك وهي مستمده وجوده منه وسابحه فيه سبح النينان (4) في المحيط الزاخر .. منه وجدت وبه تحيا ، وفيه تفنى ؟ ومما يجب لفت النظر اليه ان تدبير روح الوجود (3) للكائنات وشده اتصاله بها أظهر ما تكون في

---

(1) انظر الروحيه الحديثه دعوة هدامه : محمد محمد حسين ص ٣٣ .
(2) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ١١ .
(3) هذا ليس من اسماء الله ولا من صفاته التى وردت في الكتاب والسنه وهي أمر توقيفى لا مجال للاجتهاد فيها .
(4) يقصد به الحيتان ومفردها " النون " .

الكائنات الدنيا من الاحياء ، ثم يأخذ لمتصاله بها فى الخفاء حتى يصل الأمـــر الى الانسان فيخيل اليه انه مستقل عنه ولا يعتقد باتصاله به الا باعمال الفكـــره وانعام الرويه . خذ في يدك بذره من تفاحه وتأملها تكاد لا تفترق عن الحصاة الميته ، فان قيل لك ولم تكن رأيت ذلك من قبل ان هذه البذره توضع فى الارض فتنبت ، ويأخذ هذا النبات في النمو حتى يصير شجرة ثم تزهر فتتفرج زهوره عمن ثمر التفاح اليانع في مذاقه الشهي وأريجه الشذى ولونه الوردى وملمسه الحريرى . لكذبت محدثك واتهمته بالازدراء بك والسخريه منك .. ذلك لانك لا تعقـــل ان هذه البذره الغافله عن وجودها تنفرج متى غرست فى الارض وسقيت بالمـــاء عن جذير وسويق الأول يغوص فى الطين يتطلب مواده الذائبه وأملاحه المقومه ولا يرتفع الى سطحه .. والثاني يرتفع الى سطحه متطلبا الهواء والنور ، ومهمـــا حاولت ان تغير وضع هذين العضوين فانك لا تستطيع .. أليس هذا الامـــر وحده الذى ليس له عله معقوله يدلك على فعل الروح العام فيه والى دفعه لكـــل من هذين العضوين الى موضعيهما اللذين لابد من وجودهما فيهما لاداء وظيفتيهما فى الانبات ؟

أليس هذا الأمر وحده يدل على هداية الحياة العامه لهذا النبـــات الضعيف وعلى دفعها لكل عضو فيه الى موضعه ؟ " ثم يضرب الاستاذ وجـــدى بعد مثل المملكه النباتيه مثلا من المملكه الحيوانيه وبعض طباعها وينتقل من هـــذا الى الانسان :- " ولقد وصلنا الى الانسان فهل يتلقى مددا من الروح العـــام على نحو ما يتلقاه النبات والحيوان ؟ أما المدد الجثماني فلا يمكن التشكك فيـــه فانك لا تبصر ولا تدرى ما يحدث فى بلوريه عينيك من التحدب والانبساط على حسب أبعاد المرئيات ولا بحدقتيهما من الضيق والاتساع على قدر كثره النور وقلته وتأكـــل وتهضم وأنت غافل عما يحدث فى احشائك من التحليل والتركيب والتصفيه والتصعيـــد حتى ليخرج من الخبز والخضر والفاكهه التى نتعاطاها عضل ودم وعظم وشعر وأوتار وغضاريف وأعصاب ..

فمن الذى يدير كل هذه الاجهزه الدقيقه واكثر أهل الارض لا يعلمون من أمرها شيئا ؟ ومن الذى يهديها الى وظائفها ويقودها الى ما يقومها ويصلحها ؟ هذا حال الجثمان .. فهل يتلقى الروح الانساني مددا عقليا من الروح العام ؟ لقد أريتك كيف ان الحيوانات تلهم ما تعمله الهاما وتعجز عن أن تنتجه بعقولها انتاجا .. فشريعتها مبثوثه فى جميع آحادها على السواء فليس فيها علماء وجهلاء وأوساط ولكن كل فرد منها يلهم ما يصلح له الهاما فيكرر العمل الذى كانت تعمله الكائنات التى من نوعه منذ وجدت على الارض .. فلما وجد الانسان وكان قريبا من الحيوان فى سذاجته وتجرده من الاوليات الضروريه لوجوده تولاه الوحي لا من طريق الالهام والسوق ولكن من الطريق التعليمى مادام قد استأهل هذه المرتبه فيولد الانسان مجردا من كل علم وكل حيله فيهديه أبواه وقبيله والمجتمع الذى يعيش فيه الى وجوه العمل فأصبح للوحي سبيل خاص بالانسان مناسب لكرامته . وهو أن يفضى الروح العام بما يجب ان يعلمه الكافه ويعملوا به الى واحد منهم فيقوم بنشره بين معاشريه من نوعه "[1] .

ذلكم ما يراه الاستاذ وجدى فى أمر الوحي وما قوله " فلما وجد الانسان وكان قريبا من الحيوان فى سذاجته وتجرده من الاوليات الضروريه لوجوده تولاه الوحي " ما قوله هذا الا تكرار لقول استاذه محمد عبده الذى نقلناه آنفا من أن الانسان في مجتمعه مر بمراحله التى مرّ بها أفراده فكان في الطفوليه النوعيه التى مر بها المجتمع البشرى بحاجة الى الوحي وكأن الوحي جاء ليسد هذه الحاجه التى انتهت ببلوغ البشر سن الرشد أو بلوغه أشده ولم يعد بحاجه الى وحي السماء ؟!

---

(١) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ١١ - ١٣ .

أما تعريفه للوحي بقوله " وهو ان يفضى الروح العام بما يجب ان يعلمه الكافه ويعملوا به الى واحد منهم فيقوم بنشره بين معاشريه من نوعه " فتعريف مردود ذلكم ان " يفضى " ذات معنى عام لا تحدد المعرفه التى سبق البيان لاجلها فهو بيان يحتاج الى بيان . وكذلك التعبير بالروح العام وهو من الصفات المردوده على قائلها فلا ندرى ما المقصود به ؟ أيقصد به الله سبحانه وتعالى ؟ أم يقصد به جبريل عليه السلام ؟ فان قصد به الله سبحانه وتعالى قلنا ان هذا ليس من اسمائه ولا من صفاته وهي أمور توقيفيه لا مجال للاجتهاد فيها . وان قصد بها جبريل عليه السلام قلنا أن الوحي ليس من جبريل اذ هو ليس الا ناقل له .

ثم يصل الاستاذ وجدى بعد هذا الى ما وصل اليه استاذه محمد عبده من أن الانسان قد تجاوز مرحلة السذاجه الحيوانيه أو الطفوليه النوعيه الى مرحلة سن الرشد ، فيثبت الاستاذ وجدى حالة الالهام الحيواني الذى تولى أمر أسلاف الانسان طوال عهدهم بالوجود ثم ينكر انقطاع هذه الحاله باجتياز الانسان دور الحيوانيه انقطاعا مفاجئا ويثبت ان الذى يعقل ويساير الطبيعه ان يكون قد انتقل من ذلك الدور تدريجيا ، حتى لا تعمى عليه وجوه الحياة فيبيد وعند تمام تميزه عن العالم الحيواني كانت روحه بحكم هذا التدرج نفسه قد تطورت تطورا ذريعا ، فاصبحت قابله للاتصال بالروح العام من طريق روحاني محض "(1) .

ثم أراد أن يأتي بجديد كعادته تحت تأثير مكتشفات العلم الحديث بغض النظر عن ثبوت ذلك أو عدمه ، وما كنا لنعيب عليه هذا النهج لولا أنه جعله دليلا قاطعا جديدا لم يكن فى امكان من قبل عام ١٧٧٠ م الحصول عليه وماداموا آمنوا بالوحي قبل اكتشاف هذا الدليل فان ايمانهم بالوحي ايمان يقوم على تفسير للوحي من قبيل تفسير الماء بعد الجهد بالماء .

---

(١) انظر الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ١٤ .

يقول الاستاذ وجدى " يقول قائل ما معنى اتصالها بالروح العام من طريق روحاني أليس هذا من قبيل تفسير الماء بعهد الجهد بالماء ؟! نعم هو كذلك لمن اكتفى من العلم بما تلقاه فى الكتب المدرسيه المحدوده . ولكن العالم منذ سنه ١٧٧٠م أى منذ أن أعلن الدكتور الالماني " مسمر " بأنه اكتشف سيالا حيويا فى الانسان أسماه المغناطيس الحيواني وهو جاهد فى تحقيق وجود هذا السيال ومعرفة خصائصه بواسطه التنويم الصناعي وقد ثبت أخيرا وصار فى عداد المعارف الاوليه لدى الباحثين بأن في باطن كل منا عقلا مستقلا غير عقلنا العادى أرفع وأوسع مجالا منه هو الذى يوحي الى الانسان بالميول الطيبه وينهاه عن المنكر والبغي وهذا العقل الباطن هو الذى يدبر جثمانه ويدير أجهزته واعضاءه ويصلحها ان اعتراها عطب . هذا العقل الباطن الذى لا يحس الانسان بوجوده متصل بالحياة الروحانيه العامه اتصالا مباشرا فهو يتلقى عنها ما يناسب درجته من المعارف ويحاول أن يعكسه على صاحبه من طريق الالهام فهل يعقل الا أن يكون هذا العقل الباطن قد وصل فى بعض الناس الى درجة رفيعه بحيث يستخدمه الروح العام لايصال شريعه جديده الى شعب هو فى حاجه اليها ؟ . اذا وجد بين القرآء من ينكر العقل الباطن ويتشكك فى اتصاله بالعالم الروحاني مباشرة .. فليس لنا من وسيله لاقناعه الا بلفتته للتوسع فى قرآءه ما كتبه العلماء الباحثون في مسأله التنويم المغناطيسى والعقل الباطن على الاسلوب العلمي الصارم فاذا كان من الناس من يتجرؤن على التكذيب بهذه الحقائق مع اعفاء انفسهم من الاطلاع على ما كتب فيها فهؤلاء أمه وحدهم وليس يضير الحقائق ان يجافيها عدد محصور من الجامدين "(١).

وليس لنا من قول على دليله الذى ملأ ذهنه وفكره الا أن نقول انه أراد أن يرد على من ينكر الوحي باثبات الوحي لكل الناس بعد اجتيازهم دور الحيوانيه

---

(١) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ١٤- ١٥ .

عن طريق العقل الباطني الذى اكتشف سنه ١٧٧٠ م وهو متصل بالحيـــــاة الروحانيه اتصالا مباشرا ؟ !

ولا ندرى ما الذى يمنع امكان حصول الوحي للعقل الظاهر مادام ممكـن الحصول للعقل الباطن ـ على فرض التسليم بهذا الاكتشاف ـ وليس فى العقل الظاهر ما يمنع هذا حتى نبحث عن طريق آخر له الا ان يكون الاتيان عن طريق الاكتشافات العلميه الحديثه وما يثير الدهشه والاستغراب وتغيير ما ألف الناس من الادله بما هو جديد لم يؤلف ـ الا أن يكون الاتيان بنحو هذا هو المؤثـــر فى نفوس من بهر أبصارهم بريق الحضاره الغربيه الزائف وأوقف حركة فكرهم ما جدّ من اكتشافات علميه هي في مرحلة الاختبار والتجربه فضلا عن عدم معارضتهـــا للادله الاصليه الثابته .

وقوع الوحـــــى :

ثم ينتقل رجال المدرسه العقليه الحديثه بعد الاستدلال على امكان وقوع الوحي الى اثبات وقوعه فلا دليل في امكان وقوع الشيء على ثبوت وقوعه بل لكـل دليله .

ونبدأ هنا بقول الاستاذ وجدى لقرب حديثه فيقول بعد ما نقلناه عنـــــه قبل سطور " كيف يعقل خلاف هذا وهو الذى حدث فعلا فى كل أمه وفي جميـــع أدوار التاريخ .. فلم تخل الارض قط من داع الى الحق والفضائل معلنا أنـــــه أرسل [1] لاداء هذه المهمه ارسالا فتراه يعرض نفسه للموت فى سبيل تعميم دعوته ويصبر على البأساء والضراء متبعا سمت الصالحين من الزهد فى الدنيا والتواضع وايثار الفقر حتى ينجح فيما تصدى له أو يقتل فى سبيله " [2] .

(١) لا ندرى من يقصد الاستاذ وجدى بهؤلاء الرسل منذ وفاة سيدنا محمـــد صلى الله عليه وسلم فنحن المسلمون لا نؤمن بأى رسول بعده صلى اللـــه عليه وسلم وقد خلت الارض بعده من الرسل ١٤ قرنا فلا يصح عموم اثبـــاته بعد وفاة نبينا صلى الله عليه وسلم .

(٢) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص : ١٥ .

ويضع الشيخ محمد عبده فصلا فى رسالة التوحيد عن " وقوع الوحي والرساله " يثبت فيه هذا بعد أن يقسم الناس الى قسمين شاهد وغائب فيقول " الدليل على رسالة نبى وصدقه فيما يحكى عن ربه ظاهر للشاهد الذى يرى حاله ويبصر ما آتاه الله من الآيات البينات ويحقق بالعيان ما يغنيه عن البيان كما سلف في الوجه الاول من الكلام على الرساله . وأما للغائب عن زمن البعثه فدليلها التواتر " ثم يقسم الانبياء الى قسمين " ومن الانبياء ما استوفى الخبر عنهم شرائط التواتر كابراهيم وموسى وعيسى وما جاء به الخبر أنهم لم يكونوا فيمن بعثوا بينهم بالاقوى سلطانا ولا بالأكثر مالا ولم يختصهم أحد بالعنايه بهم لتعليمهم علم ما دعوا اليه وغاية الأمر أنهم لم يكونوا من الأدنين الذين تحافهم النفوس وتنبو عنهم الأنظار ومع ذلك . . قاموا بدعوه الى الله على رغم الملوك واجنادهم وصاحوا بهم صيحة زلزلتهم فى عروشهم وادعوا انهم يبلغون عن خالق السموات والارض وما اراد شرعه للناس وأقاموا من الدليل ما تصاغرت دونه قوه المعارضه ثم ثبتت فى الكون شرائعهم ثبات الغريزه في الفطر وكان الخير لا ممهم في اتباع ما جاءوا به .

حالفتهم القوه واحتضنتهم السعاده ما كانوا قائمين عليها ورزأهم الضعف وغالبهم الشقاء ما انحرفوا عنها وخلطوا فيها فهذا وما أقاموه من الادله عند التحدى لا يصلح معه في العقل ان يكونوا كاذبين فى حديثهم عن الله ولا في دعواهم انه كان يوحى اليهم ما شرعوا للناس على أن من لا يعتقد ما يقول لا يبقى لمقاله أثر فى العقول والباطل لا بقاء له الا في الغفله عنه كالنبات الخبيث في الارض الطيبه ينبت باهمالها وينمو باغفالها فاذا لامستها عناية يد الزارع غلبه الخصب وذهب به الزكاء ، ولكن تلك الديانات التى جاء بها أولئك الانبياء قامت فى العالم الانساني ما شاء الله مما قدر لها مقام سائر قواه مع كثرة المعارضين وقوة سلطان المغالبين فلا يمكن ان يكون اسها الكذب ودعامتها الحيله وكلامنا هذا فى جوهرها الذى يلوح دائما فى خلال ما الحق به المبتدعون .

وأما بقية الرسل ممن يجب علينا الايمان بهم فيكفى فى اثبات نبوتهم اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أخبرنا برسالتهم وهو الصادق فيما بلغ به "(١).

بعض الشبهات على الوحي وردهم لها :-

ثم وبعد سوقهم ما يرونه من الادله العقليه لاثبات امكان الوحي ثم اثبات وقوعه كثرت ردودهم على ما يورد من شبه على الوحي من الاعداء المعاصرين للرساله والمعاصرين للمدرسه ونكتفى هنا بايراد ردين لهم على شبهتين احداهما قديمه والاخرى جديده وحديثه .

أما الاولى فيقول عنها السيد رشيد " ولما استبعد هؤلاء الوحي لرجل من البشر مثلهم كما حكاه عنهم فى قوله (٢٣ : ٣٣ ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ٣٤ ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) زعموا ان الرسول من الله يجب ان يكون ملكا أو أن يؤيد بملك يكون معه كما حكاه عنهم بقوله (٢٥ : ٧ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) وقد ردت هذه الشبهه فى الآيتين الثامنه والتاسعه من هذه السوره(٢) ببيان سنه الله تعالى فى انزال الملائكه وببيان عدم استعداد جمهور البشر لرؤيتهم والتلقى عنهم بقوله فى الدنيا وانما يعد الله بعض الافراد من كملتهم لذلك فلا مندوحه اذا أنزل الملك عن جعله رجلا أى متمثلا فى صوره رجل وحينئذ يلتبس عليهم الأمر وتبقى شبهتهم فى موضعها "(٣).

أما الشبهه الحديثه فينسبها السيد رشيد الى الاستاذ ادوار مونتيه المستشرق مدرس اللغات الشرقيه فى مدرسه جنيف الجامعه فى مقدمه ترجمته بالعربيه :- " كان محمد نبيا صادقا كما كان انبياء بنى اسرائيل فى القديم

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١١٥ - ١١٧ .

(٢) سورة الانعام وهما " وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون /٨/ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون /٩/ " .

(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٨ ص ٢٧٩ .

كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى اليه وكانت العقيده الدينيه وفكرة وجود الالوهيه متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين في أولئك الانبياء أسلافه فتحدث فيه كما كانت تحدث فيهم ذلك الالهام النفسي وهذا التضاعف في الشخصيه اللذين يحدثان فى العقل البشرى المرائي والتجليات والوحي والاحوال الروحيه التى من بابها " (١) أ. هـ

ويعلق السيد رشيد على هذا بقوله " وأما ما فسر به هذه الخصائص فهو التعليل الذى يعلل به الماديون الوحي المطلق " (٢) ثم قال " خلاصه رأى هؤلاء الماديين أن الوحي الهام يفيض من نفس النبى الموحى اليه لا من الخارج ، ذلك أن نفسه العاليه وسريرته الطاهره وقوه ايمانه بالله وبوجوب عبادته وترك ما سواها من عباده وثنيه وتقاليد وراثيه يكون لها من التأثير ما يتجلى فى ذهنه ويحدث فى عقله الرؤى والاحوال الروحيه فيتصور ما يعتقد وجوبه ارشادا الهيا نازلا عليه من السماء بدون واسطه ، أو يتمثل له رجل يلقنه ذلك يعتقد أنه ملك من عالم الغيب وقد يسمعه يقول ذلك وانما يرى ويسمع ما يعتقده فى اليقظه كما يرى ويسمع مثل ذلك فى المنام الذى هو مظهر من مظاهر الوحي عند جميع الانبياء . فكل ما يخبر به النبى من كلام ألقى في روعه أو ملك ألقاه على سمعه فهو خبر صادق عنده .

يقول هؤلاء الماديون : نحن لا نشك فى صدق محمد فى خبره عما رأى وسمع وانما نقول ان منبع ذلك من نفسه وليس فيه شيء جاء من عالم الغيب الذى وراء عالم الماده والطبيعه الذى يعرفه جميع الناس فان هذا شيء لم يثبت عندنا وجوده كما أنه لم يثبت عندنا ما ينفيه ويلحقه بالمحال وانما نفسر الظواهر غير المعتاده بما عرفناه وثبت عندنا دون ما لم يثبت " (٣) .

ثم ذكر السيد رشيد كيف استنبط هؤلاء الماديون ان هذا الوحي قد نبع من نفس محمد وأفكاره ويصف استنباطهم هذا بأنه لم ير ولم يسمع مثله فى تقريبه الى

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١١ ص ١٤٦ - ١٤٧ .
(٢) المرجع السابق جـ ١١ ص ١٤٧ .
(٣) المرجع السابق جـ ١١ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

العقـــل فيقـــول :-

" يقولون ان عقل محمد الهيولاني (١) قد أدرك بنوره الذاتي بطـــلان ما كان عليه قومه من عباده الاصنام كما أدرك ذلك أفراد آخرون من قولـــه - آمنا وصدقنا - وان فطرته الزكيه قد احتقرت ما كانوا يتنافسون فيه من جمـع الاموال بالربا والقمار - آمنا وصدقنا - وان فقره وفقر عمه (ابي طالب) الذى كفله صغيرا قد حال دون انغماسه فيما كانوا يسرفون فيه من الاستمتاع بالشهوات من السكر والتسرى وعزف القيان - الصحيح أنه ترك ذلك احتقارا له لا عجزا عنـــه - وأنه طال تفكره فى انقاذهم من ذلك الشرك القبيح وتطهيرهم من تلك الفواحش والمنكرات - لا مانع من ذلك - وأنه استفاد من اسفاره وممن لقيه فيها وفي مكـه نفسها من النصارى كثيرا من المعلومات عن النبيين والمرسلين الذين بعثهـم الله فى بنى اسرائيل وغيرهم فأخرجوهم من الظلمات الى النور - هذا لم يصـح عندنا ولا يضرنا - وان تلك المعلومات لم تكن كلها مقبوله فى عقله لما عرض للنصرانيه من الوثنيه بألوهيه المسيح وأمه وغير ذلك وبما حدث فيها من البدع - هـذا مبنى على ما قبله فهو معقول غير منقول - وانه كان قد سمع أن الله سيبعث نبيـا

---

(١) لبيان هذا ننقل نصا فى بيان مراتب العقل الانساني أورده الاستـاذ جميل صليبا فى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٢٩ سنـه ١٩٥٤م ص ٤٩٦ تحت عنوان " معاني العقل فى الفلسفه العربيه " جاء فيه :- " يقول ابن سينا أن نسبة القوه النظريه الى الصور المحسوسه تكون على وجهين فهى اما ان تكون قابله لها بالقوه ، واما ان تكون قابله لهـا بالفعل فاذا كانت قابله لها بالقوه اختلفت نسبتها اليها بحسب درجات القوه وهي ثلاث :

الدرجه الاولى : هي القوه المطلقه والاستعداد المطلق الذى لم يخرج منه الى الفعل شىء وهي قوه هيولانيه كقوة الطفل على الكتابه فهو لا يعـرف الكتابه ولا يقدر عليها ولكن فيه استعدادا مطلقا لها .

والدرجة الثانيه : هي القوه الممكنه وهي التى حصل معها للطفل استعداد يمكنه من اكتساب الفعل بلا واسطه كقوة الطفل على الكتابه بعد أن عـرف القلم والدواة وتعلم بسائط الحروف وهذا الاستعداد الممكن هو حصـول المعقولات الاولى للنفس مثل اعتقادنا أن الكل اعظم من الجزء . .

والدرجة الثالثه : هي القوه الكامله التى لا ينقصها للانتقال الى الفعـل شىء كقوة الكاتب المستكمل لصناعة الكتابه اذا كان لا يكتب . . . " ثم ذكـر ان القوه المطلقه تسمى " العقل الهيولاني " وأن القوه الممكنه تسمى " عقلا بالملكه " وتسمى القوه الكامله " العقل بالفعل " اما اذا كانت نسبة =

مثل أولئك الانبياء من العرب فى الحجاز قد بشر به عيسى المسيح وغيره من الانبياء وان هذا علق بنفسه فتعلق رجاؤه بأن يكون هو ذلك النبى الذى آن أوانه - وهذا استنباط لهم مما قبله وسيأتي ما فيه - ونتيجه ما تقدم انه توسل الى ذلك بالانقطاع الى عبادة الله تعالى والتوجه اليه فى خلوته بغار حراء فقوى هنالك ايمانه وسما وجدانه فاتسع محيط تفكره وتضاعف نور بصيرته فاهتدى عقله الكبير الى الآيات البينات فى ملكوت السموات والارض على وحدانيه مبدع الوجود وسر النظام السارى فى كل موجود بما صار به أهلا لهداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور . ومازال يفكر ويتأمل وينفعل ويتململ ويتقلب بين الآلام والآمال حتى أيقن أنه هو النبى المنتظر الذى يبعثه الله لهدايه البشر فتجلى له هذا الاعتقاد فى الرؤى المناميه ثم قوى حتى صار يتمثل له الملك يلقنه الوحي فى اليقظه .

وأما المعلومات التى جاءته فى هذا الوحي فهى مستمده الاصل من تلك المعلومات التى ذكرناها ومما هداه اليه عقله وتفكره فى التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح ولكنها كانت تتجلى له نازله من السماء وانها خطاب الخالق عز وجل بواسطه الناموس الاكبر ملك الوحي جبريل الذى كان ينزل على موسى بن عمران وعيسى بن مريم وغيرهما من النبيين عليهم السلام "[1] .

ذلكم هو بسط حجتهم على شبهتهم هذه كما اورده السيد رشيد وفندهما بعد هذا العرض وابطلها من وجوه :-

---

(=) القوه النظريه الى الصور نسبه الفعل المطلق فانها تسمى " العقل المستفاد " وقال ان العقل الهيولاني موجود لكل شخص من النوع الانسانى وانما نسب الى الهيولي لان النفس فى هذه المرتبه تشبه الهيولي الخاليه فى حدّ ذاتها من الصور . أ. هـ .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١١ ص ١٨٤ - ١٨٥ .

الوجه الأول :

ان اكثر المقدمات التى أخذوا منها هذه النتيجه هي آراء متخيله أو دعاوى باطله لا قضايا تاريخيه ثابته كما بيناه عند ذكرها واذا بطلت المقدمات بطـل التسليم بالنتيجه .

الوجه الثانى :

لو كان النبى صلى الله عليه وسلم تلقى عن علماء النصارى فى الشام شيئـا أو عاشرهم لنقل ذلك اتباعه الذين لم يتركوا شيئا علم عنه أو قيل فيه ولو لم يثبت الا ودنوه ووكلوا أمر صحته أو عدمها الى اسناده .

الوجه الثالث :

لو وقع لما ذكر لاتخذه اعداؤه من كبار المشركين شبهة يحتجون بها علـى أن ما يدعيه من الوحي قد تعلمه فى الشام من النصارى فانهم كانوا يوردون عليـه ما هو اضعف واسخف من هذه الشبهه ...

الوجه الرابع :

نصوص القرآن صريحه فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف شيئا من أخبار الرسل وقصصهم قبل الوحي وهم متفقون معنا على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكـن يكذب على أحد فضلا عن الكذب على الله عز وجل .

الوجه الخامس :

انه لم يرد فى الاخبار الصحيحه ولا الضعيفه ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يرجوان يكون هو النبى المنتظر الذى كان يتحدث عنه بعض علماء اليهـود والنصارى قبل بعثته ، ولو روى عنه شيء من ذلك لدونه المحدثون لانهم ما تركـوا شيئا بلغهم عنه الا ودونوه كما رووا مثله عن أميه بن ابي الصلت .

الوجه السادس :

ان حديث بدء الوحي الذى أثبته الشيخان فى الصحيحين وغيرهما مـن المحدثين صريح في أنه صلى الله عليه وسلم خاف على نفسه لما رأى الملك أول مره .

الوجه السابع :

لو كانت النبوه أمرا كان يرجوه محمد ويتوقعه وكان قد تم استعداده له باختلائه وتعبده في الغار وما صوروا به حاله فيه من الفكر المضطرب والوجدان الملتهب والقلب المتقلب .. لظهر عقب ذلك كل ما كانت تنطوي عليه نفسه الوثابه وفكرته الوقاده في سوره أو سور من ابلغ سور القرآن في بيان أصول الايمان وتوحيد الاديان ... ولكنه ظل ثلاث سنين لم يتل فيها على الناس سوره ولم يدعهم الى شيء ولا تحدث الى اهل بيته ولا الى اصدقائه بمسأله من مسائل الاصلاح الديني الذي توجهت اليه نفسه ... اذ لو تحدث بذلك لنقلوه عنه وناهيك بألصق الناس به خديجه وعلي وزيد بن حارثه في بيته وابي بكر الصديق الذي عاشره طول عمره - فهذا السكوت وحده برهان قاطع على بطلان ما صوروا به استعداده للوحي الذاتي الذي زعموه واستمداده لعلومه من التلقي والاخبار الذي توهموه .

الوجه الثامن :

ان هذه المعلومات المحمديه التي تصورها هؤلاء المحللون لمسأله الوحي قليلة المواد ضيقه النطاق عن ان تكون مصدرا لوحي القرآن وان القرآن لأعلى واوسع واكمل من كل ما كان يعرفه مثل بحيرا ونسطورا وكل نصارى الشام ونصارى الارض ويهود بادع الاعراب الذين كان يمرّ بهم النبى صلى الله عليه وسلم بالطريق الى الشام .

الوجه التاسع :

ان في القرآن ما هو مخالف للعهدين العتيق والجديد وهو مما لا يعلم الى الآن أن أحدا من اليهود والنصارى قال به كمخالفة سفر الخروج فيمن تبنت موسى ففيه انها ابنة فرعون وفي القرآن أنها امرأته . بل ما جاء به محمد اكبر واعظم من كل ما في الكتب الالهيه ما صح منها وما لم يصح .

رويدكم ايها المفتاتون الذين يقولون ما لا يعلمون ان وحي القرآن أعلى مما تزعمون واكبر مما تتصورون وتصورون وان محمدا أقل علما كسبيا مما تدعون واكمل استعدادا لتلقى كلام الله عن الروح القدس مما تستكبرون "(١) .

تلكم هي الشبهه ، وذلكم هو الجواب الذى ردّ به السيد رشيد فهل ذلكم الجواب هو ما التزمته المدرسه العقليه الحديثه أم انها قد تأثرت بهذه الشبهه من المستشرقين فغلب التأثر بها على منهجهم ؟ !

قلنا آنفا أنه يكثر ترديد بعض العبارات فى تعريف الوحي من رجال المدرسه العقليه الحديثه من نحو " يجده الشخص من نفسه " أو " هو شئ يجدونه فى انفسهم " وقول الشيخ عبده " ان روح النبى منطويه على الدين فى جملته من قبل ان ينزل عليه الوحي بتفصيل مسائله "(٢) ومن ذلك ايضا ان السيد محمد رشيد رضا ألف كتابا عن الوحي سماه " الوحي المحمدى " وهي تسميه خاطئه ذلكم ان الوحي الهي لا محمدى ، ونحن وان كنا ندرك ان السيد رشيد لا يقصد بهذه التسمية نسبه مصدر الوحي لمحمد صلى الله عليه وسلم الا أنا لا نوافقه على هذه التسميه ذلكم أن المحمدى والمحمديه والمحمديين من الاوصاف التى ألصقها أعداء الاسلام بنا لينفروا الناس من الاسلام لكونه بشريا لا الهيا ولذلك وصفت السيده مريم جميله بعد اعتناقها الاسلام مقالة نشرت فى احدى الصحف بعنوان " العالم المحمدى " فقالت " ان عنوان هذه المقاله نفسها " العالم المحمدى " هي تسمية خاطئه فنحن " مسلمون " ولسنا " محمديين " وان هذه التسميه " المحمديه " و " المحمدى " ابتكرها الصليبيون ليثيروا الكراهيه للاسلام فى اوربا "(٣) .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١١ ص ١٨٦ - ١٩٠ .
(٢) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٤ .
(٣) الاسلام فى النظريه والتطبيق : مريم جميله ترجمة س حمد ص ٢٨ .

لذلك فانا نرفض تلك العبارات التى توحي بأن الوحي من ذات النبى لا من خارجها بمعنى أن ما يقوله هو من عند نفسه ليس من عند الله وهو ما سعى الى اثباته اعداء الاسلام من المستشرقين . وبذلوا جهدهم فى بث هذه الشبهه وحتى ندرك عمق تأثير هذه الشبهه على فكر رجال المدرسه العقليه علينا ان نذكر ما يترتب على هذه الشبهه ثم نبحث عن أثرها فى فكرهم . أما ما يترتب على الزعم بأن الوحي من ذات النبى لا من الله سبحانه وتعالى فمن ذلك[1]:

١ - ان القرآن الكريم بشرى لا الهي فلتسقط مكانته فى قلوب المؤمنين اذ هي قائمه على معتقد خاطىء بأنه الهي لا بشرى .

٢ - ومادام القرآن بشريا خاضعا للمنهج البشرى فى التأليف فاحتمال الكذب فيه جائز واحتمال الخطأ اكثر جوازا . اذن فاحكامه لا تقوم قطعا على منهج السلامه ومنهج الحكمه والصواب فهى أحكام قابله للتجديد والتطوير ومجاراة المجتمع فى كل عصر وفى كل مكان .

٣ - ومادام الأمر كذلك فلا مانع من التجديد فى بعض أحكامه والغاء ما لا يلائم العصر من احكام لا تسير مواكبة له فى تقدمه وتطوره فلنسقط أول ما نسقط الربا ولنسمح بالتعامل به بين المسلمين ولنلغ قطع يد السارق وجلد شارب الخمر ورجم الزاني . ولنفصل الدين عن الدوله ، فلرجال الدين دولتهم ولرجال السياسه دولتهم وكل يسير دولته وفق ما يرى فيه الاصلح ، ولنعط المرأه بعد هذا ما لم يعطها اياه القرآن فلنسمح لها بالخروج والعمل والاختلاط مع الرجال بل لنعط المرأه حرية العمل بجميع اشكاله والوانه ؟ !

٤ - ان القرآن انما جاء لاصلاح أوضاع معاصره لنزوله هذه الاوضاع غير موجوده بعد ذلك أو أن علاجها ليس هو نفس العلاج الاول فلابد من علاج جديد فليس هذا العصر مثلا بتقدمه العلمي وتطور العقل البشرى فيه وبلوغه أشده كعصر الرساله أو ما قبلها ،فليس للقرآن صلاحية للتطبيق كما هي فى

---

(١) انظر المدرسه العقليه الحديثه فى ضوء العقيده : ناصر عبد الكريم العقل ص ١٢٨ - ١٢٩ .

ذلك العصر .

ذلكم بعض ما يترتب على هذه الشبهه فى الوحي فكيف كان أثرها في فكر محمد عبده وتلاميذه أو من تأثر بمنهجه واستدل بأقواله فيما ذهب اليه من مذاهب منحرفه .

من ذلك القول بأن القرآن اشتمل على اساطير وقصص واخبار غير واقعه (بمعنى آخر أنه يكذب) وهذا ما اشتمل عليه كتاب الفن القصصي فى القرآن الكريم لمحمد احمد خلف الله وهو يستند فيما يزعم الى اقوال الاستاذ محمد عبده وسبقت الاشاره الى ذلك فى بحث القصه فى القرآن الكريم .

أما الدعوه الى تغيير الاحكام فى القرآن الكريم حتى تلائم العصر الحديث فنذكر قول احمد زكي ابو شادى أن " من الحقائق التى يجب التسليم بها ان القرآن الشريف يجب ان يعاد النظر في فهم تعاليمه وتطبيقها من عصر الى عصر ، بل من جيل الى جيل ، وعلى هذا فلابد من ظهور تفاسير جديده متمشيه مع روح العصر وتقدم العلم ، يؤلفها المطلعون الواعون من الاحرار المفكرين "(1)

وقد سبقه الى هذا الشيخ محمد عبده حين دعا الى اباحه الربا لضروره الوقت فقال " ان اهل بخارى جوزوا الربا لضروره الوقت عندهم والمصريون قد ابتلوا بهذا فشدد الفقهاء على اغنياء البلاد فصاروا يرون ان الدين ناقص "(2) ؟ !!

وقال الشيخ محمد مصطفى المراغي لاعضاء لجنه الاحوال الشخصيه " ضعوا من المواد ما يبدو لكم انه يوافق الزمان والمكان وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الاسلاميه يطابق ما وضعتم "(3) وانت ترى أنه يصرح باختيار ما يوافق الزمان والمكان من الاحكام ؟ ! لا ما يوافق النصوص الصحيحه من الكتاب والسنه ، وكأن الاحكام الشرعيه سلعه معروضه للنظار يختارون منها ما يناسب

---

(1) ثورة الاسلام : احمد زكي ابو شادى ص ٣٥ .

(2) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٩٤٤ .

(3) المجددون فى الاسلام : عبد المتعال الصعيدى ص ٥٤٨ والفتح المبين : عبد الله المراغي جـ ٣ ص ١٩٨ وتراجم الاعلام المعاصرين : انور الجندى ص ٤٢٨ .

امزجتهم ورغباتهم لا الزامية حسب ما تدل عليه النصوص . وكأنها تسير وفق الهوى والشهوه لا وفق تحرى الحقيقه وبذل الجهد فى طلبها .

ومن أثر شبهة المستشرقين المذكوره كما وضحنا آنفا تلكم الدعوه الباطله الى فصل الدين عن الدوله وقد دعا اليها على عبد الرازق فى كتابه الاسلام واصول الحكم ولا تزال الأمه الاسلاميه تعاني من آثار تلكم الدعوه .

ودعا الاستاذ قاسم أمين الى تحرير المرأه - وهو تلميذ الشيخ محمد عبده ومن المتأثرين به [(١)] ووصفه السيد رشيد رضا بأنه " العالم البارع فى علوم الاخلاق والاجتماع " [(٢)] ؟ ! دعا الى تحرير المرأه ولا يخفى على أحد ما جنته هذه الدعوه على المرأه المسلمه بل على المسلمين كافه من بلاء ، وحينما أطلق الغرب حرية المرأه رتب على هذا حرية الاختلاط ورتب على حرية الاختلاط حرية الصداقه ورتب على حريه الصداقه حريه ممارسة الحب أو الزنا ، وان تلكم المرأة التى حررها !! قاسم أمين ان لم تكن وصلت الى درجه المرأه فى الغرب كما ذكرنا فانها ستصل اليها حتما ان لم يتداركها الله برحمة من عنده .

وحينما ندرك ان كتاب قاسم أمين هذا ليس من تأليفه بل هو من وضع استاذه محمد عبده وانما لاسباب خاصه ذيله باسم تلميذه - كما وضحنا ذلك فى ترجمته - حينما ندرك هذا ندرك عمق تأثر محمد عبده وتلاميذه بالمستشرقين وشبهاتهم .

ومن هذا كله - ايضا - ندرك اهمية عقيده الوحي فى الشريعه الاسلاميه التى حاول اعداؤها طمسها بنفيه وانكاره والتلبيس على أهله .

ومنه - ايضا ندرك مدى تأثر رجال المدرسه العقليه الحديثه بما دسّه المستشرقون من شبهات فى هذه العقيده - كما ذكرنا - ادركوا ذلك التأثر أم لم يدركوه فأثره بين واضح . والله المستعان .،،

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا ج ١ ص ١٠٦٢ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٠٥١ .

ثانيا : عقيدة البعث وأمارات الساعه

قال الله تعالى " والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون "(١) وقال سبحانه " قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم "(٢) وقال سبحانه " ثم انكم يوم القيامه تبعثون "(٣) وقال سبحانه " يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفه ثم من علقه ثم من مضغه مخلقه وغير مخلقه لنبين لكم "(٤) وقال سبحانه " ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين "(٥) وقال سبحانه " ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم "(٦) .

تلكم بعض الآيات من القرآن الكريم في اثبات البعث يوم القيامه ، وقد جعل الله لذلك أشراط وآيات قال تعالى " فهل ينظرون الا الساعه أن تأتيهم بغته فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم "(٧) وقال سبحانه " هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكه أو يأتى ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون "(٨) وقال سبحانه " واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون "(٩) .

وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيره فى الاخبار عن علامات واشراط لهذا اليوم منها ما وقع فى عصره صلى الله عليه وسلم كمجيئه عليه الصلاة والسلام ، ومنها ما وقع بعد ذلك ككثره المال والتطاول فى البنيان وغير ذلك كثير، ومنها ما سيقع واهمها الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ، والمهدى ، ونزول عيسى عليه السلام ، وغير ذلك .

ولنقصر الحديث هنا عن آيات ثلاث منها المهدى والدجال وطلوع الشمس من مغربها ، ولنقصر الحديث فيها على بيان درجة ثبوتها فى الاسلام .

---

(١) سورة الانعام من الآيه ٣٦

(٢) سورة التغابن من الآيه ٧ .

(٣) سورة المؤمنون الآيه ١٦

(٤) سورة الحج من الآيه ٥ .

(٥) سورة هود من الآيه ٧ .

(٦) سورة المطففين الآيه ٤ .

(٧) سورة محمد الآيه ١٨ .

(٨) سورة الانعام الآيه ١٥٨ .

(٩) سورة النمل الآيه ٨٢ .

أما المهدى :

فقد بلغت الاخبار عن مجيئه حدّ التواتر قال الامام السيوطى رحمه الله تعالى :- " وقال ابو الحسن محمد بن الحسين بن ابراهيم بن عاصم السحرى : قد تواترت الاخبار واستفاضت بكثره رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدىّ وأنه من أهل بيته وانه سيملك سبع سنين وأنه يملأ الارض عدلا ، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لدّ بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمه وعيسى يصلى خلفه "(١) وقال الشريف محمد بن رسول الحسينى فى كتابه الاشاعه لا شراط الساعه " قد علمت أن أحاديث وجود المهدى وخروجه آخر الزمان وأنه من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمه عليها السلام بلغت حدّ التواتر المعنوى فلا معنى لانكارها ومن ثم ورد من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدى فقد كفر رواه ابو بكر الاسكاف فى فوائد الاخبار وابو القاسم السهيلى في شرح السير له "(٢) ونقل هذا ايضا الامام ابن قيم الجوزيه فى المنار المنيف في الصحيح والضعيف(٣) .

وأما الدجال :

فقد حكى تواتر الاحاديث فى مجيئه الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى وردّ على أولئك الذين ينكرون ذلك ويستدلون بعدم وروده فى القرآن فيقول " انه انما لم يذكر بصريح اسمه فى القرآن احتقارا له حيث يدعى الالاهيه وهو بشر ينافي جلال الرب وعظمته وكبريائه وتنزيهه عن النقص فكان أمره عند الرب أحقر من ان يذكر واصغر وأدحر من أن يجلى عن أمر دعواه ويحذر ولكن انتصر الرسل لجناب الرب عز وجل فجلوا لأممهم عن أمره وحذروهم ما معه من الفتن المضله والخوارق المنقضيه المضله فاكتفى باخبار الانبياء وتواتر ذلك عن سيد

---

(١) الحاوى للفتاوى : الامام السيوطي جـ٢ ص ١٦٥ - ١٦٦ .
(٢) الاشاعه لاشراط الساعه : محمد بن رسول الحسينى ص ١١٢ .
(٣) المنار المنيف فى الصحيح والضعيف : ابن قيم الجوزيه ، تحقيق عبد الفتاح ابوغده ص ١٤٢ .

ولد آدم امام الاتقياء عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة الى جلال الله فى القرآن العظيم ووكل بيان أمره الى كل نبى كريم .

فان قلت فقد ذكر فرعون فى القرآن وقد ادعى ما ادعاه من الكذب والبهتان .. فالجواب ان أمر فرعون قد انقضى وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقل وهذا أمر سيأتي وكائن فيما يستقبل فتنة واختبارا للعباد فترك ذكره فى القرآن احتقارا له ، وامتحانا به "[1].

وقال الامام النووى رحمه الله تعالى فى بيان مذهب اهل السنه فى ذلك :- " قال القاضى هذه الاحاديث التى ذكرها مسلم وغيره فى قصة الدجال حجة لمذهب اهل الحق فى صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على اشياء من مقدورات الله تعالى من احياء الميت الذى يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه وأتباع كنوز الارض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ويثبت الله الذين آمنوا ، هذا مذهب اهل السنه وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وابطل أمره من الخوارج والجهميه وبعض المعتزله وخلافا للبخارى المعتزلي[2] وموافقيه من الجهميه وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الذى يدعي مخارف وخيالات لا حقائق لها "[3].

وأما طلوع الشمس من مغربها

فقد قال تعالى " هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكه أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون "[4] روى البخارى رحمه الله

(١) الفتن والملاحم : الحافظ عماد الدين بن كثير ج ١ ص ١٠٦ .
(٢) ليس هو محمد بن اسماعيل البخارى صاحب الصحيح فهذا سنى والمخالف هو البخارى المعتزلي .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٥٩ .
(٤) سورة الانعام : الآيه ١٥٨ .

عن ابي هريره رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تقوم الساعه حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها " ثم قرأ هذه الآيه .

واستدل ابن كثير رحمه الله تعالى بهذا الحديث وامثاله مع الآيه الكريمه على سدّ باب التوبه بعد طلوع الشمس من مغربها ووصف هذه الاحاديث بالتواتر فقال " فهذه الاحاديث المتواتره مع الآيه الكريمه دليل على أن من أحدث ايمانا أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا تقبل منه "[1] .

وبما ذكرنا تعرف ان الاحاديث الوارده في المهدى والدجال وطلوع الشمس من مغربها بلغت حدّ التواتر في كل منها على ما ذكرنا ، وتلكم منزلتها عند أهل السنه فما موقف رجال المدرسه العقليه الحديثه منها ؟

لندع الاستاذ رشيد رضا يحدثنا عن ذلك . حيث يبدأ حديثه عن اشراط الساعه وأماراتها بالاعتراف بثبوتها " ان للساعه اشراطا ثبتت في الكتاب والسنه قال تعالى (٤٧ : ١٨ فهل ينظرون الا الساعه أن تأتيهم بغته فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم)"[2] .

وعنده أن " اجمع الاحاديث الصحيحه السند فيما يكون قبل الساعه ما رواه البخارى من حديث ابي هريره .. لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمه دعوتها واحده وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهمّ رب المال من يقبل صدقته وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون فذلك (حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا) ولتقومن الساعه وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعه وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا

(١) الفتن والملاحم : الحافظ عماد الدين بن كثير ج ١ ص ١٤٤ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : ج ٩ ص ٤٤٤ .

يطعمه ولتقومن الساعه وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعه وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها)[1] .

ذلكم اقرار منه بثبوتها لكنه يشكك بعد هذا فى اشراطها صغيرها وكبيرها فيقول " ويرد من الاشكال على ما ذكران ما ورد من الاشراط الصغرى المعتاد مثلها التى تقع عادة بالتدريج لا يذكّر بقيام الساعه ولا تحصل به الفائده التى من اجلها اخبر الشارع بقرب قيام الساعه - وأن ما ورد من الاشراط الكبرى الخارقه للعاده يضع العالم به فى مأمن من قيام الساعه قبل وقوعها كلها فهو مانع من حصول تلك الفائده فالمسلمون المنتظرون لها يعلمون أن لها اشراطا تقع بالتدريج فهم آمنون من مجيئها بغته فى كل زمن وانما ينتظرون قبلها ظهور الدجال والمهدى والمسيح عليه السلام ويأجوج ومأجوج وهذا الاعتقاد لا يفيد الناس موعظه ولا خشيه ولا استعداد لذلك اليوم أو لتلك الساعه فما فائده العلم به اذا ؟ وهل من الحكمه ان تكون فائدتها محصوره في وقوع الرعب فى قلوب الذين يشاهدون هذه الآيات الكبرى ولا سيما آخر آيه منها ؟ وكيف يتفق هذا وما ورد من كون كل رسول كان يخوف قومه وينذرهم الساعه والدجال قبلها ؟ وكيف وقع هذا منهم ولم يصدقه الواقع ومثله لا يكون بمحض الرأى ؟ وهل كان نبينا صلى الله عليه وسلم يريد بالاخبار بها تأمين الناس من قيام الساعة مده قرون كثيره الى أن تظهر هذه الاشراط ؟ أم كان يتوقع ظهورها بعده فى قرنه أو فيما يقرب منه كغيره من الرسل بدليل ما ورد من تجويزه ظهور الدجال فى زمنه وتصديقه ما حكاه تميم الدارى من خبر الجساسه وكون الدجال محبوسا في جزيره ؟ "[2] .

ذلكم ما اورده السيد رشيد رضا من شبه على ما ورد من اشراط الساعه عموما من غير تخصيص ولن نذهب نناقش معه ما أورده من شبه واشكال فى كل واحده منها بل نكتفى بما أشرنا اليه أولا : المهدى والدجال وطلوع الشمس من مغربها وقد علمنا فيما سبق درجه ثبوتها .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٤٤٥ - ٤٤٨ .
(٢) المرجع السابق جـ ٩ ص ٤٥٠ .

أما المهدى :

فيقول فيه السيد رشيد " وأما التعارض فى أحاديث المهدى فهو أقوى وأظهر والجمع بين الروايات فيه أعسر والمنكرون لها اكثر والشبه فيها أظهر ، ولذلك لم يعتد الشيخان بشىء من رواياتها فى صحيحيهما وقد كانت اكبر مثارات الفساد والفتن في الشعوب الاسلاميه اذ تصدى كثير من محبى الملك والسلطان ومن أدعياء الولايه وأولياء الشيطان لدعوى المهدويه فى الشرق والغرب وتأييد دعواهم بالقتال والحرب وبالبدع والافساد فى الارض حتى خرج ألوف الالوف عن هدايه السنه النبويه ومرق بعضهم من الاسلام كما يمرق السهم من الرميه "(1) .

وانا لنكتفى هنا بسؤال السيد رشيد ومن نحا نحوه متى كان استغلال أعداء الاسلام لعقيده من عقائد المسلمين مبررا لطمسها أو التشكيك فى ثبوتها ؟ !

ان أعداء الاسلام لم يستغلوا المهدويه فحسب بل استغلوا ما هو اكبر واعظم وأوضح عند المسلمين أعنى عقيدة النبوه استغلوا هذا وخرج أدعياء النبوه ولا زلنا في هذا العصر نعاني من أولئك كالبهائيه والبابيه والقاديانيه وغيرهم مع ان المسلمين كلهم يؤمنون بختم النبوه ولم يكن هذا مانعا لهم من استغلالها ولن يكون هذا ولا ذاك مانعا لنا نحن المسلمين من الايمان بعقيده النبوه وختمها ، والايمان بمجىء المهدى .

ولو شككنا فى كل عقيده للمسلمين يستغلها اعداء الاسلام لخشينا ان لا يبقى لنا من الاسلام شىء حتى أسمه ؟ !

ثم يستمر السيد رشيد ويبين ما جرته هذه العقيده على المسلمين من سوء حال فيقول عن المسلمين " بل تركوا ما يجب لحمايه البيضه وحفظ سلطان المله بجمع كلمة الامه وباعداد ما استطاعوا من حول وقوه فاتكلوا وتواكلوا وتنازعوا وتخاذلوا ولم يعظهم ما نزع من ملكهم وما سلب من مجدهم اتكالا على قرب ظهور المهدى كأنما هو المعيد المبدى فهو الذى سيرد اليهم ملكهم ويجدد لهم مجدهم ويعيد

(1) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

لهم عدل شرعهم وينتقم لهم من أعدائهم ولكنه يفعل ذلك بالكرامات وما يؤيد به من خوارق العادات لا بالبواريد أو البندقيات الصارخات ولا بالمدافع الصاخات ولا بالدبابات المدمرات ولا بأساطيل البحار السابحات والغواصات ولا أساطيل المناطيد والطيارات ولا بالغارات الخانقات وقد كانت الحرب بين خاتم النبيين والمشركين سجالا وكان المسلمون ينفرون معه خفافا وثقالا فهل يكون المهدى أهدى منه عملا وأحسن حالا ومآلا ؟ كلا "[1].

أما الطامّه التى جاء بها السيد رشيد فهى تشبيه اعتقاد المسلمين بهذا باعتقاد اليهود بظهور مسيح "كانت اليهود اغترت مثلنا بظواهر ما في كتب انبيائهم من الانباء بظهور مسيح فيهم يعيد لهم ما فقدوا من ملك داود وسليمان فاتكلوا على ما فهم أحبارهم منها بمحض التقليد الاصم الذى لا يسمع ، الاعمى الذى لا يبصر ، ومضت القرون في اثر القرون وهم لا يزدادون الا تفرقا وضعفا فلما عرفت أجيالهم الاخيره سنن الله تعالى فى العمران طفقوا يستعدون لاستعادة ذلك الملك والسلطان بالسعي الى انشاء وطن يهودى خاص بهم يقيمون فيه قواعد العمران بارشاد العلوم والفنون العصريه التى يتعلمونها بما يحيون من لغتهم العبرانيه وقد أنشأوا لذلك مصرفا ماليا خاصا ومازالوا يجمعون لاجله الاعانات بالالوف والوف الالوف من الدنانير حتى انهم استمالوا لمساعدتهم فى هذا العهد أقوى دول الارض .

هذا والمسلمون لا يزالون يتكلون على ظهور المهدى ويزعم دهماؤهم أنه سينقض لهم سنن الله تعالى أو يبدلها تبديلا وهم يتلون قوله تعالى (٣٥ : ٤٣ فهل ينظرون الا سنة الاولين فلن تجد لسنه الله تبديلا ولن تجد لسنه الله تحويلا) فاذا كان من اشراط الساعه آيات وكان زمنها زمن خوارق عادات فهل يضرهم أن تأتيهم وهم على هدى من ربهم واقامة لشرعهم وعزه وسلطان فى ارضهم "[2].

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا : جـ ٩ ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .

(٢) المرجع السابق جـ ٩ ص ٤٦٠ .

ونحن لا نخالف السيد رشيد رضا فى أنه لا يحق لاحد من المسلمين أن يتأخر بحال من الاحوال عن العمل والاصلاح والجد والاجتهاد فيما فيه صلاح الاسلام والمسلمين بدعوى الاتكال على مجىء المهدى .

ولكننا نخالفه فى تحميل كل ما جرى للمسلمين من تخلف حضارى وانشاء دولة للمسلمين ذات قوه وعزه ومنعه وسلطان وحمية على الاعتقاد بظهور المهدى ولا نحمل واقع المسلمين المعاصر الا على تخليهم عن مبادىء الاسلام ونبذهم لنظامه فى الحياة وأخذ معظمهم للقشور وترك اللب منه .

ثم يبدى السيد رشيد رأيه بعد هذا فيما ورد من أخبار عن المهدى فيقول :-

" ولاجل ذلك كثر الاختلاف فى اسم المهدى ونسبه وصفاته واعماله وكان لكعب الاحبار جوله واسعه فى تلفيق تلك الاخبار "[1] وقال فى موضع آخر " وانما هو مأخوذ من تضليلات كعب الاحبار "[1] وقال فى موضع آخر " واذا تذكرت مع هذا أن احاديث الفتن والساعه عامه واحاديث المهدى خاصه وانها كانت مهب رياح الاهواء والبدع وميدان فرسان الاحزاب والشيع تبين لك اين تضع هذه الروايه منها "[2] ثم يقول بعد هذا " فهذا نموذج من تعارض الروايات وتهافتها فى المهدى "[2] .

ونكتفى هنا بالرد على هذا بما ذكرناه أولا من بيان درجة ثبوت اخبار المهدى - أما كعب الاحبار وحملة السيد رشيد رضا عليه وعلى وهب بن منبه فقد سبق لنا بيان ذلك فى منهج المدرسه العقليه الحديثه عند بيان موقفهم من الاسرائيليات .

أما الدجال :-

فقد قال السيد رشيد فيما ورد فيه من أحاديث بلغت حدّ التواتر كما ذكرنا " ان أحاديث الدجال مشكله من وجوه :-

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ٩ ص ٤٦١ .
(٢) المرجع السابق جـ ٩ ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .

احدها : ما ذكرناه آنفا من منافاتها لحكمة انذار القرآن الناس بقرب قيام الساعه واثباتها بغتته .

ثانيها : ما ذكر فيها من الخوارق التي تضاهي اكبر الآيات التى أيد الله بها أولى العزم من المرسلين أو تفوقها وتعد شبهه عليها كما قال بعض علماء الكلام وعد بعض المحدثين ذلك من بدعهم ، ومن المعلوم ان الله ما آتاهم هذه الآيات الا لهداية خلقه التي هي مقتضى سبق رحمته لغضبه فكيف يؤتى الدجال اكبر الخوارق لفتنه السواد الاعظم من عباده ؟ "[1] .

ولندع الامام النووى - رحمه الله تعالى يرد على هذه الشبهه التى أثارها السيد رشيد رضا " وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهذا غلط من جميعهم لانه لم يدع النبوه فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعي الالهيه وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذى في عينيه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه "[2] .

ومن الشبه التى يوردها السيد رشيد فى احاديث الدجال انها متعارضه تعارضا كثيرا يوجب تساقطها ، فمن ذلك التعارض ان بعضها يصرح بأنه صلى الله عليه وسلم كان يرى من المحتمل ظهور الدجال فى زمنه وانه يكفى المسلمين حينئذ شره وبعضها يصرح بأنه يخرج بعد فتح المسلمين لبلاد الروم والقسطنطينيه"[3]

أما منزله الاخبار التى وردت عن الدجال وذكرنا أنها بلغت حد التواتر[4] فيقول عنها السيد رشيد :- " وجملة القول فى حديث الجساسه أن ما فيه من العلل والاختلاف والاشكال من عدة وجوه يدل على أنه مصنوع وأنه على تقدير صحته ليس له كله حكم المرفوع وكذا يقال فى سائر أحاديث الدجال

---

(١) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٤٥٠ - ٤٥١ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ ص ٥٨ - ٥٩ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٤٥١ .
(٤) تناولنا هذا فى مبحث منهج المدرسه العقليه الحديثه (التحذير من الاسرائيليات .

المشكله التى انتقدها الحافظ فى الفتح من جهة صناعه علم أصول الحديث وتعارض المتون أو مخالفتها للواقع وعدّ من علل بعضها احتمال كونها من الاسرائيليات "[٢] " ومنه يعلم أن يد بطل هذه الاسرائيليات الاكبر كعب الاحبار قد لعبت لعبها فى مسألة الدجال (فى كل واد أثر من ثعلبه) "[١] " بمثل هذه الخرافات كان كعب الاحبار يغش المسلمين ليفسد عليهم دينهم وسنتهم وخدع به الناس لاظهاره التقوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وجملة أخبار الدجال قالوا انها متواتره يعنون التواتر المعنوى وهو أن لها أصلا وان لم يتواتر شىء من رواياتها ويدل القدر المشترك منها على ان النبى صلى الله عليه وسلم كشف له وتمثل له ظهور دجال فى آخر الزمان يظهر للناس خوارق كثيره وغرائب يفتتن بها خلق كثير وانه من اليهود وان المسلمين يقاتلونه ويقاتلون اليهود فى هذه البلاد المقدسه وينتصرون عليهم وقد كشف له ذلك مجملا غير مفصل ولا يوحى به عن الله تعالى كما كشف له غير ذلك من الفتن فذكره فتناوله الرواه بالمعنى فاخطأ كثير منهم وتعمد الذين كانوا يبثون الاسرائيليات الدس فى رواياته ولا يبعد أن يقوم طلاب الملك من اليهود الصهيونيين بتدبير فتنته فى هذا المعنى يستعينون عليها بخوارق العلوم والفنون العصريه كالكهربا والكيميا وغير ذلك والله أعلم "[٢] .

وقد يطبق رجال المدرسه العقليه الحديثه بزعامة استاذهم محمد عبده مذهب التخييل والتمثيل الذى طبقوه على قصص القرآن فيزعمون " أن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعه على وجهها والاخذ بأسرارها وحكمها "[٣] .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٩ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ .
(٢) المرجع السابق : جـ ٩ ص ٤٥٩ .
(٣) المرجع السابق : جـ ٩ ص ٣١٧ .

أما طلوع الشمس من مغربها :-

فيقرب ذلك السيد رشيد رضا الى العقل البشرى ليسهل ايمان من لا يؤمن عقله بالخوارق فيقول :- " وقد كان طلوع الشمس من مغربها بعيدا من المألوف المعقول ولاسيما معقول من كانوا يقولون بما تقول فلاسفه اليونان فى الافلاك والعقول ، وأما علماء الهيئه الفلكيه فى هذا العصر فلا يتعذر على عقولهم ان تتصور حادثا تتحول فيه حركة الارض اليوميه فيكون الشرق غربا والغرب شرقا ولا ندرى أيستلزم ذلك تغييرا آخر فى نظام الشمس أم لا ... وأقوى الاحاديث الوارده فى طلوع الشمس من مغربها ما رواه البخارى فى كتاب الرقاق " عن ابى هريره رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تقوم الساعه حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون فذلك حين (لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا) "[1] .

وكدنا ان نحمد هذا للسيد رشيد رضا ، لولا أنه قال بعد ذلك :-

" هذا وان ابا هريره رضى الله عنه لم يصرح فى هذه الاحاديث بالسماع من النبى صلى الله عليه وسلم فيخشى ان يكون قد روى بعضها عن كعب الاحبار وامثاله فتكون مرسله ولكن مجموع الروايات عنه وعن غيره تثبت هذه الآيه بالجمله فننظمها في سلك المتشابهات ونحمل التعارض بين الروايات وما في بعضها من مخالفة الادله القطعيه على ما اشرنا اليه من الاسباب كالروايه عن مثل كعب الاحبار من رواة الاسرائيليات والله اعلم "[2] .

ذلكم رأيه هنا ، وسبق ذكرنا ايضا لدرجه ثبوت اخبار هذه الآيه في السّنه وبلوغها حدّ التواتر .

واذا كان هذا ايمانهم بما تواترت الاخبار بوروده من اشراط الساعه فما بالك بما لم تبلغ اخباره درجة التواتر من ذلك ، فلا عجب ان لا يثق الشيخ محمد

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٨ ص ٢١٠ .
(٢) المرجع السابق جـ ٨ ص ٢١١ .

عبده الا " بأقل القليل " مما روى في " الصحاح " من " احاديث الفتن " كما قال تلميذه السيد رشيد [١] .

ذلكم هو موقفهم من اشراط الساعه وآياتها ولننتقل بعد هذا الى بيان رأيهم فى البعث وما قالوه في تأويل بعض الآيات الوارده فى ذلك .

أما ثبوت البعث والايمان به فأمر مسلم لا لبس فيه ولا خلاف ، أما كيفية ذلك فقد عرفنا من منهج رجال المدرسه ترك الاطناب فيما ابهم فى القرآن الكريم ولكنهم هنا يخالفون هذا فنجدهم يطنبون في وصف قيام الساعه عند تفسير آيات فى القرآن كثيره ويحملون بعض ما يكون عندها على التمثيل ففي تفسير قوله تعالى " فاذا نفخ في الصور نفخة واحده " [٢] يقول السيد عبد القادر المغربي " والنفخ في الصور فى لسان الشرع قد يكون تمثيلا وتصويرا لبعث الاموات وانبعاثهم من أرماسهم بسرعة تحكى سرعه المجتمعين وقد هتف بهم من بوق عظيم " [٣] .

ويقول الشيخ محمد عبده فى تفسير قوله تعالى " ويوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا " [٤] والنفخ فى الصور تمثيل لبعث الله للناس يوم القيامه بسرعة لا يمثلها الا نفخه في بوق فاذا هم قيام ينظرون " [٥] .

أما تصوير حدوث يوم القيامه فيطنب فيه الشيخ محمد عبده وتلاميذه على خلاف منهجهم فى ترك الاطناب فيما ابهم فى القرآن الكريم . ففي تفسير قوله تعالى " اذا السماء انشقت " [٦] الآيات يقول الشيخ محمد عبده " انشقاق

---

(١) قال السيد رشيد رضا فى تفسير المنار ج ٩ ص ٤٦٦ " ولقد كان الاستاذ الامام يقول :- ان الاسلام الصحيح هو ماكان عليه اهل الصدر الاول قبل ظهور الفتن ، ولم يكن يثق الا بأقل القليل مما روى في الصحاح من احاديث الفتن " .

(٢) سورة الحاقه الآيه : ١٣ .

(٣) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٣٦ .

(٤) سورة النبأ الآيه : ١٨ .

(٥) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٦ .

(٦) سورة الانشقاق الآيه الأولى .

السماء مثل انفطارها الذى مرّ تفسيره فى سورة " اذا السماء انفطرت " وهو فساد تركيبها واختلال نظامها عند ما يريد الله خراب هذا العالم الذى نحن فيه وهو يكون بحادثه من الحوادث التى قد ينجر اليها سير العالم كأن يمر كوكب فى سيره بالقرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره ويحدث من ذلك غمام وأى غمام يظهر في مواضع متفرقه من الجو والفضاء الواسع فتكون السماء قد تشققت بالغمام واختل نظامها حال ظهوره .. ومتى فسد نظام السماء فتساقط من كواكبها بعضها على بعض أصاب الارض من ذلك أشد ما يصيبها من الاضطراب فتدك جبالها وتتقطع أوصالها وتفقد التماسك بينها فلا يبقى لها هذا الاندماج الذى هي عليه الآن فتمدّ مدّ الاديم العكاظي كما روى عن ابن عباس ولا تكون الا كتله مائره تتساوى أعاليها واسافلها وعظمت بهذا الانتفاش وزادت أقطار حجمها فهذا قوله تعالى (واذا الارض مدّت) ولا ريب ان هذا المد يتبعه ان جميع ما في جوف الارض ينقذف الى الخارج وربما قذفته الحركه العنيفه الى ما يبعد عن سطحها فتخلو الارض منه حتى لا يبقى له أثر فى بطنها وهذا هو قوله تعالى " وألقت ما فيها وتخلت) وهي في ذلك كله تحت سلطان الجلال الالهي وقهره خاضعه لاوامره منقادة لمشيئته كما قال (وأذنت لربها وحقت) "[1] .

وفى تفسير قوله تعالى " وفتحت السماء فكانت أبوابا "[2] قال الشيخ محمد عبده :- " أى أنه يتغير في ذلك اليوم نظام الكون : فلا تبقى أرض على انها تقلّ ولا سماء على أنها تظل بل تكون السماء بالنسبه الى الارواح مفتحة الابواب بل تكون أبوابا فلا يبقى علو ولا سفل ولا يكون مانع يمنع الارواح من السير حيث تشاء والآخره عالم آخر غير عالم الدنيا التى نحن فيها ، فنؤمن بما ورد به الخبر في وصفه

---

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٤٨- ٤٩ .
(٢) سورة النبأ : الآيه ١٩ .

ولا نبحث عن حقائقه ما دام الوارد غير محال ولا شك ان امتناع السماء علينا انما هو لطبيعة أجسامنا في هذه الحياة الدنيا أما النشأة الاخرى فقد تكون على غير ذلك فتكون السماء بالنسبة الينا أبوابا ندخل من أيها شئنا باذن الله وقد يكون معنى تفتح السماء ما عنى بقوله : اذا السماء انشقت .. اذا السماء انفطرت .. يوم تشقق السماء بالغمام ، أى أنه يقع الاضطراب فى نظام الكواكب فيذهب التماسك بينها ولا يكون فيما يسمى سماء الاسالك وابواب لا يلتقي فيها شيء بشيء وذلك هو خراب الكون العلوى كما يخرب الكون السفلي (وسيرت الجبال) تمثيل لمور الارض فى ذلك اليوم وان جبالها لا تكون على رسوخها المعروف اليوم بل يذهب ما كان لها من قرار وتعود كأنها سراب يرى من بعيد فاذا لمسته لم تجد شيئا وذلك لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها "[1].

وفى تفسير قوله تعالى " اذا السماء انفطرت "[2] قال الشيخ محمد عبده " أى انشقت وجاء فى سوره الفرقان " ويوم تشقق السماء بالغمام " وانشقاق السماء انصداع نظامها فلا يبقى أمر ما فيها من الكواكب على ما تراه اليوم فيخرب العالم بأسره ولذلك عقب انشقاق السماء بما هو من لوازمه حيث قال (واذا الكواكب انتثرت) أى سقطت فبادت فاذا كان ذلك اضطربت الارض ايضا وزلزلت زلزالا شديدا ووقع الخلل فى جميع أجزائها فتفجر البحار وتزول الحواجز بينها فيختلط عذبها بمالحها بل تفيض على الارض حتى يصير سطح الارض ماء لحظات من الزمان وذلك قوله فى سوره التكوير (واذا البحار سجرت) أى ملئت وفاض منها الماء على التأويل الاول وقد يصح اجراء ما هنا على التأويل الثاني وذلك أنه بعد أن تفجر البحار ويفيض ماؤها تظهر النار وتأخذ مكان الماء بعد أن يتحول الى بخار كما أشير اليه في السوره السابقه . واذا وقع ذلك انقلب باطن الارض الى ظاهرها فلا ريب في أن تبعثر القبور (أى يظهر ما كان قد خفي فيها من

---

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٦ .
(٢) سورة الانفطار : الآيه الأولى .

بقايا أجساد الموتى) وبعد ذلك يكون بعث الاموات واحياؤهم في النشأه الآخره ثم تنشر الصحف وينكشف الغطاء "[1].

أما الشيخ محمود شلتوت فيقول في تفسير قوله تعالى " يوم تبدل الارض غير الارض والسموات "[2] :- " فتبديل الارض والسموات المذكوره في هذه الآيه هو اجمال لعين الاحداث التي ذكرت مفصله في الآيات الاخرى والتي ينحل بها هذا العالم وتتفصم روابطه ويبدأ العالم الآخر نشأه أخرى تقام فيها الموازين ويجرى في ظلها حساب العباد ، وهو اذن ليس افناء مطلقا لذات الارض وذات السماء بحيث لا يكون هناك ارض ولا سماء وليس ازالة أرض بأرض وسماء بسماء وانما هو تغيير لصفات الكون وأوضاعه التي عهدناها في حياتنا الدنيا "[3].

وفي تفسير قوله تعالى " يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا "[4] قال الشيخ عبد القادر المغربي " ويقع هذا الحادث الجلل في العالم عندما يتأذن الله بخرابه وانقضاء أجله ثم يستبدل به عالما آخر أشد احكاما واثبت نظاما واكمل أمنا وسلاما ونصوص الكتاب تدل على أن خراب عالم الدنيا يكون بزلزله الارض وتبدد اجزائها وتسيير جبالها بحيث تصبح هذه الجبال كالكثيب المهيل أو العهن المنفوش على أن هذا الخراب الذى ينزل بالارض فينسف جبالها ويمزق أوصالها - ليس خاصا بها وحدها بل هو نازل بمجموع عالم الدنيا المنظور الينا : أرضه وسمائه وسائر كواكبه وأجرامه بدليل آيات الكتاب الاخرى من مثل (اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت) و (اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت) والله يعلم بأى سبب يحصل ذلك الخراب العام وما اذا كان وراء الكواكب المنظوره عوالم وكواكب أخرى يشملها الخراب المنتظر أو لا يشملها فتبقى سالمه من مثل

---

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٣٣ .
(٢) سوره ابراهيم من الآيه ٤٨ .
(٣) الفتاوى : محمود شلتوت ص ٣٨ .
(٤) سورة المزمل الآيه : ١٤ .

ما نزل بعالمنا الى ان يشاء الله خرابها "[١] .

ويفسر الشيخ احمد مصطفى المراغي قوله تعالى " وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحده "[٢] بقوله " أى رفعت من أماكنها ولا ندرى كيف رفعت فذلك من انباء الغيب فقد يكون ذلك بريح يبلغ من قوة عصفها ان تحملهما أو أن ملكا يحملها أو بقدره الله من غير سبب ظاهر أو بمصادمه بعض الاجرام كذوات الاذناب فتنفصل الجبال وترتفع من شده المصادمه وترتفع الارض من حيزها"[٣] .

فان تسألت ما الذى حملهم على مثل هذا القول ؟ قلنا ان الذى حملهم على هذه التأويلات فيما نرى تقريب أمر البعث الى عقولهم بكونه يقوم على حكم علمي حديث فان أهل العلم بالنبات وبالحياة النباتيه والحيوانيه يزعمون أن سبب الحياة الدنيا على الارض ان الارض كانت كرة ناريه ملتهبه وان الاحياء الاولى وجدت فيها بالتولد الذاتي الذى انقطع بعد ذلك بتسلسل الاحياء لان طبيعه الارض لم تبق مستعده له كما كانت وهي قريبه العهد بالتكوين"[٤] لهذا فلا حياة للاموات بعد هذا الا بأن يحدث للارض ما حدث لها أولا .

لذلك حاول رجال المدرسه العقليه ان يكون البعث قائما على الاصول العلميه التى يزعمها هؤلاء . فأولوا الآيات هذا التأويل وقال السيد رشيد :- " وقد نطق القرآن الحكيم بأن الارض تفنى بتفرق مادتها ثم يعيدها الله كما بدأها قال تعالى (٥٦ : ٤ اذا رجت الارض رجا * وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا) فهذه الرجه هي التى سماها فى سور أخرى بالقارعه والصاخه والمعقول ان كوكبا يقرعها باصطدامه بها فتفتت جبالها وتكون كالهباء المتفرق فى الجو وهو ما يسمونه بالسديم وقال تعالى (٢١ : ١٠٣ كما بدأنا أول خلق نعيده) (٧ : ٨ كما بدأكم تعودون) والأشبه أن تشبيه الاعاده بالبدء انما هو بالاجمال دون التفصيل فكما خلق الله جسد الانسان الاول خلقا ذاتيا مبتدأ ثم نفخ فيه

---

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٨٢ .
(٢) سوره الحاقه : الآيه ١٤ .
(٣) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي ج ٢٩ ص ٥٤ .
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٨ ص ٤٧١ .

الروح يخلق أجساد جميع أفراد الانسان خلقا ذاتيا معادا ثم ينفخ فيها أرواحها التى كانت بها أناسى في الحياة الدنيا لا أنه يجعلها متسلسله بالتولد من ذكر وانثى كالنشأه الاولى اذ كانت الاجساد كاللباس للارواح أو السكن لها ، واذا كان الناس قد بلغوا من علم الكيمياء أن يحللوا بعض المواد المركبه من عناصر كثيره ثم يركبوها أفيعجز خالق العالم كله أو يستبعد على قدرته أن يعيد أجساد الوف الالوف مرة واحده ؟ وأى فرق عنده بين القليل والكثير وهو على كل شيء قدير "[1] .

وأنت ترى اقحام التفسير العلمي فى القرآن الكريم من الوضوح بمكان فى تفسيرهم هذا الذى ذكرناه وكأنهم أرادوا وقد أدهشتهم هذه الاكتشافات العلميه ـ أن يربطوا بينها وبين آيات القرآن الكريم حتى تظهر هذه الآيات بالمظهر العلمي الحديث فتلقى القبول بين من كان العلم الحديث ومكتشفاته هو ميزان قبولهم للحقائق الشرعيه .

وأحسب ان هذا لا يصح فى مثل هذا فهى أمور غيبيه ليس لنا أن نذكر فيها الا ما ورد الشرع به ونفوض علم ما سواه الى الله سبحانه وتعالى مع العلم اليقينى أنه لا يلزم لقيام الساعة واحد اثنها ما ذكروه من مرور كوكب فى سيره بالقرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره لا يلزم هذا لحصول ذلك بل الله سبحانه وتعالى قادر على أن يحدث هذا بأمر أو أمور أخرى أو من غير سبب من هذه الاسباب الكونيه كلها فهو سبحانه لا يعجزه شيء فى الارض ولا فى السماء .

أما تأويلهم لما ورد من الآيات فيما يجرى بعد ذلك فنذكر منه قول الشيخ عبد القادر المغربي فى تفسير قوله تعالى " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه "[2] .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٨ ص ٤٧١ - ٤٧٢ .
(٢) سورة الحاقه : من الآيه ١٧ .

" وحمل عرش الرب فى الآيه قد يكون تمثيلا لكمال عزته سبحانه وانفراده بالجلاله والعزه والملك فى ذلك اليوم وان تأثير هيبته سبحانه وتعالى فى القلوب فى ذلك اليوم يحكى تأثير ملوك الدنيا - وهم على عروشهم التى تحف بها جلة وزرائهم وكبار قوادهم - فى قلوب رعيتهم المتعبدين لهم واين هذا من ذاك ولله المثل الاعلى وانما هو تنزل لافهام المخاطبين وافراغ للمعاني الغيبيه فى قوالب ما ألفوه من تراكيب لغتهم العربيه واصطلحوا عليه من اساليب التخاطب بينهم فيها والا فان خالق الكون تقدست اسماؤه ليس جسما يحمل على العروش ولا مخلوقا تزدهيه الزخارف والنقوش "[1] .

أما نشر الصحف الوارد فى قوله تعالى " واذا الصحف نشرت "[2] فيقول عن ذلك الشيخ محمد عبده " الصحف التى تنشر يوم القيامه بعد البعث هي صحف الاعمال والذى يجب علينا اعتقاده ان اعمال العباد تظهر لهم ثابته مبينه لا يرتابون فيها يوم الجزاء ويعبر عن معنى ذلك الثبوت والبيان بنشر صحف الاعمال أما كون الصحف على مثال الاوراق التى نكتب عليها فى الدنيا أو على مثال الالواح أو ما يشبه ذلك مما جرى استعماله للكتابه عليه . فذلك مما لم يصل علمنا اليه ولن يصل اليه بمجرد العقل ولم يرو عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فيه نص قاطع "[3] .

أما أخذ الكتاب باليمين أو بالشمال الوارد فى قوله تعالى " فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا "[4] الآيات فيفسر ذلك الشيخ محمد عبده بقوله " فايتاء الكتاب باليمين أو اليسار أو وراء الظهر تمثيل وتصوير لحالة المطلع على اعماله فى ذلك اليوم فمن الناس من اذا كشف له عمله ابتهج واستبشر وهو التناول باليمين ومنهم من اذا تكشفت له سوابق اعماله عبس وبسر واعرض عنهما وأدبر وتمنى لو لم تكشف له - وهذا هو التناول باليسار أو وراء الظهر ، وبهذا اتفق المعنيان فى الآيتين ولم تبق حاجه الى الجمع بين الشمال ووراء الظهر

---

(١) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٣٧ .

(٢) سورة التكوير : الآيه ١٠ .

(٣) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٢٧ - ٢٨ .

(٤) سورة الانشقاق : الآيتين ٧ و ٨ .

باختراع معنى لا يليق بكتاب الله كما جرى عليه كثير من المفسرين " [1] .

اذن فهم يحملون هذه النصوص القرآنيه الصريحه عن بعض أحوال يوم القيامه على انها تمثيل وتصوير لا حقيقه واقعه ، فحمل عرش ربك تمثيل لكمال عزته وأخذ الكتب باليمين أو الشمال تمثيل وتصوير لا حقيقه فالتناول باليمين يراد به الاستبشار والابتهاج والتناول بالشمال يراد به العبوس ، وكذا النفخ فى الصور تمثيل وتصوير .

وهذا الحمل منهم وهذا التأويل كثيرا جدا وهم ايضا لا يقصرونه كما علمنا على الاخبار فى المستقبل بل عمموا به الاخبار القرآنيه فى الماضي أيضا وهي القصص القرآنيه وقد سبق لنا الحديث عن ذلك . هذا ولا شك منهج ضال .

---

(١) تفسير جزء عم : محمد عبده ص ٥٢ - ٥٣ .

ثالثا : القضاء والقدر

قال الله تعالى " انا كل شيء خلقناه بقدر "(١) وقال سبحانه " وخلق كل شيء فقدره تقديرا "(٢) وقال عز وجل " وكان أمر الله قدرا مقدورا "(٣) .

والذى عليه أهل السنه والجماعه ان كل شيء بقضاء الله وقدره وانه سبحانه وتعالى خالق افعال العباد وأنه يريد الكفر من الكافر ويشاؤه ولا يرضاه ولا يحبه فيشاؤه كونا ولا يرضاه دينا "(٤) .

وقد ورد من نصوص القرآن آيات تدل على أن كل شيء بقضاء الله وقدره وان الله سبحانه خالق أفعال العباد قال تعالى " ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنه والناس اجمعين "(٥) وقال سبحانه " ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا "(٦) وقال سبحانه " وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين "(٧) وقال سبحانه " من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم "(٨) .

وورد ت نصوص أخرى تدل على أن أفعال العبد بكسبه واختياره وان الله لا يرضى الكفر ولا يحب الفساد وان الجزاء بالاعمال قال تعالى " ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم "(٩) وقال سبحانه " من يعمل سوءا يجز به "(١٠) وقال سبحانه " اليوم تجزى كل نفس بما كسبت "(١١) وقال سبحانه " والله لا يحب الفساد "(١٢) وقال سبحانه " ولا يرضى لعباده الكفر "(١٣) .

أخذت طائفه من الناس بالآيات الاولى ونحوها وزعموا ان التدبير فى افعال الخلق كلها لله تعالى وهى كلها للانسان اضطراريه كحركات المرتعش والعروق

---

(١) سورة القمر الآيه ٤٩ .

(٢) سوره الفرقان من الآيه ٢ .

(٣) سورة الاحزاب من الآيه ٣٨

(٤) شرح العقيده الطحاويه : علي الحنفي ص ٢٧٧ .

(٥) سورة السجده الآيه ١٣

(٦) سورة يونس من الآيه ٩٩ .

(٧) سورة التكوير الآيه ٢٩

(٨) سورة الانعام الآيه ٣٩ .

(٩) سورة الرعد الآيه ١١

(١٠) سورة النساء من الآيه ١٢٣ .

(١١) سورة غافر من الآيه ١٧

(١٢) سورة البقره من الآيه ٢٠٥

(١٣) سورة الزمر الآيه ٧ .

النابضه وحركات الاشجار ، وان لا اختيار للانسان بين الفعل والترك بل هو كالريشه في الهواء وان اضافتها الى الخلق مجاز وهي على حسب ما يضاف الشيء الى محله دون ما يضاف الى محصله [1] وعلى هذا فعندهم أن كل أفعال العباد طاعات على حدّ قول الشاعر :

اصبحت منفعلا لما يختاره   مني ففعلي كله طاعات

وأخذت طائفة أخرى وهم المعتزله بالآيات الاخرى فأنكروا القدر وزعموا أن الانسان هو الذى يخلق فعله وان الله شاء الايمان من الكافر ولكن الكافر شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه .

وأخذ أهل الحق اهل السنه بالآيات كلها وقالوا ان أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة وهي مخلوقه لله تعالى والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات لا خالق لها سواه .

فالجبريه غلوا في اثبات القدر فنفوا صنع العبد أصلا والقدريه نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى ولهذا كانوا مجوس هذه الأمه بل أردأ من المجوس من حيث أن المجوس أثبتوا خالقيّن النور والظلمه وهم اثبتوا خالقين .

وقال اهل السنه " أن كل دليل صحيح يقيمه الجبرى فانما يدل على أن الله خالق كل شيء وانه على كل شيء قدير وان افعال العباد من جملة مخلوقاته وانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يدل على ان العبد ليس بفاعل في الحقيقه ولا مريدا ولا مختارا .

وكل دليل صحيح يقيمه القدرى فانما يدل على ان العبد فاعل لفعله حقيقه وأنه مريد له مختار له حقيقه وأن اضافته ونسبته اليه اضافة حق ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته فاذا ضممت ما مع كل طائفة منهما من الحق الى حق الاخرى - فانما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزله من عموم قدره الله تعالى ومشيئته لجميع ما في الكون من الاعيان والافعال وان العباد فاعلون لافعالهم حقيقه وانهم يستوجبون عليها المدح والذم " [2] .

---

(١) شرح العقيده الطحاويه : على بن على الحنفي ص ٤٩٣ .
(٢) المرجع السابق : ص ٤٩٤ .

ذلكم موقف الجبريه وموقف المعتزله وذلكم موقف اهل السنه والجماعه وهو الحق بين باطلين .

فاذا ذهبت تستبين موقف رجال المدرسه العقليه الحديثه من هذه الفرق الثلاث وموقعها فيهن رأيت الحيرة والاضطراب منهم وعجزهم عن التوفيق بين الادله وتفويض علم ذلك الى الله .

نذكر من ذلك قول الشيخ محمد عبده فى رساله التوحيد :- " أما البحث فيما وراء ذلك من التوفيق بين ما قام عليه الدليل من احاطه علم الله وارادته وبين ما تشهد به البداهه من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار فهو من طلب سر القدر الذى نهينا عن الخوض فيه واشتغال بما لا تكاد تصل العقول اليه وقد خاض فيه الغالون من كل مله خصوصا من المسيحيين والمسلمين ثم لم يزالوا بعد طول الجدال وقوفا حيث ابتدأوا وغاية ما فعلوا أن فرقوا وشتتوا فمنهم القائل بسلطة العبد على جميع أفعاله واستقلاله المطلق وهو غرور ظاهر ومنهم من قال بالجبر وصرح به ومنهم من قال به وتبرأ من اسمه وهو هدم للشريعه ومحو للتكاليف وابطال لحكم العقل البديهي وهو عماد الايمان "[1] .

أما الاستاذ محمد فريد وجدى فهو اكثر حيره واضطرابا من استاذه الشيخ عبده فهو يقول " انا نستطيع ان نذكر فى هذا الموضوع كلاما ننفي به عن أنفسنا أمام البسطاء صفة الجهل ، ولكنا نعلم أنه ما من حل لهذه المسأله الا هو قابل للنقد والرد فليجعل كل منا هذه المسأله مما يسأل الله هدايته الى حله وليتق الله فى الطلب وهو يفتح عليه من العلم والطمأنينه ما لا يجد بعضه بالجدال والخصومه قال الله تعالى " واتقوا الله ويعلمكم الله"[2] "[3] .

ومع هذه الحيره والاضطراب من الشيخ والاستاذ فقد مال كل منهما الى رأى مخالف للآخر فذهب الاستاذ وجدى الى القول بعقيده الجبر وانكرها الشيخ عبده

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ٦١ .
(٢) سورة البقره : من الآيه ٢٨٢ .
(٣) مقدمه المصحف المفسر : محمد فريد وجدى ص ١٣٨ .

ومال الى الاختيار .

وهما حين يختاران رأيا فان أحدا منهما لا يستند الى دليل من الكتاب والسنه بل الى ما يسمى الدليل العقلى والدليل العلمي ومن هذا ندرك الى أى مدى من التناقض توصل اليه تلك الادله .

اختار الشيخ عبده القول بالاختيار للانسان فقال مثبتا ما ذهب اليـه :- "كما يشهد سليم العقل والحواس من نفسه انه موجود ولا يحتاج فى ذلك الى دليل يهديه ولا معلم يرشده كذلك يشهد انه مدرك لاعماله الاختياريه يـزن نتائجها بعقله ويقدرها بارادته ثم يصدرها بقدرة ما فيه ويعد انكار شىء من ذلك مساويا لانكار وجوده في مجافاته لبداهه العقل .

كما يشهد بذلك فى نفسه يشهده ايضا فى بنى نوعه كافه متى كانوا مثلـه فى سلامة العقل والحواس ، ومع ذلك فقد يريد ارضاء خليل فيغضبه ، وقـد يطلب كسب رزق فيفوته وربما سعى الى منجاة فسقط فى مهلكه ، فيعود باللائمـه على نفسه ان كان لم يحكم النظر فى تقدير فعله ، ويتخذ من خيبته أول مره مرشدا له فى الاخرى فيعاود العمل من طريق أقوم وبوسائل أحكم ويتقد غيظه على من حال بينه وبين ما يشتهى ان كان سبب الاخفاق فى السعى منازعة منافس له فى مطلبه لوجدانه من نفسه أنه الفاعل فى حرمانه ، فينبرى لمناضلته وتارة يتجه الى أمر أسمى من ذلك ان لم يكن لتقصيره أو لمنافسة غيره دخل فيما لقي من مصير عمله كأن هبّ ريح فأغرق بضاعته ... يتجه من ذلك الى أن في الكون قوة أسمى من ان تحيـط بها قدرته وأنّ وراء تدبيره سلطانا لا تصل اليه سلطته ، فان كان قد هداه البرهان وتقويم الدليل الى ان حوادث الكون بأسره مستنده الى واجب وجود واحد يصـرّفه على مقتضى علمه وارادته خشع وخضع وردّ الأمر اليه فيما لقي ولكن مع ذلك لا ينسـي نصيبه فيما بقي فالمؤمن كما يشهد بالدليل وبالعيان أن قدرة مكون الكائنات أسمى من قوى الممكنات يشهد بالبداهه أنه فى اعماله الاختياريه - عقليه كانت أو جسمانيه

قائم بتصريف ما وهب الله له من المدارك والقوى فيما خلقت لاجله وقد عرف القوم شكر الله على نعمه فقالوا هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه الى ما خلق لاجله . على هذا قامت الشرائع وبه استقامت التكاليف ومن انكر شيئا منه قد أنكر مكان الايمان من نفسه وهو عقله الذى شرفه الله بالخطاب فى أوامره ونواهيه "(١) .

وأختار الاستاذ محمد فريد وجدى مذهب الجبر واستدل على ذلك بقوله " النظر المجرد فى الكون يدلنا على أنه قائم على نظام ثابت والبحث السطحى فى هذا يدلنا على أن له قوانين ونواميس تمسكه وتحفظه فلا تحدث فى الهواء حركه ، ولا تسقط من شجرة ورقه ، الا تبعا لقانون ثابت وفاعل مؤثر هذا الأثر مشاهد في عوالم الجمادات والنباتات أتم مشاهده وهو في عالم الحيوانات أقل ظهور لما متعت به من الحس والحركه ، وهو فى العالم الانساني يحتاج لتأمل ونظر . فلو قلت للمتوحش ان كل حركه وسكنه فيك تابعة لقانون ثابت شك فى قولك ان لم يكن أخذه من طريق الدين بالتسليم .

اتّحد الدين والعلم الطبيعى على أن الانسان مجبر على أفعاله حتى أن أحد رؤس الماديين العصريين بوخنر الالماني قال ان الحريه الانسانيه التى اعتبرها الروحيون مبدأ للاختيار والاراده وهم باطل ، فان الانسان في ذاته حادث طبيعى محكوم بالطبيعه التى كونته والمناخ الذى رباه والوسط الذى يقله والجنس الذى نشأ منه ، والتربيه التى غرست فيه من صفره " ثم يوضح الاستاذ وجدى ما ذكره بمثال فيقول " يتصدق الرجل منا مثلا فان سألته عن السبب الذى حمله على التصدق قال لك ارادتي فان سألته وما الذى حرك ارادتك ؟ قال شفقتي فان قلت وما الذى أوجد لك الشفقه دون جارك ؟ قال ورثتها عن ابي وجدى أو من طبيعة مزاجي فان سألته ومن الذى أوجد لك هذا

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ٥٩ - ٦٠ .

المزاج وصور أباك شفيقا ؟ قال الله تعالى بما أوجده من عوامل . اذن فقد حكم بأن الباعث للصدقه في الواقع هو الله وهكذا تستطيع أن تصعد بسائر اعمالك الى موجدها الاول سبحانه وتعالى .

هذا معنى القضاء والقدر وهو معنى قوله تعالى " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقه الا يعلمها ولا حبه في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين "[1] وبعد أن أثبت الله تعالى علمه بالجزئيات قرر في آيه أخرى بأن كل الحوادث هو فاعلها فقال تعالى " قل كل من عند الله "[2] وقال تعالى " خلقكم وما تعملون "[3] [4] .

ويميل الشيخ محمود شلتوت الى مذهب الاختيار فيقول شارحا ذلك :-
" والقدر بالنسبه للانسان معناه أنه خلقه بارادة وحريه واختيار فيما كلفه به من اعمال الخير والبعد عن الشر وكل نصوص القرآن تدل على ذلك دلاله واضحه واختيار الانسان اساس لتكليفه ومحاسبته ومحال ان يكون مجبورا على فعله ثم يكلف ويثاب أو يعاقب على ما لا يستطيع صرف نفسه عنه ، وعلم الله بما سيكون من الانسان باختياره وارادته يحقق معنى الاختيار وينفي القهر والجبر وصفة العلم صفه كشف وليست صفه تأثير "[5] .

وهو يرى ان القضاء والقدر اللذان ورد في القرآن ذكرهما وجعلهما الناس مرتبطين بفعل الانسان وسلكه في الحياة ليسا سوى النظام العام الذى خلق الله عليه الكون - وربط فيه بين الاسباب والمسببات والنتائج والمقدمات سنه كونيه دائمه لا تتخلف وكان من بين تلك السنه ان خلق الانسان حرا في فعله مختارا غير مقهور ولا مجبور "[6] .

---

(١) سورة الانعام الآيه ٥٩ .
(٢) سورة النساء من الآيه ٧٨ .
(٣) سورة الصافات الآيه ٩٦ .
(٤) مقدمة المصحف المفسر : محمد فريد وجدى ص ١٣٧ .
(٥) الفتاوى : محمود شلتوت ص ٤٧ .
(٦) الاسلام عقيده وشريعه : محمود شلتوت ص ٥٠ .

أما الشيخ محمد مصطفى المراغي فهو أشد القوم انكارا لمذهب الجبر حيث يقول " ... ولا شبهه بعد هذا في أن القول بالجبر يصادم العقل ويناقض ما اجمعت عليه الامم ويهدم حكمة ارسال الرسل وحكمة الشرائع سواء أكانت وضعيه أم سماويه والقائلون به يجب عليهم أن يتركوا انفسهم فى الحياة تسيرها الرياح كما تشاء ، وليس لهم ان يتعلقوا بقواعد التهذيب وليس لهم أن يلوموا فاسقا ولا كافرا ولا مرتكب أية كبيره أو أية معصية . وهذا قول نعوذ بالله منه ومن شروره واتفاق الامم جميعها فى القديم والحديث على خلافه دليل على أنه مناقض للفطره كما هو مناقض للعقل "[1] .

ويصف الشيخ محمد المراغي الرأى الذى يختاره فيقول " نعود الى الحديث عن علم الله وعن اثبات كل شىء فى الكتاب فنقول : ان علم الله سبحانه يجب ان تتبعه اراد ته والعلم صفه انكشافيه لا الزام فيها . والعلم الصحيح هو المطابق للمعلوم مطابقه تامه ، فلا أثر لعلم الله سبحانه فى افعال العباد لأن افعال العباد لا تتبعه بل علم الله هو الذى يتبع أفعال العباد[2] والله سبحانه فى مرتبة وجوده قبل ان يخلق الخلق قدر الخلق ووضع هذا النظام التام الذى هو خير كله ، والذى يعرض فيه الخير والشر للافراد ، أما النظام نفسه فلا يعرض له الشر بحال لأنه هو الصادر عن الجود وعن الحكمه وعن العلم التام ، وقد علم الله سبحانه ما سيختاره كل أحد من خلقه فوضعه في كتاب وفعل العبد تابع لاختياره المحض لا ارتباط له بالعلم الا ذلك الارتباط الحاصل بين العلم والمعلوم ، واذا كان ذلك كذلك فلا دلاله فى الآيه[3] على الجبر وهي كغيرها قد تدل على الاختيار "[4] .

---

(١) مجلة الازهر المجلد الثاني عشر جزء (٥) ص ٢٦٥ .
(٢) الحق ان علم الله سابق لفعل العبد وهو علم كشف لا تأثير .
(٣) ورد هذا القول فى تفسير قوله تعالى " ما اصاب من مصيبه فى الارض ولا في انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها " سورة الحديد الآيه ٢٢ .
(٤) مجلة الازهر المجلد ١٢ الجزء ٥ ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

وينكر السيد جمال الدين الافغاني مذهب الجبريه ويرد عليه بل ذكر انقراضه فى هذا العصر حيث يقول :-

" نعم كان بين المسلمين طائفه تسمى بالجبريه ذهبت الى ان الانسان مضطر في جميع أفعاله اضطرارا لا يشوبه اختيار وزعمت ان لا فرق بين أن يحرك الشخص فكه للاكل والمضغ وبين ان يتحرك بقفقفه البرد عند شدته ومذهب هذه الطائفة يعده المسلمون من منازع السفسطه الفاسدة وقد انقرض أرباب هذا المذهب فى أواخر القرن الرابع من الهجره ولم يبق لهم أثر وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر ولا من مقتضيات ذلك الاعتقاد ما ظنه أولئك الواهمون "[1] .

ويدافع السيد الافغاني عن عقيده القضاء والقدر ويبين مزاياها فيقول :

" الاعتقاد بالقضاء والقدر اذا تجرد عن شناعة الجبر يتبعه صفة الجراءه والاقدام وخلق الشجاعه والبساله ويبعث على اقتحام المهالك التى توجف لها قلوب الاسود وتنشق منها مرائر النمور هذا الاعتقاد يطبع الانفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الاهوال ويحليها بحلى الجود والسخاء ويدعوها الى الخروج من كل ما يعز عليها بل يحملها على بذل الارواح والتخلى عن نضرة الحياة كل هذا فى سبيل الحق الذى قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة .

الذى يعتقد بأن الاجل محدود والرزق مكفول والاشياء بيد الله يصرفها كما يشاء كيف يرهب الموت فى الدفاع عن حقه واعلاء كلمه أمته أو ملّته والقيام بما فرض الله عليه من ذلك ؟ وكيف يخشى الفقر مما ينفق من ماله فى تعزيز الحق وتشييد المجد على حسب الاوامر الالهيه وأصول الاجتماعات البشريه .

اندفع المسلمون فى أوائل نشأتهم الى الممالك والاقطار يفتحونها ويتسلطون عليها ... دمروا بلادا ودككوا أطوادا ورفعوا فوق الارض أرضا ثانيه من القسطل وطبقة أخرى من النقع وسحقوا رؤوس الجبال تحت حوافر جياد هم وأقاموا بدلها جبالا وتلالا من رؤوس النابذين لسلطانهم وأرجفوا كل قلب وارعدوا كل فريصه وما كان قائدهم وسائقهم الى جميع هذا الا الاعتقاد بالقضاء والقدر .

---

(١) مجلة العروه الوثقى : ص ٩٢ .

هذا الاعتقاد هو الذى ثبتت به أقدام بعض الاعداد القليله منهم أمام جيوش يغص بها الفضاء ويضيق بها بسيط الغبراء فكشفوهم عن مواقعهم وردوهم على أعقابهم بهذا الاعتقاد لمعت سيوفهم بالمشرق وانقضت شهبها على العيارى فى هبوات الحروب من أهل المغرب ..

هذا الاعتقاد هو الذى سهل عليهم حمل أولادهم ونسائهم ومن يكون فى حجورهم الى ساحات القتال فى اقصى بلاد العالم كأنما يسيرون الى الحدائق والرياض .

هذا الاعتقاد هو الذى ارتفع بهم الى حد كان ذكر اسمهم يذيب القلوب ويبدد أفلاذ الاكباد حتى كانوا ينصرون بالرعب يتقذف به فى قلوب اعدائهم فيهزمون بجيش الرهبه قبل ان يشيموا بروق سيوفهم ولمعان اسنتهم .

فنعم الاعتقاد الذى يطهر النفوس الانسانيه من رذيله الجبن وهو أول عائق للمتدنس به عن بلوغ كماله فى طبقته أيا كانت .. ورجاؤنا فى الراسخين من علماء العصر أن يسعوا جهدهم فى تخليص هذه العقيده الشريفه من بعض ما طرأ عليها من لواحق البدع ، ويذكروا العامه بسنن السلف الصالح وما كانوا يعملون وينشروا بينهم ما اثبته أئمتنا رضى الله عنهم كالشيخ الغزالي وامثاله من أن التوكل والركون الى القضاء انما طلبه الشرع منا فى العمل لا في البطاله والكسل وما أمرنا الله ان نهمل فروضنا وننبذ ما أوجب علينا بحجه التوكل عليه فتلك حجة المارقين عن الدين الحائدين عن الصراط المستقيم ، ولا يرتاب أحد من اهل الدين الاسلامي فى ان الدفاع عن المله فى هذه الاوقات صار من الفروض العينيه على كل مؤمن مكلف .." (1)

وبعد ،

أرأيتم كيف أدى بهم تحكيم العقل والعقل وحده الى رأى مختلف فى تلكم العقيده اختار بعضهم مذهب الجبريه واختار الآخرون مذهب الاختيار وهم هنا وهناك يزعمون انهم يستندون الى الادله العقليه .

ثم ومع هذا تلتبس عليهم الامور وتختلط عليهم الحقائق فيضطربون في معرفة

---

(1) العروه الوثقي : ص ٩٣ - ٩٦ باختصار .

السبيل الحق ويعلنون حيرتهم بل ويقر أحدهم بما هو اشنع وهو تظاهره بالمعرفة أمام من يسميهم البسطاء حتى ينفي عن نفسه صفة الجهل مع اقراره بجهله حل هذه المسأله وزعمه ان كل حل لها قابل للنقد والرد ؟ !

بل وعجز استاذ المدرسه عن التوفيق بين ما قام عليه الدليل من احاطه علم الله وارادته وبين ما تشهد به البداهه من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار ، وزعم ان هذا طلب لسر القدر الذى نهينا عن الخوض فيه . وانه اشتغال بما لا تكاد تصل العقول اليه . وكأن كل ما عجزت عن الوصول اليه تلك العقول فلا يصح الاعتقاد به والايمان والتسليم ، وان وردت به الآيات الكريمه من القرآن .

أرأيتم أى ضلال يوصل اليه تحكيم العقل والاعراض عن النقل ذلكم ما نذكره هنا . وقد بينا سابقا مذهب اهل السنه والجماعه الاسلم والاعلم والاحكم في عقيده القضاء والقدر .

رابعا : المعجزات

خلق الله الخلق وأمرهم بعبادته ورزقهم عقولا يميزون بها بين الخير والشر وبين الضار والنافع وبين الصواب والخطأ ، وارسل اليهم رسلا تهدى تلك العقول الى خط سيرها الذى رسمه الله لها وترسم لها حدودها التى تضل ان جاوزتها وتنجوا ان اتبعتها وتسلم وتهتدى الى الحق وتغنم .

واعطى الله أولئك الرسل من العلامات ما تثبت به للعقول صدق رسالتهم فتذعن بعد ذلك لاوامرهم وتسير على نهجهم وتقتفى آثارهم وتميز بها بين الرسل وأدعياء الرساله .

من تلكم العلامات ما يسمى بالمعجزات ، والمعجزات جمع معجزه وهي أمر خارق للعاده خارج عن حدود الاسباب المعروفه يجريه الله تعالى على يد مدعي النبوه عند دعواه اياها شاهدا على صدقه .

والمعجزات ولاشك حجة للرسل لا ينكر حجيتها الا مغالط خاضع للهوى أو الجهل . ولو لم تكن المعجزات حجه توجب الايمان بالرسل لما عاتب الله المشركين وعنفهم ووصفهم بأنهم لا يؤمنون بالآيات حيث قال سبحانه " وما تأتيهم من آيه من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين "[١] وقال سبحانه " وان يروا كل آيه لا يؤمنوا بها "[٢] وقال عز وجل " وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر"[٣] وقال سبحانه " ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين "[٤] .

أرأيتم كيف عاتب الله أولئك القوم وذمهم بعدم الايمان بعد الآيات ؟ أليس فى هذا اثبات لحجه المعجزه وكون من لا يؤمن بعدها يستحق هذا الذم ؟

ثم تعالوا الى نوع آخر من الادلة على اثبات حجيه المعجزات . ألم يقل الله سبحانه وتعالى " وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون "[٥] أليس فى هذا دلاله على أن الله سبحانه وتعالى لا يرسل الآيات تفضلا منه ورحمة بالناس

(١) سورة الانعام : الآيه : ٤
(٢) سورة الانعام : من الآيه ٢٥
(٣) سورة القمر : الآيه : ٢
(٤) سورة الانعام : الآيه : ٧
(٥) سورة الاسراء : من الآيه : ٥٩ .

ان لو أرسلناها اليهم لكذبوا بها كما كذب بها الاولون فاستحقوا العقاب كما استحقه أولئك الاولون ، فلو لم تكن الآيات حجة قويه لا يقبل بعدها تردد فى الايمان لما تلاها العقاب لمن كذب بها .

ثم تعالوا الى نوع ثالث من الادله هو في حد ذاته دليل كاف على حجية المعجزة ووجوب الايمان بعدها واستحقاق المكذبين بعد حصولها للعقاب الشديد قال الله سبحانه وتعالى " اذ قال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائده من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآيه منك وارزقنا وانت خير الرازقين . قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا اعذبه أحدا من العالمين "(١)

أرأيتم الى أى مدى بلغت حجيه المعجزه أى حجه من الحجج يتلوها العقاب الشديد لمن لا يؤمن بعدها ؟ انها ولا شك لحجه من أقوى الحجج وبرهان من أقوى البراهين ، ولهذا وصفها موسى عليه السلام بأنها شيء مبين حين أراد أن يظهر معجزاته عند فرعون وقومه حيث يقول " قال أولو جئتك بشيء مبين ، قال فأت به ان كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين "(٢) . لا شك ان تلك المعجزات وغيرها من معجزات الانبياء " شيء مبين " وموضح ومظهر للحق اظهارا لا يقبل بعده جدل أو شك .

أبى هذا الحكم رجال المدرسه العقليه الحديثه مستندين الى اساس ثابت فى منهجهم ألا وهو زعمهم تحكيم العقل والعقل عند محكميه لا يؤمن بما يقهره بل لابد لايمانه من اقتناع ذاتي بعيدا عن المؤثرات الخارجيه المجبره له على الأذعان كالمعجزات ثم ان هذه المعجزات قد تلتبس بأعمال السحره والمشعوذين فتوقع الحيره فى التمييز بين الانبياء وأدعياء النبوه . وهم لا ينكرون وقوع المعجزات وحصولها

---

(١) سورة المائده : الآيات ١١٢ - ١١٥ .
(٢) سورة الشعراء الآيات ٣٠-٣٣ .

وانما ينكرون حجيتها ودلالتها على الرسالة .

لهذا ولغيره من الامور وقع رجال المدرسة العقلية الحديثة فى حيرة وتبلبل فكر أيقولون بالمعجزات فيخالفون العقل الذى به يؤمنون أو ينفونها فيخالفون الدين الذى اليه ينتمون ؟! فآثروا التكذيب لبعض المعجزات وابطالها اما بتضعيف اسنادها وان كان قويا عند السلف أو بتأويلها بما لا تكون به معجزة ووقفوا فيما بقي بين هذا وذاك حائرين .

فآثروا تجريد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها الا اعجاز القرآن الكريم لأنه معجزة عقلية ثابتة وحجة دائمة لا تنقطع . آثروا هذا لزعمهم ان الدين الاسلامي - وحده هو دين العقل وما عداه من الاديان السماوية الاخرى وغير السماوية فانها لا تلتزم بأحكام العقل اذن فلا مانع من ورود المعجزات فيها فلنثبت لها ما نص عليه القرآن الكريم منها ولنقتنع ان ورود تلك المعجزات مما يناسب عقول أقوام هؤلاء الانبياء آنذاك .

أما بعد مجيء محمد صلى الله عليه وسلم فان العقل البشرى قد نضج واكتمل وتم رقيه وتطوره فلم يعد يقبل المعجزات ولم يعد يذعن لها فلا غرو أن لا يرد فى الدين الاسلامي على يد محمد صلى الله عليه وسلم منها شيء يقول الاستاذ محمد فريد وجدى " قضت مراحم الله جل شأنه أن يكون الاكوان في الطبيعة على ترتيب محكم ينطق بلسان الصمت للمتبصر ويظهر بلباس الوضوح للمتفكر ويحبب اليه الانتقال منه الى غيره بدون أن يشعر بطل ولا سآمه ولا يؤوب من استبصاره بندامه . بدون هذا الاعتبار بالعقل لا يتأتي للنفس أن تصحح عقيدتها ولا يتسنى لها تبعا لذلك ان تسكن من اضطرابها . هذا ولا ننكر أنه قد مضى على النوع الانساني زمن كان فيه العقل فى دور الطفولية وكان يكفيه فى الايمان أن يندهش لأمر خارق للطبيعة يعطل من سير نواميسها وقتا ما . وكان الله سبحانه وتعالى يرأف بعباده فيرسل اليهم رسلا يمتعهم بخصائص تعجز عن اكتناه سرها عقولهم وتندهش لها ألبابهم فيستدلون بهذه المعجزات على صدق الرسول وضرورة اتباعه ،

وأما الآن حيث بلغ العقل أشده والنوع الانساني رشده فلا تجدى فيه معجزه ولا تنفع فيه غريبه لأن الشكوك قد كثرت مع كثرة المواد العلميه . فان حدث حادث من هذا القبيل رموا فاعله بالتدليس أولا ثم اذا ظهر لهم برآءته منه أخذوا يعللون معجزاته بكل انواع التعليلات . هذا من جهة . ومن جهة أخرى فسان طائفه الاسبيريت الروحيين فى اوربا تعمل الآن من الاعمال المدهشه الخارقه لنواميس الطبيعه ما لو رآه الجهلاء لظنوا أنه من اكبر المعجزات ، مع أن القوم لا يدعون النبوه ولا يزعمون الرساله ، نعم لا ننكر أن أعمال هذه الطائفه ليست من نوع معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولكنه بدون شك يقلل من اهميتها فى نظر الذين يقفون مع ظواهر الاشياء . ومما يدل على أن هذه القرون الاخيره لا تروج فيها مسائل المعجزات تكذيب علماء أوربا بكل المعجزات السابقة وهو وان كان تهورا منهم الا أنهم مصيبون فى قولهم اننا فى زمان لا يجدى فيه للاعتقاد الا النور العقلى والدليل العلمي "(1)"؟ !

وليست المعجزات - عند رجال المدرسه العقليه - لاقامة الحجه على نبوة أو رساله لانها لا تصلح لذلك فلهذا لم يأت بها دين الاسلام لاقامة الحجة على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بل عدّ السيد رشيد رضا مجرد روايـة القرآن الكريم لمعجزات الانبياء السابقين سببا لاعراض " العلماء والعقلاء " عن الدين الاسلامي والدخول فيه ؟ ! ! ولولا روايه القرآن لذلك لكان اقبال " أحرار الافرنج " عليه اكثر واهتداؤهم به أعم وأوسع حيث يقول " بقي الكلام فى مسألة العجائب التى بنيت على أساسها الكنائس النصرانيه على اختلاف مذاهبها وفيما يدعون من تجرد محمد صلى الله عليه وسلم من لباسها وهي قد أصبحت فى هذا العصر حجة على دينهم لا له وصادّه للعلماء والعقلاء عنه لا مقنعه به ولولا حكاية القرآن لآيات الله التى أيّد بها موسى وعيسى عليهما السلام لكان اقبال أحرار

---

(1) المدنيه والاسلام : محمد فريد وجدى ص ٧١ - ٧٢ .

الافرنج عليه أكثر ، واهتداؤهم به أعم وأسرع لأن اساسه قد بني على العقل والعلم وموافقة الفطره البشريه وتزكية أنفس الافراد وترقية مصالح الاجتماع وأما ايته التى احتج بها على كونه من عند الله تعالى فهى القرآن ، وأمية محمد عليه الصلاة والسلام فانما هي آيه علميه تدرك بالعقل والحس والوجدان .

كفاك بالعلم في الأمي معجزة ... فى الجاهليه والتأديب في اليتم

وأما تلك العجائب الكونيه فهى مثار شبهات وتأويلات كثيره فى روايتها وفي صحتها وفي دلالتها وأمثال هذه الامور تقع من أناس كثيرين فى كل زمان والمنقول منها عن صوفية الهنود المسلمين اكثر من المنقول عن العهدين العتيق والجديد وعن مناقب القديسين وهي من منفرات العلماء عن الدين فى هذا العصر "[1]

اذن فالمعجزات عنده :
١ - مثار شبهات
٢ - مثار تأويلات

أ) في روايتها .

ب) في صحتها .

ج) في دلالتها .

ثم ان ما هو أشد من هذا كله انها تقع من أناس كثيرين فى كل زمان ولا تزال تقع من صوفيه الهنود وصوفيه المسلمين ؟ ! فما الذى يبقى بعد هذا من حجة وبرهان للمعجزة انها لا تعدو أمرا عاديا يكثر وقوعه بين الناس لا تقوم به حجه لرساله ولا برهان لنبوه هذا ما يزعمه السيد رشيد ثم ان هذه المعجزات عنده مخالفة للعقل والعلم والفطره البشريه .

وهو كلام يكثر ترديده وتكراره بين رجال المدرسه العقليه . وهذا شيخهم محمد عبده يقول " هذا النوع من العلم - علم تقرير العقائد وبيان ما جاء فى النبوات - كان معروفا عند الامم قبل الاسلام ففي كل أمة كان القائمون بأمر الدين يعملون لحفظه وتأييده وكان البيان من أول وسائلهم الى ذلك لكنهم كانوا قلما ينحون في بيانهم نحو الدليل العقلي وبناء آرائهم وعقائدهم على ما في طبيعة

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١١ ص ١٥٥ والوحي المحمدى : له ص ٦٢ .

الوجود أو ما يشتمل عليه نظام الكون بل كانت منازع العقول في العلم ومضارب الدين في الالزام بالعقائد وتقريبها من مشاعر القلوب على طرفي نقيض ، وكثيرا ما صرح الدين على لسان رؤسائه أنه عدو العقل نتائجه ومقدماته فكان جل ما في علوم الكلام تأويل وتفسير ، والدهاش بالمعجزات أو الهاء بالخيالات يعلم ذلك من له الملم بأحوال الامم قبل البعثه الاسلاميه .

جاء القرآن فنهج بالدين منهجا لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسه ، منهجا يمكن لاهل الزمن الذى أنزل فيه ولم يأتي بعدهم أن يقوموا عليه فلم يقصر الاستدلال على نبوة النبى صلى الله عليه وسلم بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقه بل جعل الدليل فى حال النبى مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغه يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ولو في مثل أقصر سورة منه .. " (١) .

اذن فالشيخ عبده يرى أن الاديان السابقه لم تكن ادلتها تقوم على حجج عقلية بل تقوم على العداء للعقل نتائجه ومقدماته ، وتقوم على الادهاش بالمعجزات والالهاء بالخيالات ، ومن الغريب أنه مع انكاره هنا لقبول العقل بالمعجزات الا أنا نراه فى موضع آخر لا يعدها من المستحيلات العقليه بل ويقر حجيتها وثبوت النبوه بها حيث يقول " المعجزه ليست من نوع المستحيل عقلا فان مخالفة السير الطبيعى المعروف فى الايجاد مما لم يتم الدليل على استحالته بل ذلك مما يقع كما يشاهد في حال المريض يمتنع عن الاكل مدة لو لم يأكل فيها وهو صحيح لمات مع وجود العله التى تزيد الضعف وتساعد الجوع على الاتلاف " " المعجزه لابد أن تكون مقرونه بالتحدى عند دعوى النبوه وظهورها من البراهين المثبته لنبوة من ظهرت على يده لأن النبى يستند اليها فى دعواه أنه مبلغ عن الله فاصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدا منه له فى تلك الدعوى ، ومن المحال على الله أن يؤيد الكاذب ، فان تأييد الكاذب تصديق له وتصديق الكاذب كذب وهو محال على الله فمتى ظهرت المعجزه وهي مما لا يقدر عليه البشر وقارن ظهورها دعوى النبوة علم بالضروره

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ٥ - ٦ .

أن الله ما أظهرها الا تصديقا لمن ظهرت على يده وان كان هذا العلم قد يقارنه الانكار مكابره "(١).

ذلكم الرجل الذى يقول هذا القول هو الذى وصف القائمين على الاديان قبل الاسلام بأنهم لا ينحون فى بيانهم نحو الدليل العقلي بل ينحون الى ما يدهش العقل من المعجزات .

وهو الذى قرر أن الدين لهذا كثيرا ما صرح على لسان رؤسائه أنه عدو العقل نتائجه ومقدماته وهو الذى يقول :- " وكيف يكون مجرد الخارق موجبا للقطع عند الاقتران بالدعوى ؟ وقد بلغك خبر ابن مقنع وأمثاله ، ممن قد رقمت أحوالهم فى صحائف الرجال ، كابن خلكان وغيره ففي الداوستان أن ابن مقنع هذا قد ادعى النبوه وأقام على ذلك معجزه باهره وهي أنه صنع قمرا ، يرتفع عن الارض نحو فرسخ ويضيء الى أربعة فراسخ ، ويستمر كذلك الى الصباح ثم عند الصباح يغيب ثم يطلع فى الليل ، وهكذا ، وهذا الرجل كان بعد الاسلام فان كان الشيخ الكلنبوى مذ هبت للخوارق المقترنه بالدعوى ، فلم لم يؤمن بهذا الرجل ؟ ولكن العذر له فانه كان من القسم الثاني يعتقد بغير رويه ولا نظر " " وليت شعرى ! ! اذا كان مجرد الخارق كافيا فلم كان النبى يحث على الفكر والنظر ؟ وجاء القرآن محشوا بالادلة والبراهين الداله على وجود الحق تعالى ووحدانيته وقدرته وارادته وعلمه ، الى غير ذلك من الصفات المقدسه ؟ "(٢).

ويرى الشيخ عبد العزيز جاويش نفس الرأى فينكر ان تكون المعجزات الخارقة كافيه مقنعه وهو حينما يقول بهذا القول لا ينسبه لنفسه بل ينسبه الى القرآن الكريم وهي قضية خطيره نلحظها بين بعض الباحثين حينما يفهم أمرا من القرآن الكريم لا ينسبه الى نفسه بل الى القرآن وان كان مخطئا في فهمه وان كان متجاوزا

(١) رساله التوحيد : محمد عبده ص ٨٥ - ٨٦ .
(٢) محمد عبده بين الفلاسفه والكلاميين : تحقيق سليمان دنيا ج ٢ ص ٤٧٧ - ٤٧٨

للحقيقه وكان الواجب ان يقول الباحث أرى أن منهج القرآن كذا أو فهمت أو أفهم من الآيه كذا .

يقول الشيخ جاويش بعد ان ينسب قوله وزعمه الى القرآن الكريم " رأى القرآن أنه لو كانت المعجزات الخارقه للعاده كافيه مقنعه لما كذب بها الاولون بعد ان ألحوا في طلبها وأجيبوا اليها .. فرأتها أبصارهم رأى العين ولكن عدم وجود صلة عقليه بين تلك الآيات وبين ما أريدت له من اثبات رسالات الرسل كان من نتائجه القريبه أنه لا تكاد تنزل الآيات لطلابها حتى يسارع الى نفوسهم الشك فيها بعد الاصرار على طلبها واللجاج فى استنزالها فمنهم من يراها من أنواع السحر ، ومنهم من يكذب بها بغيا وعدوانا " " كما يقص علينا - أى القرآن - أنه لو كانت المعجزات الخارقه من البراهين التى لا يفر المعاند من الخنوع لها لأمد الله بها رسوله ولأيده بما لا يحيط به الحصر من ضروبها ولكن علم الله أن هذه الآيات قد نزلت بمن قبلهم فظلموا بها ، واستنكرتها أنفسهم بغيا وعلوا ولهذا يبين لنا في صراحه ووضوح أن الله سبحانه وتعالى أبى أن يؤيد هذا الدين الا بالمعجزه التى لا تنافر فطرته ولا يقوى معاند على معارضتها تلك هي القرآن الكريم نفسه " أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمه وذكرى لقوم يؤمنون "(١) " (٢)

ثم تعال معي بعد هذا الى اسلوب خفي فى انكار حجة المعجزات يحتاج الى مناقيش لاستنتاجه ، يرد هذا الاسلوب في كلام السيد رشيد رضا ينخدع بظاهره السطحيون يقول السيد رشيد " لقد كانت آيات المرسلين حجه على الجاحدين المعاندين استحقوا بجحودها عذاب الله فى الدنيا والآخره ولم يؤمن بها ممن شاهدوها الا المستعدون للايمان بها "(٣) .

---

(١) سورة العنكبوت الآيه : ٥١ .
(٢) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ١٤٧ - ١٤٨ .
(٣) تفسير المنار ج ١١ ص ١٦٠ والوحي المحمدى : رشيد رضا ص ٧١ .

ويقول " ان الله تعالى لم يؤيد رسله بما أيدهم به من المعجزات الا لتكون حجة لهم على أقوامهم يهدى بها المستعد للهدايه "(١) .

كان الاصح ان يقول فى الاول " ولم يؤمن بها ممن شاهدها الا من هدى الله " أو يقول فى الثانيه " حجة لهم على أقوامهم يهدى بها من يشاء " ،أما وصف من هداه الله بها بالاستعداد للهدايه فهو أمر يدل على أن قائله يصف أولئك القوم الذين هداهم الله بعد المعجزه بالاستعداد للايمان قبلها فليس لها أثر فى ذلك وانا لنسأله ما الذى يجعله ينكر ان يكون الله قد جعل المعجزه سببا لوجود الاستعداد للايمان ثم الايمان ؟ لاشك أنه انما يريد بهذا التقليل من شأن المعجزه فى التأثير على الاتجاه العقلى للبشر الى الاديان اذ ليس للمعجزه من تأثير وانما التأثير يرجع الى الادله العقليه .

ولا يخدعنك وصفه للمعجزات بأنها حجة على الجاحدين أو انها حجة للانبياء على أقوامهم فانه يقول فى موضع آخر " وأما ما اكرمه الله تعالى به من الآيات الكونيه فلم يكن لاقامة الحجه على نبوته ورسالته "(٢) ثم كيف تكون حجة اذا لم يكن لها تأثير فى الايمان الا ايمان المستعدين له قبل ورودها ؟ انها لحجه ضعيفه وعهدنا ان المعجزات عند السلف حجه كبيره .

ثم أنظر حتى يتضح لك مذهبه - الى كلامه وهو يقارن بين خضوع أولئك للمعجزات وخضوع آخرين للسحره والمشعوذين يقول " وقد كان اكثر من آمن بتلك الآيات انما خضعت اعناقهم واستخذت انفسهم لما لا يعقلون له سببا ، وقد انطوت الفطره على أن كل ما لا يعرف له سبب فالآتي به مظهر للخالق سبحانه ان لم يكن هو الخالق نفسه ، وكان اضعاف اضعافهم يخضع مثل هذا الخضوع نفسه للسحره والمشعوذين والدجالين ولا يزالون كذلك "(٣) !!

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١١ ص ٢٢٧ والوحي المحمدى : له ص ١٨٤ .
(٢) المرجع السابق جـ ١١ ص ١٥٩ والوحي المحمدى : له ص ٧٠ .
(٣) تفسير المنار : جـ ١١ ص ١٦٠ والوحي المحمدى : له ص ٧١ .

وهو كزملائه رجال المدرسه العقليه يقرر أن العقل لا يخضع للمعجزات " ان الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل فى ثبوتها وفى موضوعها لأن البشر قد بدءوا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذى لا يخضع عقل صاحبه فيه لا تباع من تصدر عنهم أمور عجيبه مخالفه للنظام المألوف فى سنن الكون بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم بذلك بل هو من موانعه فجعل حجة نبوة خاتم النبيين عين موضوع نبوته وهو كتابه المعجز للبشر بهدايته وعلومه واعجازه اللفظى والمعنوى ليربي البشر على الترقي فى هذا الاستقلال الى ما هم مستعدون له من الكمال "(1).

نخلص من هذا الى أن رجال المدرسه العقليه لا يحيلون وقوعها بل هي عندهم " جائزه عقلا أى التى ليس فيها اجتماع النقيضين ولا ارتفاعهما فلا مانع من وقوعها بقدرة الله تعالى فى يد نبى من الانبياء ويجب ان نؤمن بها على ظاهرها"(2) ولكنهم يخصون هذا بفترة ما قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم أما في عصره عليه الصلاة والسلام " فانتهى بذلك زمن المعجزات ودخل الانسان بدين الاسلام فى سن الرشد فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبه له الى الايمان وتقويم ما يعرض للفطره من الميل عن الاعتدال فى الفكر والاخلاق والاعمال كما كان فى سن الطفوليه (النوعيه) بل أرشده الله تعالى بالوحي الاخير (القرآن) الى استعمال عقله فى تحصيل الايمان بالله وبالوحي "(3).

ويرى الشيخ محمد عبده ان المعجزات انما هي لاولئك الاقوام الذين لم ترتق عقولهم الى فهم البرهان ولا يضر الاسلام ان يروى تلك المعجزات فمجرد روايته لها لا ينفي عنه أنه دين العقل مادام لم يرد فيه شيء منها . يقول الشيخ عبده " فأيماننا بما أيد الله تعالى به الانبياء من الآيات لجذب قلوب أقوامهم الذين لم

---

(1) تفسير المنار : رشيد رضا جـ ١١ ص ١٥٩ والوحي المحمدى : له ص ٦٩ .
(2) تفسير المنار : رشيد رضا جـ ١ ص ٣١٤ - ٣١٥ .
(3) المرجع السابق : جـ ١ ص ٣١٥ .

ترتق عقولهم الى فهم البرهان لا ينافي كون ديننا هو دين العقل والفطره وكونه حتم علينا الايمان بما يشهد له العيان من أن سننه تعالى فى الخلق لا تبديل لها ولا تحويل "(١).

الى هذا ذهب رجال المدرسه العقليه الحديثه فى أمر معجزات الانبياء السابقين أثبتوا وقوعها وانكروا حجيتها وتأثيرها عند أهل العقول الراقيه ؟!

معجزات محمد صلى الله عليه وسلم :-

ولهم في أمر معجزات محمد صلى الله عليه وسلم رأى آخر هو غير ذاك بل هو أشد منه خطرا ذلكم أنهم انكروا معجزاته عليه الصلاة والسلام كلها سوى معجزة القرآن الكريم وجردوا نبوته من أى معجزه أخرى وسلكوا فى ذلك سبلا . اما بانكار صحتها واما بتفسيرها بأمر لا تكون به معجزه وأقربهم الى الحق على بعده عنه من أثبت بعضها ولكن انكر أن يكون ورودها لاقامة الحجه على نبوته صلى الله عليه وسلم بل هي رحمه من الله تعالى وعناية به صلى الله عليه وسلم وبأصحابه فى الشدائد .

وهم فى مقابل انكارهم هذا حاولوا أن يعوضوا ذلك باثبات الاعجاز لأمور ليست من المعجزات ؟ وانما أثبتوا له معجزه القرآن لانها معجزه عقليه أما ما سواها فليست معجزات عقليه لانها مما تحيا العقول بها وما تحيا العقول به فليس عقليا يقول الشيخ محمد مصطفى المراغي فى تقديمه لكتاب حياة محمد للاستاذ محمد حسين هيكل :- " ولم تكن معجزه محمد صلى الله عليه وسلم القاهره الا فى القرآن وهي معجزة عقليه وما ابدع قول البوصيرى .

لم يمتحنا بما تعيا العقول به   حرصا علينا ، فلم نرتب ولم نهم "(٢)

---

(١) تفسير المنار : رشيد رضا ج ١ ص ٣١٥ .

(٢) حياة محمد : محمد حسين هيكل مقدمه الشيخ محمد مصطفى المراغي ص ١٣ .

ويرد هذا الكلام ايضا السيد رشيد رضا " وأما آيته - أى محمد صلى الله عليه وسلم - التى احتج بها على كونه من عند الله تعالى هي القرآن وأميه محمد عليه الصلاة والسلام ، فهى آيه علميه تدرك بالعقل والحس والوجدان .

كفاك بالعلم في الأمي معجزة | فى الجاهليه والتأديب في اليتم

وأما تلك العجائب الكونيه فهى مثار شبهات وتأويلات كثيره ، في روايتها وفي صحتها وفي دلالتها ، وأمثال هذه الامور تقع من أناس كثيرين فى كل زمان والمنقول منها عن صوفيه الهنود والمسلمين اكثر من المنقول عن العهدين العتيق والجديد وعن مناقب القديسين وهي من منفرات العلماء عن الدين فى هذا العصر "[1] .

ويقول " هذا وان ما رواه المحدثون بالأسانيد المتصله تارة وبالمرسلة أخرى من الآيات الكونيه التى اكرم الله تعالى بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم هي اكثر من كل ما رواه الانجيليون وأبعد عن التأويل ، ولم يجعلها برهانا على صحة الدين ولا أمر بتلقينها للناس ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمه على قواعد العلم والعقل فى ثبوتها وفى موضوعها لأن البشر قد بدؤا يدخلون في سن الرشد والاستقلال النوعي الذى لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبه مخالفة للنظام المألوف فى سنن الكون "[2]

ثم يقول " وأما ما اكرمه الله تعالى به من الآيات الكونيه فلم يكن لاقامة الحجه على نبوته ورسالته بل كان من رحمه الله تعالى وعنايته به وبأصحابه فى الشدائد "[2]

ثم يجمل لنا قوله " وجملة القول أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قد ثبتت بنفسها أى بالبرهان العلمي والعقلي الذى لا ريب فيه لا بالآيات والعجائب الكونيه . ."[3] ؟!

---

(١) تفسير المنار جـ ١١ ص ١٥٥ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١١ ص ١٥٩ .
(٣) المرجع السابق : جـ ١١ ص ١٦١ .

ويرد السيد رشيد على الذين اعترضوا على حسين هيكل لتجريده نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من المعجزات في كتابه " حياة محمد " فيقول مدافعا عن هيكل :- " أهم ما ينكره الأزهريون والطرقيون (!!) على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها في كتاب الوحي المحمدى من جميع مناحيها ومطاويها في الفصل الثاني وفي المقصد الثاني - من الفصل الخامس ، بما اثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعيه على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالذات ونبوة غيره من الأنبياء وآياتهم بشهادته لا يمكن في عصرنا اثبات آيه الا بها وأن الخوارق الكونيه شبهه عند علمائه لا حجه ، لانها موجوده في زماننا ككل زمان مضى وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل وبينت سبب هذا الافتتان والفروق بين ما يدخل منها في عموم السنن الكونيه والروحيه وغيره " (1)

ويثبت الشيخ - عبده - ذلك بقوله " نبى صدق الانبياء ولكن لم يأت في الاقناع برسالته بما يلهي الابصار أو يحير الحواس أو يدهش المشاعر ولكن طالب كل قوه بالعمل فيما أعدت له وأختص العقل بالخطاب وحاكم اليه الخطأ والصواب وجعل في قوة الكلام وسلطان البلاغه وصحة الدليل مبلغ الحجه " (2)

ويقول " ودخل الانسان بدين الاسلام في سن الرشد فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبه له الى الايمان وتقويم ما يعرض للفطره من الميل عن الاعتدال في الفكر والاخلاق والاعمال كما كان في سن الطفوليه النوعيه بل أرشده الله تعالى بالوحي الاخير (القرآن) الى استعمال عقله في تحصيل الايمان بالله وبالوحي " (3)

وقال أيضا " فالاسلام في هذه الدعوه والمطالبه بالايمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الانساني الذى يجرى على نظامه الفطرى

---

(1) مجلة المنار المجلد ٣٤ الجزء العاشر ص ٧٩٣ تاريخ ٣ مايو ١٩٣٥ م .
(٢) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٤٣ .
(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣١٥ .

فلا يد هشك بخارق للعاده ، ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتاده ، ولا يخرس لسانك بقارعه سماويه ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحه الهيه "(١) .

أما الشيخ عبد العزيز جاويش فهو يرى أن الله سبحانه وتعالى أبى الا أن يؤيد هذا الدين بالمعجزه التى لا تنافر فطرته وهي القرآن الكريم ، أما المعجزات الخارقه فلم يؤيد الله بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم قال الشيخ جاويش " كما يقص - أى القرآن - علينا انه لو كانت المعجزات الخارقه من البراهين التى لا يفر المعاند من الخنوع لها لأمد الله بها رسوله ، ولأيده بما لا يحيط به الحصر من ضروبها ولكن علمه الله ان هذه الآيات قد نزلت بمن قبلهم فظلموا بها واستنكرتها انفسهم بغيا وعلوا ولهذا يبين لنا في صراحه ووضوح ان الله سبحانه وتعالى أبى أن يؤيد هذا الدين الا بالمعجزه التى لا تنافر فطرته ، ولا يقوى معاند على معارضتها . تلك هي القرآن الكريم نفسه "(٢) .

وقال بهذا السيد محمد فريد وجدى فهو يرى أن العقل البشرى قد تم وكمل فلم تعد المعجزات تجدى فيه ولا تنفع معه ويستدل على هذا بتكذيب " علماء أوروبا " لهذه المعجزات ويجعل هذا كله سببا لصرف الاسلام النظر عن المعجزات وتوجيهه الى الادله العقليه وقواعد العلم يقول الاستاذ وجدى :- " وأما الآن حيث بلغ العقل أشده والنوع الانسانى رشده فلا تجدى فيه معجزه ولا تنفع فيه غريبه لأن الشكوك قد كثرت مع كثرة المواد العلميه " " ومما يدل على أن هذه القرون الاخيره لا تروج فيها مسائل المعجزات تكذيب علماء أوروبا بكل المعجزات السابقه وهو ان كان تهورا منهم الا أنهم مصيبون فى قولهم اننا في زمان لا يجدى فيه للاعتقاد الا النور العقلي والدليل العلمي " " لهذه الاسباب جاءت الشريعة الاسلامية تدعو الى السبيل الحق ببدائه العقل وقواعد العلم صارفة النظر عن

---

(١) الاسلام والنصرانيه : محمد عبده ص ٦٨ .
(٢) الاسلام دين الفطره والحرية : عبد العزيز جاويش ص ١٤٨ .

المعجزات واظهار المدهشات لعلم الله سبحانه وتعالى بأنه سيأتى زمان تؤثر فيه المقررات العلميه على القوه العقليه ما لا تؤثره عليها الخوارق للنواميس الطبيعيه "[1].

ويقول الاستاذ الشيخ محمود شلتوت "ان الذى اعطاه الله أياه - يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم - من المعجزات كان غير الذى اعطاه للانبياء السابقين كان "وحيا" يسمع ويفهم ويعقل فيدرك العقل منه جهات اعجازه ولا ينقرض بانقراض زمنه ولا بموت صاحبه بل يظل قائما محفوظا بحفظ الله الذى أوحاه "[2].

حقا لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القرآن الكريم "وانما كان الذى أوتيت وحيا أوحاه الله الي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامه "[3] ولكنه عليه الصلاة والسلام لا يقصد بهذا أن يصف معجزات الانبياء عليهم السلام بأنها لا تسمع ولا تفهم ولا تعقل وأن معجزته صلى الله عليه وسلم هي التى تسمع وتفهم وتعقل وانما أراد أن معجزته لا تنقرض بانقراض زمنه ولا بموته وانما هي خالده ومعجزاتهم عليهم السلام منقطعه ولهذا يرجو أن يكون اكثرهم تابعا يوم القيامه والله أعلم .

وحينما نسأل عن الذى دعاهم الى الوقوف مثل تلك الوقفه أمام المعجزات عموما وفي دين الاسلام خصوصا نجد أن السبب يكمن - والله أعلم - فى اتصال أولئك برجال الغرب الاوروبيين فى فترة كانت العلاقة بين الكنيسه ورجال العلم فى اوروبا لا تزال فيها بقيه من الانفصال وبقيه من الركود وسوء العلاقات ، كان رجال العلم فى اوربا ينفرون من تعاليم الكنيسه على أنها هي تعاليم الدين الصحيح فنفروا منها ومن الدين كله وأسسوا علومهم وبنوا قواعدهم على أنها معارضه ومبطله لاصول الدين .

---

(١) المدنيه والاسلام : محمد فريد وجدى ص ٧١ - ٧٢ .
(٢) الفتاوى : محمود شلتوت ص ٤٨ - ٤٩ .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

اتصل اولئك الرجال بهم ورأوا موقفهم من الدين فأرادوا ان يتقربوا اليهم ويشرحوا لهم ان الدين الاسلامي هو الدين الذى لا يشتمل على تلك الامور المخالفه للعقل ولقواعد العلم ، وعالجوا تلك القضايا بكثير من التسامح لحساب القواعد العلميه غير الثابته على حساب الدين الاسلامي .

وعالجوا فيما عالجوا - بزعمهم - قضية المعجزات التى وقفت حجر عثره في طريقهم فوافقوا رجال الغرب ان المعجزات لا تصلح للاحتجاج ولا تقوم بها الحجه .

ثم قالوا ان هذه المعجزات انما وردت فى الاديان السابقه على الاسلام ، ولا يضير الاسلام ولا يجعله مخالفا لاحكام العقل اذا ما رواها - مجرد روايه - مادام لم يرد فيه شيء منها "فايماننا بما أيد الله تعالى به الانبياء من الآيات لجذب قلوب أقوامهم الذين لم ترتق عقولهم الى فهم البرهان لا ينافي كون ديننا هو دين العقل والفطره "[1] .

ثم زعموا ان الاسلام لم يرد فيه شيء من تلك المعجزات لاقامه الحجه بل حجته هي الادله العقليه والقواعد العلميه التى تنادون بها يارجال أوربا ويا أحرار الافرنج !

كانت تلك - فيما نرى - هي قصة أولئك مع رجال العلم فى اوروبا وهي سبب موقفهم من المعجزات .

ولا يذهبن بك حسن الظن أو سوءه مذهبا في تقييمهم ولندع الحديث لرجل منهم يشرح لنا سر علاقتهم بالغرب وكيف كانت هذه العلاقه سببا لاستبطان كثير منهم - باعترافه - الالحاد مع عدم اظهارهم له لأن الأمر اكبر من أن يحاوله .

يقول الاستاذ محمد فريد وجدى وأرجو اخواني ان يمعنوا معي دراسة قوله هذا وأرجو أيضا أن يقرأوا ما بين السطور قبل قراءتهم السطور فانها تخفى بينها ما هو

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ١ ص ٣١٥ .

اكبر منها يقول وجدى :- " فى تلك الاثناء ولد العلم الحديث ومازال يجاهد القوى التى كانت تساوره حتى تغلب عليها ، فدالت الدوله اليه فى الارض فنظر نظرة فى الاديان ، وسرى عليها أسلوبه فقذف بها جملة الى عالم الميثولوجيا [1] ثم أخذ يبحث فى اشتقاق أصولها بعضها من بعض ، واتصال اساطيرها بعضها ببعض فجعل من ذلك مجموعه تقرأ لا لتقدس تقديسا ، ولكن ليعرف الباحثون منها الصور الذهنيه التى كان يستعبد الانسان لها نفسه ، ويقف على صيانتها جهوده غير مدخر فى سبيلها روحه وماله .

وقد اتصل الشرق الاسلامي بالغرب منذ اكثر من مائه سنه فأخذ يرتشف من مناهله العلميه ويقتبس من مدنيته الماديه ، فوقف فيما وقف عليه على هذه الميثولوجيا ، ووجد دينه ماثلا فيها ، فلم ينبس بكلمه لأنه يرى الأمر اكبر من ان يحاوله ، ولكنه استبطن الالحاد وتمسك به متيقنا أنه مصير اخوانه كافه [2] متى وصلوا الى درجته العلميه .

وقد نبغ فى البلاد الاسلاميه كتاب وشعراء وقفوا على هذه البحوث العلميه فسحرتهم فأخذوا يهيئون الاذهان لقبولها دسا فى مقالاتهم وقصائدهم غير مصارحين بها غير أمثالهم تفاديا من أن يقاطعوا أو ينفوا من الارض [3]

وقد عثرنا نحن في جولاتنا العلميه على ما عثروا عليه فكانت صدمة كادت تقذف بنا الى مكان سحيق ، لولا أن منّ الله علينا بوجدان المخلّص منها وهو قوله تعالى : " هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات " [4] الآيه فسجدنا شكرا لله وقلنا هذه مانعه الصواعق بل مانعة الغرق فتشبثنا بها وادخرناها الى وقتها ثم أفضينا بها الى الناس واثبتناها فى بعض مؤلفاتنا .

---

(١) أى علم الاساطير .

(٢) يقول " كافه " ترى كم وصل من هؤلاء الى تلك الدرجه ؟ !

(٣) اعتراف خطير يوجب على علماء المسلمين اعادة تقييم كتاب وشعراء ذلكم العصر وفى مقدمتهم رجال المدرسه وفى مقدمتهم الافغاني وعبده .

(٤) سورة آل عمران : من الآيه : ٧ .

هذا موقف منطقي لدين يعلن السلطان المطلق للعقل ، والدوله الخالده للعلم ويجرد الانسان من كل أوهامه وأهوائه ووراثته ليصل به الى اباحة النظر الحر والتفكير المستقل "(١) .

ذلكم بيان واف أفضى به الاستاذ وجدى عن أولئك الذين اتصلوا بالغرب والى أى حال وصلوا من استبطان الالحاد وهو قد اعترف بوقوعه بنفسه فيه ، وذلك بوصوله الى تلك الدرجه ثم نجاته منها بتلك الآيه التى فهم منها ان يلقى كل ما لا يفهمه عقله من أمور المعجزات ونحوها فى بحر المتشابهات .

وما يدرينا بأن من أنواع استبطان الالحاد الظهور بمظهر المدافع عن الاسلام وعن عقائده مع الدس والتزييف ؟! بل وما يدرينا أن من انواع الاستبطان هذا الاعتراف بالوصول الى درجة الالحاد ثم النجاة منها ؟!

أما تعيين الأفراد من وصل منهم الى درجة الالحاد واستبطانه فانها مهمة شاقه ألقاها الاستاذ وجدى على علماء المسلمين - من حيث يدرى أو لا يدرى - توجب عليهم كافه اعادة تقييم الرجال فى تلك الفتره تقييما لا يخضع للشعبيه التى يلقونها بين علماء خدعوا بها بل يوجب التجرد من التأثر والبحث عن الحقائق والوثائق .

ليس هذا استطراد منى في قضية جانبيه بل هو بيان لموقف أولئك من المعجزات وسر ذلكم النفي لحجيه المعجزات والتقليل من شأنها .

ذلكم ان تجريد نبوته صلى الله عليه وسلم من تلك المعجزات انما يقصد به طائفه منهم اثبات عبقريه محمد صلى الله عليه وسلم لا نبوته ، وهم حينما يثبتون هذا يزعمون أنه كسب عظيم للقائلين بنبوته أرأيتم الى أىّ حال يصل الأمر حينما يجرد أولئك رسالته عليه الصلاة والسلام من المعجزات ؟! أى حق يبقى لدين جاء به عبقرى ولم يأت به نبى من الله ؟!

---

(١) جريده الاهرام المصريه فى ٣٠/٨/١٩٣٣م ص ٣ مقال مذهب القرآن فى المتشابهات : محمد فريد وجدى .

لنقرأ قول الاستاذ وجدى وهو يقرر عبقريه محمد صلى الله عليه وسلم ويعده كسبا للقائلين بنبوته وما رأيت خسارة فادحه تسمى كسبا عظيما الا بهذا المقياس الذى يقيس به وجدى ، يقول " ربما يخيل لمن يطلع على شرطنا ايراد السيره النبويه على أصول الدستور العلمي أن جانب الاعجاز فيها سيكابد نقصا عظيما ، ان لم يغفل اغفالا تاما ، واغفال هذا الجانب منها يجعلها أمرا طبيعيا ، فتفقد النبوه صفتها المميزه ، وتصبح سيرة النبى كسيرة أحد عظماء الرجال ، وليكن من الممكن اثبات أنه اعظمهم فتكون النتيجه سلبيه من الناحيه الدينيه .

نقول : لا ، فاننا ان سرنا على شرط العلم في اثبات الحوادث وعزوها الى عللها القريبه ، فانه سيتألف من جملتها أمر جلل يقف العلم نفسه أمامه حائرا ، لا يستطيع تعليل صدوره عن فرد واحد وسيكون مضطرا بأن يعترف بأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان عبقريا من طراز خاص فاق به جميع العباقره وهذا كسب عظيم للقائلين بنبوته لأن العبقريه في العلم لا تعنى ما تعنيه فى عرف العامه ، هي في العلم ما يلقى فى روع العبقرى من علم أو عمل بدون جهد منه ، فيجيء فذا لا سابقة له ، يتخذ مثالا لغيره ولا يمكن تقليده فالعبقريه بهذا المعنى العلمي تقرب معنى النبوه الى العقل ، وتسوغها في العلم "(1) .

وهذا الكلام كثر ترديده بين الكتاب فى تلكم الفتره وهم يساومون على نبوته صلى الله عليه وسلم ويكفيهم ثمنا لها الاقرار بعبقريته ويعدونه كسبا عظيما . يقول زكي مبارك :- " كان محمد انسانا قبل ان يكون نبيا وذلك من اعظم الحظوظ التى غنمها فى التاريخ فسياتي يوم قريب أو بعيد يثور فيه الناس على الامور الغيبيه ولكنهم لا يستطيعون أن يثوروا على عبقريه محمد "(2) .

---

(1) مجله الازهر الجزء الاول المجلد العاشر محرم ١٣٥٨ مقال " السيره المحمديه تحت ضوء العلم والفلسفه " للاستاذ محمد فريد وجدى ص ١٥ .

(2) مجلة الرساله العدد ٢٩٧ ص ٥٠٧ فى ٢٢ محرم ١٣٥٨هـ ١٣ مارس ١٩٣٩م مقال " النواحي الانسانيه في الرسول " زكي مبارك .

كثر ترديد هذا الوصف لنبينا عليه الصلاة والسلام حتى ألف فيه بعضهم كتبا مستقلة عن عبقرية محمد كما فعل الاستاذ العقاد وهو وان لم يشاركهم اثبات العبقرية على حساب النبوة الا أنه شاركهم فى الترويج لهذه الدعوة الهدامة .

ولا تحسبن ان القوم يدعون الى العبقرية اضافة الى النبوة فهو من زيادة الثناء والاعجاب بل هم حين يصفونه عليه الصلاة والسلام بالعبقرية فانهم يثبتونها على حساب نبوته عليه الصلاة والسلام واكبر دليل على هذا انكارهم للمعجزات والمعجزة والنبوة سيان فى كونهما من الامور الغيبية الخارقة لسنن الكون بل ان المعجزة من أدلة الاثبات للنبوة ومن ينكر المثبت فهو الى انكار المثبت أقرب " وسيأتي يوم قريب أو بعيد يثور فيه الناس على الامور الغيبية " ؟ !

وقد يقرون لمحمد عليه الصلاة والسلام نبوة هي غير النبوة المعروفة عند السلف وذلك باثبات عبقرية له من طراز خاص ! ! فاق بها جميع العباقرة - كما مر - ويدعون ان هذه هي النبوة أو قريب منها وسيأتي تعريف شيخهم لها .

يقرون له بالنبوة على هذا النحو الذى لا قيمة له ولا اعتبار بين المسلمين كما يقرون بالمعجزات لكن ليست كما يعرفها السلف ايضا بل هي أمور لا يصح اعتبارها من المعجزات كما فعل الاستاذ وجدى فى سلسلة مقالاته " السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة " التى نشرها فى مجلة الازهر فينكر المعجزات الحقيقية ويثبت الاعجاز لما دونها حيث يقول " تمتاز العصور النبوية بالخوارق للنواميس الطبيعية فاساطير الأديان ملأى بذكر حوادث من هذا القبيل كان لها أقوى تأثير فى حمل الشعوب التى شهدتها على الاذعان للمرسلين الذين حدثت على أيديهم ، وقد حدثت أمور من هذا القبيل فى العصر المحمدى صاحبت الدعوى فى جميع ادوارها وكانت أعظم شأنا وأجل أثرا من كل ما سبق من نوعها . ولست أقصد بها ما تناقله الناس (١) من شق الصدر وتظليل الغمامة وانشقاق القمر

---

(١) اسلوب جديد فى التشكيك بالمعجزات " ما تناقله الناس " ؟ !

وما اليها مما لا يمكن اثباته بدليل محسوس ، أو مما يتأتى توجيهه الى غير ما فهم منه ، ولكنى أقصد تلك الانقلابات الادبيه والاجتماعيه التى تمت على يد محمد صلى الله عليه وسلم فى أقل من ربع قرن وقد أعوز أمثالها فى الأمم القرون العديده والآماد الطويله "[1] .

وقال " وقد لاحظ قرآؤنا أننا نحرص فيما نكتبه فى هذه السيره على أن لا نسرف في صرف كل حادثه الى ناحية الاعجاز مادام يمكن تعليلها بالاسباب العاديه حتى ولو بشيء من التكلف مسايره لمذهب المبالغين فى التثبت والمحافظه على اقامة الدستور العلمي ثقة منا بأن بحثا لا تحترمه النخبه المثقفه ولا تجد فيه صوره صحيحه لمثلها الأعلى فى عرض المسائل وتحليلها لا يمكن أن يؤدى الى ما قصد منه من الخدمه العامه "[2] .

ذلكم ما يؤدى اليه تجريدهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات أدى بهم الى أن عدوا الاقرار بعبقريته كسبا عظيما للقائلين بنبوته ، وهم يحسبون العبقريه اذا كانت من طراز خاص هي النبوه أو قريب منها ، يؤيد هذا الوصف ذلكم التعريف الذى جاء به شيخهم للنبوه وهو يريد أن يأتي بكل ما هو جديد لأنه " سئم من الاستمرار على ما يألفون واندفع الى طلب شيء مما لا يعرفون "[3] فكان مما جاء به مما لا يعرفون ذلكم التعريف للنبوه الذى أورده فى تعليقاته على شرح الجلال الدواني للعقائد العضديه حيث يقول " قد يعرف النبى بانسان فطر على الحق ، علما وعملا ، بحيث لا يعلم الا حقا ، ولا يعمل الا حقا ، على مقتضى الحكمه ، وذلك يكون بالفطره ، أى لا يحتاج فيه الى الفكر والنظر ، ولكن التعليم الالهي ، فان فطر أيضا على دعوه بنى نوعه الى ما جبل عليه فهو رسول ايضا والا فهو نبى فقط وليس برسول "[4] ثم يصف تعريفه

(١) مجله الازهر المجلد الحادى عشر الجزء السابع مقال " السيره المحمديه تحت ضوء العلم والفلسفه " محمد فريد وجدى ص ٣٨٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٨٥ .
(٣) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا الجزء الاول ص ١١ .
(٤) الشيخ محمد عبده بين الفلاسفه والكلاميين : تحقيق سليمان دنيا ج ١ ص ٣ - ٤ .

هذا بالدقه ويوصي بالتفكر فيه " فتفكر فيه فانه دقيق " .

ذلكم هو التعريف (الجديد) الذى جاء به شيخ المدرسه ، وكان أولئك التلاميذ الذين عطوا بمبادىء شيخهم يعدون اثبات عبقريه محمد كسبا عظيما للقائلين بنبوته ، وما ذلكم الا بعد أن جردوا نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من المعجزات ورأوها بعد تجريدها لا تعدو العبقريه فقالوا بها ودعوا اليها والزموا أنفسهم بأنفسهم .

فلا عجب اذن أن يرد الشيخ مصطفى صبرى شيخ الاسلام فى الدوله العثمانيه هذا التعريف للنبوه والرساله من الشيخ عبده ويرفضه بقوله " وأنا أقول ليس فى تعريف الشيخ شيء من خصائص النبوه والرساله لا وحي ولا ملك مرسل ولا كتاب منزل ولا معجزه ، وعليه فمن أين يعرف كونه " لا يعلم الا حقا ولا يعمل الا حقا " من اين يعرفه هو نفسه ؟ ومن اين يعرفه بنو نوعه اذا دعاهم ؟ نعم فى تعريف الشيخ " ولكن التعليم الالهي " لكنه يمكن حمل هذا التعليم ايضا على الفطره ، ثم يرد عليه السؤال المذكور : من أين يعرف أنه تعليم الهى ؟ "(1) .

ثم يذكر الشيخ مصطفى صبرى أن القصد من قيد " التعليم الالهي " ذر شيء من الرماد فى بعض الاعين أو دس فى الكلام لا من نوع دس السم فى الدسم بل من نوع دس الدسم فى السم(1) .

ذلكم التعريف ونحوه من أقوال الشيخ محمد عبده كانت منهجا لتلاميذه من بعده في انكار المعجزات بانكار حجيتها ونفيها عن الدين الاسلامى وكأنها عيب أو نقص يجب تطهير الاسلام منه .

وقصروا معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على معجزة القرآن الكريم ووصفوها بأنها معجزه عقليه وكأنهم بهذا القصر يريدون انقاذ حياته عليه الصلاة

---

(1) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبرى جـ ٤ ص ٤١ - ٤٢ .

والسلام من شائبة المعجزات الكونيه المخالفه للعلم وسنن الكون .

ولأجل هذا الهدف تجرأوا على ما ورد من الروايات الصحيحه في السنه لبعض المعجزات فأبطلوها وتجرأوا على رواتها فقدحوا فيهم وجرحوهم ولم يفرقوا أو اكثرهم بين صحابي أو تابعي أو سواهم .

بقي هنا أمر يرد عليهم في ابطال ما ورد من المعجزات لنبينا صلى الله عليه وسلم وقصر معجزاته على معجزه القرآن الكريم يرد هذا الاشكال عند تفريقهم بين المعجزات والقرآن ويورده الشيخ مصطفى صبري " ثم ليعلم الذين يتنازلون عن معجزات نبينا الكونيه ويقصرون معجزته على القرآن ارضاء لمفكري المعجزات والخوارق من المستشرقين وتفضيلا لموافقتهم في عقليه الانكار على تجشم معارضتهم . ان القرآن مهما حبب اليهم واعجبوا به فلا يبلغ تقديرهم واعجابهم مبلغ اعتباره معجزه تثبت بها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد يطمع منهم أن يعدوه أفضل كتاب في الدنيا وضعه البشر أما أنه كلام الله أنزل على خاتم انبيائه ليكون له معجزة النبوه فأمر خارق لسنة الكون لن يقبله منكرو المعجزات والخوارق . ومادام أناس من المسلمين وفيهم معالي مؤلف " حياة محمد " ينكرون معجزاته الكونيه لا لعدم استنادها الى الروايات الصحيحه بل لكونها ايضا مخالفه لسنة الكون مخالفة للعلم ، مخالفه لمقتضى العقل فكيف ينتظر من المستشرقين الذين لا يدينون بالاسلام أن يقبلوا القرآن على أنه من المعجزات الخارقه أعني أنه كلام الله لا كلام سيدنا محمد ؟ فالواجب اذن ان يداوى أساس الداء وتقاوم حملات المنكرين من جباهها "[1] .

ذلكم هو العلاج لما وقعوا فيه علاج لاساس الداء وذلكم الداء هو الزعم بأن العقل لا يقبل الاستدلال بالمعجزات وحينما نصل الى علاجه لا يبقى أمامنا رد لحديث صحيح ولا تأويل باطل لآيه قرآنيه ولا اضطراب بانكار معجزاته

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبري جـ ٤ ص ١١١ .

صلى الله عليه وسلم ثم اثبات معجزة القرآن وهما سيّان من ناحية ثبوت الاعجاز ووقوعه .

ذلكم ما نراه الصواب في هذه القضيه والله الهادى الى سواء السبيل ونقول لهؤلاء الذين يحسبون المعجزات لاحكام العقل خارقه رويدكم ليس الامر كما تظنون وليست القضيه كما تعتقدون فالمعجزات ليست أمرا خارقا لاحكام العقل بل هي أمر خارق للعاده وبينهما خصوص وعموم فالخارق لاحكام العقل أعم من الثاني ذلكم أن كل خارق لاحكام العقل فهو خارق لحكم العاده وليس كل خارق لحكم العاده خارقا لحكم العقل .

ونضرب لاحكام العقل مثلا بحكمه باستحاله ان يكون الشيء موجودا وغير موجود فى نفس الوقت أو ان يكون الشيء أسود وفي نفس الوقت ايضا هو ابيض أو أن يكون الانسان جالسا قائما في آن واحد .

ونضرب لاحكام العاده مثلا بانكسار الزجاج حين يرمى بالحجر وعدم تحول العصا الى ثعبان عند القائها وعدم حياة الميت فى الدنيا واحراق النار للانسان الذى يدخل فيها وعدم خروج الماء من بين أصابع الانسان وصمت الحصى وعدم سماع تسبيحه وكذا صمت الجذع وعدم سماع حنينه .

والمعجزه التى جاء بها الانبياء خارقه لاحكام العاده وليست خارقه لاحكام العقل فلا يحكم العقل ببطلان ما يخالف احكام العاده ، بل يؤمن بعدم انكسار الزجاج اذا رمي بالحجر ويؤمن بعدم حرق الانسان عند دخوله النار ويؤمن بنبع الماء من بين أصابع الانسان ويؤمن بتسبيح الحصى وحنين الجذع لان ذلك كله ليس خارقا لاحكامه بل هو خارق لاحكام العاده .

وهو حينما يؤمن بهذا لا يؤمن به على أنه أمر " عادى " بل يؤمن به على أنه أمر " غير عادى " أى مخالف لاحكام العاده ثم يذهب بعد هذا يطلب سببا لهذا الخارق للعاده حتى يصل الى الحقيقه اما معجزه نبى أو سحر ساحر أو شعوذه مشعوذ .

التبس هذا الأمر على طائفه من الناس فردوا المعجزات أو أولوها لاعتقادهم انها مخالفه لاحكام العقل الذى به يؤمنون والى احكامه يستندون وهم فـــى ذلك واهمون .

ثم لا يحسن بنا وقد وصلنا الى هذه المرحله من بيان لموقف أولئك مـــن المعجزات عموما ومعجزاته صلى الله عليه وسلم خصوصا من غير أن نضرب لذلك أمثله وذكر تأويلهم لها .

احيـــاء الموتى :

قال الله تعالى " واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقـــره قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله أن اكون من الجاهلين "(1) الى قوله سبحانه " واذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ، فقلنا اضربـــوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون "(2) .

وقد سبق لنا عند بيان منهج المدرسه العقليه الحديثه فى قصص القـــرآن أن ضربنا مثلا هذه القصه ، ليس من ناحية الاعجاز ، وانما من ناحية القصـــه فيها ، وذكرنا هناك حملهم هذه القصه على انها تمثيل لا حقيقه .

ونتناولها هنا من ناحية كونها معجزه لموسى عليه السلام حيث أحيا بهـــا ميتا باذن الله اذ أن من معجزاته عليه السلام احياء الموتى باذن الله .

ويجب ان نربط هنا بين موقف رجال هذه المدرسه العقليه من هـــذه الآيات كمعجزه وموقفهم منها كقصه ذلكم أن موقفهم الثاني منها كقصه انما تولـــد عن موقفهم الاول كمعجزه شق عليهم الايمان باحياء الموتى كمعجزه لموسى عليـــه السلام فحملوا القصه على التمثيل .

وخلاصه القصه انه كان فى بنى اسرائيل رجل غني وليس له ولد وكان له قريـب وارث فقتله ليرثه ثم القاه فى الطريق وطالب قومه باخراج قاتله فاحتكموا الى موســى

(1) سورة البقره الآيه : ٦٧ .
(2) سورة البقره الآيتين : ٧٢ و ٧٣ .

عليه السلام فأمرهم أن يذبحوا بقره - كما ورد فى القرآن - ثم ذبحوها وأمرهم موسى ان يضربوه ببعضها فضربوه فقام واخبر بقاتله ثم مات فكانت حياته آيه لموسى عليه السلام وحجة على المعاد .

ثم ان الآيات الكريمه تنص نصا صريحا بوقوع ذبح البقره منهم " فذبحوها " وليس هناك قرينه تصرفه عن الحقيقه ثم تنص الآيات ايضا على الاحياء " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى " وقال قبل ذلك " والله مخرج ما كنتم تكتمون " ولا يفهم من هذا ابدا أن يراد بالاحياء الا الحياة على معناها الحقيقى وليس هناك من قرينه لحملها على الحياة بالمعنى المجازى بمعنى استبقاء حياة أناس آخرين على حدّ قوله تعالى " ولكم فى القصاص حياة "(1) .

لكن الشيخ - عبده - وتلميذه - رشيد رفضا هذا القول وحملا القصه على انها نوع من التشريع الذى كان موجودا فى زمن بنى اسرائيل لاجل الوصول الى معرفة القاتل المجهول فى هذه الحادثه وامثالها لا على أنها وردت فى حادث معين ظهرت فيه معجزة لموسى عليه السلام وهم يستندون فى زعمهم هذا الى ما ورد فى التوراة قال الشيخ محمد عبده " يقول أهل الشبهات فى القرآن أن بنى اسرائيل لا يعرفون هذه القصه اذ لا وجود لها فى التوراة فمن اين جاء بها القرآن ؟ ونقول :- ان القرآن جاء بها من عند الله الذى يقول فى بنى اسرائيل المتأخرين أنهم نسوا حظا مما ذكروا به وانهم لم يؤتوا الا نصيبا من الكتاب على أن هذا الحكم منصوص فى التوراه وهو أنه اذا قتل قتيل لم يعرف قاتله فالواجب ان تذبح بقرة غير ذلول فى واد دائم السيلان ويغسل جميع شيوخ المدينه القريبه من المقتل ايديهم على العجله التى كسر عنقها فى الوادى ثم يقولون ان ايدينا لم تسفك هذا الدم اغفر لشعبك اسرائيل ويتمون دعوات يبرأ بها من يدخل فى هذا العمل من دم القتيل ، ومن لم يفعل يتبين أنه القاتل ، ويراد بذلك حقن الدماء فيحتمل

---

(1) سورة البقره : من الآيه : ١٧٩ .

ان يكون هذا الحكم هو من بقايا تلك القصه أو كانت هي السبب فيه وما هذه بالقصه الوحيده التى صححها القرآن ولا هذا الحكم بالحكم الاول الذى حرفوه أو أضاعوه واظهره الله تعالى "(1) .

وشد أزره بهذا الرأى السيد محمد رشيد رضا بقوله " وأقول ان ما اشار اليه الاستاذ من حكم التوراه المتعلق بقتل البقره هو فى أول الفصل الحادى والعشرين من سفر تثنيه الاشتراع ونصه "(2) ثم ساق النص وهو قريب مما ذكره شيخه ثم قال بعد هذا " والظاهر مما قدمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل فى الدماء عند التنازع فى القاتل اذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله ليعرف الجاني من غيره ،فمن غسل يده وفعل ما رسم لذلك فى الشريعه برىء من الدم ومن لم يفعل ثبتت عليه الجنايه "(3) .

ومن هذا ترى كيف حملوا القصه على انها حكم شرعي عندهم لا على انها أمر طارىء اظهر الله به معجزة هي احياء الميت على يد موسى عليه السلام أمام قومه ليعتبروا بها ولتكون حجة لاثبات المعاد ولمريهم الله كيف يحى الموتى .

وانا لفي حيرة من ذلكم الشيخ وتلميذه اللذين امتلأت كتبهما تشدقا بالتحذير من الاسرائيليات ونهما وتجريحهما لكعب الاحبار ووهب بن منبه لرواية الاسرائيليات الا أن الشيخين الفاضلين هنا لا يجدان غضاضة أن يصرفا آيات القرآن الكريم عن ظاهرها ليس استنادا الى آيات أخرى ولا الى سنه نبويه ولا الى حكم عقلى صحيح يوجب هذا وانما استنادا الى ما جاء فى التوراة واعتباره ثابتا صحيحا معتمدا يجوز صرف القرآن عن ظاهره وتأويله على مقتضاه ،وتقربا الى أولئك الافرنج الذين انكروا وجود هذه القصه فى التوراة ، فالزم هذان الشيخان نفسيهما بصرف الآيات عن ظاهرها الى معنى توافق فيه ما جاء فى التوراة حتى يرضى عنهم اولئك الأفرنج .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٤٧ .
(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٣٥١ .

وهم حين يفعلون هذا بالقصه فانما يفعلونه ليتسنى لهم ابطال معجزه موسى عليه السلام وتأويل احياء الموتى الوارد فى الآيات على المعنى الحقيقى الى معنى مجازى قال السيد رشيد رضا " ومعنى احياء الموتى على هذا حفظ الدماء التى كانت عرضه لان تسفك بسبب الخلاف فى قتل تلك النفس أى يحييها بمثل هذه الاحكام وهذا الاحياء على حدّ قوله تعالى (٥ : ٣٢ ومن احياها فكأنما أحيا الناس جميعا) وقوله (ولكم فى القصاص حياة) فالاحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى فى الآيتين . ثم قال (ويريكم آياته) بما يفصل بها فى الخصومات ، ويزيل من اسباب الفتن والعداوات فهو كقوله تعالى (٤ : ٥١ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) واكثر ما يستعمل مثل هذا التعبير فى آيات الله فى خلقه الداله على صدق رسله وليس عندى شىء عن شيخنا فى تفسير هذه الجمله ، ولكنه قال فى تعليلها ما يرجح القول الأول وهو (لعلكم تعقلون) أى تفقهون أسرار الاحكام وفائدة الخضوع للشريعه فلا تتوهمون ان ما وقع مختص بهذه الواقعه فى هذا الوقت ، بل يجب ان تتلقوا أمر الله فى كل وقت بالقبول من غير تعنت "[1] .

ويلتمس الشيخ محمود شلتوت عذرا لهما الجأهما الى سلوك هذا فيقول " والذى حمل الاستاذ الامام على هذا فيما نظن هو رغبته فى التخلص من الاعتراض الذى ذكره بعض المستشرقين مع وجود النص التشريعي الذى اشار اليه الشيخ بمعناه ونقله الشيخ رشيد بنصه "[2] .

وهذا اعتذار غير مقبول وغير مقنع اذ أن الشيخ شلتوت نفسه لم يقنع بهذا العذر الذى التمسه لهما فذهب يرد على تأويلهما وهو أمر نحمده للشيخ شلتوت هنا ، حيث قال :- " هذا صنيعهما ، وبذلك يتبين انهما توافقا على ان الآيات

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣٥١ .
(٢) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٤٣ - ٤٤ .

مسوقه لبيان حكم تشريعي لا لبيان حادث تاريخي ، ولكننا اذا نظرنا الى النص في هذه الآيات وما ذيل الكلام به من قوله تعالى " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ، ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجاره أو أشد قسوه " وجدنا هذا النص ان لم يمنع من الحمل على ارادة الحكم التشريعي فلا أقل من أن يبعده ابعادا وذلك بأن كلمه " اضربوه " واضحه فى أن يضرب المقتول ببعض البقره المذبوحه ، وليس فى الكلام اشارة تتعلق بالقاتل الخفى ، ولا اشارة الى غسل أيدى أهل الحي من دماء البقره ، وقوله تعالى " كذلك يحى الله الموتى " يدل على ان الاحياء المشبه به وهو الاحياء فى هذا المقام - احياء حقيقى بعد موت تسلب فيه الروح ، وليس احياءاً حكميا يحصل بمعرفة القاتل والاقتصاص منه حتى يكون بمثابه " ولكم فى القصاص حياة " كما يريد الشيخان ، ولو كان الأمر كما يقرران لما صح تقرير احياء الموتى للبعث والجزاء بهذا النوع من الاحياء الحكمى المجازى ، ولو أن قائلا قال ان الله يحي النفوس الجاهله بالعلم وكذلك يحي الموتى من قبورهم لما كان مثل هذا التشبيه والقياس سائغا . وان قوله تعالى " ويريكم آياته " لواضح فى الاراءه البصريه للآيات الكونيه لا في الاراءه العقليه للاحكام الشرعيه حتى يكون من قبيل " لتحكم بين الناس بما أراك الله " وان قوله بعد ذلك :- " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجاره أو اشد قسوه " ليدل على أنهم رأوا حالة ماديه من شأنها أن تؤثر فى النفوس ، ومن شأن القلوب أن ترق لها وان تتجرد من القسوة والعناد عندها ، ومع ذلك لقد قسوا واشتدت قسوتهم وكانت قلوبهم كالحجاره أو أشد وكل هذا لا يتفق وما يريده الشيخان من حمل الآيه على المعنى التشريعي فهذا الحمل تأويل منهما لكنه تأويل لا تساعد عليه اللغه وما هو المعهود من كلام العرب "(٢) .

---

(١) تفسير القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ٤٤ - ٤٥ .

ويرجع الدكتور رمزى نعناعه هذا السلوك من السيد رشيد الى المبالغه فى تحكيم العقل ثم يكشف ما يؤدى اليه هذا القول من الحاد فيقول " ونقول أخيرا للسيد رشيد ان مبالغته فى تحكيم العقل جعله يستبعد حصول مثل هذه المعجزه لسيدنا موسى عليه السلام ، فمن ثم أول الآيه لصالح التوراه ! ولا ادرى كيف خفي عليه - وهو المدافع عن الاسلام - أنه يوجد فى هذا الزمن نوع من الالحاد الخفي المآل ، وهو تأويل كل آيه أو حديث صحيح يدل على معجزه رسول من الرسل ، حتى يكون مفادها أمرا غير خارق للعاده وهذا النوع اخطر انواع الالحاد لأنه سبيل الى انكار الاديان السماويه ، والى هدمها من اساسها ، لان اساس اثباتها المعجزات التى أجراها الله على أيدى الرسل عليهم الصلاة والسلام "(١) .

ذلكم تأويل الشيخ عبده والسيد رشيد لهذه المعجزه .

تقربا الى أولئك الافرنج المستشرقين " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم "(٢) .

وفرارا من اثبات المعجزة بتكلف ظاهر صرّح بسلوكه الاستاذ وجدى حين قال " وقد لاحظ قراؤنا اننا نحرص فيما نكتبه فى هذه السيره على أن لا نسرف في صرف كل حادثه الى ناحية الاعجاز مادام يمكن تحليلها بالاسباب العاديه حتى ولو بشىء من التكلف مسايره لمذهب المبالغين فى التثبت "(٣) .

من معجزات عيسى عليه السلام :-

قال الله سبحانه وتعالى مثبتا معجزة لعيسى عليه السلام أظهرها سبحانه على يديه " ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله "(٤) وقال سبحانه مثبتا وقوع هذه المعجزه منه عليه السلام بعد

---

(١) الاسرائيليات : رمزى نعناعه ص ٣٦٦ .
(٢) سورة البقره : من الآيه : ١٢٠ .
(٣) مجلة الأزهر المجلد الحادى عشر الجزء السابق مقال السيره المحمديه تحت ضوء العلم والفلسفه ، محمد فريد وجدى ص ٣٨٥ .
(٤) سورة آل عمران : الآيتين ٤٨و٤٩ .

امكانها :- " اذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمه والتوراه والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيه فتكون طيرا باذني " الآيه (١)

فثبت بنص القرآن الكريم وقوع هذه المعجزه لعيسى عليه السلام وحصولها منه ، ويرى الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد في تفسير آيه آل عمران أن هذا يدل على امكان وقوعها لعيسى عليه السلام ولا يدل على وقوعها من غير رجوع الى آية المائده وهما - ايضا - لا يستندان في نفيهما الوقوع الى نص من الكتاب أو السنه ، وانما الى عدم تناقل النصارى لهذا (!!) خاصة في الاناجيل القانونيه عندهم أما الاناجيل غير القانونيه التي ورد فيها الاخبار بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم وكون عيسى عليه السلام يخلق من الطين كهيئة الطير باذن الله فينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ونحو ذلك فلا قيمة لهذه الاناجيل !! وانما المستند الى تلك التى لم يرد فيها شيء من ذلك .

ولندع الشيخ عبده يوضح لنا ذلك حيث يقول في تفسير آية آل عمران :- " وغاية ما يفهم منها ان الله تعالى جعل فيه هذا السر ولكن لم يقل أنه خلق بالفعل ولم يرد عن المعصوم أن شيئا من ذلك وقع " (٢) ثم يقول " فان قصارى ما تدل عليه العباره أنه خص بذلك وأمر بأن يحتج به والحكمه في اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اقامة الحجه على منكرى نبوته كما تقدم وأما وقوع ذلك كله أو بعضه بالفعل فهو يتوقف على نقل يحتج به في مثل ذلك " (٢) .

ويوضح لنا تلميذه النقل الذى يحتج به في مثل ذلك فيقول :- " هذا ما قاله الاستاذ الامام ومن الغريب أن بن جرير يروى عن بن اسحاق " أن عيسى صلوات الله عليه جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال أجعل لكم من هذا

---

(١) سورة المائده : من الآيه : ١١٠ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٢١١ .

الطين طائرا . قالوا : وتستطيع ذلك ؟ قال : نعم باذن ربي ثم هيـــأه حتى اذا جعله فى هيئة الطائر فنفخ فيه ثم قال كن طائرا باذن الله فخـــرج يطير بين كفيه " فكأنه اتخذ آية الله على رسالته العوبه للصبيان والحاصل أنـــه ليس عندنا نقل صحيح بوقوع خلق الطير بل ولا عند النصارى الذين يتناقلون وقوع سائر الآيات المذكوره فى الآيه الا ما في انجيل الصّبا أو الطفوله من نحو ما قال ابن اسحاق وهو من الاناجيل غير القانونيه عندهم ، ولعل آية سورة المائـــده أدنى الى الدلاله على الوقوع من هذه الآيه وهي (٥ : ١١٠) اذ قال اللـــه ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس . . الآيه) فان جعل ذلك كله متعلق النعمه يؤذن بوقوعه الا أن يقـال ان جعل هـــذه الآيات مما يجرى على يديه عند طلبه والحاجه الى تحديه به من أجلّ النعـــم وأعظمها ، ولكن هذا خلاف الظاهر " [١] .

ذلكم ما ذهبا اليه فى تأويل تلك المعجزه لعيسى عليه السلام وقبلهـــا معجزة موسى عليه السلام ولنكتف بهذا من معجزات الانبياء قبله عليه الصـــلاة والسلام ، ولنذكر موقفهم من معجزه لنبينا صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريـــم التى لا يثبتون سواها .

انشـــقاق القمر :-

قال الله تعالى " اقتربت الساعة وانشق القمر " [٢] .

وروى البخارى ومسلم والترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قـال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ، وفى أخرى " ونحن معه فقال اشهدوا اشهدوا " وفـــى أخرى قال " بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمـــر فلقتين فلقة وراء الجبل وفلقه دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وســـلم

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٢١١-٢١٠ ، ٢١٢ .
(٢) سورة القمر الآيه الأولى .

لشهدوا أخرجه البخارى ومسلم .

وللبخارى قال : وقال مسروق عن عبد الله " بمكه " وأخرج الترمذى مثله .[1]

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال " ان القمر انشق فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه البخارى ومسلم[2] .

وعن انس بن مالك رضى الله عنه " أن اهل مكه سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آيه فأراهم انشقاق القمر "[3] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال " انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذى[4] وزاد رزين " فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم رأوه فيكذبونهم " .

بتلك الآيه الكريمه وبتلك الاحاديث الشريفه وغيرها ثبتت معجزه انشقاق القمر آيه لنبينا صلى الله عليه وسلم وكان ذلك فى مكه قبل الهجره بهذا قال السلف وسنذكر قولهم بعد قول منكرى هذه المعجزه ليكون بمثابه الرد عليهم .

وسار السيد رشيد فى هذه المعجزة على نهج المدرسه العقليه من تأويل للمعجزات وانكار لأى معجزه لنبينا صلى الله عليه وسلم سوى معجزة القرآن وذهب السيد رشيد في انكار معجزه انشقاق القمر مذهب مدرسته فى ذلك ، من التشكيك أولا فى تواتر أحاديثها ، ورد ما ورد منها في صحيحي البخارى ومسلم ثم بعد هذا أورد الشبهات العقليه والعلميه على تلك المعجزه .

---

(١) رواه البخارى فى الانبياء باب سؤال المشركين ان يريهم النبى صلى الله عليه وسلم آيه فأراهم انشقاق القمر ، وفي فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم باب انشقاق القمر ، وفى كتاب التفسير سورة اقتربت الساعه باب وانشق القمر وأن يروا آيه يعرضوا " .
رواه مسلم فى صفات المنافقين باب انشقاق القمر ، والترمذى فى كتاب التفسير باب ومن سورة القمر .

(٢) رواه البخارى فى تفسير سورة اقتربت الساعه وفى الانبياء باب سؤال ان يريهم النبى صلى الله عليه وسلم آيه " وفى باب انشقاق القمر ورواه مسلم فى صفات المنافقين باب انشقاق القمر .

(٣) رواه البخارى فى نفس المواضع السابقه وكذا مسلم فى صفات المنافقين باب انشقاق القمر والترمذى فى كتاب التفسير باب ومن سورة القمر .

(٤) رواه مسلم فى صفات المنافقين باب انشقاق القمر والترمذى فى التفسير باب ومن سورة القمر .

وسنذكر هنا ما اورده من شكوك فى الروايه والدرايه حسب قوله :-

أ) الروايات فى انشقاق القمر وعللها :-

زعم بعض العلماء المتقدمين ان الروايات فى انشقاق القمر بلغت درجه التواتر وهو زعم باطل كقول ابن عبد البر الآتي انه نقله جماعه كثيره من الصحابه والتابعين ، وان تلقاه الكثيرون بالقبول حرصا على اثبات مضمونه كعاداتهم فى الفضائل والمناقب ودلائل النبوه .

فأما الشيخان فالذى صح عندهما مسند على شرطهما انما هو عن واحد من الصحابه (رضى) يخبر عن رؤيه وهو عبد الله بن مسعود (رضى) وقد أخرجاه ..

وصح عندهما مرسلا من حديث انس بن مالك رضى الله عنه من طريق قتاده فقط ومن حديث ابن عباس رضى الله عنهما من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبه بن مسعود أحد الفقهاء السبعه .

وانما كان هذان الحديثان مرسلين لان الحادثه وقعت بمكه قبل الهجره بخمس سنين ولم يكن ولد عبد الله بن عباس ، وأما انس فكان فى المدينه ابن خمس سنين والخلاف فى الاحتجاج بالمرسل معروف ، ومن يحتج بمراسيل الصحابه مطلقا يبنى احتجاجه على انهم يروون عن مثلهم ولكن ثبت ان بعضهم كان يروى عن بعض التابعين حتى كعب الاحبار (؟ !!) وعلى كل حال لا يصح فى مراسيلهم ما اشترط فى التواتر من الروايه المتصله الى من شاهد المروى ، ورواية الشيخين ... المتصله من طريقين فقط "[1] .

ثم ذكر العله فيما رواه مسلم عن ابن عمر بأنه ليس فيها أنه حدّث عن رؤيه .

وذكر العلة فيما رواه الامام احمد وابن جرير والبيهقى عن جبير بن مطعم (رضى) كذلك واضاف اليه العله فى الاسناد من جهة سليمان بن كثير وولده

(١) يقصد الحديث الأول الذى سقناه عن عبد الله بن مسعود وهو من طريقين الاول سفيان بن عيينه عن ابي نجيح عن مجاهد عن ابي معمر والثاني الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر .

محمد [1] فقد ضعفهما ابن معين وقال عن حصين بن عبد الرحمن قد كان ثقة الا أنه تغير فى آخر عمره " [2] .

ثم قال بعد هذا كله :- " هذا أقوى ما ورد من الاحاديث فى هذه المسأله وعليها اقتصر الحافظ ابن كثير فى تفسيره ورواها الترمذى في جامعه وغيره ولها الفاظ أخرى فى التفسير المأثور وكتب الدلائل غربلها الشيخان واختارا ما اشرنا اليه " [3] .

ب) اختلاف المتون في هذه الاحاديث :-

ويذكر السيد رشيد تحت هذا العنوان اختلافين فى متون هذه الاحاديث :

الأول : فى بعض روايات ابن مسعود فى الصحيحين انه قال : انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى ، وفى رواية أخرى انه قال انشق القمر بمكه " [3] .

والعجيب ان السيد رشيد يورد ما اجاب به الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى من جمع بين الروايتين بأن منى من جملة مكه لانها تابعة لها ولان من كان بمنى كان بمكه من غير عكس ، يورد السيد رشيد هذه الاجابه القاطعه لابن حجر رحمه الله ثم لا يمنعه هذا من ايراد هذا الاختلاف فى التعبير على أنه اشكال فى المتن ولم يرد على قول ابن حجر ان لم يكن له مقنعا .

الثاني : ما ورد من الروايات نحو " رأيت القمر منشقا شقتين شقه على أبي قبيس وشقه على السويداء " ورواية " انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقه دونه " ورواية " رأيت القمر على الجبل وقد انشق فأبصرت الجبل من بين فرجتى القمر " وروايه " فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما " وروايه " فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروه " ونحو ذلك ثم قال " فهذه بضعة الفاظ يخالف

(١) الصحيح أنه أخوه لا ولده .
(٢) مجلة المنار المجلد ٣٠ الجزء الرابع ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٦٤ .

بعضها بعضا وقد تكلف الحافظ فى الفتح الجمع بين قول بن مسعود شقه على ابي قبيس وهو بمكه وكونهم كانوا فى منى فقال يحتمل ان يكون رآه كذلك وهو بمنى كأن يكون على مكان مرتفع بحيث رأى طرف جبل ابي قبيس ويحتمل ان يكون القمر استمر منشقا حتى رجع ابن مسعود من منى الى مكه فرآه كذلك وفيه بعد "(١)

ولا ندرى لم يستبعده السيد رشيد ولكنه يقول " وفى هذا الجمع ضعف من جهات أغربها دعوى احتمال رؤية جبل ابي قبيس من منى فى الليل وناهيك بغرابه هذا القول في حال طلوع البدر من الشرق ومكة فى جهة الغرب من مني ؟ ثم ماذا يفعل بسائر الروايات "(١) .

ثم قال " والقاعده المشهوره عند العلماء فى الادله المتعارضه التى يتعذر الجمع بينها تساقطها ومن الدائر على السنتهم فى المتعارضين كذلك " تعادلا فتساقطا " والقطعيان لا يتعارضان "(١) .

هذا ما اورده السيد رشيد فى هذا الاختلاف بين متون الروايات وانى لا جزم ان السيد رشيد يعرف ان موازنه الشىء لآخر تختلف تبعا لاختلاف موقع المشاهد فلو نصبت عصا فى وسط الغرفه ونظرت اليها موازية لفتحة الباب مثلا ثم انتقلت الى مكان آخر لرأيتها موازيه لعمود النافذه مثلا وهكذا كلما تنقلت والعصا فى مكانها لم تتحرك وكذا الباب والنافذه وانما الذى تغير هو موقع المشاهد ، وكذا لو نصبت قلمى بين عينى لرأيته موازيا لعمود مقابل مثلا فاذا اغمضت عينى اليسرى رأيته قد انحرف الى يمين العمود ولو اغمضت عينى اليمنى لرأيته قد انحرف الى يسار العمود والقلم والعمود ثابتان في مكانيهما وانما الذى تغير هو زاوية المشاهده هذا فيما هو قريب منا .

بل الطفل يدرك - بله العالم - انه حينما يرى القمر موازيا لعلم فى الارض فانما يخضع هذا لمكان وقوفه ولو سار ووقف على هذا العلم لرآه موازيا لعلم آخر ولو انحرف يمينا أو شمالا لرآه موازيا لعلم ثالث ورابع .

(١) مجلة المنار : مجلد ٣٠ الجزء الرابع ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

اذن فلا عجب في ان يرد من الروايات ما يصف انشقاق القمر بكون شقه على جبل ابي قبيس وشقه على السويداء ، أو يرى آخر أو الراوى نفسه اذا ما تحرك من مكانه نصفا على الصفا ونصفا على المروه أو يرى بينهما (حراء) أو غير ذلك من الروايات وكلها حق وكلهم صادق فيما قال .

جـ - ثم أوردوا من الشبه عدم تواترها

حيث يقول الشيخ احمد مصطفى المراغي فى تفسيره " ان انشقاق القمر من الاحداث الكونيه الهامه التى لو حصلت لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم ولبلغ حدا لا يمكن أحدا ان ينكره وصار من المحسوسات التى لا تدفع ولصار من المعجزات التى لا يسع مسلما ولا غيره انكارها "(١) .

وقال السيد رشيد " .. فلو وقع لتوفرت الدواعي على نقله بالتواتر لشدة غرابته عند جميع الناس فى جميع البلاد ومن جميع الامم . ولو كان وقوعه آيه ومعجزه لاثبات نبوه النبى صلى الله عليه وسلم لكان جميع من شاهدها من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نقلها واكثر الاستدلال والاحتجاج بها حتى كان يكون من نقلتها فى رواية الصحيحين قدماء الصحابه الذين كانوا لا يكادون يفارقون النبى صلى الله عليه وسلم ولا سيما فى مثل هذه المواقف كالخلفاء وسائر العشره المبشرين بالجنه وغيرهم (رضى) "(٢) .

د - وأوردوا اشكالا فلكيا :

حيث يقول السيد رشيد " لا يشك عاقل من المؤمنين وغيرهم ان خلقه تعالى للسموات واجرامها فى غاية الابداع والنظام لا تفاوت فيه ولا خلل وان سنته تعالى فى الخلق لا تتبدل ولا تتحول ، فلا يصدق خبر وقوع تغير فيها الا بخبر قطعى ثابت مثل ثبوتها وثباتها كآيات الرسل التى أخبر الله تعالى بها ، ومن دونها

---

(١) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٢٧ ص ٧٧ .
(٢) مجلة المنار : المجلد ٣٠ الجزء الرابع ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

آيات أرضيه لا يتضمن وقوعها ما يتضمنه انشقاق القمر ورجوع الشمس بعد غروبها من مخالفة نظام الكون العام ، ومعارضه قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكشفان لموت أحد ولا حياته " متفق عليه . وذلك كنبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فمثل هذا يقبل فى خبره ما صح وان لم يتواتر ويصير قطعيا "[1] .

د - الاشكال الاصولي الاعظم

هكذا يصف السيد رشيد ما يورده هنا من شبهه على انشقاق القمر حيث يقول :- " .. وثبت بالآيات المحكمه الكثيره القطعيه الدلاله ان الكفار طالبوا النبى صلى الله عليه وسلم بآيه من الآيات الكونيه التى أوتى مثلها الرسل على الابهام ، وانهم اقترحوا عليه آيات معينه ايضا فلم يجابوا الى طلبهم "[2] ومما اورده السيد هنا من الآيات قوله تعالى فى سورة يونس (١٠ : ٢٠ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين " وفى سوره الاسراء (١٧ : ٦٠ وما منعنا ان نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصره فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا) .

ثم قال " بعد التذكير بهذه الآيات المحكمه القطعيه كيف يمكننا أخذ رواية انس بن مالك (رضى) فى الصحيحين بالقبول فنصدق ان المشركين طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر "[3] ثم قال " وجملة القول أنه لو صح أن قريشا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم آيه تدل على صدق نبوته وان الله تعالى أجابهم الى طلبهم فجعل انشقاق القمر آيه كما هو نص حديث انس فى

(١) مجلة المنار : المجلد ٣٠ الجزء الخامس ص ٣٦٣ ، ولا تعتقدن أنه بقبوله لما ورد من نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم اقراره بمعجزة له صلى الله عليه وسلم فهو يقبل هذا ليس على أنه معجزه بل على أنه (من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه فى الشدائد) انظر الوحي المحمدى : رشيد رضا ص ٧٠ .

(٢) المرجع السابق المجلد ٣٠ الجزء الخامس ص ٣٦٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٦٥ .

الصحيحين وغيره في غيرهما لعذب الله أمته أو قومه باستئصالهم على حسب القاعده الصحيحه الثابته بالنص القطعي .. ولكنه لم ينقل ان الله تعالى عذب أحدا منهم عقب ذلك التكذيب بل نقل خلافه وان منهم من مات بعد ذلك ومنهم من قتل ببدر بعد بضع سنين ومنهم من آمن بعد اصراره على التكذيب بعد رؤيتها ببضع عشرة سنه "[1].

هذا ما قاله السيد رشيد رضا - هنا - وجملة ما يثبت بهذا الاعتراض لو سلمنا له - جدلا - به أن وقوع المعجزه ليس بطلب من المشركين .

وهذا ليس هو محل النزاع في القضيه ، بل محله وقوع انشقاق القمر حقيقه أو عدم وقوعه .

أما كونه بطلب من المشركين أو بغير طلب فهو أمر زائد عن حدّ اثبات وقوع المعجزه له صلى الله عليه وسلم .

هذا ما قاله السيد رشيد رضا في ما ورد من الحديث في اثبات المعجزه التي نصّت عليها الآيه الكريمه " اقتربت الساعه وانشق القمر "[2] أبطل الاحتجاج بتلك الاحاديث وزعم انها لا تقوم بها حجه على اثبات وقوع الانشقاق وحصول المعجزه .

بقي أمر الآيه الكريمه كيف أوّلها السيد رشيد رضا . قال في ذلك :- " فاذا أنت رجعت الى لغة القرآن في معاجمها لتفهم الآيه منها دون هذه الروايات وجدت في لسان العرب ما نصه " والشق الصبح وشق الصبح يشق شقا اذا طلع وفي الحديث (فلما شق الفجران أمرنا باقامه الصلاة) يقال شق الفجر وانشق اذا طلع ، كأنه شق موضع طلوعه وخرج منه ، وانشق البرق وتشقق انفلق وشقيقة البرق عقيقته وهو ما استطار منه في الافق وانتشر ". فعلى هذا يقال انشق القمر بمعنى

---

(١) مجله المنار المجلد ٣٠ الجزء الخامس ص ٣٦٨ .
(٢) سورة القمر الآيه الاولى .

طلع وانتشر نوره ويكون فى الآيه بمعنى ظهر الحق ووضح كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر وقال الراغب فى مفردات القرآن (وانشق القمر) قيل انشقاقه فى زمن النبى عليه السلام وقيل هو انشقاق يعرض فيه حين تقرب القيامه وقيل معناه وضح الأمر . هـ ونقله عنه صاحب التاج وهذا الاخير هو المتبادر من الآيه بنص اللغه ومعونه السياق لان صيرورة القمر شقتين منفصلتين لا دخل لها فى انذار المشركين الذى هو موضع السوره ولم يسبق أن عد من آيات الساعه كانشقاق السماء وانفطار الكواكب فلم يبق الا أنه بمعنى ظهور الحق ووضوحه بآيات القرآن "[1].

ثم يختم حديثه هذا فى هذه المسأله بقوله :- " ومن اطمأنت نفسه من المسلمين بقبول سائر تلك الروايات على علاتها وكان ممن يرى مخالفة النقل القطعى والعقل أهون من مخالفة زيد وعمرو ، وصدق عقله أن تقع هذه الآيه ولا يحدث أحد من الخلفاء الراشدين ولا غيرهم من قدماء الصحابه برؤيتها والاحتجاج بها فضلا عن تواترها فليس له ان يجعلها من عقائد الاسلام وينفر مستقلي الفكر ومتبعي الدليل من المسلمين وغير المسلمين منه "[2].

هذا ما قاله السيد فيما ورد من القرآن والسنه فى مسأله انشقاق القمر ولن نذهب فى الرد عليه بتتبع ما اورده فقره فقره فهذا مما يطول بنا ولكنى اكتفى هنا بايراد قول السلف فى تلك المسأله ومن قرأه استطاع بنفسه أن يرد على قول السيد كله وعلى غيره من الشبهات .

رأى السلف :-

قال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسير قوله تعالى " اقتربت الساعه وانشق القمر " " وقد كان هذا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك فى الأحاديث المتواتره بالاسانيد الصحيحه "[3].

---

(١) مجلة المنار : المجلد ٣٠ الجزء الخامس ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٧٦ .
(٣) تفسير ابن كثير : جـ ٤ ص ٢٧٩ .

وقال رحمه الله تعالى فى البدايه والنهايه " وقد اتفق العلماء مع بقية الائمه على أن انشقاق القمر كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وردت الاحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمه "(١) .

ثم ساق رحمه الله تعالى بعض ما ورد من الاحاديث قال بعدها " فهذه طرق عن هؤلاء الجماعه من الصحابه وشهرة هذا الأمر تغنى عن اسناده ، مع وروده فى الكتاب العزيز "(٢) .

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى " أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفره عن آياته واجمع المفسرون واهل السنه على وقوعه "(٣) .

وقال الامام الشوكاني رحمه الله تعالى فى تفسيره بعد ردّه على بعض الشبهات فى هذا " ومع هذا فقد نقل الينا بطريق التواتر وهذا بمجرده يدفع الاستبعاد ويضرب به فى وجه قائله "(٤) .

وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى " وقد روى هذا الحديث جماعة كثيره من الصحابه وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير الى ان انتهى الينا ويؤيد بالآيه الكريمه فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر "(٥) .

وقال المناوى " وهذا أمر بالاجماع لا نزاع فيه لثبوته بنص القرآن والسنه وبلغ حدّ التواتر وحصل به العلم اليقينى السماعي من الجمّ الغفير "(٦) .

وبعد هل يحق بعد هذا للشيخ احمد مصطفى المراغي ان يقول " ما ادعى أحد من المسلمين الا من شذّ أن هذه معجزه بلغت حدّ التواتر ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحادا بل كانوا لا يعدون كثره "(٧) .

---

(١) البدايه والنهايه : ابن كثير جـ ٦ ص ٧٤ .
(٢) المرجع السابق : جـ ٦ ص ٧٧ .
(٣) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم : القاضي عياض جـ ١ ص ١٨٣ .
(٤) فتح القدير : للشوكاني جـ ٥ ص ١٢٠ .
(٥) فتح البارى : لابن حجر العسقلاني جـ ٧ ص ١٨٦ .
(٦) العجاله السنيه على الفيه السيره النبويه : للمناوى ص ٥٣ .
(٧) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٢٧ ص ٧٧ .

لعل فيما أوردناه من أقوال أولئك العلماء من حكاية للتواتر ما يكفي في الرد على الشيخ المراغي ومن سار على سبيله ، ويثبت أن حكايه تواتر أحاديث انشقاق القمر ليست دعوى لشاذ من المسلمين !!

ثم ان هؤلاء العلماء رحمهم الله تعالى لم يكفهم حكاية التواتر بل أضافوا الى هذا الردود القويه على أولئك الشاكين أو المشككين وعلى ما أوردوه من شبه في تلك المسأله .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى " وأما قول بعضهم لو وقع لجاء متواتر واشترك أهل الارض في معرفته ولما اختص بها أهل مكه فجوابه ان ذلك وقع ليلا وأكثر الناس نيام والابواب مغلقه وقل من يرصد السماء الا النادر وقد يقع بالمشاهده في العاده ان ينكسف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها الا الآحاد فكذلك الانشقاق كان آية وقعت في الليل لقوم سألوا واقترحوا فلم يتأهب غيرهم لها ويحتمل ان يكون القمر ليلتئذ كان في بعض المنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يظهر الكسوف لقوم دون قوم "(1) .

وقال ابن عبد البر " ومع ذلك فقد بعث اهل مكه الى آفاق مكه يسألون عن ذلك فجاءت السفار وأخبروا بأنهم عاينوا ذلك ، وذلك لان المسافرين في الليل غالبا ما يكونون سائرين في ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك "(1) .

وقال القاضي عياض " ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بأنه لو كان هذا لم يخف عن أهل الارض انهم رصدوه تلك الليله فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجه اذ ليس القمر في حدّ واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الآخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئيه وفي بعضها كليه وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم ، وآية القمر كانت ليلا

---

(1) فتح الباري : لابن حجر العسقلاني جـ ٧ ص ١٨٥ - ١٨٦ .

والعادة من الناس بالليل الهدؤ والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمرى كثيرا فى البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدّث الثقات بعجائب يشاهد ونها من انوار ونجوم وطوالع عظام تظهر فى الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها "[(١)].

وقال الامام العينى رحمه الله تعالى فى عمدة القارى شرح صحيح البخارى " ولقد زعم بعض الفلاسفه بزعمهم الفاسد ان الفلكيات لا تقبل الخرق والالتئام ونحن نقول القمر مخلوق من مخلوقات الله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره "[(٢)].

وذكر الامام ابن كثير رحمه الله تعالى " أنه قد ذكر غير واحد من المسافرين انهم شاهدوا هيكلا بالهند مكتوبا عليه أنه بنى فى الليلة التى انشق القمر فيها "[(٣)].

ويؤيد هذا ما نقله السيد رشيد رضا نفسه :- " على ان الحافظ المزّى نقل عن شيخ الاسلام بن تيميه ان بعض المسافرين ذكر أنه رأى فى بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه أنه بنى ليلة انشق القمر " ثم قال السيد رشيد " وأذكر اننى رأيت فى بعض الكتب أو الصحف ان هذا رؤى فى بلاد الصين "[(٤)].

ثم يرفض السيد رشيد هذا الخبر بأمر عجيب حيث يقول :- " لو صح لوقف عليه المسلمون الفاتحون للهند ولجعلوا لذلك البناء شأنا يشتهر به ويزار "[(٤)] وهو يعلم ان الفاتحين كانوا يبادرون الى هدم الاوثان والاصنام والمزارات فكيف يوجب عليهم أن يجعلوا مثل هذا مزارا ؟ !

---

(١) الشفا : للقاضى عياض ج ١ ص ١٨٤ - ١٨٥ .
(٢) عمدة القارى شرح صحيح البخارى : للامام العينى ج ١٧ ص ١٠ .
(٣) البدايه والنهايه : ابن كثير ج ٦ ص ٧٧ .
(٤) مجلة المنار : المجلد ٣٠ الجزء الخامس ص ٣٦٢ .

وأما ما اورده بعضهم من أن أحدا من رواة أحاديث انشقاق القمر لم ير ذلك وانما هو من مراسيل الصحابه واستثنى من ذلك عبد الله بن مسعود فيرد عليه بقول بن حجر رحمه الله تعالى في حديث انس رضي الله عنه " هذا من مراسيل الصحابه لأن أنسا لم يدرك هذه القصه وقد جاءت هذه القصه من حديث بن عباس وهو ايضا ممن لم يشاهدها ومن حديث ابن مسعود وجبير بن مطعم وحذيفه وهؤلاء شاهدوها "(١).

ولنختم حديثنا هنا بما قاله الامام الشوكاني رحمه الله تعالى في هذه المسأله حيث قال :- " والحاصل أنا اذا نظرنا الى كتاب الله فقد أخبرنا بأنه انشق ، وان نظرنا الى سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيح وغيره من طرق متواتره انه قد كان ذلك في أيام النبوه . وان نظرنا الى اقوال اهل العلم فقد اتفقوا على هذا ، ولا يلتفت الى شذوذ من شذ ، واستبعاد من استبعد "(٢).

ولنختم الحديث عن المعجزات عموما بذلك التساؤل الذى حكاه الشيخ احمد المراغي ثم أجاب عنه " ويتسآل كثير من الناس هل المعجزات ضروريه ؟

الجواب انها ضروريه لايمان الانسان بقدره الله ، ولولاها لساد مذهب الطبيعيين ، لان سنن الله لا تتغير أبدا . وهذا ما يسمى ب (الطبيعه) وثبات هذه القوانين ما ظهر منها وما خفي للآن شيء مدهش حتى ان الانسان قد ينسى واضع هذه القوانين ويقول :- ما الحاجه بي لأن أقول هناك صانعا أزليا مادامت هذه القواعد ثابته على وتيره واحده ملايين السنين ؟

وهنا كانت حكمه الله في ان يخرق هذه السنن ليظهر للناس ان الصانع الأول موجود "(٣).

وان كنا لا نوافق الشيخ المراغي على ما ادعاه من كون المعجزات أمرا ضروريا لايمان الانسان بقدره الله وان ثبات هذه القوانين قد ينسى واضع هذه القوانين .

---

(١) فتح الباري : ابن حجر العسقلاني جـ ٧ ص ١٨٢ .
(٢) فتح القدير : للامام الشوكاني جـ ٥ ص ١٢٠ .
(٣) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٣ ص ١٦٣ .

بل ان سير الكون على نظام دقيق وثابت مما يدل قطعا على ان هناك مدبرا ومسيرا وقادرا على ضبطه وادارته ، كما لو رايت - ولله المثل الاعلى - مركبة تسير على الارض مستقيمة على خط سيرها لا تنحرف عنه يمنه ولا يسره لجزمت بأن فيها قائدا ماهرا ، يتقن قيادتها ، كما انك لو رأيتها تذهب يمنه ويسره لجزمت بأن ليس فيها قائدا أو ان فيها قائد لا حول له ولا قوه في ادارتها وحينئذ لا يسمى قائد ، وان رأيت المركبه تسير على خط سيرها لكنها تخرج بين حين وآخر عنه يمينا أو شمالا لجزمت ان قائدها غير ماهر أو أن النوم قد اثقل اجفانه ، أما مهاره السائق وبراعته فتظهر حينما يخبر عن عزمه على القيام ببعض الحركات العجيبه بمركبته باختياره وارادته ثم عودتها بعد ذلك الى نظامها ، اذن فليس كل خروج عن النظام يدل على مهارة واتقان وقدره .

فلا دليل فيما يذكره الشيخ المراغي على ان مجيء المعجزات تذكير للانسان بأن لا ينسى واضع هذه القوانين الدقيقه للكون ، وان لا يعتقد ان الطبيعة هي التى تسيره .

أما المعجزه فانما تدل بعد مجيئها وعجز البشر عن الاتيان بمثلها على أن مصدرها ليس هو ذلك الانسان وانما الموجد لها هو الله سبحانه وتعالى . اظهرها على يد نبيه علامة لكونه مرسلا منه سبحانه وتعالى ، واذا ما ظهرت العلامة لانسان على كونه مرسلا من الله وجب على الناس اتباعه فيما يقول وهم حينما يتبعونه على يقين أنهم لا يتبعونه لذاته وانما يتبعونه لانه مبلغ عن الله " قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله "(١) .

هذا مما تتميز به النبوه عن العبقريه التى اعتبرها أحد تلاميذ المدرسه كسبا عظيما للقائلين بنبوته ؟!

العبقريه تفوق عقلى نادر فطر عليه الانسان ، أما النبوه فهى معتمده على الوحي الالهي الذى لا يستطيعه الانسان بدون قيام علاقه خاصه بين النبى والاله ، وتتأيد النبوه بالمعجزات الالهيه المقترنه بعنصر التحدى الخارق الخالد

---

(١) سورة آل عمران : من الآيه ٣١ .

لكل القوى الموجوده من الجن والانس للاتيان بالمثل [1] ،

أما العبقريه فلا تحتاج فى ثبوتها الى هذا الأمر الخارق ، وبهذا يتضح لنا السببفى اقتناع اولئك القوم بالعبقريه وصفا لنبينا صلى الله عليه وسلم واعتبارها كسبا عظيما ؟! لان النبى اذا تجرد من المعجزات ومن علامات النبوه فان وصفه بالعبقريه ولاشك يعدّ كسبا عظيما .

وما منعهم من اثبات المعجزات له صلى الله عليه وسلم الا زعمهم أن العقل الحر لا يقبل الاذعان لأمر خارق للعاده يجبره على الايمان فلابد لايمان العقل من اقتناع بدون تخويف .

وفاتهم ان العقل الحر غير المقيد بسنة الكون لا يمنع من وجود المعجزات لان قدرة الله تعالى التى وسعت خلق السموات والارض ممكنه للنبى صلى الله عليه وسلم فى صدور تصرف منه باذن الله خارق للعاده ، فالله تعالى قادر على ان يسلب الاشياء ما جرت سنته فيها خرقا منه للعاده ، لا خرقا للعقل حتى يكون محالا أو يتصور أنه محال ، فكما يكون قتل القتيل باذن الله يكون احياء الموتى على يد نبى باذنه تعالى ، واذا كان الله هو الذى أودع فى النار خاصيه الاحراق فهو قادر على ان يسلب منها اذا شاء تلك الخاصيه [1] . واذا كانت سنته قد جرت على ان تخرج الشمس من المشرق فانه قادر على اخراجها من المغرب لانه سبحانه وتعالى هو الذى أوجد تلك الخصائص لهذه الاشياء ولا مانع له سبحانه من سلبها - عقلا - وانما المخالفه للعاده التى جرت وألفها الناس ، لتكون برهانا للنبى على نبوته .

وكأني ألمح صلة بين المعجزه والنبوه صله تشابه ، كأنى بالمعجزه تنبيه من الله سبحانه وتعالى للكفار بأن الله سبحانه وتعالى كما أنزل هذه المعجزه المخالفه للعاده والطغيه لحكمها كما أنزل هذه أرسل هذا النبى ليغير عادات قومه الباطله التى ألفوا عليها آباءهم ويخالف هذه العاده الى الحق والصراط المستقيم

---

(١) مجلة الوعي الاسلامي ، ذو القعده ١٣٩٨هـ مقال " معجزات الانبياء " للدكتور وهبه الزحيلي .

وكل هذا هنا وهناك هو بأمر الله ومشيئته .

وقد أثبت القرآن الكريم لنبينا صلى الله عليه وسلم عددا من تلك المعجزات نورد بعضها ردا على أولئك الذين زعموا ان لو كان له صلى الله عليه وسلم معجزه غير القرآن لحكاها القرآن ، بعد ردهم لما في السنه ، فمن ذلك

قوله تعالى " اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكه مردفين "[1] وفيها بيان لارسال الله الملائكه مددا للمسلمين فى بدر الكبرى .

وقال سبحانه " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله "[2] الآيات .

وقال سبحانه " ا ل م ، غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين "[3] وهي اخبار بالغيب تحقق فى تلك المده المذكوره فى الايه .

والآيات غير هذا كثيره ومنها ما فصلناه آنفا من مسأله انشقاق القمر ، وبهذا ثبت بطلان زعم اولئك من عدم مجيئه صلى الله عليه وسلم بمعجزه غير القرآن وردهم لما ورد من الاحاديث فى اثبات المعجزات له صلى الله عليه وسلم أو تأويلهم لها بما لا تكون به معجزه وهو أمر يؤدى الى التشكيك بالسنه النبويه الشريفه وعدم اعتمادها دليلا شرعيا وهو أمر خطير يقصد به هدم الاسلام من اساسه ، وللمدرسه العقليه الحديثه باع طويل فى رد كثير من الحديث النبوى الصحيح من غير تحرج لروايه الشيخين له أو عدمها وهم بهذا معول من معاول أعداء الاسلام شاء وا ذلك أم أبوا ادركوا ذلك أم لم يدركوا .

ان كنت تدرى فتلك مصيبه وأن كنت لا تدرى فالمصيبه اعظم

وبهذا ثبت جواز وقوع المعجزات عقلا وكونها حجه قاطعه للانبياء على أقوامهم ، وثبت أيضا معجزات أخرى له عليه الصلاة والسلام غير القرآن الكريم ، واشتمال القرآن نفسه على ذكر بعضها ومجىء السنه النبويه الشريفه الصادقه بأخبار معجزات أخرى . والله الموفق والهادى ...

---

(١) سورة الانفال : الآيه : ٩ .
(٢) سورة الاسراء : الآيه الأولى .
(٣) سورة الروم : الآيات ١-٤ .

خامسا : اصل الانسان

اصل الانسان لا شك أمر غيبي لا سبيل الى القطع فى علمه ومعرفته الا عن طريق الوحي ولم يبق من الوحي المجزوم بصحته الا القرآن الكريم والا ما صح عنه صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد فى القرآن الكريم آيات بينات فى ذلك فاليها المرجع .

قال الله تعالى " ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم ، واذ قال ربك للملائكه اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكه كلهم اجمعون الا ابليس أبى ان يكون مع الساجدين "(١) .

وقال سبحانه " ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفه فى قرار مكين ثم خلقنا النطفه علقه ، فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ، ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم أنكم يوم القيامه تبعثون "(٢) .

وقال سبحانه " الذى احسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه "(٣) .

وقال سبحانه " يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء "(٤) وقال سبحانه " ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون "(٥) .

وكثيره هي الآيات الداله على خلق آدم أبي البشر من تراب ثم تناسل ذريته من بعد من ماء مهين . بل لازال ذلكم النسل يخلقه الله من تراب! انظر ان شئت

---

(١) سورة الحجر الآيات : ٢٦ - ٣١ .
(٢) سورة المؤمنون : الآيات ١٢ - ١٦ .
(٣) سورة السجده الآيتين : ٧ و ٨ .
(٤) سورة النساء : من الآيه الاولى .
(٥) سورة آل عمران الآيه : ٥٩ .

الى طعام الانسان تجده لا يعد وبحال من الاحوال أن يكون حيوانيا أو نباتيا ثم انظر الى طعام ذلكم الحيوان الذى يأكله الانسان تجده اما نباتا واما حيوانا آخر يعيش على النبات .

فمصدر الاطعمه اذن التى يأكلها الانسان والحيوان لا تعدو النبات ، ثم انظر الى ما يعيش عليه ذلكم النبات ، ومن أى شىء يخرج انه لا ينبت الا على التربه .

أرأيتم كيف يعيش الانسان ، لقد خلقه الله من تراب ، وعاش على التراب ويعود الى التراب .

خلق الله آدم عليه السلام ابا البشر من تراب خلقا متكاملا يؤهله لان يكون خليفه فى الارض باذن الله ، والقى فى ذهنه من العلم ما خفى على الملائكه عليهم السلام لتكون له بهذا مزية عليهم ليسجدوا له باذن الله وأمره ثم ليسكنه بعد هذا فى الجنه هو وزوجه لتقع منهما المعصيه فينزلهما الله الى الارض ، ارض الابتلاء والامتحان " فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون "[1] .

ولم تزل البشريه كذلك الى ان يرث الله الارض ومن عليها . ذلكم المعتقد فى خلق الانسان هو الذى اعتقده السلف وقامت اركانه على قواعد القرآن الكريم وآياته .

الى أن ظهرت على مسرح النظريات العلميه نظرية حسبها **أربابها** نظرية علميه وحسبها آخرون حقيقة علميه !! فذهبوا فى الاستدلال لها كل مذهب ، وحاربوا الدين وأهله الذين انكروا عليهم ، وزعموا انها الحق الذى لا يقبل المراء واليقين الذى لا يحتمل الشك .

قالوا ان الارض كانت قطعه من الشمس كان ذلك قبل اكثر من ٥٠٠٠ مليون سنه ثم انفصلت عنها فكانت كرة ناريه ملتهبة تدور في الفضاء ويغلفها غازات ساخنه ولم تكن في هذه الحاله صالحه لأى نوع من الحياة ثم أخذت هذه الكره تبرد تدريجيا وتتصهر

(١) سورة البقره من الآيتين : ٣٨ : ٣٩ .

بعد انفصالها على هيئه غاز ، ونتج عن هذا تجمد سطحها الخارجي ، ومـــا لبث ان أخذ يزداد فى السمك فتكونت التضاريس المعروفه وفي اثناء ذلك أخذت الغازات والابخره التى كانت تتصاعد من الارض فى الهطول مره ثانيه وذلك فى صورة بخار ماء أو أمطار غزيره ... كما انفجر من باطن الارض ينابيع عظيمه من الميـــاه كونت البحار والمحيطات الاولى (١) .

ثم بدأت الحياة الاولى للانسان والحيوان والنبات على هذه الارض بجرثومه أو جراثيم حيه قليله تطورت من حال الى حال تحت تأثير عوامل طبيعيه ، حـــتى وصلت الى هذه التنوعات التى نراها وعلى رأسها الانسان (٢) .

ظهرت هذه النظريه سنه ١٨٥٩ م حاملة اسم مؤسسها شارل داروين وعرفت بـ " الدارونيه " وتقوم تلك النظريه على اربعة نواميس لتعليل وجود الانـــواع الحيه على سطح الارض سواء اكانت نباتيه أم حيوانيه ، من أول الاحياء الجرثوميـــه ذات الخليه الواحده الى الانسان نفسه .

أولها :- ناموس الصراع من اجل البقـــاء .

ويريد بذلك ان بين الاحياء من نوع واحد أو انواع متعدده - تنازع مستمـــر على وسائل الحياة من اجل البقاء يهلك فيه الضعفاء ويبقى الاقوياء .

ثانيها :- ناموس الانتخاب الطبيعى .

وهذا الناموس هو ما يؤدى اليه الناموس الاول ذلكم ان (الطبيعه) تعمل على استصفاء وانتخاب الاقوى من كل نوع كأنها تنتخب من كائناتها ما كان اصـــبر على الكفاح وأجمع لوسائل البقاء فتبقيه وتفنى الاضعف وتبيده .

ثالثها :- ناموس المطابقه :-

ويراد بهذا ان للبيئه وانقلاباتها ولنوع الاغذيه وطرق الوصول اليها واهمال العضو أو استعماله دخل كبير فى ايجاد الاختلاف بين انواع الاحياء ذلكم ان استعمال عضو من الاعضاء أو الحاجه اليه يكون سببا فى وجوده وكذا اهمال عضو من الاعضـــاء

(١) نظرية التطور بين العلم والدين : على احمد الشحات ص : ١٠١ .
(٢) شبهات ورد حول العقيده الربانيه واصل الانسان : عبد الله علوان ص ٨٠ .

بعدم استعماله يكون سببا لانعدامه في اعقاب ذلك الحيوان .

فلم ينبت للضوارى مخالب الا حينما اضطرت للتغذى بلحم الحيوانات الحيه واعتادت دس اصابعها في اجساد فرائسها لتمنعها من الافلات ، والضروره قضت ان تطول عنق الزرافه الى هذا الحد لانها اضطرت الى تناول اغذيتها من اوراق الشجر العاليه (!!) .

رابعها : ناموس الوراثه :

ويراد به ان تلك الاعضاء الجديده التي يكتسبها الافراد تحت تأثير الصراع في الحياة يرثها كل جيل من سلفه فتبقى ثابته فيه مع قبولها للارتقاء ومع مرّ الزمن يقوى هذا الاختلاف حتى تصبح تلك الطائفه مباينه لجميعها فتعتبر نوعا مستقلا عنها وعلى هذا النحو تكثرت تلك الانواع وباين بعضها بعضا حتى صعب على من يراها ان يحسبها كلها متولده من نوع واحد لكثرة أوجه الخلاف بينها وبين اصولها في الشكل والحجم والغرائز .

فمن الذى يستطيع ان يتخيل ان الانسان والقرد والبرغوث والفيل والثعبان والطيور والسلاحف والميكروبات كلها نشأت خلية أو خلايا معدوده وانما نوعها وعدد اشكالها تلك النواميس الاربعه .

تلكم خلاصه نظريه داروين في اصل الموجودات كلها والانسان نوع منها . ويجب ان نقرن مع ذكرها عدم اعتبار صاحبها لها انها حقيقه علميه وانما اعتبرها دوائر واسعه تحتمل هذا وتحتمل سواه حيث يقول :- " اسمح لي ان أضيف الى هذا بأني لست من قلة العقل بحيث اتصور بأن نجاحي يتعدى رسم دوائر واسعه لبيان أصل الانواع "(١) .

وفى نفس العام الذى توفي فيه داروين كان السيد جمال الدين الأفغاني في حيدرآباد في الهند يخط رسالته في الرد على الدهريين وابطل في تلك الرساله

(١) على اطلال المذهب المادى : محمد فريد وجدى ص ١٠٢ .

مذهب داروين فكتب يقول تحت عنوان " قول داروين ان الانسان كان قردا " " وعلى زعم " داروين " هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور وان ينقلب الفيل برغوثا كذلك . فان سئل داروين عن الاشجار القائمه على غابات الهند والنباتات المتولده فيها من ازمان بعيده لا يحددها التاريخ الا ظننا واصولها تضرب فى بقعه واحده وفروعها تذهب فى هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب فى اختلاف كل منها عن الآخر في بنيته وشكل أوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فأى فاعل خارجي أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء ؟ أظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه ..

وان قيل له : هذه اسماك بحيرة اورال وبحر كسبين مع تشاركها فى المأكل والمشرب وتسابقها فى ميدان واحد نرى فيها اختلافا نوعيا وتباينا بعيدا فى الالوان والاشكال والاعمال فما السبب فى هذا التباين والتفاوت ؟ لا أراه يلجأ فى الجواب الا الى الحصر "[1] .

ثم قال بعد هذا " وكأني بهذا المسكين وما رماه في مجاهل الاوهام ومهامه الخرافات الاقرب المشابهه بين القرد والانسان وكأن ما أخذ به من الشبه الواهيه ألهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيره ، وحسرات العمايه وانا نورد شيئا مما تمسك به ... ومن واهياته ما كان يرويه " داروين " من أن جماعه كانوا يقطعون أذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت الكلاب تولد بلا أذناب كأنه يقول : حيث لم تعد للذنب حاجه كفت الطبيعه عن هبته .. وهل صُمّت اذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان ألوفا من السنين ولا يولد مولود حتى يختتن[2] والى الآن لم يولد واحدا منهم مختونا الا لاعجاز "[3]

---

(١) الحصر : العي والعجز عن الاجابه .

(٢) ويضاف الى هذا ايضا بقيه السنن الاسلاميه الاخرى كتقليم الاظافر وحلق العانه ونتف الابط ونحوها فان تلكم سنه اسلاميه منذ ١٤ قرنا ولم يوجد بعد هذا واثناءه انسان لم تنبت اظفاره أو شعر فى تلك الاماكن .

(٣) رسالة الرد على الدهريين : جمال الدين الافغاني ص ٤٢ - ٤٥ .

ويذكر الشيخ محمود شلتوت بعض الآيات من القرآن الكريم ثم يقول بعد هـا " فهذا ونحوه خبر الله الصادق الذى قامت على صدقه المعجزات ، يحدث بأن الانسان خلق نوعا مستقلا ليس متطورا عن نوع آخر من انواع الحيوانات أيا كان ذلك النوع وكيفما كان التشابه بينه وبين الانسان فى بعض الخصائص ، وبعض الاوضاع الجسميه ، فلو كان خلق الانسان بطريق الارتقاء عن نوع آخر لكان الحديث الذى ساقه القرآن عن خلقه حديثا لا يطابق الحقيقه ولا يتفق والواقع ، وهو حديث صريح لا يحتمل غير مدلوله المفهوم من عباراته والفاظه .. والمسأله بعد مسألة غيبيه لا يتناولها الحس ، ولا محل فيها للتجربه ، وليس ثمة مقدمات عقليه يصل بها العقل الى معرفه واقعها "[1] .

وممن ردّ على تلك النظريه ايضا من اتباع المدرسه العقليه الاستاذ محمد فريد وجدى فبدأ أول ما بدأ ببيان أصل المذهب ونفى عنه ما قد يفهم منه مما ليس من أصله حيث يقول " هذا المذهب مؤداه أن أصل الانواع النباتيه والحيوانيه التى تغص بها هذه الارض جرثومه واحده أو جراثيم قليله تطورت من حال الى حال تحت تأثير فواعل مختلفه طبيعيه محصنه حتى وصلت الى ما تراه من التنوعات التى على رأسها الانسان . فهو لا يقول ان أصل الانسان القرد الموجود الآن ولكن حيوان بين القرد والانسان لم يعثر على هيكله فى الاحافير للآن ، أما القرد فان داروين يعتبره نهاية ترق لفرع من أفرع الشجره الحيوانيه "[2] ويقول " من العجب أن مذهبا كمذهب لامارك أو داروين يكون فيه من وجوه النقص ما يجعل صاحبه نفسه يزرى به ، ينتشر هذا الانتشار الكبير ويجد له انصارا متحمسين من درجه متحمسي الاديان فى العصور البعيده "[3] .

ثم ينقل الاستاذ وجدى نقولا عديده لعلماء غربيين فى الرد على تلك النظريه فمن ذلك رأى فون بايرفى كتابه المسمى المذهب الداروني " ان الرأى القائل أن

---

(١) الفتاوى : محمود شلتوت ص ٤٠٣ .
(٢) على أطلال المذهب المادى : محمد فريد وجدى ج ١ ص ٨٨ .
(٣) على أطلال المذهب المادى : محمد فريد وجدى ج ١ ص ١٠٢ .

النوع الانساني متولد من القرده السيميانيه هو بلاشك أدخل رأى فى الجنون قاله رجل على تاريخ الانسان وجدير بأن ينقل الى اخلاقنا جميع الحماقات الانسانيه مطبوعه بطابع جديد يستحيل ان يقوم دليل على هذا الرأى المضحك من جهة المكتشفات الحفريه " وقال فى ختام كتابه المسمى خطابات ومباحث علميه " أنا لا اتمالك نفسي من التصريح لرجال العلم بأن فرضا من الفروض لا تكون له قيمة ولا سبيل فى البقاء الا اذا عاملناه معاملتنا لسائر الفروض . أى نجعله كنقطه يتوجه منها الى مباحث خاصه ، ولكن من الشؤم والانحطاط ان نعتبر فرضا من الفروض آخر كلمه للعلم وهو مجرد كل التجرد عن الوسائل التى يثبت بها نفسه ، ان علمنا مؤلف من قطع واجزاء فتكميل هذه القطع بواسطه الافتراضات يمكن أن يؤدى الى ارتياح شخصي ولكن لا يكون هذا من العلم شيء "(١) .

ثم اورد الاستاذ وجدى على هذه النظريه عددا من الاعتراضات وقسمها الى قسمين :- اعتراضات قديمه واعتراضات جديده ليس بامكاننا ذكرها هنا .

وندرك من هذا موقف الاستاذ وجدى من تلك النظريه ، ولا تحسبن انه حينما ينكر على داروين نظريته هذه انه يريد اقرار ما جاء به القرآن الكريم من خلق آدم عليه السلام خلقا مستقلا من طور العدم الى طور الانسانيه الكامله .. لا ؟! لا يقصد الاستاذ وجدى هذا بل يصف من يقول بهذا القول بالشذوذ وينكر ان يكون هناك عالم " يعتد به " يقول بهذا وحتى لا نجنى على الرجل نسوق نصوصه :-

" ونحن لا نريد من قولنا ان اهل العلم تبينوا وهن اصول مذهب داروين انهم اصبحوا يقولون بالخلق المستقل فهذا ما لا يقول به الا الشاذ من اهل العلم اليوم ولكنهم اصبحوا يرون لتسلسل الاحياء بعضها من بعض نواميس أخرى غير نواميس دارون "(٢) ويقول " مع عدم وجود عالم يعتد به يقول بالخلق المستقل الآن

---

(١) على اطلال المذهب المادى : محمد فريد وجدى ج ١ ص ١٠٣ - ١٠٤ .
(٢) المرجع السابق ج ١ ص ٩٠ .

فان جمهور الباحثين اليوم ادركوا ان كل النظريات التى افترضت فى تفسير تسلسل الكائنات الحيه بعضها من بعض لا تمثل الحقيقه ولا تروج الا في اذهان الذين يقتنعون بالالفاظ الضخمه ، وهذا التوقف من اهل العلم اليوم أثر من آثار تخلص العقل من سلطان الخداع العلمي السابق وهو الخداع الذى أوهمه بأنه ادرك سر الوجود ووقف على جميع ساتيره بفضل الفلسفه الماديه والعلم الطبيعي "[1].

اذن فالاستاذ وجدى لا يخالف دارون من حيث المبدأ وانما المخالفه بكونه يرى لتسلسل الاحياء بعضها من بعض نواميس أخرى غير نواميس دارون كما اصبح يراه أهل العلم ؟ !

ونحن لا تهمنا هذه النواميس التى يفضلها الاستاذ وجدى على نواميس دارون وانما الذى يهمنا فى الأمر انه ينكر ان يكون الانسان خلق خلقا مستقلا ويصف من يعتقد هذا بالشذوذ وبأنه " لا يعتد به " وهذه مخالفه صريحه لنصوص القرآن الكريم .

ولا تسيئن الظن برجال هذه المدرسه ؟ ! فتعتقد ان هذا هو الفارس الوحيد فى ميدان الشذوذ ، فقد سبقه وزاد عليه الفارس الذى لا يشق له غبار فى هذا المجال اعنى الشيخ محمد عبده ومن خلفه تلاميذه السيد رشيد واحمد المراغي وغيرهم .

ذلكم ان الشيخ محمد عبده لم يرفض هذه النظريه كما أنه لم يصرح بقبولها ، ولكنه فسر الآيات القرآنيه بما يفسح المجال لمن يريد ان يقول بها وانكر معارضة القرآن لذلك ؟ !

ليس هذا تجنيا منا على الشيخ عبده بل هو مع حسن الظن ايضا ، حينما نعلم ان الشيخ وتلميذه رشيد يساوون بين الاعتقاد بأن أبا البشر آدم عليه السلام والاعتقاد بأنه القرد أو غير ذلك ما دامت الانسانيه مناط الوحده ودواعيه الالفه والتعاطف بين البشر ؟ !

---

(١) على اطلال المذهب المادى : محمد فريد وجدى ج ١ ص ٩٢ .

وحتى ندع القارئ يسبقنا الى الحكم عليهم نكتفي هنا بايراد نصوص لهم .

فقد قال الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالى " يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء "(١) " ليس المراد بالنفس الواحده آدم بالنص ولا بالظاهر فمن المفسرين من يقول ان كل نداء مثل هذا يراد به أهل مكه أو قريش فاذا صح هنا جاز ان يفهم منه بنو قريش ان النفس الواحده هي قريش أو عدنان ، واذا كان الخطاب للعرب عامه جاز ان يفهموا منه ان المراد بالنفس الواحده يعرب أو قحطان ، واذا قلنا ان الخطاب لجميع اهل الدعوه الى الاسلام أى لجميع الامم فلاشك ان كل أمه تفهم منه ما تعتقده ، فالذين يعتقدون ان جميع البشر من سلالة آدم يفهمون ان المراد بالنفس الواحده آدم ، والذين يعتقدون ان لكل صنف من البشر أبا يحملون النفس على ما يعتقدون ... والقرينه على أنه ليس المراد هنا بالنفس الواحده آدم قوله " بث منهما رجالا كثيرا ونساء " بالتنكير وكان المناسب على هذا الوجه ان يقول وبث منهما جميع الرجال والنساء ، وكيف ينص على نفس معهوده والخطاب عام لجميع الشعوب وهذا المعهد ليس معروفا عند جميعهم فمن الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما ، وهذا النسب المشهور عند ذريه نوح مثلا هو مأخوذ عن العبرانيين فانهم هم الذين جعلوا للبشر تاريخا متصلا بآدم وحددوا له زمنا قريبا . واهل الصين ينسبون البشر الى أب آخر ويذهبون بتاريخه الى زمن ابعد من الزمن الذى ذهب اليه العبرانيون ، والعلم والبحث فى آثار البشر مما يطعن فى تاريخ العبرانيين ونحن المسلمين لا نكلف تصديق تاريخ اليهود وان عزوه الى موسى عليه السلام فانه لا ثقة عندنا بأنه من التوراة وانه بقي كما جاء به موسى "(٢) .

وبهذا أكد الشيخ أن آدم ليس ابو البشر كلهم وانما قلت أكد لأنه :-

---

(١) سورة النساء : من الآيه الأولى .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

١ - استدل بأن الآيه لا تدل (بالنص ولا بالظاهر) على ذلك .

٢ - وانه لو كان آدم أبا البشر كلهم لما قال " رجالا كثيرا ونساء " بل قال جميع الرجال والنساء .

٣ - وان من الناس من لا يعرفون آدم ولا حواء ولم يسمعوا بهما .

٤ - ان العلم والبحث فى آثار البشر مما يطعن فى تاريخ العبرانيين باعتقادهم ان آدم ابو البشر .

وبهذا اضاء الشيخ عبده النور الاخضر لمن يريد ان يقول بنظريه داروين بأن يجعل تطبيقها على آباء البشر الآخرين عدا آدم عليه السلام .

فان ذهبت تعترض على هذا وتقول :- ورد فى القرآن الكريم الخطاب " يابنى آدم "(١) وورد فى قوله صلى الله عليه وسلم " كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب "(٢) وما رواه احمد فى مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " يأيها الناس ألا ان ربكم واحد وأن اباكم واحد الا لا فضل لعربي على اعجمي ولا لعجمى على عربي ولا لاحمر على اسود ولا اسود على احمر الا بالتقوى "(٣) .

اذا ما قلت هذا سهل عليه تأويل ذلك وكيف لا يسهل هذا على من يرد احاديث البخارى ومسلم ويرد الاحاديث المتواتره كما مر بنا ، يقول الشيخ عبده فى تأويل ذلك " وما ورد في آيات أخرى من مخاطبه الناس بقوله " يابنى آدم " لا ينافي هذا ولا يعد نصا قاطعا في كون جميع البشر من ابنائه اذ يكفى فى صحة الخطاب ان يكون من وجه اليهم فى زمن التنزيل من أولاد آدم وقد تقدم فى تفسير قصة آدم فى اوائل سورة البقره انه كان فى الارض قبله نوع من هذا الجنس فسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وأقول زياده فى الايضاح اذا كان جماهير المفسرين فسروا النفس الواحده هنا بآدم فهم لم يأخذوا ذلك من نص الآيه ولا من ظاهرها بل من المسأله المسلمه عندهم (!!) وهي أن آدم ابو البشر "(٤) .

---

(١) انظر مثلا الآيات ٢٦ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٥ ، ١٧٢ من سورة آل عمران و ٧٠ من الاسراء و ٦٠ من يس .

(٢) رواه البزار عن حذيفه بن اليمان .

(٣) رواه احمد فى مسنده جـ ٥ ص ٤١١ .

(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

ويؤيد هذا الكلام تلميذه السيد رشيد بنوع من الاخبار لو لم يكن فيهما تأييد لما ذهب اليه لاعتبرها من الاسرائيليات التى ادخلها كعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهما ولشنّ عليهما هجوما لا ينقطع ونعى على الاسلام امثالهما ولكن والحال ان هذه الاخبار فى مقام تأييده فلا بأس من الاستدلال بهما والدفاع عن المعتقدين لها قال " وقد نقل عن الاماميه والصوفيه انه كان قبل آدم المشهور عند اهل الكتاب وعندنا آدمون كثيرون قال فى روح المعاني : ذكر صاحب جامع الاخبار من الاماميه فى الفصل الخامس عشر خبرا طويلا نقل فيه ان الله تعالى خلق قبل أبينا آدم ثلاثين آدم بين كل آدم وآدم الف سنه وان الدنيا بقيت خرابا بعدهم خمسين الف سنه ثم عمرت خمسين الف سنه ثم خلق أبونا آدم عليه السلام ، وروى ابن بابويه فى كتاب التوحيد عن الصادق فى حديث طويل ايضا أنه قال لعلك ترى ان الله لم يخلق بشرا غيركم بل والله لقد خلق ألف ألف آدم أنتم في آخر أولئك الآدميين " ثم قال " ثم نقل عن زين العرب القول بكفر من يقول بتعدد آدم وهذا من جرأته وجرأه أمثاله الذين يتهجمون على تكفير المسلمين لأوهى الشبهات "[1] .

ثم يجمل لنا السيد رشيد رأى استاذه " للاستاذ الامام في هذا المقام رأيان :-

(أحدهما) ان ظاهر هذه الآيه يأبى ان يكون المراد بالنفس الواحده آدم أى سواء كان هو الاب لجميع البشر أم لا ، لما ذكره من معارضه المباحث العلميه والتاريخيه له ومن تنكير ما بثه منها ومن زوجها ، على أنه يمكن الجواب عن هذا الاخير بأن التنكير لمن ولد منهما مباشره كأنه يقول بث منهما كثيرا من الرجال والنساء وبث من هؤلاء سائر الناس وعن الاول بأنه لا يزال غير قطعى .

(وثانيهما) انه ليس فى القرآن نص أصولى قاطع على ان جميع البشر من ذريه آدم والمراد بالبشر هنا هذا الحيوان الناطق البادى البشره المنتصب القامه الذى يطلق

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٤ ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

عليه لفظ الانسان ، وعلى هذا الرأى لا يرد على القرآن ما يقوله بعض الباحثين ومن اقتنع بقولهم من أن للبشر عدة آباء ترجع اليهم سلائل كل صنف .

ثم ان ما ذهب اليه الاستاذ الامام يرد الشبهات التى ترد في هذا المقام ولكنه لا يمنع المعتقدين أن آدم هو ابو البشر كلهم من اعتقادهم هذا لأنه لا يقول ان القرآن ينفي هذا الاعتقاد وانما يقول انه لا يثبته اثباتا قطعيا لا يحتمل التأويل وقد صرحنا بهذا لان بعض الناس كان فهم من درسه انه يقول ان القرآن ينفي هذا الاعتقاد اى اعتقاد أن آدم ابو البشر كلهم وهو لم يقل هذا تصريحا ولا تلويحا وانما بين أن ثبوت ما يقوله الباحثون فى العلوم وآثار البشر وعادياتهم والحيوانات من أن للبشر عدة اصول ومن كون آدم ليس أبا لهم كلهم فى جميع الارض قديما وحديثا كل هذا لا ينافي القرآن ولا يناقضه ويمكن لمن ثبت عنده ان يكون مسلما مؤمنا بالقرآن "[1] .

ثم يقول السيد رشيد " وليت شعرى ماذا يقول الذين يذهبون الى ان المسأله قطعيه بنص القرآن فيمن يوقن بدلائل قامت عنده بأن البشر من عدة أصول ؟ هل يقولون اذا أراد ان يكون مسلما وتعذر عليه ترك يقينه فى المسأله أنه لا يصح ايمانه ولا يقبل اسلامه وان ايقن بأن القرآن كلام الله وانه لا نص فيه يعارض يقينه "[2] .

ويقول الشيخ احمد مصطفى المراغي :- " وجمهرة العلماء على أن المراد بالنفس الواحده هنا آدم وهم لم يأخذوا هذا من نص الآيه بل أخذوه تسليما وهو أن آدم ابو البشر "[3] وقال :- " وقال بعض العلماء ابهم الله تعالى أمر النفس التى خلق الناس منها ، فلندعها على ابهامها ، فاذا ثبت ما يقوله الباحثون من أن لكل صنف من اصناف البشر أبا كان ذلك غير مخالف لكتابنا ، كما هو مخالف للتوراه التى نصت صراحه على أن آدم ابو البشر فحمل ذلك بعض الناس على الطعن فى كونها من عند الله ووحيه "[3] .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٤ ص ٣٢٦ .
(٢) المرجع السابق جـ ٤ ص ٣٢٧ .
(٣) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٤ ص ١٧٥ .

وكان الأولى بالشيخ المراغي ان يدعو الى انكار هذه الفكره والرد عليها وبيان مخالفتها لنصوص القرآن حتى اذا ما ثبت للناس بعد هذا بطلان هذه النظريه وقف المسلم شامخا معتزا بدينه وكأنه يقول أرأيتم الدين الحق يقول كلمته مخالفا نظريه فى وقت دولتها وعصر سطوتها حتى حسبها بعض الناس حقيقه علميه ولكن الاسلام يقول كلمته ولا يقف يعض بنانه حائرا بين تأييدها أو انكارها جاهلا الحق فيها أو يقف حائرا بين هذه النظريه وحقيقه دينه الناصعه فيها ، بل يقول حقائق دينه ولو خالفت ما توهمه المتوهمون وزعمه الزاعمون .

ويفسر الشيخ رشيد رضا المراد بالنفس بقوله " هذا وان المتبادر من لفظ النفس بصرف النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات - انها هي الماهيه أو الحقيقة التى كان بها الانسان هو هذا الكائن الممتاز على غيره من الكائنات أى خلقكم من جنس واحد وحقيقه واحده ولا فرق فى هذا بين ان تكون هذه الحقيقه بدئت بآدم كما دل عليه اهل الكتاب وجمهور المسلمين ، أو بدئت بغيره وانقرضوا كما قاله بعض الشيعه والصوفيه ، أو بدئت بعدة أصول انبث منها عدة اصناف كما عليه بعض الباحثين - ولا بين ان تكون هذه الاصول أو الاصل مما ارتقى عن بعض الحيوانات أو خلق مستقلا على ما عليه الخلاف بين الناس فى هذا العصر "[1] ثم قال " على كل حال وكل قول يصح ان جميع الناس هم من نفس واحده هي الانسانيه التى كانوا بها ناسا وهي التى يتفق الذين يدعون الى خير الناس وبرهم ودفع الاذى عنهم على كونها هي الحقيقه الجامعه لهم فتراهم على اختلافهم فى اصل الانسان يقولون عن جميع الاجناس والاصناف انهم اخوتنا فى الانسانيه فيعدون الانسانيه مناط الوحده وداعيه الالفه والتعاطف بين البشر سواء اعتقدوا ان اباهم آدم عليه السلام أو القرد أو غير ذلك "[1] .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٤ ص ٣٢٧ .

لا نريد الرد عليه هنا بإثبات ان مناط الوحده والألفه فى الاسلام هـو الدين لا الانسانيه " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم "(١) الآيه ، ولا نريد ايضا ان نرد على ما قاله فيما نقلناه من نصوص اذ يكفى فى هذا ما ذكرناه من آيات كريمات فى بيان أصل خلق الانسان من لدن آدم عليه السلام .

وبهذا - كما قلنا آنفا - اعطى الشيخ محمد عبده والسيد رشيد الضـوء الاخضر لمن يريد ان يدخل نظريه داروين وغيرها في أذهان المسلمين وبينـا ان القرآن الكريم لا يعارض هذا ولا يخالفه بل ولم يكتفيا بهذا فأرادا أن لا يحرما نفسيهما من المشاركه فى ادخال هذه النظريه فأثبتا نظريه التطور البشـرى وأنه نشأ أول ما نشأ ساذجا سذاجة لا يبلغ بها تناول الشئون الرفيعه والمعاني العاليه والمعارف الساميه لا هم له الا المحافظه على بنيته الجسميه وحاجته الدنيه ولندع الحديث للشيخ عبده حيث يقول فى تفسير قوله تعالى " كان الناس أمه واحده فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه "(٢) .الآيـه قال : - " ما جاءنا من أنباء الامم وما رأيناه مـن آثارهم ، وما عرفناه من حال بعضهم اليوم يشهد شهادة لا يرتاب فيها من أديـت اليه أن العنايه الالهيه صارت بالانسان كما سارت به فى أفراده - يخلق اللـه الفرد من البشر ضعيف القوه فاقد العلم لا يعرف شيئا من أمره كما جاء في التنزيل (١٦ : ٧٨ والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمـع والابصار والافئده لعلكم تشكرون " ... على هذه السنه قادت العنايه الالهيـه جماعة البشر ... فكما ينشأ الفرد قاصرا فى جميع قواه ضعيفا في جميع اعضائـه كذلك نشأت الجمعيه البشريه على ضرب من السذاجه لا تبلغ بها الى تناول الشؤون الرفيعه والمعاني العاليه والمعارف الساميه غير ان الذى يربى الفرد ويسوس قواه الى ان يبلغ رشده هو الابوان أو من يقوم مقامهما ، والذى يكفل الجمعيـه

---

(١) سورة المجادله : من الآيه ٢٢ .

(٢) سورة البقـره : من الآيه ٢١٣ .

ويربي قواها ويشد بنيانها انما هو الكون (؟!) وما يمسها من حوادثه والحاجات ووقعها والضرورات ولذعها ، وكما يؤدب الصبي ابواه يؤدب الجماعة شدة وقع الحوادث الكونيه منها وهي في هذا الطور لا هم لها الا المحافظه على بنيتها الجسميه وحاجتها البدنيه وليس عندها من الزمن ما تتفرغ فيه لادنى من ذلك كما هو شأن الطفل في صباه "(1).

ثم يمضي في بيان هذه المراحل ، ويقول في موضع آخر " جاءت أديان والناس من فهم مصالحهم العامه بل والخاصه في طور أشبه بطور الطفوليه للناشيء الحديث العهد بالوجود ، لا يألف منه الا ما وقع تحت حسه ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمسه ، وان يتناول من المعاني ما لا يقرب من لمسه . . . فهو من الحرص على ما يقيم بناء شخصه في هم شاغل عما يلقى اليه فيما يصله بغيره اللهم الا يدا تصل الى فمه بطعام أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمه تلك الاديان ان تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان أو يرقى اليه بسلم البرهان بل كان من عظيم الرحمه ان تسير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سذاجه السن لا يأتيه الا من قبل ما يحسه بسمعه أو ببصره ، فأخذتهم بالاوامر الصادعه والزواجر الرادعه وطالبتهم بالطاعه وحملتهم فيها على مبلغ الاستطاعه ، كلفتهم بمعقول المعنى جلى الغايه وان لم يفهموا معناه ولم تصل مداركهم الى مرماه وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم وتنفعل به مشاعرهم وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه "(2).

وعلق السيد رشيد رضا على هذا بأنه " صفه ديانات آخرها الديانه الموسويه وما يليها فهو صفة المسيحيه "(2).

ثم ذكر الشيخ عبده المرحله التى انتقلت اليها البشريه بعد هذا الى ان انتهى الى مرحله " كانت سن الاجتماع البشري قد بلغت بالانسان أشده وأعدته

---

(1) تفسير المنار: محمد رشيد رضا جـ٢ ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٢) رسالة التوحيد : محمد عبده ص١٦٦ - ١٦٩ .

الحوادث للماضيه الى رشده فجاء الاسلام يخاطب العقل "[1] ويقول " ودخل الانسان بدين الاسلام في سن الرشد "[2] ويقول الاستاذ وجدى " وأما الآن حيث بلغ العقل اشده والنوع الانساني رشده فلا تجدى فيه معجزه ولا تنفع فيه غريبه "[3].

ولا ننسى ايضا أن من تأثر المدرسه العقليه الحديثه بهذه النظريه ما ورد من تفاسيرهم للايات التي وصفت قيام الساعه وذكرناها في مبحث البعث وامارات الساعه ، من نحو قوله تعالى " واذا السماء انشقت "[4] الآيات وما فسروها به من تفسير هو شبيه بتفسير هذه النظريه للحياة الاولى على الارض.

يقول الاستاذ وجدى " ان روح الوجود الذى صور الكائنات كلها على اى اساليب الايجاد شاء - سواء اخلق كلا منها خلقا مستقلا أم اشتق بعضها من بعض على قاعدة التحول التدريجي - لم يقطع امداده لها طرفة عين "[5].

ولنكتف بهذا من بيان تأثر المدرسه العقليه الحديثه ابتداءا من شيخها محمد عبده الى تلاميذه بهذه النظريه الباطله .

ثم أن هذه النظريه ليست الا من قبيل الفرضيات التي لم يقم عليها دليل علمي ولا برهان عقلي بل اصبحت في نظر كثير من العلماء المختصين من النظريات الباطله التي عفى عليها الزمن ووضعها التاريخ في متاحفه وزواياه[6] نقول هذا لاولئك الذين لا يكفيهم ما ذكرناه من آيات تثبت خلق الانسان من طين خلقا متكاملا مستقلا .

ولنذكر هنا ما غفل عنه أرباب المدرسه العقليه الحديثه وغفل عنه ايضا كثير من المتأثرين بهذه النظريه والمخدوعين بها .

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١٦٦ - ١٦٩ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٣١٥ .
(٣) المدنيه والاسلام : محمد فريد وجدى ص ٧١ .
(٤) سورة الانشقاق الآيه الأولى .
(٥) الاسلام دين الهدايه والاصلاح : محمد فريد وجدى ص ١١ .
(٦) شبهات وردود : عبد الله علوان ص : ٩٩ .

ليعلم اولئك القوم ان الذى يقف خلف تلك النظريه الباطله التى تناقض الاديان السماويه انما هي الصهيونيه العالميه التى تخطط من خلف الستار للقضاء على الاديان لا نقول هذا اعتباطا أو تخرصا بل نقوله مستندين الى ما حوته بروتوكولات حكماء صهيون نفسها حيث جاء فى البروتوكول الثاني :-

" لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولا حظوا هنا ان نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل ، والاثر غير الاخلاقي لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الامي (غير اليهودى) سيكون واضحا لنا على التأكيد "(1) .

اذن فليست تلك النظريه ووقوف الصهيونيه العالميه خلفها مع ظهور بطلانها ليست الا ضربه من تلك الضربات التى توجهها الصهيونيه الى الاديان. ولاجل هذا كما يقول ابو الاعلى المودودى رحمه الله تعالى - فان أوربا التى كانت الى ذلك الحين انما تسير الحادها بدون أرجل ، هرولت الى تلقي هذه الارجل الخشبيه بكل قبول ، ووضعتها تحت كل شعبه من علومها الطبيعيه بل وفي فلسفتها واخلاقها وعلومها للعمران مع أنه كان ولا يزال فى هذا التفسير من الوجهه العلميه والعقليه اضطرابات كثيره لا يمكن لعاقل ان يقول معها ان هذا التفسير وجيه أو هو من التفاسير الجديره بالاعتبار "(2) .

ولست فى حاجة بعد هذا الى سوق النصوص الكثيره للباحثين الغربيين فى ابطال هذه النظريه . والله الموفق ...

---

(1) بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمه محمد خليفه التونسى ص ١٢٣ - ١٢٤ .
(2) مجلة الازهر السنه ٤٨ الجزء ٩ ص ١٣٤٣ مقال نظريه داروين : للشيخ ابو الاعلى المودودى .

سادســـا : الملائكـــه

أكد القرآن الكريم على وجوب الايمان بالملائكه المكرمين ، واجمع علمـــاء المسلمين استنادا الى هذا والى السنه النبويه الشريفه على كون الايمان بالملائكه ركنا من أركان الايمان لا يتم ولا يقوم ايمان المرء الا به .

قال تعالى " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضـــل ضلالا بعيدا "(١) وقال سبحانه "آمن الرسول بما انزل اليه من ربه ، والمؤمنـــون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله "(٢) وقال سبحانه " ولكن البر من آمن باللـــه واليوم الآخر والملائكه والكتاب والنبيين "(٣) .

ومن السنه ما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه " بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثيـــاب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ... الى أن قـــال .. قال فأخبرني عن الايمان ؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـــوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " الحديث رواه مسلم والترمذى وابو داود والنسائى وروى البخارى نحوه .

ونصف الملائكه بما وصفهم الله سبحانه وتعالى به فى محكم آياته لا نزيد علـى ذلك لأنه من أمر الغيب الذى لا يعلم الا بدليل من الكتاب أو السنه ،فنكتفـــى بما ورد فيهما من صفاتهم ، وقد ورد فى بيان صفاتهم في القرآن الكريم آيـــات كثيره مجملها :-

١) العبوديه لله عز وجل فليسوا أولادا ولا اندادا له سبحانه وتعالـــى ولا يوصفون بذكورة ولا انوثه قال تعالى " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بـــل عباد مكرمون "(٤) . وقال سبحانه " ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكه والنبيين أربـــابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون "(٥) .

---

(١) سورة النساء من الآيه : ١٣٦ .
(٢) سورة البقره من الآيه ٢٨٥ .
(٣) سورة البقره من الآيه : ١٧٧ .
(٤) سورة الانبياء الآيه : ٢٦ .
(٥) سورة آل عمران الآيه : ٨٠ .

٢) الطاعه التامه لاوامر الله لهم والملازمه لعبادته والدأب على ذكره وتسبيحه وحمده قال تعالى :- " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون "[١] وقال سبحانه " والملائكه يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض "[٢].

٣) ان لهم اجنحه مثنى وثلاث ورباع وليس لنا ان نعلم شيئا عن الصفات التفصيليه لهذه الاجنحه وكيفيتها اذ انهم محجوبون عنا بارادة الله وحكمه ولم يفصل القرآن الخبر عن ذلك[٣] قال تعالى " الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكه رسلا أولى أجنحه مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير "[٤].

٤) انهم قادرون باذن الله على التشكل والظهور بمظهر البشر قال تعالى عن ضيف ابراهيم وهم ملائكه :- " اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون "[٥] وقال سبحانه عن مريم عليها السلام " فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا "[٦] والاحاديث التى تثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل عليه السلام على هيئه رجل ، كثيرة وانه كان يتمثل على صوره دحيه الكلبى .

وأما وظائفهم عليهم السلام فمتعدده ومتنوعه ورد القرآن الكريم بذكر كثير منها فمنهم الموكل بالوحي وهو الروح الامين جبريل عليه السلام قال تعالى " نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين "[٧] وقال سبحانه " قل نزله روح القدس من ربك بالحق "[٨].

---

(١) سورة الانبياء الآيه : ٢٦ .
(٢) سورة الشورى من الآيه : ٥ .
(٣) كبرى اليقينيات الكونيه : محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٩٤ .
(٤) سورة فاطر : الآيه : الاولى
(٥) سورة الذاريات الآيه : ٢٥ .
(٦) سورة مريم من الآيه : ١٧
(٧) سورة الشعراء الآيات: ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ .
(٨) سورة النحل من الآيه : ١٠٢ .

ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه وهو ميكائيل عليه السلام ومنهم الموكل بالصور وهو اسرافيل عليه السلام " ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون "(١) .

ومنهم الموكل بقبض الارواح وهو ملك الموت واعوانه وقد جاء فى بعض الآثار تسميته عزرائيل ، قال الله تعالى " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون "(٢) .

ومنهم الموكل بحفظ العبد فى حله وارتحاله فى يقظته ونومه وفى كل حالاته قال تعالى " له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله "(٣) وقال سبحانه " ويرسل عليكم حفظه "(٤) .

ومنهم الموكل بكتابه اعمال بنى آدم " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ، يعلمون ما تفعلون "(٥) .

ومنهم خزنه الجنه " وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنه زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين "(٦) .

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم وفى يوم القيامه " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكه ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنه التى كنتم توعدون "(٧) وقال سبحانه " لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكه هذا يومكم الذى كنتم توعدون "(٨)

---

(١) سورة الزمر الآيه : ٦٨ .
(٢) سورة السجده الآيه : ١١ .
(٣) سورة الرعد الآيه : ١١ .
(٤) سورة الانعام من الآيه : ٦١ .
(٥) سورة الانفطار الآيات : ١٠و ١١و ١٢ .
(٦) سورة الزمر الآيه : ٧٣ .
(٧) سورة فصلت الآيه ٣٠ .
(٨) سورة الانبياء الآيه : ١٠٣ .

ومنهم خزنه جهنم ومقدمهم مالك عليه السلام " ونادوا يامالك ليقض علينا ربك "[1] .

ومنهم حملة العرش " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا "[2] " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانيه "[3] .

وغير ذلك من الوظائف[4] التى أعدهم الله لها ووكلهم بها لا نثبت منها شيئا ولا نعلمه الا من طريق الوحي . ذلكم مجمل اعتقاد السلف فى الملائكه عليهم السلام - وهو مستمد من الكتاب والسنه الصحيحه أما البحث عما وراء ذلك من ماهيه أجسامهم أو كيفيه اجنحتهم ونحو ذلك فهذا مما لا يجوز الخوض فيه لعدم الدليل . وقد وقع هذا الخوض المذموم الذى لا يستند الى دليل بل يخالف الدليل ويعارضه من طائفه من الفلاسفه فزعموا ان الملائكه قوى معنويه وأن جبريل عليه السلام هو العقل الفعال[5] وهو ما يتخيل من نفس النبى صلى الله عليه وسلم من الصور الخياليه ، وكلام الله يوجد فى نفسه كما يوجد فى نفس النائم[6] .

ويثبت الشيخ محمد عبده فى تفسيره قولين للعلماء فى الملائكه قال عن الأول منهما :-

" أما الملائكه فيقول السلف فيهم : انهم خلق أخبرنا الله تعالى بوجودهم وببعض عملهم فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفه حقيقتهم فنفوض علمها الى الله تعالى ، فاذا ورد ان لهم اجنحه نؤمن بذلك ولكننا نقول انها ليست اجنحه من الريش ونحوه كأجنحه الطيور اذ لو كانت كذلك لرأيناها واذا ورد انهم موكلون بالعوالم الجسمانيه كالنبات والبحار فاننا نستدل بذلك على أن فى الكون عالما آخر ألطف من هذا العالم المحسوس ، وأن له علاقه بنظامه واحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بامكانه لذاته ، ويحكم بصدق الوحي الذى أخبر به " .

---

(١) سورة الزخرف من الآيه : ٧٧ . (٢) سورة غافر من الآيه : ٧ .
(٣) سورة الحاقه من الآيه : ١٧ .
(٤) انظر معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول فى التوحيد : حافظ ابن احمد الحكمى جـ ٢ ص ٧٨ - ٩١ .
(٥) انظر ما كتبناه عن العقل ومراتبه فى الهامش في آخر "الوحي" .
(٦) الكواشف الجليه عن معاني الواسطيه : عبد العزيز المحمد السلمان ص ٣٧ .

ثم قال معلقا " وقد بحث أناس في جوهر الملائكه وحاولوا معرفتهم ولكن من وفقهم الله تعالى على هذا السر قليلون والدين انما شرع للناس كافه ، فكان الصواب الاكتفاء بالايمان بعالم الغيب من غير بحث عن حقيقته لان تكليف الناس هذا البحث أو العلم يكاد يكون من تكليف ما لا يطاق ، ومن خصه الله تعالى بزياده في العلم فذلك فضله يؤتيه من يشاء "(١).

وقد مال الى هذا القول من تلاميذ المدرسه الشيخ عبد القادر المغربي حيث يقول في تفسيره " والملائكة من عالم الغيب الذى نؤمن به ، ولا نكلف انفسنا عناء ما لم يكلفنا اياه الشرع من البحث عنه ، والتفكير في حقائقه فان هذا غير مستطاع لنا ما دمنا في هذه الدار الدنيا "(٢).

ومال اليه ايضا الشيخ شلتوت حيث يقول :- " والمسلمون الذين يؤمنون بأن مصدر العقيده في الشئون الغيبيه هو القرآن وحده - وهو الحق الذى نؤمن به - يقفون فى الايمان بالملائكه عند الحد الذى أخبر به القرآن عنهم اخبارا لا يحتمل التأويل ، ولا يحملون أنفسهم شطط الاعتقاد بما وراء الخبر اليقيني لا من جهة مادتهم (كيفيه خلقتهم) ولا من جهة تشخصهم أو رؤيتهم ، وهم -فى معتقدهم - عالم غيبي لا يعرفه الانسان بادراكه البشرى ، وانما يعرفه عن طريق الخبر الصادق عن الله سبحانه ، وهو ما جاء فى القرآن انهم جند من جنود الله ، حجب حقيقتهم عن الادراك البشرى خاضعون لسلطان الالوهيه العام ، الذى لم يشذ عن الخضوع له شئ فى الطبيعه ، أو فيما وراءها ، وهم وسائل الصله بين الله وخلقه "(٣).

أما الرأى الثاني فى الملائكه فان الشيخ محمد عبده يرويه ناقلا أول الأمر ولكنه يؤيده ويحبذه ويدافع عنه لان فيه تقريب للايمان بالملائكه من عقول الماديين ،

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٥٤ .
(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي ص ٤٦ .
(٣) الاسلام عقيده وشريعه : محمود شلتوت ص ٣٠ .

ثم يزعم أنه لا فرق بين هذا القول وقول السلف ؟ ! فالحقيقة واحده وانما الخلاف في الاسماء ، والعاقل لا تحجبه الاسماء عن المسميات قال عن هذا الرأى : "وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكه وهو أن مجموع ما ورد في الملائكه من كونهم موكلين بالاعمال من انماء نبات وخلقة حيوان وحفظ انسان وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصه بما هو أدق من ظاهر العباره وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتيه المخصوصه وكذلك يقال في الحيوان والانسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمه الالهيه في ايجاده فانما قوامه بروح الهي سمي في لسان الشرع ملكا ومن لم يبال في التسميه بالتوقيف يسمى هذه المعاني القوى الطبيعيه اذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعه أو قوه يظهر أثرها في الطبيعه ، والأمر الثابت الذى لا نزاع فيه هو أن في باطن الخلقه أمرا هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها لا يمكن لعاقل ان ينكره وان انكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا وزعم أنه لا دليل على وجود الملائكه ، أو انكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعيه أو ناموسا طبيعيا لأن هذه الاسماء لم ترد في الشرع - فالحقيقه واحده والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات" (١) ونقل الشيخ احمد مصطفى المراغي هذا الكلام مؤيدا له (٢).

ثم لا يستبعد الشيخ عبده ان تكون الملائكه هي تلك النوازع التي نحس بها عند ما نتردد بين فعل شيء أو تركه :- "يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره عند ما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر بأن في نفسه تنازعا كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى ، فهذا يورد وذاك يدفع ، واحد يقول : افعل وآخر يقول : لا تفعل ، حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشيء الذى أودع في انفسنا ، ونسميه قوة وفكرا - وهو في الحقيقه معنى لا يدرك كنهه ، وروح لا تكتنه حقيقتها - لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكا (أو يسمى

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .
(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ٨٦ - ٨٧ .

اسبابه ملائكه) أو ما شاء من الاسماء فان التسميه لا حجر فيها على الناس فكيف يحجر فيها على صاحب الاراده المطلقه والسلطان النافذ والعلم الواسع "[١].

ويبرر السيد رشيد رضا قول استاذه بـ " ان الامام الغزالي سبق الى بيان هذا المعنى وعبر عنه بالسبب وقال انه سمي ملكا فانه بعد ما قسم الخواطر الى محمود ومذموم قال " ثم انك تعلم أن هذه الخواطر حادثه ، ثم ان كل حادث فلابد له من محدث ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الاسباب هذا ما عرف من سنة الله تعالى فى ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستناره ، وكذلك لانوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا ، وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا ، واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقا ، والذى يتهيأ به لقبول الشر يسمى اغواء وخذلانا ، فان المعاني المختلفه تحتاج الى اسامي مختلفه " أ.هـ[٢].

ثم يطبق الشيخ محمد عبده هذا المفهوم على قوله تعالى " واذ قلنا للملائكه اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين "[٣] فيقول :-

" فاذا صح الجرى على هذا التفسير فلا يستبعد ان تكون الاشاره فى الآيه الى ان الله تعالى لما خلق الارض ودبرها بما شاء من القوى الروحانيه التى بها قوامها ونظامها ، وجعل كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات لا يتعداه ولا يتعدى ما حدد له من الأثر الذى خص به ، خلق بعد ذلك الانسان واعطاه قوه يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها فى عمارة الارض ، وعبر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذى يفيد معنى الخضوع والتسخير، وجعله بهذا الاستعداد الذى لا حدّ له والتصرف الذى لم يعط لغيره خليفه الله فى الارض لانه اكمل الموجودات فى هذه الارض واستثنى من هذه القوى قوه

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٦٨ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
(٣) سورة البقره : الآيه : ٣٤ .

واحده عبر عنها بابليس وهي القوه التى تعارض فى اتباع الحق وتصد عن عمل الخير وتنازع الانسان فى صرف قواه الى المنافع والمصالح التى تتم بها خلافته فيصل الى مراتب الكمال الوجودى التى خلق مستعدا للوصول اليها "[1] ونقل الشيخ احمد مصطفى المراغي هذا القول مؤيدا له[2] ثم زعم كشيخه ان هذا التأويل غير مخالف للدين مادام القلب مطمئنا الى هذا المفهوم والنفس راضيه به قال :-

" ولو أن نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد فى الدين ما يمنعها من ذلك والعمده على اطمئنان القلب وركون النفس الى ما ابصرت من الحق[2] " .

وبين السيد رشيد غرض استاذه وشيخه من هذا التأويل بقوله " ان غرض الاستاذ من هذا التأويل الذى عبر عنه بالايماء وبالاشاره اقناع منكرى الملائكه بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم ، وقد اهتدى به كثيرون ، وضل به آخرون فانكروا عليه وزعموا أنه جعل الملائكه قوى لا تعقل "[3] .

وردّ الشيخ عبده على اولئك المنكرين عليه تأويله بقوله :- " ولست احيط علما بما فعلت العاده والتقاليد فى انفس بعض من يظنون انهم من المتشددين فى الدين اذ ينفرون من هذه المعاني كما ينفر المرضى والمخدجون من جيد الاطعمه التى لا تضرهم ، وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ، ويتشبثون بأوهام مألوفه لهم تشبث اولئك المرضى والمخدجين بأضر طعام يفسد الاجسام ، ويزيد السقام ، لا اعرف ما الذى فهموه من لفظ روح أو ملك وما الذى يتخيلونه من مفهوم لفظ قوه ، أليس الروح فى الآدمي مثلا هذا الذى يظهر لنا فى افراد هذا النوع بالعقل والحس والوجدان واراده والعمل ، واذا سلبوه سلبوا ما يسمى بالحياة ؟ أو ليست القوه هي ما تصدر عنه الآثار فيمن وهبت له ، فاذا سمى الروح لظهور أثره قوة أو سميت القوه لخفاء حقيقتها روحا ، فهل يضر ذلك بالدين أو ينقص معتقده شيئا من اليقين ؟ " ثم قال " .. لو أن مسكينا من عبدة الالفاظ من اشدهم ذكاء وأذربهم لسانا أخذ بما قيل له ان الملائكه اجسام نورانيه قابله للتشكل ثم تطلع عقله الى ان يفهم معنى

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٦٩ وتفسير المراغي جـ ١ ص ٨٧ .

(٢) انظر تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ١ ص ٨٧ .

(٣) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧٠ .

نورانية الاجسام ، وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا بدون أن يقوم بجرم آخر كثيف ثم ينعكس عنه كذبا له المصباح أو سلك الكهرباء ؟ ومعنى قابلية التشكل وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من الصور مختلفة حسبما يريد وكيف يكون ذلك ؟ ألا يقع في حيرة ولو سئل عما يعتقده من ذلك ألا يحدث في لسانه من العقد ما لا يستطيع حله ؟ أليس مثل هذه الحيرة يعد شكا ؟ نعم ليست هذه الحيرة حيرة من وقف دون ابواب الغيب يطرف لما لا يستطيع النظر اليه ،لكنها حيرة من أخذ بقول لا يفهمه وكلف نفسه علم ما لا تعلمه فلا يعد مثله ممن آمن بالملائكة ايمانا صحيحا وأطمأنت بايمانه نفسه ، واذعن له قلبه ولم يبق لوهمه سلاح ينازع به عقله كما هو شأن صاحب الايمان الصحيح ، فليرجع هؤلاء الى انفسهم ليعلموا ان الذى وقر فيها تقاليد حفت بالمخاوف لا علوم حفت بالسكينة والطمأنينة " ثم قال " .. هذه القوى التى نرى آثارها فى كل شيء يقع تحت حواسنا وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل أدق الباحثين فى بحثه عنها الا الى آثار تجل اذا كشفت وتقل بل تضمحل اذا حجبت وهي التى يدور عليها كمال الوجود ، وبها ينشأ الناشيء ، وبها ينتهى الى غايته الكامل كما لا يخفى على نبيه ولا خامل ، أليست اشعة من ضياء الحق ؟ أليست أجل مظهر من مظاهر سلطانه ؟ ألا تعد بنفسها من عالم الغيب وان كانت آثارها من عالم الشهاده ؟ ألا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها لا تدرك كنهه لاحتجابه بما نتصوره من حياتنا واختيارنا ؟ ألا تراها توافي بأسرارها من ينظر فى آثارها ويوفيها حق النظر فى نظامها ؟ يستكثر من الخير بما يقف عليه من شؤونها ، ومعرفة الطريق الى استدرار منافعها ؟ "[1].

أما تمثل الملك الذى اشار اليه فى قوله هذا فقد وضحه فى موضع آخر بما تشعر منه انه يقلل من شأن ادلة اثباته عند السلف لكونهم " يكتفون " فى اثباته بكذا ولعل ذلك الوصف يحمل بين طياته عدم الاقتناع العقلى الذى يبحث عنه هو واضرابه .

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧٢ .

هذا ان سلمنا له ذلك .

قال " وأما تمثل الملك فكانوا يكتفون فى اثباته بقولهم : أنه ممكن فى نفسه وقد أخبر به الصادق فوجب تصديقه . ونقول اليوم : ان العلوم الكونية لم تبق شيئا من اخبار عالم الغيب غريبا الا وقربته الى العقل بل والى الحس تقريبا ، بل ظهر من الاختراعات الماديه المشاهده في هذا العصر ما كان يعد عند الجماهير محالا في نظر العقل لا غريبا فقط ، فاذا كان الانسان الكيميائى يحلل الاجسام الكثيفه حتى تصير غازات لا ترى من شده لطفها ، ويكثف العناصر اللطيفه فتكون كالجامده بطبعها فكيف يستغرب تكثيف الملك لنفسه ، وهو من الارواح ذات المره والقوه العظيمه يأخذه من مواد العالم المنبثه فيه هيكلا على صورة الانسان مثلا ؟ دع مخترعات الكهرباء العجيبه التى لا يوجد شىء مما أخبر به الرسل من عالم الغيب الا وفيها نظير له يقربه من الحس لا من العقل وحده ، وهل الكهرباء الا قوه مسخره للملائكه ؟ ودع ما يثبته الالوف من علماء الامم كلها من تمثل بعض أرواح البشر لبعض الناس فى صور كصور الاجساد "(١) .

ثم يبسط الشيخ عبده معتقده فى الملائكه فيقول " ... أفلا تزعم أن لله ملائكه فى الارض وملائكه فى السماء ؟ هل عرفت اين تسكن ملائكه الارض ؟ وهل حددت امكنتها ، ورسمت مساكنها ؟ وهل عرفت اين يجلس من يكون منهم عن يمينك ؟ ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى أجسامهم النورانيه تضىء لك فى الظلام أو تؤنسك اذا هجمت عليك الاوهام ؟ فلو ركنت الى أنها قوى أو ارواح منبثه فيما حولك ، وما بين يديك وما خلفك ، وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعباره التى تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك ، وترك لك النظر فيما تطمئن اليه نفسك من وجوه تعرفها ، أفلا يكون ذلك أروح لنفسك ، وادعى الى طمأنينة عقلك ؟ أفلا تكون قد ابصرت شيئا من وراء حجاب ووقفت على سر

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

من اسرار الكتاب ؟ فان لم تجد في نفسك استعدادا لقبول أشعة هذه الحقائق وكنت ممن يؤمن بالغيب ويفوض في ادراك الحقيقه ويقول (آمنا به كل من عند ربنا) فلا ترم طلاب العرفان بالريب مادامو يصدقون بالكتاب الذى آمنت به ، ويؤمنون بالرسول الذى صدقت برسالته ، وهم في ايمانهم أعلى منك كعبا ، وأرضى منك بربهم نفسا ، ألا ان مؤمنا لو مالت نفسه الى فهم ما انزل اليه من ربه على النحو الذى يطمئن اليه قلبه كما قلنا كان من دينه في ثقه ، ومن فضل ربه في سعة "(١).

ويؤيده تلميذه السيد رشيد فى هذا التأويل حيث يقول انه " .. أراد بهذا ان يحتج على الماديين ويقنعهم بصحه ما جاء به الوحي من طريق علمهم المسلم عندهم .. فانكره عليه عباد الالفاظ وهم لا يعقلون مراده ، وهو بمثل هذه الاساليب فى الاقناع بحقية الدين كان حجة لله فى هذا العصر : حتى قال له أحد نوابغ رجال القضاء والاذكياء انك بتفسيرك للقرآن بالبيان الذى يقبله العقل ولا يأباه العلم قد قطعت الطريق على الذين يظنون انه قد اقترب الوقت الذى يهدمون فيه الدين ويستريحون من قيوده وجهل رجاله وجمودهم "(٢).

أما تمثل الملائكه للانبياء عليهم السلام فيقول الشيخ عبده عنه " أما تمثل الصوت واشباح لتلك الارواح فى حس من اختصه الله بتلك المنزله فقد عهد عند اعداء الانبياء ما لا يبعد عنه فى بعض المصابين بأمراض خاصه على زعمهم فقد سلموا ان بعض معقولاتهم يتمثل فى خيالهم ويصل الى درجة المحسوس ، فيصدق المريض فى قوله انه يرى ويسمع ، بل يجالد ويصارع ، ولا شيء من ذلك فى الحقيقه بواقع ، فان جاز التمثل فى الصور المعقوله ولا منشأ لها الا فى النفس وان ذلك يكون عند عروض عارض على المخ ، فلم لا يجوز تمثل الحقائق المعقوله

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧٣ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٧٤ .

فى النفوس العاليه ، وان يكون ذلك لها عند ما تنزع عن عالم الحس ، وتتصل بحظائر القدس وتكون تلك الحال من لواحق صحة العقل في اهل تلك الدرجه لاختصاص مزاجهم بما لا يوجد في مزاج غيرهم ؟ وغاية ما يلزم عنه ان يكون لعلاقة أرواحهم بأبدانهم شأن غير معروف فى تلك العلاقه من سواهم وهو مما يسهل قبوله بل يتحتم لان شأنهم فى الناس ايضا غير الشئون المألوفه ، وهذه المغايره من اهم ما امتازوا به وقام منها الدليل على رسالتهم والدليل على سلامة شهودهم وصحة ما يحدثون عنه أن أمراض القلوب تشفى ببدوائهم وان ضعف العزائم والعقول يتبدل بالقوه فى اممهم التى تأخذ بمقالهم ، ومن المنكر فى البديهه ان يصدر الصحيح من معتل ويستقيم النظام بمختل "[1] .

ذلكم ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده وتلميذاه السيد رشيد رضا والشيخ احمد مصطفى المراغي في أمر الملائكه وليس لنا من تعليق اكثر مما اجملنا ذكره عن الملائكه من آيات فى القرآن الكريم عليها وعلى امثالها من الآيات قام معتقد اهل السنه والجماعه .

وما عدا ذلك مما ذكره الشيخ محمد عبده وتلاميذه لا يقوم على أى مستند من الكتاب أو السنه بل هو من الخوض فى أمور لا تدرك الا بالوحي اكتفوا باستقائه من خيالاتهم وتبلبل افكارهم واضطراب عقائدهم .

بل ان ما ذكروه يخالف القرآن الكريم ويشكك فى معتقد أولئك القوم الذين استمدوا عقيدتهم من القرآن الكريم فاعتقدوا ان الملائكه قابله للتشكل والظهور بمظهر البشر كما اسلفنا حيث يقول " وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا بدون ان يقوم بجرم آخر كثيف ثم ينعكس عنه كذبا له المصباح أو سلك الكهربا ؟ ومعنى قابليه التشكل وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من الصور مختلفه حسبما يريد وكيف يكون ذلك ؟ ألا يقع فى حيره ، ولو سئل عما يعتقده من ذلك ألا يحدث فى لسانه من العقد ما لا يستطيع حله ؟ اليس مثل هذه الحيره بعد شكا ؟ "[2].

---

(١) رسالة التوحيد : محمد عبده ص ١١٢ - ١١٣ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧١ .

ويشكك فى موضع آخر من غير تصريح بذلك في قوله تعالى " اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد "[1] ونحو ذلك من الآيات فيقول " أفلا تزعم ان لله ملائكه فى الارض وملائكه فى السماء ؟ هل عرفت اين تسكن ملائكه الارض ؟ وهل حددت امكنتها ورسمت مساكنها وهل عرفت اين يجلس من يكون منهم عن يمينك ؟ ومن يكون عن يسارك ؟ هل ترى اجسامهم النورانيه تضىء لك فى الظلام أو تؤنسك اذا هجمت عليك الاوهام ؟ فلو ركنت الى انها قوى أو ارواح منبثه فيما حولك ، وما بين يديك وما خلفك وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك وبالعباره التى تلقفتها عنهم كيلا يوحشك بما يدهشك ، وترك لك النظر فيما تطمئن اليه نفسك من وجوه تعرفها . أفلا يكون ذلك أروح لنفسك ، وأدعى الى طمأنينه عقلك ؟ أفلا تكون قد ابصرت شيئا من وراء حجاب ووقفت على سرّ من اسرار الكتاب "[2].

ماذا يريد الشيخ عبده بهذا التأويل وهذا المفهوم ؟ هل يريد ان يؤكد لنا مرة أخرى تكذيبه للقرآن الكريم كما كذب بقصصه بحملها على التمثيل لا على الحقيقه والواقع ؟ ! ماذا يريد بزعمه هذا ؟ هل يريد ان يقول ان القرآن لم يخبرنا عن الحقيقه فى أمر الملائكه بل اخبرنا بألفاظ كانت مألوفه ومعروفه حتى لا تصيبنا " الوحشه والدهشه " اذا ما اخبرنا بحقيقتهم ، وأن القرآن ترك لنا النظر فى الوصول الى " ما تطمئن اليه نفوسنا " حتى ولو وصلت الى ما يخالف القرآن ؟!

ذلكم ما يدل عليه كلامه شاء ذلك أم أبى وأحسبه لا يأبى ذلك لأنه بادر الى تطبيق معتقده وحمل أمر سجود الملائكه لآدم عليهم السلام على التمثيل كما نقلنا عنه ذلك .

وما اصدق محمد الصادق عرجون في وصف مذهب الشيخ عبده وتلاميذه بقوله " ان هذا الطريق فى تفسير آيات القرآن الحكيم بتسليط التأويل على كل ما يتعاصى فهمه على بعض العقول واحالة أو استبعاد ظاهر المعنى الى ضرب من التمثيل ،

---

(١) سورة ق : الآيه ١٧ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٧٣ .

هو الذى يخشى أن ينفذ منه (المتقرمطون) الى تحريف كلم الله عن مواضعها ابتغاء فتنة الجماهير من عامة المؤمنين .. ان هذا القرآن العظيم أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين هدى للناس ورحمه ، ولم ينزله بالاشارات والرموز والايحاءات .. "[1].

ثم ما الفرق بين من ينكر وجود الملائكه وبين من يزعم انها قوى طبيعيه مادام منكر الملائكه يقر ويعترف بوجود قوة نمو فى النبات وخلقه فى الحيوان وحفظ فى الانسان ولكنها قوى طبيعيه لا ينطبق عليها ما ورد فى القرآن الكريم من اوصاف للملائكه ؟ !

ان الأمر لا يعدو محاوله يائسه من أولئك المنهزمين أمام الماديين لتقريب عقيدة الايمان بالملائكه الى اذهانهم ولكنها محاوله اخرجتهم من عقيده السلف العقيده الصحيحه فى الايمان بالملائكه الى عقيده باطله وغير مقنعه ايضا لاولئك الماديين ، فضاع المنهزمون بين العقيدتين كالعنز الجرباء فى الشمأل البليل .

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل ...

---

(١) نحو منهج لتفسير القرآن : محمد الصادق عرجون ص ٣٩ - ٤٠ .

سابعا : الجـــن

أما وجودهم فقد دل القرآن الكريم عليه ، صراحة فى آيات كثيره قـــال تعالى " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " (١) .

وورد فيه من صفاتهم ما نذكر منه هنا اثباتا لعقيده السلف الصحيحـــه المستمده من القرآن الكريم - فيهم ، فمن ذلك :-

١ - انهم خلقوا من نار ،

قال تعالى " والجان خلقناه من قبل من نار السموم " (٢) وقال سبحانه " وخلق الجان من مارج من نار " (٣) .

٢ - ان الله ارسل اليهم رسلا ،

قال تعالى " يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكـــم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا " (٤) .

٣ - ان منهم مؤمن ومنهم كافر ،

قال تعالى حكايه عنهم " وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائـــق قددا " (٥) " وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون " (٦) .

٤ - ان منهم شياطين كشياطين الانس يوسوسون فى الصدور ،

قال تعالى " قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوســـواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنه والناس " (٧) .

٥ - ان الله يعاقب العصاة منهم بالنار كالعصاه من الانس :

قال تعالى " وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنه والناس اجمعين " (٨) .

٦ - ان الله اعطاهم قوه لا توجد فى الانس ،

قال سبحانه " قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتونـــى مسلمين * قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين " (٩)

---

(١) سورة الذاريات الآيه : ٥٦ .
(٢) سورة الحجر الآيه : ٢٧ .
(٣) سورة الرحمن الآيه : ١٥ .
(٤) سورة الانعام من الآيه : ١٣٠ .
(٥) سورة الجن الآيه : ١٢ .
(٦) سورة الجن من الآيه : ١٥ .
(٧) سورة الناس .
(٨) سورة هود من الآيه : ١١٩ .
(٩) سورة النمل الآيتين : ٣٨-٣٩ .

وقال سبحانه عن الجن فى ملك سليمان عليه السلام" يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات "(١) .

٧ - ان قدرتهم ناقصه ،

قال تعالى" يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان "(٢) .

٨ - لا يعلمون الغيب ،

قال تعالى " وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا "(٣) وقالوا " وانا لا ندرى أشر أريد بمن في الارض أم اراد بهم ربهم رشدا "(٤) .

٩ - انهم يتزوجون ،

قال سبحانه عن الحور العين " لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان "(٥)

١٠ - انهم يتناسلون ،

قال سبحانه " واذ قلنا للملائكه اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا "(٦) .

١١ - انهم يروننا من حيث لا نراهم ،

قال سبحانه " يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنه ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم"(٧) ولا تدل الآيه هذه على عدم امكان رؤيتهم اذ لو كان ذلك هو المراد لقال انه يراكم هو وقبيله ولا ترونهم ولكنه سبحانه قال" من حيث لا ترونهم " فدل - فيما نرى - على ان عدم رؤيتنا لهم مخصوص فى بعض حالاتهم ، ذلكم ان الله اعطاهم قدرة على ان يتشكلوا باشكال لا نستطيع رؤيتهم بها واعطاهم قدره على ان يتشكلوا باشكال نستطيع رؤيتهم بها ، وهم فى الحاله الاولى يستطيعون رؤيتنا من حيث لا نراهم كما لو نظرت الى انسان من مكان لا يمكنه رؤيتك منه فانك تستطيع القول انى أراه من حيث لا يراني ولا يعنى هذا عدم امكان رؤيتك فى حالات أخرى .

---

(١) سورة سبأ من الآيه : ١٣ .
(٢) سورة الرحمن الآيه : ٣٣ .
(٣) سورة الجن الآيه : ٧ .
(٤) سورة الجن الآيه : ١٠ .
(٥) سورة الرحمن الآيه : ٧٤ .
(٦) سورة الكهف الآيه : ٥٠ .
(٧) سورة الاعراف من الآيه : ٢٧ .

والا فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قد رآهم واجتمع بهم ورآهم بن مسعود رضى الله عنه ، بل وكثرت الروايات والقصص والأخبار عنهم وكثرت اسماؤهم وانواعهم ورآهم كثير من الناس قديما وحديثا ، وان أمكن نسبة آحاد منه الى الكذب أو الوهم فانه لا تمكن نسبته كله الى ذلك ولا يمكن تواطؤهم عليه .

ذلكم مجمل ما ورد من صفاتهم فى القرآن الكريم وقد ورد من صفاتهم فى السنه النبويه الصحيحه انهم يأكلون فقد سألوه صلى الله عليه وسلم الطعام فقال لهم " لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى ايديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعره أو روثه علف لدوابكم " أخرجه احمد ومسلم وابوداود والترمذى وقال حسن صحيح .

ذلكم مجمل معتقد السلف فى أمر الجن ولا يصفونهم بأكثر مما وصفهم به القرآن الكريم والسنه النبويه المطهره لانهم من أمور الغيب الذى لا يمكن ادراكه الا بالوحي .

وقد انكرت طائفة من الناس كالماديين وجود الجن واحوالهم وزعموا وبئس ما زعموا انه لا يصح الايمان بذلك الا بواسطه التجربه والمشاهده بل يجب ان يقوم الايمان بذلك على تجارب يمكننا تكرارها اليوم مؤملين ان نزيد عليها غدا ؟!

ذلكم شرطهم فى اثبات وجود الجن ونحوهم وهو شرط لا يقوم على قواعد ثابته بل ينقضه ايمان الشخص كل شخص بوجود اشياء لا تستوفى هذا الشرط ليس هذا مجال مناقشه ذلك ومع تهافت هذا الشرط ومخالفته للحقائق الا أنا نرى بعض المنتسبين للاسلام يشيدون به ؟!

فقد اشاد به الاستاذ محمد فريد وجدى حيث يقول " هذا شرط العلم فى قبول الاصول الاعتقاديه وهو شرط لا يجوز الاستخفاف به ولا اغفاله لأن العلم آخذ فى الانتشار بخطوات واسعه واساليبه المحرره وآثاره الفاتنه أثرت فى العقول ابلغ تأثير ، وانتشرت معها شبهات لم تدع محلا للعقيده فى العقول وضعفت حجة الاعتقاديين أمام هذا التحدى ضعفا ظهرت نتائجه فى الجماعات "[1] .

(١) مجله الرساله السنه ١٣ العدد ٦٠٢ ص ٥٨ مقال " الدين فى معترك الشكوك " للاستاذ محمد فريد وجدى .

ذلكم ما رآه الاستاذ وجدى ولا ادرى كيف سوغ لنفسه القول " هذا شرط العلم فى قبول الاصول الاعتقاد يه " هل أخبره العلم بهذا الشرط أم سمعه من أفواه الماديين ؟ !

كان الاحرى والاصوب ان يقول " هذا شرط الماديين فى قبول الاصول الاعتقاديه " فهم الذين قالوا ذلك وهم الذين اشترطوه ولم يشترطه العلم ولا أهل العلم .

ولكن اعجاب الاستاذ وجدى بالمدنيه والحضاره الغربيه الحديثه جعله ينسب كل مايسمعه منهم الى العلم واعطاه رتبة القداسه ف " لا يجوز الاستخفاف به ولا اغفاله ".

ورفع رجال العلم أولئك الى درجة الانبياء ؟ حيث يقول " هؤلاء الرجال الثلاثه غاليليه وديكارت ونيوتن قد يعتبرون اكبر رجال العلم أوجدهم الخالق ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور " (١) .

وزعم وبئس ما زعم ان الماديين بهذا الشرط الذى اشترطوه لقبول مقررات الدين قد ظهروا على خصومهم ومازالوا ظاهرين حتى سنه ١٨٤٦م (؟ !) ولندعه يوضح لنا ذلك .

" وقد اتخذ الماديون فى اوربا هذا الأمر - يعنى شرط العلم السابق - سلاحا لمقاتله الدينيين والنعي عليهم فلم يجئ القرن التاسع عشر حتى كان انصار الدين فى ضعف مطلق أمام خصومهم وظهرت المبادئ الماديه ظهورا لا مزيد عليه وتذرعوا بهذا السلاح لنكران الخالق والروح والخلود لخروج هذه العقائد عن دائره اختصاص العلم ، ومازال الماديون ظاهرين على خصومهم حتى ظهرت المباحث الروحانيه فى سنه ١٨٤٦م بأمريكا أولا ثم انتقلت منها الى اوربا " (٢) (٣)

---

(١) دائره معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدى ماده (علم) ج ٦ ص ٥٩٩ .
(٢) المرجع السابق ج ٦ ص ٥٨٤ - ٥٨٥ .
(٣) ويجب ان نعرف ان أمريكا أولا ثم أوربا هي منطقه نفوذ الصهيونيه العالميه التى تسعى الى بث مثل هذه الشعوذات فى العالم غير الاممي - غير اليهودى - لهدم الاديان .

ثم أحس بخطوره ما قال وما قرر فأراد ان يخفف الوطء فقال " ومراد نا بالدين الدين المطلق لا دينا خاصا ، فصارت العقائد الاوليه العامه لجميع الاديان مثل الروح والخلود وعلم الملأ الاعلى مما يدخل فى دائره اختصاص العلم "(١) .

بقى أن اقول ترى وان ثبت - بل ثبت - ان تحضير الارواح من امور الشعوذه والدجل الذى ليس هذا مجال اثباته - ان ثبت هذا هل يعود الظهور للماديين على المتدينين كما كانوا قبل عام ١٨٤٦م ؟!

لم يكن هذا القول ونحوه معتقد السيد وجدى وحده ولنقرأ للشيخ احمد مصطفى المراغي ما يراه فى الموضوع عند تفسيره لسورة الجن قال عن عالم الجن " وهو عالم لم يعرف فى الاسلام الا من طريق الوحي وليس للعقل دليل عليه ، ولقد اصبحت هذه العوالم المستتره عنا الشغل الشاغل اليوم للعلماء والباحثين فصار علماء أوروبا يدرسون عالم الملائكه وعالم الجن وعالم الارواح ، ويطلعون على غوامض هذه العوالم ، فتحدث الناس مع أرواح اصحابهم الذين ماتوا ، واتصل العالم الانسي بالعالم الجنى ، وبعالم الارواح الطاهره وهم الملائكه "(٢) .

ثم قال " واعلم أن ما جاء فى هذه السوره من السمعيات التى لا دليل عليها من العقل قد بقي في الاسلام حوالى اربعة عشر قرنا تتلقاه الأمه بالقبول جيلا بعد جيل دون بحث عن حقائقه حتى عنى علماء أوربا فى العصر الحديث بالبحث عنه .. "(٣)

ذلكم ما اعتقدوه فى تحضير الارواح انها الدليل العلمي لاثبات عالم الملائكه وعالم الجن وعالم الارواح بل والامور الغيبيه كلها .

ولن نذهب فى اثبات بطلان هذه المباحث الروحيه وشعوذتها بل نكتفى بنقل نص من نصوص الارواح المزعومه نقله الاستاذ وجدى نفسه وهو حين ينقله فانه ينقله

---

(١) دائره معارف القرن العشرين : محمد فريد وجدى ماده (علم) جـ٦ صفحه ٥٨٤ - ٥٨٥ .

(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٢٩ ص ٩٣ .

(٣) المرجع السابق جـ ٢٩ ص ٩٤ .

نقل المؤمن به والمصدق له كيف لا ؟ وهو من ابحاث رجال العلم فى أوروبا واحرارا الافرنج .

نقل وجدى عن الارواح المزعومه قولها " نحن مرسلون من عند الله كما ارسل المرسلون من قبلنا غير ان تعاليمنا أرقى من تعاليمهم[1] فالهنا هو الههم الا ان الهنا اظهر من الههم وأقل صفات بشريه واكثر خصائص الهيه "[2] " لا تخضع لأيه عقيده مذهبيه ولا تقبل بلا بصر ولا رويه تعاليم لا تستند على العقل . ولا تأخذ بلا تحفظ وحيا جاء لاحوال خاصه فى عصر من العصور[1] ... وستعلم بعد ان الوحي لا ينقطع ابدا وهو آخذ فى الترقى ولا وقت له ولا حدّ وليس هو بامتياز لأمه دون أمه ولا شخص دون شخص . والله يكشف نفسه للانسان شيئا فشيئا "[3] .

وعلى كل حال فاني ما نقلت عن هذين ما نقلت وأنا أقصد الرد عليهما وعلى امثالهما فى هذا الموضوع لأن نقل بعض النصوص مجرد نقل فيه الكفايه لادراك المسلم الواعي العارف لدينه بطلانه ، ويعرف منه ايضا درجة ايمان معتقديه - وهذا ما قصدت اليه وأرى فيه كفايه .

ولنواصل الحديث بعد هذا مع بقية رجال المدرسه ولنذكر ما رأواه من أدله في اثبات وجود الجن .

وقد حاول الشيخ عبد القادر المغربي ان يصبغ دليله بصبغه الدليل العلمي الحديث تقريبا لعقول الماديين ومقلديهم فقال فى تفسير سورة الجن " ان وجود قوى روحانيه وعوالم غيبيه استترت عن حواسنا بأعيانها ، وتجلت لنفوسنا بآثارها ، وما تواتر من أخبارها أمر محقق لا ريب فيه ، ولنضرب لها مثلا القوات الطبيعيه التى كانت مجهوله للبشر منذ أقدم أزمنه التاريخ ، كالكهربائيه التى لو قصّ قاص

(١) هذا هو الهدف الذى تحلم الصهيونيه العالميه بالوصول اليه وجندت كل وسائلها واجهزتها لبلوغه الغاء الاديان كافه وتسليم العالم اجمع لقيادتهم وتعاليمهم جربوا ولا زالوا الماسونيه وجربوا كذلك التقريب بين الاديان وجربوا تحضير الارواح ولا تزال فى الأمر بقيه فهل من وعاة دعاة ؟ !

(٢) مجله المقتطف فبراير ١٩٢٠ ص ١٤٧ مقال اثبات الروح بالمباحث النفسيه : محمد فريد وجدى .

(٣) المقتطف فبراير ١٩٢٠ : المقال السابق ص ١٤٩ .

ما سيكون من أمرها وغريب أعمالها على البشر وهم فى طور سذاجتهم لعدوه كذبا حبريتا [1] وما نعرفه اليوم من خواص الكهربائيه قليل بالنسبه الى ما ينتظر ان يعرف منها في المستقبل ، وما يدرينا ان يخلف الكهربائيه قوة أو قوات أخرى اغرب منها واعجب ، وهذا الراد يوم على الابواب " ثم قال " واذا كنا لا نصدق الا ما نشعر به بحواسنا فهذه أرواحنا التى فى ابداننا لا نراها ولا نسمعها ولا نشمها ولا نذوقها ولا نلمسها ، ولكننا نؤمن بوجودها ونعترف بعالمها فما عدا ممّا بدا ؟

وبعد فان عالم الجن كعالم الملائكه ،من المغيبات التى أمرنا بالايمان بها ، ولم نكلف رحمة بنا أن نروى من أخبارها واطوارها اكثر مما ذكره الوحي لنا ، فلنعقل منه ما نعقل ، ولنكل أمر ما لا نعقل الى الله فهو سبحانه وتعالى القادر على ان يعرفنا في مستقبل الزمان من أمره ، ويكشف لنا من مكنون سره ما يكون عقدة اتصال بين العلم الصحيح والوحي الصريح " [2] .

وجعل الشيخ محمود شلتوت الايمان بوجود الملائكه والجن ونحوهم من الأمور التى فطر عليها الناس حيث قال " فطر الناس على أن فى العالم خلقا آخر غير الانسان يعرفونه بآثاره ولا يرون أشباحه ولا يعرفون حقيقته ، وقد صرحت بذلك جميع الكتب السماويه بعبارات واضحه لا تحتمل التأويل كما صرحت بالعناوين الخاصه بهذا الخلق فذكرت الملائكه . . . وذكرت الجن وجعلتهم نوعا مقابلا للانسان يند رجان تحت عنوان " الثقلين " " [3] ثم قال " واذن فليس فى وجود الجن شك وليس فى تحميلهم شرائع الله ورسالاته شك وليس فى مسئولياتهم ومؤاخذتهم بالتقصير شك ، وليس فى استعدادهم لاستماع القرآن وتلقيه وفهمه وتدبره والتأثر به شك فكل هذا حق لا ريب فيه ومن لم يؤمن به فليس بمؤمن بالقرآن ولا برسالة السماء وان محاولة تأويل شئ منه تحريف للكلم عن مواضعه ، وسلخ للالفاظ عن معانيها ، وضيق عطن

---

(١) كذب حبريت : خالص مجرد لا يستره شئ . . ويقال ايضا كذب بحريت .
(٢) تفسير جزء تبارك : عبد القادر المغربي : ص ٦٧ .
(٣) الى القرآن الكريم : محمود شلتوت ص ١٥٦ .

من المولعين بانكار ما لا يدركه الحس "[1] .

ورد السيد رشيد رضا على اولئك الماديين الذين انكروا الجن فقال :-

" والماديون المحجوبون ينكرون مثل هذا " ومن جهل شيئا عاداه " ولو قيل لمن كان على شاكلتهم قبل كشفهم هذه الجنه (الميكروبات) ان في العالم انواعا كثيره من المخلوقات الخفيه التى لا يمكن ان يراها أحد بعينيه هي سبب الادواء والامراض التى لا تحصى ، وهي سبب التغيّرات والاختمارات التى نراها في المائعات والفواكه وغيرها - لقالوا انما هذه خرافه من الخرافات "[2] .

هذا ما قالوه من ناحية مبدأ الوجود أما من ناحية حقيقة خلقهم وكيفيته فبالاضافه الى توقفهم في ذلك الا انهم لا يرون مانعا من احتمال كون هذه الجراثيم والميكروبات نوعا من انواع الجن الكثيره المتعدده الانواع .

حيث يقول السيد رشيد " وقد كان غير المسلمين يعدون من هذا القبيل -أى من قبيل الخرافات - حديث ابي موسى " الطاعون وخزاعدائكم من الجن وهو لكم شهاده " رواه الحاكم وصححه ، ثم صاروا بعد اكتشاف باشلس الطاعون يتعجبون منه بصدق كلمة " الجن " على ميكروب الطاعون كغيره ، وقد ورد ان الجن انواع منها ما هو من الحشرات وحشائش الارض "[3] .

ويقول فى موضع آخر " وفعل جنة الشياطين فى انفس البشر كفعل هذه الجنه التى يسميها الاطباء الميكروبات فى اجسادهم وفى غيرها من اجسام الاحياء تؤثر فيها من حيث لا ترى فتتقى "[3] .

ويقول " وقد قلنا في المنار غير مره أنه يصح ان يقال ان الاجسام الحيه الخفيه التى عرفت في هذا العصر بواسطه النظارات المكبره وتسمى بالميكروبات يصح ان تكون نوعا من الجن وقد ثبت انها علل لاكثر الامراض ، قلنا ذلك فى تأويل

---

(١) الى القرآن الكريم : محمود شلتوت : ص ١٥٦ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٣١٩ .
(٣) المرجع السابق : جـ ٨ ص ٣٦٤ .

ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن ، على اننا نحن المسلمين لسنا في حاجة الى النزاع فيما اثبته العلم وقرره الاطباء أو اضافة شيء اليه مما لا دليل عليه لاجل تصحيح بعض الروايات الآحادية فنحمد الله تعالى ان القرآن أرفع من أن يعارضه العلم "[1].

وقد يستدل مستدل بنوع من الادلة يحسبه مؤيدا لما ذهب اليه السيد رشيد رضا من نحو :

أولا : قوله تعالى " الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس "[2] والمراد بالمس الصرع وهو من الامراض العصبية وسببها باذن الله تلك الجراثيم التى تدخل جسم الانسان .

ثانيا : قوله تعالى " انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم "[3] وتلك الميكروبات ترانا من حيث لا نراها ولكن الله سبحانه مكننا من رؤيتها بالمكبرات .

ثالثا : الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وابوداود وابن ماجه والدارمي واحمد وجاء فيه " ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم " ولا شك ان الجراثيم تلك تجرى فى خلايا جسم الانسان وفي دمه حيث تنقل الامراض وحيث تسرى فى البدن مع ان المراد به فى الحديث وسوسه الشيطان في صدر بنى آدم ولكن لفظه عام .

رابعا : ما رواه مسلم واحمد والدارمي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " اذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه فان الشيطان يدخل مع التثاؤب " ولا شك ان الفم من اهم مداخل الميكروبات الى جسم الانسان سيما اذا كان في حالة التثاؤب فقد يلج منه ذباب وقد يلج منه ميكروبات وجراثيم لا نراها ويمنع هذا وضع اليد على الفم .

خامسا : ما رواه البخارى ومسلم والنسائى واحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم " اذا استيقظ احدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه " ولا شك ايضا ان الخياشيم من مداخل الميكروبات الى جسم الانسان سيما وان ما يخرج من الانف من افرازات يزيد الأمر اهميه ويزيد من واجب الاعتناء به وتنظيفه .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٩٦ .
(٢) سورة البقره : من الآيه ٢٧٥ .
(٣) سورة الاعراف : من الآيه ٢٧ .

سادسا : ما رواه الامام احمد والحاكم وصححه عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فناء امتي بالطعن والطاعون فقيل يارسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون " قال وخزاعداءكم من الجن وفي كل شهداء " والطاعون كما هو معروف ينتقل بالعدوى باذن الله ولذا ورد النهي عن دخول بلد وقع فيه الطاعون أو الخروج منه وانما تكون العدوى بانتقال تلك الميكروبات الى جسم الانسان السليم من جسم الآخر المريض .

قد يفهم بعض الناس من هذا احتمال كون الميكروبات والجراثيم من انواع الجن مستأنسا بهذه الادله ، والحق انه لا يحق لاحد منا ان يقول بشيء من هذا لان ذلك من الامور الغيبيه التي لابد من استنادها الى وحي يوحى وقد انقطع الوحي بوفاته صلى الله عليه وسلم فوجب التوقف في أمرها واسناد علم ذلك الى الله سبحانه وتعالى .

وعلى كل حال - فالواجب - كما قلنا - تفويض علم ذلك الى الله سبحانه وتعالى وما كنا لنخوض في ذلك لولا ان رأينا ما ذهب اليه السيد رشيد في أمرهم كاد ان يكون خاليا من الاستدلال فخشينا ان يستدل أحد من بعدهم بهذه الأدله على ما ذهبوا اليه ، فرغبنا قطع الطريق عليه ببيان ان تلك الادله ليست حجة في الموضوع بل يدخلها الاحتمال الذى يسقط به الاستدلال نذكر هذا حتى لا يحتج به من بعدهم من يذهب الى ما ذهبوا اليه ونرد عليه ايضا بما ذكرنا في الرد عليهم مما لا داعي لاعادته وتكراره فالقضيه واحده والمذهب واحد وكذا الرد عليهم ايضا واحد والواجب على المسلم السليم العقيده ان يفوض علم ذلك الى الله سبحانه وتعالى .

ولا نقبل من تأويلات المدرسه العقليه الحديثه لاحوالهم ما زعمه السيد رشيد رضا في قوله تعالى " الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس "(١) حيث زعم السيد رشيد ان هذا ليس تقريرا من القرآن لكون

---

(١) سورة البقره من الآيه : ٢٧٥ .

الشيطان هو الذى يتخبط الممسوس أو المصروع وانما ورد هذا على ما كان معروفا عند العرب ؟ فقال السيد رشيد :- " ثم ان التشبيه مبنى على ان المصروع الذى يعبر عنه بالممسوس يتخبطه الشيطان أى أنه يصرع بمس الشيطان له وهو ما كان معروفا عند العرب وجاريا فى كلامهم مجرى المثل "(١) ثم قال " فالآيه على هذا لا تثبت ان الصرع المعروف يحصل بفعل الشيطان حقيقه ولا تنفي ذلك "(١) ثم قال" وهذا ليس برهانا قطعيا على ان هذه المخلوقات الخفيه التى يعبر عنها بالجن يستحيل ان يكون لها نوع اتصال بالناس المستعدين للصرع فتكون من اسبابه فى بعض الأحوال "(١) .

وكان الشيخ احمد مصطفى المراغي اكثر تصريحا فى حمل نص القرآن على انه جاء موافقا لما يعتقده العرب وان كان من " زعماتهم " فقال " وتخبط الشيطان للانسان من زعمات العرب ، اذ يزعمون انه يخبط الانسان فيصرع ، فورد القرآن على ما يعتقدون وكذلك يعتقدون ان الجنى يمس الانسان فيختلط عقله ويقولون رجل ممسوس : أى مسه الجن ورجل مجنون : اذا ضربته الجن ولهم في ذلك قصص وأخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المحسوسات ، فجاءت الآيه وفق ما يعتقدون ، ولا تفيد صحة هذا ولا نفيه "(٢) .

ثم أراد الشيخ المراغي المغالطه فقاس هذا التشبيه - ليؤيد تأويله - بالتشبيه في قوله تعالى فى وصف شجرة الزقوم التى تكون يوم القيامه طعام اهل النار " طلعها كأنه رؤوس الشياطين "(٣) وما رأى أحد رؤوس الشياطين لكنها جاءت بحسب ما يتخيلون ويزعمون "(٢) .

ونسي الشيخ المراغي وهو في غمره الحماس لتأييد قوله ان القياس هنا مع الفارق فالتشبيه الاول تشبيه آكل الربا بشيء معروف لديهم وواقع عندهم وهو تخبط من به مس ، أما في الثاني فانه تشبيه بأمر غير مشاهد عندهم وغير معروف بعكس الاول ، ولكن

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٩٥ - ٩٦ .
(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي ج ٣ ص ٦٣ - ٦٤ .
(٣) سورة الصافات : الآيه ٦٥ .

عرف من التشبيه الثاني كون الشيطان على اقبح الصور واقبح الاشكال من غير مشاهده أو رؤيه له فالقياس مع الفارق فلا يصح .

ثم ان الأمر الأخطر من هذا كله والأعظم ان نحمل نصوص القرآن الكريم على موافقة معتقدات العرب الباطله واقراره لها من غير نكير ومن غير ابطال لها .

واذا - لو فتح هذا الباب لولج منه التراطله والمتقرمطون بل اعداء الدين الاسلامي بشتي انواعهم مبطلين لعقائده وزاعمين انها حكاية لمعتقدات العرب الباطله جاء بها القرآن ولم ينكرها لان انكارها عند العرب بمثابة انكار المحسوسات؟!

وهذا يذكرنا بموقفهم من قصص القرآن الكريم وصرفهم لها عن كونها حقيقه واقعه الى انها تمثيل وتخييل .

وهل يصح ان يقال هذا ؟ اذن لهدم الاسلام من اساسه ! اليست تلك الاساليب من معاول هدم الاسلام ؟ ألا فليتق الله من يطلب الحقيقه ، وليحذر المؤمنون من تعامى عنهه وصرف نظره عن فهمها كما جاءت .

ونوع آخر نرفضه من تأويلاتهم الباطله فى أمر الجن ونعني به ما زعموه في أمر رؤيتهم وحملهم ما ورد من رؤيتهم على التخييل والوهم قال السيد رشيد " والظاهر ان بعضهم كان يخيل اليه الخوف فى البرارى المنقطعه شيئا يتلوّن فيهيم على وجهه خوفا منه لاعتقاده انه من الجن ، ويحتمل ان يكون بعضهم رأى بعض القرده الراقيه [1] التى تشبه العجوز القبيحه الوجه فسموها السعلاه وان تكون السعلاة التى اكلت من التمر فى حديث ابي ايوب [2] منها ان صح ما روى وكان عن مشاهده ، والا كان مبنيا على ما توارثه قبل نفي النبى صلى الله عليه وسلم له أو قبل العلم بهذا النفي وقد قال الله تعالى فى الشيطان (انه يراكم هو

---

(١) راجع ما ذكرنا عن موقفهم من نظرية التطور .

(٢) ونصه " أنه كانت له سهوة فيها تمر وكانت تجئ الغول فتأخذ منه فشكا ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فاذا رأيتها فقل : بسم الله أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل اسيرك ؟ قال حلفت أن لا تعود فقال كذبت وهي معاودة الكذب . . " الحديث رواه الترمذى .

وقبيله من حيث لا ترونهم) وقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يــر الجن حين استمعوا القرآن منه بل علم ذلك بالوحي لقوله تعالى (قل اوحــي الى انه استمع نفر من الجن) ولكن في حديث ابن مسعود وكان معه انه رأى أسوده تشبه السحاب وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه [١] وروى البيهقي في مناقب الشافعي باسناده عن الربيع سمعت الشافعي يقول من زعم أنه يرى الجن ابطلنا شهادته الا ان يكون نبيا انتهى وقد حملوه كما حملوا الآيه على من يدعي رؤيتهم بصورتهم التي خلقهم الله عليها دون الصور التي يتمثلون بها " [٢].

ثم رجح ان ما اشتهر عن العرب في مسأله الاغوال ... " انه تخييــــل لا حقيقة له في الخارج وقد يكون منه رؤيه حيوان غريب كبعض القرده " [٢] وقـــال عن الجن " لا نصدق من خبرهم الا ما اثبته الشرع أو ما هو في قوته من دليـــل الحس أو العقل ولم يثبت شرعا ولا عقلا ولا اختبارا ان شياطين الجن تأكل النـاس ولا انها تظهر لهم في الفيافي والقفار كما كانت تزعم العرب وغير العرب في طــور الجهل والخرافات " [٣].

والخلاصه ان الســيد رشيد ينكر امكان رؤيتهم ويستدل على ذلك :

١) بالآيه الكريمه (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) .

٢) نفي ابن عباس رضي الله عنه لرؤيته صلى الله عليه وسلم لهم " حين استمعـوا القرآن منه " .

٣) بقول الشافعي رحمه الله تعالى المنقــول آنفــا .

وحمل ما ورد في حديث ابي ايوب - ان صح - على احتمال انه رأى بعــض القرده الراقيه التي تشبه العجوز القبيحه الوجه فسماها سعلاه - والا فهو مبــني على ما توارثه قبل نفي النبي صلى الله عليه وسلم له أو قبل العلم بهذا النفــي ،

---

(١) لم يصل تفسير المنار الى هذا الموضع لوفاة صاحبه .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٧ ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .
(٣) المرجع الســابق : ج ٧ ص ٥٢٨ .

ثم قال فيه وفى حديث ابي هريره الذى رواه البخارى فى صحيحه فيمن كان يسرق تمر الصدقه واخبار النبى اياه بأنه شيطان قال فيهما " والصواب انه ليس فى هذه الروايات كلها حديث صحيح "[١].

يقول هذا وهو لا يرى مانعا من احتمال كون الميكروبات نوعا من انواع الجن ، وقد أمكن رؤيتها واعترف بذلك فكيف ينفي هنا ما اثبته هناك ؟!

وعلى كل حال فالذى نفهمه من الآيه (أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) انها لا تنفي امكان رؤيتهم ولكنها تثبت رؤيتهم لنا من حيث لا نراهم وقدرتهم على التشكل بهذه الحاله غير المرئيه لنا ونضرب لذلك مثلا بمن يجلس فى ظلام دامس وينظر الى من يجلس فى النور أو من يجلس فى سيارة ذات زجاج ملون فان الجالس فى الحالتين يرى من في الخارج من حيث لا يرونه ولا يفهم من هذا عدم امكان رؤيته فى حالات أخرى .

أما نفي ابن عباس رضى الله عنه لرؤيته صلى الله عليه وسلم لهم حين استمعوا القرآن منه - ان صح - عن ابن عباس فانه محمول على عدم رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فى تلك المره ولا يمنع رؤيته لهم بعد ذلك ، كما رآهم ابن مسعود رضى الله عنه بعد ذلك وهو يخبر عن مشاهده .

أما قول الشافعي رحمه الله تعالى فيحمل على من يدعى رؤيتهم بصورتهم التى خلقهم الله عليه دون الصور التى يتمثلون بها أو على من يدعي امكان رؤيتهم فى كل حال وهو تكذيب للقرآن .

ويبقى بعد هذا كله فى ترجيح امكان رؤيتهم حديث ابي ايوب وحديث ابي هريره رضى الله عنهما الذى رواه البخارى فى صحيحه وان زعم السيد رشيد عدم صحتهما .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٥٢٦ الهامش .

والحق انه كان من الاولى عدم الخوض فيما لم يكن مصدره الوحي الصادق عن احوالهم - وتفويض علم ذلك الى الله سبحانه وتعالى فهو المنهج الاسلم والاعلم والاحكم .

قول جامع فى أمر الملائكه والانس والجن والشياطين :-

وقع خلاف بين العلماء فى أمر المخلوقات المذكوره وصلة بعضها ببعض كخلافهم هل الشياطين من الانس أو من الجن أو منهما معا أو خلقا مستقلا ؟ والجن هل هم من الملائكه أو انهم نوع مستقل ايضا أو هم الشياطين ؟ وكذا ابليس هل هو من الجن أو من الملائكه أو من الشياطين ؟

ليس من شأني هنا أن أتعرض لذكر تلك الاقوال وادلة كل قول منها والشبهات عليه ولكنى اعرض الى رأى فهمته من مجموع ما قرأته من الادله القرآنيه فى مجموع هذه المخلوقات فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان ، أعرضه هنا بمناسبة الحديث عن هذه المخلوقات ، آحادا .

فالله سبحانه وتعالى خلق هذه الخلائق ونوعها الى نوعين :-

١ - ما يكون متناسلا : وهم الجن والانس .
٢ - ما لا يكون متناسلا : وهم الملائكه .

وخلق الله النوع الثاني جميعا لانهم غير متناسلين ، وقضت الحكمه فيما يكون متناسلا ان تخلق اصوله ، فخلق الله أصل الجن وهو ابليس من مارج من نار ، ثم خلق اصل الانس وهو آدم عليه السلام من تراب .

خلق الملائكه أولا ثم ابليس قبل آدم عليه السلام قال تعالى " ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ، والجان خلقناه من قبل من نار السموم "[1] فخلق الله الجان " من قبل " خلق الانسان .

(١) سورة الحجر : الآيتين ٢٦ و ٢٧ .

وخلق الانسان تمت أنواع المخلوقات الثلاثه فكرمه الله بسجود المخلوقات السابقه له ملائكة وجانة ، ولم يكن من الجن حينئذ الا ابليس ، فكان الأمر موجهـا للملائكه تغليبه وشمل ابليس لوجوده معهم وهو ليس منهم ولذا استثنى منهم عند معصيته وبيّن جنسه " فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه "[1] ولم يرد في القرآن وصفه بأنه ملك أو أنه من الملائكه بل ورد في الآيه السابقه انه من الجن .

ولم تكن معصيه ابليس معصيه ملك وانما كانت معصية جن فان الملائكه " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون "[2] .

وعصى ابليس ربه ولم يكن كفره لهذا العصيان والا لكان آدم عليه السلام كذلك لانه نهى عن قرب الشجره فزاد عن قربها وأكل منها ، ولكن كفر ابليس لاعتراضه على أمر الله ونسبته حكم الله سبحانه وتعالى وأمره الى الجور والظلم بقوله لعنه الله " أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين "[3] فكان ابليس لعنه الله عاصيا ومعترضا على حكم الله سبحانه أما آدم عليه السلام فوقعت منه المعصيه وتلتها التوبه الصادقه فكان العقاب في المعصيتين معصيه ابليس ومعصيه آدم الانزال الى الارض " وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو "[4] فأهبطا لان السماء ليست مقرا للمعصيه ، وكان عقاب الاعتراض من ابليس لعنه الله الحرمان الدائم من دخول الجنه والخلود في النار .

فبقي الملائكه في السماء لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

ونزل الانس والجن يمثل الجنس الاول آدم عليه السلام ويمثل الجنس الثاني ابليس لعنه الله ، أنزل الجنسان الى الارض حيث تقع الطاعه ، وحيث تقع المعصيه .

فكان من ذريه آدم عليه السلام طائعون موحدون وكان منهم عصاة وفاسقون وكان من ذريه ابليس لعنه الله موحدون من الجن وعصاة . .

---

(١) سورة الكهف من الآيه : ٥٠ .
(٢) سورة التحريم من الآيه : ٦ .
(٣) سورة الاعراف من الآيه : ١٢ .
(٤) سورة البقره من الآيه : ٣٦ .

وكان من الذريتين من بلغت به المعصيه الى درجة كبيره هي الشطن والابعاد عن رحمة الله كابليس لعنه الله فسمى أولئك " شياطين " وهم الذين يوسوسون فى صدور الناس " قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنه والناس " (١) .

فكان الخلق :-

ملائكه من نور

وجن من نار

وانس من تراب .

ولم تقع المعصيه من الصنف الاول ، ووقعت من الصنفين الآخرين فكان منهما شياطين .

والله اعلم والهادى الى سواء السبيل . "

---

(١) سورة الناس .

البـــــاب الخامـــــس

تأويل المدرسة العقلية الحديثة لآيات من القرآن الكريم :

أولا : قوله تعالى "ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون" ٢٧٥ البقره

ثانيا : قوله تعالى " قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر" الاية ٤٧ آل عمران

ثالثا : قوله تعالى "وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع" الاية ٣ النســاء .

رابعا : قوله تعالى "وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء . . . " الاية ٤٣ النساء .

خامسا : قوله تعالى " وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه" الاية ١٥٧ - ١٥٨ النساء

سادسا : قوله تعالى "وفرعون ذى الاوتاد " الآية ١٠ الفجـر

سابعا : قوله تعالى " فأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل" سورة الفيل

أولا : قوله تعالى " ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون " من الآيه ٢٧٥ البقره

قال تعالى " الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا ، واحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظه من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون "[1] .

للسلف فى بيان مرجع قوله تعالى " من عاد " فى هذه الآيه قولان :-

الأول : انه يعود الى " الذين يأكلون الربا " والمعنى ومن عاد الى أكل الربا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ، وأكل الربا كبيره من الكبائر واصحاب الكبائر لا يخلدون فى النار للنصوص الكثيره من الكتاب والسنه فوجب تأويل الخلود هنا بطول المكث .

الثاني : انه يعود الى الذين " قالوا انما البيع مثل الربا " والمعنى من قال انما البيع مثل الربا فقد استحل ما حرم الله فيكفر فيستحق الخلود ، ويبقى معنى الخلود على معناه الاصلي ، وهو البقاء الدائم في النار ، وعدم الخروج منها .

وانما وجب هذا التأويل لأن أكل الربا كبيره من الكبائر لا يكفر صاحبها ما لم يستحلها وقد ورد فى القرآن الكريم والسنه النبويه الصحيحه ما يدل على ان مقترف الكبائر لا يخلد في النار قال تعالى " ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "[2] وقال سبحانه " قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم "[3] .

وفى السنه وردت أحاديث كثيره فى بيان عدم خلود اصحاب الكبائر فى النار ماداموا غير مشركين وانهم يخرجون منها قال الامام الشوكاني رحمه الله تعالى :

---

(١) سورة البقره : من الآيه ٢٧٥ .
(٢) سورة النساء : الآيه ٤٨ وايضا الآيه ١١٦ .
(٣) سورة الزمر : الآيه ٥٣ .

" والمصير الى هذا التأويل واجب للاحاديث المتواتره "[1] وقال ابن كثير رحمه الله تعالى " وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذره من ايمان "[2] .

هذا هو مذهب السلف في اهل الكبائر وخالفهم في ذلك الخوارج والمعتزله فزعم الخوارج ان مرتكب الكبيره كافر غير مؤمن وانه خالد مخلد في النار ان مات ولم يتب ، وزعم المعتزله ان مرتكب الكبيره خارج من الايمان ولم يدخل الكفر فهو في منزله بين المنزلتين وانه يخلد في النار مع الكفار .

وتوسط السلف فقالوا ان مرتكب الكبيره ناقص الايمان ، وانه تحت المشيئه ان شاء الله عذبه ، وان شاء غفر له ، وهو غير مخلد في النار بل " يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذره من ايمان "[3] .

وقال رجال المدرسه العقليه الحديثه بما قال به سلفهم رجال المدرسه العقليه القديمه " المعتزله " .. ففسر السيد رشيد رضا العود الوارد في قوله تعالى " ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون " بالعود الى اكل الربا دون القول بأن البيع مثل الربا فقال " ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون " أي ومن عاد الى ما كان يأكل من الربا المحرم بعد تحريمه فاولئك البعداء عن الاتعاظ بموعظة ربهم الذى لا ينهاهم الا عما يضر بهم في أفرادهم أو جميعهم ثم فسر الخلود بقوله " هم اهل النار الذين يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه فيكونون خالدين فيها "[4] .

وهو يدرك مخالفته لتفسير السلف للخلود بل ينقد عليهم تفسيرهم فيقول " وقد أول الخلود المفسرون لتتفق الآيه مع المقرر في العقائد والفقه من كون المعاصي لا توجب الخلود في النار فقال اكثرهم ان المراد ومن عاد الى تحليل الربا

---

(١) فتح القدير : الشوكاني جـ ١ ص ٢٩٦ .
(٢) تفسير ابن كثير : جـ ١ ص ٥٧٢ .
(٣) متفق عليه .
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٩٨ .

واستباحته اعتقادا ، ورده بعضهم بأن الكلام فى أكل الربا وما ذكر عنهم من جعله كالبيع هو بيان لرأيهم فيه قبل التحريم فهو ليس بمعنى استباحة المحرم فاذا كان الوعيد قاصرا على الاعتقاد بحله لا يكون هناك وعيد على أكله بالفعل ، والحق ان القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء ، يجب ارجاع كل قول فى الدين اليه ، ولا يجوز تأويل شىء منه ليوافق كلام الناس ، وما الوعيد بالخلود هنا الا كالوعيد بالخلود فى آيه قتل العمد وليس هناك شبهه فى اللفظ على ارادة الاستحلال ومن العجيب ان يجعل الرازى الآيه هنا حجه على القائلين بخلود مرتكب الكبيره فى النار انتصارا لاصحابه الاشاعره ، وخير من هذا التأويل تأويل بعضهم للخلود بطول المكث ، أما نحن فنقول ما كل ما يسمى ايمانا يعصم صاحبه من الخلود فى النار ،الايمان ايمانان ايمان لا يعد و التسليم الاجمالي بالدين الذى نشأ فيه المرء أو نسب اليه ومجاراة اهله ولو بعدم معارضتهم فيما هم عليه ، وايمان هو عباره عن معرفة صحيحه بالدين عن يقين بالايمان ، متمكنه فى العقل بالبرهان ، مؤثره فى النفس بمقتضى الاذعان حاكمه على الارادة المصرفه للجوارح فى الاعمال بحيث يكون صاحبها خاضعا لسلطانها فى كل حال ، الا ما لا يخلو عنه الانسان من غلبة جهاله أو نسيان ، وليس الربا من المعاصي التى تنسى أو تغلب النفس عليها خفة الجهاله والطيش كالحده وثورة الشهوه ، أو يقع صاحبها منها فى غمرة النسيان كالغيبه والنظره ، فهذا هو الايمان الذى يعصم صاحبه باذن الله ، من الخلود فى سخط الله ، ولكنه لا يجتمع مع الاقدام على كبائر الاثم والفواحش عمدا ايثارا لحب المال واللذه على دين الله وما فيه من الحكم والمصالح .

وأما الايمان الاول فهو صورى فقط فلا قيمة له عند الله تعالى لانه تعالى لا ينظر الى الصور والاقوال ولكن ينظر الى القلوب والاعمال ، كما ورد فى الحديث والشواهد على هذا الذى قررناه فى كتاب الله تعالى كثيره جدا وهو مذهب السلف الصالح وان جهله كثير ممن يدعون اتباع السنه حتى جرءوا الناس على هدم الدين بناء على ان مدار السعاده على الاعتراف بالدين وان لم يعمل به ، حتى صار

الناس يتبجحون بارتكاب الموبقات مع الاعتراف بأنها من كبائر ما حرم ، كما بلغنا عن بعض كبرائنا انه قال انني لا انكر انني آكل الربا ولكنني مسلم اعترف بأنه حرام ، وقد فاته انه يلزمه بهذا القول الاعتراف بأنه من اهل هذا الوعيد وبأنه يرضى ان يكون محاربا لله ولرسوله ، وظالما لنفسه وللناس كما سيأتي فى آية أخرى ، فهل يعترف بالملزوم ، أم ينكر الوعيد المنصوص ، فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ؟ نعوذ بالله من الخذلان "(١) .

هذا نص ما قاله السيد رشيد ، ونحن وقد شئنا ان لا نقطع حديثه لنشير الى مواضع الخلل فيه لنترك له المجال مفتوحا ليقول كل ما في جعبته مما يراه المنهج السليم فى تفسير القرآن - فانه لا يسعنا ان نتجاوزه ، من غير ان نشير الى بعض هذه المواضع .

أما أولها فما ذكره من أن المفسرين قد أولوا الخلود لتتفق الآيه مع المقرر فى العقائد والفقه من كون المعاصي لا توجب الخلود فى النار " وهو غمز منه ولمز فيما هو مقرر فى العقائد والفقه وكان الاحرى ان يتجه الى تفنيد الادله التى قرروا بها ذلك فى العقائد والفقه فاذا فعل هذا فقد أبطل تأويلهم للآيه لتوافق المقرر بطريق الاولى .

أما ذلكم الذى قرروه فى العقائد والفقه من كون المعاصى لا توجب الخلود فى النار اذا كان مرتكبها مؤمنا فانهم قد استندوا فى تقريره الى الكتاب والسنه المتواتره وبهما تقرر العقائد في الاسلام .

قال تعالى مخبرا عن مغفرته لجميع الذنوب " قل ياعبادى الذى اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمه الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم "(٢) ثم استثنى سبحانه فى آيه أخرى من هذه الذنوب الشرك فقال سبحانه :

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٩٨ - ٩٩ .
(٢) سورة الزمر الآيه : ٥٣ .

" ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "[1] .

أما السنه فقد مرّ بنا حكاية الشوكاني وابن كثير رحمهما الله تعالى لتواتر الاحاديث الداله على خروج اصحاب الكبائر من النار ، وعدم خلودهم فيها مادامو غير مشركين ، ومن ذلك الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وغيرهما " يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذره من ايمان " .

كان الاحرى بالسيد رشيد ان يتجه الى تفنيد هذه الادله - ان استطاع - بما يبطل الاحتجاج بها ولكنه وغيره لا يستطيع ذلك فعمد الى الغمز منهم " بالاستناد الى ما هو مقرر فى العقائد والفقه ، وكأن الاستناد الى ما هو مقرر فيهما بدعه فى الدين أو خروج منه .

ثم قال - ما زاد الطين بله كما يقولون - ما يفهم منه ان السلف بتقريرهم هذا فى العقائد والفقه لم يستندوا الى القرآن الكريم بل الى كلام الناس فطلب الرجوع اليه ونسي ان السلف هم أول من يطلب الرجوع الى الكتاب واضافوا اليه ايضا الرجوع الى السنه . قال السيد رشيد " والحق ان القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء يجب ارجاع كل قول فى الدين اليه ولا يجوز تأويل شئ منه ليوافق كلام الناس " .

ولا ندرى هل يسمى السيد رشيد رضا الآيات القرآنيه التى استند اليها السلف " كلام الناس " أم انه لم يعرف تلك الآيات التى استدلوا بها ؟ هذان امران أحلاهما مر .

أما تشبيهه الوعيد بالخلود فى هذه الآيه بالوعيد بالخلود فى آيه قتل العمد ، وليس هناك شبهه فى اللفظ على اراده استحلال قتل العمد ، فهو استناد منه الى قول شيخه واستاذه " الاستاذ الامام " فى المؤمن القاتل عمدا فقد تجاوز الشيخ محمد عبده الحكم على هذا المؤمن بالخلود فى النار الى الزعم

---

(١) سورة النساء الآيه : ٤٨ وايضا فى الايه : ١١٦ .

الى الزعم بأنه لا توبة له مطلقا [1] اذا كان القاتل مؤمنا ، أما اذا كان كافـــــرا بل مشركا وقتل عمدا فان باب التوبه له مفتوح ثم قال " وقد يقال كيف تقبل التوبـه من المشرك القاتل الزاني ، ولا تقبل من المؤمن الذى ارتكب القتل وحـــده ؟ ويمكن ان يجاب من القائلين بعدم توبة القاتل بـأن المشرك الذى لم يؤمن بالشريعه التى تحرم هذه الامور له شبه عذر لأنه كان متبعا لهواه بالكفر وما يتبعه ولم يكـن ظهر له صدق النبوه وما يتبع ذلك ، فلما ظهر له الدليل على ان ما كان عليـه هو كفر وضلال تاب وأناب وآمن وعمل الصالحات فهو جدير بالعفو وان كان في اجرامه السابق مقصرا فى النظر والاستدلال ، وأما المؤمن الموقن بصحة النبوه ، وتحريم الله للقتل وجعله قاتل النفس البريئه كقاتل الناس جميعا فلا عذر له بل لا يعقـل ان يرجح هواه على ايمانه مع أنه لم يطرأ على ايمانه من الشك الاضطرارى ما يكـون له شبه عذر أما اذا طرأ عليه ذلك فان حكمه حكم القاتل الكافر " [2] .

قال ابو جعفر الطبرى رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآيه أعنى " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عـــــذابا عظيما " [3] بعد أن بيّن أقوال العلماء فيها قال " وأولى الاقوال بالصواب قــول من قال : معناه : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه ان جزاه جهنم خالدا فيها ، ولكنه يعفو ويتفضل على اهل الايمان به وبرسوله ، فلا يجازيهم بالخلود فيهـــا ولكنه عزّ ذكره اما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار ، واما ان يدخله اياها ثم يخرجه

---

(١) لا تنسى أن قائل هذا الكلام قد كتب بيده معلقا على مذكرات عرابي " أما ما قاله عرابي بصدد خلع اسماعيل وانه اقترح ذلك فأقول أنه من المؤكد أننا كنا نتكلم سرا فى هذا الشأن وكان الشيخ جمال الدين موافقا على الخلـــع واقترح علىّ أنا أن أقتل اسماعيل وكان يمرّ فى مركبته كل يوم على جسر قصر النيل . ولكن كل هذا كان كلاما نتهامسه فيما بيننا . وكنت أنا موافقـــا الموافقه كلها على قتل اسماعيل . ولكن كان ينقصنا من يقودنا فى هذه الحركه" (التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر ص ٣٥٤ بلنت ، وراجعه ووافــق على ما جاء فيه الشيخ محمد عبده) .

(٢) تفســير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ٣٣٩- ٣٤٠ .

(٣) سورة النســـاء : الآيه : ٩٣ .

منها بفضل رحمته ، لما سلف من وعد عباده المؤمنين بقوله " ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمه الله ان الله يغفر الذنوب جميعا "(١) .

ومن هذا ندرك ان قياس السيد رشيد رضا الوعيد بالخلود لآكل الربا على الوعيد بالخلود لقاتل العمد لا يصح الا على تأويل الخلود بطول المكث في الوعيدين ، أما ما ختم به السيد رشيد حديثه به حيث قال " والشواهد على هذا الذى قررناه فى كتاب الله تعالى كثيره جدا " فكنا نتمنى لو ذكر السيد رشيد شيئا منها لنريه مواطن الخطأ في الاستدلال بها على ما زعم .

أما زعمه ان هذا الذى ذكره " هو مذهب السلف الصالح " فهو زعم يكذبه الواقع فما قال أحد ان هذا هو مذهب السلف بل كلنا يعرف انه مذهب الخوارج والمعتزله فهم الذين حكموا بخلود اهل الكبائر فى النار .

ولو سلمنا - جدلا - بخلود القاتل العمد فى النار كما قالوا فان هذا لا يسوغ لنا ان نعم بهذا الحكم الذنوب كلها الكبائر منها ، بل يسوغ لنا أن نضيفه الى الشرك الذى استثنى فى قوله تعالى " ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " فيكون الخلود للمشركين وللقاتل العمد ، ثم ان قتل العمد جاء من النصوص ما يعظم أمره فارتبط بالوعيد لمقترفيه فى الآيه خمسة أمور :-

١- جزاؤه جهنم . ٢- خالدا فيها ٣- غضب الله عليه ٤- ولعنه .
٥- وأعد له عذابا عظيما .

هذا فى الآيه نفسها وفى السنه ورد فى الحديث " كل ذنب عسى الله ان يغفره الا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا "(٢) .

لهذا فان القتل العمد جاء من الوعيد فيه بالخلود ما لم يأت فى بقية

---

(١) سورة الزمر : الآيه : ٥٣ .
(٢) رواه الامام احمد فى مسنده ٤ / ٩٩ والنسائى فى سننه فى كتاب تحريم الدم ، وابو داود فى كتاب الفتن باب فى تعظيم قتل المؤمن .

الكبائر كالزنا وأكل الربا ونحو ذلك فلا يحمها حكمه ولا يسرى عليها ، وتبقى بقية كبائر الذنوب على مادلت عليه النصوص الاخرى العامه من مثل قوله تعالى " ان الله يغفر الذنوب جميعا " وقوله " ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء " وقول الرسول صلى الله عليه وسلم " يخرج من كان فى قلبه مثقال ذره من ايمان .

أما الزعم بأن الايمان ايمانان " وأن الاقدام على كبائر الاثم والفواحش - عمدا - ايثار لحب المال أو اللذه به - فلا يجتمع مع الايمان الحق الذى يملأ النفوس خوفا ورهبة من عقاب الله بفعل ما نهى عنه وأما الايمان الصورى فلا وزن له عند الله لانه تعالى لا ينظر الى الصور والاقوال ولكن ينظر الى القلوب والاعمال كما يرشد الى ذلك الحديث " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن " فالذى يرتكب الفواحش على هذه الطريقه يعد من الكافرين المستحلين وان أنكر ذلك بلسانه ، فيكون خالدا مخلدا فى النار أبدا "[1] أما هذا الزعم للشيخ احمد مصطفى المراغي الذى قلد فيه استاذه الامام فانه كرأى استاذه مردود بما ذكرنا .

ثم نقول لهؤلاء - أخيرا - أخبرونا عن مرتكب الكبيره الذى حكمتم بخلوده فى النار خلودا دائما أمؤمن هو أم كافر ؟ فان قالوا هو كافر ، قلنا هذا هو مذهب الخوارج الذين يكفرون اصحاب الكبائر ونحن لا نكفر أحدا بذنب ما لم يستحله .

وان قالوا هو مؤمن ، قلنا المؤمن لا يخلد فى النار لما ذكرنا من الآيات والاحاديث ولما تواتر عنه صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذره من ايمان .

---

(١) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي . ج ٣ ص ٦٥ .

وان قالوا هو في منزله بين المنزلتين بمعنى أنه خرج من الايمان ولم يدخل الكفر ، قلنا هذا هو مذهب سلفكم المعتزله الذى سرتم على نهجه وهي منزله لم يرد بها شرعنا ، قال تعالى " هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير "(١) وقال سبحانه " ان هذا القرآن يهدى للتى هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخره اعتدنا لهم عذابا اليما "(٢) وقال سبحانه " انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا "(٣)

فلم يبق لهم من حجه ، ولم يبق لهم من دليل والله الهادى الى سواء السبيل .

---

(١) سورة التغابن : الآيه : ٢ .

(٢) سورة الاسراء : الآيتين : ٩ و ١٠ .

(٣) سورة الانسان : الآيه : ٣ .

ثانيا : قال الله تعالى

" قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء
اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون " ٤٧ آل عمران .

تأثر رجال المدرسه العقليه الحديثه كثيرا بالمستشرقين الفرنسيين وغيرهم ،
ويظهر تأثرهم بهم اكثر ما يظهر فى محاولاتهم الدائبه علي تقريب الاخبار الخارقه
فى القرآن الى الاذهان بصرفها الى خضوع الاسباب لمسبباتها ، وتعليلها
بما يوافق العلم والعقل بزعمهم .

ومن ذلك تأويلهم لخلق عيسى عليه السلام المذكور فى هذه الآيه ، وكان
الواجب التوقف فى تفصيل كيفيه نشوء الحمل لأنه من الامور الغيبيه التى لا تثبت
الا بالوحي ولم ينص الوحي على كيفية ذلك ، فكان المنهج السليم ومنهج السلف
التوقف في كيفيته واسناد علم ذلك الى الله سبحانه وتعالى ، وعلينا أن نؤمن أن
مريم عليها السلام ليست بغيا بل اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء
العالمين ، وان الله أرسل اليها ملكا تمثل لها بشرا أخبرها بمهمته وبي ان يهب
لها غلاما ، ثم نفخ الله فيه من روحه فحملت بعيسى عليه السلام .

أما محاولة تقريب حملها بعيسى عليه السلام الى الاذهان بما تكون به
هذه الواقعه أمرا عاديا لا اعجاز فيه ولا في كونه آية للناس فهذا باطل نرفضه .
فكيف اذا كان تأويله بما هو بعيد عن الحقائق متأثر بنظريات علميه ثبت بطلانها
وزيفها ، ولندع السيد رشيد رضا يشرح لنا محاولتهم حيث يقول :- " وأقول اعلم
ان الكافرين بآيات الله ينكرون الحمل بعيسى من غير أب جمودا على العادات ،
وذهولا عن كيفيه ابتداء خلق جميع المخلوقات . ولو كان لهم دليل عقلى على استحالة
ذلك لكانوا معذورين ولكن لا دليل لهم الا أن هذا غير معتاد ، وهم فى كل يوم
يرون من شئوون الكون ما لم يكن معتادا من قبل ، فمنه ما يعرفون له سببا ويعبرون
عنه بالاكتشاف والاختراع ، ومنه ما لا يعرفون له سببا ويعبرون عنه بفلتات الطبيعه

ونحن معاشر المؤمنين نقول ان تلك الاشياء المعبر عنها بالفلتات اما ان يكون لها سبب خفي وحينئذ يجب ان تهدى هؤلاء الجامدين الى ان بعض الاشياء يجوز ان يأتي من غير طريق الاسباب المعروفه ، فلا ينكروا كل ما يخالفها لاحتمال ان يكون له سبب خفي لم يقفوا عليه ، ولا يتزل أمر عيسى فى الحمل به من غير واسطه أب عن ذلك ، وأما ان تكون قد وجدت فى الواقع ونفس الأمر خارقه لنظام الاسباب وحينئذ يجب بأن يعترفوا بأن الاسباب الظاهره المعروفه ليست واجبه وجوبا عقليا مطردا واذا كان الأمر كذلك امتنع على العاقل ان ينكر شيئا ما ويعده مستحيلا لانه لا يعرف له سببا ، ولعل أبناء العصور السابقه كانوا أقرب الى ان يعذروا بانكار غير المألوف من أبناء هذا العصر الذى ظهر فيه من اعمال الناس ما لو حدث به عقلاء الغابرين لعدوه من خرافات الدجالين ، ونحن نرى علماء الغرب وفلاسفته متفقين على امكان التولد الذاتي أى تولد الحيوان من غير حيوان أو من الجماد ، وهم يبحثون ويحاولون أن يصلوا الى ذلك بتجاربهم ، واذا كان تولد الحيوان من الجماد جائزا فتولد الحيوان من حيوان واحد أولى بالجواز وأقرب الى الحصول نعم . . انه خلاف الاصل وان كونه جائزا لا يقتضي وقوعه بالفعل ، ونحن نستدل بوقوعه بالفعل بخبر الوحي الذى قام الدليل على صدقه "(١) .

الا أن تعدى السيد رشيد رضا حدود التفسير وتجاوزه لمنهج السلف يظهر فى محاولته تقريب هذه الواقعه الى السنن المعروفه فى نظام الكائنات ، وذلك بصرفها عن ان تكون خارقه وآية للناس الى ان تكون غير ذلك . حيث يقول :- " ويمكن تقريب هذه الآيه الالهيه من السنن المعروفه فى نظام الكائنات بوجهين :

(احدهما) ان الاعتقاد القوى الذى يستولى على القلب ويستحوذ على المجموع العصبى يحدث فى عالم الماده من الآثار ما يكون على خلاف المعتاد فكم من سليم اعتقد أنه مصاب بمرض كذا وليس في بدنه شيء من جراثيم هذا المرض

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

فولد له لاعتقاده تلك الجراثيم الحيه وصار مريضا ، وكم من أمرئ سقي الماء القراح أو نحوه فشربه معتقدا أنه سم ناقع فمات مسموما به ، والحوادث فى هذا الباب كثيره اثبتتها التجارب واذا اعتبرنا بها فى أمر ولادة المسيح نقول ان مريم لما بشرت بأن الله تعالى سيهب لها ولدا بمحض قدرته وهي على ما هي عليه من صحة الايمان وقوة اليقين ، انفعل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالا فعل فى الرحم فعل التلقيح ، كما يفعل الاعتقاد القوى فى مزاج السليم فيمرض أو يموت ، وفى مزاج المريض فيبرأ ، وكان نفخ الروح الذى ورد فى سورة أخرى متمما لهذا التأثير .

(الوجه الثاني) وهو أقرب الى الحق وان كان أخفى وأدق وبيانه يتوقف على مقدمه وجيزه في تأثير الارواح فى الاشباح ، وهي ان المخلوقات قسمان أجسام كثيفه وارواح لطيفه ، وان اللطيف هو الذى يحدث فى الكثيف الحي ما نراه فيه من النمو والحركه والتوالد الذى يكون فيه من النمو أو يكون النمو منه فلولا الهواء لما عاشت هذه الاحياء والهواء روح ولذلك كان من اسمائه اذا تحرك الريح واصلها روح بكسر الراء ولاجل الكسر قلبت الواو ياء لتناسبه والماء الذى منه كل شيء حي مركب من روحين لطيفين وهو يكاد يكون فى حال التركيب وسطا بين الكثيف واللطيف ولكنه أقرب الى الثاني ، والكهربائيه من الارواح وناهيك بفعلها فى الاشباح ، فهذه الموجودات اللطيفه التى سميناها ارواحا هي التى تحدث معظم التغير الذى نشاهده فى الكون حتى أننا قد رأينا فى هذا العصر من اسرارها ما لم يكن يخطر على بال أحد من قدماء فلاسفتنا ، ويعتقد علماؤنا اليوم ان ما سيظهر منها فى المستقبل أجل واعظم ، فاذا كان الأمر كذلك فى الارواح التى لا دليل عندنا على انها تدرك وتريد فلم لا يجوز ان يكون تأثير الارواح العاقله المريده اعظم .

ثم قال " اذا تمهد هذا فنقول : ان الله المسخر للارواح المنبثه في الكائنات قد أرسل روحا من عنده الى مريم فتمثل لها بشرا ونفخ فيها فأحدثت نفخته التلقيح

في رحمها فحملت بعيسى عليه السلام وهل حملت اليها تلك النفخه ماد ة أم لا ؟ الله اعلم "[1]

ونحا هذا النحو فى التفسير الشيخ احمد مصطفى المراغي فى تفسيره حيث قال :- " والجاحد ون لآيات الله ينكرون الحمل بعيسى من غير أب وقوفا عند العاده ، وذهولا عن كيفيه بدء العالم ، ولكن ليس لهم دليل عقلي ينبىء بالاستحاله ، وانا لنشاهد كل يوم حدوث شيء فى الكون لم يكن معتادا من قبل ، بعضه له اسباب معروفه فيسمونه استكشافا واختراعا ، وبعضه ليس بمعروف له سبب ويسمونه فلتات الطبيعه ، والمؤمنون يقولون ان مثل هذا الذى جاء على غير الاسباب المعروفه يجب ان يهدى العاقل الى ان الاسباب ليست واجبه وجوبا عقليا مطردا ، وان ابناء الجيل الحاضر الذين رأوا من الغرائب ما لو رآه السابقون لعدوه سحرا أو خرافه أو أضافوه الى الجن - ليس لهم عذر فى انكار الاشياء التى لم يعرفوا لها اسبابا ، وقد قرر فلاسفه العصر امكان توالد الحيوان من غير حيوان ، اذا فتوالد الحيوان من حيوان واحد أقرب الى المعقول وأدنى الى الامكان "[2] .

ذلكم ما قاله رجال المدرسه العقليه الحديثه فى أمر خلق عيسى عليه السلام فهو أمر ليس فيه من خارق العادات شيء بل هو اما اعتقاد قوى استولى على قلب مريم واستحوذ على مجموع اعصابها لما بشرت بأن الله تعالى سيهب لها ولدا بمحض قدرته فانفعل مزاجها انفعالا فعل في الرحم فعل التلقيح ؟! فلم يكن فى الأمر عجبا !! ولم يكن فيه "آيه للناس" ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم .

وهم بهذا التأويل وان لم يرجحوه قد فروا من طريق السلامه الى طريق الضلال وفتحوا طريقا سهلا للبغايا الفاسدات وليزعمن اذا وقع

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ٣ ص ٣٠٩ - ٣١٠ .
(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي : جـ ٣ ص ١٦٧ .

منهن الحمل أنهن لم يرتكبن جريمة الزنا وانما وقع منهن الاعتقاد ؟ ! وما الذى بأيدينا حتى نثبت كذبهن اذا جعلنا الاعتقاد هذا سبيلا للحمل ، وأى فضل اختصت به مريم عليها السلام بل أى أمر عجب جعله الله آية للناس فليعلم بطلان هذا الزعم .

واما ان الله المسخر للارواح المنبثه فى الكائنات قد أرسل روحا من عنده الى مريم فتمثل لها بشرا ونفخ فيها فأحدثت نفخته التلقيح فى رحمها فحملت بعيسى عليه السلام وهل حملت اليها تلك النفخه ماده أم لا ؟ الله أعلم "(١) .

وهذا هو الذى ورد فى القرآن ما يشير اليه وكنا نود لو اكتفى رجال المدرسه بهذا التأويل فى الأمر الغيبى ولم يأتوا من عندهم ومن خارج ما تدل عليه الفاظ القرآن بتأويلات باطله ومفاهيم ضاله .

ولكنهم أرادوا زيادة التقريب الى الاذهان خشيه ألا تقبل أذهان " احرار الافرنج " التأويل السليم للآيه فجاءوا بتأويل آخر تقبله أذهانهم ولكنه مخالف لما دل عليه القرآن الكريم فكان حقا علينا ان نرفضه ونرده على اصحابه ليبقى التأويل السليم والفهم السلفي الصحيح هو رائدنا فى تفسير الآيه ، والله الهادى .

---

(١) تفسير المنار : ج ٣ ص ٣١٠ .

ثالثا : قوله تعالى

" وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فان خفتم الا تعدلوا فواحده ، أو ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا " ٣ = سوره النساء .

لم يكن تعدد الزوجات من الامور الخاصه بالدين الاسلامي فقد عرف التعدد قبل ذلك ، فهذا ابراهيم عليه السلام تزوج أم اسماعيل ، وام اسحاق ، وهذا داود وسليمان عليهما السلام تعددت زوجاتهم ، وهذا يعقوب عليه السلام تزوج أم يوسف وأم اخوته الآخرين .

وجاء الاسلام وقد كان التعدد منتشرا بين العرب قاطبه ولم يكن له حدّ ينتهى اليه حتى نزل قوله تعالى " وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآيه " واجمع علماء المسلمين كافه على جواز تعدد الزوجات استنادا الى هذه الآيه الكريمه الصريحه فى معناها ، واختلفوا فى مستند تحريم ما زاد على الاربع منهن ، فمنهم من استند فى ذلك الى الآيه الكريمه ، ومنهم من استند الى السنه فى ذلك لا الى الآيه [(١)] .

فقد اسلم غيلان بن سلمه الثقفى وعنده عشر نسوه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم " اختر منهن أربعا وفارق سائرهن " [(٢)] .

وأسلم قيس بن الحرث الاسدى وعنده ثمان نسوه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال " اختر منهن اربعا " [(٣)] .

وأسلم نوفل بن معاويه الديلمى وعنده خمس نسوه فقال له عليه الصلاة والسلام " أمسك أربعا وفارق الاخرى " [(٤)] .

---

(١) فتح القدير : الشوكاني جـ ١ ص ٤٢٠ .

(٢) رواه مالك فى الموطأ كتاب الطلاق باب جامع الطلاق ورواه احمد فى مسنده جـ ٥ ص ١٣ و ١٤ و ٤٤ ورواه ابن ماجه فى كتاب النكاح باب الرجل يسلم وعنده اكثر من اربع نسوه .

(٣) رواه ابو داود فى كتاب الطلاق باب فى من اسلم وعنده نساء اكثر من أربع ، وأبن ماجه فى باب الرجل يسلم وعنده اكثر من اربع نسوه .

(٤) قال الشوكاني رحمه الله تعالى (أخرج - هذا الحديث - الشافعي فى مسنده عن نوفل بن معاويه الديلمى) فتح القدير جـ ١ ص ٤٢٤ .

ولم يبق بعد هذا خلاف بين علماء المسلمين كافه على جواز تعدد الزوجات الى اربع ، وعلى ضوء هذا المبدأ عدد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم والتابعون من بعدهم زوجاتهم ، ودرج المسلمون فى جميع عصورهم وجميع طبقاتهم يعددون الزوجات متى شاءوا ويرونه مع العدل الذى طلبه الله من الازواج حسنة من حسنات الرجل الى النساء ، وحسنه الى الرجال انفسهم ، وحسنه الى الأمه جميعا [1] وقربه دينيه يتقرب بها الى الله سبحانه لتكثير عدد المسلمين امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم " تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الأمم " [2] .

فاذا انحرف جيل من الاجيال فى استخدام هذه الرخصه فراحوا يتخذون منها فرصه لا حالة الحياة الزوجيه مسرحا لاشباع غرائزهم البهيميه بعيدا عن اهدافها الساميه النبيله واتخذوها مطيه للتنقل بين الزوجات كما يتنقل الفاسق بين الخليلات لا يكاد يمكث مع احداهن ساعة من نهار حتى تصبح من مطلقاته .. اذا حدث هذا فليس هذا شأن الاسلام ، وليس هؤلاء هم الذين يمثلون الاسلام .. ان هؤلاء انما انحدروا الى هذا الدرك لانهم بعدوا عن الاسلام ولم يدركوا روحه النظيف الكريم . والسبب انهم يعيشون في مجتمع لا يحكمه الاسلام ولا تسيطر فيه شريعته مجتمع لا تقوم عليه سلطه مسلمه تدين للاسلام وشريعته وتأخذ الناس بتوجيهات الاسلام وقوانينه ، وآدابه وتقاليده .. فمن شاء ان يصلح هذه الحال فليرد الناس الى الاسلام وشريعة الاسلام ومنهج الاسلام فيردهم الى النظافه والطهاره والاستقامه والاعتدال .. من شاء الاصلاح فليرد الناس الى الاسلام لا في هذه الجزئيه فحسب ولكن فى منهج الحياة كلها . فالاسلام نظام متكامل لا يعمل الا وهو كامل شامل " [3] .

ولا يخفى هذا كله على اعداء الاسلام من الاوربيين الذين استغلوا هذا الانحراف من المنتسبين الى الاسلام وسوء استعمال هذه الرخصه منهم ، فاتخذوا

---

(١) الاسلام عقيده وشريعه : محمود شلتوت : ص ١٨٣ .
(٢) رواه احمد والنسائى وابو داود .
(٣) فى ظلال القرآن : سيد قطب ج ٤ ص ٢٤٦ .

هذا مطعنا فى الدين الاسلامي وهم يعلمون براءته من ذلك وانما فعلوا هذا لتشكيك المسلمين بدينهم خاصه أولئك الذين اتصلوا بهم واعجبوا بحضارتهم فأخذ هؤلاء المخدوعون بالتملق اليهم بتحريف النصوص الشرعيه الصريحه وانكار ما اجمع عليه علماء المسلمين استنادا الى صريح الآيه الكريمه السابقه من جواز تعدد الزوجات .

فعل هؤلاء المنهزمون هذا حتى لا يظهروا بمظهر الضعف أمام احرار الأفرنج !! وحتى يظهروا دينهم الذى ينتسبون اليه بمظهر الدين المعاصر ومقياس " عصريته " موافقه آراء أحرار الافرنج وكأن هؤلاء الاحرار الافرنج هم المقياس الصحيح للشرائع السماويه فما وافق افكارهم الحديثه من الشرائع فهو الصحيح وما خالفها فهو رجعى لا يصلح لهذا العصر .

كان فى طليعه هؤلاء المنهزمين رجال المدرسه العقليه الحديثه الذين كان لهم فهم عجيب فى تفسير الآيه الكريمه السابقه ، وعبثت طائفه منهم بآيات القرآن الكريم فزعموا - وبئس ما زعموا - ان الآيه لا تدل على مشروعيه التعدد بل على الضد من ذلك حيث تدل - بزعمهم - على عدم مشروعيه التعدد وأنه لا يجوز الزواج بثانيه مادامت الزوجه الاولى فى عصمته ، يشرّعون هذا وينسبونه الى القرآن الكريم .

وضيقت طائفة أخرى منهم تلك الاباحه وقصروها على حالة الضروره القصوى وضيقوا تلك الضروره فجعلوا مجرد خوف الجور والظلم سببا كافيا لتحريم التعدد وجعلوا من القيود ما لا يتصور وجوده فى انسان الا ما شاء الله . فكان هذا عبثا منهم كبيرا بتشريع التعدد وكأن الآيه تشرع للمسلمين ما يستحيل وجوده أو يكاد .

وهم حينما يريدون ان يشرحوا القضيه ترى بعضهم يتخبط فى حديثه لاضطرابه بين النص وبين ما في نفسه وما في هواه مما يريد ان يحمل عليه النص فلا يوافقه .

تعال معي الى شيخ من شيوخهم عبد العزيز جاويش نقرأ له قوله " جاء القرآن فأباح ان يتزوج الانسان مثنى وثلاث ورباع "[1] فلا نفهم من هذا الا اقراره بهذا الحكم الشرعي لكنه يواصل حديثه بما يخالف هذا فيقول " ولكن[2] الله تعالى يقول " فان خفتم ألا تعدلوا فواحده "[3] فتراه قد شرط اباحه تعدد الزوجات بالعدل ، كما جعل مجرد خوف الجور والظلم سببا كافيا فى تحريم التعدد ثم نراه قد اعتبر البشر عاجزين عن العدل بين النساء ولو حرصوا[4] فما بال الناس مع جميع ذلك نرى كثيرا من المسلمين يفقهون بعض آيات الكتاب دون بعض ؟ (!!) . عجبا أغفل الناس كثيرا من القواعد الاسلاميه التى يجب تقدير الاعمال بها وزنة التصرفات الانسانيه بميزانها "[5] .

ثم قال ما يزيد مراده وضوحا " واعلم ان المعتزله وهم كما تعلم من المسلمين يقولون بعدم جواز ان يتزوج الرجل ثانيه مادامت الاولى فى عصمته ، كما ذكره الاميرعلي فى كتابه " سر الاسلام "[6] وليس فى حكاية هذا المذهب ما يضيره وما كنا لنحاسبه على مجرد الروايه ولكنه ذهب يؤيد هذا الرأى بقوله " وما ذلك الا لانهم تتبعوا ما يجلبه ذلك من المفاسد والمضار وعرفوا أن من اصول الشريعه المحمديه اعطاء الوسائل ما للغايات من الاحكام ، فرأوا آثار تعدد الزوجات كثيره سيئه لا يستحسنها عقل ، ولا يرضى بها شرع فحكموا بتحريمه "[6] .

---

(١) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ١٠٠ .
(٢) لاحظ قوله " ولكن " كأن هناك تعارض بين اباحة الزواج مثنى وثلاث ورباع وبين الشرط فى الآيه .
(٣) سورة النساء : من الآيه ٣ .
(٤) لغرض فى نفسه تجاهل الرخصه فى الآيه والتسامح عن ما فرط بعد الحرص على عدم الميل " فلا تميلوا كل الميل " .
(٥) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ١٠٠ .
(٦) المرجع السابق : ص ١٠٠ - ١٠١ .

أيّد الشيخ - جاويش - هنا تحريم التعدد لكنه بعد هذا يعلل لعدم تصريح القرآن بتحريم التعدد بتاتا فيقول " لم يصرح القرآن بتحريم تعدد الزوجات بتاتا وذلك لأنه أرسل رسوله للناس كافه بشيرا ونذيرا ولا ريب أن ثمة أحوالا يحسن أو يجب فيها تعدد الزوجات ولا يمكن لاحد الفرار من الاعتراف بوجود كثير من الاحوال التى تقتضى ذلك ولا ضرب لك مثلا رجلا تزوج أمرأه فأصابها مرض مزمن ، ورجلا تزوج امرأه فكان يستمر معها الحيض الى خمسة عشر يوما ، ورجلا تكره امرأته المباشره فى كثير من اشهر الحمل ، وعلم جرا فأمثال هؤلاء الرجال اما ان يصبروا مع العنت والشقه وقليل الصابرون ، واما أن يأتوا الفاحشه واولئك هم الخاطئون "[1] .

ومن تمعّن فى قوله ادرك مدى الاضطراب ، وما ذلك الا لمحاولته حمل النص الشرعي على ما في نفسه فتراه حينا يبيح التعدد كما جاء فى القرآن ثم يجعله من المستحيل لان من شروطه العدل والعدل غير مستطاع ثم يؤيد مذهب المحرمين للتعدد ، ثم يبيح بل يوجب التعدد فى حالات بعضها فيه الكفايه لانتشار تعدد الزوجات فى المجتمع .

واننا نلمس هذا أو قريبا منه فيما ذهب اليه الشيخ احمد مصطفى المراغي حيث بين ان الخوف من عدم العدل الوارد فى قوله تعالى " فان خفتم ألا تعدلوا فواحده " يصدق بالظن والشك فى ذلك فالذى يباح له ان يتزوج ثانيه أو اكثر هو من يثق من نفسه بالعدل ثقة لا شك فيها "[2] ويقول " ان اباحة تعدد الزوجات مضيق فيها أشدّ التضييق فهى ضروره تباح لمن يحتاج اليها بشرط الثقه باقامة العدل والا من من الجور "[2] .

ثم ينسب الشيخ المراغي المفاسد التى تنشأ من سوء استخدام هذا التشريع الى التشريع نفسه جاعلا التفريق بينهما فيقول " وان من يرى الفساد الذى يدب

---

(١) الاسلام دين الفطره والحريه : عبد العزيز جاويش ص ١٠١ .
(٢) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٤ ص ١٨٠ - ١٨١ .

في الأسر التي تتعدد فيها الزوجات ليحكم حكما قاطعا بأن البيت الذى فيه زوجتان أو أكثر لرجل واحد لا تستقيم له حال ولا يستتب فيه نظام فأنت ترى احدى الضرتين تغرى ولدها بعداوه اخوته ، وتغرى زوجها بهضم حقوق ولده من غيرها ، وكثيرا ما يطيع أحب نسائه اليه .. فيدب الفساد فى الاسره كلها ، الى أن ذلك ربما جرّ الى السرقه والزنا والكذب والقتل فيقتل الولد والده والوالد ولده والزوجه زوجها والعكس بالعكس كما دونت ذلك سجلات المحاكم "[1] .

ونتيجه لهذا المفهوم الخاطئ ونسبة الشئ الى غير مصدره وسببه دعا الشيخ احمد المراغي رجال القضاء والفتيا الى علاج هذه الحاله وهو حينما لم يصرح بمفهوم العلاج عنده فهو واضح أنه يقصد به منع تعدد الزوجات أو تقييده وتضييقه بما هو أشد فيقول " فيجب على رجال القضاء والفتيا الذين يعلمون أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وان من اصول الدين منع الضرر والضرار ان ينظروا الى علاج لهذه الحال ويضعوا من التشريع ما يكفل منع هذه المفاسد على قدر المستطاع "[1] .

ثم زعم " ان تعدد الزوجات يخالف الموده والرحمه وسكون النفس الى المرأه وهي اركان سعاده الحياة الزوجيه "[2] ؟!

يصف التعدد بهذا الوصف وهو يعلم ان الله شرعه بنص القرآن فهل يعتقد مؤمن أى مؤمن - فضلا عن عالم من علماء الدين تصدى لتفسير القرآن الكريم - ان الله سبحانه وتعالى يشرع لعباده " ما يخالف الموده والرحمه وسكون النفس الى المرأه " سبحانك ان هذا الا افتراء عظيم .

وليس هذا الا ترديد من الشيخين - جاويش واحمد المراغي - لقول شيخهما واستاذهما الامام محمد عبده الذى يفسر الخوف من عدم العدل بقوله " والخوف من عدم العدل يصدق بالظن والشك فيه بل يصدق بتوهمه ايضا ولكن الشرع قد يغتفر الوهم لأنه قلما يخلو منه علم بمثل هذه الامور فالذى يباح له ان يتزوج ثانيه أو اكثر

---

(١) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي : جـ ٤ ص ١٨١ .
(٢) المرجع السابق : جـ ٤ ص ١٨٣ .

هو الذى يثق من نفسه بالعدل بحيث لا يتردد فيه أو يظن ذلك ويكون التردد فيه ضعيفا "[1].

ويقول " ان اباحة تعدد الزوجات فى الاسلام أمر مضيق فيه أشد التضييق كأنه ضروره من الضرورات التى تباح لمحتاجها بشرط الثقة باقامة العدل والأمن من الجور ، واذا تأمل المتأمل مع هذا التضييق ما يترتب على التعدد فى هذا الزمان من المفاسد جزم بأنه لا يمكن لأحد أن يربى أمه فشافيها تعدد الزوجات فان البيت الذى فيه زوجتان لزوج واحد لا تستقيم له حال ولا يقوم فيه نظام ، بل يتعاون الرجل مع زوجاته على افساد البيت كأن كل واحد منهم عدو للآخر ثم يجئ الاولاد بعضهم لبعض عدو ، فمفسده تعدد الزوجات تنتقل من الافراد الى البيوت ومن البيوت الى الأمه "[2].

ثم ذكر رزايا ومصائب زعم انها متولده من تعدد الزوجات " ولو شئت تفصيل الرزايا والمصائب المتولده من تعدد الزوجات لاتيت بما تقشعر منه جلود المؤمنين فمنها السرقه والزنا والكذب والخيانه والجبن والتزوير ، بل منها القتل حتى قتل الولد والده والوالد ولده والزوجة زوجها والزوج زوجته كل ذلك واقع ثابت فى المحاكم "[2].

ولا ادرى هل هذا سوء فهم أو تعمد اساءه الفهم من الشيخ - عبده - لهذه المسأله بعد تفريقه بين " تشريع تعدد الزوجات " و " اساءه استعمال التشريع " فذهب يحمل رزايا ومصائب المسأله الثانيه ويلقيها على المسأله الاولى ، كيف يدور بخلد الشيخ - فضلا عن تقريره - ان الله سبحانه وتعالى يشرع لنا ما يتولد منه القتل بأقبح انواعه ، والسرقه والزنا ، والكذب والخيانه ، والجبن والتزوير ؟!

كيف يقرر أنه لا سبيل الى تربيه الأمه مع فشو تعدد الزوجات فيها "[3] ؟!

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٤ ص ٣٤٨ .
(٢) المرجع السابق : ج ٤ ص ٣٤٩ .
(٣) المرجع السابق : ج ٤ ص ٣٤٩ .

وكيف يقرر أن " مجرد توقع الانسان عدم العدل من نفسه كلف فى المنع من التعدد ولا يكاد يوجد أحد يتزوج بثانيه لغير حاجه وغرض صحيح يأمن الجور "[١] .

ثم بنى الشيخ على مزاعمه ودعاويه الباطله " ان يقلل العدد ويقيد بقيد ثقيل وهو اشتراط انتفاء الخوف من عدم العدل بين الزوجات وهو شرط يعز تحققه ومن فقهه واختبر حال الذين يتزوجون بأكثر من واحده يتجلى له أن أكثرهم لم يلتزم الشرط ومن لم يلتزمه فزواجه غير اسلامي "[٢] ؟ ! !

وفى هذا دعوه الى امرين خطيرين :-

أولهما : " يقلل العدد " ولا افهم من هذا الا أنه يقصد ان يقلل العدد من أربع الى اثنتين أو ثلاث فهو الاقل من اربع .

وثانيهما : تقييد التعدد " بقيد ثقيل " " يعز تحققه " وكأن الأمر اصبح عبثا وكأن الشرع ترك هذه المسأله من غير بيان الى البشر ليقيدوها بقيد ثقيل وليأتوا من القيود بما يعز تحققه .

ولم يكتف الشيخ بهذا بل وجه دعوته الى أولى الامر لتطبيق ما دعا اليه " فيجب على العلماء النظر فى هذه المسأله خصوصا الحنفيه منهم الذين بيدهم الامر وعلى مذهبهم الحكم فهم لا ينكرون ان الدين انزل لمصلحه الناس وخيرهم وأن من اصوله منع الضرر والضرار فاذا ترتب على شئ مفسده فى زمن لم تكن تلحقه فيما قبله فلاشك فى وجوب تغيير الحكم وتطبيقه على الحال الحاضره ، يعنى على قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وبهذا يعلم ان تعدد الزوجات محرم قطعا عند الخوف من عدم العدل "[٣] .

وهو يرى ان الاسلام لم يحث ويرغب فى التعدد بل ان فيه تبغيض له " فتراه قد جاء في أمر تعدد الزوجات بعبارة تدل على مجرد الاباحه على شرط العدل فان ظن الجور منعت الزياده على الواحده وليس فى ذلك ترغيب فى التعدد بل فيه

---

(١) تفسير المنار : ج ٤ ص ٣٥٨ .
(٢) المرجع السابق : ج ٤ ص ٣٥٩ .
(٣) المرجع السابق : ج ٤ ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

تهضيمن له "[1] .

ويرى أن فى التعدد حرجا عظيما " فاذا كان العدل غير مستطاع والخوف من عدم العدل يوجب الاقتصار على الواحده فما اعظم الحرج فى الزياده عليها"[2]

يقول هذا مستدلا بشطر آيه متناسيا باقيه " ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه ، وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما "[3]

ثم يصل بعد هذا كله الى ما هو أخطر وأشد فلا يجعل جواز تعدد الزوجات حكما شرعيا بل " عادة " ثم يدعو الى ابطالها فيقول :- " وأما جواز ابطال هذه العاده أى عادة تعدد الزوجات فلا ريب فيه ،

أما أولا : فلأن شرط التعدد هو التحقق من العدل وهذا الشرط مفقود حتما فان وجد فى واحد من المليلون فلا يصح ان يتخذ قاعده ، ومتى غلب الفساد على النفوس ، وصار من المرجح ان لا يعدل الرجال فى زوجاتهم جاز للحاكم ان يمنع التعدد أو للعالم ان يمنع التعدد مطلقا مراعاة للاغلب .

وثانيا : قد غلب سوء معاملة الرجال لزوجاتهم عند التعدد ، وحرمانهن من حقوقهن فى النفقه والراحة ، ولهذا يجوز للحاكم وللقائم على الشرع ان يمنع التعدد دفعا للفساد الغالب .

وثالثا : قد ظهر أن منشأ الفساد والعداوه بين الأولاد هو اختلاف امهاتهم فان كل واحد منهم يتربى على بغض الآخر وكراهته ، فلا يبلغ الاولاد أشدهم الا وقد صار كل منهم من أشد الاعداء للآخر ويستمر النزاع بينهم الى ان يخربوا بيوتهم بأيديهم وايدى الظالمين ، ولهذا يجوز للحاكم أو لصاحب الدين ان يمنع تعدد الزوجات أو الجوارى صيانة للبيوت عن الفساد .

---

(١) الاعمال الكامله للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عماره ج ٢ ص ٩٣ .
(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٩٣ .
(٣) سورة النساء : الآيه ١٢٩ .

نعم .. ليس من العدل ان يمنع رجل لم تأت زوجته منه بأولاد ان يتزوج بأخرى ليأتي منها بذريه ، فان الغرض من الزواج التناسل ، فاذا كانت الزوجة عاقرا فليس من الحق ان يمنع زوجها من ان يضم اليها أخرى .

وبالجمله .. فيجوز الحجر على الازواج عموما ان يتزوجوا غير واحده الا لضروره تثبت لدى القاضي ، ولا مانع من ذلك في الدين البته وانما الذى يمنع ذلك هو العاده فقط "[1].

وقلد الشيخ فيما ذهب اليه تلميذه السيد رشيد رضا فقال " وأما منع تعدد الزوجات اذا فشا ضرره وكثرت مفاسده وثبت عند اولى الأمر أن الجمهور لا يعدلون فيه في بعض البلاد لعدم الحاجه اليه بله الضروره فقد يمكن ان يوجد له وجه في الشريعه الاسلاميه السمحه اذا كان هناك حكومه اسلاميه فان للامام ان يمنع المباح الذى يترتب عليه مفسده مادامت المفسده قائمه به والمصلحة بخلافه بل منع عمر (رضى) في عام الرماده أن يحد سارق، ولذلك نظائر اخرى ليس هذا محل بيانها "[2].

أما قياسه تحريم تعدد الزوجات على منع عمر رضى الله عنه حد السارق في عام الرماده فلا يصح . ذلك ان المقيس عليه توفرت له من الاسباب الحقيقيه الخالصه من الشوائب كالتزلف الى اعداء الدين ، توفر له من هذا ما جوز لعمر رضى الله عنه وللصحابه في عهده التجاوز عن اقامة الحد في هذا العام ، أما تعدد الزوجات فلم يتوفر له من الاسباب ما يجوز منعه وتحريمه ولو اعتبرنا مثل ما ذكروا مبيحا لقطع الحكم الشرعي لتغيرت كثير من احكام الشريعه الاسلاميه بل الأمر على الضد من ذلك فان الاسباب قد توفرت لنشر تعدد الزوجات بين المسلمين واهم هذه الاسباب اتساع رقعه " فتنه النساء " ومنها تكثير اعداد المسلمين " المتمسكين حقا بالاسلام" في مواجهة اعداء المسلمين ذلكم ان هذا النوع " قله " في مواجهه " كثره " من الكفار والمشركين .

---

(١) الاعمال الكامله للامام محمد عبده : محمد عماره ج ٢ ص ٩٤- ٩٥ .
(٢) نداء للجنس اللطيف : محمد رشيد رضا ص ٥٣ .

ونحن فى حاضرنا نعاني من امثال هذه الاجتهادات الباطله ومعظمها مبنى على الالحاد والعداء للدين لا على طلب الحكم الشرعي الصحيح ، نذكر من هذا على سبيل القرن ما دعا اليه رئيس الجمهوريه التونسيه المسمى " الحبيب" بورقيبه فى الخامس من شهر فيفرى ١٩٦٠م الى الترخيص فى الافطار أيام شهر رمضان كي يتصل العمل من دون أن يعروه الفتور وكي يتصل الانتاج من دون ان ينتابه النقصان مستندا الى ضروره المعركه الاقتصاديه [١].

دع عنك ما اصدره من قانون يمنع تعدد الزوجات منعا باتا فى ٦ محرم ١٣٧٩هـ الموافق ١٣ أغسطس ١٩٥٦م يقول فيه " تعدد الزوجات ممنوع ، والمتزوج بأكثر من واحده يستوجب عقابا بالسجن مده عام وبخطيه (أى غرامه) قدرها ٢٤٠٠٠٠ فرنك أو باحدى العقوبتين " (الفصل ١٨) [٢].

وهو متأثر بالقانون الفرنسي الذى يجوز الاعتراف بالنسب الشرعي لابناء يولدون من علاقه غير شرعيه اثناء الزواج ولكن لا يجوز الاعتراف بأم هؤلاء الابناء كزوجه .. ومعنى ذلك ان التشريع الفرنسي يسلم جزئيا بتعدد الزوجات فى مجال نسب الاولاد ، ولكنه لا يريد ان يعترف للمرأه الاخرى الا بوصف العشيقه ، مهدرا مالها من حقوق ، وهي أم الاولاد [٣].

وهذا الاتجاه هو ما يسعى اليه كثير من المنتسبين الى الاسلام فى غفلة من علمائهم .

فهل هذا هو ما يدعو اليه ويرغب به الشيخ محمد عبده وتلاميذه ؟! لا اعتقد أنهم - جميعا - يقصدون هذا ولا تصل بهم الحال الى هذا الهدف ولكنه هو ما ستصل اليه الحال اذا نفذ مادعوا اليه سواء أقصدوا ذلك أم لم يقصدوه .

بل ان اقواله واقوال تلاميذه قد اصبحت حججا يستدل بها دعاة منع تعدد الزوجات أو تقييده [٤] وحتى سوغ الشيخ الازهري عبد المتعال الصعيدى لنفسه

---

(١) فى سبل السنه الاسلاميه : محجوب بن ميلاد ص ٣٦٨ .
(٢) تعدد الزوجات : عبد الناصر توفيق العطار ص ٢٦٢ .
(٣) المرجع السابق : ص ٢٦٤ .
(٤) المرجع السابق : ص ٢٧٤ .

أن يكتب قائلا بملء فيه " نعم .. نملك تحريم تعدد الزوجات "[١] .

ثم أى شيء يقصده الشيخ محمد عبده من زعمه ان تعدد الزوجات يتولد منه رزايا ومصائب كالقتل والسرقه والزنا والكذب والخيانه والجبن والتزوير ؟ وما زعمه تلميذه احمد مصطفى المراغي من ان التعدد يخالف الموده والرحمه وسكون النفس الى المرأه . وما زعمه تلميذه الآخر السيد رشيد رضا من أن " التعدد خلاف الاصل وخلاف الكمال وينافي سكون النفس والموده والرحمه التى هي اركان الحياة الزوجيه لا فرق بين زواج من لم يقمها وبين ازدواج العجماوات ونزوان بعضها على بعض "[٢] .

ما سرّ هذه الحمله العنيفه منهم على تعدد الزوجات ؟ ! ولو كانت هذه الاوصاف حقا متولده عن تعدد الزوجات لهان الأمر ولكنها كما قلنا ليست متولده الا من سوء استخدام هذا الحق الشرعي للرجال .

وكان الاحرى برجال المدرسه العقليه الحديثه ان يبثوا الوعي الاسلامي الحق بين العامه في خطبهم فى المساجد وفى صحفهم ومجلاتهم وفي جلساتهم العامه والخاصه العلميه منها والعائليه وغير ذلك .

كان الاحرى بهم بث الوعي لجلاء الحقيقه الاسلاميه فى الهدف من تشريع تعدد الزوجات كان الاحرى بهم الحث على تعدد الزوجات ونشره بين المسلمين الذين وعوا هذا الهدف الاسلامي النبيل لزيادة عدد المسلمين فى وجه اعداء الدين الذين ما فتئوا يجربون كل وسيله ويبثون كل فكر هدام للقضاء على هذا الهدف الاسلامي النبيل من تعدد الزوجات .

شوهوا هذا التشريع وجعلوه من عيوب الاسلام وهو من محاسنه ، دعوا الى تحديد النسل فخدع بعض المسلمين بدعوتهم واصبحوا من الدعاة اليه بعد ان كانوا من المدعوين ونسوا انهم فى حاجة الى زيادة النسل لا تحديده بله نقصانه .

(١) مجله الرساله : العدد ٧٧٣ الاثنين ٢٦ ابريل ١٩٤٨م السنه ١٦ ص ٤٨٩ .
(٢) تفسير المنار : ج ٤ ص ٢٧٠ .

المسلمون فى حاجة الى كل ما من شأنه زيادة عددهم وهو ما يخشاه اعداء الاسلام فى أوربا وغيرها .

بثوا باسم العلم والدراسات المتطوره والنظريات الحديثه البعيده العميقه أن الكون مقبل على مجاعه عظيمه ، وأن تلافي خطرها يكمن فى تحديد النسل فعلوا هذا بعد أن وصلوا الى اعداد من الكثره بحيث تكفى للوقوف فى وجه المسلمين وفى وقت يكون فيه المسلمون من القله العدديه ما لا يؤبه له مقابل اعدادهم .

والا فما معنى ان لا يتجاوز السكان فى الجزيره العربيه كلها عشره ملايين ، بينما يقرب سكان بريطانيا وفرنسا من مئه وخمسين مليونا ، وهما لا يشكلان مساحه تعادل مساحة المملكة العربيه السعوديه وحدها أو تقاربها .

ثم انظر معي الى الدول ذات الكثافه السكانيه فى العالم ، الصين والهند يأتي بعدهما الولايات المتحده الاميركيه والاتحاد السوفيتي واضف اليهن ان شئت بريطانيا وفرنسا تجد ان هذه الدول هي وحدها التى تملك القوه الذريه وتهدد بها العالم وتفرض لذلك سيطرتها على دوله فيما يسمى بمجلس الأمن فلها " حق الفيتو " وهو حق الاعتراض .

ثم انظر الى اليابان ذات المئه مليون وهي الجزيره الصغيره حتى صارت عاصمتها اكثر مدن العالم ازدحاما بالسكان صارت أم الدول فى الصناعه والاختراع.

ثم حول طرفك ان شئت بعد هذا الى عالمنا الاسلامي تجد باكستان وهي ذات كثافه سكانيه على قاب قوسين أو ادنى ان شاء الله من اختراع القنبله الذريه وامتلاكها مهما وضعت دول الكفر وحرب الاسلام فى وجهها من عقبات ومهما غفل المسلمون عن عونها .

وحول طرفك بعد هذا الى عالمنا العربي تجد ان اكثر دوله كثافه هي جمهوريه مصر وتجدها اكثر الدول العربيه تقدما علميا فى الصناعة والاختراع ثم اكثرها علماء فى مختلف اصناف العلم حتى كان عندها القدره على بثهم فى مختلف الدول العربيه والاسلاميه ، ولو سخر زعماء هذا البلد لعلمائه ما يتطلبون فى أبحاثهم من دعم

مادى وشجعوهم وسخروا لهم امكانياتهم لكان لهم شأن كبير بين دول العالم الاسلامي ، ولكن العدو العالمي والصهيونية العالميه لم تغفل عن هذه الناحيه فجلبت اليها والى ديارها من شاءت منهم تحت اغراء الماده وصرفت واشغلت زعماء المسلمين عن هذا الهدف .

وليس هذا - وحده - هو ما نقصده بالدعوه الى كثافه السكان ولكن اذا اضيف اليه هدف الاسلام السامي وهو تكوين شعوب اسلاميه تنشر بين الناس بكثرتها مبادئه السمحه وتعاليمه العاليه كان لذلك أثره فى أن يسود العالم كله حكم الله وشريعته وبهما الفلاح كل الفلاح .

والحق ان العلاج بأيدينا شرعه الله لنا واباحه :- تعدد الزوجات ، وعدم تحديد النسل ، يوافق هذا التشريع العدل والتضامن والتكافل والاجتماعي فى الاسلام .

ولنعرض عن اقوال من خدعته الحضاره الغربيه بأقوالها المنمقه المضلله ، وأساليبها البراقه الهدامه ، فذهب يدافع عنها ويجاملها ويراها المثال الكامل فذهب تحت هذا التأثير الذى يرسخ تحته يدعو الى تضييق ما وسع الله به على المسلمين وتحريم ما أباحه الله لهم ، وذهب يقيس التشريعات الاسلاميه بمقياس اقوال " احرار الافرنج " اعداء الاسلام ، فما وافق اقوالهم فهو التشريع المتمدن المعاصر ، وما خالفها فهو قول رجعى لا يوافق زماننا وعصرنا بل يجب تغييره وتبديله ،وكأن الميزان للقبول والرد للتشريعات هي تلك الاقوال الغربيه لا الكتاب السماوى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

رابعا : قوله تعالى

" وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ان الله كان عفوا غفورا " . من الآيه ٤٣ من سورة النساء .

والحديث هنا عن مرجع القيد " فلم تجدوا ماء " فى الآيه بالنسبه الى الحالات الأربع المذكوره فى الآيه نفسها قبله .

١- ان كنتم مرضى .
٢- أو على سفر .
٣- أو جاء أحد منكم من الغائط .
٤- أو لامستم النساء .

هل يرجع اشتراط فقد الماء لاباحة التيمم الى أقرب الحالات اليه وهي ملامسة النساء وحدها أو يرجع القيد الى الحالات الأربع فلا يصح التيمم للمريض ولا للمسافر ولا لمن جاء من الغائط ولا لمن لامس النساء الا فى حالة فقد الماء .

قال الامام الشوكاني رحمه الله تعالى " هذا القيد ان كان راجعا الى جميع ما تقدم مما هو مذكور بعد الشرط (يعنى " ان كنتم مرضى ...") وهو المرض والسفر والمجيء من الغائط وملامسة النساء كان فيه دليل على أن المرض والسفر بمجردهما لا يسوغان التيمم بل لابد مع وجود أحد السببين من عدم الماء فلا يجوز للمريض أن يتيمم :

الا اذا لم يجد ماء . ولا يجوز للمسافر أن يتيمم الا اذا لم يجد ماء ، ولكنه يشكل على هذا أن الصحيح كالمريض اذا لم يجد الماء تيمم وكذلك المقيم كالمسافر اذا لم يجد الماء تيمم ، فلابد من فائده فى التنصيص على المرض والسفر فقيل وجه التنصيص عليهما أن المرض مظنه للعجز عن الوصول الى الماء وكذلك المسافر عدم الماء فى حقه غالب .

وان كان راجعا الى الصورتين الأخيرتين : أعنى قوله " أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء " ، كما قال بعض المفسرين كان فيه اشكال وهو أن من صدق عليه اسم المريض أو المسافر جاز له التيم وان كان واجدا للماء قادرا على استعماله .... وقال مالك ومن تابعه : ذكر الله المرض والسفر فى شرط التيمم اعتبارا بالأغلب فيمن لم يجد الماء بخلاف الحاضر فان الغالب وجوده فلذلك لم ينص الله سبحانه عليه انتهى .

ثم ذكر الشوكانى رحمه الله تعالى ما يراه على كلا التقديرين فقال " والظاهر أن المرض بمجرده مسوغ للتيمم [1] وان كان الماء موجودا اذا كان يتضرر باستعماله فى الحال أو فى المآل ، ولا تعتبر خشية التلف فالله سبحانه يقول " يريد الله بكم اليسر [2] - ويقول - وما جعل عليكم فى الدين من حرج [3] " والنبى صلى الله عليه وسلم يقول - الدين يسر [4] - ويقول " يسروا ولا تعسروا " [5] وقال " قتلوه قتلهم الله " [6] ويقول (أمرت بالشريعه السمحه) [7] .

فاذا قلنا ان قيد عدم وجود الماء راجع الى الجميع كان وجه التنصيص على المرض هو أنه يجوز له التيمم والماء حاضر موجود اذا كان استعماله يضره ، فيكون اعتبار ذلك القيد فى حقه اذا كان استعماله لا يضره ،فان فى مجرد المرض مع عدم الضرر باستعمال الماء ما يكون مظنه لعجزه عن الطلب لأنه يلحقه بالمرض نوع ضعف .

---

(١) هذا ترجيح منه لكون مرجع القيد الى الحالتين الأخيرتين دون المرض والسفر .

(٢) سورة البقره من الآيه (١٨٥) .
(٣) سورة الحج من الآيه (٧٨) .
(٤) حديث ان الدين يسر رواه البخارى فى الايمان وكذا النسائي ورواه أحمد فى مسنده ج ٥ ص ٦٩ .
(٥) رواه البخارى فى كتاب العلم وفى المغازى وفى الادب ورواه مسلم فى الجهاد وابوداود فى الادب واحمد فى مسنده ج ١ ص ٢٣٩ وغيرها .
(٦) رواه ابوداود وابن ماجه فى الطهاره والدارمى فى الوضوء واحمد فى مسنده ج ١ ص ٣٣٠ وج ٦ ص ٢٩٨ .
(٧) رواه احمد فى مسنده ج ٥ ص ٢٦٦ بلفظ " انى لم ابعث باليهوديه ولا بالنصرانيه ولكنى بعثت بالحنيفيه السمحه " .

وأما ما وجه التنصيص على المسافر فلاشك أن الضرب في الأرض مظنه لاعواز الماء في بعض البقاع دون بعض" (٨) .

والخلاصه أنه لا خلاف بين الفقهاء في المذاهب الأربعة أن المريض الذى يخشى على نفسه الضرر باستعمال الماء يباح له التيمم وكذا المسافر والمقيم اذا لم يجدا الماء جاز لهما التيمم وانما ذكر الأول لأن السفر مظنة فقد الماء .

هذا ما أتفق عليه فقهاء المذاهب الأربعة ولم يكن ما أستندوا اليه فى هذا الحكم هو مجرد مدلول الآيه فحسب والاستدلال بما أشارت اليه بل اعتدوا فى ذلك بما ورد فى السنه النبويه الشريفه من بيان وتفصيل امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم " ألا أنى أوتيت هذا الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه" (٢) .

ونكتفى من السنه بما رواه البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والنسائى رحمهم الله تعالى عن عائشة رضي الله عنها قالت " خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء فأتى الناس الى ابى بكر الصديق فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشه أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء " الى أن قالت عائشه رضي الله عنها " فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم " وغير ذلك مما ورد فى التيمم من الحديث .

رفض هذا رجال المدرسه العقليه الحديثه وخالفوا جمهور الفقهاء وسفهوهم فيما ذهبوا اليه وليتهم استندوا الى أدله ثابته وقواعد متينه فيما ذهبوا اليه

---

(١) فتح القدير : الامام الشوكاني جـ ١ ص ٤٧١ .

(٢) رواه ابو داود فى باب لزوم السنه والترمذى فى العلم وأحمد فى مسنده وابن ماجه باب تعظيم حديث رسول الله (ص) .

وما زعموه ، ولكنهم جانبوا هذا المنهج ولم يد ركوه وأعتمدوا كل الاعتماد على ما أملته عليهم أفهامهم من الآيه مستقله كل الاستقلال عن بيان من أرسله الله ليبين لنا ما أنزل الينا وقالوا عن هذه الروايات المبينه التى روى اكثرها السته كما أقروا هم بذلك .

" انها منقولة بالمعنى وهي وقائع أحوال مجمله لا تنهض دليلا "[1] وزعموا أن " مفهومها مفهوم مخالفه وهو غير معتبر عند الجمهور ولاسيما فى معارضة منطوق الآيه "[1] .

واضافة الى هذا الاسلوب منهم فى الاستدلال فان لهم أسلوبا آخر فى تفسير هذه الآيه ذلكم أن الحالات المذكوره فى الآيه أربع كما قلنا :

ان كنتم

١ - مرضى .

٢ - أو على سفر .

٣ - أو جاء أحد منكم من الغائط .

٤ - أو لامستم النساء .

ولم تجدوا مـــاء .

فتيمموا صعيـــدا طيبا .

فالحالات أربع والقيد واحد والنتيجه التيمم والخلاف فى رجوع القيد الى الحالات الأربع أو الى الأخير منها لقربه من الشرط . أما أولئك فجعلوا الحالات ثلاثا ذلك أنهم جعلوا القيد حاله ثالثه بدلا من الثالثه والرابعه فزعموا أن الحالات .

ان كنتم ١) مرضى ٢) أو على سفر ٣) أو لم تجدوا ماء

وهي مغالطة منهم حتى يقطعوا احتمال عودة القيد الى الحالتين الأوليين المرض والسفر بحال من الأحوال قال السيد رشيد رضا فى تفسير الآيه : " أى ففي هذه الحالات المرض والسفر وفقد الماء عقب الحدث الأصغر الموجب للوضوء والحدث

---

(١) تفســير المنار ج ٥ ص ١٢٢ .

الأكبر الوجب للغسل. تيمموا صعيدا طيبا " وقال الشيخ محمود شلتوت " ولما كان الأصل الذى عليه الناس هو صحتهم واقامتهم ووجود الماء فيما بينهم ... كان من الضرورى أن تعرض الآيه للأحوال الطارئه على هذا الأصل وهى أحوال المرض والسفر ، وعدم وجود الماء .... " فقال " وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا " ٤٣ النساء وعلى هذا يكون " المرض " عارضا مبيحا للتيمم بنفسه دون أى أعتبار آخر معه ، سواء صحبته اقامه أم سفر ، أو وجود ماء أو فقده أو حدث أصغر أو أكبر ويكون " السفر " عارضا مبيحا للتيمم بنفسه دون أى أعتبار آخر معه سواء صحبه مرض أو صحه أو وجود ماء أو فقده فى حدث أصغر أو اكبر ويكون فقد الماء عارضا مبيحا للتيمم بنفسه صحبه صحة أم مرض اقامة أم سفر ، فى حدث أصغر أم اكبر "[1] .

وهم كما رأيت بنوعلى هذا التقسيم أن كل واحد من الأحوال الثلاثه المرض أو السفر أو فقد الماء هو عذر بحد ذاته لاباحة التيمم .

قال الشيخ محمد عبده " المعنى أن حكم المريض والمسافر اذا أراد الصلاة كحكم المحدث حدثا أصغر أو ملامس النساء ولم يجد الماء فعلى كل هؤلاء التيمم فقط "[2] ثم زعم " هذا ما يفهمه القارىء من الآيه نفسها اذا لم يكلف نفسه حملها على مذهب من وراء القران يجعلها بالتكلف حجة له منطبقه عليه "[2] .

والذى يفهمه القارىء من الآيه ليس ما زعم الشيخ محمد عبده هذا اذا لم يستند الى بيان السنة لها فالذى يفهم من مجرد الآيه أن التيمم يباح للمريض وللمسافر ولمن جاء من الغائط ولمن لامس النساء . بشرط فقد الماء هذا ما يدل عليه ظاهر الآيه اذا لم نبينه بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولذلك فلا عجب أن يطالع الشيخ عبده خمسة وعشرين تفسيرا ولا يجد فيها مثل مفهومه قال الشيخ محمد عبده

---

(١) تفسر القرآن الكريم - محمود شلتوت - ص ٢٢٤ .
(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١١٩ .

" وقد طالعت فى تفسيرها خمسة وعشرين تفسيرا فلم أجد فيها غناء فيها ولا رأيت قولا فيها يسلم من التكلف - ثم رجعت الى المصحف وحده [1] فوجدت المعنى واضحا جليا ، فالقرآن أفصح الكلام وابلغه وأظهره وهو لا يحتاج عند من يعرف العربيه مفرداتها وأساليبها الى تكلفات فنون النحو وغيره من فنون اللغه عند حافظي أحكامها من الكتب مع عدم تحصيل ملكة البلاغه " [2] .

وأيد الأستاذ رشيد كلام أستاذه قائلا " واذا كان رحمه الله قد راجع خمسة وعشرين تفسيرا رجاء أن يجد فيها قولا لا تكلف فيه فأنا لم أراجع عند كتابة تفسيرها الا روح المعاني وهو آخر التفاسير المتداوله تأليفا وصاحبه واسع الاطلاع فاذا به يقول " الآيه من معضلات القرآن " .

ووالله ان الآيه ليست معضله ولا مشكله وليس فى القرآن معضلات الا عند المفتونين بالروايات والاصطلاحات وعند من اتخذوا المذاهب المحدثه بعد القرآن أصولا للذين يعرضون القرآن عليها عرضا فاذا وافقها بغير تكلف أو بتكلف قليل فرحوا والا عدوها من المشكلات والمعضلات " [3] .

ثم أراد أن يؤيد ما ذهب اليه بأسلوب جديد فى التأييد فجعل ما فهمه من الآيه أمرا مسلما واضحا عنده وعند خصومه وانما منعهم من القول به مخالفة المذاهب المعروفه لا عدم اقتناعهم بما قاله هو وأستاذه فقال " سيقول أدعياء العلم من المقلدين نعم ان الآيه واضحة المعنى كاملة البلاغه على الوجه الذى قررتم ولكنها تقتضى عليه أن التيمم فى السفر جائز ولو مع وجود الماء وهذا مخالف للمذاهب المعروفه عندنا ، فكيف يعقل أن يخفى معناها هذا على أولئك الفقهاء المحققين ويعقل أن يخالفوها من غير معارض لظاهرها ارجعوها اليه ولنا أن نقول لمثل هؤلاء - وان كان المقلد لا يحاج لأنه لا علم له - وكيف يعقل أن يكون أبلغ الكلام وأسلمه من التكلف والضعف

---

(١) متى كان الرجوع الى (المصحف وحده) منهجا سليما فى التفسير هذا لو سلمنا له مفهومه .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١١٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٩ - ١٢٠ جـ ٥ .

معضلا مشكلا ؟ وأى الأمرين أولى بالترجيح : الطعن ببلاغة القرآن وبيانه لحمله على كلام الفقهاء . أم تجويز الخطأ على الفقهاء لأنهم لم يأخذوا بما دل عليه ظاهر الآيه من غير تكلف وهو الموافق الملتئم مع غيره من رخص السفر التى منها قصر الصلاة وجمعها واباحة الفطر فى رمضان فهل يستنكر مع هذا أن يرخص للمسافر فى ترك الغسل والوضوء وهما دون الصلاة والصيام فى نظر الدين ؟ أليس من المجرب أن الوضوء والغسل يشقان على المسافر الواجد للماء فى هذا الزمان الذى سهلت فيه أسباب السفر فى قطارات السكك الحديديه والبواخر ؟ أفلا يتصور المنصف أن المشقة فيهما أشد على المسافرين على ظهور الابل فى مفاوز الحجاز وجبالها ؟ هل يقول منصف ان صلاة الظهر أو العصر أربعا فى السفر أسهل من الغسل أو الوضوء فيه ؟ السفر مظنة المشقه يشق فيه غالبا كل ما يؤتى فى الحضر بسهوله وأشق ما يشق فيه الغسل والوضوء وان كان الماء حاضرا مستغنى عنه . وأضرب لهم مثلا هذه الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام فان الماء فيها كثير دايما فى كل باخره منها حمامات أى بيوت مخصوصه للاغتسال بالماء الساخن والماء البارد ولكنها خاصة بالأغنياء الذين يسافرون بالدرجة الأولى والثانيه وهؤلاء الاغنياء منهم من يصيبه دوار شديد يتعذر عليه معه الاغتسال . أو خفيف يشق معه الاغتسال ولا يتعذر فان كانت هذه السفن التى يوجد فيها من الماء المعد للاستحمام ما لم يكن يوجد مثله فى بيت أحد من أهل المدينه زمن التنزيل يشق فيه الأغتسال أو يتعذر فما قولك فى الاغتسال فى قطارات سكك الحديد أو قوافل الجمال والبغال "[2] .

ثم انظر الى هذه المغالطه من السيد رشيد اذ جعل السفر هو المبيح للتيمم لمن يصيبه الدوار الشديد الذى يتعذر معه الاغتسال وتجاهل أن الدوار الشديد مرض أباح لصاحبه التيمم اذا كان استعمال الماء يزيده مشقة أو ضررا

(١) هذا خطأ فى الاستدلال من السيد رشيد فهو يريد أن يقول أشق من الغسل أو الوضوء فيه "وبهذا يستقيم الاستدلال ولكنه أخطأ وقال " أسهل من الغسل " ويتضح هذا بعد سطر من هذا .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١٢٠ - ١٢١ .

فالعذر هنا المرض وليس السفر ومن المسلم به عند الفقهاء أن المرض من مبيحات التيمم ولو مع وجود الماء اذا كان يلحقه ضرر باستخدامه لدلالة الكتاب والسنه على ذلك فى غير موضع قال تعالى (ولا تلقوا بايديكم الى التهلكه)[1] وقال سبحانه (يريد الله بكم اليسر)[2] وقال صلى الله عليه وسلم (قتلوه قتلهم الله)[3] فيمن أفتى لجريح بوجوب الغسل ومنع التيمم ففعل ومات . هذا فى المرض أما السفر فبقى على دلالة الآيه فى اشتراط فقد الماء لاباحة التيمم فلا يصح الاستشهاد بحالة المرض فى السفر بالدوار الشديد على اباحة التيمم للمسافر فالعلة هنا المرض وليست السفر .

ذلكم هو المنهج السليم فى تفسير الكتاب ألا وهو الاعتضاد بالسنه النبويه والاستعانة بها فى بيان مجمله أو تخصيص عمومه ونحو ذلك . أما من استغنى بالكتاب عن السنه وقال " عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه " فقد حذرنا منه صلى الله عليه وسلم ونهانا عن الاستماع الى قوله ورد عليه صلى الله عليه وسلم بقوله " الا انى أوتيت هذا الكتاب ومثله معه " .

ولم نجد الشيخ عبده وتلاميذه يستدلون بآيه من الكتاب أو حديث من السنه فى بيان الآيه وتفسيرها وانما استندوا الى الرأى ولو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه .[4]

قال السيد رشيد :-

" ألا ان من أعجب العجب غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصه الصريحه فى عبارة القرآن ، التى هي أظهر وأولى من قصر الصلاة وترك الصيام ، وأظهر فى رفع الحرج والعسر الثابت بالنص وعليه مدار الأحكام واحتمال ربط قوله تعالى " فلم تجدوا ماء " بقوله " وان كنتم مرضى أو على سفر " بعيد بل ممنوع البته كما تقدم على أنهم

---

(١) من الآيه - ١٩٥ - من سورة البقره .

(٢) من الآيه - ١٨٥ - من سورة البقره .

(٣) انظر تخريج الحديث ص ٥٨٩ .

(٤) هو قول لعلى بن ابي طالب رضى الله عنه .

لا يقولون به فى المرض لأن اشتراط فقد الماء فى حقهم لا فائدة له لأن الأصحاء مثلهم فيه فيكون ذكرهم لغوا يتنزه عنه القرآن ونقول :- ان ذكر المسافرين كذلك فان المقيم اذا لم يجد الماء يتيمم بالاجماع فلولا أن السفر سبب الرخصه كالمرض لم يكن لذكره فائده ولذلك عللوه بما هو ضعيف متكلف وما ورد فى سبب نزولها من فقد الماء فى السفر او المكث مده على غير ماء لا ينافى ذلك . رووا " أنها نزلت فى بعض أسفار النبى صلى الله عليه وسلم وقد انقطع فيها عقد لعائشه فأقام النبى صلى الله عليه وسلم على التماسه والناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأغلظ ابو بكر على عائشه وقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فنزلت الآيه فلما صلوا بالتيمم جاء أسيد بن حضير الى مضرب عائشه فجعل يقول ما أكثر بركتكم يا آل ابى بكر" رواه السته وفى روايه " يرحمك الله تعالى ياعائشه ما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله تعالى فيه للمسلمين فرجا . فهذه الروايه وهي من وقائع الأحوال لا حكم لها فى تغيير مدلول الآيه ولا تنافى جعل الرخصه أوسع من الحال التى كانت سببا لها ، ألا ترى أنها شملت المرض ولم يذكر فى هذه الواقعه أنه كان فيها مرضى شق عليهم استعمال الماء على تقدير وجوده وليس فيها دليل على أن كل الجيش كان فاقدا للماء ولا أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل التيمم فيها خاصا بفاقدى الماء دون غيرهم ومثلها سائر الروايات المصرحه بالتيمم فى السفر لفقد الماء التى هي عمدة الفقهاء على أنها منقولة بالمعنى وهي وقائع أحوال مجمله لا تنهض دليلا ومفهومها مفهوم مخالفه وهو غير معتبر عند الجمهور ولاسيما فى معارضة منطوق الآيه .

واننا نرى رخصة قصر الصلاة قد قيدت بالخوف من فتنة الكافرين كما سيأتى فى هذه السوره ونرى هؤلاء الفقهاء وكلهم لم يعملوا فيها بمفهوم هذا الشرط المنصوص الذى كان سبب الرخصه أفلا يكون ما هنا أولى بأن لا يشترط فيه شرط ليس فى كتاب الله ؟ وروى فى سبب النزول أيضا أن الصحابه نالتهم جراحه وابتلوا بالجنابه فشكو ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت وروى أيضا أنها نزلت فيمن أغتسل فى السفر بمشقه"(1)

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٥ ص ١٢١ ، ١٢٢ .

ولا ندرى كيف سوغ السيد رشيد لنفسه الاستدلال بما ذهب اليه الجمهور في قصر الصلاة في السفر في رد ما ذهبوا اليه في التيمم بعدم اعتبارهم القيد هناك واعتبارهم له هنا وهو الذى ينقل قول أستاذه محمد عبده في تفسير آية قصر الصلاة في السفر فيقول عن شيخه محمد عبده " قال والقصر المذكور في الآيه الأولى هنا ليس هو قصر الصلاة بالرباعيه في السفر المبين بشروطه في كتب الفقه فذلك مأخوذ من السنه المتواتره ، وأما هنا فهو في صلاة الخوف كما ورد عن بعض الصحابه وغيرهم من السلف والشرط فيها على ظاهره "(١) ويقول معلقا على جواب ابن عمر رضي الله عنهما لمن سأله " انا نجد صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن ولا نجد صلاة السفر في القرآن " ، فأجابه ابن عمر رضي الله عنهما " ياأخي ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانا نفعل كما رأينا محمدا صلى الله عليه وسلم يفعل " .

علق السيد رشيد رضا على هذا بقوله " أقول وهذا هو القول الفصل والحاذق من عرف كيف يطبق فعله صلى الله عليه وسلم على القرآن فهو تبيين له لا يعدله تبيان "(٢) .

كيف يرجع السيد رشيد وأستاذه الى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة في السفر ولا يرجعان اليه صلى الله عليه وسلم في فعله وفعل أصحابه من بيان لقيد اشتراط فقد الماء في السفر وعدم اعتباره في المريض والجريح .

أما الاستدلال بالرأى كقول أحمد المراغي في تفسيره للآيه " فالمشاهد أن الوضوء والغسل يشقان على المسافر الواجد للماء في هذا الزمان الذى سهلت فيه وسائل السفر في السكك الحديديه والبواخر فكيف تكون المشقه للمسافرين على ظهور الابل في مفاوز الحجاز وجبالها ، فأشق ما يشق في السفر الغسل والوضوء وان كان الماء حاضرا مستغنى عنه "(٣) .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ٥ ص ٣٦٥ .
(٢) المرجع السابق جـ ٥ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .
(٣) تفسير المراغي جـ ٥ ص ٤٨ .

ومثله قول السيد رشيد الذى نقلناه آنفا مثل هذا الاستدلال فغير مسلم فقد جربنا السفر وجربه غيرنا وكم تمنينا أثناءه أن نجد ماء نغسل به وجوهنا ونغطس فيه أقدامنا لنخفف عنا من وعثاء السفر بل لقد كنا نحط رحالنا عنده وما بنا من حاجة للوقوف لولا وجوده لنغتسل منه ونتنظف ونزيل به ما علق بوجوهنا وشعورنا من غبار الطريق أو ننشط من أبداننا ما أوهنته وعثاء السفر كل هذا نفعله ونجد فيه راحه ولذه لا يقطعها الا الحاجة الى الماء والدعوه الى الاقتصاد فيه وما زعم أحد أن فى وضوء المسافر وأغتساله تعب فضلا عن الزعم بكونه " أشق ما يشق فى السفر الغسل والوضوء وان كان الماء حاضرا مستغنى عنه " .

ويرفض الشيخ شلتوت ما ورد فى الروايات الصحيحه التى روى بعضها السته من ذكر فقد الماء عند التيمم فى السفر ويرى أن هذا لا يكفى لكونه شرطا لصحة التيمم ويطلب واقعه منع فيها التيمم للمسافر مع وجود الماء فيقول " والرأى أنه اذا ثبت عن طريق موثوق به واقعة حال منع فيها التيمم للمسافر مع وجود الماء، أو ثبت نقل صحيح لاجماع صحيح على منع التيمم لذلك المسافر ، كان ذلك أساسا لقبول رأى الفقهاء فى الموضوع ، وكان فى الوقت نفسه موجبا لتخريج الآيه على النحو الذى يتفق مع ما صح ثبوته من وقائع الحال أو صريح الاجماع أما والحال كما تعلم من أنه لا ثبوت لمثل تلك الواقعه ، ولا تصريح بنقل الاجماع فان الفقيه فى حل من أن يفهم الآيه ويخرجها على ما تقتضيه أساليب اللغه العربيه وتشهد به أصول التشريع فيما يختص بالعزائم وأسباب الترخيص ونرجو أن يكشف الله لنا ولغيرنا الخطأ فى أمثال هذه المسأله كشفا تطمئن اليه القلوب ، ويقلل من نوازع الخلافات الفرعيه التى تقع فى دائرة ما أباح الله فيه النظر والاجتهاد "(١) .

قال هذا الشيخ محمود شلتوت وفاته أن الأصل فى الطهارة هو الوضوء ثم جاءت الآيه وأستثنت هؤلاء الأربعه وبينت السنه هذا الاستثناء من عجز المريض أو خشيته على نفسه الضرر وهو بمعنى فقد الماء المشروط فى الحالات الباقيه .

(١) تفسير القرآن الكريم محمود شلتوت ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

وبقى ما عدا هذه الحالات على الأصل ومن ذلك المسافر الواجد للماء والمريض القادر على استعماله ولا يلحقه الضرر . ولو صح أن يقال لابد من حالة منع فيها التيمم للمسافر مع وجود الماء حتى يستدل بها على منع المسافر الواجد للماء من التيمم لو صح هذا لصح أن يقال ولابد من حاله منع فيها المقيم من التيمم مع وجود الماء حتى يستدل بها على منع المقيم الواجد للماء من التيمم .

ولما لم يصح هذا لأن الأصل فى الطهاره الوضوء لم يصح أن يقال أيضا فى المسافر الواجد للماء لعدم وجود المبيح وهو فقد الماء .

ثم يجب أن نشير هنا الى مسألة دقيقه فى نقاشنا مع رجال المدرسه العقليه الحديثه فى مثل هذه الأمور .

ذلكم أن رفضي هذا لا أقصده به الحكم الذى توصلوا اليه من جواز التيمم للمسافر مع وجود الماء وانما يتجه رفضى الى المنهج الذى سلكوه للوصول الى هذا الحكم ويعم رفضي هذا كل ما يتوصل اليه بهذا المنهج .

وهي مسألة دقيقه يجب ادراكها للتفريق بين رفض الحكم ورفض المنهج فدراستى ليست دراسة فقهيه حتى أناقشهم فيما توصلوا اليه من أحكام وانما هي دراسة منهج . كنت أقبل كل ما توصلوا اليه من آراء لو كانت آراؤهم التى توصلوا اليها عن طريق منهج سليم أما اذا اشتطوا فى منهجهم فرفضه ورفض ما تولد منه هو الواجب الذى التزمه .

ما كنت لأرفض تجويزهم التيمم للمسافر مع وجود الماء لو كانوا توصلوا اليه بالمنهج السليم من استناد الى الكتاب والسنه أما أن يأخذوا " بما فهموه " من الآيه معرضين حقيقة أو مجازا عن السنه وبيانها للآيه فهو منهج لا نوافقهم عليه ولا نقرهم ولذلك كان رفضنا هنا رفضا للمنهج لا رفضا للحكم بحد ذاته .

فليس العيب فى الخطأ فى الحكم وانما الذى يعاب الخطأ فى سلوك المنهج وتجاوز المنهج السليم الى الضال المنحرف .

ولذلك لم يعب أحد من أئمة المذاهب وغيرهم من الفقهاء أحكام المذاهب الأخرى مع اختلافهم فيها وتنوع أقوالهم لأن المنهج الذى سلكه كل واحد منهم كان منهجا سليما يعتمد على الكتاب والسنه وأدلة السلف المعروفه ومع هذا وقع الاختلاف فى النتائج التى يوصل اليها هذا المنهج السليم لكنها اختلافات مقبوله من الجميع للمصيب فيها أجران وللمخطئ أجر .

أما المنهج الخاطئ فنخشى أن يأثم صاحبه حتى لو أصاب كبد الحقيقه فضلا عن البعد عنها ومجاوزتها .

والله الهادى الى سواء السبيل ...

خامسا : قال الله تعالى

(وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما) ١٥٧ - ١٥٨
النســاء

نفى الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيه الكريمه وما قبلها قتل عيسى عليــه السلام وصلبه ، وأخبر سبحانه بأنه رفع عيسى عليه السلام اليه .

وورد ذكر الرفع فى آية أخرى فى سورة آل عمران " اذ قال الله ياعيسى انــى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذيــن كفروا الى يوم القيامه ، ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون "[1] .

نفى الله سبحانه وتعالى فى الآيه الأولى هنا قتل عيسى عليه السلام وصلبه ، وأثبت فى الآية الثانيه وفاته عليه السلام فهل يعنى هذا اثبات وفاة عيسى عليــه السلام ولكن بدون قتل ولا صلب ؟ أو أن المراد بالوفاة فى الآية الثانيه معنى آخر ؟ ثم ما المراد بالرفع فى الآيتين هل المراد به رفع جسمه عليه السلام أو رفع مكانتــه وتشريفه ؟ وهل يفهم هذا الأخير من القرآن ؟ وما الذى أوجب صرف الوفــاة عن معناها المتبادر الى معنى آخر ؟ وما الذى أوجب صرف الرفع عند الفريــق الآخر عن معناه الحسي الى المعنوى ؟

كل هذا مما يرد فى هاتين الآيتين من التساؤل وكله يرجع الى الخلاف فــى المراد بكلمتين ، الوفاة ، والرفع فلنذكر المراد بهما ومعناهما عند السلف .

قال الامام الطبرى رحمه الله تعالى فى تفسيــره :-

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى " الوفاة " التى ذكرها الله عز وجل فى هــذه الآيه فقال بعضهم " هي وفاة نوم " وكان معنى الكلام على مذهبهم :- انى منيمــك ورافعك فى نومك " ثم قال :- " وقال آخرون : معنى ذلك : انى قابضك مــن الأرض ، فرافعك الى ، قالوا ومعنى " الوفاة " القبض كما يقال توفيت من فلان ما لي

(١) سورة آل عمران الآيه ٥٥ .

عليه " بمعنى قبضته وأستوفيته . قالوا فمعنى قوله : " انى متوفيك ورافعك " أى قابضك من الأرض حيا الى جوارى وآخذك الى ما عندى بغير موت ، ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك " ثم قال " وقال آخرون : معنى ذلك : انى متوفيك وفاة موت " . وقال " وقال آخرون : معنى ذلك اذ قال الله ياعيسى انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالي اياك الى الدنيا وقال : هذا من المقدم الذى معناه التأخير ، والمؤخر الذى معناه التقديم قال أبو جعفر[1] " وأولى هذه الأقوال بالصحه عندنا قول من قال " معنى ذلك :- انى قابضك من الأرض ورافعك الى " لتواتر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ، ثم يمكث فى الأرض مده ذكرها اختلفت الروايه فى مبلغها ، ثم يموت فيصلى عليه المسلمون ويدفنونه "[2]

ومعنى هذا أن الطبرى يقول بأن عيسى عليه السلام لم يمت ولم يقتل ولم يصلب وانما قبضه الله اليه حيا ورفعه اليه كذلك وقد تواترت الأخبار بنزوله بعد هذا الى الأرض الخ .

فهو يستند فى تفسيره رحمه الله تعالى لهذه الآيه الى القرآن الكريم والى السنه المتواتره والى دلالة اللغة العربيه ومفهومها ولا يميل فى تفسيره الى هوى فى نفسه أو مداهنة لغيره وقال بهذا التفسير علماء السلف كلهم واتفقوا عليه وأستدلوا له بالأدله والحجج القويه والبراهين الساطعه ولم يقل أحد منهم أن عيسى رفع ميتا حتى الذين فسروا الوفاة بالموت فانهم ذكروا أنه مات ثلاث ساعات وقيل فى روايه أخرى سبع ساعات ثم أحياه الله وفى مثل هذا القول ضعف[3] .

وأستند السلف فى تفسيرهم هذا الى ما يدل عليه القرآن الكريم والسنه المتواتره .

---

(١) يعنى الطبرى نفسه .
(٢) تفسير الطبرى ج ٦ ص ٤٥٥ - ٤٥٨ .
(٣) فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٣٤٥ .

فمن القرآن قوله تعالى عن بنى اسرائيل " وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما "[1] .

فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم ما قتلوه وما صلبوه وأخبر بأنه سبحانه رفع عيسى عليه السلام اليه . ومما لا شك فيه أن هدف بنى اسرائيل هو (وفاة) عيسى عليه السلام وهذا متحقق بقتلهم وصلبهم له أو موته ولا فائدة فى نفي القتل والصلب وحصول الموت فتعين انتفاء الثلاثه القتل والصلب والموت واثبات رفعه عليه الصلاة والسلام الى الله سبحانه وتعالى .

وتأويل التوفي فى قوله تعالى " اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامه ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون "[2] . بما لا يدل على الموت بل يدل على معنى آخر تبقى معه الحياة وتدل عليه اللغه العربيه كالنوم الذى يسمى بالوفاة فى اللغه قال تعالى " وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار "[3] أو القبض أو الاستيفاء ونحو ذلك مما ذكرنا آنفا . وانما احتاج المفسرون الى تأويل الوفاة بما ذكر لأن الصحيح أن الله رفعه الى السماء من غير وفاة لما صح فى الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم من نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال[4] .

فقد تواتر فى السنه النبويه الشريفه نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وممن حكى التواتر هذا ابن جرير الطبرى[5] كما نقلنا عنه آنفا والشوكاني فى تفسيره[6] وابن كثير[7] وابن حجر العسقلانى[8] وابن عطية الغرناطى الأندلسي فى تفسيره[9]

---

(١) سورة النساء الآيتين ١٥٧-١٥٨ . (٢) سورة آل عمران الآيه ٥٥ .
(٣) سورة الأنعام من الآيه ٦٠ . (٤) فتح القدير ج ١ ص ٣٤٤ .
(٥) تفسير الطبرى ج ٦ ص ٤٥٨ . (٦) فتح القدير ج ١ ص ٥٣٥ .
(٧) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦١٥- ٦٢١ وج ٤ ص ١٤٢ .
(٨) فتح البارى : ابن حجر العسقلاني ج ٦ ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .
(٩) البحر المحيط : لابي حيان الاندلسي الغرناطى ج ٢ ص ٤٧٣

وابو الوليد بن رشد [١] والسفاريني [٢] والكتّاني [٣] والشيخ محمد شفيع [٤] والشيخ مصطفى صبري [٥] وابو حيان الاندلسي في تفسيره [٦] والكوثري [٧] حيث قال " أن نصوص القرآن الحكيم وحدها تحتم القول برفع عيسى حيا ، ونزوله في آخر الزمان ، حيث لا أعتداد باحتمالات خياليه لم تنشأ من دليل ، كيف والأحاديث قد تواترت في ذلك واستمرت الأمه خلفا عن سلف على الأخذ بها وتدوين موجبها في كتب الاعتقاد من أقدم العصور الى اليوم ، فماذا بعد الحق الا الضلال [٨] ؟! " [٩]

فاذا ثبت بهذه الأحاديث المتواتره أن عيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان وجب حمل التوفى في الآيه السابقه على معنى النوم أو القبض أو الاستيفاء ولا يصح أن يحمل على معنى الموت ، وكذا الرفع يبقى على ظاهره بمعنى رفع عيسى عليه السلام بجسده وروحه فلا يؤول بخلاف ذلك .

لكن رجال المدرسه العقليه الحديثه جاءوا بالعجب العجاب في تفسير هذه الآيه فاضطربت أفكارهم وتبلبلت أذهانهم بين موافقه الشرع الحنيف أو موافقة رجال العلم الحديث في عصرهم لاسيما الماديين منهم الذين لا يؤمنون الا بما يثبت بالتجربه والمشاهده والعيان ولا يؤمنون بكل ما جاءت به الأديان ما لم يقم على برهانهم وميزانهم فجاء أولئك القوم رجال المدرسه العقليه الحديثه متأثرين بمذهبهم متعاطفين معهم اكثر من تعاطفهم مع البخاري واصحابه بل اكثر من تعاطفهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وسنته .

---

(١) اكمال اكمال المعلم (شرح صحيح مسلم) لابي عبد الله محمد بن خلفه الوشتاني الأبي جـ ١ ص ٢٦٥ .

(٢) لوامع الأنوار البهيه محمد بن احمد السفاريني جـ ٢ ص ٩٤ - ٩٥ .

(٣) نظم المتناثر من الحديث المتواتر لابي عبد الله محمد الكتّاني ص ١٤٧ .

(٤) مقدمة التصريح بما تواتر في نزول المسيح كتبها الشيخ محمد شفيع ص ٥٦ .

(٥) موقف العقل والعلم والعالم جـ ٤ ص ٢٤٧ : مصطفى صبري .

(٦) النهر الماد من البحر : لابي حيان الاندلسي جـ ٢ ص ٤٧٣ بهامش تفسير البحر المحيط .

(٧) نظره عابره في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام : الاستاذ محمد زاهد الكوثري ص ٣٦ .

(٨) نظره عابره للكوثري ص ٣٦ .

(٩) استفدنا كثيرا في جمع هذه الأسماء لعلمائنا الأفاضل في حكاية التواتر من تحقيق شيخنا عبد الفتاح ابو غده لكتاب التصريح بما تواتر في نزول المسيح ص ٦٢ - ٦٥ .

مهدوا للأمر أول تمهيد فأنكروا صحة الأحاديث الوارده فى نزول عيسى عليه السلام فضلا عن تواترها وزعموا أنها " روايات مضطربه مختلفه فى ألفاظها ومعانيها اختلافا لا مجال معه للجمع بينهما ، وقد نص على ذلك علماء الحديث وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار وهما من أهل الكتاب الذين أعتنقوا الاسلام وقد عرفت درجتهما فى الحديث عند علماء الجرح والتعديل "[1] وأضاف الشيخ شلتوت قائلا " وموجز ما نقول فيها : أنها لا تخرج عن كونها أحاديث آحاد ، وأحاديث الآحاد مهما صحت لا تفيد يقينا يثبت عقيدة يكفر منكرها "[2].

ثم يصف أولئك العلماء الأفاضل الذى حكوا التواتر ومنهم من ذكرنا آنفا كابن حجر والطبرى وابن كثير والشوكاني وغيرهم بأنهم قوم " تظاهروا بالانتساب الى الدين والغيره على أحاديث الرسول استباحوا لأنفسهم - فى سبيل أغراضهم الدنيا - أن يصطنعوا كل أساليب التلبيس والتمويه فى شأن أحاديث عيسى التى لا يمكن أن يكون منها متواتر حتى على أوسع الآراء فى تحققه وهي مع آحاديتها يكثر ويشتد فى معظمها ضعف الرواة واضطراب المتون ، ونكارة المعاني ، فتراهم يقولون هي متواتره قد رواها فلان وفلان من الصحابه والتابعين ، وذكرت فى كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين ، فاذا رأوا فى بعضها ضعفا أو اضطرابا أو نكاره حاولوا التخلص من ذلك فقالوا : ان الضعيف فيها منجبر بالقوى وان العداله لا تشترط فى رواة المتواتر . وهكذا يخلعون عليها ثوبا مهلهلا من القداسه ، لا رغبه فى علم ولا غيرة على حق ولكن مكابرة وعنادا واصرارا على التضليل ، وليقال على ألسنة العامه وأشباه العامه انهم . حفاظ وانهم محدثون ! "[3]

فان قال قائل انه لا يقصد فى اتهامه الخطير هذا أولئك العلماء الذين ذكرت ولم يسم أحدا منهم ؟ قلت ان كلامه ولا شك يشملهم ويعممهم فانهم هم الذين قالوا " انها متواتره قد رواها فلان وفلان من الصحابه والتابعين وذكرت . فى كتاب

---

(١) الفتاوى : محمود شلتوت ص ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٧- ٧٨ .

كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين " وهم الذين قالوا " ان الضعيف فيها منجبر بالقوى " .

فان كان لا يقصدهم فان كلامه يشملهم بل كدت أقول يخصهم شاء ذلك أم أبى .

ثم أدرك أن كلامه هذا لا يقوم على الأصول الصحيحه فى نقد الحديث أو قواعد الجرح والتعديل فذهب يلتمس مخرجا آخر فزعم " أن تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل الحكم الذى لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعيه الدلاله ، فقد تناولتها أفهام العلماء قديما وحديثا ولم يجدوا مانعا من تأويلها " (١) .

ثم ذهب يلتمس دليلا يدعم به مزاعمه فرأى خشبا مسنده خالها تصلح للاعتماد فقال " وقد جاء فى شرح المقاصد - بعد أن قرر مؤلفها أن جميع أحاديث أشراط الساعه آحاديه - ما نصه :-

" ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعه .. وأول بعض العلماء النار الخارجه من الحجاز بالعلم والهدايه سيما الفقه الحجازى ، والنار الحاشره للناس بفتنة الأتراك ، وفتنة الدجال بظهور الشر والفساد (٢) ، ونزول عيسى صلى الله عليه وسلم باندفاع ذلك وبدو الخير والصلاح ... الخ " ومن ذلك نرى أن السعد - صاحب المقاصد - لا يقرر وجوب حملها على ظواهرها حتى تكون من قطعى الدلاله الذى يمتنع تأويله ، وانما يقرر بصريح العباره " أنه لا مانع من حملها على ظواهرها " فيعطى بذلك حق التأويل لمن انقدح فى قلبه سبب للتأويل " (٣) .

ثم جعل الشيخ شلتوت هذه الحجه القويه عنده بيانا جليا لما ذهب اليه فقال " ومما تقدم يتبين جليا أنه ليس فى الأحاديث - التى أوردها فى شأن نزول عيسى آخر الزمان - قطعيه ما ، لا من ناحية ورودها ولا من ناحية دلالتها " (٤) .

---

(١) الفتاوى : محمود شلتوت ص ٧٨ .

(٢) سئل الأستاذ الامام محمد عبده عن المسيح الدجال وقتل عيسى له فقال :- ان الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التى تزول بتقرير الشريعه على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها " تفسير المنار : ج ٣ ص ٣١٧ بنصه .

(٣) الفتاوى ص - ٧٨ - محمود شلتوت .

(٤) المرجع السابق ص ٧٩ .

وهذا هو ما ذهب اليه شيخه " الأستاذ الأمام " محمد عبده حيث قال عن طريقته " ولصاحب هذه الطريقه فى حديث الرفع والنزول فى آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر أعتقادى لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقاديه لا يؤخذ فيها الا بالقطعى لأن المطلوب فيها هو اليقين وليس فى الباب حديث متواتر . وثانيهما :- تأويل نزوله وحكمه فى الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ما غلب فى تعليمه من الأمر بالرحمه والمحبه والسلم والأخذ بمقاصد الشريعه دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله" [1] .

وقد أراد أن يدافع السيد عن ظاهر هذه الأحاديث بأنه لا يوافقهم ثم أشار الى تأويل آخر ليسلكوه هو أشد فتنة وضلالا ممن أنكر التواتر فقال " هذا ما قاله الأستاذ الامام فى الدرس مع بسط وايضاح ، ولكن ظواهر الأحاديث الوارده فى ذلك تأباه ، ولأهل هذا التأويل ان هذه الأحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الأحاديث والناقل للمعنى ينقل ما فهمه " [2] وانما قلنا ان هذا التأويل أشد ضلالا وفتنة ممن ينكر التواتر لأن من أنكر التواتر اذا صح عنده التواتر عمل به وأعتقد . أما من زعم أن هذه الأحاديث نقلت بالمعنى فالتأويل الباطل هو سبيله فى كل ما خالف معتقده سواء كان الدليل متواترا أو غير متواتر وحجته أنها رويت بالمعنى .

ونقل الشيخ شلتوت عن الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغي فتواه فى نزول عيسى وجاء فيها " لكن جمهور العلماء على أنه رفعه بجسمه وروحه فهو . حي الآن بجسمه وروحه وفسروا الآيه بهذا بناء على أحاديث وردت كان لها عندهم المقام الذى يسوغ تفسير القرآن بها ، ثم قال " ولكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجه الأحاديث المتواتره التى توجب على المسلم عقيده ، والعقيده لا تجب الا بنص من القرآن أو بحديث متواتر " [3] .

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا : جـ ٣ ص ٣١٧ .
(٢) المرجع السابق جـ ٣ ص ٣١٧ .
(٣) الفتاوى : محمود شلتوت ص ٨٢ .

ومن هذا ندرك مبلغ جهدهم فى انكار تواتر هذه الأحاديث وهو جهد ضال لأنه لا يقوم على الأسس الصحيحه لنقد الحديث مع جمع للروايات ثم نقدها ونقد رجالها بما تبطل به صحتها وتواترها ولكنهم يصفونها ـ اعتباطا ـ بأنها أحاديث غير متواتره وهذا منهج مألوف لهم فى انكار الأحاديث المتواتره التى لا توافق هواهم وقد مر بنا بعض ذلك فى انكارهم تواتر ما تواتر عند السلف من علامات الساعه قال الشوكاني بعد أن ساق الأحاديث الوارده فى المهدى والدجال ونزول عيسى " فتقرر أن الأحاديث الوارده فى المهدى المنتظر متواتره والأحاديث الوارده فى الدجال متواتره والأحاديث الوارده فى نزول عيسى بن مريم متواتره "(١) .

وغير ذلك من الآيات التى ذكرنا هناك تواترها وقد انكر رجال المدرسه العقليه صحتها فضلا عن تواترها وأولوها تأويلات باطله على نحو ما نقلنا عن الشيخ عبده آنفا عن الدجال وكونه رمز للخرافات والدجل والقبائح التى تزول بتقرير الشريعه على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها (٢).

قصدنا من هذا أن انكار الأحاديث المتواتره من السهوله عندهم بمكان فكيف اذا كانوا يقصدون به ازالة عقبه فى طريق تأويلهم لآيات القرآن الكريم فى شأن رفع عيسى عليه السلام ولننظر بعد هذا كيف أولوا تلك الآيه الكريمه فى بيان رفع عيسى عليه السلام قال السيد رشيد فى تأويل قوله تعالى " اذ قال الله ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا "(٣) " والتوفى فى اللغه أخذ الشئ وافيا تاما ومن ثم استعمل بمعنى الاماته قال تعالى (٣٩-٤٢ الله يتوفى الأنفس حين موتها) وقال (٣٢ : ١١ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) فالمتبادر فى الآيه (٤).

---

(١) انظر تحقيق شيخنا عبد الفتاح ابو غده لكتاب " التصريح بما تواتر في نزول المسيح للكشميرى ص ٦٤ .

(٢) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٣١٧ .

(٣) سورة آل عمران من الآيه ٥٥ .

(٤) أهمل السيد رشيد المعانى الأخرى للوفاة الوارده فى القرآن فقد وردت بمعناها الأصلى الذى أشار اليه وهو أخذ الشئ وافيا تاما " يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت " ١١١ النحل . ووردت بمعنى النوم " وهو الذى يتوفاكم بالليل " ٦٠ الأنعام ولم يذكر السيد الا معنى الموت ثم قال " والمتبادر .... الخ .

انى مميتك وجاعلك بعد الموت فى مكان رفيع عندى كما قال فى ادريس عليه السلام (١٩ : ٥٣ ورفعناه مكانا عليا) ثم قال [١] " هذا ما يفهمه القارىء الخالي الذهن من الروايات [٢] والأقوال لأنه هو المتبادر من العباره وقد أيدناه بالشواهد من الآيات ولكن المفسرين [٣] قد حولوا الكلام عن ظاهره لينطبق على ما أعطتهم الروايات من كون عيسى رفع الى السماء بجسده وهاك ما قاله الأستاذ الامام فى ذلك" ثم نقل تأويل الشيخ عبده لهذه الآيه بقوله " يقول بعض المفسرين " انى متوفيك " أى منومك وبعضهم انى قابضك من الأرض بروحك وجسدك " ورافعك الي " بيان لهذا التوفى ، وبعضهم انى انجيك من هؤلاء المعتدين فلا يتمكنون من قتلك وأميتك حتف أنفك ثم أرفعك الى . ونسب هذا القول الى الجمهور وقال للعلماء ههنا طريقتان أحدهما وهي المشهوره أنه رفع حيا بجسمه وروحه وأنه سينزل فى آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى ولهم فى حياته الثانيه على الأرض كلام طويل معروف وأجاب هؤلاء عما يرد عليهم من مخالفة القرآن فى تقديم الرفع على التوفى بأن الواو لا تفيد ترتيبا - أقول وفاتهم أن مخالفة الترتيب فى الذكر للترتيب فى الوجود لا يأتى فى الكلام البليغ الا لنكته ولا نكته هنا لتقديم التوفى على الرفع اذ الرفع هو الأهم لما فيه من البشاره بالنجاة ورفعه المكان .

(قال والطريقة الثانيه أن الآيه على ظاهرها وأن التوفي على معناه الظاهر المتبادر وهو الاماته العاديه وأن الرفع يكون بعده وهو رفع الروح ولا بدع فى اطلاق الخطاب على شخص وارادة روحه فان الروح هي حقيقة الانسان والجسد كالثوب المستعار فانه يزيد وينقص ويتغير والانسان انسان لأن روحه هي هي (قال) ولصاحب هذه الطريقه فى حديث الرفع والنزول فى آخر الزمان تخريجان أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادى لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقاديه لا يؤخذ

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٣١٦ .

(٢) مما يشترط فى مفسر القرآن أن لا يكون ذهنه خاليا من الروايات فكيف بالمتواتر .

(٣) لم يستثن أحدا منهم وهو اعتراف منه باجماعهم لما ذهبوا اليه وشذوذهم فيه .

فيها الا بالقطعى لأن المطلوب فيها هو اليقين وليس فى الباب حديث متواتر وثانيهما تأويل نزوله وحكمه فى الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس وهو ما غلب فى تعليمه من الأمر بالرحمه والمحبه والسلم والأخذ بمقاصد الشريعه دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديده ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود على ظواهر الفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها ويأمرهم بمراعاته وبما يجذبهم الى عالم الأرواح بتحرى كمال الآداب أى ولما كان أصحاب الشريعه الأخيره قد جمدوا على ظواهر الفاظها بل والفاظ من كتب فيها معبرا عن رأيه وفهمه وكان ذلك مزهقا لروحها ذاهبا بحكمتها كان لا بد لهم من اصلاح عيسوى يبين لهم أسرار الشريعه وروح الدين وأدبه الحقيقى وكل ذلك مطوى فى القرآن الذى حجبوا عنه بالتقليد الذى هو آفة الحق وعدو الدين فى كل زمان فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذى يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الاسلاميه لاصلاح السرائر من غير تقيد بالرسوم والظواهر "[1].

ومن هذا ندرك أن الشيخ جعل عيسى عليه السلام رمزا لغلبة روحه وسر رسالته على الناس كما جعل الدجال رمزا للدجل والخرافات وكلاهما مذهب جديد سبق اليه الشيخ عبده وتلاميذه . قال الشيخ أحمد مصطفى المراغي " فزمان عيسى هو الزمان الذى يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الاسلاميه لاصلاح السرائر من غير تقيد بالرسوم والظواهر وأما الدجال فهو رمز الخرافات والدجل والقبائح التى تزول بتقرير الشريعه على وجهها والأخذ باسرارها وحكمها ، والقرآن أعظم هاد الى الحكم والأسرار وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة لذلك "[2].

---

(١) تفسير المنار جـ ٣ ص ٣١٧ .
(٢) تفسير المراغي جـ ٣ ص ١٧٠ .

أما الشيخ شلتوت فهو يفسر التوفي بقوله " وكلمة التوفي قد وردت فى القرآن كثيرا بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها ، ولم تستعمل فى غير هذا المعنى الا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر : " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم "[١] ان الذين توفاهم الملائكه ظالمي انفسهم "[٢] ثم قال " ومن حق كلمة " توفيتنى " فى الآيه أن تحمل هذا المعنى المتبادر وهو الاماته العاديه التى يعرفها الناس ويدركها من اللفظ والسياق الناطقون بالضاد . واذن فالآيه لو لم يتصل بها غيرها فى تقرير نهاية عيسى مع قومه لما كان هناك مبرر للقول بأن عيسى حى لم يمت "[٣] . ولا أدرى لم لم يعترف الشيخ بأن عيسى حي لم يمت وقد أقر بأن الآيه اتصل بها ما يبرر هذا القول ؟ ! ويحمل معنى التوفي على غير المعنى المتبادر المذكور سيما وقد ورد فى القرآن من معاني التوفي غير الموت . بمعنى النوم والأستيفاء . هذا قولهم فى معنى التوفي أما تأويلهم للرفع فقال الشيخ شلتوت " وظاهر أن الرفع - الذى يكون بعد التوفيه - هو رفع المكانه لا رفع الجسد ، خصوصا وقد جاء بجانبه قوله : (ومطهرك من الذين كفروا) مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم .

وقد جاء الرفع فى القرآن كثيرا بهذا المعنى : (فى بيوت أذن الله أن ترفع)[٤] (نرفع درجات من نشاء)[٥] (ورفعنا لك ذكرك)[٦] (ورفعناه مكانا عليا)[٧] (يرفع الله الذين آمنوا)[٨] ... الخ .

---

(١) سورة السجده من الآيه ١١ .
(٢) سورة النساء الآيه ٩٧ .
(٣) الفتاوى ص ٦٠ - ٦١ محمود شلتوت .
(٤) سورة النور من الآيه ٣٦ .
(٥) من الآيه ٨٣ الأنعام وكذلك من الآيه ٧٦ يوسف .
(٦) سورة الشرح الآيه ٤ .
(٧) سورة مريم من الآيه ٥٧ .
(٨) سورة المجادله من الآيه ١١ .

واذ ن فالتعبير بقوله (ورافعك الى) وقوله (بل رفعه الله اليه) كالتعبير في قولهم لحق فلان بالرفيق الأعلى وفى (ان الله معنا)[1] وفى (عند مليك مقتد ر)[2] وكلها لا يفهم منها سوى معنى الرعايه والحفظ والدخول فى الكنف المقد س فمن أين تؤخذ كلمة السماء من كلمة (اليه) ؟ اللهم ان هذا لظلم للتعبير القرآني الواضح خضوعا لقصص وروايات لم يقم على الظن بها - فضلا عن اليقين - برهان ولا شبه برهان "[3] وقال السيد رشيد رضا " فالمتباد ر فى الآيه انى مميتك وجاعلك بعد الموت فى مكان رفيع عند ى كما قال فى اد ريس عليه السلام (١٩ : ٥٣ ورفعناه مكانا عليا) وان الله تعالى يضيف اليه ما يكون فيه الأبرار من عالم الغيب قبل البعث وبعد ه كما قال فى الشهداء (٣ : ١٦٩ أحياء عند ربهم) وقال (٥٤ : ٥٤ ان المتقين فى جنات ونهر ٥٥ فى مقعد صدق عند مليك مقتد ر)[4] .

وأنت ترى أنهم استند وا فى صرف لفظ " الرفع " عن معناه الحقيقى الى معناه المجازى الى ما حسبوه من النصوص مساويا لقوله تعالى " ورافعك الى " " بل رفعه الله اليه " فأستد لوا بقوله تعالى " ورفعناه مكانا عليا) وبقوله سبحانه " ورفعنا لك ذ كرك " وقوله " نرفع د رجات من نشاء " ونحو ذ لك .

وهذ ا جهل منهم أو تجاهل هو أعظم مصيبه ذ لكم أن رفع عيسى عليه السلام اقترن به الجار والمجرور " الى " و " اليه " ومرجع الضمير فيهما الى الله سبحانه وتعالى فالآيتان صريحتان في رفع عيسى عليه السلام الى الله سبحانه وتعالى ولم يرد فى ما ذ كروه من آيات الرفع الأخرى وما لم يذ كروه اقتران الرفع بالجار والمجرور " اليه " ونستعيد تلك الآيات للتأكد " ورفعناه مكانا عليا " " ورفعنا لك ذ كرك " " يرفع الله الذ ين آمنوا منكم والذ ين أوتوا العلم د رجات " " فى بيوت اذ ن الله أن

---

(١) سورة النور من الآيه ٤٠ .
(٢) سورة القمر من الآيه ٥٥ .
(٣) الفتاوى ص ٦٤ - محمود شلتوت .
(٤) تفسير المنار ج ٣ ص ٣١٦ .

ترفع ويذكر فيها اسمه " " نرفع درجات من نشاء " ونزيد " منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات "(1) " ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه "(2) .

" ورفع بعضكم فوق بعض درجات "(3) " ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات "(4)

وغير ذلك من الآيات ولم يقترن أيّ منها بـ " الى "أو " اليه وحينما يقترن منها شيء بهذا فان المعنى ولا شك يختلف والا لكانت الزياده عبثا يتنزه القرآن عنه ولم يكن اقترانها خاصا برفع عيسى فقد وردت فى آية أخرى قال سبحانه " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه "(5) وهذا ولا شك يعطى الرفع قوة خاصه ومزية خاصه بأن الرفع اليه سبحانه وتعالى لا الى سواه وهو فى السماء .

فوجب حمل الرفع لعيسى عليه السلام على أنه رفع الى الله سبحانه وتعالى فى السماء ، وكيف وقد اقترن بهذا الرفع ما يؤيده مما تواتر فى سنة أبى القاسم صلى الله عليه وسلم وهي المفسره للقرآن التى لا يصح تناوله بالتفسير مجردا منها .

ثم لو كان المراد من قوله تعالى " متوفيك " مميتك ومن قوله " رافعك " رافع روحك كما زعموا " كان القول الثاني مستغنى عنه ، لأن رفع روح عيسى عليه السلام بعد موته الى ربه وهو نبى جليل من أنبياء الله معلوم لا حاجة الى ذكره "(6) فكان الاخبار برفع روحه بعد الاخبار بموته زياده يتنزه عنها القرآن الكريم . ولسنا هنا نقصد الى تقرير هذه العقيده عند المسلمين والاستدلال لها واثباتها وانما قصدنا ابراز منهج أولئك القوم أعنى رجال المدرسه العقليه فى نبذ هذه العقيده الثابته بما دل عليه القرآن الكريم وما تواتر فى السنه النبويه الشريفه .

---

(1) سورة البقره الآيه ٢٥٣ . (2) سورة الأعراف ١٧٦ .

(3) سورة الأنعام الآيه ١٦٥ . (4) سورة الزخرف الآيه ٣٢ .

(5) سورة فاطر من الآيه : ١٠ .

(6) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين / مصطفى صبرى ج ٤ ص ١٧٨ .

ونرى لزاما علينا وقد كان هدفنا دراسة المنهج أن نبحث عن الدوافع التى سلكوا من أجلها هذا المسلك المنحرف عندنا وحتى نتوصل الى ما توصلوا اليه يجب أن ننظر الى هذه العقيده نظرتهم اليها فلا كتاب ينص عليها ولا حديث صحيح يقوم سند لها اذن فمن أين جاءت هذه العقيده الى أفكار المسلمين ؟ لاشك أنها أسطوره مادامت لا تستند الى كتاب ولا الى سنه ولا الى أى دليل آخر يصح ثبوتها به ، فمن أين استقى المسلمون هذه الأسطوره ؟ .

نلمس جوابا لهذا السؤال فى حديث للسيد رشيد رضا حيث يقول " وجملة القول أنه ليس فى القرآن نص صريح فى أن عيسى رفع بروحه وجسده الى السماء حيا حياة دنيويه بهما ... وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ، وانما هذه عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا فى كل زمان منذ ظهور الاسلام الى الآن بثها فى المسلمين "(1) .

اذن فهذه العقيده أسطوره لأنها لا تستند الى الكتاب ولا الى السنه حاول بثها بين المسلمين اكثر النصارى منذ ظهور الاسلام .

ولا أدرى كيف يصفهم بأنهم " حاولوا " ولا يقول " نجحوا " لأنهم تمكنوا من بثها فى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما بل فى منابع تلك الكتب وتمكنوا من خداع أصحاب هذه الكتب بل من خداع جمهور علماء المسلمين ولم يكشف زيفهم ودسهم لهذه الأسطوره الا الشيخ محمد عبده وتلاميذه ، هذا على التسليم بأن القرآن لا يدل على هذه العقيده .

ثم ما الذى يعنيه القول بأن هذه العقيده اسطوره انتقلت الى العقائد الاسلاميه من عقيدة النصارى . أرى لزاما على أن أعيد هنا حديثا للأستاذ محمد فريد وجدى فلعل فيه جوابا :ـ " وقد أتى على المسلمين دور ألتاثوا فيه بأدواء

---

(1) الجزء العاشر من المجلد ٢٨ للمنار ص ٧٥٦ .

الأمم فظهرت أعراضها عليهم في كل بقعه من الأرض فساووا سواهم في كل نتائجها .

في تلك الاثناء ولد العلم الحديث ، ومازال يجاهد القوى التي كانت تساوره حتى تغلب عليها ، فدالت الدوله اليه في الأرض فنظر نظرة في الأديان ، وسرى عليها أسلوبه فقذف بها جمله الى عالم الميثولوجيا . ثم أخذ يبحث في اشتقاق أصولها بعضها من بعض وأتصال أساطيرها بعضها ببعض ، فجعل من ذلك مجموعه تقرأ لا لتقدس تقديسا ولكن ليعرف الباحثون منها الصور الذهنيه التي كان يستعبد الانسان لها نفسه ، ويقف على صيانتها جهوده غير مدخر في سبيلها روحه وماله .

وقد اتصل الشرق الاسلامي بالغرب منذ أكثر من مائة سنه فأخذ يرتشف من مناهله العلميه ، ويقتبس من مدنيته الماديه فوقف فيما وقف عليه على هذه الميثولوجيا ووجد دينه ماثلا فيها ، فلم ينبس بكلمه لأنه يرى الأمر اكبر من أن يحاوله ، ولكنه استبطن الالحاد وتمسك به متيقنا أنه مصير اخوانه كافه متى وصلوا الى درجته العلميه وقد نبغ في البلاد الاسلاميه كتاب وشعراء وقفوا على هذه البحوث العلميه فسحرتهم ، فأخذوا يهيئون الأذهان لقبولها دسا في مقالاتهم وقصائدهم غير مصارحين بها غير أمثالهم تفاديا من أن يقاطعوا أو ينفوا من الأرض"[1] .

لعل في هذا جواب ؟ ! أرجو أن لا يكون هو الجواب الحقيقي وأن يكون قصدهم في سلوك هذا المنهج أمرا غير هذا .

والله الهادى ...

---

(١) مجلة الأهرام ١٩٣٣/٨/٣٠م مقام مذهب المتشابهات في القرآن " للاستاذ محمد فريد وجدى .

سادسا : قوله تعالى " وفرعون ذى الاوتاد "

وصف الله سبحانه وتعالى فرعون مصر بذى الاوتاد فى موضعين من القرآن الكريم الأول في سورة (ص) قال سبحانه " كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد "[١] وفى سورة الفجر قال سبحانه " ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ، ان ربك لبالمرصاد "[٢] .

قال الشوكاني رحمه الله تعالى " وفرعون ذى الاوتاد : أى ذو الجنود الذين لهم خيام كثيره يشدونها بالأوتاد ، أو جعل الجنود انفسهم أوتادا لأنهم يشدون الملك كما تشد الاوتاد الخيام ، وقيل كان له أوتاد يعذب الناس بها ويشدهم اليها "[٣] وقال " وقيل المراد بالأوتاد الجموع والجنود الكثيره يعنى أنهم كانوا يقوون أمره ويشدون سلطانه كما تقوى الاوتاد ما ضربت عليه فالكلام خارج مخرج الاستعاره على هذا . قال بن قتيبه العرب تقول هم في عزّ ثابت الأوتاد وملك ثابت الاوتاد يريدون ملكا دائما شديدا وأصل هذا أن البيت من بيوت الشعر انما يثبت ويقوم بالاوتاد "[٤] .

قال المفسرون هذا ، واعتمدوه فى تفاسيرهم ولم يفهموا منه ما فهمه استاذ المدرسه العقليه وامامها من أن المراد بالأوتاد تلك الاهرامات الموجوده فى مصر مع علمهم بوجودها ومشاهدة بعضهم لها اذ هي موجوده فى عصرهم وقبله ، ولا تزال ، ولا ندرى ما الذى حمل الشيخ محمد عبده على تفسيرها بالأوتاد فما قاله لا يصح دليلا الا ان كان قد سئم من الاستمرار على ما يألفون واندفع الى طلب شىء مما

---

(١) سوره ص الآيه : ١٢ .
(٢) سورة الفجر الآيات : ٦ - ١٤ .
(٣) فتح القدير : الشوكاني جـ ٥ ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .
(٤) المرجع السابق جـ ٤ ص ٤٢٣ . .

لا يعرفون [(١)].

قال فى تفسير الآيه : " وفرعون هو حاكم مصر الذى كان فى عهد موسى عليه السلام ، وللمفسرين فى الأوتاد أختلاف كبير ، واظهر اقوالهم ملاءمة للحقيقه أن الاوتاد المباني العظيمه الثابته ، وما اجمل التعبير عما ترك المصريون من الابنيه الباقيه بالاوتاد ! فانها هي الاهرام ومنظرها فى عين الرائي منظر الوتد الضخم المغروز فى الأرض بل ان شكل هياكلهم العظيمه فى أقسامها شكل الأوتاد المقلوبه يبتدىء القسم عريضا وينتهى بأدق مما ابتدأ وهذه هي الأوتاد التى يصح نسبتها الى فرعون على انها معهوده للمخاطبين " [(٢)].

وردد كلامه تلميذه احمد مصطفى المراغي فقال " الأوتاد المباني العظيمه الثابته " [(٣)] ولم يذكر سوى هذا التفسير واهمل كل تفسير للآيه سواه ، وقال " وفرعون ذى الاوتاد " أى وفرعون ذى المباني العظيمه التى شادها هو ومن قبله من فراعنه مصر فى قديم الازمان كالاهرام وغيرها ، وما اجمل التعبير عما تركه المصريون من الابنيه الباقيه بالاوتاد فان شكل هياكلهم العظيمه شكل الاوتاد المقلوبه ، اذ يبتدىء البناء عريضا وينتهى بأدق مما بدأ " [(٤)].

ومن عجب انه لم يذكر هذا التفسير الا فى نفس الموضع الذى ذكره فيه شيخه ولم يشر اليه عند تفسيره لسوره (ص) ولعل السبب فى ذلك ان شيخه لم يفسر آيه " ص " فلذلك جاء تفسيره للآيه فى سورة " ص " تفسيرا سليما يعتمد المفهوم الصحيح للآيه ولا يخالف اللغه ولا التاريخ بل يعتضد باللغه قال " وقوله ذو الأوتاد أى ذو الملك الثابت واصله البيت المطنب بأوتاد ، وهو لا يثبت بدونها ، ثم استعمل في اثبات العز والملك كما قال الاسود بن يعفر :-

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشه ... فى ظل ملك ثابت الاوتاد " [(٥)]

---

(١) بهذا وصف الشيخ عبده نفسه (انظر تاريخ الاستاذ الامام : جـ ١ ص ١١)
(٢) تفسير جزء عم : محمد عبده : ، ص ٧٦ .
(٣) تفسير المراغي : احمد مصطفى المراغي جـ ٣٠ ص ١٤٣ .
(٤) المرجع السابق : جـ ٣٠ ص ١٤٤ .
(٥) المرجع السابق : جـ ٢٣ ص ١٠٢ .

ويحسن بنا هنا ان نذكر ابطال الاستاذ محمد فريد وجدى لتأويل الأوتاد بالاهرامات وتفنيده له ، وهو حينما يفعل هذا فانه قد غاب عن ذهنه ان هذا التأويل لاستاذه محمد عبده ولكن تحمسه لتفنيد أدلة خصمه فى منع ترجمة القرآن وتأويل خصمه الأوتاد بالاهرامات هو الذى جعله يفند هذا التأويل .

يذكر أولا كلام خصمه فى الاستدلال بأن ترجمة هذه الآيه الى لغة اجنبيه يفوت المعنى الجليل لها حيث يقول الخصم " وقال تعالى " وفرعون ذى الاوتاد " لو فسر بكثرة الجنود أو بأنها أوتاد كان فرعون يعذب بها الناس ، ضاع المعنى الجليل الذى يدلنا عليه التاريخ ، وهو أن الاوتاد هي هذه الاهرامات ، ولم يثبت أن فرعون كان اكثر الملوك جنودا .. الخ "[1]

هذا كلام الخصم رد عليه الاستاذ وجدى - ناسيا أو جاهلا - ان هذا التأويل لاستاذه محمد عبده فقال " ان العالم كله يعرف ان في مصر اهرامات بناها الفراعنه الأولون منذ نحو خمسة آلاف عام فليس فى التنويه بها كبير شىء حتى يوصف بأنه معنى جليل يضيع علينا بجهل المفسرين له . لننظر الآن هل فى اطلاق لفظ الاوتاد على الاهرام شىء من الجمال المعنوى الذى يصح نسبته الى الكلام الالهي ؟ نعم انه سبحانه وتعالى قال :- " ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا "[2] تشبيها لها بأوتاد الخيمه ، اذ تخدم في منعها من الميدان ، كما تخدم أوتاد الخيمه فى ذلك ، ولكن أى فارق بعيد بين اصغر تل فى الارض وبين أطول هرم من الاهرام ؟ ان ارتفاع الهرم الاكبر لا يجاوز مئه وخمسه وأربعين مترا ، وطول قاعدته لا يزيد عن ثلاثمئه وثلاثه وثلاثين مترا ، فأين هو من جبل هملايا الذى يزيد ارتفاعه عن ثمانيه آلاف وثمانمائه متر ويشغل شمال الهند كله أو جبال أنده فى أمريكا الجنوبيه التى يبلغ طول قاعدتها نحو سبعه آلاف كيلو متر وارتفاعها بضعه آلاف من الامتار ؟ لا جرم ان هذه الجبال يصدق عليها ان تسمى أوتادا للارض أما الأهرام وهي لا تساوى فى طولها وعرضها أصغر تل فى الارض فلا تصلح ان تسمى أوتادا لها ، والله يتنزه عن مثل هذه المبالغات الكلاميه .

---

(١) الادله العلميه على جواز ترجمه معاني القرآن : محمد فريد وجدى ص ٣٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٤ .

ثم ان هذه الاهرام جعلت قبورا للذين بنوها من الفراعنه ، ولم يكن فرعون موسى من الذين شيدوها ، بل كان بينه وبين أحدثها نحو ثلاثه آلاف عام ، فلا تصح نسبتها اليه وهو لا يملك حتى ولا ان يدفن فيها "(١)

ثم ذكر التفسير الصحيح للآيه فقال " أما التفسير الصحيح لهذه الآيه والذى تشير اليه بقيتها فهو ما قاله المفسرون من أن " ذى الاوتاد " كنايه عن كثرة جنوده قال الله تعالى " وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد " فذكر الطغيان فى البلاد هنا واكثار الفساد فيها يدل دلاله صريحه على أن المراد بذى الاوتاد الكنايه عن كثرة الجنود "(٢) .

ولنكتف برد الاستاذ وجدى على تأويل استاذه من حيث يدرى ، أو من حيث لا يدرى ففيه السداد ،

---

(١) الادله العلميه على جواز ترجمة معاني القرآن : محمد فريد وجدى ص ٣٤ .
(٢) المرجع السابق : ص ٣٥ .

سابعا : قوله تعالى " وارسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجاره من سجيل فجعلهم كعصف مأكول " .

والآيات تلك تشير الى العقاب الذى أنزله الله بأصحاب الفيل كما ورد فى سورة الفيل قال تعالى " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول " .

وحادثة الفيل حادثه استفاضت شهرة بين العرب فى الجزيرة العربيه حتى أصبحت تاريخا يؤرخون به أحداثهم فقالوا ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وولد فلان بعد الفيل بسنتين أو قبله بثلاث سنوات .

والقصه تبدأ حينما رأى أبرهة ملك اليمن انصراف الناس من اليمن الى مكه لزيارة الكعبه شأنهم فى هذا شأن بقية العرب فى الجزيره العربيه كلها .

فأراد أن يرسي دعائم حكمه ويوطد أركانه ويدعم اقتصاد بلاده ويحول اتجاه القوافل عن مكة الى بلده اليمن فأنشأ كنيسة جمع لها كل أسباب الفخامه وأمر الناس بالحج اليها بدلا من الحج الى الكعبة فى مكه . وهو يعتقد أن صرف العرب عن معتقدهم سيكون بهذه البساطه والسهوله ولم يكن العرب كذلك بل لم يقبلوا من انفسهم أن يكتفوا برفض الدعوه بل لابد من السخريه بأبرهة وبكنيسته فتوجه أحدهم اليها وسلح فيها فى غفلة من الحرس ولطخ به حيطانها فغضب أبرهة لذلك وعزم على هدم الكعبه .

فجمع جيشا جرارا وجعل فى مقدمته الفيله ليكون أكثر مهابة فى قلوب الناس ولم يكن هذا ليمنع العرب من التصدى له وهو بتلك القوه فتصدى له بعض العرب مرتين فى طريقه كان هو المنتصر فيهما .

ووصل الى مكه وأستولى على ابل أهلها ومواشيهم وجاء عبد المطلب ليطالب بابله فعجب أبرهه من طلبه وعاب عليه ان يطلب الابل ولا يطلب منه ترك هدم الكعبه فقال عبد المطلب كلمته المشهوره " أنا رب هذه الابل وللبيت رب يحميه " وصعد

عبد المطلب وأهل مكه الى الجبال كما أمرهم عبد المطلب ووجه أبرهة جيشه تلقاء مكه لبدء الهجوم فبرك الفيل دون حراك واذا وجهوه الى جهة أخرى قام مهرولا فجربوا معه كل وسيله وهو على هذه الحاله .

وأثناء ذلك أقبل من جهة البحر " طيرا أبابيل " أى جماعات متتابعه " ترميهم بحجارة من سجيل " أى من طين متحجر وقد رمى بهذه الحجاره قوم لوط قال سبحانه " فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومه عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد "(1) . وقال سبحانه " فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل "(2) فوصف الحجارة هنا بأنها من سجيل ثم وصفها فى موضع آخر بأنها من طين " قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين "(3) فدل على أن المراد بالحجارة من سجيل حجارة من طين وهو ما رمى به جيش أبرهه . هذا من ناحية الحجاره التى رموا بها أما ذلكم الطير الذى أرسله الله فقد أبهمه سبحانه ولم يعين نوعه وقد اختلفت الروايات فى تحديد نوعه وشكله وحجمه ولكنها كلها دلت على أن هذا الطير من الحجم بحيث يشاهده الانسان وبحيث يحمل ما يصح أن يسمى حجاره ويقذف به .

ولقد كان هلاك جيش أبرهه برمي الطير الأبابيل لهم بحجاره من سجيل أمرا عجيبا حقا . لكن هل كان الرمي لهم بتلك الحجاره هو السبب المباشر لهلاكهم بمعنى أن هلاكهم بها كما يهلك انسان بسقوط صخرة عليه أو بنفاذ طلقه ناريه فى جسده ، أو أن الرمـي بتلك الحجاره كان سببا لنشوء مرض قتال يكون هو سبب هلاكه .

---

(1) سورة هود الآيتين ٨٢ - ٨٣ .
(2) سورة الحجر الآيه ٧٤ .
(3) سورة الذاريات الآيتين ٣٢ - ٣٣ .

والخلاف فى هذه القضيه متولد عن خلاف فى قضيته الأصليه وهو خلاف أقوى وأهم ونص القرآن فيه من الوضوح بمكان لمن يطلبه ، ويرجع الخلاف فى هذا الى الخلاف فى الطير هل هو مما يقبل أن يحمل الحجاره ويقذفها باذن الله لتميت بها وتهلك من تصيب ؟ أم أنه طير لا يكاد يرى يحمل بين رجليه حجاره لا ترى يهبط بها على جسد من يريد الله اهلاكه فيصيبه المرض القتال بسببها فلا ينجو .

الذى قاله المفسرون كما أشرنا الى ذلك آنفا أن الله أرسل عليهم طيرا شبهها بعضهم بالخطاطيف وبعضهم بالوطاويط وشبهها غيرهم بغير ذلك من أنواع الطيور أما الحجاره فقالوا انها كانت قطعا صغيره من طين يابس شديد صلب وحدد بعضهم حجمها بأنها اكبر من العدسه وأصغر من الحمصه .(١)

ذلكم ما قاله المفسرون وهو تفسير وان كان فيه اختلاف الا أنه اختلاف متقارب لا يبعد أقوالهم بعضها عن بعض وانما هو اختلاف فى جزئيات بسيطه .

وفسر رجال المدرسه العقليه الحديثه هذه الآيه تفسيرا آخر أرادوا به أن تكون الحادثه أمرا مألوفا يقرب الى أذهان الذين لا يؤمنون بالخوارق . فقد أولو تلك الطير بالذباب وأولو الحجاره التى من سجيل بما يعلق بأيدى وأرجل هذه المخلوقات من جراثيم وميكروبات قال الأستاذ محمد فريد وجدى فى تفسيره " ولا يبعد أن تكون تلك الطيور جراثيم الطاعون اذ لا مانع من تسميتها طيورا "(٢) .

وقال الشيخ أحمد مصطفى المراغي فى تفسير السوره " أى أنه تعالى أرسل عليهم فرقا من الطير تحمل حجارة يابسه سقطت على أفراد الجيش فأبتلوا بمرض الجدرى أو الحصبه حتى هلكوا " ثم قال " ولا شك أن الذباب يحمل كثيرا من جراثيم الأمراض

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٣٢ ص ٩٧ .
(٢) المصحف المفسر محمد فريد وجدى ص ٨٢٢ .

فوقوع ذبابه واحده ملوثه بالمكروب على الانسان كافيه فى اصابته بالمرض الذى يحمله ، ثم هو ينقل هذا المرض الى الجم الغفير من الناس فاذا أراد الله ان يهلك جيشا كثير العدد ببعوضة واحده لم يكن ذلك بعيدا عن مجرى الألف والعاده ، وهذا أقوى فى الدلاله على قدرة الله وعظيم سلطانه من أن يكون هلاكهم بكبار الطيور وغرائب الأمور ، وأدل على ضعف الانسان وذله أمام القهر الألهى وكيف لا وهو مخلوق تبيده ذبابه وتقض مضجعه بعوضه ، ويؤذيه هبوب الريح "[1]

ومن هذا ندرك أن الشيخ أول الطير والحجاره فى السوره ب " الذباب يحمل كثيرا من جراثيم الأمراض ، فالمراد بالطير الذباب والمراد بالحجاره تلك الجراثيم التى يحملها الذباب .

أما أن هذا التأويل أقوى فى الدلاله على قدرة الله وعظيم سلطانه فسيأتى الحديث عنه . وهذا التأويل من تلاميذ المدرسه هو عين نهج أستاذهم الشيخ محمد عبده حيث مهد لتأويله بقوله " الطير هو ما يطير فى الهواء ، سواء كان صغيرا أو كبيرا ، وسواء كان مرئيا لك أم غير مرئى " وبعد هذا التمهيد زعم أن مما تواتر فى الواقعه فشو داء الجدرى والحصبه فى جند الجيش[2] ثم استدل لذلك فقال " .... قال عكرمه وهو أول جدرى ظهر ببلاد العرب وقال يعقوب بن عتبه فيما حدث : أن أول ما رؤيت الحصبه والجدرى ببلاد العرب ذلك العام . وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط . فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين واصيب الجيش ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعه وانملة أنمله حتى انصدع صدره ومات فى صنعاء . وهذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به "[3] .

ولا ندرى ما مفهوم التواتر عند الشيخ محمد عبده ينكر تواتر ما عرف عند السلف تواتره ويصف بالتواتر ما لم يعرف بذلك .

---

(١) تفسير المراغي : ٣٠ ص ٢٤٣ .
(٢) تفسير جزء عم محمد عبده ص ١٥٥ .
(٣) " " " " ص ١٥٥-١٥٦ .

يزعم هنا أن وقوع الجدرى والحصبه فى جيش أبرهه قد تواتر وأنه مما اتفقت الروايات عليه ويستند فى ذلك الى قول عكرمه " وهو أول جدرى ظهر ببلاد العرب" وقول يعقوب بن عتبه " أن أول ما رؤيت الحصبه والجدرى ببلاد العرب ذلك العام" هذا كل ما أستند اليه للحكم بالتواتر .

أما قول يعقوب فليس فيه ما يدل على وقوع الحصبه أو الجدرى فى جيش أبرهه وكل ما فيه أن ظهور الجدرى لأول مره كان فى هذا العام فلا يصح الاحتجاج به لذلك .

وأما قول عكرمه فنقول أنه روى عن عكرمه ما هو أصرح من ذلك فى الدلالة على وقوع مرض الجدرى فى جيش أبرهه فقد روى عن عكرمه عن ابن عباس رضي الله عنه قال " لما أرسل الله الحجاره على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم الا نفط جلده وثاربه الجدرى "(1) .

وهذا كله مجرد روايه فأين هي من دعوى التواتر .

أما زعم الشيخ أن ما قاله هو ما اتفقت عليه الروايات فهو غريب فى باب العلم وعجيب فى تفسير القرآن وليس بغريب ولا بعجيب من الشيخ محمد عبده وتلاميذه .

زعم أن الروايات اتفقت على ذلك وهي لم تتفق بل ذكرت بعض الروايات أن الطير كانت أشبه ما تكون بالخطاف وذكرت روايات أخرى أنها تشبه الوطاويط وذكرت اخرى أنها أشبه باليعاسيب وذكر بعضها أنه لم ير قبلها ولا بعدها مثلها وقيل أنها كعنقاء المغرب وقيل غير ذلك من الروايات . فكيف يزعم زاعم أن الروايات اتفقت على ذلك . وكذا أمر الجدرى لم تتفق الروايات على وقوعه فى جيش ابرهه بل لم تشر أى روايه اشارة صريحه الى وقوعه فيهم سوى رواية عكرمه .

(1) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٣٢ ص ١٠٠ .

ثم ان القضيه ليست فى وقوع الجدرى فى جيش أبرهه أو عدم وقوعه فهذا أمر جانبى لم يشر له القرآن الكريم من قريب أو من بعيد لا باثبات ولا تكذيب .

فقد يكون الجدرى وقع فى الجيش أو لم يقع وليس فى هذا على الحالين ما يخالف القران أو يناقضه أو يؤيده .

بل القضية قضية الطير الذى أرسله الله سبحانه الى جيش أبرهه والحجاره التى رموا بها وما يحتمله تأويل كل منها من الروايات .

فقد حمل الشيخ محمد عبده وتلاميذه المراد بالطير على أنه البعوض أو الذباب، وحملوا المراد بالحجاره من سجيل على أنه ما يعلق بأرجلها من جراثيم أو ميكروبات أو الطين اليابس الذى تحمله الريح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات .

فهل يصح حمل المراد بالطير والحجاره على هذا التأويل أو لا يصح ؟ وهل يصح الاعتقاد بهذا أو لا يصح ؟

قال الشيخ محمد عبده " فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض ، وأن تكون هذه الحجاره من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فاذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم وتساقط لحمه . وأن كثيرا من هذه الطيور الضعيفه يعد من أعظم جنود الله فى اهلاك من يريد أهلاكه من البشر وأن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها ، وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها الا بارئها . - ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى فى قهر الطاغين على أن يكون الطير فى ضخامة رؤس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على أن يكون له الوان خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجاره وكيفية تأثيرها (١) " .

---

(١) تفسير جزء عم محمد عبده ص ١٥٦ .

هذا ما قاله الشيخ محمد عبده وتلاميذه فى المراد بالطير ونحن وان لم نقبل كل ما قيل فى وصف هذا الطير من الروايات التى تصف حجمه وشكله وصفا مشيرا يظهر على سطحه عنصر المبالغه والتهويل كتشبيههم رؤوسها برؤوس السباع وخراطيمها بخراطيم الطير وأكفها بأكف الكلاب ونحو ذلك ان كنا لا نقبل كل ما قيل فيها على هذا النحو فانا لا نقبل بحال تأويلها بأن المراد بها البعوض أو الذباب . والمكروبات مما قال به تلاميذ المدرسه العقليه قال الشيخ الذهبى " لأن هذه الجراثيم التى اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن ، والعربى اذا سمع لفظ الحجاره فى هذه السوره لا ينصرف ذهنه الى تلك الجراثيم بحال من الاحوال وقد جاء القرآن بلغة العرب ، وخاطبهم بما يعهدون ويألفون "(1) وقال الشيخ محمد الصادق عرجون بعد أن فسر المراد بالطير بما ورد من تشبيههـا بالخطاطيف أو الوطاويط " أوليس هذا أقرب الى الاسلوب العربى من حديث الجدرى والحصبه والذباب والبعوض والمكروب ؟ وهل فى عرف اللغه العربيه وأستعمالاتهـا اطلاق لفظ (الطير) على الحيوان المسمى بالمكروب فهل كان القوم المخاطبون فى وقت المواجهه بالخطاب التعجيبي الذى أفتتحت به السوره يعلمون شيئا عن هذا الحيوان المسمى (بالمكروب) (2) ، ثم ان الذين شبهوا هذه الطيور بالخطاطيف والوطاويط ونحوها لم يكن وصفهم لها مستمدا من دلالة الوصف القرآني (الطير) وحده حتى يستوون مع غيرهم فى الفهم بل يضاف اليه رؤيتهم لذلك الطير بأنفسهم أو السماع ممن رآه مباشره . ومادامت روايتهم لا تخالف رواية القرآن فهم أولى بالصحه وأقرب اليها من سواهم فكيف اذا جاء المعارض بوصف لا يوافق وصف القرآن فزعم أن المراد بالطير البعوض أو المكروب .

بل ان الآيه صرحت بارسال الطير " وأرسل عليهم طيرا أبابيل " وبين المخاطبين كثير ممن عاصر الحادث بل ممن شاهده وفيهم كثير من أعداء الرسول صلى الله عليه

---

(1) التفسير والمفسرون - الذهبى - جـ ٣ ص ٢٣٥ .
(2) نحو منهج لتفسير القرآن محمد الصادق عرجون ص ٣٥ .

وسلم فالسورة مكية ولو أنهم لم يروا هذا الطير الأبابيل رأى العين لبادروا الى تكذيب القرآن وانكارهم لرمي الطير لجيش أبرهة ولا يقبل أن يقال لأنهم رأوا الميكروب أو الجراثيم لأنهم لا يستطيعون رؤيتها ولا يقال لأنهم رأوا الذباب أو البعوض لأنهم لا يرون الحجارة التى تحملها فكان لا بد أن يكونوا رأوا طيرا ورأوا الحجارة التى تحملها ورأوا الرمي ولا يهم بعد ذلك أن يكون هلاك الجيش بمجرد وقوع الحجر أو أن تكون هذه الحجارة قد أصابته بمرض من الأمراض فالقرآن لم يصرح بذلك بل ذكر هلاكهم بهذا العقاب الشديد .

أما ما زعموه من أن تأويل الطير بالجراثيم والذباب والبعوض وتأويل الحجارة بما يعلق فى أرجل هذه المخلوقات من مكروبات أو مواد سامة هو أقوى فى الدلالة على قدرة الله وعظيم سلطانه فرد عليه سيد قطب رحمه الله تعالى حيث قال " لا نرى أن هذه الصورة أو تلك أدل على قدرة الله ولا أولى بتفسير الحادث فهذه كتلك فى نظرنا من حيث امكان الوقوع ، ومن حيث الدلالة على قدرة الله وتدبيره ويستوى عندنا أن تكون السنة المألوفة للناس المعهودة المكشوفة لعلمهم ، هى التى جرت فأهلكت قوما أراد الله اهلاكهم أو أن تكون سنة الله قد جرت بغير المألوف للبشر ، وغير المعهود المكشوف لعلمهم ، فحققت قدرة ذاك " ثم قال " فأما فى هذا الحادث بالذات فنحن أميل الى اعتبار أن الأمر قد جرى على أساس الخارقة غير المعهودة وأن الله أرسل طيرا أبابيل غير معهودة .... نحن أميل الى هذا الاعتبار لا لأنه أعظم دلالة ولا أكبر حقيقة ولكن لأن جو السورة وملابسات الحادث تجعل هذا الاعتبار هو الأقرب "[1] ثم قال " ثم ان اصابة الجيش على هذا النحو - يعنى بالحصبة والجدرى - وعدم اصابة العرب القريبين بمثله فى حينه تبدو خارقة اذا كانت الطير تقصد الجيش وحده بما تحمل ،

---

(١) فى ظلال القرآن - سيد قطب ج ٣٠ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

وما دامت المسألة خارقة فعلام العناء فى حصرها فى صورة معينه لمجرد أن هذه الصوره مألوفة لمدارك البشر! وجريان الأمر على غير المألوف أنسب لجو الحادث ؟ !

اننا ندرك ونقدر دوافع المدرسه العقليه التى كان الأستاذ الامام - رحمه الله - على رأسها فى تلك الحقبه .... ندرك ونقدر دوافعها الى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات فى تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ ، ومحاولة ردها الى المألوف المكشوف من السنن الكونيه ... فلقد كانت هذه المدرسه تواجه النزعه الخرافيه الشائعه التى تسيطر على العقليه العامه فى تلك الفتره ، كما تواجه سيل الأساطير والاسرائيليات التى حشيت بها كتب التفسير والروايه فى الوقت الذى وصلت فيه الفتنه بالعلم الحديث الى ذروتها وموجة الشك فى مقولات الدين الى قمتها . فقامت هذه المدرسه تحاول أن ترد الى الدين اعتباره على أساس أن كل ما جاء به موافق للعقل " ثم قال " ولكن مواجهة ضغط الخرافه من جهه وضغط الفتنه بالعلم من جهة أخرى تركت آثارها فى تلك المدرسه . من المبالغه فى الاحتياط ، والميل الى جعل مألوف السنن الكونيه هو القاعده الكليه لسنة الله فشاع فى تفسير الأستاذ الشيخ محمد عبده - كما شاع فى تفسير تلميذيه الأستاذ الشيخ رشيد رضا والأستاذ الشيخ عبد القادر المغربى - رحمهم الله جميعا - شاع فى هذا التفسير الرغبه الواضحه فى رد كثير من الخوارق الى مألوف سنة الله دون الخارق منها ، والى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه " المعقول" والى الحذر والاحتراس الشديد فى تقبل الغيبيات .

ومع ادراكنا وتقديرنا للعوامل البيئيه الدافعه لمثل هذا الاتجاه . فاننا نلاحظ عنصر المبالغه فيه ، واغفال الجانب الآخر للتصور القرآني الكامل . وهو طلاقة مشيئة الله وقدرته من وراء السنن التى اختارها - سواء المألوف منها للبشر أو غير المألوف - هذه الطلاقه التى لا تجعل العقل البشرى هو الحاكم الأخير ولا تجعل معقول هذا العقل هو مرد كل أمر بحيث يتحتم تأويل ما لا يوافقه - كما يتكرر هذا

القول فى تفسير اعلام المدرسه [1] فتبين بهذا كله خطأ رجال المدرسه العقليه الحديثه فى تفسير هذه الآيه وتجاوزهم للحدود التى شرعها الله سبحانه وتعالى لتحكيم العقل وتعديهم على القرآن الكريم بتفسيرهم لآياته تفسيرا لا يعتمد على قواعد التفسير وأصوله فعلوا كل هذا لمواجهة المفتونين بالعلم الحديث وما توصل اليه من مقررات ولكن هذا لا يعنى من قريب أو من بعيد أن نصرف ظاهر آيات القرآن الكريم عن حقيقتها مع عدم مصادمتها لشىء من مقررات العلم الثابته وفعلوا ذلك تقريبا لوقوع الحادثه الى عقول من ينكرون الخوارق ولا يؤمنون بها لعلهم يصدقون اذا كانت جارية على ما هو مألوف ومقرر فى العلم الحديث .

ونسوا أن فيما أقروا به خارقه لا تقل عن خارقة ذلكم الطير الذى يحمل الحجاره ويلقى به على الجيش فيهلكه ذلكم أن وقوع المرض الفتاك بجيش أبرهه مع عدم تعديه وتجاوزه الى من حوله يعد خارقة كبيره . فهم فروا من أمر الى مثيله .

والله أعلم والهادى الى سواء السبيل ...

---

(١) فى ظلال القرآن سيد قطب ج ٣٠ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

البـــــاب الســـــادس

أثر المدرسة العقلية الحديثة فى الفكر الاسلامى الحديث وموقف علماء المسلمين والمستشرقيـــن فيهـــــا :

أولا : أثرها فى الفكر الاسلامى الحديـــث .

ثانيا : موقف علماء المسلمين منهـــــا .

ثالثا : موقف الاستعمار البريطانى منهـــا .

رابعا : النتيجـــــة .

أولا : أثرها في الفكر الاسلامي الحديث

لعل الحديث عن أثر المدرسه العقليه الحديثه في الفكر الاسلامي الحديث - بحد ذاته - يحتاج الى رسالة مستقله وعناية خاصه ودقيقه لطوله واتساعه من جهه ، ولاهميته وخطورته من جهه أخرى .

وليس في وسعنا - هنا - الاطاله في دراسة هذا الأثر فضلا عن الاحاطه به والشمول واستقصاء جميع جوانبه - لما ذكرنا من طوله واتساعه ، وليس في وسعنا ايضا ان لا نعرض الى ذكر شيء من اطرافه ليتم بها عرض منهج المدرسه العقليه الحديثه في التفسير ، ولهذا فانا نرى - لزاما - ان نشير الى ابرز آثارها في بعض النواحي الفكريه :

أ - ففي التفسير للقرآن الكريم :-

أخذ بعض من تناول تفسير القرآن الكريم بعض مبادىء هذه المدرسه وسار على نهجها في تفسيره سواء التزم الحدود التى حددها أم تجاوزها الى ما هو ابعد واعمق ، فلقد كان تفسير القرآن الكريم تفسيرا يتلائم مع كثير من المكتشفات العلميه الحديثه محل عنايه واهتمام كبيرين من قبل رجال المدرسه العقليه وكان من أسس منهجهم في التفسير كما بينا هناك ، وفصلنا .

ولقد أخذ من بعدهم الشيخ طنطاوى جوهرى وهو من المتأثرين كثيرا بمحمد عبده ومن تلاميذه أخذ بهذا المنهج في التفسير وتوسع فيه واطال وذهب يملأ تفسيره بكل ما توصل اليه العلم من مكتشفات حتى قال عنه بعضهم ما قيل فى تفسير الرازى " فيه كل شيء الا التفسير " وقال الشيخ محمد حسين الذهبى " بل هو احق من تفسير الفخر بهذا الوصف وأولى به "[1] .

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي جـ ٣ ص ١٨٣ .

وانت اذا نظرت الى تفسيره وجدته يحمل الآيات ما لا تحتمله ويدخل في تفسيرها من المكتشفات العلميه ما لم تشر اليه ويبرر هذا بأعذار واهيه لا تقوم له بها حجه .

يقول في تفسير قوله تعالى " واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقره .. " الآيات[1] " وأما علم تحضير الارواح فانه من هذه الآيه استخراجه ، ان هذه الآيه تتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولا ثم بسائر أوربا ثانيا "[2] وقال " ولما كانت السوره التى نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزيز بعد موته وكذلك حماره ، ومسألة الطير وابراهيم الخليل ، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون فماتوا ثم أحياهم وعلم الله اننا نعجز عن ذلك جعل قبل ذكر تلك الثلاثه في السوره ما يرمز الى استحضار الارواح فى مسألة البقره كأنه يقول : اذا قرأتم ما جاء عن بني اسرائيل فى احياء الموتى فى هذه السوره عند أواخرها فلا تيأسوا من ذلك فاني قد بدأت بذكر استحضار الارواح فاستحضروها بطرقها المعروفه " واسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون " ولكن ليكن المحضر ذا قلب نقي خالص على قدم الانبياء والمرسلين كالعزير ، وابراهيم وموسى ، فهؤلاء لخلوص قلوبهم وعلو نفوسهم أريتهم بالمعاينة ليطمئنوا وأنا أمرت نبيكم أن يقتدى بهم فقلت " فبهداهم اقتده "[3] .

وفى تفسير قوله تعالى " يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون "[4] ونحوها من الآيات يقول " .. أوليس الاستدلال بآثار الاقدام وآثار اصابع الايدى فى أيامنا الحاضره هو نفس الذى صرح به القرآن "[5] .

لاشك ان هذا التفسير وامثاله من اخطر التفاسير للقرآن الكريم بل هو تلاعب بالآيات وصرف لها عن حقائقها الثابته الى معان لا تثبت الا بقدر ما تثبت مكتشفات

---

(١) سورة البقره : الآيه ٦٧ وما بعدها .
(٢) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : طنطاوى جوهرى ج ١ ص ٨٤ .
(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٨٩ .
(٤) سورة النور : من الآيه : ٢٤ .
(٥) الجواهر : طنطاوى جوهرى ج ٣ ص ٩٩ .

عليه تهتز يمنه ويسره بين الثبات والسقوط - هذا في الآيات التى قد يفهم منهـا ما اورده فى تفسيرها فما بالك بما يورده من تفسير لا تحتمله الآى من بعيد ولا من قريب .

نحن ندرك ان هدفه من سلوك هذا المنهج هو نفس هدف رجال المدرسه العقليه في سلوكه حيث يقول الاستاذ الاكبر محمد المراغي عن احدهم فى تفسيره العلمي " وحمدت له هذه النزعه العلميه التى لو تحلى بها كل مبرز فى فرع من فروع العلم لاجتمع لدينا ذخر عظيم من هذه التطبيقات الثمينه تستفيد منه الناشئه الحديثه زيادة معرفه باعجاز القرآن وايقان بأن الله ما فرط فى كتابه من شيء "[1] .

نحن ندرك ان هذا من اهدافه ولكن هذا لا يخوله حق تأويل الآيات على هذا النحو والى هذا الحد الذى تجاوز فيه حد الامان والسلامه .

ولكن الذى تأثر بمنهج المدرسه العقليه الحديثه اكثر من هذا هو صاحب تفسير " الهدايه والعرفان فى تفسير القرآن بالقرآن " وهو الشيخ ابو زيد الدمنهوري وقد أحدث هذا الكتاب ضجه كبرى فى المحيط العلمي وثورة ساخطه من شيوخ الازهر على مؤلفه وانتهى الأمر بمصادره الكتاب والحكم على صاحبه بالزيغ والضلال[2]

ولعله من المناسب هنا ان نشير الى اهم ما ذهب اليه فى تفسيره[3] وانت تدرك بعد هذا أثر المدرسه العقليه عليه :-

انكاره لمعجزات الانبياء عليهم السلام :-

حيث يقول " وان آيتهم على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم وصلاح رسالتهم ، وانهم لا يأتون بغير المعقول ولا بما يبدل سنته ونظامه فى كونه "[4] .

---

(١) الاسلام والطب الحديث : عبد العزيز اسماعيل تقديم محمد مصطفى المراغي ص ٥ و ٦ .
(٢) الاتجاهات المنحرفه فى تفسير القرآن الكريم : محمد حسين الذهبى ص ٩٤ .
(٣) التفسير مصادر والحمد لله ، وقد رجعنا فيما نقلنا الى ما نقله الشيخ محمد حسين الذهبى فى " التفسير والمفسرون " .
(٤) التفسير والمفسرون الذهبى ج ٣ ص ٢٠١ عن الهدايه والعرفان ص ٣٠٦ .

معجزات عيسى عليه السلام :

يقول " (كهيئه الطير) يفيد ك التمثيل لاخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته الى خفة العلم ونوره " (١)

معجزات موسى عليه السلام :

فى تفسير قوله تعالى " وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان أضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا " (٢) يقول " ويصح ان يكون الحجر اسم مكان واضرب بعصاك الحجر معناه : اطرقه ، واذهب اليه ، والغرض ان الله هداه الى محل الماء وعيونه " (٣)

وفى تفسير قوله تعالى " فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين " (٤) يقول " مثال من قوة حجته وظهور برهانه " (٥) .

معجزة ابراهيم عليه السلام :

فى تفسير قوله تعالى " قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم .. " (٦) يقول " معناه نجاه من الوقوع فيها " (٧) .

الاسراء :

ويفسر الاسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم ان المراد به هجرته من مكه وهي المسجد الحرام الى المدينه وهي (المسجد الاقصي) (٨) .

---

(١) التفسير والمفسرون : جـ ٣ ص ٢٠١ عن الهدايه والعرفان : ص ٤٥ .
(٢) سورة الاعراف : الآيه : ١٦٠ .
(٣) التفسير والمفسرون : جـ ٣ ص ٢٠٣ عن الهدايه والعرفان : ص ١٣١ .
(٤) سورة الاعراف : الآيتين : ١٠٧ - ١٠٨ .
(٥) التفسير والمفسرون : جـ ٣ ص ٢٠٣ عن الهدايه والعرفان : ص ١٢٦ .
(٦) سورة الانبياء : الآيه : ٦٩ .
(٧) التفسير والمفسرون : جـ ٣ ص ٢٠٤ عن الهدايه والعرفان : ص ٢٥٦ .
(٨) التفسير والمفسرون : جـ ٣ ص ٢٠٦ عن الهداية والعرفات : ص ٢٥٦ .

تفسيره للملائكه والجن والشياطين :-

ويقول عن الملائكه (الملائكه رسل النظام وعالم السنن وسجودهم للانسان معناه ان الكون مسخر له "[1] أما ابليس فهو " اسم لكل مستكبر على الحق ويتبعه لفظ الشيطان والجان وهو النوع المستعصى على الانسان تسخيره "[1] .

الحدود :

ومادام باب الاجتهاد مفتوحا وميسورا ومادامت الشروط التى وضعها الفقهاء لبلوغ رتبه الاجتهاد امتيازا على الله ونسخا لكتابه كما قال اصحاب المدرسه العقليه[2] فلا عجب ان يبادر ابو زيد الدمنهورى وغيره ممن استجاب لدعوتهم فيبدأ فى " تطوير " الاحكام الشرعيه وذهب فيها " مجتهدا " مذهبا عجيبا .

حد السرقه :

ففى تفسير قوله تعالى " والسارق والسارقه فاقطعوا ايديهما "[3] يقول " واعلم ان لفظ السارق والسارقه يعطى معنى التعود أى ان السرقه صفه من صفاتهم الملازمه لهم ويظهر لك من هذا المعنى ان من سرق مرة أو مرتين ولا يستمر فى السرقه ولم يتعود اللصوصيه لا يعاقب بقطع يده لان قطعها فيه تعجيز له ولا يكون ذلك الا بعد اليأس من علاجه "[4] .

والى هذا ذهب من بعده المستشار مصطفى كمال المهدوى وأيد رأيه مصطفى محمود وزعم ان فيه التزاما واحتراما وان فهمه جدير بالاستماع والتأمل والبحث ؟ ![5]

وكذا الزاني والزانيه عندهم يشترط ان يكونا معروفين بالزنا وكان من عادتهما وخلقهما فهما بذلك يستحقان " الجلد "[6] .

---

(١) التفسير والمفسرون : جـ ٣ ص ٢٠٧ عن الهدايه والعرفان : ص ٧ .
(٢) انظر الاساس العاشر من منهج المدرسه العقليه الحديثه وانظر تفسير المنار : جـ ١ ص ١١٤ .
(٣) سورة المائده : الآيه : ٣٨ .
(٤) التفسير والمفسرون : جـ ٣ ص ٢٠٨ عن الهدايه والعرفان ص ٨٨ .
(٥) مجله صباح الخير العدد ١٠٩٣ في ١٦ ديسمبر ١٩٧٦م مقال " قطع اليد فى القرآن " مصطفى محمود .
(٦) التفسير والمفسرون : جـ ٣ ص ٢٠٨ عن الهدايه والعرفان ص ٢٧٤ .

تعدد الزوجات :

ولا يبيح تعدد الزوجات الا اذا كن يتامى فى حجره ، وأمن من نفسه عدم الجور[1] وهو ما ذهب اليه من بعده ايضا المهدوى ومصطفى محمود[2] ، ولم يقل أحد بالشرط الاول مطلقا ومن يطلع على سبب النزول يعلم خطأ من يشترط هذا الشرط فى التعدد[3] .

الربـــا :

ويجعل الربا المحرم شرعا هو الربا الفاحش فقط[4] .

هذا بعض ما ذهب اليه هذا المفسر فى تفسيره ، وما قصدنا من الاستطراد فى ذكر أمثله من تفسيره الا لتتضح لنا صلته بالمدرسه العقليه وتأثره بما ذهبت اليه من آراء في معجزات الانبياء عليهم السلام كافه ، ومن اجتهاد فى غير محله ومن غير أهله فى الشريعه الاسلاميه ، وانا لنعجب كيف قامت الصيحات والاحتجاجات على المؤلف حتى صودر الكتاب وحكم عليه بالزيغ والضلال وهو انما يردد ما جاءت به المدرسه العقليه الحديثه الا ما ندر وفى الوقت نفسه يلاقي تفسير اصحاب المدرسه الترحيب والقبول ؟!

ب - فى القصـــه القرآنيـــه :

فى سنه ١٩٢٦ م أصدر طه حسين كتابه فى الشعر الجاهلى وقد جاء فى ص ٢٦ منه : " للتوراة ان تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل ، وللقرآن ان يحدثنا ايضا ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخي "[5] ويقول فى نفس الصفحه " .. فضلا عن اثبات هذه القصه التى تحدثنا بهجره اسماعيـــل

---

(١) التفسير والمفسرون : جـ ٣ ص ٢٠٩ عن الهدايه والعرفان ص ٦١ .
(٢) مجله صباح الخير العدد ١٠٩٣ في ١٦ ديسمبر ١٩٧٦م مقال " قطـع اليد فى القرآن " مصطفـى محمـود .
(٣) التفسير والمفسرون : جـ ٣ ص ٢٠٩ .
(٤) المرجع السابق : جـ ٣ ص ٢١٠ .
(٥) ذيل الملل والنحل : محمد سيد الكيلاني ص ٨٤ عن (فى الشعر الجاهلى طه حسين) .

ابن ابراهيم الى مكه ونشأة العرب المستعربه فيها ، ونحن مضطرون الى ان نرى في هذه القصه نوعا من الحيله في اثبات الصله بين اليهود والعرب من جهـــه وبين الاسلام واليهوديه من جهه أخرى ، والقرآن والتوراة من جهة أخرى .." [1]

وفى عام ١٩٤٧م قدم الطالب محمد احمد خلف الله من كليه الآداب بجامعة فؤاد رسالة للحصول على الدكتوراه بعنوان " الفن القصصي في القرآن الكـــريم " قرر فيها ان ورود الخبر في القرآن الكريم لا يقتضي وقوعه ، وانه يذكر اشــــياء وهي لم تقع ويخشى على القرآن (!!) من مقارنه أخباره بحقائق التـــــاريخ " ان التاريخ ليس من مقاصد القرآن وان التمسك به خطر أى خطر على النبى عليـــه السلام وعلى القرآن بل هو جدير بأن يدفع الناس الى الكفر بالقرآن كما كفروا مـــن قبل بالتوراة " [2] ويقول " ان المعاني التاريخيه ليست مما بلغ على انه دين يتبـــع وليست من مقاصد القرآن في شيء ... ان قصد القرآن من هذه المعاني انمـــا هو العظه والعبره ... ومعنى هذا .. ان قيمتها التاريخيه ليست مما حمـــاه القرآن الكريم مادام لم يقصده " [3] .

ويستند [4] فيما قال على ما جاء في المنار (ولكون التاريخ غير مقصود له لأن مسائله من حيث هي تاريخ ليست من مهمات الدين من حيث هو دين وانما ينظـــر الدين من التاريخ الى وجه العبره دون غيره " [5] ويستدل بقول المنار " هـــذا وان اخبار التاريخ ليست مما بلغ على أنه دين يتبع " [6] وبقوله " بينا مرارا أن احداث التاريخ وضبط وقائعه وأزمنتها وامكنتها ليس من مقاصد القرآن وأن ما فيه من قصص

---

(١) ذيل الملل والنحل : محمد سيد الكيلاني ص ٨٤ عن (في الشعـــــر الجاهلي : طه حســـين " .

(٢) الفن القصصي في القرآن الكريم : محمد احمد خلف الله ص ٤٢ .

(٣) المرجع السابق ص : ٤٤ .

(٤) المرجع السابق ص : ٤٢ .

(٥) تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٧٩ .

(٦) المرجع السابق : جـ ٤ ص ٧ .

الرسل مع اقوامهم فانما هو بيان لسنه الله فيهم وما تتضمنه من اصول الدين والاصلاح "(١) .

واستدل ايضا بغير ذلك من نصوص المنار ، ومن هنا ندرك عمق الصله بين هذا الموقف من قصص القرآن وموقف المدرسه العقليه الممثله فى تفسير المنار من قصص القرآن الكريم .

ثم يصل الدكتور خلف الله الى نتيجه ما قرره من الفصل بين القصه القرآنيه والحقيقه التاريخيه فيصف القرآن بما وصفه به المشركون من أنه " اساطير " ويستدل على هذا بأن القرآن عرض مرة واحدة للرد على المشركين " فى قيلهم بأنه اساطير وهي المره التى ترد في سورة الفرقان وهذه هي الآيات " وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا * قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما "(٢) فهل هذا الرد ينفي ورود الاساطير فى القرآن ؟ أو هو انما ينفي ان تكون هذه الاساطير من عند محمد يكتبها وتملى عليه ويثبت انها من عند الله ، قل انزله الذى يعلم السر .. الخ "(٣) . ثم قال " واذا كان القرآن لا ينفي ورود الاساطير فيه وانما ينفي ان تكون هذه الاساطير هي الدليل على انه من عند محمد عليه السلام وليس من عند الله اذا كان هذا ثابتا فانا لا نتحرج من القول بأن القرآن اساطير لأنا فى ذلك لا نقول قولا يعارض نصا من نصوص القرآن "(٣) .

ونذكر مثلا من تطبيقه هذه النتيجه التى توصل اليها على قصص القرآن قوله :- " واذا ما قال المستشرقون ان بعض القصص القرآني كقصة اصحاب الكهف أو قصة موسى فى سورة الكهف قد بنيت على بعض الاساطير قلنا ليس فى ذلك فى القرآن من بأس فانما هذه السبيل سبيل الآداب العالميه والاديان الكبرى ويكفينا فخرا

---

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١٢ ص ١٠١ .

(٢) سورة الفرقان : الآيتين ٥ و ٦ .

(٣) الفن القصصي فى القرآن الكريم : محمد احمد خلف الله ص ١٧٨ - ١٨٠ .

ان كتابنا الكريم قد سنّ السنن وقعّد القواعد وسبق غيره فى هذه الميادين " [١].

وزعم ايضا انه لن يجد من " يعارض فى وجود القصه التمثيليه فى القرآن الكريم وانها وليدة الخيال وأن الخيال انما يسود هذا النوع من القصص لحاجة البشر اليه وجريهم في بلاغتهم عليه والله سبحانه وتعالى انما يحدثهم من هذا بما يعتادون " [٢]

ويستدل [٣] لاثبات هذه النتيجه التى توصل اليها بما جاء فى المنار عن أحدى قصص القرآن " ويحتمل ان تكون القصه من قبيل التمثيل والله اعلم " [٤] ويستدل [٥] ايضا بقول الشيخ محمد عبده " وأما تفسير الآيات على طريقة الخلف فى التمثيل فيقال فيه أن القرآن كثيرا ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكايه لما في ذلك من البيان والتأثير فهو يدعو بها الاذهان الى ما وراءها من المعاني كقوله تعالى " يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد " [٦] فليس المراد ان الله تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه وانما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا ونحو قوله عز وجل بعد ذكر الاستواء الى خلق السماء " فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين " [٧] والمعنى فى التمثيل ظاهر " [٨].

ومن هنا - ايضا - ندرك عمق الصله بين الفكرتين فكرة خلف الله وفكرة الشيخ عبده وتلاميذه فى قصص القرآن الكريم ولهذا حرص أمين الخولي المشرف على الرساله

---

(١) الفن القصصي فى القرآن الكريم : محمد أحمد خلف الله ص ١٨٢ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧٠ .
(٣) المرجع السابق ص ١٦٤ .
(٤) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ٣٠ ص ٥٢ .
(٥) الفن القصصي فى القرآن الكريم : محمد أحمد خلف الله ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(٦) سورة ق : الآيه ٣٠ .
(٧) سورة فصلت : الآيه ١١ .
(٨) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

المنحرفه على التصريح بأن جامعة فؤاد التى رفضت الرساله المنحرفه هذه " ترفض اليوم ما كان يقرره الشيخ محمد عبده بين جدران الازهر منذ اثنين وأربعين عاما" (١)

ولا شك بعد هذا ان هذا الزعم فى قصص القرآن الكريم بأنها مخالفة لحقائق التاريخ وان المراد بها التمثيل لا الحقيقه التاريخيه لا شك انه اثر من آثار مدرسة المنار ، كيف لا وهو انما يستشهد بأقوال استاذهم وامامهم .

وسواء أكان الاستاذ الامام يقصد ما قصده خلف الله أم لم يقصده فان الصلة بين القولين ولا شك بينه وواضحه .

بقي أن نقول ان هذه الرساله ايضا لقيت ردود فعل قويه واحتجاجات الرفض حتى رفضتها الجامعه ، وفى الوقت نفسه كان الترحيب والقبول لما جاء به محمد عبده وتلاميذه ؟!

ج - في السنه النبويـــه :-

منذ صدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أمر ، وأعرض عن المشركين ، ومنذ أنذر عشيرته الاقربين وخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين وقال انا النذير المبين ، منذ ذلك الحين واعداؤه واعداء الدين ما فتئوا يكيدون للاسلام واهله ويحاربونه بكل وسيله وكل ســـبيل .

زعموا ان القرآن اساطير ، وزعموا ان محمدا ساحر وشاعر وكاهن ، وزعمـــوا انه صلى الله عليه وسلم "كذاب أشر" وزعموا أنه عبقرى لا نبى ، وزعموا ان الاســـلام مجموعه أفكار اصلاحيه بشريه لا دين الهي .

منذ ذلك الحين والدين الاسلامي فى دوامه المعركه بين الحق والباطل بـــين حفظ الله ومكر الكافرين ، ويبتلى الله المؤمنين بين حين وآخر فى ذلك الصراع بـــين ضعف المسلمين وقوتهم .

---

(١) الفن القصصي فى القرآن الكريم : محمد احمد خلف الله ص (ح) .

وكانت المؤامرات العدائيه للاسلام تلبس لكل حالة لباسها فتسلك سبيل السلاح حين تضعف قوة المسلمين ، وتتخذ التخريب والتدمير والقتل شأنها من غير تفكير فى اصلاح اعوجاج أو تعديل انحراف .

واذا ما عجزت سبيل الحرب عن تحقيق اهدافها لبست لذلك لباسا آخر لباس الحرب الفكريه ، وهم يجمعون بين السبيلين فى أحيان كثيره فيشككون فى القرآن وفى محمد وفي السنه وفى الاسلام كله ويبثون افكارهم تلك بين نابتة المسلمين وغيرهم .

وتنشأ هذه النابته على رفض الاسلام أو رفض شىء من تعاليمه وافكاره ومبادئه ، لا تلبث ان تشتعل فيهم اشتعال النار فى الهشيم فيكونون على الاسلام عبئا اكبر من عبثهم ويحسب الجاهلون أن لا علاقة لاعداء الدين بهذا التشكيك والحرب من المنتسبين اليه ومن داخل حصونه .

ويزيد قوم الأمر سوءا حين يقولون ما يتمسك به المنحرفون ، ويشد عضدهم ويفتح لهم سبلا كانوا عنها غافلين .

قالوا ان قصص القرآن تمثيل وتخييل وجاء من يقول انها اساطير مخالفه للواقع ، وقالوا ان الوحى عرفان يجده الشخص من نفسه .. الخ فجاء من يقول ان محمدا عبقرى وان القائلين بنبوته يكسبون بالاعتراف بعبقريته كسبا عظيما ، قالوا ان حديث ابي هريره الذى قال فيه كذا وكذا لا يبعد ان يكون قد رواه عن كعب الاحبار أو وهب بن منبه فجاء من يسب ابا هريره رضى الله عنه ، ويشتمه ويرفض احاديثه كلها صحيحها وضعيفها ، قالوا ان السنه ليست دينا الا من حيث انها مبينه للقرآن فجاء من ينكر السنه كلها ويرفضها .

لم يكن بين الفريقين كبير فارق فى الزمن أو الفكره بل كانوا من المعاصرين لهم وكانوا من الناشرين لأفكارهم الالحاديه المروجين لها بل والمشاركين فى صياغتها ينشر الاستاذ محمد حسين هيكل كتابه " حياة محمد " ينكر فيه معجزاته صلى الله عليه وسلم ويقدم للكتاب الشيخ محمد مصطفى المراغي ويقرظه السيد رشيد رضا ؟!

ويكتب محمد عبده كتابا يذيله باسم قاسم امين وينشره بين الناس يدعو فيه الى ما اسماه تحرير المرأه ؟! ويشيد بهذا الكتاب رشيد رضا ويقرظه فى كل سانحه فى مجلة المنار .

وينكر الدكتور توفيق صدقي حجيه السنه ويعلن عنوان مقاله " الاسلام هو القرآن وحده " وينشر له الاستاذ محمد رشيد هذا المقال فى عددين من مجلته المنار السابع والثاني عشر من السنه التاسعه .

ويزعم فى مقاله ان القرآن قد حوى كل شيء من امور الدين ، وكل حكم من احكامه وأنه بينه وفصله بحيث لا يحتاج الى شيء آخر كالسنه والا كان الكتاب مفرطا فيه ولما كان تبيانا لكل شيء .

ويلحد فى تفسير قوله تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون "(1) فيزعم انه تكفل بحفظ القرآن وحده دون السنه ولو كانت دليلا وحجه كالقرآن لتكفل بحفظها ؟!

وجاء من بعده احمد أمين صاحب كتب " فجر الاسلام ، وضحاه ، وظهره " تحدث فى فجر الاسلام عن الحديث النبوى فمزج السم بالدسم وخلط الحق بالباطل كما يقول المرحوم مصطفى السباعي (2) .

زعم ان هناك أمورا كثيره تضعف من حجيه السنه منها ان الحديث لم يدون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وزعم انه نشأ عن هذا كثره الوضع والكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ساعد على ذلك كثرة دخول الشعوب فى الاسلام ، وزعم ان علماء الحديث انما اعتنوا بالسند ولم يعتنوا بنقد المتن عشر عنايتهم بالسند ثم شكك فى حديث ابي هريره رضى الله عنه وفى حفظه ؟!

وانت قد لا تجد فى كلامه نصا صريحا واضحا في انكار حجيه السنه فهو ادهى من ان يظهر هذا بل يرشد من يريد انكار حجيه السنه الى السبيل لذلك فيقول

---

(1) سورة الحجر : الآيه : ٩ .

(2) السنه ومكانتها فى التشريع الاسلامي : مصطفى السباعي ص ٢٣٦ .

للدكتورعلى حسن عبد القادر " ان الازهرلا يقبل الآراء العلميه الحره ، فخير طريقه لبث ما تراه مناسبا من اقوال المستشرقين ألا تنسبها اليهم صراحه ولكن أدفعها الى الازهريين على انها بحث منك والبسها ثوبا رقيقا لا يزعجهم مسها ، كما فعلت أنا فى فجر الاسلام ، وضحى الاسلام " هذا ما قاله الدكتورعلى حسن نفسه للمرحوم مصطفى السباعي [(١)] .

وقد نشر اسماعيل ادهم رسالة سنه ١٣٥٣ هـ زعم فيها ان الاحاديث التى تضمنتها كتب الصحاح ليست ثابته الاصول والدعائم بل هي مشكوك فيها ويغلب عليها صفة الوضع ، وثارت حول هذه الرساله ضجه انتهت بمصادرتها ودافع أدهم عن نفسه بأن ما قاله قد وافقه عليه كبار ادباء وعلماء ذكرمنهم أحمد أمين ،ولم يكذب احمد امين ما قال هذا بل كتب ما يفيد تألمه مما حصل لصاحبه واعتبار ذلك محاربه لحرية الرأى ، وحجرعثرة فى سبيل البحوث العلميه [(٢)] .

وفى عام ١٣٧٧ هـ الموافق ١٩٥٧م ظهركتاب جديد وأعنى بالجديد فيه ذلكم الاسلوب الذى نهجه صاحبه وما رأيت مثله ؟ ! رجل يحمل معول هدم السنه ينكر احاديثها ويلقى افظع السباب والشتائم على ناقلها الاول ابي هريره رضى الله عنه ثم يزعم بعد هذا انه يدافع عن الحديث ؟ !

أما المؤلف فمحمود ابو ريّه ، واما الكتاب ف " اضواء على السنه المحمديه أو دفاع عن الحديث " ؟

ومن التوافق العجيب ان الذى قدم لهذا الكتاب الذى انكرحجيه السنه هو الذى انكر صدق قصص القرآن وانكر حجيته فيما يخبر به - كما مر بنا - وأعنى به طه حسين .

---

(١) السنه ومكانتها فى التشريع الاسلامي : مصطفى السباعي ص ٢٣٨ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

انكر محمود ابو ريه حجيه السنه واذا ما قال له قائل كيف تنكر حجيه السنه وانت تستدل على ما ذهبت اليه بأحاديث منها ؟ أجاب " ان الاحاديث التى أوردها في سياق كلامي للاستدلال بها على ما أريد في كتابي انما اسوقها لكى نقنع من لا يقنع الا بها على اعتبار انها عنده من المسلمات التى يصدقها ولا يمارى فيها " ويشبه اسلوبه هذا باحتجاج " المسلم على النصراني بما في الانجيل وهو فى نفسه غير مؤمن بما يحتج به أو عكس ذلك "(١) ؟ !

ثم يأتي بعد هذا بقواعده التى أراد بها أن يأتي " بجديد " يفوق به قواعد علماء الحديث السابقين ؟ ! ويعدّل به ما اعوج من قواعدهم ؟ قال بعد كلامه السابق " اعلم ان ذلك ليس عاما فى كل ما اورده من احاديث فى كتابي فان منها ما يبيد وعليه علائم الصحه كأن يكون بيانا للقرآن الكريم أو متفقا مع العقل السليم ، أو جاء على مقتضى الاصول التى قام عليها الدين واليها قامت الدعوه ولاجلها منحت النبوه ، أو أتنور خلال معانيه شعاعا من نور النبوه ولو كان خافتا ضئيلا - وهذا أمر أحسه بوجداني فما كان من مثل ذلك مما يطمئن به القلب ويسلم به العقل فأنا آخذ به وأرويه وأنا مطمئن ، واعتبره من بيان الرسول للكتاب العزيز وان كنت على ثقه بعد ذلك كله من أنه أحاديث آحاد وأنه ظنى الدلاله بحيث لا يبلغ منزلة القطع الذى يفيد اليقين وان روايته جاءت " بالمعنى " لا بأصل اللفظ الصحيح الذى نطق به النبى صلى الله عليه وسلم "(٢) .

بقى ان اقول ان قواعده تلك لا تقوم بها حجه على صحة الحديث فقد يكون فى الحديث بيان للقرآن الكريم ولا يلزم من هذا صحة هذا الحديث وقد يتفق الحديث مع العقل السليم وقد يأتي حديث على مقتضى الاصول التى قام عليها الدين واليها

---

(١) اضواء على السنه المحمديه : محمود ابو ريه ص ٣٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٤ - ٣٥ .

قامت الدعوه ولا جلها منحت النبوه ولا يلزم ان يكون الرسول قد قاله ؟ وليس هذا كلبه بالامر الذى يحتاج الى مزيد علم لادراكه ، ولكنه الضياع يعمى الابصار عن الحقيقه .

وحتى ندرك منه ضلال منهجه فى نقد الحديث نسوق قوله " ومن الاحاديث ما تقتضى البداهه بصدقه كحديث " لا تكتبوا عنى شيئا غير القرآن "[1] ؟ ! ولست انكر هنا صحة الحديث أو غيرها وانما انكر ان تكون " البداهه " مما تقتضى صحته ؟ ! وأى بداهه تنكر ان يبيح الرسول صلى الله عليه وسلم كتابة حديثه ؟!

وحتى ندرك منه غرضه فى وصف هذا الحديث بأن " البداهه " تقتضى صحته نكمل قوله " وهو الحديث الذى بنينا عليه كتابنا هذا "[1] وبه يتضح هدفه ؟ !

وحتى ندرك ايضا الصلة التى تربطه برجال المدرسه العقليه الحديثه وتأثره بهم فيما ذهب اليه نقول أنه كثيرا ما يسوق نصوصهم ويستشهد بها فى التقليل من شأن حجيه السنه أو التجريح بصحابي جليل ، وحينما عاب عليه طه حسين كثره نقله عن رشيد رضا أجاب بأنه لم يصنع ذلك " عوزا أو فقرا من الادله "[1] وانما كان يقصد من ذلك امورا مهمه " منها ان هذا السيد يعتبر فى هذا العصر من كبار أئمة الفقهاء المجتهدين عند اهل السنه الذين يعتد برأيهم .. الخ "[1] " وأنه بلا منازع شيخ محدثى اهل السنه فى عصرنا بحيث يعلم من أمر الاحاديث التى حملتها الكتب المشهوره لدى الجمهور ويدرك ما اعتراها من فعل الرواة وغير ذلك مما يتصل بكتابي ما لم يعلم مثله سواه "[1] " على أنه فوق ذلك ورث علم الاستاذ الامام محمد عبده وناهيك به علما وفضلا بحيث لا يختلف اثنان فى أنه من كبار ائمه الدين المجتهدين فما يقوله السيد رشيد انما اعتبره كأنه صادر عن استاذه الامام وذلك فيما

---

(١) اضواء على السنه المحمديه : محمود ابو ريه ص ٣٤ - ٣٥ .

ارى انه من منهج الاستاذ الامام واسلوبه فى النظر الى الدين "[1] وفوق هذا وذاك فهو يكتب عن السيد رشيد بمناسبة مرور خمسة اعوام على وفاته ويسميه " شيخنا " ويردد هذه العباره[2] .

أذن فهو يستند فيما ذهب اليه الى اقوال ائمة رجال المدرسه العقليه الحديثه الاستاذ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد ، ويحسب قوله بعد هذا فوق الشبهات !!

وكأن خداع العناوين مرض انتقل من ابي ريه فى زعمه الدفاع عن الحديث النبوى فى عنوان كتابه الى المدعو " السيد صالح ابو بكر " فنشر كتابا زعم انه " الاضواء القرآنيه فى اكتساح الاحاديث الاسرائيلية وتطهير البخارى منها " زعم فيه أن من اهدافه " تقديم حصيلة الفحص الدقيق للاحاديث المعارضه للقرآن ، والمنافيه لما يليق بالله وبرسوله والتى جمعناها من صحيح البخارى باعتباره عمدة المراجع فى هذا المجال وعددها مئه وعشرون حديثا والتعقيب القرآني على كل منها بما يثبت انها دخيله على كلام النبى صلى الله عليه وسلم "[3] وعدّ من اهدافه " القضاء على منازعة الحديث الباطل للقرآن الكريم "[3] ومنها " ادراك العواقب المترتبه على ترك الاحاديث المخالفه للقرآن الكريم دون تجريح واظهار لعيوبها "[3] و " اثبات ان دين الله هو القرآن بدايه ونهايه "[3] وقال أخيرا " كتابنا هذا يستند الى كتاب الله نصا ومعنى "[3] .

والحق اننا فى حاجه ماسه الى مثل هذه الاهداف والحق ايضا ان هذا الرجل بعيد كل البعد عن المنهج الذى زعم بل عماد نقله وأسّه محمود ابو ريه السالف ذكره فهو كثيرا ما ينقل عنه بل نستطيع القول ان الجزء الأول منه خلاصه لكتاب ابي ريه ، ثم اراد المؤلف منافسه ابي ريه على مناهله الاولى فنقل ايضا عن محمد عبده

---

(١) اضواء على السنه المحمديه : محمود ابو ريه ص ٣٥ .
(٢) مجله الرساله اغسطس ١٩٤٠م مقال السيد رشيد رضا بقلم محمود ابو ريه ص ١٣٥٥ .
(٣) الاضواء القرآنيه فى اكتساح الاحاديث الاسرائيليه وتطهير البخارى منها : السيد صالح ابو بكر ص ٣ - ٦ .

وعن رشيد رضا وغيرهم من مدرسه المنار .

بل ان بدء هجومه على ابي هريره رضى الله عنه يصد ره برأى مدرسه المنار فيضع عنوانا " ابو هريره ورأى علماء الحديث فيه ممثلا في مدرسه المنار "(1) .

وقد خصص المؤلف الصفحات من ٥٨ الى ٦٣ للتشكيك فى ابي هريره رضى الله عنه وفى روايته .

وان شئت مثالا من الاحاديث المئه والعشرين التى كذبها المؤلف من صحيح البخارى واسلوبه فى التكذيب ، حتى تدرك بعد منهجه عن عنوان الكتاب " اضواء القرآنيه " وعن اهدافه التى زعمها فاليك واحدا منها .

ففي حديث ابن عمر رضى الله عنهما " قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني لا نذركموه وما من نبى الا انذره قومه ، لقد انذر نوح قومه ولكنى اقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه : تعلمون انه اعور ، وان الله ليس بأعور " رواه البخارى فى كتاب الانبياء باب قول الله عز وجل " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه " .

اتدرون ماذا قال المؤلف بعد ان نقله نقلا غير ملتزم بالفاظه كما هو شأن علماء الحديث الصالحين اتحسبون الرجل استند الى ضوء آيه قرآنيه واحده فى رد الحديث فضلا عن التزام " الاضواء القرآنيه " !! لا لا ليس الامر كما تحسبون . بل قال " ودلائل الزيف فى هذا الحديث وغيره من احاديث الدجال كلها نقول فيها ما يلى :-

أولا : ان المسيخ الدجال هو كل مبدل وكل ماسخ لجمال الحق ... وان هذا المسيخ ليس رجلا واحدا فقط ولكنهم كثيرون وهم عور وغير عور يعيشون معنا واناس منا وكانوا مع من قبلنا وسيكونون مع من بعدنا ! وفى كل زمان ومكان .. وليسوا مسيخا واحدا كما يقول الحديث .

---

(1) الاضواء القرآنيه فى اكتساح الاحاديث الاسرائيليه وتطهير البخارى منها : السيد صالح ابو بكر ص ٥٨ .

ثانيا : اذا كان المسيخ سيظهر فى آخر الزمان فقط . . فمن هو المسيخ الدجال الذى كان سببا فى ظهور الفساد والفتن فى عهود الخلفاء وزمن التابعين بل زماننا هذا .

ثالثا : اذا كان المسيخ الدجال رجلا واحدا ولا يأتى الا فى آخر الزمان فمن اى مسيخ كان يتعوذ النبى صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه والتابعين . . ومن اى مسيخ نتعوذ نحن الآن فى نهايه كل صلاة كما علمنا النبى ص ؟ ؟

رابعا : . . بأى عقل نصدق ان يعطيه الله كل هذه الاسباب ثم يأمرنا بمحاربته أو يلوم اتباعه وقد اعطاه من وسائل الاغراء والاقناع للناس ما لا يعطى الانبياء والمرسلين .

خامسا : فى هذا الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان المسيخ الدجال رجل اعور وان ربكم ليس بأعور فكيف يعقل ان تجرى هذه الالفاظ على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وان تكون الفاظه قد وصلت الى هذا النقص فى التعبير عن ذات الله وان يتكلم عن خالقه بتلك الصوره المذريه الركيكه .

سادسا : كيف انذر نوح قومه من المسيخ الدجال كما يقول الحديث مع ان الاحاديث التى وردت فيه تقول كلها ان المسيخ سيأتى فى آخر الزمان "[1] .

وليس هدفنا هنا ان نرد على شبهه ونبطلها فليس هذا موضعه وانما اردنا ان نظهر اسلوبه فى النقد وان ادلته تلك ليست اضواءا قرآنيه كما زعم ولم يستند فيها الى أية آيه قرآنيه بل كلها شبه من فكره ومن مفهومه الضال الذى لم يستند الى كتاب ولا الى سنه ايضا .

وليس هذا الامر فى هذا الحديث فحسب بل هو فى كل الاحاديث التى أوردها لم يستدل فيها بأيه قرآنيه الا آيه تعرض عرضا فى حديثه وليس فيها من معارضه الحديث شىء .

اذن فلا عجب اذا ما اكثر النقل عن محمود ابو ريه وعض على اقواله بنواجذه ولا عجب ايضا اذ ما استند الى اقوال محمد عبده ورشيد رضا بل الى مدرسه المنار .

---

(١) الاضواء القرآنيه فى اكتساح الاحاديث الاسرائيليه : السيد صالح ابو بكر ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .

د - فى الفقـــــيه :

أما فتح باب الاجتهاد وشروطه التى جاءوا بها فقد نفذ منها كل من هب ودب وأفتى فى الاحكام الشرعيه من غير تردد أو خوف أو وجل ، وحكم في قضايا لو عرضت على مالك لقال " لا ادرى " ولو عرضت على عمر لجمع لها اهل بدر .

ولا نريد ان نذكر كل ما جرى بعدهم من اجتهادات فقهيه خارجه عن نطاق الاجتهاد وحدوده ولا يصل الى مرتبته مصدرها - ولكن نقصر الحديث هنا على واحده من تلك الاتجاهات الفقهيه المنحرفه .

ونحن وان كنا لا نزعم أن كل انحراف فى تقنين الاحكام الشرعيه وميل بهـا عن الحق أنه أثر من آثار المدرسه العقليه الا أننا نؤكد ان كثيرا من ذلك يستند الى آرائهم ويستدل بأقوالهم ويستشهد بها وما هذا الا معيار لتأثرهم بهـا ، نذكر من هذا مسألة تعدد الزوجات دع عنك تحرير المرأه وخروجها الى العمل واختلاطها بالرجال فى ميادينه .. الخ .

وقد سبق للشيخ عبده ان دعا الى تطبيق ما ذهب اليه فى مسأله تعـدد الزوجات ونحن نذكر دعوته هنا حتى ندرك ان ما حدث بعد انما هو من آثـاره ومدرسته قال :- " لا سبيل الى تربيه الأمه مع فشو تعدد الزوجات فيها فيجب على العلماء النظر فى هذه المسأله خصوصا الحنفيه منهم الذين بيدهم الأمـر الأمر وعلى مذهبهم الحكم فهم لا ينكرون ان الدين أنزل لمصلحة الناس وخيرهم وأن من اصوله منع الضرر والضرار فاذا ترتب على شئ مفسده فى زمن لم تكن تلحقه فيما قبله فلاشك فى وجوب تغيير الحكم وتطبيقه على الحال الحاضره "[1] .

اذن فهو يدعو الى تغيير الحكم ؟! ترى هل يدعو الى تغييره دفعـه واحده أو بطريقة أخرى ؟! يفسر هذا تلميذه السيد رشيد بقوله " ان قاعده

(١) تفسير المنار : محمد رشيد رضا ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

اليسر فى الامور ورفع الحرج من القواعد الاساسيه لبناء الاسلام (٢ : ١٨٥ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) و (٥ : ٦ ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج) ولا يصح ان يبنى على هذه القاعده تحريم أمر تلجىء اليه الضروره أو تدعو اليه المصلحه العامه أو الخاصه .. وهو مما يشق امتثاله دفعه واحده لاسيما على من اعتاد وا المبالغه فيه كتعدد الزوجات كذلك لا يصح السكوت عنه وترك الناس وشأنهم فيه على ما فيه من المفاسد فلم يبق الا ان يقلل العدد ويقيد بقيد ثقيل وهو اشتراط انتفاء الخوف من عدم العدل بين الزوجات وهو شرط يعز تحققه ومن فقهه واختبر حال الذين يتزوجون بأكثر من واحده يتجلى له ان اكثرهم لم يلتزم الشرط ومن لم يلتزمه فزواجه غير اسلامي "(1) ؟ !!

اذن فليس الأمر فى المنع " دفعه واحده " لأنه يشق على من اعتاد وا المبالغه فيه والحل ان يقيد بقيد ثقيل .. وهو شرط يعز تحققه .. ومن لم يلتزمه فزواجه غير اسلامي .

وليس المانع من الغاء التعدد " دفعه واحده " أمر شرعي وانما المشقه على من اعتاد وا المبالغه فيه ، والعلاج التدرج فى ذلك الى ان يصل الأمر الى اعتياد الناس على عدم التعدد ولا يشق على أحد الغاؤه ومن ثم الغاء التعدد

لن اذكر هنا أثر تلك الدعوه على الافراد فى اقوالهم ودعواتهم لانها كلها تنتهى الى الدعوه الى تطبيقه وتقنينه واذا ما اكتفينا بذكر القوانين التى سنتها بعض الدول المسلمه فى ذلك نكون قد تجاوزنا آراءهم الى النتيجه والنتيجه هدفنا من الاشاره الى الاثر .

وفى الواقع أن الدول التى تأثرت بهذه الدعوه انقسمت الى قسمين ولا يزال بعضها فى مرتبه " قيد ثقيل يعز تحققه .. ومن لم يلتزمه فزواجه غير " اسلامي " ، واستطاع بعضهم ان يصل الى مرتبه " دفعه واحده " .

---

(١) تفسير المنار : جـ ٤ ص ٣٥٩ .

أما القسم الاول فدول المغرب وسوريا والعراق قيدته المغرب قضائيا بالعدل بين الزوجات ، وقيدته سوريا بالقدره على الانفاق ، وقيد فى العراق بمصلحه مشروعه وبالعدل بين الزوجات ، وبالقدره على الانفاق عليهن .

" وورود أحد هذه القيود فى القانون معناه أنه اصبح ملزما ويتعين على القاضي ان يتحقق من توافره بحيث اذا لم يكن هذا الشرط متوافرا أو ناك كان تعدد الزوجات غير جائز ، لان المفروض ان احكام القانون جميعها ملزمه ويحمل الناس على احترامها وتطبيقها طوعا أو كرها "[1] .

أما التى أخذت بالطريقه الثانيه فتونس فمنعت تعدد الزوجات ومن تزوج بأكثر من واحده يستوجب عقابا بالسجن مدة عام وبخطيه (أى غرامه) قدرها (٢٤٠٫٠٠٠) فرنك أو باحدى العقوبتين فقط " (الفصل ١٨) "[2] .

أما فى مصر فقد شكل بعض تلاميذ محمد عبده لجنه سنه ١٩٢٦م اقترحت تقييد تعدد الزوجات وقدمت المقترحات لمجلس النواب وبعد مناقشات اعيدت لوزاره العدل لدراستها ثم صدر القانون رقم ٢٥ لسنه ١٩٢٩م منظما لبعض شؤون الاسره خاليا من مقترحات تقييد تعدد الزوجات[3] وفى سنه ١٩٤٥م تقدمت وزاره الشئون الاجتماعيه بمشروع قانون لتقييد تعدد الزوجات باشتراط اذن القاضي الشرعي الذى فى دائره اختصاصه مكان الزواج ، واشتراط ان لا يأذن القاضي الا بعد الفحص والتحقق من أن سلوكه واحوال معيشته يؤمن معها قيامه بحسن المعاشره ، والانفاق على اكثر من في عصمته ومن تجب نفقته عليهم من اصوله وفروعه ، ولم يكتب لهذا المشروع النجاح[3] .

وقامت بعض الدعوات لاشتراط أن يكون جواز التعدد فى حالتين ، حاله مرض الزوجه مرضا لا برء منه ، وحالة عقم الزوجه الذى مضى عليه اكثر من سنوات ثلاث

---

(١) تعدد الزوجات : عبد الناصر توفيق العطار ص ٢٥٧ .
(٢) المرجع السابق : ص ٢٦٢ .
(٣) المرجع السابق : ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

ومنع ما عدا هاتين الحالتين ودعوا فيما دعوا الى عدم سماع الدعوى فى نزاع يتعلق بالزواج " المتعدد الا اذا كان باذن القاضي وقد رفضت جبهة علماء الازهر هذا الاقتراح .

وزعم المدعو عبد العزيز فهمى باشا ان القرآن الكريم يحرم بتاتا تعدد الزوجات ؟! فالآيه في زعمه واضح لكل متذوق انها هزء وسخريه ممن يريد تعدد الزوجات لان المولى سبحانه وتعالى أردفها بقوله (وان خفتم ألا تعدلوا فواحده) وقوله فى موضع آخر (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ولن كما يقرر النحاة هي اشد أدوات النفي للمستقبل اذ تنفيه نفيا باتا "[1] .

وحتى نكشف مغالطه الرجل نقول ان استدلاله هنا كمن يستدل بقوله تعالى " ولا تقربوا الصلاة "[2] ويدع " وانتم سكارى "[2] ولو احسن الاستدلال وطلب الحقيقه لاكمل ما استدل به (ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما "[3] فقوله سبحانه " فلا تميلوا كل الميل " " وان تصلحوا وتتقوا " " غفورا رحيما " كلها تبين المراد من نفي الاستطاعه بيانا لا يريده فهمى باشا ولهذا قطع الآيه .

وأما الاستدلال بما قرره النحاه فهو تحريف لقولهم ولا يستغرب ممن كذب على القرآن ان يكذب على النحاة ؟ لم يقل النحاة بأن النفي بلن نفيا باتا أى دائما الا الزمخشرى المعتزلي قال ذلك ليؤيد النفى فى قوله تعالى لموسى " لن ترانى "[4] حتى يستدل بها على انكار رؤيه الله التى لا يؤمن بها المعتزله ، والنحاه - سواه - على الضد من ذلك فقد قالوا :-

---

(١) مع المفسرين والكتاب : احمد محمد جمال ص ٢٠٨ .
(٢) سورة النساء : من الآيه : ٤٣ .
(٣) سورة النساء : من الآيه : ١٢٩ .
(٤) سورة الاعراف : من الآيه : ١٤٣ .

ومن رأى النفى بلن مؤبـــدا   فقوله أردد وسوله فاعضـــدا

نعدّ الحديث بعد هذا ، شيخ ازهرى هو الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، والازهريون متهمون بالجمود والتزمت وهما صفتان أوحى بهما الاستعمار الـــى شباب المسلمين حينذاك لينفروا من الازهر وشيوخه ثم ينفروا من الدين كله بالتبع ، أراد هذا الشيخ ان ينفى هذه التهمه فأخطأ الطريق - وما هكذا تورد الابـــل ياسعد - تقرب اليهم بالدعوه الى تحريم تعدد الزوجات ؟ ! اليست هذه الصفـــه من مآخذ الاستعمار على الاسلام ؟ !

أىّ طريـــق يسلك الى ذلك ؟ استعداد ذلك من آية اباحة التعدد كما فعل عبد العزيز فهمى أمر قد سبق اليه ، وهو يريد أن يأتي بجديد فقال " لا ينكـــر أحد أن ينقلب المباح حراما اذا نهى عنه ولي الأمر لمصلحة تقتضى النهى عنـــه كأن ينهى عن زرع القطن فى اكثر من ثلث الملك فتجب طاعته شرعا فى ذلك وتحـــرم مخالفته فيه ... وكذلك الأمر فى تعدد الزوجات فلولي الأمر ان ينهى عنه اذا أساء المسلمون استعماله فيصير حراما لنهيه عنه وان كان فى ذاته مباحا وهذا أمر معـــروف بين العلماء " (١) ؟ ! وهو حينما يقول هذا يؤكد أن المسلمين قد اساءوا استعمالـــه ويرشد الى الطريق السليم لتحريم التعدد كما أرشد اليه سلفه محمد عبده وتلاميذه قال الشيخ عبد المتعال " ولعل ما يدعو الى هذا أن الناس لم يتهيؤا بعد لفهـــم هذا الحق بل يعدوه خروجا على الدين ، فيحمل هذا ولي الأمر على أن يستثنـــى فى ذلك ما يستثنى ، ولا يذهب فيه الى آخر ما جعله الله من حقه " (١)

لذلك فلا عجب ان يقول الدكتور عفت محمد الشرقاوى معلقا على ما ذهب اليه عبد العزيز فهمي ونعمّ به عبد المتعال " ومع ما يبدو فى هذا من الغرابه والتجـــوز فى الاستنتاج ، وخروجه عن مألوف المأثور ، فانه كان النتيجه الطبيعيه لشـــدة تأثرنا بالنظم الاوروبيه فى تشريع الزواج ... وكان ذلك فى جملته تطورا واضحـــا لنزعة قديمه حمل لواءها " محمد عبده " محاولا التوفيق بين النص القرآني وهـــذا

---

(١) مجلـــه الرساله : العدد ٧٧٣ السنه ١٦ ابريل ١٩٤٨م ص ٤٨٩ - عبد المتعال الصعيـــدى .

التصور الجديد "(١) .

كانت هذه هي الحال الى سنه ١٩٦٧م ففي هذه السنه صدر قانون الاسره في مصر والجديد الذى جاء فيه ما نصت عليه الماده (١٣٤) :

أ - للزوجة التى تزوج عليها زوجها وان لم تكن قد اشترطت عليه فى العقد ألا يتزوج عليها أن تطلب التفريق بينها وبينه وفي مدى شهرين من تاريخ علمها بالزواج ما لم ترض به صراحه أو دلاله .

ب - ويتجدد حقها فى طلب التفريق كلما تزوج بأخرى .

ج - واذا كانت الزوجه الجديده قد فهمت من الزوج أنه غير متزوج بسواها ثم ظهر أنه متزوج فلها ان تطلب التفريق .

كما نصت هذه الماده على أن " التفريق للزواج بأخرى طلاق بائن "(٢) . وهذا ولا شك " قيد ثقيل يعز تحققه .. " ؟ !

والاتجاه العام الى تقييد تعدد الزوجات سائر على منهج مدروس وقد بدأت بعض السلطات فى بعض البلدان الاسلاميه في اصدار قوانين تحرم من يعدد زوجاته من بعض الحقوق أو المزايا التى يتمتع بها سائر المواطنين كحرمانه من الاشتراك في نقابه أو نادٍ معين أو قصر الاعاره للخارج على المتزوجين بواحده أو السماح بالعلاج المجاني لزوجه واحده أو قصر الاعفاء الضريبى على المتزوجين بواحده (٣) ونحو ذلك .

وهذا كله ولاشك فى سبيل " تقييد تعدد الزوجات بقيد ثقيل .. يعز تحققه - ومن لم يلتزمه فزواجه غير " اسلامي " " والانتقال بعد هذا الى الخطوه الاخرى " منع تعدد الزوجات " دفعة واحده " وبهذا لا يشق هذا الأمر على " من اعتاد على تعدد الزوجات " ؟ !

(١) الفكر الديني في مواجهة العصر: عفت الشرقاوى ص ٢٢٧
(٢) تعدد الزوجات : عبد الناصر توفيق العطار ص ٣١٦ - ٣١٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٢٠ .

هـ - في السياسه :-

عمى الالوان مرض يصيب البصر لا يستطيع صاحبه التفريق أو التميز بينهما ، وأحسب أن عمى الالوان هذا يصيب البصيره فلا يستطيع صاحبه ان يفرق بين دين ودين ، ومنهج وآخر .

نظرت طائفه من المسلمين أو من المنتسبين للاسلام الى ما حدث فى اوروبا فى العصور الوسطى ، والى ما حدث من صراع هناك بين الدين والعلم ، بين الدين والسياسه ، بين الدين والدوله ،نظروا الى " رجال دين " يستندون الى كتب " محرفه " وما فيها يخالف حقائق العلم ونظرياته ،أضف الى هذا تشدد أولئك " رجال الدين " في مواجهه خصومهم .

ليس هناك مجال آخر دين محرف أقواله تصادم حقائق علميه ، ورجاله متصلبون متشددون ،فكان لابد من قيام ثوره للفصل بين الدين والدوله ، بين الدين والسياسه بين الدين والعلم ، فعزلوا الدين وأقصوه .

حسب من اصيب بعمى البصيره أن كل دين كهذا الدين المحرف ، فسبراد من ينتسب الى الاسلام منهم أن يطبق تلك الثوره على دينه الذى ينتسب اليه - اما عن جهل منه واما عن خبث فيه فدعوا الى فصل الدين عن الدوله ، وجعل الدين مجرد عباده تؤدى في المسجد فاذا خرجت الى الشارع فقد تعدت حدودها وتجاوزت مراسيمها ووجب عقابها وقمعها

فليبق الدين فى المسجد ؟!

ولتبق الوطنيه والقوميه .. الخ فى الشارع ، وليسرح الناس وليمرحوا حسب نظامهما ، دينهم الوطن وعقيدتهم القوميه .

وكان من السابقين السابقين الى هذه الدعوه الشيخ محمد عبده حيث قال " ان خير أوجه الوحده الوطن لا متناع الخلاف والنزاع فيه "(١) والشيخ نفسه

(١) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا جـ٢ ص ١٩٤ .

هو الذى صاغ برنامج "الجزب الوطنى " المصرى وجاء فيه " الحزب الوطني حزب سيلسي لا دينى [1] فانه مؤلف من رجال مختلفى العقيده والمذاهب ، وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم اليه " [2] ودافع عن القبط فى مصر قائلا " ليس من اللائق باصحاب الجرائد ان يعمدوا الى احدى الطوائف المتوطنه فى أرض واحده فيشملوها بشىء من الطعن أو ينسبوها الى شائن من العمل تعللا بأن رجلا أو رجالا منها قد استهدفوا لذلك .. " [3] .

وهو فى هذا يقلد استاذه الافغاني الذى دعا الى القوميه والوطنيه " الفرعونيه " فى مصر حيث يقول موجها حديثه للعوام ، " انكم معاشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد ... تناوبتكم ايدى الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والاكراد والمماليك ثم الفرنسيس والمماليك والعلويين وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ويهيض عظامكم بأداة عسفه وأنتم كالصخره الطقاة فى الفلاة لا حس لكم ولا صوت .. انظروا اهرام مصر وهياكل منفيس وآثار تيبه ومشاهد سيوه وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة اجدادكم :-

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ∴ ان التشبه بالرشيد فلاح " [4]

واتبعا القول بالعمل فجدا واجتهدا فى سبيل هدم الخلافه الاسلاميه ، واستقلال العرب عن الاتراك والتقريب بين الاديان .

وقد سرت هذه الافكار والمبادىء فى المجتمع الاسلامي بعد ذلك وانتشرت ولا نزال حتى ساعتنا هذه نعاني من آثارها .

(١) لاحظ الفصل بين الدين والسياسه .
(٢) الاعمال الكامله لمحمد عبده : جمع محمد عماره ج ١ ص ١٠٧ والتاريخ السرى : بلنت ص ٤٤٢ .
(٣) الاعمال الكامله لمحمد عبده : جمع محمد عماره ج ١ ص ١٠٨ .
(٤) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا ج ١ ص ٤٦ - ٤٧ وزعماء الاصلاح : أحمد امين ص ٧٨ - ٧٩ .

وظهرت آثارها أول ما ظهرت فى الثوره الكماليه الالحاديه فى تركيا حيث عملت أول ما عملت على فصل الدين عن الدوله وقالوا فيما قالوا " اننا نحن العثمانيين لا يمكن ان نترقى الا اذا نبذنا الدين وراء ظهورنا وعصرنا العلماء عصرا نمحقهم به محقا ، وسرنا وراء فرنسه خطوه خطوه "(١) .

وأشاد بعض العرب بهذه الحركه وفتن بها كثير منهم قال أحدهم " حصل التقدم في تركيا بعد نبذها تعاليم رجال الدين وفتاويهم وفصلها الامور الزمنيه عن الدينيه ، واستغنائها عن قراءه البخارى فى السفن البحريه "(٢)

وفى سنه ١٩٢٥ م وضع على عبد الرازق كتابه الاسلام واصول الحكم خاض فيه في مبحثين :

١) هل منصب الخلافه دينى أم سياسي أم هو مزيج من كليهما معا ؟

٢) » » » ضرورى للمسلمين ؟ (٣)

وهو فى سبيل فصل الدين عن الدوله تضمن :-

١- جعل الشريعه الاسلاميه شريعه روحيه محضه لا علاقه لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا .

٢- ان الدين لا يمنع من ان جهاد النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا بلاغ الدعوه الى العالمين .

٣- وان نظام الحكم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كان موضوع غموض أو ابهام أو اضطراب أو نقص وموجبا للحيره .

٤- وان مهمه النبى صلى الله عليه وسلم كانت بلاغا للشريعه مجردا عن الحكم والتنفيذ .

٥- وانكار اجماع الصحابه على وجوب نصب الامام وعلى أنه لابد للأمه ممن يقوم بأمرها فى الدين والدنيا .

٦- وانكار ان القضاء وظيفه شرعيه .

---

(١) مجلة المنار : مجلد ١٦ ج ٢ ص عدد صفر ١٣٣١ ﻫ ص ١٣٢ .
(٢) هذا هو الاسلام : فاروق الدملوجي ص ٢١٣ .
(٣) الاسلام واصول الحكم : على عبد الرازق : ص ٥ .

٧- وان حكومه ابي بكر والخلفاء الراشدين من بعده رضى الله عنهم كانت لادينيه"(1)

وجاء فيه " الدنيا من اولها لآخرها وجميع ما فيها من اغراض وغايات اهون عند الله تعالى من أن يبعث لها رسولا واهون عند رسل الله تعالى من أن يشغلوا بها وينصبوا لتدبيرها "(2).

وزعم " ان كل ما جاء به الاسلام من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات فانما هو شرع دينى خالص لله تعالى ولمصلحة البشر الدينيه لاغير ، وسيان بعد ذلك ان تتضح لنا تلك المصالح الدينيه أم تخفى علينا ، وسيان ان يكون منها للبشر مصلحه مدنيه أم لا فذلك مما لا ينظر الشرع السماوى اليه ولا ينظر اليه الرسول"(3)

وقال " التمس بين دفتى المصحف الكريم أثرا ظاهرا أو خفيا لما يريدون ان يعتقدوا من صفه سياسيه للدين الاسلامي ثم التمس ذلك الاثر مبلغ جهدك بين احاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، تلك منابع الدين الصافيه فى متناول يديك ، وعلى كثب منك فالتمس منها دليلا أو شبه دليل فانك لن تجد عليها برهانا ، الا ظنا وان الظن لا يغنى عن الحق شيئا " .

ولن ندع مثل هذا التحدى لهذا القزم المتحملق من غير ردّ ، ولن نأتيه بشبه دليل بل نأتيه بالصاعقه قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم " انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله "(4) وهل الحكم بين الناس الا عين السياسه وهدفها ولا نريد ان نعدد الادله بعد هذا فهى جد طويله ولكن اتينا بما طلبه " التمس دليلا أو شبه دليل .. " الخ ؟!

وقال بنحو هذا محمد احمد خلف الله فى كتابه " القرآن ومشكلات حياتنا المعاصره " حيث يقول " ان رياسة الخلفاء الراشدين للدوله العربيه (!!) لم تكن دينيه بحال من الاحوال وانما كانت مدنيه صرفه "(5).

---

(١) حكم هيئه كبار العلماء فى كتاب الاسلام واصول الحكم : المطبعه السلفيه ص ٥ و ٦
(٢) الاسلام واصول الحكم : على عبد الرازق : ص ١٧١ - ١٧٢ .
(٣) المرجع السابق ص ١٥١ .
(٤) سورة النساء : من الآيه ١٠٥ .
(٥) القرآن ومشكلات حياتنا المعاصره : محمد احمد خلف الله ص ٨٢ .

وقال " والقرآن الكريم قد أعرض اعراضا تاما عن الحديث في أي نظام اساسي للدوله العربيه الاسلاميه وترك أمر ذلك للمواطنين (!!) يقررون فيه ما يشاءون (!!) "[1] .

ودعوا الى حركه القوميه العربية وقالوا :- " ان هذه الحركه لم تتخذ من الاسلام خاصه ومن الدين عامه اساسا لها ، وانما مضت على اساس عربي خالص "[2] " وان الفكره العربيه اكثر انتشارا وأوسع نفوذا من الفكره الاسلاميه "[2] .

ودعوا الى توحيد الاديان وصهرها بعضها ببعض وهو سبيل من سبل القوميه قال أبو ريّه " ان الناس سيصلون ان شاء الله بعلومهم وعقولهم الى مرتقى تزول فيه الجنسيات الدينيه وتختفي العصبيات المذهبيه ويجتمعون على دين واحد يشمل الناس جميعا وهذا الدين يقوم على ثلاث قواعد .

١- ايمان بالله ٢- عمل صالح في الحياه ٣- ايمان باليوم الآخر

أما ما وراء ذلك مما هو خارج عن علمهم فأمره مفوض الى ربهم وبذلك يعيشون الحياة تحت ظل السعاده ظليل متحابين متعاونين على عمل ما فيه الخير لكل قبيل "[3] .

واذا ما استنكر أحدهم الترحم على نصراني قال " اذا كان حكمكم على الكافر صحيحا فان النصراني ليس بكافر "[4] .

ولنقف هنا ولنجمع الشتات

القوميه الوطنيه

التقريب بين الاديان

فصل الدين عن الدوله

احسبها وجوها متعدده لقضيه واحده ، هدفها واحد :- اقصاء الدين الحق وقيام قوميه وطنيه .. لا دينيه " علمانيه " .. تنبذ الدين وتقصيه عن ميدان السياسه

(١) القرآن ومشكلات حياتنا المعاصره : محمد احمد خلف الله ص : ٨٢ .
(٢) مجلة العربي العدد الاول مقال (القوميه العربيه كما يجب ان نفهمها) محمد احمد خلف الله ص : ٢٢ و ٢٤ .
(٣) دين الله واحد على السنه جميع الرسل : محمود ابو ريه ص ١٦٨ .
(٤) المرجع السابق ص ٢٨ .

وحينئذ يسهل انقيادها لمن خطط لذلك ووقف خلفه من وراء الستار هل تــــرون الاصابع الخفيه ؟! انها الصهيونيه العالميه تسعى .

للقضاء على القوميه الدينيه .

وصهر الاديان تحت عنوان التقريب بينها وهو تذويب لها وتدمير .

وفصل الدين عن الدوله .

وظفرت فى يومنا هذا على حلم كبير من احلامها فقد صرح زعيم عربي بـــ

فصل الدين عن الدوله بمنع الخطباء فى المساجد من التعرض لما يجرى فـــى السياســـــه .... الخ .

وسعى ويسعى فى بنـــاء

مسجد " اسلامى " و " كنيسه نصرانيه " و " معبد يهودى "

فى سيناء فى سبيل التقريب بين الاديان أليس " خير أوجه الوحده الوطـــن " كما يقول الشيخ محمد عبده [1] آخر أخبار هذا المشروع أن هذا الزعيم طلب مــن ممثله أفلام الخلاعه والجنس ان تتبرع لبناء هذه المعابد ولو بدولارين .

و - فى الاجتماع والاسره :-

والحديث هنا متشعب الاطراف متعدد الجوانب واهم الاطراف واخطر الجوانب قضية المرأه اليست المرأه هى الأم وهى الأخت وهى البنت وهى الزوجه وهى المربيــه وهي المعلمه ؟! وهي فى كل قاعدة تقف عليها أو منصب يجد الرجل والطفـــل والشاب ما يجذبه اليها ويشده ومن هنا يكون تأثيرها .

ان صلحت أصلحت وان فسدت أفسدت أليست المرأه الصالحه خير متـــاع الدنيا ؟! اذن فاظفر بذات الدين تربت يداك .

واحسب ان المرأه جوهره يجب ان تصان عن اعين اللصوص وغبار الطريق مـــا الذى ترجوه من امرأه خلعت جلبابها وهتكت سترها وتزينت وتبرجت وفتنت وافتتنـــت واختلطت برجال تأججت غرائزهم وانفلت زمامهم ، ما ان يفتح أحدهم مجلــــــه

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضـــا جـ ٢ ص ١٩٤ .

حتى يرى الصور المثيره ، ويذهب الى دار السينما فيرى ما هو اشد ويفتح التلفاز والمذياع فيسمع ويرى قصص الحب والغرام وماذا بعد هذا ؟ !

ينظر الى زميلته في العمل أو على كرسي المدرسه وقد اكتست من المدنيه سربالا وتزينت بزينتها ولبست لباسها واصابها ما اصاب الرجل نفسه وخلا لهم المكان والزمان بعد هذا ؟ !

ما الذى ترجوه من امرأه تسلم أولادها لمربيه وتخرج الى واجهات المتاجر والمعارض وتتخذ وسيلة لاغراء المشترين حيث تحدثهم بأرق حديث والينه ، أو تتجه الى الآت المصانع ودخان المعامل وتهين نفسها بين العمال والموظفين هذا يغمزها وذاك يلمزها وذاك ينظر اليها بعين النهم ؟ ! أو تنساق وراء مغريات الحضاره والحياة الغربيه وتتبع شهواتها ورغباتها والمتعه المحرمه ؟ كل هذا ولا شك سبب خطير لوقوعها في الرذيله ،ان لم تختصر الطريق وتجعل الرذيله مهنتها ...

وحينئذ فلا أسره ؟ ! وتشتت الاسر ضياع للمجتمع ، وضياع المجتمع ضياع للأمه ؟ اذن فضياع المرأه ميزان لضياع الأمه يرتفع ضياعها بارتفاع ضياع المرأه وينخفض بانخفاض ويسلم بسلامتها ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما تركت بعدى فتنه أضر على الرجال من النساء "(١) وفي روايه " أضر على امتى " .

وقبل هذا قال تعالى " زيّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطره من الذهب والفضه والخيل المسومه والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب "(٢) عدد سبحانه في هذه الآيه متاع الحياة الدنيا وجعل

---

(١) رواه البخارى في كتاب النكاح باب ما تبقى من شؤم المرأه ، ورواه مسلم في كتاب الرقاق ورواه الترمذى في كتاب الادب باب : ٣١ ورواه ابن ماجه في الفتن : باب فتنة النساء حديث ٤٠٦٢ ورواه احمد جـ ٥ ص ٢٠٠ و ٢١٠ .

(٢) سورة آل عمران الآيه : ١٤ .

فى مقدمته النساء قال بن حجر رحمه الله تعالى " وبدأ بهن قبل بقيه الانواع اشاره الى انهن الاصل فى ذلك "[١] .

ادرك ذلك المقياس المعز لدين الله لما قيل له : ان نساء قصر الاخشيد قد أغرقن فى الترف ورفعن نقاب الحياء والسرف واستهنّ بالفضيله وتركن رسالتهن قال فى زهووانتصار " اليوم فتحت يامصر "[٢] .

وادرك هذا الشاعر العربي حين قال :

الأم مدرسه اذا أعددتها أعددت شعبا طيب الاعراق

وادرك هذا ايضا الاستعمار ومن خلفه الصهيونيه العالميه وجندت جنودها لهذا الهدف ، ولقد خدمها ولازال يخدمها فى تحقيقه كثير وكثير من الناس منهم من يعلم انه جند من جنود الاستعمار ومنهم من يعلم انه جند من جنود الصهيونيه نفسها ومنهم امعه يخدمهم من حيث لا يدرى .

ظهر أول كتاب فى مصر يدعو الى " تحريرها " من النظام الاسلامي سنه ١٨٩٤م عنوانه " المرأه فى الشرق " لمؤلفه مرقص فهمى المحامي وبعده بسنوات خمس اصدر قاسم امين كتابه الاول " تحرير المرأه " دعا فيه الى :

١) القضاء على الحجاب الاسلامي المعروف .
٢) اباحة الاختلاط للمرأه المسلمه بالاجانب عنها .
٣) تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضي .
٤) منع الزواج بأكثر من واحده[٣]

ونحن ندرك صلة الشيخ محمد عبده بهذا الكتاب فهى لا تخفى وسبق الحديث عنها وأقل ما قيل فى هذه الصله ان هذا الكتاب " وضعه - قاسم امين - بايعاز من الاميره نازلي وبتشجيع من المغفور له الشيخ محمد عبده "[٤]

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى : بن حجر العسقلانى ج ٩ ص ١٣٨ .
(٢) الحركات النسائيه وصلتها بالاستعمار : جمع محمد عطيه خميس ص ١٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٧٣ - ٧٤ .
(٤) المرجع السابق ص ٧٤ .

وقد حقق الاستاذ محمد عماره فى " الاعمال الكامله للامام محمد عبده " ان هذا الكتاب انما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده وقاسم أمين .. وان في هذا الكتاب عدة فصول قد كتبها الاستاذ الامام وحده ، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين ثم صاغ الاستاذ الامام الكتاب صياغته النهائيه بحيث جاء اسلوبه على نمط واحد هو أقرب الى اسلوب محمد عبده منه الى اسلوب قاسم أمين "[1].

وقد أحدث صدور هذا الكتاب ضجة فى المجتمع المصرى دونها الضجه التى احدثها على عبد الرازق فى كتابه " الاسلام واصول الحكم " أو طه حسين فى " فى الشعر الجاهلي " أو محمد احمد خلف الله فى " الفن القصصي فى القرآن الكريم " ذلك أن هذه الكتب انما يعنى بها رجال السياسه والادب وعلوم القرآن وان شئت فقل الطبقه المثقفه .

أما " تحرير المرأه " فيمس كل الطبقات لارتباطه بحياة كل اسره وتناوله المباشر لاحد اركانها ولهذا كان له من الاثر والصدى فى المجتمع وردود الفعل ما لم يكن لتلك .

قالوا عن الكتاب فيما قالوا " اننا نظن ان يكون ظهور هذا الكتاب مصدر تغير عظيم فى افكار الأمه ينشأ عنه فيما بعد تغير أعظم فى أخلاقها .. "[2]

لذلك فلا عجب ان يقوم ضد هذا الاتجاه الفكرى طائفة من الناس كبيره اما لغرض دينى محض ، واما تقربا للمجتمع المصرى الرافض لهذا الاتجاه وهو الجانب الأكبر .

وقف فيمن وقف ضد هذا الاتجاه الحزب الوطنى[3] الذى شجب هذا الاتجاه فى أول اجتماع عقده بعد صدور الكتاب فى ٥ شعبان ١٣١٧ هـ ١٨ سبتمبر ١٨٩٩م وفتح صدر صحيفته اللواء لكل طاعن على قاسم أمين وافكاره[4].

---

(١) الاعمال الكامله للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عماره جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٢) المرجع السابق : ص ٢٤٥ جـ ١ .

(٣) هذا حزب وطنى جديد ليس هو الذى شارك محمد عبده فى صياغة دستوره وسبق الحديث عنه .

(٤) الحركات النسائيه وصلتها بالاستعمار : جمع محمد عطيه خميس ص ٧٥- ٧٦ .

وحينما توفي قاسم امين سنه ١٩٠٨م وأقام له شيعته حفله تأبين أشادوا فيها بدعوته الى السفور قابل رجال الحزب الوطنى هذه الحركه باقامة احتفال كبير للدعوه الى الحجاب [١].

وفى مقابلة هذا كان " حزب الأمه " من المناصرين لقاسم أمين وافكاره على صفحات " الجريده " وكان لطفى السيد باشا فى مقدمه المروجين لها بمقالاته العديده [٢].

وكان لابد من تدخل الاستعمار الذى استغل فترة الحرب العالميه الاولى فاعتقل رجال الحزب الوطنى وأوعز الى انصار الدعوه النسائيه باصدار مجلتهم " السفور " [٢] وحتى هذا الوقت كانت النساء الداعيات الى السفور يخرجن في مظاهرات وهن متحجبات ومنهن هدى شعراوى وصفيه زغلول حرم سعيد زغلول أحد تلاميذ الاستاذ الأمام .

وفى عام ١٩٢٢م تلقت هدى شعراوى [٣] دعوه من الاتحاد النسائي الدولي بروما وعند عودتها ورسو الباخره فى الميناء المصرى ألقت حجابها فى ماء البحر . ثم كونت : الاتحاد النسائي المصرى عام ١٩٢٣م ووضعت حجر الاساس له في ابريل ١٩٢٤م .

ودعا الاتحاد النسائي الى تطبيق المبادئ التى نادى بها مرقص فهمي وقاسم امين وفى مقدمتها تعديل قوانين الطلاق ومنع تعدد الزوجات علاوة على المطالبه للمرأه بالحقوق الاجتماعيه والسياسيه المزعومه [٤] وبعد عشرين عاما من

---

(١) الحركات النسائيه وصلتها بالاستعمار : جمع محمد عطيه خميس ص ٧٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٨٠ - ٨١ .
(٣) هدى شعراوى ابنة (محمد اباشا سلطان) الذى رافق جيش الاحتلال في زحفه على القاهره ودعا الأمه الى استقباله وعدم مقاومته ، واهاب بها الى تقديم كافة المساعدات المطلوبه له ، وسجل له التاريخ صفحه خالده حينما تقدم مع فريق من الخبراء بهديه من الاسلحه الفاخره الى قادة جيش الاحتلال شكرا لهم على انقاذ البلاد ؟ ! وخدمه لاهداف الاستعمار فجاءت البنت تواصل اعمال والدها .
(٤) الحركات النسائيه وصلتها بالاستعمار : محمد عطيه خميس ص ٨٢ - ٨٣ .

انشاءه أي سنه ١٩٤٤ م استطاع الاتحاد النسائي ان يمهد لعقد المؤتمر النسائي العربي وجاءت قراراته بالدعوه الى تطبيق ذلك ؟!

هل تريدون أن أذكر شيئا من صلة الصهيونيه العالميه بذلك ؟ اذن فأعلموا أن حرم الرئيس الامريكي روزفلت أبرقت الى المؤتمر بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٤٤م أشادت فيها بالاتحادات النسائيه فى البلاد العربيه وقالت فيها انها " واثقـــه من أن النساء العربيات سيقمن بدورهن الى جانب شقيقاتهن فى بلدان العـــالم أملا فى نشر التفاهم والسلم العالمي فى المستقبل " ولسنا فى حاجه الى ان نذكر الجهد الكبير الذى بذلته مسز روزفلت فى تكوين الوطن القومي لليهود فى فلسطين.."(١)

وعقب هذا المؤتمر تكون " الحزب النسائي " سنه ١٩٤٥م وفى عام ١٩٤٩م تكون حزب بنت النيل وزعيمته دريه شفيق واصدر العديد من المجلات بالعربيـــه والفرنسـيه للكبار والصغار .

وأول سؤال يتبادر الى الذهن هو السؤال عن ايرادات هذا الحزب الماليـــه وقدرته على اصدار هذه المجلات ؟ والجواب كما نشرت الصحف بعد ذلك انـــه من سفارتي بريطانيا وأمريكا ؟!

وقد لقي هذا الحزب الترحيب من الاستعمار بكافة دوله ، وزيرة الشئون الاجتماعيه فى انجلترا تقوم بزيارته ورئيسه الاتحاد الدولى تبرق الى رئيسة الحزب تدعوهـــا للزياره فى اثينا . وجمعيه سان جيمس النسائيه بانجلترا تهنىء الهيئات النسائيـــه المصريه على كفاحها وتعلن تأييدها لها ، ورئيسة لجنه الحقوق الاقتصاديه بالاتحاد الدولي تقوم بزياره الى مصر لغرض الاطمئنان على احوال الجمعيات النسائيه فى مصر(٢)

اهتمام عجيب ما عهدناه منهم فيما فيه صلاحنا وصلاح دينننا ولكنهم يدركـــون انهم بذلك انما يسعون لخدمة مصالحهم الصهيونيه ؟! نعم الصهيونيه ذاتها !!

أتريدون شاهدا على ذلك ! لقد دعا المؤتمر النسائى الدولى الى اجتماع فى ستوكهلم عاصمه السويد ومن قراراته قرار يقضى بمطالبة وزير الداخليه فى السويد بانزال أشد

(١) الحركات النسائيه وصلتها بالاستعمار : محمد عطيه خميس ص ٨٥-٨٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٨٦ - ٩٣ .

العقوبات على مسيو أنيرابر! أتدرون لماذا ؟ لمواصلته أعمال الدعايه ضد الصهيونيه في السويد !! وقد كتب مسيو أنيرابر على اثر ذلك الى الجامعة العربيه والحكومه المصريه يستنكر موقف مندوبات الهيئات النسائيه المصريه الممثله في المؤتمر لموافقتهن على هذا القرار!! (١)

وبهذا وغيره كثير تبدو لنا صلة الحركات النسائيه بالاستعمار ومن خلفه الصهيونيه العالميه .

ومعذرة اذا أطلت الحديث عن الاتحادات النسائيه وصلتها بالاستعمار فما قصدت الا بيان أثر تلكم الدعوه التي قام بها رجال المدرسه العقليه الحديثه بزعامه استاذهم محمد عبده لما اسموه " تحرير المرأه " والصله بين هذه الحركات النسائيه ودعوة الاستاذ محمد عبده وتلميذه قاسم أمين صلة قويه واضحه .

بقي .. وقفه .. وهمسه

وقفه مع محمود عوض الذي ابدى دهشته وأسفه لتحول منزل قاسم أمين " الى كباريه . كباريه اسمه ... اسمه الاريزونا !" (٢)

وهمسه نهمسها في أذن محمود عوض هذا :- ألا تستحق العبره .. ألا تستوحي من هذا أن هذه " الدعوه " توصل الى هذه " النتيجه " .

ز - في السيره النبويه :-

وعلى النهج الذي سلكناه في بيان أثرهم في بعض النواحي الفكريه فلن يشمل الحديث هنا أثرهم في جميع جوانب تأريخ السيره النبويه وانما في جانب هو أسها وقاعدتها واعني به المعجزات المحمديه .

ومن تأثر بهم في هذه المسأله وسار على خطاهم محمد حسين هيكل في كتابه " حياة محمد " فهو حرصا منه على تضييق نطاق الغيبيات التي لا تتفق مع علمية الغرب الماديه ، راح ينكر كل معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويستثني من

(١) الحركات النسائيه وصلتها بالاستعمار : جمع محمد عطيه خميس ص ٩٤- ٩٥ .
(٢) أفكار ضد الرصاص : محمود عوض ص : ٥٧ .

هذا - كما استثنوا - معجزة القرآن الكريم .

حتى عنوان الكتاب " حياة محمد " يبدو التأثر فيه واضحا فليس فيه ما يشير الى رسالته أو نبوته بل " محمد " مجرد من كل شيء كأى " محمد " سواه ، أليس هذا هو ما يبقى له بعد تجريده من المعجزات وأليس هذا هو مراد الغربيين من ذلك ، وان ثبت له شيء بعد هذا فانما هي العبقريه لا النبوه ، ولا احسب هيكل أراد هذا بهذا العنوان وقصده وانما هو التلقي والتأثر عن الغربيين من غير أن تترك له عين الرضا والاعجاب والدهشه التمحيص والتأمل وهو أمر أصاب غيره كثير من قبله ومن بعده [1] حتى ألفت الاسماع هذا وهو نشاز . .

ويزداد خوفي عند ما أقرأ له عند مناقشه احدى القضايا عبارة " وندع الدين جانبا " [2] يزداد خوفي ان يكون اراد ترك الدين جانبا فى عنوان كتابه " حياة محمد " ؟!

أنكر أو أوّل المعجزات لنبينا صلى الله عليه وسلم الا معجزة القرآن الكريم ، ونحن لا ننكر أن معجزته صلى الله عليه وسلم الكبرى هي القرآن الكريم ولكننا ننكر حصر معجزاته صلى الله عليه وسلم فى ذلك وانكار ما سوى المعجزه القرآنيه كما بينا ذلك سابقا .

فنحن المسلمون نؤمن بما ثبت من معجزاته صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم ، نؤمن بانشقاق القمر وبالاسراء والمعراج وقصة فرس سراقه وبصقه صلى الله عليه وسلم فى عين على فبرئت وكلها ورد فى البخارى ومسلم . وغير ذلك من معجزاته الثابته نؤمن بها ونؤمن مع هذا بمعجزه القرآن الكريم وأنه المعجزه الكبرى .

لكن الاستاذ هيكل يرفض هذا لاسباب :-

الأول : ان اكثر هذه المعجزات لا يصدقها العقل حيث يقول " وندع الدين جانبا (!!) ونقف عند سيرة صاحبه عليه السلام فقد أضافت اكثر كتب السيره الى حياة النبى ما لا يصدقه العقل ولا حاجة اليه فى ثبوت الرساله . [3]

---

(١) من ذلك : الوحي المحمدى لرشيد رضا ، وعبقريه محمد لعباس العقاد ، ومحمد والقوى المضاده لمحمد خلف الله ومحمد نظره عصريه جديده لمجموعه من الكتاب .

(٢) حياة محمد : محمد حسين هيكل ص ٣٤ .

الثاني : ان العلم لا يقرها ومن الواجب مراعاة جانب الدقه العلميه في تمحيصها قال " أما ومضرة الروايات التى لا يقرها العقل والعلم قد اصبحت واضحه ملموسه فمن الحق على كل من يحرص لهذه الامور ان يراعي جانب الدقه العلميه في تمحيصها خدمه للحق وخدمه للاسلام ولتاريخ النبى العربي ، وتمهيدا لما يجلوه البحث في هذا التاريخ العظيم من حقائق تنير أمام الانسانيه سبيلها الى حضارتها الصحيحه " (١) .

الثالث: ان القرآن لم ينص عليها قال " لم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزه أراد الله بها أن يؤمن الناس كافه على اختلاف عصورهم برسالة محمد الا القرآن الكريم " (٢) .

ثم قال " أما وذلك ما يجرى به كتاب الله وما يقتضيه حديث رسول الله فأى داع دعا طائفه من المسلمين فيما مضى ويدعو طائفه منهم اليوم الى اثبات خوارق ماديه للنبى العربي ؟ انما دعاهم الى ذلك انهم تلوا ما جاء في القرآن عن معجزات من سبق محمدا من الرسل فاعتقدوا ان هذا النوع من الخوارق الماديه لازم لكمال الرساله فصدقوا ما روى منها وان لم يرد في القرآن " (٣) ؟ !

وقال في موضع آخر " فما دام الوحي لم ينزل بها فلا جناح على من يؤمن بالله ورسوله ان يجعل ما يتصل به من أمرها محل تمحيص فما ثبت بالحجه اليقينيه أخذ به ، وما لم يثبت بها فله فيه رأيه ، ولا تثريب عليه ، فالايمان بالله وحده لا شريك له لا يحتاج الى معجزه ، ولا يحتاج الى اكثر من النظر في هذا الكون الذى خلقه الله والشهاده برسالة محمد .. لا تحتاج الى معجزه غير القرآن " (٤) .

وقال " فقد لاحظ الذين درسوا هذه الكتب أن ما روته من أنباء الخوارق والمعجزات ومن كثير غيرها من الانباء كان يزيد وينقص دون مسوغ الا اختلاف الازمان التى وضعت هذه الكتب فيها فقديمها أقل روايه للخوارق من متأخرها " (٥) .

---

(١) حياة محمد : محمد حسين هيكل ص ٧٠ .
(٢) المرجع السابق : ص ٧١ .
(٣) حياة محمد : محمد حسين هيكل ص ٧١ .
(٤) المرجع السابق ص ٧٢ .
(٥) المرجع السابق ص ٦٤ .

ولنا وقفه مع هيكل هنا فقد كشف لنا ناحية أخرى من نواحي تأثره برجال المدرسه العقليه الحديثه ألا وهو التقليل من شأن السنه والاحتجاج بها .

ما الذي يقصده بقوله " فصدقوا ما روى منها وان لم يرد فى القرآن " هل يقصد أنه لا يصح شيء مما ورد فى السنه واستقلت ببيانه ولم يرد فى القرآن ؟! ان كان يقصد هذا فالأمر أخطر واكثر ضلالا وانحرافا ؟! وهل يقول هذا من فقه الاسلام ؟! اذن ففي أى سورة من سور القرآن ذكر عدد ركعات الصلوات الخمس وأوقاتها وفى أى سورة بيان انصبه الزكاه المفروضه وفى أى سوره بيان وقت الصوم وفى أى سوره بيان أركان الحج وواجباته ؟ ان لم يكن هذا كله مما لا يصدق لأنه لم يرد فى القرآن فأى شيء من الاسلام يبقى ؟!

اذن ففقه الاسلام وحقيقته تحتم الاخذ بالسنه مع القرآن الكريم ، وبهما معا يكون كمال الاسلام ومن نبذ أحدهما فقد نبذ الاسلام كله لان الاسلام كل لا يتجزأ (والاسلام الكامل) الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وأمر بنشره جاء بالمعجزات ورواها عنه أصحابه الى أن وصلت الينا كما وقعت ، وان اصاب رواياتها ما اصاب غيرها من الروايات من الزياده أو النقص أو الوضع فان هذا لا يبرر رفضها جميعا وانكارها . فان اهل الحديث قد محصوا الروايات ونقّوها من الزيادات الموضوعه وبينوا الدخيل منها والاصيل .

ولو أنّه دعا الى التمحيص والتدقيق القائم على القواعد والاسس الثابته التى سار على نهجها سلفنا علماء الحديث لحمدنا له ذلك ولامتدحناه ، أما أن يرفض المعجزات النبويه التى رويت في الصحاح وأقرها علماء الحديث المسلمون يرفض هذا كله لمجرد ان شابه بعض الوضع فهذا منهج مردود .

أما الزعم بأنه مخالفه للعقل أو العلم فهذا لا يثبت ولا يصح وقد سبق بحثه في المعجزات .

وليعلم أولئك الذين يسعون لتجريد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات تقربا منهم " للعلميه الغربيه " انهم بهذا يجنون جناية لا تغتفر وانهم بهذا يجردونه من صفة النبوه الى صفه " العبقريه " التى يقر بها بعض " أحرار الافرنج " ويطمعون منا ان نسلم لهم بهذا وهو ما يؤدى اليه تجريده صلى الله عليه وسلم من المعجزات .

وحتى ندرك عمق هذا الأثر لنقرأ النتيجه التى توصل اليها هيكل فى كتابه حياة محمد بعد أن جرد حياته صلى الله عليه وسلم من المعجزات (الماديه) قال " فحياة محمد - كما رأيت - حياة انسانيه بلغت من السمو غاية ما يستطيع انسان ان يبلغ ، وكانت لذلك اسوة حسنه لمن هداه القدر ان يحاول بلوغ الكمال الانساني من طريق الايمان والعمل الصالح "(١) .

وتأمل معي وصفه لحياته صلى الله عليه وسلم بأنها بلغت " غاية ما يستطيع انسان أن يبلغ " وأنها " أسوه حسنه " لمن " يحاول بلوغ الكمال الانساني "

اذن فحياته صلى الله عليه وسلم ليست حياة نبوة ، لان حياة النبوه ليس فى قدره الانسان بلوغها حتى يحاول ذلك وليست غاية ما يستطيع الانسان ان يبلغ لأن غاية ذلك دونها بكثير ، وانما هذا شأن السمو الانساني المجرد من النبوه وان شئت فسمه العبقريه .

والاعتراف بالعبقريه لنبينا صلى الله عليه وسلم لا يكفى لصحة الايمان برسالته الا عند المنهزمين أمام العلميه الغربيه الذى اعتبروا ان الاعتراف " بأن محمدا صلى الله عليه وسلم كان عبقريا من طراز خاص فاق به جميع العباقره " أنه " كسب عظيم للقائلين بنبوته "(٢) .

---

(١) حياة محمد : محمد حسين هيكل ص ٥٧٩ - ٥٨٠ .

(٢) مجلة الازهر ج ١ المجلد العاشر محرم ١٣٥٨ هـ مقال السيره المحمديه تحت ضوء العلم والفلسفه : محمد فريد وجدى ص ١٥ .

وتأثرهم بالعلميه الغربيه والمستشرقين تجاوز حدّه الى قبول أقوالهم وأخذها بعين الاعتبار وتقديمها فى الحكم على الاحاديث ومن حيث السند ايضا على أقوال اهل الحديث انفسهم ، فحديث شق الصدر الذى رواه البخارى ومسلم [(١)] يقول فيه هيكل " لا يطمئن المستشرقون ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك الى قصة الملكين هذه ويرونها ضعيفه السند " [(١)] ويقول " وانما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين من المسلمين الى هذا الموقف من ذلك الحديث ان حياة محمد كانت كلها انسانيه ساميه وأنه لم يلجأ فى اثبات رسالته الى ما لجأ اليه من سبقه من اصحاب الخوارق " [(٢)] .

وقد أنكر هيكل غير هذا من الخوارق والمعجزات المحمديه ففي قصة فرس سراقه مثلا زعم أن ما اصاب فرسه من الكبو انما هو " لشدة ما جهده " وعند قومة الجواد من كبوته الثانيه " كبا كبوة عنيفة ألقى بها الفارس من فوق ظهره يتدحرج في سلاحه وتطير سراقه ، وألقي فى روعه أن الآلهه مانعة منه ضالته وأنه معرض نفسه لخطر داهم اذا هم مرة رابعه لانفاذ محاولته " [(٣)] .

والذى ورد فى صحيح البخارى قول سراقه نفسه في وصف ما جرى له ولفرسه عند مطاردته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابي بكر رضى الله عنه فى طريق هجرتهما من مكه الى المدينه قال عن ذلك " ساخت يدا فرسي فى الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمه اذا لأثر يديها عثان (أى غبار) ساطع في السماء مثل الدخان " [(٤)] .

وحتى ندرك عمق الصله بين هيكل واتباع المدرسه العقليه الحديثه فى التفسير وتأثره بهم نذكر ان الشيخ محمد مصطفى المراغي هو الذى كتب المقدمه لهذا المؤلف مشيدا بما جاء فيه ومعجبا به ومؤيدا له .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكه ورواه مسلم فى كتاب الايمان باب الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) حياة محمد : محمد حسين هيكل ص ١١١ - ١١٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٢٧ .
(٤) صحيح البخارى : باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينه ج ٥ ص ٧٧ .

ودافع عن المؤلف والكتاب السيد رشيد رضا فى مجلته المنار وجاء فى دفاعه " أهم ما ينكره الازهريون والطرقيون على هيكل أو اكثره مسأله المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها في كتاب الوحي المحمدى .. بما اثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعيه على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالذات .. وان الخوارق الكونيه شبهه عند علمائه لا حجه لانها موجوده في زماننا ككل زمان مضى وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل "[1].

والمؤلف نفسه كثيرا ما يستشهد فيما يذهب اليه بأقوال محمد عبده نفسه ويشيد به[2] واكبر ظنه أن أولئك الذين كتبوا السيره النبويه لو عاشوا الى زماننا هذا ورأوا كيف اتخذ خصوم الاسلام ما ذكروه منها حجه على الاسلام وعلى أهله لالتزموا ما جاء به القرآن ولقالوا بما قال به الغزالى[3] ومحمد عبده والمراغي وسائر المدققين من الائمه[4].

ويقول عن الشيخ عبده ودعوته " وكانت دعوته الاصلاحيه موضع اعجابي وقد دعاني ذلك لقرآءه كتابه (الاسلام والنصرانيه) وكتاب استاذه " الرد على الدهريين " وأذكر أنه قد كان لكثير من مقالاته فى جريدة العروه الوثقى التى كان يصدرها فى باريس أثر ابلغ الأثر فى نفسي "[5].

والصلة بعد هذا قويه لا تنفصم بين هيكل ورجال المدرسه ،

وممن تأثر بهم أيضا فى هذه الناحيه محمد احمد خلف الله الذى زعم ان القرآن حارب فكرة المعجزات ، وبين أنها لم تكن الا للتخويف والالزام وان العقل البشرى يجب ان يترك من غير تخويف ليتحمل المسئوليه على اساس من الحريه والمقدره الحقه على التميز والمفاضله والاختيار "[6] و " لم يحرص القرآن على المعجزات فى اثبات نبوة

---

(١) مجله المنار فى ٣ مايو ١٩٣٥ مجلد ٣٤ الجزء العاشر ص ٧٩٣ .
(٢) انظر مثلا الصفحات ٣٤ ، ٧٠ ، ١٨١ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ .
(٣) يقصد أبا حامد الغزالي ولم يذكر له نصا يدل على ما زعم ، بل لم يرد ذكر الغزالي فى كتابه الا مره واحده فى هذا الموضع ومن غير ذكر نص من نصوصه .
(٤) حياة محمد : محمد حسين هيكل ص ٧٠ .
(٥) الدكتور محمد حسين هيكل : تأليف طه عمران وادى ص ١٥ عن مذكرات فى السياسه المصريه : محمد حسين هيكل جـ ١ ص ٢٩ .
(٦) القرآن ومشكلات حياتنا المعاصره : محمد احمد خلف الله . ص ٧٦ .

محمد عليه السلام "[1] .

وزعم ان القرآن حرر الانسان من " الآيات الملجئه المتمثله في المعجـــزات وخوارق العادات ورده الى نفسه يفكر فيها والى الآفاق يتدبر أمورها "[2] .

وهو ايضا يستند فيما يقول الى محمد عبده " ويقول الاستاذ الامام قـــولا يؤكد دور القرآن في عملية تحرير العقل البشرى من فكرة الخوارق والمعجـــزات (دخل الانسان بدين الاسلام في سن الرشد فلم تعد مدهشات الخوارق هـــي الجاذبه له الى الايمان .. الخ "[3] .

ومن تأثر بهم ايضا فى مسأله المعجزات صاحب تفسير " الهدايه والعرفـــان فى تفسير القرآن بالقرآن " وقد تقدم بيان ذلك فى أثرهم فى التفسير .

وغير هؤلاء كثير مما ليس فى وسعي حصره هنا ، ولنقف هنا فى بيان أثرهم فى بعض نواحي الفكر الاسلامي ولعل فيما ذكرنا ما يكفى لاثبات أثرهم فيها .

والحق أن أثر المدرسه العقليه الحديثه فى حدّ ذاته موضوع واسع يحتـــاج الى دراسة مستقله متعدده الجوانب مستوفاة الاطراف ، وما ذكرناه ما هو الا رؤوس أقلام وعناوين عريضه لمباحث يجب ان تجلى ويكشف النقاب عنها وليس فى وسعـــنا ونحن ندرس الاصل ان نتوسع فى فرع من فروعه اكثر مما فعلنا .

ولكن .. مهلا ! أرى لزاما أن أذكر بعد هذا موقف علماء المسلمين من رجال المدرسه العقليه الحديثه بنوعيهم المعاصرين لهم ومن بعدهم وبيان رأيهم فيهـــم ومن ثم أذكر موقف الاستعمار والاحتلال والمستشرقين منهم ففي بيان هذه المواقـــف جلاء لحقيقتهم .

---

(١) القرآن ومشكلات حياتنا المعاصره : محمد احمد خلف الله . ص ٧٦

(٢) المرجع الســـابق ص ٧٩ .

(٣) المرجع الســـابق ص ٧٧ .

ثانيا : موقف علماء المسلمين منهم :-

واسمح لنفسي هنا أن استبق الاحداث واجيب هنا على سؤال هام قد يخطر على ذهن من يقرأ ما سأكتب هنا .

سيقول قائل :- تحيزك هنا بيّن واجحافك بحقهم واضح وظلمك لهم ظاهر! كان الواجب اذا أردت تقييم أولئك الرجال أن تذكر أقوال انصارهم وخصومهم ، أن تذكر أقوال المدح والثناء عليهم والاعجاب بهم والاطراء لهم ، وتذكر في مقابل ذلك عبارات التجريح والذم لهم والتحذير منهم ، أما ان تعمد الى أقوال الخصوم وتدع أقوال الانصار فليس هذا من الانصاف في شيء ؟

أقول لهذا رويدك .. لقد قلت بعض الحق لو كان قصدى من سياق الاقوال هو تقييم رجال المدرسه العقليه بها ، والحق ان هذا ليس كل قصدى .

ذلكم أن تقييمهم لا يكون بعرض أقوال الناس فيهم وانما يكون بعرض أقوالهم انفسهم على الكتاب والسنه وبمقدار موافقتهم لهما تكون سلامتهم والعكس بالعكس وهو ما فعلناه في كثير من القضايا التى بحثناها .

أما مرادنا هنا من عرض أقوال (من سميتهم خصوما) (1) فهو أن نبين للقراء أنه كان بين علماء المسلمين من لم ينخدع بهم ويعميه الاعجاب بهم عن كشف مثالبهم وتجاوزهم واخطائهم ، وأنه كان بين العلماء من أدرك ذلك في حينه وأخذ على عاتقه كشفه وبيانه للناس ، ولكنهم كانوا قله فى العدد والعده ولم تكن هناك دوله تساندهم ولم يكن هناك استعمار يسعى لنشر أفكارهم واحتجاجاتهم بل الأمر على الضد من ذلك كانت الدوله مع الآخرين تنشر أفكارهم وتؤيد قضاياهم وتقف خلفهم وصورهم الاستعمار والمستعمرون للناس عامه بصوره المصلحين الساعين الى ما فيه خيرهم وخير بلادهم ولا تزال هذه الصوره لهم الى ساعتنا هذه هي الطاغيه على الحقيقه حتى عند العلماء منهم ، وحتى ان الاستاذ أنور الجندى يقول عن أحد

(1) الحقيقه انهم ليسوا كلهم خصوما بل فيهم من هو معجب بهم فى بعض الجوانب لكن اعجابه هذا لم يمنعه من قول الحقيقه فى جوانب أخرى وحتى الخصوم الذين ننقل عنهم هنا لم يخاصموهم فيما نعلم لأمر دنيوى أو حقد أو حسد وانما لأمر دينى وغيرة منهم على الاسلام ، ولا يحدّ هذا تجريحا أو طعنا فى نقدهم .

الناقدين لهم " وهكذا يمضى الدكتور محمد حسين فى اثاره الشبهات حول حقيقه جمال الدين ومواقفه مخالفا كل ما ذهب الناس اليه من الثقه به واعتباره رائد النهضه وموقظ الشرق [1].

اذن فلا يحتاج هذا الى بيان اقوال المؤيدين لهم والمناصرين لافكارهم ومبادئهم ، وانما يحتاج الأمر الى بيان : من رفض اقوالهم ، وكشف للناس حقيقتهم وسيرتهم وهذا ما سنفعل ان شاء الله فنبدأ :

أ - المعاصرين لهم :-

ونبدأ ذلك بأقوال الشيخ محمد الجنبيهى صاحب كتاب " بلايا بوزا " الذى وضعه ردا على طه حسين فى كتابه " فى الشعر الجاهلي " ويرمز الشيخ الجنبيهى ب " بوزا " لطه حسين وهو اصطلاح فرنساوى وهي قطعه من الخشب وزنها خفيف .. على هيئة قبل الرجال ولقد ركبت تلك القطعه على مقعر من رصاص ثقيل .. فتراها كلما ألقيت فوق الارض كانت قائمه وقد ضربها عقلاء الاقدمين مثلا لكل ضال حائر مغرور ذى لسانه وسفه فقد مزايا الادباء وشذ عن مناهج الفضلاء متلبسا بعناد واصرار شيطاني من حيث لا يشعر بما يقول ولا بما يعمل فلا تتوجه به أمياله الا الى مخالفة الفضلاء ومعارضة الأدباء بما لا يعلم عاقبته ولا يستطيع ان يقيم على صحته دليلا " [2].

وحينما يتحدث الشيخ عن الافغاني ومحمد عبده فانه لا يتحدث حديث التخرص والظنون وانما حديث من خالطهم وعاشرهم ، فهو حديث خبير بهم حيث يقول " اني نشأت بعد بلوغ الرشد وطلب العلم فى الازهر الشريف مصاحبا لتلميذ جمال الدين الافغاني ومحاذيا له قدما بقدم بعدما أتى جمال الدين الديار المصريه وكثيرا ما جالست ذلك الرجل وتذاكرت معه مذكرات ذكرتها فى بعض الكتب وما كان يدعوني الى مجالسته الا صاحبى الذى كان يظن ان يجذبني الى الميل الى ما مال

(١) مفكرون وأدباء : انور الجندى ص ٢٦٦

(٢) بلايا بوزا : محمد الجنبيهى ص ٢٨ - ٢٩ .

اليه من فتنه ذلك الفاتن وكنت اطمع أن أكون سببا فى خلاصه من تلك الفتنه (ولكن الله غالب على أمره) "[1] .

اذن فحديثه حديث المخالط المعاشر فلنذكر حديثا له مع جمال الدين الافغاني ، كان محور الحديث بينهما ما يروى من الحديث القدسي " كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني "[2] قال الجنبيهى " ولقد كان لي في هذا الحديث القدسي مع جمال الدين الافغاني واقعه كانت سببا لعدم اتصالي به مع شديد رغبته ورغبة تلميذه الذى اشرنا اليه من قبل ، وتلك الواقعه هي أني سألته عن هذا الحديث لعلمي أنه ينكر الاحاديث القدسيه لأنه طبيعى لا يعترف بوجود اله ، وكنا فى مجمع من الناس فقال ليس هذا وقت الكلام على هذا الحديث فأمهلني لوقت آخر " الى أن قال أنه وجده فى مجالس اللاهين فى قهوه من القهاوى فقال له " هذا وقت الكلام على ذلك الحديث الشريف " فما كان جوابه الا أن قال :- ذهب فيلسوف الى المنتزه فى يوم العيد فوجد الناس على حال مضحك : منهم من هو مخمور ومنهم من هو لاعب ومنهم من هو مرافق لامرأه من الموسات ومنهم من هو راقص ومنهم من هو متلبس بما لا يرتضيه ابناء البشر فنظر ذلك الفيلسوف الى السماء قائلا (الآن وقعت الحسره في قلبك أهؤلاء كلهم عرفوك) فعند ذلك تغير حالي وعلمت أن الرجل ضال فقلت له ان هذا الفيلسوف لاحمق ومجنون قال : ولم ذلك قلت : لان من جهل ربه فى الدنيا يعرفه فيما بعد الموت ومن جهله فى الرخاء يعرفه عند الشده فما ذلك الفيلسوف الا ضائع العقل والدين ثم تركت الرجل محزونا لان فتنته لم تؤثر في قلبى أثرا كان يريده وكان ذلك الموقف آخر عهدى به "[3] .

---

(١) بلايا بوزا : محمد الجنبيهى ص ٣٨ .

(٢) قال السخاوى فى المقاصد الحسنه " قال بن تيميه انه ليس من كلام النبى صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشي وشيخنا " المقاصد الحسنه ص ٣٢٧ .

(٣) بلايا بوزا : محمد الجنبيهى ص ١١٨ - ١١٩ .

ويتحدث الجنبيهي عن المقادير التى جمعت بين دول الاستعمار وأنهم "ألهموا أن المتمسكين بآداب الدين القويم لن يغلبوا ماداموا متمسكين به سواء كثروا أو قلوا لان المتمسك بدينه مرتكن على قوى متين لا يغلب ولا يقاوم فلذلك اجمعوا رأيهم على ان يعتمدوا على العلماء السياسيين منهم فى حل روابط ذلك التماسك فقرر أولئك السياسيون فيما بينهم ان روابط الدين القويه لا تنحل الا بثلاثة أمور : استبدال العلم النافع الذى كان يسأل رسول الله ربه أن يزيده منه بالعلم الذى كان يستعيذ بربه منه ، والأمر الثاني تولية المناصب لغير اهلها . والأمر الثالث ايجاد اسباب قويه توقد نيران العداوه والبغضاء والتشاجر بين المسلمين حتى لا يتمسكوا بدينهم ولا يتفقوا على عمل مرضى" الى أن قال "وبمقتضى هذه الفكره السياسيه بعث جمال الدين الافغاني الى الديار المصريه لتنفيذ مفهوم تلك الفكره"[1] .

ويتحدث عن علماء الازهر آنذاك بأنهم "أيقنوا أنه - أى الافغاني - من رجال الفتنه التى يتيحها الله لاشرار العلماء"[2] .

ويتحدث عن محمد عبده ويسميه (ابن عبده الغرابلى) لأن أهله كما يقول الدكتور محمد محمد حسين من الفقراء الذين يمتهنون صناعات صغيره منها صناعة الغرابيل[3] قال الجنبيهي عن محمد عبده "ان الاسباب التى جعلت ابن عبده الغرابلى محبوبا لفحول السياسيين ولولاة الامور من الدول المتحالفه على محو الاسلام اسما ورسما وصيرته محمودا عند محررى الجرائد الاورباويه تتمدح باسمه وتعتنى بعمل تذكار له هي بعينها الاسباب التى يتناول بها استاذ الجامعة المصريه - يقصد طه حسين - مرتبا كبيرا بسبب شهادة الدكتوراه التى تناولها من أوربا لسبب عداوته للدين ورجاله حتى يكون اذا أعلوا شأنه فتنة لابناء المسلمين"[4] .

---

(١) بلايا بوزا : محمد الجنبيهى ص ٤٥ - ٤٦ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٧ .
(٣) الاسلام والحضاره الغربيه : محمد محمد حسين ص ٨٧ .
(٤) بلايا بوزا : محمد الجنبيهى ص ٣٥ - ٣٦ .

ويستدل الجنبيهي على سوء لتجاه محمد عبده الفكري بعلاقته باللورد كرومر فيقول " فهلا فكرت .. في الاسباب التى صعدت بمحمد بن عبده الفرابلي .. وقد اتخذه جناب اللورد كرومر استاذا ومرشدا فى الدين وفى السياسه ثم نعاه بعد موته .. فهل كان بن عبده الفرابلى فى عصره من اكابر المرشدين الدينيين وكان ذلك اللورد متعطشا لان يسلك سبيل المؤمنين .. فهلا تفكر فى الاسباب التى جعلته محبوبا برؤساء الدول المتحالفه على محو الاسلام اسما ورسما وما ذلك الا لأنه اجهد ، نفسه في حلّ روابط المدنيه الاسلاميه السماويه .. "(1).

وتحدث عن محمد عبده بعد عودته من المنفى فى البلاد الشاميه " فلما انقضت مدة النفي ورجع الى الديار المصريه كانت ثقة اللورد كرومر به اكبر ثقه فسكن في منشيه الصدر بعيدا عن عيون الرقباء وكانت الواسطه بينه وبين اللورد رجلا انكليزيا يسمى (بلنت) كان يتزيا هو وزوجته بزى عرب الباديه .. فلما قويت رابطه التواصل بين ذلك الانكليزى وبين بن عبده الفرابلي اعطاه قطعه أرض .. ليكون له جارا وفى ذلك الحين اتخذه اللورد استاذا ومرشدا يسترشد برأيه فى كل عمل يطلبه فى تنفيذ الغرض الذى اجمع عليه السياسيون فكان الاصلاح الازهرى الذى ذهب بالدين وعلمه النافع اد راج الرياح من اشارات ذلك المفتون ، وكذلك كان اصلاح المحاكم الشرعيه وما انشئت الجامعه المصريه الا بارشاده وكان من تعليماته لذلك اللورد أن لا يتولى المناصب العاليه متمسك بدينه وكان بين ذلك التلميذ وبين المبشرين رابطه وداد قويه فكانوا يزورونه فى غالب الاحيان للاسترشاد به فى مهمات التضليل التى اجمعوا عليها .. وكان من مساعدة اللورد كرومر لشيخه ومرشده أن ولاه مناصب القضاء الاهلى حتى وصل به الى وظيفه مستشار ... ثم عينه مفتيا بالديار المصريه ليكون له الحق فى التداخل بشؤون الأزهر الذى اجمع السياسيون على خرابه فكان كل من أراد ان يلتحق بالمناصب العاليه

---

(1) بلايا بوزا : محمد الجنبيهي ص ١٠ .

يتظاهر بازدراء الدين ورجاله ويكون كزب الارض في ثباته على تمثيل هيئة العناد والاصرار بعدم الانقياد لأى واعظ كان من النصحاء ... ومازالت تماثيل زب الارض تتفاقم رزاياها وتنتشر مصائبها من سفهاء الزيغ الذين افتتنوا بذلك الطالب المارق من الدين ظانين أن انتشار صيته في الممالك كان لمهارته في العلم وتمسكه بالحق وليس الأمر كذلك وانما هي فتنه اتخذها اللورد كرومر طريقا مسلوكا لتنفيذ أغراض السياسيين في البطش بالدين الاسلامي والخلافه الاسلاميه وضياع العلم الديني وكان أمر الله قدرا مقدورا "[1].

ونذكر بعد هذا رأى الشيخ يوسف النبهاني وهو مع رأى الجنبيهي كما يقول الدكتور محمد محمد حسين " يصوران الجانب الآخر لصدى دعوة الافغاني ومحمد عبده عند المعاصرين وهو الجانب الذى اختفى الآن أو كاد يختفى تحت تأثير الضغوط والحمايه التى تساند هذه المدرسه وتجارب خصومها "[2].

والشيخ النبهاني - ايضا - انما يتحدث ويقول بعد معاشره ومخالطه للافغاني اذن فقوله قول من ادرك الامور على حقيقتها لا قول متخرص ظان .

يصفهم بادعاء الاجتهاد المطلق وهم " الجاهلون " قال نظما :

وكم من قـــرون قد توالت ولم يجل	بدعوى اجتهاد مطلق عالم فكرا
فكيف أدعاه الجاهلون بعصرنــــا	فما أقبح الدعوى وما افظع الأمرا[3]

ويرى ان قوله تعالى " واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون "[4] يرى أنهم هم المرادون بها ويستدل بما نقله السيوطي في الدر المنثور عن سلمان الفارسي رضى الله عنه انه سئل عن هؤلاء القوم فقال لم يأتوا بعد وذكر ذلك البيضاوى ثم قال النبهاني " قلت لا شك ان المنافقين المذكورين في هذه الآيات السابقه واللاحقه ، والخوارج

---

(١) بلايا بوزا : محمد الجنبيهي : ص ٥٠ - ٥٣ باختصار .
(٢) الاسلام والحضاره الغربيه : محمد محمد حسين ص ٩٤ .
(٣) الرائيه الصغرى : يوسف النبهاني ضمن العقود اللؤلؤيه في المدائح النبويه له ص ٣٥٤ .
(٤) سورة البقره الآيتين : ١١ و ١٢ .

الذين خرجوا على سيدنا على رضى الله عنه وغيره من ائمة الاسلام متصفون بهذه الاوصاف الذميمه الا أنهم لم يدعوا انهم مصلحون لدين الاسلام ويلقبوا انفسهم بهذا اللقب مثل هذه الفرقه الضاله فرقه جمال الدين الافغاني ومحمد عبده المصرى فى مطابقة الآيه لهذه الفرقه اكثر من مطابقتها للمنافقين والخوارج وان شملتهم جميعا احكامها "[1].

وقال نظما

فما بالهم لا يصلحون نفوسهم ∴ أما هي بالاصلاح من غيرها أحرى[2]

وقال وكل امرىء لا يستحي في جداله ∴ من الكذب والتلفيق مهما أتى نكرا

فمن قال صلوا قال قائلهم له ∴ يجوز لنا في البيت نجمعها قصرا

وان قيل لا تشرب يقول شربتها ∴ بقصد الشفا أو قال ليس اسمها خمرا

فيجهر كل بالمعاصي مجادلا ∴ بما نفث الشيطان في قلبه سرا "[3]

وقال ولم اجتمع والله منهم بواحد ∴ وذاكرته الا وددت له القبرا

ولم استمع دعواه الا مقته ∴ والا قرأت الحمق في وجهه سطرا

وقال واعداؤهم من بيننا كل عالم ∴ ولا سيما ان كان في فقهه بحرا

وقال فاياك أن تغتر منهم بفاجر ∴ وان أنت قد شاهدت من فعله الخيرا

فذلك شيء جاء ضد طباعهم ∴ وقد فعلوا اضعاف اضعافه شرا

وكم أيد الاسلام ربي بفاجر ∴ فنهدى له لا الفاجر الحمد والشكرا

أشد من الكفار فينا نكاية ∴ واعظم منهم في ديانتنا ضرا

من الكفر والاسلام يأخذ حذره ∴ ومن هؤلاء القوم لا يأخذ الحذرا[4]

وقال عن جرائدهم ومجلاتهم :-

بها خلطوا بالحق باطل غيهم ∴ بها مزجوا الاسلام بالملل الاخرى[4]

---

(١) الرائيه الصغرى : ص ٣٥٦ .
(٢) المرجع السابق : ص ٣٥٦ .
(٣) المرجع السابق : ص ٣٦٢ .
(٤) المرجع السابق : الصفحات ٣٦٢ - ٣٦٣ .

وقال عن الافغاني :-

تسمى جمال الدين مع قبح فعلـه ∴ كما وضعوا لفظ المفازة للصحـراء (١)

وقال عن محمد عبده

فمن جهة يدعى الامام ويقتـدى ∴ بأعمال اهل الكفر من جهة أخـرى

يذم خيار المسلمين وعنـد ما ∴ يرى حاجه للكفر يستحسن الكفـرا

لكيما يقال الشيخ حرّ ضميره ∴ فيبلغ عند القوم مرتبة كـبرى

ومازال مشهودا على الدين شره ∴ وان زعم العميان أن به خـيرا

ويصف عبده - بعد عودته الى مصر من منفاه :

وعاد الى مصر فأحدث مذهبـا ∴ ولوث من أقذاره ذلك القطـرا

وأيّد أعداء البلاد بسعيـه ∴ وأوهم أهل الجهل أن بهم خيرا

يحسن بين الناس قبح فعالهـم ∴ ومهما اساءوا راح يلتمس العذرا

بمقدار ما خان البلاد وما أتـي ∴ لاعدائها نصحا علا عندهم قـدرا

وقال ونال بجاه القوم فى الناس رتبـة ∴ بها حاز فيمن شاء النفع والضرا

وقال فمن رهبة أو رغبه كم سعى لـه ∴ طغام من الجهال اكسبهم خسـرا

وقال عن منهجهم فى التفسـير :-

وقد ضل فى القرآن مع عظم نـوره ∴ كما خبطت عشواء فى الليلة القمرا

فتفسيره من رأيه ليس خاليـا ∴ فاما يرى فسقا واما يرى كفـرا

أحذّر كل الناس من كتب دينـه ∴ وبالرد والاعراض تفسيره أحـرى

وقال عنـه

يعاشر نسوان النصارى ولا يـرى ∴ بذلك من باس وان كشف السـترا

ويأكل معهم كل ما يأكلـونه ∴ ويشربها حمراء ان شاء أو صفـرا

ويفتى بحل المسكرات جميعهـا ∴ اذا هي بالاسماء خالفت الخمـرا

ويأكل مخنوقا ويفتى بحلـه ∴ لئلا يقولوا انه ارتكب المـوزرا

---

(١) الرائيه الصغرى : ص ٣٥٤ .

	وتحليله لبس البرانيط لربـــــا	∴	به بعض اهل العلم قد الحق الكفرا
	وكم زار باريز ولندره ولـــــم	∴	يزر مكة يوما ولا طيبه الغـــرا
	وان كان يوما للرياء مصليـــــا	∴	يرى فاعلا يوما وتاركها شهـــرا
وقال	وقد كنت فى لبنان يوما صحبتـــه	∴	لقرب غروب الشمس من ضحوه كـبرى
	وصليت فرض الظهر والعصر بعـده	∴	لديه وما صلى هو الظهر والعصـرا
	وكان صحيح الجسم لا عذر عنـده	∴	بلى ان ضعف الدين كان له عذرا
وقال	وقبل غروب الشمس صاحبت شيخـه	∴	لقرب العشا ايام جاورت فى مصـرا
	ولم أره أدى فريضه مغـــــرب	∴	فقاطعت شيخ السوء من اجلها الدهرا
وقال	ولولا حديث المصطفى لاســـامة	∴	يقول به هلا شققت له الصـــدرا
	لما صحت الدعوى باسلام بعضهـم	∴	لدى وما استبعدت عن بعضهم كفرا
	وكنت كتبت الكاف والفاء بعدهـــا	∴	على جبهات القوم كي يعرفوا والـرا
	كما جاء فى الدجال يكتب لفظهـــا	∴	فيقرأ من يقرا ومن لم يكن يقـــرا
	فقد اشبهوه فى معان كثـــيرة	∴	من الدّجل والالحاد والبدع الاخرى
	وما الفرق الا أنهم في قلوبهـــم	∴	عماهم ودجال الورى عينه عـــورا
	مقدمة للجيش عنه تقدمـــوا	∴	وجند له من قبله مهدوا الأمـــرا
	تقدم فيهم نائبا عنه عبـــده	∴	فاغوى الذى اغوى واغرى الذى اغرى (١)

وقال عن رشيد رضا ومجلته المنار :

	غدا ناشرا فيه ضلالات شيخـــه	∴	كما نشر الزرّاع في أرضه البعـــرا
وقال	وكم ضل رأيا من سقامة فهمـــه	∴	بأمر صحيح من شريعتنا الغـــرا
	ولو سأل الاشياخ ادرك ســـره	∴	ولكنه مع جهله قد حوى كـــبرا (٢)

---

(١) الرائيه الصغرى : يوسف النبهاني من ص ٣٦٥ الى ص ٣٧٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٧ .

وقال عن الثلاثه :

ثلاث أثاف تحتها نار فتنـــــه ∴ ومن فوقها الالحاد صار لها قدرا

وقد دخلوا حزب المســون بهمه ∴ بها حل كلّ من محافله الصدرا

ومذهبهم حكم الديانات واحــد ∴ تساوى به الاسلام والملل الأخرى (١)

وهذا رجل آخر يكشف حالهم ويعلنها للناس وهو الشيخ مصطفي صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانيه سابقا يقول " أما النهضه الاصلاحيه المنسوبه الى الشيخ محمد عبده فخلاصته أنه زعزع الازهر عن جموده على الدين فقرب كثيرا من الازهريين الى اللادينيين خطوات ، ولم يقرب اللادينيين الى الدين خطوه ، وهو الـذى أدخل الماسونيه فى الازهر بواسطه شيخه جمال الدين الافغاني كما أنه علـــى ما يقال وسيأتي ايضاحه فى هذا الكتاب هو الذى شجع قاسم أمين على ترويج السفور فى مصــــر " (٢) .

وقال عن محمد عبده " فلعله وصديقه أو شيخه جمال الدين أرادا أن يلعبا فى الاسلام دور لوثر وكلفين زعيمى البروتستانت فى المسيحيه فلم يتسن لهما الأمـر لتأسيس دين حديث للمسلمين وانما اقتصر تأثير سعيهما على مساعدة الالحـــاد بالنهوض والتجديد " (٣) .

وقال عنه ايضا " وكان من مضار الشيخ بالاسلام وعلمائه الناشئين بعـــده أنّ حملة الاقلام بمصر المنحرفين عن الثقافه الاسلاميه كما اكبروا الشيخ وآراءه الشاذه التى انتقدتها فى هذا الكتاب وأوجدوا من السمعه العلميه الساميه ما لا يزال طنينه فى أذن الشرق الاسلامي . ولا شك فى تأييد القوه الماسونيه له كان ذلك حثـــا للذين يحبون الشهره والظهور من شباب العلماء وكهولهم على نيل ما ارادوه بواسطه الشذوذ فى الرأى والتزلف الى الكتاب المتفرنجين بل الانتماء الى الماسونيه " (٤) .

---

(١) المرائيه الصغرى : يوسف النبهاني ص ٣٨٤ .

(٢) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفـــى صبرى ج ١ ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣) المرجع السابق : ج ١ ص ١٤٤ .

(٤) المرجع السابق : ج ١ ص ١٣٣ - ١٣٤ .

ولا نريد أن نذكر بعد هذا موقف الشيخ عليش رحمه الله تعالى الذى كان يلاحقهم فى صحن الازهر بعصاه أو موقف ابي الهدى الصيادى الذى وصف جمال الدين بأنه "مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية "[1] أو أعترافات اتباعه أنفسهم بأن الافغاني "برز في علم الاديان حتى أفضى به ذلك الى الالحاد والقول بقدميه العالم زاعما ان الجراثيم الحيويه المنتشره فى الفضاء هي المكونه بترق وتحوير طبيعيين ما نراه من الاجرام التى تشغل الفلك ويتجاذ بها الجو وأن القول بوجود محرك أولي حكيم وهم نشأ عن ترقي الانسان فى تعظيم المعبود على حسب ترقيه في المعقولات "[2] أو وصف السلطان عبد الحميد لجمال الدين الافغاني بأنه رجل الانجليز ، وأنه مهرج[3] .

لا نريد ان نذكر هذا وغيره ونفصله لانه مما يطول بيانه ، وننتقل بعد هذا الى ذكر موقف بعض علماء المسلمين غير المعاصرين لهم :

ب - من بعدهم :-

والحديث هنا أطول واعمق من سابقه بكثير لكنه يختلف عنه أنه نابع عن دراسه لنتاجهم الفكرى الذى اعلنوه للناس عبر مؤلفاتهم أو مجلاتهم لا عن مخالطه أو معاشره لهم يدرك منها طباعهم وعاداتهم واخلاقهم وشمائلهم التى لا تعلن عادة فى المنشورات ولكن مع هذا لا يقل عنه منزلة وقيمة علميه كبيره فى نقدهم واعلان حقيقتهم للناس ولن نذهب نعدد كل من نقدهم وكشف شيئا من حقيقتهم فهذا اضافة الى أنه مما ليس فى وسعنا - ليس من مقصودنا ومرادنا فى هذا البحث ويشبع مرادنا ان نذكر موقف بعضهم .

---

(١) تاريخ الاستاذ الامام : رشيد رضا جـ ١ ص ٩٠ .
(٢) المرجع السابق : جـ ١ ص ٤٣ .
(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد : ترجمه محمد حرب عبد الحميد ص ٦٧ .

فمن هؤلاء الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى الذى نقد منهجهم العقلي عند تفسيره لقوله تعالى " ترميهم بحجاره من سجيل "(١) حيث قال " اننا ندرك ونقدر دوافع المدرسه العقليه التى كان الاستاذ الامام رحمه الله على رأسها فى تلك الحقبه ندرك ونقدر دوافعها الى تضييق نطاق الخوارق والغيبيات فى تفسير القرآن الكريم وأحداث التاريخ ومحاولة ردها الى المألوف المكشوف من السنن الكونيه . فلقد كانت هذه المدرسه تواجه النزعه الخرافيه الشائعه التى تسيطر على العقليه العامه فى تلك الفتره ، كما تواجه سيل الاساطير والاسرائيليات التى حشيت بها ، كتب التفسير والروايه في الوقت الذى وصلت فيه الفتنه بالعلم الحديث الى ذروتها وموجه الشك فى مقولات الدين الى قمتها فقامت هذه المدرسه تحاول أن ترد الى الدين اعتباره على أساس أن كل ما جاء به موافق للعقل ، ومن ثم تجتهد في تنقيته من الخرافات والاساطير .

... ولكن مواجهة ضغط الخرافه من جهه وضغط الفتنه بالعلم من جهة أخرى تركت آثارها فى تلك المدرسه من المبالغه في الاحتياط والميل الى جعل مألوف السنن الكونيه هو القاعده الكليه لسنة الله . فشاع فى تفسير الاستاذ الشيخ محمد عبده - كما شاع في تفسير تلميذه الاستاذ الشيخ رشيد رضا والاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي- رحمهم الله جميعا - شاع فى هذا التفسير الرغبه الواضحه في رد الكثير من الخوارق الى مألوف سنه الله دون الخارق منها والى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه " المعقول "! والى الحذر والاحتراس فى تقبل الغيبيات . ومع ادراكنا وتقديرنا للعوامل البيئيه الدافعه لمثل هذا الاتجاه ، فاننا نلاحظ عنصر المبالغه فيه ، واغفال الجانب الآخر للتصور القرآني الكامل . وهو طلاقه مشيئة الله وقدرته من وراء السنن التى اختارها - سواء المألوف منها للبشر أو غير المألوف - هذه الطلاقه التى لا تجعل العقل البشرى هو الحاكم الأخير ،

(١) سورة الفيل : الآيه : ٤ .

ولا تجعل معقول هذا العقل هو مرد كل أمر بحيث يتحتم تأويل ما لا يوافقه . كما يتكرر هذا القول في تفسير اعلام هذه المدرسه "(١)

ومن هؤلاء ايضا الشيخ محمد حسين الذهبي حيث قال عن المدرسه العقليه الحديثه " أنها اعطت لعقلها حريه واسعه فتأولت بعض الحقائق الشرعيه التي جاء بها القرآن الكريم ، وعدلت بها عن الحقيقه الى المجاز أو التمثيل ، وليس هناك ما يدعو لذلك الا مجرد الاستبعاد والاستغراب ، استبعاد بالنسبه لقدره البشر القاصره ، واستغراب لا يكون الا ممن جهل قدرة الله وصلاحيتها لكل ممكن .

كما انها بسبب هذه الحريه العقليه الواسعه جارت المعتزله في بعض تعاليمها وعقائدها وحملت بعض الفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهودا عند العرب في زمن نزول القرآن ، وطعنت في بعض الحديث تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع انها احاديث صحيحه رواها البخاري ومسلم وهما اصح الكتب بعد كتاب الله تعالى باجماع اهل العلم كما انها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحه الثابته في كل ما هو من قبيل العقائد أو من قبيل السمعيات مع أن أحاديث الآحاد في هذا الباب كثرة لا يستهان بها "(٢) .

وقال " واذا كان الاستاذ الامام قد اعطى لعقله الحريه الكامله في تفسيره للقرآن الكريم فانا نجده يغرق في هذه الحريه ويتوسع فيها الى درجه وصلت به الى ما يشبه التطرف في افكاره والغلو في آرائه "(٣) .

وقال في موضع آخر ما خلاصته " الاستاذ الامام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري ، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو ان يكون خبر آحاد لا يثبت به الا الظن وهذا في نظرنا

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب ج ٣٠ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .
(٢) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ج ٣ ص ٢١٥ - ٢١٦ .
(٣) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٣٥ .

هدم للجانب الاكبر في السنه "[١] .

وقال عن موقفه من حديث " كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه الا مريم وابنها " وقد رواه الشيخان قال الذهبي عن موقف محمد عبده " فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له ثم يتخلص من ارادة الحقيقة على فرض الصحة بجعل الحديث من باب التمثيل ، وهو ركون الى مذهب المعتزله الذين يرون ان الشيطان لا تسلط له على الانسان الا بالوسوسه والاغواء فقط "[٢]

وقال ايضا " وهذا المسلك الذي جرى عليه الشيخ رشيد هو مسلك شيخه ومسلك الزمخشري وغيره من المعتزله الذين اتخذوا التشبيه والتمثيل سبيلا للفرار من الحقائق التي يصرح بها القرآن ولا تعجز عنها قدرة الله وان بعدت عن منال البشر "[٣] .

وقال " ثم ان صاحب المنار لا يرى السحر الا ضربا من التمويه والخداع وليس له حقيقه كما يقول اهل السنه وهو يوافق بهذا القول قول شيخه وقول المعتزله من قبله "[٤] .

ولم يكن الشيخ الذهبي بالوحيد الذي ربط بين اتجاههم واتجاه المعتزله بل حتى أنور الجندي الذي أشاد بهذه المدرسه وخدع بها قال " واذا كان جمال الدين الافغاني هو أول من فتح باب المنطق والفلسفه في الفكر العربي الحديث بحسبانه طريقا الى الدفاع عن الاسلام في مواجهة الفلسفات الحديثه على نفس المنهج الذي اتخذه المعتزله فان محمد عبده هو الذي عمق هذا الاتجاه حتى اطلق عليهما اسم " معتزله العصر الحديث " [٥] .

أما الدكتور علي محمد جريشه ومحمد شريف الزيبق فقالا عن المدرسه العقليه " ونحن - على عكس كثير غيرنا - نحسن الظن بأصحاب هذه المدارس ولا نقبل

---

(١) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي جـ٣ ص ٢٤١ .
(٢) المرجع السابق : جـ ٣ ص ٢٤١ .
(٣) المرجع السابق : جـ ٣ ص ٢٤٩ .
(٤) المرجع السابق : جـ ٣ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
(٥) اليقظه الاسلاميه في مواجهه الاستعمار : أنور الجندي ص ١٣٢ .

ان نسميهم عملاء ولن بدء منهم لون من الاتصال أو التعاون مع العدو المستعمر " " لكننا وان نفينا عنهم " العماله " فلا نستطيع ان ننفي عنهم " السذاجه " انهم ظنوا أنهم يستطيعون أن يضحكوا على الاستعمار ويمكروا به فاذا به أشد مكرا ظنوا انهم يستطيعون آن يمتطوه ليسخروه لصالح الاسلام وامتطاهم الاستعمار ليسخرهم لصالح التغريب والتغيير الاجتماعي "[1] .

وقالا " وبهذه النيه التى نحسن الظن بها ألف صاحب مدرسة العقل جمعية التقريب بين الاديان فيها المسلمون والنصارى واليهود ... ولعله لم يدرك ان التقارب بين الاسلام والمسيحيه واليهوديه لا يمكن ان يكون الا على حساب الاسلام .. لأنه الوحيد الدين الصحيح وغيره محرف .. ولعله لم يدرك ان المشركين حاولوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التقارب حين قالوا نعبد الهك يوما وتعبد آلهتنا يوما فأنزلها رب السماء والارض قاطعه حاسمه " قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد " السوره "[2] .

وقالا :- " وأما الذى نأخذه على الرجل العالم :-

أولا : باقتصاره من الاسلام على الاصلاح عن طريق التعليم فالاسلام ليس مجرد ثقافه فقط لكنه منهاج تربيه ومنهاج حياة ، وليته فى هذا الجانب استطاع ان يصلح .

ثانيا : ان الرجل وهو فى موضع القدوه للمسلمين مالأ " الكافرين " الذين غصبوا الديار وما بعد الديار! ... ولا ندرى هل كان الامام يحفظ " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ... الآيه " وهل قرأ غيرها من الآيات فى نفس المعنى أم أن له فيه تأويلا كتأويله فى الملائكه أو في سجودهم أو في معصية آدم أو في خلق عيسى عليه السلام أو في الجن أو في السحر أو غير ذلك مما اعمل فيه عقله (الكبير) ليقول " بالرأى فى كتاب

---

(١) اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي : على جريشه ومحمد الزيبق ص ٢٠١ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

الله ؟!! " لقد مضى الرجل الى ربه فنترك له حساب سره وعلانيته لكننا ازاء الظاهر .

وعمره الذى أفنى فى محاولة اصلاح التعليم بلوغا الى مقاومة الاستعمار أزو الى النهوض بالاسلام لا نملك الا ان نتلوا قول الله " قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا "(١) ونترك من قبل ذلك ومن بعد ذلك حسابه على الله لكننا نسوق ما نسوق ليعتبر أولوا الابصار .. ويتذكر أولوا الالباب فلا تتكرر الصوره مرة أخرى "(٢) .

أما الاستاذ غازى التوبه فعد من أخطاء محمد عبده دعوته للتقريب بين الاديان فقال " قد أخطأ محمد عبده فى دعوته الى التأليف والتقريب بين الأديان حتى صار مطية لهيئات ودول حاقده على الاسلام والمسلمين ، وما ذلك الا لأنه لم يلتزم حد الاسلام بل اتبع هواه فكان أمره فرطا "(٣)

واستعرض الاستاذ غازى جملة الاخطاء والانحرافات بعد أن قسمها الى قسمين :-

أ) نتائج سياسيه : وعدّ منها :-

١- التعاون مع رياض باشا عميل الانجليز .

٢- " " المحتل الانجليزى .

٣- الاصطدام مع عباس الثاني فقد كانت في مصر آنذاك سلطتان سلطه الاحتلال وسلطه الخديويه احداهما مغتصبه والاخرى شرعيه تمثلت الأولى فى الثعلب العجوز اللورد كرومر والثانيه فى الخديوى عباس الثاني .

٤- تبرير وجود المحتل .

٥- تكوين مدرسه سياسيه باسم محمد عبده حيث وجد الاحتلال فى محمد عبده وتلاميذه مدرسه سياسيه تحقق اغراضه وتنفذ مآربه فرعاها ونماها .

---

(١) سورة الكهف الآيتين : ١٠٣ و ١٠٤ .

(٢) اساليب الغزو الفكرى : ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٣) الفكر الاسلامي المعاصر : غازى التوبه ص ٢٣ .

ب) النتائج الفكريه :

كان الاستعمار يشعر بتحول المجتمع المسلم نحو الحضاره الغربيه وأخذه منها في كل مجال وتقليده لها في كل أمر ولكنه كان يؤمن - في الوقت نفسه بأن الهوه ستبقى قائمه بين الغرب والمسلمين من جهه ولا يؤمن الانتكاس من جهة ثانيه طالما أن الاسلام باق على طبيعته وحقيقته لذلك فقد صبّ جهودا كبيره كي يحول الاسلام من الداخل ليعطى السند الفكرى والدعم الدينى لمعطيات الحضاره الغربيه من ناحيه وتناولها دون التحرج من ناحيه أخرى ، وقد وجد الاستعمار في محمد عبده ضالته التى تحقق له هدفه ذاك في التحويل والتحوير أو قل التى تبدأ له بالخطوه الاولى في ذاك التحويل والتحوير "[1] .

والدكتور محمد محمد حسين غير مكثر في ميدان الكتابه لكنه رصين الاداء مقتدر في استيفاء جوانب موضوعه ينظر الى الامور في عمق كما قال الاستاذ انور الجندى[2] وقد كان لدراسته العميقه في دعوة الافغاني وتلاميذه نتيجه خطيره توصل اليها حيث يقول " الذى يبدو لي هو أن دعوة الافغاني التى ربي محمد عبده في احضانها كان لها - ككل الدعوات السريه - ظاهر وباطن فظاهرها يخاطب الجماهير . وهو يصور ما يريد صاحب الدعوه ان يعرفه جمهور المسلمين مما يعجبهم ويقع من قلوبهم موقع الارتياح والقبول ، وباطنها يمثل حقيقتها التى يخفيها اصحابها عن الناس ، ولا يكشفون الستر عنها قبل ان تحقق أهدافها بالوصول الى مركز السلطه ومحمد عبده كان تابعا لسيده الافغاني أو خادما له كما تعود هو نفسه ان يكتب اليه في بعض رسائله والافغاني كان يريد أن يعيد الدور نفسه الذى لعبه الاسماعيليه من اصحاب الدعوات الباطنيه التى تتستر وراء التشيع "[3] .

---

(١) الفكر الاسلامي المعاصر : غازى التوبه انظر الصفحات ٤٤ - ٦٥ .
(٢) مفكرون وأدباء : أنور الجندى ص ٢٦٤ .

وقال عنهما أى الافغاني ومحمد عبده " وكانا - ككل الثوار من اصحاب الدعوات السريه - يعلنان ما يحبه الناس ويستهويهم غير ما يبطنان مما ينكره الناس وما يبلغهم مطامحهم " (١) .

هذا الرأى ليس رأى رجل خراص وانما رأى رجل وقف جزءا كبيرا من نشاطه لدراسة حقيقتهم وجلاء اهدافهم حتى اذا ما وصل الى درجه كبيره فى ذلك كشف للمسلمين ما توصل اليه مستندا الى حقائق ثابته من أقوالهم أو افعالهم التى لا تنكر وقد عرفت عنهم واشتهروا بها ، وهو حينما يكشف هذا لا يكشفه لحقد أو حسد وانما يكشفه لغرض اسلامي نبيل هو أن لا تقوم فى مجتمعنا اصنام جديده معبوده لا ناس يزعم الزاعمون انهم معصومون من كل خطأ وأن أعمالهم كلها حسنات لا تقبل القدح والنقد حتى ان المخدوع بهم والمتعصب لهم والمروج لآرائهم ليهيج ويموج اذا وصف أحد الناس اماما من أئمتهم بالخطأ فى رأى من آرائه فى الوقت الذى لا يهيجون ولا يموجون حين يوصف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يقبلون ان يوصف به زعماؤهم المعصومون " (٢) .

اذن فنقده نقد عارف مطلع ، هدفه الاصلاح ، وهذا ما نبحث عنه .

ونختم الحديث هنا برأى صنيعة من صنائعهم وأثر من آثارهم هو الاستاذ مصطفى لطفى المنفلوطي لكنه مع هذا أبى الا أن يقول الحق في منهجهم .

أما أنه متأثر بهم معجب فشاهده أنه قال فى اهداء كتابه النظرات " ان كان لي فى هذا السفر فضيله يعجب بها الفاضل أو رأى يرضى عنه العاقل ، أو ديباجه يثنى عليها الاديب فلا يد فيها لاحد من الناس غير هؤلاء الرجال الثلاثه ولي نفسي والدى السيد محمد لطفى ووليّ عقلي استاذى الشيخ محمد عبده ، ووليّ أمرى سيدى سعد باشا زغلول أولئك الذين اهدى اليهم كتابي لأنه حسنه من حسناتهم وصنيعة من صنائعهم وأثر من آثار عنايتهم ورعايتهم

---

(١) مجلة " رسالة الطالب المسلم " لقاء مع الدكتور محمد محمد حسين ص ١٠٠ العدد الاول ١٣٩٧ - ١٣٩٨ هـ .

(٢) الاسلام والحضاره الغربيه : محمد محمد حسين ص ٤٩ - ٥٠ .

وأولئك الذين احسنوا الى في هذه الحياة احسانا لا ازال أذكر أياديهم البيضاء فيه حتى يحتاق نفسي حمامها وعظامي رجامها "[١] الخ .

ولكن هذا الولاء لوالده ولا دخل لنا فيه ، ولمحمد عبده ولسعد زغلول وهو مرادنا لم يمنعه من قول الحق في نقد منهج محمد عبده حيث عرض لذكره في مقاله عنوانها " يوم الحساب" تخيل فيها أنه قد انتقل من العالم الأول الى العالم الثاني ورأى كأنه بعث بعد الموت وكأن ابناء آدم مجتمعون في صعيد واحد يحاسبون على اعمالهم فألهم أنه موقف الحشر وأنه يوم الحساب ثم تخيل حوارا جرى هناك بين محمد عبده وقاسم أمين عاتبه فيه الاول الثاني على دعوته الى السفور فاذا بقاسم أمين يجيب" أتأذن لي يامولاى أن أقول لك : انك قد وقعت في مثل ما وقعت فيه من الخطأ .. وانك نصحتنى بما لم تنصح به نفسك ، أنا أردت أن انصح المرأه فأفسدتها كما تقول ، وانت أردت أن تحيي الاسلام فقتلته ،انك فاجأت جهلة المسلمين بما لا يفهمون من الآراء الدينيه الصحيحه والمقاصد العاليه الشريفه فأرادوا غير ما أردت وفهموا غير ما فهمت فأصبحوا ملحدين ، بعد ان كانوا مخرفين ، وانت تعلم أن دينا خرافيا خير من لا دين .

أوّلت لهم بعض آيات الكتاب فأتخذوا التأويل قاعده حتى أولوا الملك والشيطان والجنه والنار ، وبينت لهم حكم العبادات واسرارها وسفهت لهم رأيهم في الأخذ بقشورها دون لبابها ، فتركوها جملة واحده ! وقلت لهم ان الولي اله باطل والله اله حق فأنكروا الالوهيه حقها وباطلها ، فتهلل وجه الشيخ وقال له مازلت ياقاسم في أخراك مثلك في دنياك لا تضطرب في حجه ولا تنام عن ثأر "[٢] .

وحسبك بهذا الاتهام من صنيعة من صنائعهم وأثر من آثار عنايتهم ورعايتهم وخلاصه ما نقلنا من نقد لهم هنا أنهم :-

---

(١) نقل لي هذا النص شيخنا واستاذنا عبد الفتاح ابو غده جزاه الله خيرا عن الطبعه الاولى من كتاب النظرات لمصطفى لطفى المنفلوطى سنه ١٣٢٨ هـ الصفحه الأولى .

(٢) النظرات : مصطفى لطفى المنفلوطي : جـ ١ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

١ - غير ملتزمين للشعائر الاسلاميه من صلاة أو حج .. الخ .

٢ - ان تعاونهم مع الاحتلال ودول الاستعمار اما لانهم عملاء كما يقول بعض النقاد أو سذاجه منهم كما يقول آخرون .

٣ - ان لهم دعوة باطنيه يظهرون منها ما يخالف حقيقتها وباطنها .

٤ - انهم جاروا مذهب الاعتزال في كثير من مذاهبهم حتى اطلق عليهم انهم معتزله العصر الحديث .

٥ - انهم الوسيله التى اتخذهم الاستعمار والمستعمرون لتحويل وتحوير الاسلام من الداخل ليعطى السند الفكرى والدعم الدينى لمعطيات الحضاره الغربيه .

٦ - ان منهجهم فى التفسير ضال ومنحرف .

كل هذا وغيره كثير كشفه الناقدون لهم لكن هذا كله ، ولكنهم كلهم لم يكن لهم من الاثر ما يذكر ، فى التقليل من رواج حسن سيرتهم بين الناس وانخداع العلماء بهم قبل العوام حتى وصلوا الى درجه لا يجرؤ عالم من العلماء على نقدهم علانيه أمام ملأ من الناس في مجتمعهم .

لم يكن السبب فى هذا سرا لا يعلمه أحد بل علمه وخبره الكثيرون واعلنوه للناس ايضا ، قالوا ان السبب ان الاستعمار يقف خلفهم ويؤيدهم ويساند دعوتهم ويحميهم اينما ساروا ، ويحمى أفكارهم ومبادئهم فى اللحظه التى يحتاجون فيها الى الحمايه ، ويسعى الى ترويج آرائهم بين المسلمين وايصال صوتهم ودعوتهم الى الناس .

وجنّد الاستعمار جنوده من المستشرقين للثناء عليهم ومدحهم حتى يروج ذلك بين الكتاب المسلمين فينقلوه عنهم نقل الاعجاب والتأييد " والافتخار " برجلين أو رجال من الشرق نالوا رتبه عاليه عند رجال الغرب فى المباحث الدينيه ، وهي رتبه تهفوا الى بلوغها أنظار طلاب الشهره ولو على حساب الدين فأخذوا ينقلون ويروجون أفكارهم ومبادئهم لا نقل الفاحص الناقد وانما نقل المؤيد المسلم لهم ما يقولون .

وبهذا راجت بين الناس أفكارهم وطغت على أذهانهم مبادؤهم فلا يسمعون صيحة " مخنوق " ضدهم ولا همس هامس فى نقدهم ، ولا صرخة محذر بين صيحات المخدوعين " وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون "(١)

حتى ألجأوا بعض من يريد قول الحقيقة الى قولها مشوبة بالثناء عليهم ومدحهم وتمجيدهم تقربا الى المخدوعين بهم .

ذلك أثر من آثار الاستعمار ، ونتيجة لدراسة نقدية مزعومة من المستشرقين لا ندعى ذلك ادعاء ونثبت هنا ما يقيم أساسه . :

ثالثا : موقف الاستعمار البريطاني منهم واعترافه بما قدموه له من خدمات :-

سبق أن ذكرنا ما يثبت حماية الاستعمار لهم ودفاعه المستميت عن دعوتهم ، ونعيد هنا للمناسبة بعضه ونزيد عليه

ونبدأ أول ما نبدأ برجل أعلن عداءه للاسلام حيث قال جئت (الى مصر) لا محو ثلاث القرآن والكعبة والازهر(٢)

ترى من الذى عاون هذا الرجل لتحقيق هدفه ؟ ! انهم ولا شك رجال المدرسة العقلية من حيث يدرون (فيكونوا عملاء) أو من حيث لا يدرون (فيكونوا سذاج) .

قال كرومر فى تقريره السنوى لعام ١٩٠٥م عن محمد عبده " كان لمعرفته العميقة بالشريعة الاسلامية ولآرائه المتحررة المستنيرة أثرها فى جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى "(٣) .

وقال ايضا " لا ريب عندى فى أن السبيل القويم الذى أرشد اليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذى يؤمل رجال الاصلاح من المسلمين الخير منه لبنى ملتهم اذا ساروا فيه فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتشيط من الأوروبيين "(٤)

---

(١) سورة فصلت : الآية ٢٦ .
(٢) الخنجر المسموم : أنور الجندى ص : ٢٩ .
(٣) الاسلام والحضارة الغربية : محمد محمد حسين ص ٧٨ .
(٤) تاريخ الاستاذ الامام : محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ٤٢٦ .

وقال أيضا " ان اهميته السياسيه ترجع الى أنه يقوم بتقريب الهوة التى تفصل بين الغرب وبين المسلمين ، وأنه هو وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الاوربي "[1]

وقد امتثل هو ما دعا اليه فمال اليهم وعطف عليهم وقدم لهم كل عون وتشجيع فكانوا له (حلفاء طبيعيون) فوجبت عليه حمايتهم .

صرح اللورد كرومر بنفسه " ان الشيخ محمد عبده يظل مفتيا فى مصر ما ظلت بريطانيه العظمى محتله لها "[2] .

وقال السيد رشيد " وقد تحقق ان اللورد كرومر قال للخديو ان كان تحريك بعض المشايخ ضد المفتى لاجل فصله من الافتاء فاسمح لي بأن أقول أنه مادام لبريطانيا العظمى نفوذ فى مصر فان الشيخ محمد عبده يكون هو المفتى حتى يموت "[3] .

هذه بعض حمايته فى الداخل اما اذا ذهب الى الخارج كالآستانه مثلا فانه يكتب الى تلميذه السيد رشيد " ان السلطان لا يستطيع حبسي لو اراده وهو يعلم عجزه عن ذلك حق العلم ولذلك اسباب لا احب ذكرها الآن "[4] ولكن السيد رشيد يذكر السبب فى هذا " وهم لا يجهلون ان السفاره البريطانيه كانت بالمرصاد وانها لا تسكت للحكومه الحميديه على ذلك لو أقدمت عليه والسلطان ورجاله لا يجهلون هذا ايضا "[5] .

بل ان الاحتلال الانجليزى كان عاملا اساسيا من عوامل عودة محمد عبده من المنفى في الشام الى مصر وقد صرح اللورد كرومر بهذا فى كتابه مصر الحديثه حيث قال " ان العفو صدر عن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني "[6] .

---

(١) Medern Eyept : Cromer .P. 180

(٢) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٥٠١ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ٥٦٤ .

(٤) الاعمال الكامله لمحمد عبده : جمع محمد عماره ج ١ ص ١١٧ .

(٥) تاريخ الاستاذ الامام : ج ١ ص ٨٦٠ .

(٦) الفكر الاسلامي الحديث :غازى التوبه ص ٤٥ .

هذه اشارة تكفى اللبيب فى بيان مدى تعاون امام المدرسه العقليه الحديثه واستاذها مع الاحتلال ومدى حمايتهم له وهو أمر له معناه .

ترحيب المستشرقين بالمدرسه ونتاجها :-

كان لافكار المدرسه العقليه صدى كبيرا فى دراسات المستشرقين ، والحقيقه أنا لا ندرى من اين نبدأ والى أين ننتهى بين عبارات الثناء والترحيب بهم من المستشرقين ولعلنا نكتفى - ايضا - بالاشاره .

فهذا جب يقول عنهم " لسوء الحظ ظل قسم كبير من المسلمين المحافظين ولاسيما فى الهند لا يخضعون لهذه الحركات الاصلاحيه المهدئه وينظرون الى الحركه التى تزعمتها مدرسه عليكره بالهند ومدرسه محمد عبده بمصر نظرة كلها ريبه وسوء ظن لا تقل عن ريبتهم فى الثقافه الاوروبيه نفسها "[1] ثم وضح هذا المستشرق الانجليزى جب دور المدرسه العقليه بقوله " ان في كل البلاد الاسلاميه - باستثناء شبه جزيرة العرب وافغانستان وبعض أجزاء من أواسط افريقيا - حركات معينه تختلف قوة واتساعا ترمي الى تأويل العقائد الاسلاميه وتنقيحها " ثم قال " وقد اتجهت مدرسه محمد عبده بكل فروعها وشعبها نحو تحقيق هذا الهدف " ثم ذكر " ان الاب (بانيرث) المبشر يرى أن حركة الاصلاح الاسلامي - على النحو الذى تسير فيه الآن - يجب ان تقابل من المسيحيه الغربيه بالتشجيع "[2].

ولعله يكفى هنا ان ننقل عن جب رأيه فى تلاميذ محمد عبده حيث يقول " ان تلامذته هم من أولئك الذين تعلموا على الطريقة الاوروبيه وذلك من ناحيتين أولاهما ان ما كتبه الشيخ كان بمثابه درع واقيه للمصلحين الاجتماعيين والسياسيين فان عظمة اسمه قد ساهمت فى نشر أخبار لم تكن تنشر من قبل ثم انه قد أقام جسرا من فوق الهوه السحيقه بين التعليم التقليدى والتعليم العقلى المستورد من أوربا

(١) الى اين يتجه الاسلام : للمستشرق جب عن مجلة المجتمع العدد ٣٦٤ فى ٩ رمضان ٩٧ هـ ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق : ص ٦٣ عن الفكر الاسلامي المعاصر : غازى التوبه ص ٦١ - ٦٢

الأمر الذى مهد للطالب المسلم ان يدرس فى الجامعات الاوروبيه دون خشية من مخالفة معتقده وهكذا انفرجت مصر المسلمه بعد كبت ، فقد ساهم الشيخ محمد عبده أكثر من أى شخص آخر فى خلق اتجاه أدبي جديد في اطار الروح الاسلاميه "[1].

أما الجاسوس البريطاني الفريد سكاون بلنت فيصف دعوتهم بأنها " الاصلاح الدينى الحر " ويصفهم بأنهم " زعماء الاصلاح فى الازهر " ويصف مدرستهم بأنها " تلك المدرسه الواسعه التقيه "[2].

وقال عن الافغاني " ومن أرغرب ما يروى ان الفضل فى نشر هذا الاصلاح الدينى الحر بين العلماء فى القاهره لا يعود الى عربي أو مصرى أو عثماني ولكن الى رجل عبقرى غريب يدعى السيد جمال الدين الافغاني "[3].

وقال عن محمد عبده أنه " رجل من أحسن واحكم الرجال العظام ويجب أن لا يتوهم أحد أني اذ استخدم هذه الالفاظ ألقى القول على عواهنه أو أبالغ مثقال ذره ولكنى أقولها معتمدا على معرفتى بأخلاقه في ظروف مختلفه واحوال صعبه فقد عرفته فى أول الأمر معلما دينيا ثم قائدا لحركة الاصلاح الاجتماعي ... وأخيرا حين سودته مواهبه العقليه ونصرته من جديد "[4].

وتحدث عن هدف الافغاني فقال " كان همه ان يطلق العقول من الاغلال التى قيدتها طوال الاجيال الماضيه " وأن هذا " يماثل ما حدث من احياء المسيحيه بأوروبا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر "[5].

وهذا جولد زيهر يبين قصد مدرسة المنار بأنه " تحقيق قدره الاسلام على الحياة بين تيارات العصر الحديث عن طريق اصلاح الاحوال المغلوله بقيود

---

(١) الاتجاهات الحديثه فى الاسلام : جب ص ٧٠ .
(٢) التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر : الفرد سكاون بلنت ص : ٧٦ .
(٣) المرجع السابق : ص ٧٧ .
(٤) المرجع السابق : ص ٨٠ .
(٥) المرجع السابق : ص ٧٨ .

المذاهب الجامده "[1] واعتبر السيد جمال الدين الافغاني المحرك الاول لهذا الاتجاه [1].

وحسبى أن أقف هنا فى بيان الصراع بين المحذرين منهم وبين الاستعمار والمستشرقين ، ولا يزال - حتى ساعتنا هذه - صوت الاستعمار هو الاكثر رسوخا فى أذهان الناس .

---

(١) مذاهب التفسير الاسلامي : جولد زيهر ص ٣٤٧ - ٣٤٨

رابعـــا : النتيجـــه :-

ونخلص من دراستنا هذه أن لمذهب المدرسه العقليه الحديثه أبعـــادا ثلاثه نراها قويه شامخه فى التكوين الأساسي للمدرسه العقليه نذكر هذه الأبعاد الثلاثه اجمالا ثم نستخلص بعد هذا النتيجه التى نراها والموقف الذى يجـــب أن نقفه نحن المسلمون على ضوء هذه النتيجه .

الأبعاد الثلاثـــه :-

أولا : أن هذه المدرسه أعطت العقل اكثر من حقه وكلفته ما لا يطيق ورفعت مـــن قيمته وضخمت حجمه حتى ساوته بالوحى بل قدمته عليه وقدمت ما زعمته مـــن أحكامه على أحكام الوحي .

وسعت فى هذا السبيل لأجل " تضييق " حيز الغيبيات فى مسائل العقيده الاسلاميه .

ثانيا : قامت هذه المدرسه بتأويل حقائق العقائد الاسلاميه بما يتمشى مع الأحكام العقليه من جهه ومكتشفات الحضاره الغربيه والنظريات العلميه الغربيـــــه من جهه أخرى .

وفى سبيل ذلك أيضا قامت بتأويل المعجزات والخوارق وانكار بعضهـــــا اذا لم يمكن قلب حقيقته بما يتمشـــى مع هذا البعد الفكرى .

ثالثا : تبرير تناول الحضاره الغربيه ومجاراتها فى مدنيتها الزائفة والتحوير مـــن الداخل لاعطاء السند الفكرى والدعم الديني لمعطيات الحضاره الغربيـــه وتقريب الهوه التى تفصل بين الغرب وبين المسلمين تقريبا كان على حســـاب كثير من الجوانب الاسلاميه التى تقوم عليها العقيده الاسلاميه .

تلكم هي الخطوط العريضه والأبعاد الراسخه التى نراها فى منهج المدرســـه العقليه .

ونتيجه لذلك فانا نعتقـــد :-

أولا : أن المدرسه العقليه الحديثه ذات منهج منحرف وهي بسلوكها ايـــاه تعد فرقه منحرفه جديده أقرب ما تكون الى فرقه المعتزله فهم كالمعتزله .

أ) فى تحكيم العقل والرجوع الى أحكامه ورفعه الى مرتبة الوحـي وهم لو حكموا العقل نفسه لسلمنا لهم لأن أحكامه بنفسه لا تخالف حكمـــا ثابتا فى الشريعه الاسلاميه أو قضية من قضاياه وهم انما يحكمون المـــاده فيحسبون ما خالف الماده مخالفا للعقل .

ب) وهم كالمعتزله فى انكار المعجزات أو تأويلها .

جـ) وهم كالمعتزله أيضا فى كثير من الغيبيات كالملائكه والجـــن والسحـــر وغـــيره .

د) وهم كالمعتزله فى انكار كثير من الأحاديث الصحيحه حـــتى ما رواه البخارى ومســـلم .

هـ) وهم كالمعتزله فى عدم تعديل الصحابه كلهم بل تجاوز بعضهم ذلك كبعض المعتزله الى سب الصحابة رضوان الله عليهم .

و) وانهم كالمعتزله فى اعتقاد خلود أهل الكبائر فى النار .

ومن هذا ندرك وضوح الصله ووجه الشـــبه بينهم وبين المعتزله .

ثانيا : أنه لا يكفى القول بأنهم معتزله لأنهم يزيدون عليهم فى التقريب بينهـــم وبين الكفار (النصارى واليهود) وتبرير تناول الحضاره الغربيه ومجاراتها فى مدنيتها الزائفه اذن فهم هنا معتزله وزياده .

بل انهم أخطر من المعتزله ذلك أنهم يسعون بكل ما وسعهم لتغيـــير المفهوم الاسلامي فى معاملة الكفار والغاء الفاصل والحاجز بين الفكر الحق والفكر الضال أو المنحرف واذا ما الغي جانب العقيده فى ميزان التفاضـــل فان الكفه سترجح حتما بنا وسيصبح الكفار آنذاك هم الأفضل والأقوى ومن ثم تكون لهم السيطره وتكون لهم الدوله وحينئذ تكون خسارتنا للدين والدنيا .

وهو ما يسعى اليه الاستعمار وسهر من أجله الليالي ودفع جيوشه المادية والمعنوية وبث رجاله المستشرقين والمخدوعين ـ لأجله .

ثالثا : ان الكثير من مفاهيمهم ومبادئهم هي السائدة في الفكر الاسلامي المعاصر وما ذاك الا أثر من آثار فرض الاستعمار بادئ ذي بدء آراءهم على الناس وترويجه لهم وتمجيد المستشرقين لهم حتى اذا ما سار ذلك بين الناس أخذوا يتبنونه بأنفسهم ويعلنونه في مؤلفاتهم ويدافعون عنه حتى أصبح أو كاد من المسلمات .

وأصبح رجال المدرسة العقلية عندهم من الرجال الذين لا يقبل فيهم نقد أو يصل اليهم قدح .

رابعا : انهم مهدوا السبيل لسيطرة الفكر الغربي واتخذهم الأعداء مطية يعملون من خلالها على زلزلة عقيدة المسلمين وتشكيكهم بها ومحاربة الاسلام في عقر داره ليس عن طريق نشر المؤلفات فحسب بل عن طريق الصحافة وطريق السينما والتليفزيون والاذاعة وكل وسائل الاعلام الأخرى .

ثم عمل الاستعمار على اطفاء ما بقي من نار الغيرة على الشعائر الاسلامية بل على الدين كله في قلوب الشباب فأصبحوا لا يحرك ساكن فيهم ما يحدث في المسلمين في الفلبين أو في الباكستان أو في أفغانستان أو في فلسطين أو في غيرها من مختلف البلدان ، لا يحرك هذا فيهم ساكنا عند سماعه فضلا عن أن يهبوا زرافات ووحدانا .

خامسا : لم تكن نتيجة ذلك ذات أثر على الأفراد فحسب بل على كثير من الدول التي نبذت الفقه والفقهاء الاسلاميين وأستبدلت القوانين الوضعية بالفقه الاسلامي وتركت تقليد أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي أو أحمد أو غيرهم من الفقهاء وأستمدت جل دستورها من القوانين الأوربية الحديثة .

وبعـــــد .

فما الموقف منهم الذى يجب اعلانه هنا ؟ الا أريد أن أستطرد فى الحديث هنا بل ألخص الموقف بأسطر أحسب فيها الكفايه .

لا شك أن الواجب يقتضى أن نعيد النظر فى رجال هذه المدرسه العقليه أنفسهم ونعيد تقييمهم وفق الميزان الاسلامي الحق ونعلن للناس كافة حقيقتهم ونجلوا لهم علانية زيف منهجهم ونبين مواقع ضلاله ومواقع انحرافه .

- نعيد تقييمهم تقييما حقا لا يراعي بحال من الأحوال ما هو سائد بين الناس عنهم .
- وحين نصل الى نتيجه ذلك نعلن بها العلماء قبل العامه لينشروه بين الناس كافه .

وحينئذ نعيد ترتيب الأمور على الميزان الحق أحسب هذا الأمر يقال فى لحظه ويكتب فى لحظتين ولكن تنفيذه يريد عزمة اسلاميه خالصه تطوى الزمن طيا فيحصل ما يحتاج الى قرون عديده فى سنوات قليله ويكون صلاح هذا الدين فى هذا العصر كصلاحه فى أوله .

الخاتمـــــه :-

ولا يسعنى هنا الا أن أختم حديثى هذا بتوجيه الدعوه الى جامعــــــة الامام محمد بن سعود الاسلاميه . كيف لا وقد بينت فى هذا البحث انحراف منهج التفسير لدى المدرسه العقليه الحديثه فكان لابد من بديل اكثر صوابا .

هل البديل بالرجوع الى تفسير الطبرى أو الشوكاني أو القرطبى أو غيرهـــم من المفسرين السابقين أو بالرجوع الى تفسير الألوسى أو سيد قطب أو الجواهـــرى أو بن سعدى أو غيرهم من المفسرين فى هذا العصر .

لا أحسب أن هذا هو البديل فكل منها فيه تقصير أو نقص من بعض النواحي ويرجع هذا الى كون واضعه " انسان " " فرد " أما الانسانيه فلا مفر منها وأمـــا الفرديه فيمكن تلافيها حتى يخرج لنا تفسير لا أقول تنمحى أخطاؤه كلها ولكـــن ان لم أقل تندر قلت تقل ويخرج لنا تفسير يلائم متطلبات العصر ويتحدث بلغـــة عربيه فصيحه باسلوب العصر أيضا ويقوم على قواعد السلف الصحيحه فى التفسير .

أقترح أن تدعو جامعة الامام محمد بن سعود الاسلاميه الى مؤتمر التفسيـــر للقرآن الكريم وهي السباقه الى مثل هذا وما مؤتمر الفقه الاسلامي منا ببعيد .

يدعى الى هذا المؤتمر " خيرة " علماء المسلمين المعروفين بالصلاح والاستقامه فى السيره والفكره من ذوى الأختصاص بالقرآن الكريم وعلومه .

ثم ينبثق عن هذا المؤتمر اللجنه الدائمه لمؤتمر التفسير يكون مقرها فـــى الرياض حتى تكون قريبه من الجامعه ، وينبثق عن هذه اللجنه لجان عديده فـــى مختلف أرجاء العالم الاسلامي حسب الحاجه ، ويسند الى كل لجنه من اللجـــان القيام بتفسير سوره أو آيات معينه منها واذا حدث خلاف فى قضية من القضايـــا يرجع فيه الى اللجنه الدائمه .

واذا ما أنتهت هذه اللجان من تفسير ما اسند اليها رفعته الى اللجنه الدائمه لمراجعته وتقويم أخطائه ان وجدت وان حصل خلاف بين أعضاء اللجنه الدائمة يدرج فى أعمال المؤتمر الاسلامي القادم وتقوم اللجنه بصياغة ما أتفقت عليه من التفاسير صياغة نهائيه ذات أسلوب واحد ثم يرفع للمؤتمر لاقراره .

ويعقد المؤتمر حسب الحاجه كل سنه أو سنتين يتدارس فيه أعضاؤه ما وضع فى برنامجهم من حل خلاف فى قضيه أو مراجعة تفسير من التفاسير المقدمه له ثم اقرار ما يرون اقرازه ليعود الى اللجنه الدائمه للقيام بطبعه ومن ثم توزيعه فى أنحاء العالم الاسلامي .

أعرف أنه قد كانت محاوله لمثل هذا فى التفسير الوسيط ولكن مشروع التفسير الوسيط لم يكن له من الدعم المادى والمعنوى ما يثبت أقدامه ويرسخ قواعده ويهيئ له من العلماء العدد الأكبر .

ولم يكن له من القدره أيضا ما يمكنه من عقد المؤتمرات لأعضائه كلهم لمناقشه ما توصلت اليه آحادهم ومن ثم الخروج عن رأى واحد ذى أسلوب واحد وصياغة واحده .

ولعل جامعة الامام تكون سباقه الى هذا المشروع العظيم لأنه انما يدرس القرآن الكريم ......

وحسبى الله ونعم الوكيل .

اللهم أجعل خير أعمالنا خواتيمها
وخير أيامنا يوم لقاك "

المصادر

المصـــــــادر

١. القرآن الكريـم

٢. اتجاه التفسير فى العصر الحديـث ، مصطفى محمد الحديدى الطيـر المدد ٨٠ سلسلة البحوث الاسلامية ، ربيع الاول ١٣٩٥هـ

٣. الاتجاهات الحديثة فى الاسلام : هـ أ رجب ، ترجمة هاشم الحسينـى دار مكتبة الحياة بيـروت ، ١٩٦٦م.

٤. الاتجاهات السياسية والفكرية والاجتماعية فى الادب العربى المعاصـر سالم قنيبر ، دار مكتبة الاندلس - بنغازى - ليبيا . الطبعة الاولى - بيـروت ١٩٦٨م

٥. الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم : محمد حسين الذهبـى دار الاعتصام - الطبعة الاولى ١٣٩٦هـ .

٦. الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر : محمد محمد حسين ، مكتبـة الآداب بالجماميز ، الطبعة الثانية جـ ١ ١٣٨٢هـ جـ ٢ ١٣٨٨هـ .

٧. الاتقان فى علوم القرآن : جلال الدين السيوطى ، الناشر مصطفى الحلبـى بمصر - الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م

٨. الاحكام فى اصول الاحكام : ابى محمد على بن حزم الاندلسى الظاهـرى مكتبة الخانجى ، القاهره ، الطبعة الاولى ١٣٤٥هـ

٩. احياء علوم الدين : ابى حامد محمد بن محمد الغزالى ، مصطفى البابـى الحلبى بمصر - ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م

١٠. اخبار عمر واخبار بن عمر : على الطنطاوى وناجى الطنطاوى ، دار الفكـر بيروت ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م

١١. الادلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن الى اللغات الاجنبية : محمد فريـد وجدى ، الطبعة الاولى ربيع الاول سنة ١٣٥٥هـ

١٢. الازهر فى الف عام : محمد عبد المنعم خفاجى ، الطبعة الاولى بالقاهـره المطبعة المنيرية بالازهر ١٣٧٤هـ

١٣. اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامى : علـى محمد جريشه ومحمد الزيبـق دار الاعتصام الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ

١٤. الاسرائيليات : رمزى نعناعة ،دار القلم ،دمشق ودار الضياء ببيروت الطبعة الاولى ١٣٩٠هـ .

١٥. الاسرار المرفوعة فى الاخبار الموضوعة : ملا على القارى ،تحقيق محمد الصباغ ،١٣٩١هـ دار الامانة ومؤسسة الرسالة .

١٦. الاسلام دين الفطرة والحرية : عبد العزيز جاويش ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م .

١٧. الاسلام دين الهداية والاصلاح : محمد فريد وجدى ،مكتبة الكليات الازهرية ١٣٨٩هـ .

١٨. الاسلام عقيدة وشريعة : محمد شلتوت ،دار الشروق القاهرة ،بيروت .

١٩. الاسلام فى النظرية والتطبيق : المهدية مريم جميلة ،مكتبة الفلاح - الكويت ترجمة س . حمد ،الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ .

٢٠. الاسلام واصول الحكم : على عبد الرازق ،نقد وتعليق ممدوح حقى ،دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٨م .

٢١. الاسلام والتجديد فى مصر : تشارلز آدمز ،ترجمة عباس محمود ،لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ،القاهره - ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م .

٢٢. الاسلام والحضارة الغربية : محمد محمد حسين ،الطبعة الاولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م ،دار الارشاد - بيروت وايضا الطبعة الاولى ١٣٩٦هـ المكتب الاسلامى - بيروت .

٢٣. الاسلام والطب الحديث : عبد العزيز اسماعيل ،الطبعة الثانية ١٩٥٩هـ الشركة العربية للطباعة والنشر - بالقاهره .

٢٤. الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية : محمد عبده ،الطبعة السابعة ،دار المنار ١٣٦٧هـ .

٢٥. الاشاعة لاشراط الساعة : الشريف محمد بن رسول الحسينى ، الطبعة الاخيرة ،مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى بالقاهره .

٢٦. اضواء على السنة المحمدية : محمود ابو رية دار المعارف بمصر الطبعة الرابعة ١٩٧٦م .

٢٧ . الاضواء القرآنية فى اكتساح الاحاديث الاسرائيلية وتطهير البخارى منها : السيد صالح ابو بكر ،شركة مطابع محرم الصناعية ، ١٩٧٤م .

٢٨ . اطواق الذهب فى المواعظ والخطب : جار الله الزمخشرى ،مطبعة جمعية الفنون - بيروت ١٢٩٣هـ .

٢٩ . اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعى ،الطبعة الثامنة ١٣٨٦هـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٣٠ . الاعلام : خير الدين الزركلى ،الطبعة الثانية من سنة ١٣٧٣هـ - ١٣٧٨هـ

٣١ . اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين : شمس الدين محمد بن طولون الدمشقى مكتبة القدسى والبدير - دمشق ١٣٤٨هـ .

٣٢ . اعلام الموقعين عن رب العالمين : ابن قيم الجوزيه ،تقديم وتعليق طه عبد الروءوف سعد مكتبة الكليات الازهرية محرم ١٣٨٨هـ وايضا طبعة دار الكتب الحديثة تحقيق عبد الرحمن الوكيل .

٣٣ . الاعمال الكاملة للامام محمد عبده : جمع وتحقيق محمد عماره ،الموءسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الاولى ١٩٧٨م .

٣٤ . الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى : جمع وتحقيق محمد عماره ،الموءسسة المصرية العامة ،دار الكاتب العربى - القاهره .

٣٥ . افكار ضد الرصاص : محمود عوض ،٣٥٨ سلسلة اقرأ دار المعارف بمصر اكتوبر ١٩٧٢م .

٣٦ . الاكليل فى استنباط التنزيل : عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى ،دهلى المطبع الفاروقى ١٢٩٦هـ بهامش جامع البيان فى تفسير القرآن للايجى الصفوى .

٣٧ . اكمال اكمال المعلم (شرح صحيح مسلم) : لابى عبد الله محمد بن خلفه الوشتانى الابّى الطبعة الاولى سنة ١٣٢٧هـ ،مطبعة السعادة ،مصر .

٣٨ . الى القرآن الكريم : محمود شلتوت ،دار الشروق .

٣٩ . امالى المرتضى غرر الفوائد : للشريف المرتضى ، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ دار الكتاب العربى .

٤٠ . الامام محمد عبده : عباس محمود العقاد ،دار الكتاب العربى بيروت لبنان ١٩٧١م .

٤١ . الامام المراغى : انور الجندى ١١٥ من سلسلة اقرأ دار المعارف بمصر ١٩٥٢م .

٤٢ . انهاء السكن الى من يطالع اعلاء السنن : ظفر احمد التهانوى ، مطبعة سيراى فرير رود كراجى سنة ١٣٨٧هـ .

٤٣ . بحث فى ترجمة القرآن : محمد مصطفى المراغى ، مطبعة الرغائب ربيع الثانى ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م .

٤٤ . البحر المحيط : ابى حيان الاندلسى الغرناطى دار الفكر - بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ .

٤٥ . البداية والنهاية : ابو الفداء الحافظ ابن كثير ، مكتبة المعارف - بيروت الطبعة الاولى ١٩٦٦م .

٤٦ . البرهان فى علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى ، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ، الطبعة الاولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، دار احياء الكتب العربية عيسى الحلبى وشركاه .

٤٧ . بلايا بوزا العصرية : لم يذكر اسم المؤلف ولا الناشر ولا تاريخ الطبع ونسبة الدكتور محمد محمد حسين الى الاستاذ محمد الجنبيهى فى كتابه الاسلام والحضارة الغربية .

٤٨ . تاريخ الادب العربى : كارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، الطبعة الثالثة ١٩٧٤م ، دار المعارف بمصر .

٤٩ . تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده : محمد رشيد رضا ، الطبعة الاولى ، مطبعة المنار بمصر ، ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م .

٥٠ . التاريخ الاسلامى خلال ١٤ قرنا : ابراهيم الشريقى ، الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ شركة المدينة للطباعة والنشر ، جده .

٥١ . تاريخ بغداد : أبى بكر احمد بن على الخطيب البغدادى : المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٥٢ . تاريخ الخلفاء : جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى ادارة الطباعة المنيرية - الطبعة الاولى ١٣٥١هـ .

٥٣. التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر : الفريد سكاون بلنت ، تمهيد بقلم عبد القادر حمزة ، مطبعة البلاغ الاسبوعى .

٥٤. تاريخ الشعوب الاسلامية : كارل بروكلمان ، ترجمة نبيه فارس ، ومنير البعلبكى دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٧٧م.

٥٥. تاريخ الفرق الاسلامية : على مصطفى الغرابى ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ .

٥٦. تأويل مختلف الحديث : صححة محمد زهرى النجار ، دار الجيل بيروت ١٣٩٣هـ . تأليف : ابى محمد عبدالله ابن مسلم ابن قتيبه .

٥٧. تذكرة الحفاظ : ابو عبدالله شمس الدين الذهبى ، مطبعة مجلس ادارة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٧٥هـ الطبعة الثالثة .

٥٨. تراجم الاعلام المعاصرين فى العالم الاسلامى : انور الجندى ، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٠م.

٥٩. التصريح بما تواتر فى نزول المسيح : محمد انور شاه الكشميرى ، تحقيق شيخنا عبدالفتاح ابو غده ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب ١٣٨٥هـ .

٦٠. تعدد الزوجات : عبد الناصر توفيق العطار ، موسسة الرسالة - بيروت دار الشروق جده ١٣٦٦هـ .

٦١. تفسير ابن كثير القرشى : عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير تعليق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف ، تصحيح واشراف محمد الصديق الطبعة الاولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م ، مكتبة النهضة الحديثة ، بمصر .

٦٢. التفسير البيانى للقرآن الكريم : عائشة عبد الرحمن ، ٢٥ مكتبة الدراسات الادبية ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨م .

٦٣. تفسير جزء تبارك : عبدالقادر المغربى ، كتاب الشعب مصور عن طبعة المطبعة الاميرية عام ١٣٦٦هـ .

٦٤. تفسير جزء عم : محمد عبده ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، الازهر ١٣٨٧هـ

٦٥. تفسير سورة العصر : محمد عبده ، مطبعه المنار بمصر سنة ١٣٤٥هـ

٦٦. تفسير الطبرى : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر راجعه وخرج احاديثه احمد محمد شاكر سلسلة (تراث الاسلام) دار المعارف بمصر .

٦٧. تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن الكريم : السيد محمد رشيد رضا الطبعة الثانية ، دار المنار بمصر ١٣٦٧هـ .

٦٨. تفسير القرآن الكريم الاجزاء العشرة الاولى : محمود شلتوت ، دار الشروق ، الطبعة السادسة ١٣٩٤هـ .

٦٩. التفسير القيم للامام ابن القيم : جمع محمد اويس الندوى ، تحقيق محمد حامد الفقى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨هـ .

٧٠. التفسير الكبير : الفخر الرازى ، الطبعة الاولى الناشر عبد الرحمن محمد القاهره .

٧١. تفسير المراغى : احمد مصطفى المراغى الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .

٧٢. تفسير المنار : السيد محمد رشيد رضا الطبعة الرابعة ، دار المنار بمصر ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م .

٧٣. التفسير ورجاله : محمد الفاضل بن عاشور ، دار الكتب الشرقية - تونس الطبعة الثانية ١٩٧٢م .

٧٤. التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبى ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الاولى ١٣٨١هـ .

٧٥. تقريب التهذيب : احمد بن على بن حجر العسقلانى ، تحقيق وتعليق عبد الوهاب عبد اللطيف ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة . الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ وايضا طبعة المجتبائى الدهلوى ١٣٢٠هـ دهلى .

٧٦. تقييد العلم : للخطيب البغدادى ، الطبعة الثانية ، تحقيق يوسف العش بيروت - دار احياء السنة النبوية ١٣٩٥هـ .

٧٧. تنزيه القرآن عن المطاعن : عماد الدين ابى الحسن عبد الجبار بن احمد الهمدانى الشركة الشرقية والتوزيع دار النهضة الحديثة بيروت .

٧٨. تهذيب تاريخ بن عساكر : عبد القادر بن احمد بن بدران ، المكتبة العربية بدمشق ، الطبعة الاولى .

٧٩. تهذيب التهذيب : احمد بن على بن حجر العسقلانى ، دار الفكر بيروت مصوره عن الطبعة الاولى ، بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٢٥هـ .

٨٠. ثورة الاسلام : احمد زكى ابو شادى ، مكتبة الحياة ، بيروت.

٨١. جامع الاصول : ابى السعادات مبارك بن محمد بن الاثير الجزرى ، تصحيح محمد حامد الفقى ، الطبعة الاولى ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، وايضا طبعة اخرى تحقيق عبد القادر الارناؤط الناشر مكتبة الحلوانى ومطبعة الفلاح ودار البيان ١٣٨٩هـ .

٨٢. جامع بيان العلم وفضله : ابى عمر يوسف ابن عبد البر القرطبى ، تقديم عبد الكريم الخطيب ، مراجعة عبد الرحمن حسن محمود ، دار الكتب الحديثة ، القاهره وايضا الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان .

٨٣. جمال الدين الافغانى : عبد الرحمن الرافعى ، ٦١ سلسلة اعلام العرب دار الكاتب العربى .

٨٤. جمال الدين الافغانى ذكريات واحاديث : عبد القادر المغربى ، سلسلة اقرأ العدد (٦٨) الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر .

٨٥. جمال الدين الافغانى ، محمود ابو ريه ، دار المعارف الطبعة الثانية ، ٢٩ من سلسلة نوابغ الفكر العربى .

٨٦. الجواهر فى تفسير القرآن الكريم : طنطاوى جوهرى ، انتشارات آفتاب تهران .

٨٧. حاضر العالم الاسلامى : لوثروب ستودارد ، ترجمة عجاج نويهض زيادات وتعليقات شكيب ارسلان ، الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ ١٩٧٣م . دار الفكر بيروت .

٨٨. الحاوى للفتاوى : جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد الطبعة الثالثة ١٣٧٨هـ المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

٨٩ . الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار : محمد عطيه خميس ، دار الانصار ، القاهره .

٩٠ . حكم هيئة كبار العلماء في كتاب الاسلام واصول الحكم ، المطبعة السلفية ومكتبتها . الطبعة الثانية ، ١٣٤٤هـ .

٩١ . حياة محمد : محمد حسين هيكل ، الطبعة الثانية عشره ١٩٧٤م ، دار المعارف بمصر .

٩٢ . الحيوان : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ القاهره ، الطبعة الثانية تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى الحلبي ١٩٤٥م .

٩٣ . خاطرات جمال الدين الافغاني الحسيني : محمد المخزومي ، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ، دار الفكر الحديث ، لبنان .

٩٤ . خصائص التصور الاسلامي ومقوماته : سيد قطب ، الطبعة الثانية ١٩٦٥م دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .

٩٥ . الخطر اليهودي : بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة وتحليل محمد خليفة التونسي ، الطبعة الرابعة ، دار الكتاب العربي - بيروت .

٩٦ . الخطط المقريزية المسماة ب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار) تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر المعروف بالمقريزي الناشر الشيخ احمد المليجي الكتبي بمصر مطبعة النيل بمصر ١٣٢٦هـ .

٩٧ . الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون ، انور الجندي ، دار الاعتصام ٢ - سلسلة في دائرة الضوء .

٩٨ . دائرة معارف القرن العشرون : محمد فريد وجدي المكتبة العلمية الحديثة بيروت .

٩٩ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي الناشر محمد امين دمج ، بيروت مؤسسة الرسالة .

١٠٠ . الدروس الدينية لعام ١٣٥٦هـ : محمد مصطفى المراغي ، مطبعة الازهر .

١٠١ . الدروس الدينية لعام ١٣٥٧هـ : محمد مصطفى المراغي ، مطبعة الازهر ١٩٣٩م .

١٠٢. الدكتور محمد حسين هيكل : طه عمران وادى ،مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٩م.

١٠٣. دين الله واحد على السنة جميع الرسل : محمود ابو ريه ،عالم الكتب،القاهره الطبعة الثانية .

١٠٤. ذيل الملل والنحل : محمد سيد كيلانى ضمن كتاب ، الملل والنحل لمحمد الشهرستانى ،تحقيق محمد سيد كيلانى ،الناشر مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ١٣٨٧هـ .

١٠٥. الرائية الصغرى : ضمن كتاب العقود اللوءلوءية فى المدائح المحمدية وكلاهما ليوسف بن اسماعيل البهانى ، ١٣٢٩هـ .

١٠٦. رحلات رشيد رضا : جمع وتحقيق يوسف ايبش ،الموءسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت الطبعة الاولى جزيران ١٩٧١م.

١٠٧. الرسالة : محمد بن ادريس الشافعى ،تحقيق احمد محمد شاكر .

١٠٨. رسالة التوحيد : محمد عبده تصحيح محمد رشيد رضا ،الطبعة الحادية عشره سنة ١٣٦٥هـ دار المنار بمصر ،ايضا الطبعة الاولى بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١٥هـ .

١٠٩. رسالة الرد على الدهريين : جمال الدين الافغانى ،تحقيق محمود ابو ريه ،دار الكرنك القاهرة ، مكتبة العقائد .

١١٠. رشيد رضا : ابراهيم احمد العدوى ، ٣٣ من سلسلة اعلام العرب الموءسسة المصرية العامة .

١١١. رشيد رضا صاحب المنار : احمد الشرباصى ،المجلس الاعلى للشئون الاسلامية الكتاب ٥٨ سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .

١١٢. رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : محمد عبد الله السلمان اشراف الدكتور محمد محمود السروجى والشيخ عبد الله يوسف الشبل رسالة مقدمه لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية للحصول على الماجستير فى التاريخ الاسلامى الحديث للعام الدراسى الجامعى ٩٨/١٣٩٩هـ مسحوبه بالاستنسل .

١١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لابى الفضل شهاب الدين محمود الالوسى ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ .

١١٤. الروحية الحديثة دعوه هدامة : محمد محمد حسين ، دار الارشاد ، بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م بيروت .

١١٥. روضة الناظر وجنة المناظر : موفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامه المقدسى ١٣٨٩هـ ، مطابع الجزيرة - الرياض .

١١٦. زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، احمد امين ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٩م الطبعة الرابعة .

١١٧. السر المصون فى شيعة الفرماسون : للاب لويس شيخو ، دار البصرى ببغداد ١٣٨٦هـ .

١١٨. سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة : محمد ناصر الدين الالبانى ، الطبعة الاولى ١٣٧٩هـ مطابع دار الفكر بدمشق وايضا الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ المكتب الاسلامى بيروت ودمشق .

١١٩. سنن ابى داود : ابى داود سليمان ابن الاشعث السجستانى ، مراجعة وضبط وتعليق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار احياء السنة النبوية .

١٢٠. سنن الدرامى : دار الفكر ، القاهره ١٣٩٨هـ ، وايضا طبعة دار احياء السنة النبوية .

١٢١. سنن المصطفى : ابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجه ، دار الفكر بيروت بحاشية ابى الحسن السندى ، الطبعة الثانية .

١٢٢. السنة قبل التدوين ، محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، القاهره ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١هـ .

١٢٣. السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى : مصطفى السباعى ، المكتب الاسلامى بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ .

١٢٤. السيد رشيد رضا أو اخاء اربعين سنه : شكيب ارسلان ، دمشق مطبعة ابن زيدون ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م

١٢٥. شبهات النصارى وحجج الاسلام : محمد رشيد رضا ،الطبعة الثانيـــــه دار المنار ،القاهره ١٣٦٧هـ .

١٢٦. شبهات وردود حول العقيدة الربانية : واصل الانسان ،عبدالله علـــوان دار السلام بيروت حلب ٧ سلسلة بحوث اسلامية هامة ،الطبعة الثالــــثة ١٣٩٨هـ .

١٢٧. شرح العقيدة الطحاوية : صدر الدين على بن على بن محمد بن ابى القعـــز الحنفى ،تحقيق احمد محمد شاكر ،مكتبة الرياض الحديثة ،الرياض وايضـــا طبعة المكتب الاسلامى ،بيروت الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ بتحقيق جماعـــة من العلماء ،وخرج احاديثها محمد ناصر الدين الالبانى .

١٢٨. شرح الكوكب المنير : محمد بن شهاب الدين احمد الفتوحى : تحقيـــق محمد حامد الفقى ،طبع لاول مره ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م مطبعة السنة المحمدية القاهره .

١٢٩. الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (صلى الله عليه وسلم) : ابى الفضل عياض بن موسى اليحصبى الاندلسى الطبعة الاخيرة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ،مصطفــى البابى الحلبى واولاده بمصر .

١٣٠. الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين : تحقيق وتقديم سليمان دنيـــا دار احياء الكتب العربية ،الطبعة الاولى ١٩٥٨م - ١٣٧٧هـ .

١٣١. الشيخ المراغى باقلام الكتاب : جمع ابو الوفا المراغى ،المطبعة المنيرية بالازهر الطبعة الاولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م .

١٣٢. الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الانجليزى : سامى عزيز ،دار الكتاب العربى ،بالقاهره ١٣٨٨هـ .

١٣٣. صحيح البخارى : مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ،الازهر مصر .

١٣٤. صحيح مسلم بشرح النووى : دار الفكر - بيروت ،الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

١٣٥. ضحى الاسلام : احمد امين ،الطبعة العاشرة دار الكتاب العربى ،بيروت .

١٣٦. الطبقات الكبرى : ابو عبدالله محمد بن سعد ،مطبعة بريل ١٣٣٢ ليدن وايضا دار بيروت دار صادر ،بيروت ١٣٧٧هـ .

١٢٧. عبد العزيز جاويش : انور الجندى ، ٤٤ من سلسلة اعلام العرب ، المؤسسة المصرية العامة .

١٣٨. العجالة السنية على الفية السيرة النبوية : عبد الرزاق المناوى ، تصحيح وتعليق اسماعيل الانصارى ، الطبعة الاولى من مطبوعات دار الافتاء بالمملكة العربية السعودية ، مؤسسة النور الرياض .

١٣٩. العروة الوثقى : جمال الدين الافغانى و محمد عبده ، دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م .

١٤٠. العقود اللؤلؤية فى المدائح المحمدية : يوسف النبهانى ١٣٢٩هـ .

١٤١. على اطلال المذهب المادى : محمد فريد وجدى ، الطبعة الثانية مطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر سنة ١٩٣١م .

١٤٢. عمدة القارى شرح صحيح البخارى : محمود احمد العينى ، دار الفكر بيروت .

١٤٣. فاتحة الكتاب : محمد عبده ، الطبعة الثانية ، كتاب التحرير ، القاهره ١٣٨٢هـ .

١٤٤. الفتاوى : محمود شلتوت ، دار الشروق ، القاهره ، بيروت الطبعة التاسعه ١٣٩٨هـ .

١٤٥. فتح البارى بشرح صحيح البخارى : احمد بن على بن حجر العسقلانى تصحيح عبد العزيز بن باز ، ترقيم محمد عبد الباقى ، اخراج محب الدين الخطيب ، دار الفكر .

١٤٦. فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن على بن محمد الشوكانى ، مصطفى البابى الحلبى واولاده ، بمصر الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

١٤٧. الفتح المبين فى طبقات الاصوليين : عبدالله مصطفى المراغى ، الناشر محمد امين دمج ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ .

١٤٨. الفتن والملاحم : عماد الدين بن كثير ، تصحيح وتعليق اسماعيل الانصارى الطبعة الاولى ، موسسة النور ، بالرياض ١٣٨٨هـ .

١٤٩. فجر الاسلام : احمد امين ، دار الكتاب العربى ، بيروت الطبعة العاشره ١٩٦٩م .

١٥٠. الفصل فى الملل والاهواء والنحل : ابو محمد على بن احمد بن حزم الظاهرى ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ - دار المعرفة ، بيروت .

١٥١. فضائل القرآن الكريم : عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن كثير دار الاندلس بيروت .

١٥٢. الفكر الاسلامى بين الامس واليوم : محجوب بن ميلاد ، الشركه القومية للنشر والتوزيع ، تونس .

١٥٣. الفكر الاسلامى المعاصر : غازى التوبه ، الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ .

١٥٤. الفكر الدينى فى مواجهة العصر : عفت محمد الشرقاوى ، مكتبة الشباب بمصر .

١٥٥. الفلسفة القرآنية : عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٦م .

١٥٦. الفن القصصى فى القرآن الكريم : محمد احمد خلف الله ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهره .

١٥٧. فى سبل السنة الاسلامية : محجوب بن ميلاد ، دار بو سلامه ، ١٩٦٢م تونس .

١٥٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير : عبد الروف المناوى ، الطبعة الاولى ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م ، المكتبة التجارية الكبرى ، بمصر .

١٥٩. فى ظلال القرآن : سيد قطب ، دار احياء الكتب العربية .

١٦٠. قادة الغرب يقولون دمروا الاسلام ابيدوا اهله : جلال العالم ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ .

١٦١. القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ، موسسة الحلبى وشركاه ، القاهره .

١٦٢. القرآن ومشكلات حياتنا المعاصره : محمد احمد خلف الله ١٩٦٧م ،مكتبة الانجلو المصرية ،القاهره .

١٦٣. قواعد النهج السلفى : مصطفى حلمى ،دار الانصار ،القاهره ،الطبعة الاولى ١٣٩٦هـ .

١٦٤. القول المفيد فى ادلة الاجتهاد والتقليد : محمد بن على الشوكانى محرم سنة ١٣٤٧هـ ،مصطفى البابى الحلبى واولاده - بمصر ،وايضا الطبعة الاولى ١٣٩٦هـ دار القلم - الكويت تحقيق عبد الرحمن عبد الخالق .

١٦٥. كبرى اليقينيات الكونية : محمد سعيد رمضان البوطى : الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ دار الفكر .

١٦٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل : جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ،دار الكتاب العربى بيروت ١٣٦٦هـ وايضا طبعة انتشارات آفتاب بدون تاريخ .

١٦٧. الكواشف الجلية عن معانى الواسطية : عبد العزيز المحمد السلمان ،الطبعة الثانية ،١٣٩٠هـ ،مطبعة السعادة ،القاهره .

١٦٨. الكاف الشاف فى تخريج احاديث الكشاف : ضمن تفسير الكشاف ،طبعة انتشارات آفتاب .

١٦٩. لماذ اغتيل الشهيد حسن البنا : عبد المتعال الجبرى ،دار الاعتصام الطبعة الاولى ١٣٩٧هـ .

١٧٠. لمحات فى علوم القرآن محمد الصباغ : المكتب الاسلامى بيروت ١٣٩٤هـ .

١٧١. لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية : محمد بن احمد السفارينى طبع على نفقة على آل ثانى حاكم قطر .

١٧٢. الماسونية : احمد عبد الغفور عطار : ،المكتبة العصرية صيدا ،بيروت الطبعة الاولى ١٣٩٤هـ .

١٧٣. الماسونية بلا قناع : ابو صادق ،دار البصرى ١٩٦٧م ،بغداد

١٧٤. مجالى الاسلام : حيد ربامات ،ترجمة عادل زعيتر ،دار احياء الكتب العربية بالقاهره ١٩٥٦م.

١٧٥. المجددون فى الاسلام : عبد المتعال الصعيدى ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .

١٧٦. مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية : جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، مطابع الرياض ، الطبعة الاولى ، ١٣٨١هـ .

١٧٧. محاضرات عن عبد القادر المغربى : محمد اسعد طلس ، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٨م .

١٧٨. محمد فريد وجدى : انور الجندى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م

١٧٩. مختار الصحاح : محمد بن ابى بكر بن عبد القادر الرازى ، دار الكتاب العربى بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٧م .

١٨٠. مختصر صحيح مسلم : للحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى ، تحقيق محمد ناصر الدين الالبانى ، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ ، المكتب الاسلامى دمشق ، بيروت .

١٨١. المدرسة العقلية الحديثة فى ضوء العقيدة : ناصر عبد الكريم العقل ، اشراف الدكتور عبد الرحمن عميره ، رسالة مقدمه لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية للحصول على الماجستير فى العقيدة والمذاهب المعاصره للعام الجامعى ١٣٩٦هـ ، مسحوبة بالاستنسل .

١٨٢. المدينة والاسلام : محمد فريد وجدى ، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٣م ، المكتبة التجارية الكبرى ، بمصر .

١٨٣. مذاهب التفسير الاسلامى : جولد تسهير ، ترجمة عبد الحليم النجار القاهره ، مكتبة الخانجى ١٩٥٥م .

١٨٤. مذكرات السلطان عبد الحميد : ترجمة وتقديم محمد حرب عبد الحميد دار الانصار ، القاهره ، ١٩٧٨م .

١٨٥. مسند الامام احمد بن حنبل : المكتب الاسلامى ، دار صادر بيروت ، مصوره عن طبعة المطبعة الميمنية جمادى الثانى ١٣١٣هـ وايضا مسند احمد تحقيق احمد شاكر طبعة دار المعارف بمصر ١٣٧٠هـ .

١٨٦ . المصباح المنير : احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، تصحيح مصطفى السقا مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٦٩هـ .

١٨٧ . المصحف المفسر : محمد فريد وجدي ، كتاب الشعب .

١٨٨ . المصنوع في معرفة الحديث الموضوع : علي القاري الهروي ، تحقيق شيخنا عبد الفتاح ابوغده ، مكتب المطبوعات الاسلامية ، حلب الطبعة الاولى ١٣٨٩هـ وايضا الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ مؤسسة الرسالة - بيروت .

١٨٩ . معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الاصول في التوحيد : حافظ بن احمد الحكمي ، المطبعة السلفية ، ومكتبتها .

١٩٠ . معالم الشريعة الاسلامية : صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الاولى ١٩٧٥م .

١٩١ . معالم في الطريق : سيد قطب ، الطبعة الثالثة ١٣٨٦هـ .

١٩٢ . معجزة القرآن : محمد متولي الشعراوي ، الطبعة الاولى ١٣٩٨هـ ، المختار الاسلامي القاهره .

١٩٣ . المعجزة الكبرى القرآن : محمد ابو زهره ، دار الفكر العربي .

١٩٤ . مع المفسرين والكتاب : احمد محمد جمال ، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ ، دار الفكر - بيروت .

١٩٥ . المغني : ابي محمد عبدالله بن احمد بن محمد بن قدامه : تصحيح محمد سالم محيسن والشيخ شعبان اسماعيل ، مكتبة الجمهورية بمصر ، ومكتبة الرياض الحديثة بالرياض .

١٩٦ . المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار : زين الدين ابي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي ، ضمن احياء علوم الدين للغزالي ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

١٩٧ . المغني في الضعفاء : شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي تحقيق نور الدين عتر .

١٩٨ . مفكرون وادباء : انور الجندى ، دار الارشاد بيروت الطبعة الاولى .

١٩٩ . المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة : محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٩هـ تصحيح وتعليق عبدالله محمد الصديق تقديم عبد الوهاب عبد اللطيف .

٢٠٠ . مقالات الاسلاميين : ابى الحسن على بن اسماعيل الاشعرى ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ، مكتبة النهضة المصرية وايضا طبعة استانبول دولت مطبعة سى ١٩٢٨م .

٢٠١ . مقالات الكوثرى : محمد زاهد الكوثرى ، مطبعة الانوار بالقاهره .

٢٠٢ . مقدمة بن خلدون : الطبعة الثالثة ، دار احياء التراث العربى بيروت .

٢٠٣ . مقدمة المصحف المفسر : محمد فريد وجدى ، تحقيق ابراهيم على سالم كتاب الشعب .

٢٠٤ . الملل والنحل : ابى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ، تحقيق محمد سيد لكيلانى ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ١٣٨٧هـ .

٢٠٥ . المنار المنيف فى الصحيح والضعيف : ابن قيم الجوزيه ، تحقيق شيخنا عبد الفتاح ابو غده ، مكتب المطبوعات الاسلامية - حلب ، الطبعة الاولى ١٣٩٠هـ .

٢٠٦ . المنار والازهر : محمد رشيد رضا ، مطبعة المنار القاهره ١٣٥٢هـ .

٢٠٧ . مناهل العرفان فى علوم القرآن : محمد عبد العظيم الزرقانى ، دار احياء الكتب العربية ، القاهره .

٢٠٨ . منهج الامام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم : عبدالله محمود شحاته المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (٤٤) نشر الرسائل الجامعية ، (٢) القاهره ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

٢٠٩ . منهج التربية الاسلامية : محمد قطب ، الطبعة الثانية ، دار دمشق .

٢١٠ . الموافقات فى اصول الشريعة : لابى اسحاق الشاطبى ، دار المعرفة بيروت ، بشرح عبدالله دراز وضبط وترقيم محمد عبدالله دراز .

٢١١ . موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين : مصطفى صبرى ، المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ . ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

٢١٢ . ميزان الاعتدال فى نقد الرجال : ابى عبدالله محمد بن احمد الذهبى تحقيق على محمد البجاوى ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

٢١٣ . نابغة الشرق السيد جمال الدين الافغانى : سعيد الافغانى ، دار الكاتب العربى القاهره ١٩٦٧م - ١٣٨٦هـ .

٢١٤ . نحو منهج لتفسير القرآن : محمد الصادق عرجون ، الدار السعودية للنشر جده ، الطبعة الاولى ١٣٩٢هـ .

٢١٥ . نداء للجنس اللطيف : محمد رشيد رضا ، الطبعة الثانية ، ١٣٦٧هـ دار المنار القاهره .

٢١٦ . النظرات : مصطفى لطفى المنفلوطى .

٢١٧ . نظرة عابره فى مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام : محمد زاهد الكوثرى ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م .

٢١٨ . نظرية التطور بين العلم والدين : على احمد الشحات ، مؤسسة الخانجى القاهره .

٢١٩ . نظم المتناثر فى الحديث المتواتر : ابى عبدالله محمد الكتانى ، المطبعة المولوية ، بفاس العليا سنة ١٣٢٨هـ .

٢٢٠ . نوادر الاصول فى معرفة احاديث الرسول : ابى عبدالله محمد الحكيم الترمذى دار صادر ، بيروت .

٢٢١ . النهر الماد من البحر : ابى حيان الاندلسى الغرناطى ، على هامش البحر المحيط دار الفكر بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ .

٢٢٢ . الوحدة الاسلامية والاخوة الدينية : محمد رشيد رضا ، الطبعة الثالثة ١٣٦٧هـ ، دار المنار ، القاهره .

٢٢٣ . الوحده الموضوعية فى القرآن الكريم : محمد محمود حجازى ، ١٣٩٠هـ دار الكتب الحديثة ، القاهره .

٢٢٤ . الوحي المحمدي : محمد رشيد رضا ، الطبعة الثالثة ١٣٥٤هـ مطبعة المنار بمصر .

٢٢٥ . وفيات الاعيان : ابن خلكان ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية .

٢٢٦ . الوهابيون والحجاز : محمد رشيد رضا ، الطبعة الاولى سنة ١٣٤٤هـ مطبعه المنار بمصر .

٢٢٧ . هذا هو الاسلام : فاروق الدملوجي ، دار الكتاب الجديد ، الطبعة الثانية ١٩٦٨م

٢٢٨ . هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الاربعة : محمد سلطان المعصومي الخجندي المكي ، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ - ١٩٧٠م .

٢٢٩ . اليقظة الاسلامية في مواجهة الاستعمار : انور الجندي ، الطبعة الاولى ١٣٦٨هـ دار الاعتصام ، القاهره .

٢٣٠ . باللغة الانجليزية :
Modern Egypt , by the Earl of Cromer
, u ol II pub MacmillanAnd Co.- Limited, London 1908

باللغة الفارسية
٢٣١ . مجموعة اسناد ومدارك جاب نشده : درباره ، سيد جمال الدين ، مشهوربه افغاني ، جمع آوري وتنظيم : اصغر مهدوي ـ ايرج افشار ١٣٤٢هـ جا بخانه دانشگاه تهران ، وقد نقلناعنه الوثائق التي في الرسالة كلها .

المجلات :

١. التمدن الاسلامى بدمشق

٢. العربى الكويتية

٣. مجلة المجتمع العلمى العربى بدمشق

٤. مجلة المنار ،القاهره

٥. مجلة الهلال ،القاهره

٦. اضواء الشريعة ،كلية الشريعة ،جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ،الرياض

٧. مجلة الازهر ،القاهره

٨. مجلة الرسالة ،القاهره

٩. جريدة الاهرام المصرية

١٠. مجلة الوعى الاسلامى ،الكويت

١١. مجلة المقتطف ،مصر

١٢. مجلة صباح الخير ،مصر

١٣. مجلة رسالة الطالب المسلم جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ،الرياض

١٤. مجلة المجتمع الكويتية

١٥. مجلة الجمهور اللبنانية

١٦. مجلة الفكر الاسلامى ،بيروت

الدليـــل

الدليـــل :

الموضـــــوع	الصفحـــه
المقدمـــه	١
التمهيـــد	١٠
المراحل التى مر بها التفسير ومزايا كل مرحله	١٤
نشأة التفسير بالرأى	٢٤
وظيفة العقل فى الاسلام	٢٥
مجال العقل فى الاسلام	٣١
نشأة الفرق العقلية	٣٣
المدرسة العقلية القديمة	٣٦
اصولهـــا	٣٧
ينبوع المعرفة عند المعتزلة	٤٢
منهجهم فى تفسير القرآن الكريم	٤٤
اصول المدرسة العقلية القديمة	٥٤
نشأة المدرسة العقلية الحديثة	٥٥
الباب الاول : رجال المدرسة :	
الى من اقدم تاريخ وتراجم هؤلاء الرجال ؟	٥٨
أولا : جمال الدين الافغانى	
اسمه	٥٩
مولده	٦٠
فى افغانستان	٦٠
رحلاته	٦١
نشاطه العلمى	٦٥
مؤلفاته	٦٧
تفسيره	٦٨
نشاطه السياسى	٧٢

نشاطه الصحفى ٧٥

نشاطه الماسونى ٧٦

وفاته ٨٦

حقيقته والمآخذ عليه ٨٧

ثانيا : محمد عبده :

اسمه ونسبه ١٠٠

مولده ونشأته ١٠٠

المصلح المعلم ١٠٢

المصلح السياسى ١٠٨

المصلح الصحفى ١١٠

المصلح والتقريب بين الاديان ١١١

المصلح القاضى ١١٦

المصلح الاجتماعى ١١٦

تفسيره ١١٧

مؤلفاته ١١٨

اهدافه وآراؤه ١٢٠

ما يؤخذ عليه ١٢٢

ثالثا : السيد محمد رشيد رضا :

اسمه ونسبه ١٤٢

مولده ونشأته ١٤٤

مع الغزالى ١٤٤

الامر بالمعروف ١٤٥

العروة الوثقى ١٤٥

مع الافغانى وعبده ١٤٥

رحلته الى مصر ، اللقاء ، درس التفسير ١٤٦

منهجه فى التفسير ١٤٧

جريدة المنار ١٤٧

الاصلاح، البدع ١٤٨

معهد الدعوة والارشاد ١٤٩

اصلاح الازهر ١٤٩

مطبعة المنار ١٥٠

فى السياسة ١٥٠

مؤلفاته ١٥١

سلفيته ١٥٢

رابعا : محمد مصطفى المراغى :

نشأته ، فى القضاء ١٥٧

شيخ الازهر ١٥٨

اعماله ١٥٩

تفسيره ... منهجه فى التفسير ١٦٠

مؤلفاته ١٦١

وفاته ١٦٢

خامسا : محمد فريد وجدى ١٦٢

سادسا : محمود شلتوت ١٦٥

سابعا : عبد العزيز جاويش ١٦٧

ثامنا : عبد القادر المغربى ١٦٩

تاسعا : احمد مصطفى المراغى ١٦٩

الباب الثانى : منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير: ١٧٢

الاساس الاول : الوحدة الموضوعية فى السورة القرآنية .. ١٧٧

الاساس الثانى : الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم .. ١٨٥

الاساس الثالث: الشمول فى القرآن الكريم ١٩٤

الاساس الرابع: القرآن هو المصدر الاول للتشريع .. ١٦٨

الاساس الخامس : ترك الاطناب فيما ورد مبهما فى القرآن الكريم ٢٠٤

الاساس السادس: التفسير العلمي الحديث ٢١٠

الاساس السابع: المنهج العقلي في التفسير ٢٣٠

الاساس الثامن: التحذير من التفسير بالاسرائيليات .. ٢٥٧

الاساس التاسع: التقليل من شأن التفسير بالمأثور ... ٢٧٦

الاساس العاشر: انكار التقليد وذمة والتحذير منه ... ٢٩٧

الاساس الحادي عشر: الاصلاح الاجتماعي ٣٢٢

الباب الثالث: آراء المدرسة العقلية الحديثة في بعض علوم القرآن:

ترجمة القرآن الكريم ٣٤٩

القصة في القرآن الكريم ٣٧٧

اعجاز القرآن الكريم ٣٩٨

الباب الرابع: موقف المدرسة العقلية الحديثة من قضايا قرآنية:

أولا: الوحي ٤٠٦

ثانيا: عقيدة البعث وامارات الساعة ٤٣٦

ثالثا: القضاء والقدر ٤٥٥

رابعا: المعجزات ٤٦٥

خامسا: اصل الانسان ٥١٢

سادسا: الملائكة ٥٢٩

سابعا: الجن ٥٤٣

قول جامع في امر الملائكة والانس والجن والشياطين ٥٥٧

الباب الخامس: تأويل المدرسة العقلية الحديثة لآيات من القرآن الكريم

أولا: قوله تعالى "ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ٥٦٠

ثانيا: قوله تعالى "قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون" .. ٥٦٩

ثالثا : قوله تعالى "وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ،او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا ٥٧٤

رابعا : قوله تعالى "وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء احد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا" ٥٨٨

خامسا : قوله تعالى "وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما" ٦٠١

سادسا : قوله تعالى "وفرعون ذى الاوتاد" ٦١٦

سابعا : قوله تعالى "وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل" ٦٢٠

الباب السادس: اثر المدرسة العقلية الحديثة فى الفكر الاسلامى الحديث وموقف علماء المسلمين والمستشرقين ،منها .

أولا : اثرها فى الفكر الاسلامى الحديث ٦٣٠

أ - فى التفسير للقرآن الكريم ٦٣٠

ب - فى القصة القرآنية ٦٣٥

جـ - فى السنة النبوية ٦٣٩

د - فى الفقه ٦٤٨

هـ - فى السياسة ٦٥٤

و - فى الاجتماع والاسرة ٦٥٩

ز - فى السيرة النبوية ٦٦٥

ثانيا : موقف علماء المسلمين منهم ٦٧٣

أ - المعاصرين لهم ٦٧٤

ب - من بعدهم ٦٨٣

ثالثا : موقف الاستعمار البريطانى منهم واعترافه بما قدموه له من خدمات .. ٦٩٣

ترحيب المستشرقين بالمدرسة ونتائجها ٦٩٥

رابعا : النتيجة ٦٩٨

الخاتمه ٧٠٢

المصادر ٧٠٤

دليل الوثائق المصوره :

الصفحة

١ . خطاب من جمال الدين الافغانى الى احدى الشخصيات يشكو اليه الامـر بنفيه من مصر ووصفه بانه كان رئيسا على مجمع قد وضع اساسه على فساد الديـن والدنيا ٦٣

٢ . خطاب من الافغانى "جمال الدين الكابلى" الى ارباب المجمع الماسونى يطلب فيها ان يمنوا عليه ويفضلوا اليه بقبوله فى ذلك المجمع ٧٩

٣ . خطاب من لوج كوكب الشرق الى جمال الدين يخبره بانتخابه الافغانى رئيسا للوج ٨٠

٤، ٥ . خطاب من لوج باريس الى جمال الدين الكابلى يطلب منه تحديد موعـد جديد لاجراء امتحان حرّله لانضمامه الى لوج باريس ٨٢-٨٣

٦ . خطاب من غانا بلونت الى جمال الدين الحسينى "الافغانى" تخبره بما تـم بينها وبين الحكومة البريطانية فى بعض القضايا وتطلب توجيهاته ٩٤

٧ . خطاب آخر من غانا بلونت الى جمال الدين تخبره بموعد مقابلته لملكوم خان ... ٩٥

٨ . خطاب آخر من غانا بلونت الى جمال الدين تخبره بجواب وزراء الحكومـة البريطانية فى مسألة مصر ومسألة السودان وتطلب منه ان يشير عليها بما ينبغـى ان يفعل فى الأمر ٩٧

٩، ١٠، ١١، ١٢ . خطاب من ابراهيم اللقانى الى جمال الدين الافغانى وفيـه عبارات خطيره والفاظ منحرفة ٩٨

١٣، ١٤، ١٥، ١٦ . خطاب من محمد عبده الى جمال الدين الافغانى وهو ملئ بالعبارات التى توجب اعادة النظر فى عقيدة قائلها ١٢٨-١٣١

١٧، ١٨، ١٩ . خطاب آخر من محمد عبده الى جمال الدين الافغانى وهو ايضا ملئ بالعبارات الخطيره المنحرفة الضالة عن جادة العقيدة الاسلامية ١٣٤-١٣٦

التصويب

ص	س	خطأ	صواب
٣	السطر الاخير	أياها	إياها
٣	٥ ف	الكفار المشركين	الكفار والمشركين
٥	٤ ف	ان فى منهجهم	ان منهجهم
٧	٨	سلكته	سلكته
١١	٤	وأتخذ وه	واتخذ وه
١١	٨	وأشتعلت	وإشتعلت
١٦	١٣	مد رستين	مد رسته
١٨	٩ر١٠	بل بل	بل
١٩	هـ (١)	ص ٣٧٢	١٧٣
٢٨	هـ (١)	سور	تحذف الكلمة
٢٨	هـ (٩) س ٢	بمعنا	بمعناه
٢٩	هـ (٢) س ٤	واعتراله	واعتزاله
٣١	هـ (٣) س ٢	بن مجر	بن حجر
٣٦	٩	يرجئون الكبائر	يرجئون اصحاب الكبائر
٣٧	هـ (١)	للخيطا	للخياط
٣٨	١٤	المبصر	المتبصر
٣٨	١٦	امور	أمورا
٣٩	٤	وأما الشرفى الآخره	وأما الشر
٣٩	٤ف	وقال	فقالوا
٣٩	٣ ف	خير	خيرٌ

ص = صفحه　　　س = سطر

هـ = هامش　　　ف = من اسفل

٤٥	الاخير	كلمّ ف	كلّم
٤٨	٦ ف	النزله	المنزله
٤٩	١٥	نصوا	نصبوا
٥٥	١٢	وخطرت	وحظرت
٥٩	٥ هـ	المخرومى	المخزومى
٥٩	١٣	الحسين على	الحسين بن على
٥٩	١٤	طالبّ	طالب
٦١	٢ هـ	العروه النثقى	العروة الوثقى
٦٤	٥	كلكنا	كلكتا
٦٨	٥	لم	ما لم
٧١	٧	جد . . جد . . جد	جهدّ . . جدّ . . جدّ
٧١	٩	قيد	قيدّ
٧٢	٥ هـ	الفضانى	الافغانى
٧٣	٦	ينشرها	ينشدها
٧٥	١٣	ألقاء	إلقاء
٨٤	٢ ف	لهد	لهدم
١٠٥	٣	كروم	كرومر
١١١	١٤	الصيونية	الصهيونية
١١١	١٩	ينتسب	تنتسب
١١٢	٢	العمانية	العلمانية
١١٣	٤ هـ	غاذ زى	غازى
١١٤	٢ ف	لبنات	لبنان

١٢٢	١	وساعته	وسائته
١٤٤	٩ ف	أخرون	آخرون
١٤٦	١١	وفي صحوه	وفى نحوه
١٥٢	٩	د ور	د وار
١٥٨	٥ ف	اصول الد ين	واصول الد ين
١٥٩	٦ هـ	تراجمع	تراجم
١٥٩	٥ ف	أشر	شر
١٦٠	٥ هـ	(٥)	(٦)
١٦٠	٦ هـ	(٦)	(٥)
١٧٤	هـ آخر هامش	يزاد عليه	(وتفسير المراغي جـ ١ ص: ١٣
١٨٠	١٣	أماما سبقت	أماما سيقت
١٨٥	١ هـ	السمط .. حمل	السِّمْط .. حِمْل
١٩٦	٢ هـ	المنار	تفسير المنار
١٩٦	٨ ف	والمذكبين	والمكذبين
٢٠٢	٦ و ٧	المبين	المبيِّن .. المبيَّن
٢١٣	٢ ف	بن سعود	بن مسعود
٢١٦	١٣ و ١٤	فى المعارضة أم كانوا	وشاهد ما بين الخصمين شأن السلف الصالح فى تلك العلوم هل كانوا آخذين فيها ؟ أم كانوا
٢١٩	٧ ف	تبعا	تبعات
٢٢٦	٤ ف	توفيق	نوفل
٢٢٨	٣ ف	متعابعة	متابعه

٢٣١	٥ ف	وإن الذين	إن الذين
٢٣٢	٢ ف	قبل أن	قبل أن انتقل
٢٤٥	هـ ٣	المعجز	المعجزه
٢٤٧	٨	مما	ممن
٢٤٧	الاخير	رضها	رضا
٢٥٢	الاول	كفى أن	كفى الله
٢٦١	٩	وروى عن	وروى لهم
٢٦١	الاخير	فى تفسر	فى تفسير
٢٦٤	١٦	والمذكب	والمكذب
٢٧٣	٩	زنبيهم	نبيهم
٢٧٣	١٣	حامل	حاملى
٢٧٧	١٥	فاتبعة	فاتبعه
٢٧٧	١٠	فأفرده	فأفرد
٢٨٠	الاخير	هذه أمور	أمور
٢٨٦	هـ ١	تفسر	تفسير
٢٩٥	١١	لم يستبين	لم يستبن
٣٠٠	الاخير	مقّر	مقرّ
٣٠٩	هـ ٣	١١١-١١٢	١١١
٣١٠	هـ ٢	١١١-١١٢	١١٢
٣١٣	الاخير	بشرح	يشرح
١٣٩	٥	محول	محلول
٣٢٠	٢	ان	إن

٣٢٠	١٦	يجعلونه	يجعلونها
٣٢٣	٣ ف	الشعوبين	الشعوبيه
٣٢٦	٨	بأمر	يأمـــر
٣٣٨	٢	يتلاقى	يتلافى
٣٣٩	الاخير	تفسر	تفسير
٣٤٠	٨	نظر	نظير
٣٤٠	٥ ف	لا تنكر	لا تُنكر
٣٤٢	٦	ولا تقّل	ولا تقلّ
٣٤٣	١٠	بـــذ ورين	بمحذ ورين
٣٤٤	٣ ف	الام	الامم
٣٤٦	١٣	الانقالاب	الانقلاب
٣٤٦	٤ ف	الاعترافون	الاعتراف
٣٥٢	١٢ ف	الفرى	الفرق
٣٥٤	٧	من من	من
٣٥٧	٤	الالفاظ	بالالفاظ
٣٦١	هـ ٢ س ٣ ف	يد مون	يذ مون
٣٦٦	٣ ف	فيما ذهب	فيما ذهبا
٣٦٨	١٠	أعترافات . .فأرجع	اعترافات . . فارجع
٣٦٩	هـ ١	أفتيات	إفتيات
٣٧٢	٨	غير قرآه	غير قرآن
٣٧٧	٦	حفد هم	حقد هم
٣٨٩	١٠	لا دام	لآدم

٣٩٦	قبل الاخير	رأى	رأي
٣٩٦	الاخير	ورأى	ورأي
٤٠١	١٠	الاجد	الاجد ر
٤٠٢	١١	تحقق	تخفق
٤٠٢	الاخير	أرتد	ارتد
٤٠٥	قبل الاخير	العمش	القَمْش.
٤٠٦	١٠	مروحى	أمروحىّ
٤٠٦	١٢	وبالكتابه	وبالكتابة (٨)
٤٠٦	يزاد آخر الهوامش هامش رقم		((٨) أنظر تاج العروس للزبيدى ، فصل الواو من باب الواو والياء (وحى) ج ١٠ ص ٣٨٥)
٤١٠	هـ ٢	سقود ارد	ستود ارد
٤١٠	١٢	يتحلى	يتجلى
٤١٤	١٧ و ١٨	"عرفان" "يجده	" عرفان يجده
٤١٧	٧ ف	انه	أنه
٤١٨	٩ ف	يأخذه	بأخذه
٤٢٩	٣ ف	غيرها	غيرهما
٤٣٨	هـ ٣	ص ٥٩	ص ٥٨
٤٥٣	٣ ف	عبسن	عبس
٤٥٦	١٤	خالقين ... خالقين	خالقينّ ... خالقين
٤٥٦	١٥	أن	إن

٤٦٦	٥	المذ بين	المكذ بين
٤٦٦	٦	يستيطيع	يستطيع
٤٦٧	٣	الذ ين	الد ين
٤٧١	٩ ف	يذ هبث	يذ عن
٤٨٢	٥و٨و٩و١١	الاستيطان	الاستبطان
٤٨٥	٥	نحرض	نحرص
٥٠٢	٤	لا ينكشفان	لا ينكسفان
٥٠٢	١ ف	اقراره	أقرّ
٥٠٩	٩	بمركتبه	بمركبته
٥٢٤	٩	يصرف	بصرف
٥٣٦	٥ ف	واراد ه	والا راد ه
٥٥٦	٥ ف	عليه	عليها
الباب الخامس			
السطر الاخير		شحيبل	سجيسل
٥٦٧	٤	يخرج من	يخرج من النار من
٥٦٨	٢	المعترله	المعتزله
٥٧٢	٨	الطبيعة	الطبيعة
٥٧٣	٦	مفتمثل	فتمثل
٥٨٣	١٠	للامان	للامام
٥٩٠	١	لعلى	على
٥٩٠	٢	د ون بعض (٨)	د ون بعض (١)
٥٩٧	٥	بالرباعيه	الرباعيه

٥٩٧	١٢	الفصل	الفصل ،
٥٩٨	١٥	نبوته	ثبوته
٥٩٨	٣ ف	الطهار	الطهاره
٥٩٩	١٠	لا اقصده	لا اقصد
٦٠١	٩	واثيت	واثبت
٦٠٣	١	أنا	آلآ
٦١٠	٦	والمزاد	والمراد
٦٢٥	٨ف	اثصل	اتصل
٦٢٨	٢	مألوقه	مألوفة

الباب السادس

السطر الثالث		فيها	: منها
٦٣١	٨	العزيز	العزير
٦٣٢	١	عليمبه	علميه
٦٣٤	٧	احتياتا	إفتياناً
٦٤٣	٥	ويسشبه	ويشبّه
٦٤٢	٢	كليه	كله
٦٤٤	١٣	عصا	عفوا
٦٤٨	١	الفقيه	الفقه
٦٥٢	٢	هذا شيخ	هذا الى شيخ
٦٥٢	٣ف	الطيعيه	الطبيعيه
٦٥٣	٦	بواحده (٢)	بواحده (٣)

٦٥٤	١٢	فبراد	فأراد
٦٥٧	١٣	شيئا"	شيئا" (٤)
٦٥٧	١٦	اراك الله" (٤)	أراك الله" (٥)
٦٥٧	الاخير	صرفه" (٥)	صرفه" (٦)
٦٥٧	هـ (٢)	(٢)	(٣)
٦٥٧	هـ ٣	(٣)	(٤)
٦٥٧	هـ ٤	(٤)	(٥)
٦٥٧	هـ ٥	(٥)	(٦)
٦٥٧	يزاد بين الهوامش		هـ (٢) الاسلام واصول الحكم :على عبد الرازق ص ١٥٤
٦٦٠	هـ ١	ما تبقى	ما يتقى
٦٦٤	٨ف	نبرو	تبرق
٦٨١	١	البرانيط الربا	البرانيط والربا
٦٨٦	١	فى	من
٦٨٧	١٠	وما	يوما
٦٨٨	٤	أزو الى	أو الى
٦٨٩	٦	يجور .يحول	يحورّ و يحولّ
٦٨٩	يزاد		هـ (٣) الاسلام والحضارة الغربية : محمد محمد حسين ص ٤٩ – ٥٠
٦٩٠	١٢	ولا فيه	فيه
٦٩٤	١٣	جبسى	حبسى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٩٦	٨	أرغرب	أغرب
٧٠٠	٨	ساكن	ساكنا
٧٠١	٢	الا	لا
٧٠٥	٩	محمد	محمود
٧١٤	٦	القزّ	الحزّ
٧١٧	٣	النهج	المنهج
٧١٧	١٦	آفتاب	آفتاب للحافظ ابن حجر العسقلانى
٧١٨	٩ اسفل	المدينه	المدنية
٧١٩	٢ ف	المفد	المغنى
٧٢٣	٤	المجتمع	المجمع